

ذخائر العرب

٣٠

تاريخ الطب

تاريخ الرسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

الجزء الأول

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الطبعة الثانية



دار المغارف بمصر

تاريخ السيل والملوك
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الأول قبل كل أول ، والآخير بعد كل آخر ، [والدائم بلا زوال] ^(١) ، والقائم ^(٢) على كل شيء بغير انتقال ، والخالق خلقه من غير أصل ^(٣) ولا مثال ؛ فهو ^(٤) الفرد الواحد من غير عدد ؛ وهو الباقي بعد كل أحد ، إلى غير نهاية ولا أمد . له الكبرياء والعظمة ، والبهاء والعزة ، والسلطان والقدرة ، تعالى عن أن يكون له شريك في سلطانه أو في ^(٥) وحدانيته نديد ، أو في تدبيره معين أو ظهير ، أو أن يكون له ولد ، أو صاحبة أو كفء أحد ، لا تحيط به الأوهام ، ولا تحويه الأقطار ، ولا تتركه الأبصار ، [وهو يدرك الأبصار] ^(٦) ، وهو اللطيف الخبير .

أحمدته على آلائه ، وأشكره على نعمائه ، حمد من أفردته بالحمد ، وشكر من رجا بالشكر منه المزيد ، وأسأله من القول والعمل لما يقربني منه ويرضيه ، وأومن به إيمان مخلص له التوحيد ، ومفرد له التمجيد .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده النجيب ، ورسوله الأمين ، اصطفاه لرسالته ، وابتعثه بوحيه ، داعياً خلقه إلى عبادته ؛ فصدع بأمره ، وجاهد في سبيله ، ونصح لأمرته ، وعبده حتى أتاه اليقين من عنده ، غير مقصر في بلاغ ، ولا وان في جهاد ؛ صلى الله عليه أفضل صلاة وأزكاها ، وسلم .

(١) ما بين العلامتين تكلمة من أ .

(٢) ط : « القادر » ، وما أثبتته عن أ .

(٣) ط : « شكل » ، وما أثبتته عن أ .

(٤) ط : « وهو » ، وما أثبتته عن أ .

(٥) ط : « وفي » ، وما أثبتته عن أ .

أما بعد ، فإن الله جلّ جلاله ، وتقدست أسماؤه ، خلق خلقه من غير ضرورة كانت به إلى خلقهم ، وأنشأهم من غير حاجة كانت به إلى إنشائهم ، بل خلق من خصّه منهم بأمره ونهيه ، وامتحنه بعبادته ، ليعبدوه [فيجود عليهم بنعمه] ^(١) ، وليحمدوه على نعمه فيزيدهم من فضله ومينّه ، و ^(٢) يسبّغ عليهم فضله وطوله ، كما قال عز وجل : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ ^(٣) . فلم يزد خلقه إياهم - إذ خلقهم - في سلطانه على ما لم يزل قبل خلقه إياهم مثقال ذرة ، ولا هو إن أفناهم وأعدمهم يتقصه إفناؤه إياهم ميزان شعرة ^(٤) ، لأنه لا تغييره الأحوال ، ولا يدخله الملal ، ولا ينقص سلطانه الأيام والليال ^(٥) ؛ لأنه خالق الدّهور والأزمان ، فعمّ جميعهم في العاجل فضله وجوده ، وشمّلكم كرمه وطوله ، فجعل لهم أسماً وأبصاراً وأفئدة ، وخصّهم بعقول يصلون بها إلى التمييز ^(٦) بين الحق والباطل ، ويعرفون بها المنافع والمضار ، وجعل لهم الأرض بساطاً ليسلكوا منها سبيلاً فجاجاً ، والسماء سقفاً محفوظاً ، وبناء مسموكاً ^(٧) ؛ وأنزل ^(٨) لهم منها الغيث بالإدراة ، والأرزاق بالمقدار ، وأجرى لهم [فيها] ^(٩) قمر الليل وشمس النهار يتعاقبان بمصالحهم دائبين ، فجعل لهم الليل لباساً ^(١٠) ، والنهار معاشاً ، وخالف - مناً منه عليهم وتطوّلاً - بين قمر الليل وشمس النهار ، فجاء آية الليل وجعل آية النهار مبصرة ، كما قال جلّ جلاله وتقدست أسماؤه : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضلاً

٣ / ١

(١) تكملة من ١ .

(٢-٣) ١ : « يسبّغ عليهم من كرامته وطوله » .

(٣) سورة الذاريات ٥٦ - ٥٨ .

(٤) ط : « مثقال ذرة » ، وما أثبتته عن ١ .

(٥) في جميع الأصول : « الليالي » .

(٦) ط : « يعقلون بها التمييز » ، من تصرف مصححه ؛ وما أثبتته من ١ .

(٧) ط : « كما قال » ، من تصرف مصححه ؛ والصواب ما أثبتته من ١ .

(٨) ١ : « سكناً » .

مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَّلَنَاهُ تَفْصِيلًا^(١).

وليصلوا بذلك إلى العلم بأوقات فروضهم التي فرضها عليهم في ساعات الليل والنهار والشهور والسنين؛ من الصلوات والزكوات والحج والصيام وغير ذلك من فروضهم ،
٤ / ١ وحين حلّ ديونهم وحقوقهم ؛ كما قال عز وجل : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ
قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾^(٢) ، وقال : ﴿ هُوَ الَّذِي جَمَعَ الشَّمْسَ ضِيَاءً
وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ
ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ • إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾^(٣) .
إنعاماً منه بكلّ ذلك على خلقه ، وتفضلاً منه به عليهم وتطولا ، فشكره على نعمه
التي أنعمها عليهم من خلقه خلقاً عظيماً ، فزاد كثيراً منهم من آلائه وأياديه ، على
ما ابتدأهم به من فضله وطوله ، كما وعدهم جلّ جلاله بقوله : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ
رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾^(٤) ،
وجمع لهم إلى^(٥) الزيادة التي زادهم في عاجل دنياهم ، الفوز^(٦) بالنعيم المقيم ،
والخلود في جنات النعيم ، في أجل آخرتهم . وأخبر لكثير منهم الزيادة التي وعدهم
فقدّمهم إلى حين مصيرهم [إليه] ^(٧) . ووقت قدومهم عليه ، توفيراً منه كرامته
عليهم يوم تُبلى السرائر^(٨) . وكفر نعمته خلق منهم عظيم ، فجحدوا آلاءه
وعبدوا سواه ، فسلب^(٩) كثيراً منهم ما ابتدأهم^(٩) به من الفضل والإحسان ، وأحلّ

(١) سورة الإسراء ١٢

(٢) سورة البقرة ١٨٩

(٣) سورة يونس ٥ ، ٦

(٤) سورة إبراهيم ٧

(٥) ط : « بين » .

(٦) ط : « والفوز » .

(٧) تكلّم من أ .

(٨) ١ : « يوم يرجعون إليه » .

(٩-٩) ط : « فسلبهم ما ابتدأهم » ، وما أثبتته عن أ

بهم النعمة ^(١) المهلكة في العاجل ، وذخر لهم العقوبة الخزية في الآجل ، ومتع كثيراً منهم بنعمه أيام حياتهم استدراجاً منه لهم ، وتوقيراً منه عليهم أوزارهم ؛ ليستحقوا من عقوبته في الآجل ما قد أعدّ لهم .

نعوذ بالله من عمل يقرب من سخطه ^(٢) ، ونسأله التوفيق لما يُدنى من رضاه ومحبته .

* * *

قال أبو جعفر : وأنا ذاكر في كتابي هذا من ملوك كل زمان ، من [لدن] ^(٣) ابتداء ربنا جلّ جلاله خلق خلقه إلى حال فنائهم ^(٤) ، من انتهى إلينا خبره من ابتداء الله تعالى بآلائه ونعمه فشكر نعمته ؛ من رسول له مرسل ، أو ملك مسلط ، أو خليفة مستخلف ، فزاده إلى ما ابتدأه به من نعمه في العاجل نعماً ، وإلى ما تفضل به عليه فضلاً ، ومن آخر ذلك له منهم ، وجعله له عنده ذخراً . ومن كفر منهم نعمه فسلبه ما ابتدأه به من نعمه ، وعجل له نقمه . ومن كفر منهم نعمه فنتعه بما أنعم به عليه إلى حين وفاته وهلاكه ؛ مقررناً ذكر كل من أنا ذاكره منهم في كتابي هذا بذكر زمانه ^(٥) ، وجُمِل ما كان من حوادث الأمور في عصره وأيامه ؛ إذ كان الاستقصاء في ذلك يقصر عنه العمر ، وتطول به الكتب ، مع ذكرى مع ذلك مبلغ مدة أكله ^(٦) ، وحين أجله ، بعد تقديمي أمام ذلك ما تقديمه بنا أولى ، والابتداء به قبله أحجى ؛ من البيان عن الزمان : ما هو ؟ وكم قدر جميعه ، وابتداء أوله ، وانتهاء آخره ؟ وهل كان قبل خلق الله تعالى إياه شيء غيره ؟ وهل هو فان ؟ وهل بعد فئاته شيء غير وجه المسبّح الخلاق ، تعالى ذكره ؟ وما الذي كان قبل خلق الله إياه ؟ وما هو كائن بعد فئاته وانقضائه ؟ وكيف

(١) ١ : « النعم » .

(٢) ١ : « إلى سخطه » .

(٣) تكملة من ١ .

(٤) كذا في ١ ، وفي ط : « قيامهم » ، وفي ن : « انتهائهم » .

(٥) ط : « نعمائه » ، والأجود ما أثبتته عن ١ .

(٦) يراد بالأكل هنا مدة العمر التي يعيشها المرء في الحياة يأكل فيها ، وانظر التفسير

كان ابتداء خلق الله تعالى إياه ؟ وكيف يكون فناءه؟ والدلالة على أن لا قديم إلا الله الواحد القهار ، الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى . ١/١
 بوجيز من الدلالة غير طويل ؛ إذ لم نقصد بكتابنا هذا قصد الاحتجاج لذلك ، بل لما ذكرنا من تأريخ الملوك الماضين وجمل من أخبارهم ، وأزمان الرسل والأنبياء ومقادير أعمارهم ، وأيام الخلفاء السالفين وبعض سيرهم ، ومبالغ ولاياتهم ، والكائن الذى كان من الأحداث فى أعصارهم . ثم أنا متبع^(١) آخر ذلك كله - إن شاء الله وأتد منه بعون وقوة - ذكر صحابة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأسمائهم وكُنُاهم ومبالغ أنسابهم ومبالغ أعمارهم ، ووقت وفاة كل إنسان منهم ، والموضع الذى كانت به وفاته . ثم متبعهم ذكر من كان بعدهم من التابعين لهم بإحسان ، على نحو ما شرطنا من ذكرهم . ثم ملحق بهم ذكر من كان بعدهم من الخلفاء لهم كذلك ، وزائد فى أمورهم للإبانة^(٢) عمن حميت منهم روايته ، وتقبلت^(٣) أخباره ، ومن رفضت منهم روايته ونبت أخباره ، ومن وهن منهم نقله ، وضعف خبره . و [ما]^(٤) السبب الذى من أجله نبذ من نبذ منهم خبره ، والعلة التى من أجلها وهن من وهن منهم نقله .

ولم الله عز وجل أنا راغب^(٥) فى العون على ما أقصده وأنويه ، والتوفيق لما ألتسسه وأبغيه ؛ فإنه وليّ الحول والقوة ، وصلى الله على محمد نبيه وآله وسلم تسليماً .

* * *

وليعلم الناظر فى كتابنا^(٦) هذا أن اعتمادى فى كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أنى راسمه فيه ؛ إنما هو على ما رويت من الأخبار التى أنا ذاكرها فيه ، والآثار التى أنا مسندها إلى رواتها فيه ، دون ما أدرك بحجج العقول ، واستنبط

(١) : « نتبع » .

(٢) : « الإبانة » .

(٣) ط : « ونقلت » .

(٤) تكللة من أ .

(٥) : « أرغب » .

(٦) : « كتابى » .

٧/١
 بفكر النفوس ، إلا اليسير القليل منه ، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين ،
 وما هو كائن من أنباء الحادئين ، غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك
 زمانهم ؛ إلا بإخبار المخبرين ، ونقل الناقلين ، دون الاستخراج بالعقول ، والاستنباط
 بفكر النفوس . فما يكن في كتابي ^(١) هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما
 يستنكره قارئه ، أو يستشعنه ^(٢) سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ،
 ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يثبت في ذلك من قبيلنا ، وإنما أتى من قبيل
 بعض ناقليه إلينا ؛ وأنا إنما أدبنا ذلك على نحو ما أدبني إلينا .

(١) : « كتابنا » .

(٢) : « يستشعنه » .

القول في الزمان ما هو

قال أبو جعفر : فالزمانُ هو ساعات الليل والنهار ، وقد يقال ذلك للطويل من المدة والقصير منها ، والعرب تقول : أتيتك زمانَ الحجاج أمير ، وزمنَ الحجاج أمير - تعني به : إذ الحجاج أمير . وتقول : أتيتك زمان الصَّرام [وزمن الصَّرام] ^(١) - تعني به وقت الصرام . ويقولون أيضاً : أتيتك أزمان الحجاج أمير ، فيجمعون الزمان ، يريدون بذلك أن يجعلوا كلَّ وقت من أوقات إمارته زماناً ^(٢) من الأزمنة ، كما قال الراجز :

جاء الشتاء وقيصي أخلاقٍ شراذمٌ يضحك منه التَّوَّاق ^(٣)

فجعل القميص أخلاقاً ، يريد بذلك وصف كل قطعة منه بالإخلاق ؛ كما يقولون : أرض سبابس ، ونحو ذلك .

ومن قولهم للزمان : « زمن » قولُ أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

وكنْتُ امرأَ زَمَنًا بالعِراقِ عَفِيفَ المُنَاخِ طَوِيلَ التَّغَنِّ ^(٤)

يريد بقوله : « زمناً » زماناً ، فالزمان اسم لما ذكرت من ساعات الليل والنهار على ما قد بينت ووصفت .

٨/١

(١) تكلمة من ا ، وابن الأثير ١ : ١١ . وصرام النخلة : أوان اجتثناء ثمرها .

(٢) ١ : « زمناً » .

(٣) البيتان في اللسان (توق - شرذم) من غير عزو . وخلق القميص : بلى ، ويقال : قميص أخلاق ، يصفون به الواحد إذا كان بين الخلقة . وشراذم : قطع . والتَّوَّاق : ابنه .

(٤) ديوانه ٢٢ ؛ وهو في أمالي المرتضى ١ : ٣١ ، واللسان (غنى) . والتغنى هنا : الاستغناء ؛ وفي ط : « التَّغَنِّ » ، تحريف ، صوابه في ا .

القول في كم قدر جميع الزمان من ابتدائه إلى انتهائه وأوله إلى آخره

اختلف السلف قبلنا من أهل العلم في ذلك ، فقال بعضهم : قدر جميع ذلك سبعة آلاف سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا يحيى بن يعقوب ، عن حماد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : الدنيا جمعة من جمع الآخرة ، سبعة آلاف سنة ، فقد مضى ستة آلاف سنة ومائتا سنة^(١) ، وليأتين عايتها مئون [من^(٢)] سنين ، ليس عليها^(٣) موحد .

* * *

وقال آخرون : قدر جميع ذلك ستة آلاف سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو هشام ، قال : حدثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، قال : قال كعب : الدنيا ستة آلاف سنة .
حدثنا محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهباً يقول : قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستمائة سنة ، وإني^(٤) لأعرف كل زمان منها ، ما كان فيه من الملوك والأنبياء . قلت^(٥) لوهب بن منبّه : كم الدنيا ؟ قال : ستة آلاف سنة .

* * *

(١) ط : « ومنو ستة » ، ن : « ومائتين » ، وما أثبتته عن أ .

(٢) تكله من أ .

(٣) ط : « لها » ، وما أثبتته عن أ ، ر .

(٤) ط : « إني » ، بحذف الواو ، وما أثبتته عن أ .

(٥) ط : « قلنا » ، وما أثبتته عن أ .

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك ما دل على صحته الخبر الوارد ٩/١
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك ما حدثنا به محمد بن بشار وعلى بن سهل،
قالا: حدثنا مؤمل، قال: حدثنا سفيان، عن عبد الله بن دينار، عن ابن
عمر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أجلُّكم في أجلِّ مَنْ
كان قبلكم، من صلاة العصر إلى مغرب الشمس».

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق،
عن نافع، عن ابن عمر، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ألا إنما
أجلُّكم في أجلِّ مَنْ خلا من الأعم، كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس».

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: حدثني عمار بن محمد، ابن أخت
سفيان الثوري، أبو اليقظان، عن ليث بن أبي سليم، عن مغيرة بن حكيم،
عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بقي لأمتي
من الدنيا إلا كمقدار الشمس إذا صُلِّيَت العصر».

حدثني محمد بن عوف، قال: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا شريك،
قال: سمعت سلمة بن كهيل، عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: كنا جلوساً
عند النبي صلى الله عليه وسلم والشمس مرتفعة على قُعيْقَمان^(١) بعد العصر، فقال:
«ما أعمارُكم في أعمار مَنْ مضى إلا كما بقي من هذا النهار فيما مضى منه».

حدثنا ابن بشار ومحمد بن المثنى - قال ابن بشار: حدثني خلف
ابن موسى، وقال ابن المثنى: حدثنا خلف بن موسى - قال: حدثني أبي، عن
قتادة، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب أصحابه يوماً -
وقد كادت الشمس أن تغيب، ولم يبق منها إلا شِقٌّ يسير - فقال^(٢): «والذي

(١) قُعيْقَمان، بالضم ثم الفتح، على التصغير: أحد جبال مكة. (ياقوت).

(٢) ط: «قال»، وما أثبتته من أ.

١٠/١ نفس محمد بيده ما بقى من دنياكم فيما مضى منها إلا كما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه ، وما ترون من الشمس إلا اليسير .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا ابن عيينة ، عن علي بن زيد ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم عند غروب الشمس : « إنما مثل ما بقى من الدنيا فيما مضى منها كبقية يومكم هذا فيما مضى منه » .

حدثنا هناد بن السرى وأبو هشام الرفاعى ، قالوا : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت [أنا] ^(١) والساعة كهاتين » — وأشار بالسبابة والوسطى .

حدثنا أبو كريب ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن أبي بكر ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي بنحوه .

حدثنا هناد ، قال : حدثنا أبو الأحوص وأبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي خالد الوالى ، عن جابر بن سمرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » .

حدثنا أبو كريب ^(٢) ، قال : حدثنا عثمان بن علي ، عن الأعمش ، عن أبي خالد الوالى ، عن جابر بن سمرة ، قال : كأنى أنظر إلى إصبعي رسول الله صلى الله عليه وسلم — وأشار بالمسبحة والتي تليها — وهو يقول : « بعثت أنا والساعة كهذه من هذه » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثني يحيى بن واضح ، قال : حدثنا فيطر ^(٣) ، عن أبي خالد الوالى ، عن جابر بن سمرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت من الساعة كهاتين » — وجمع بين إصبعيه السبابة والوسطى .

(١) تكله من ا .

(٢) ط : « أبو كبير » تصحيف ، صوابه في ا .

(٣) ط : « قطن » ، تصحيف ، صوابه في ا ، وهو فطر بن خليفة القرظى ، ذكره ابن حجر فيمن روى عن أبي خالد الوالى ، وانظر تهذيب التهذيب ١٢ : ٨٣ .

حدثنا ابن المنثى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا ١١/١
شعبة ، قال : سمعت قتادة يحدث ، قال : حدثنا أنس بن مالك ، قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » . قال شعبة :
سمعت قتادة يقول في قصصه : كفضل إحداهما على الأخرى ، قال : لا أدري
أذكره عن أنس أو قاله قتادة .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : حدثنا النضر بن شميل ، قال :
حدثنا شعبة ، عن قتادة ، قال : حدثنا أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا شعبة ، عن
قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله ، وزاد في حديثه :
وأشار بالوسطى والسبابة .

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا أيوب بن
سويد ، عن الأوزاعي ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبيد الله ، قال : قدم أنس بن
مالك على الوليد بن عبد الملك ، فقال له الوليد : ماذا سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يذكر به الساعة ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« أنتم [و] ^(١) الساعة كهاتين » ، وأشار بإصبعيه .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : أخبرني أبي ، قال : حدثنا الأوزاعي ،
قال : حدثني إسماعيل بن عبيد الله ، قال : قدم أنس بن مالك على الوليد بن عبد الملك ،
فقال له الوليد : ماذا سمعت [من] ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر به
الساعة ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أنتم والساعة ككتين » .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : حدثنا عمرو بن أبي سلمة ،

عن الأوزاعي، قال: حدثني إسماعيل بن عبيد الله، قال: قدم أنس بن مالك على الوليد بن عبد الملك، فذكر مثله.

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: حدثني معبد، حدث أنس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، وقال بإصبعيه: هكذا.

حدثنا ابن المنثني قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا شعبة، عن أبي التياح، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بعثت أنا والساعة كهاتين»: السبابة والوسطى. قال أبو موسى^(١): وأشار وهب بالسبابة والوسطى.

حدثني عبد الله بن أبي زياد، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا شعبة، عن أبي التياح وقتادة، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، وقرن بين إصبعيه.

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: حدثنا الفضيل بن سليمان، حدثنا أبو حازم، قال: حدثنا سهل بن سعد، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بإصبعيه هكذا، الوسطى والتي تلي الإبهام: «بعثت أنا والساعة كهاتين».

حدثنا محمد بن يزيد الأدمي، قال: حدثنا أبو ضمرة، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بعثتُ والساعة كهاتين» - وضم بين إصبعيه الوسطى، والتي تلي الإبهام - وقال: «ما مثلي ومثل الساعة إلا كفرسي رهان»، ثم قال: «ما مثلي ومثل الساعة إلا كمثل رجل بعثه قوم طليعة، فلما خشي أن يسبق ألاح بثوبه: أتيتم، أتيتم، أنا ذاك أنا ذاك».

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا خالد، عن محمد بن جعفر، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، وجمع بين إصبعيه.

(١) أبو موسى: كنية ابن المنثني.

حدثنا أبو كُريب ، قال : حدثنا خالد ، قال : حدثنا سليمان بن بلال ، قال : حدثني أبو حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة هكذا » ، وقرن بين إصبعيه : الوسطى والى تلى الإبهام .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : حدثنا ابن أبي مریم ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثني أبو حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » ، وجمع بين إصبعيه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو نعيم ، عن بشير بن المهاجر ، قال : حدثني عبد الله بن بُريدة ^(١) ، عن أبيه ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بعثت أنا والساعة جميعاً ، إن كادت لتتسبقني » .

حدثني محمد بن عمر بن هياج ، قال : حدثنا يحيى بن عبد الرحمن ، قال : حدثني عبيدة بن الأسود ، عن مجالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن المستورد بن شداد الفهري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بعثت في نفس الساعة ^(٢) ، سبقتها كما سبقت هذه هذه » ، لإصبعيه السبابة والوسطى ، ووصف لنا أبو عبد الله ، وجمعهما .

حدثني أحمد بن محمد بن حبيب ، قال : حدثنا أبو نصر ، قال : حدثنا المسعودي ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، عن أبي جَبيرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت مع الساعة كهاتين » ، وأشار بإصبعيه الوسطى والسبابة - « كفضل هذه على هذه » .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا إسماعيل ، عن شُبَيْل بن عوف ، عن أبي جَبيرة ، عن أشياخ من الأنصار ، قالوا :

(١) كذا ضبطه ابن الأثير ١ : ١٢ : « بضم الموحدة وسكون الياء تحتهما نقطتان وآخرها هاء » .

(٢) بعثت في نفس الساعة ، أى بعثت وقد حان قيامها وقرب . النهاية لابن الأثير

سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « جئت أنا والساعة هكذا » - قال الطبري : وأرانا تميم ، وضم السبابة والوسطى وقال لنا : أشار يزيد بإصبعيه السبابة والوسطى وضمهما - وقال : « سبقتها كما سبقت هذه هذه في نفس من الساعة » ، أو « [في] ^(١) نفس الساعة » .

فعلوم إذ كان اليوم أوله طلوع الفجر وآخره غروب الشمس ، وكان صحيحاً عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، ما رويناه عنه قبل ، أنه قال بعد ما صلى العصر : « ما بقى من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه » . وأنه قال لأصحابه : « بُعثت أنا والساعة كهاتين » - وجمع بين السبابة والوسطى - « سبقتها بقدر هذه من هذه » ، يعنى الوسطى من السبابة . وكان قدر ما بين أوسط أوقات صلاة العصر - وذلك إذا صار ظل كل شيء مثليه - على التحرر إنما يكون قدر نصف سبع اليوم ، يزيد قليلاً أو ينقص قليلاً ، وكذلك فضل ما بين الوسطى والسبابة ، إنما يكون نحواً من ذلك وقریباً منه .

وكان صحيحاً مع ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثني عمى عبد الله بن وهب ، قال : حدثني معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه جبير بن نفير ، أنه سمع أبا ثعلبة الخشني صاحب النبي صلى الله عليه وسلم يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم » ، وكان معنى قول النبي ذلك أن « لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم » الذي مقداره ألف سنة = كان بينا أن أولى القولين - اللذين ذكرت في مبلغ قدر مدة جميع الزمان ، اللذين أحدهما عن ابن عباس ، والآخر منهما عن كعب - بالصواب ، وأشبههما بما دلت عليه الأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قول ابن عباس ، الذي رويناه عنه أنه قال : الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة .

وإذ كان ذلك كذلك، وكان الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحاً أنه أخبر عن الباقي من ذلك في حياته أنه نصف يوم، وذلك خمسمائة عام؛ إذ كان ذلك نصف يوم من الأيام التي^(١) قدر اليوم الواحد منها ألف عام = كان معلوماً أن الماضي من الدنيا إلى وقت قول النبي صلى الله عليه وسلم ما رويناه عن أبي ثعلبة الخشني عنه، كان قدر ستة آلاف سنة وخمسمائة سنة، أو نحواً من ذلك وقريباً منه . والله أعلم .

* * *

فهذا الذي قلنا — في قدر مدة أزمان الدنيا، من مبدأ أولها إلى منتهى آخرها — من أثبت ما قيل في ذلك عندنا من القول، للشواهد الدالة التي بينها على صحة ذلك . وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرٌ يدلُّ على صحة قول من قال : إن الدنيا كلها ستة آلاف سنة، لو كان صحيحاً سندُه لم نعدُ القولَ به إلى غيره؛ وذلك ما حدثني به محمد بن سنان القزاز، قال : حدثنا عبد الصمد ابن عبد الوارث، حدثنا زبَّان، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «الحَقْبُ ثمانون عاماً، اليوم منها سدس الدنيا» . فبيِّن في هذا الخبر أن الدنيا كلها ستة آلاف سنة، وذلك أن اليوم الذي هو من أيام الآخرة إذا كان مقداره ألف سنة من سنَى الدنيا، وكان اليوم الواحد من ذلك سدس الدنيا، كان معلوماً بذلك أن جميعها ستة أيام من أيام الآخرة، وذلك ستة آلاف سنة .

* * *

وقد زعم^(٢) اليهود أن جميع ما ثبت عندهم — على ما في التوراة مما هو^(٣) فيها من لدن خلق الله آدم إلى وقت الهجرة، وذلك في التوراة التي هي في أيديهم اليوم — أربعة آلاف سنة وستائة سنة واثنان وأربعون سنة، وقد ذكروا تفصيل ذلك بولادة رجل رجل، ونبي نبي، وموته من عهد آدم إلى هجرة نبينا محمد صلى الله عليه

(١) ط « الذي » ، وصوابه من ا .

(٢) ط : « تزعم » ، وما أثبتته من ا .

(٣) كذا في ا ، ب ، ك ، وفي ط : « ما بين » .

وسلم . وسأذكر تفصيلهم ذلك إن شاء الله ، وتفصيل غيرهم ممن فصله من علماء أهل الكتب وغيرهم من أهل العلم بالسيرة وأخبار الناس إذا انتهيت إليه إن شاء الله .
وأما اليونانية من النصارى فإنها تزعم أن الذى ادّعتة اليهود من ذلك باطل ، وأن الصحيح من القول فى قدر مدة أيام الدنيا — من لدُنْ خلق الله آدم إلى وقت هجرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على سياق ما عندهم فى التوراة التى هى فى أيديهم — خمسة آلاف سنة وتسعمائة سنة واثنان وتسعون سنة وأشهر . وذكروا تفصيل ما ادّعوه من ذلك بولادة نبيّ نبيّ ، وملك ملك ، ووفاته من عهد آدم إلى وقت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزعموا أن اليهود إنما نقصوا ما نقصوا من عدد سنّى ما بين تاريخهم وتاريخ النصارى دفعاً منهم لنبوّة عيسى بن مريم عليه السلام إذ كانت صفته ووقت مبعثه مثبتة فى التوراة . وقالوا : لم يأت الوقت الذى وُقت لنا فى التوراة أن الذى صفته صفة عيسى يكون فيه ، وهم ينتظرون — بزعمهم — خروجه ووقته .

١٧/١

وأحسب^(١) أن الذى ينتظرونه ويدّعون أن صفته فى التوراة مثبتة ، هو الدجال الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله ، وذكر لهم أن عامة أتباعه اليهود ؛ فإن كان ذلك هو عبد الله بن صياد ، فهو من نسل اليهود .
وأما الجوس فإنهم يزعمون أن قدر مدة الزمان من لدن ملك جيوسمرت إلى وقت هجرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف سنة ومائة سنة وتسع وثلاثون سنة ، وهم لا يذكرون مع ذلك نسباً يعرف فوق جيوسمرت ، يزعمون أنه آدم أبو البشر ، صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أنبياء الله ورسله .

ثم أهلُ الأخبار بعدُ فى أمره مختلفون ؛ فمن قائل منهم فيه مثل قول الجوس ، ومن قائل منهم إنه تسمى بآدم بعد أن ملك الأقاليم السبعة ، وأنه إنما هو جامر بن يافث^(٢) ابن نوح ، كان بنوح عليه السلام برّاً وخدمته ملازماً ، وعليه حدّ باً شقيقاً ، فدعا الله له ولذريته [نوح]^(٣) — لذلك من بره به وخدمته له — بطول العمر ، والتمكين فى

(١) ط : « فأحسب » .

(٢) كذا ضبط فى القاموس ، كصاحب ، ووقع فى سفر التكوين مضبوطاً بالفتح .

(٣) من ا .

البلاد ؛ والنصر على من ناوأه وإياهم ، واتصال الملك له ولذريته ، ودوامه (١) له
 ولهم ؛ فاستجيب له فيه ، فأعطى جيُومَرت ذلك وولده ، فهو أبو الفرس ،
 ولم يزل الملك فيه وفي ولده إلى أن زال عنهم بدخول المسلمين مدائن كسرى ،
 وغلبة أهل الإسلام إياهم على ملكهم .

ومن قائل غير ذلك ؛ وسندكر إن شاء الله ما انتهى إلينا من القول فيه إذا
 انتهينا إلى ذكرنا تأريخ الملوك ومبالغ أعمارهم ، وأنسابهم وأسباب ملكهم .

القول في الدلالة

على حدوث الأوقات والأزمان والليل والنهار

١٨/١

قد قلنا قبلُ إن الزمان إنما هو اسم لساعات الليل والنهار ، وساعات الليل والنهار إنما هي مقادير من جَرَى الشمس والقمر في الفلك ، كما قال الله عز وجل : ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ . وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ . لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾^(١) .

فإذا كان الزمان ما ذكرنا من ساعات الليل والنهار ، وكانت ساعات الليل والنهار إنما هي قطع الشمس والقمر درجات الفلك ، كان بيقين معلوماً أن الزمان محدث والليل والنهار محدثان ، وأن محدث ذلك الله الذي تفرد بإحداث جميع خلقه ، كما قال : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾^(٢) .

ومن تجهيل حدوث ذلك من خلق الله فإنه لن يجهل اختلاف أحوال الليل والنهار ؛ بأن أحدهما يترد على الخلق - وهو الليل - بسواد وظلمة ، وأن الآخر منهما يرد عليهم بنور وضياء ، ونسخ لسواد الليل وظلمته ، وهو النهار . فإذا كان ذلك كذلك ، وكان من المحال اجتماعهما مع اختلاف أحوالهما في وقت واحد في جزء واحد - كان معلوماً يقيناً أنه لا بد [من]^(٣) أن يكون أحدهما كان قبل الآخر منهما ؛ وأيتهما كان منهما قبل صاحبه فإن الآخر منهما كان

(١) سورة يس ٣٧ - ٤٠

(٢) سورة الأنبياء ٣٣

(٣) من أ .

لا شك بعده ، وذلك لإبانة دليل على حدوثهما ، وأنهما خلقان لخالفهما ^(١) . ١٩/١

ومن الدلالة أيضاً على حدوث الأيام والليالي أنه لا يوم إلا وهو بعد يوم كان قبله ، وقبل يوم كائن بعده ، فعلوم أن ما لم يكن ثم كان ، أنه محدث مخلوق ، وأن له خالقاً ومحدثاً .

وأخرى ، ^(٢) أن الأيام والليالي معدودة ، وما عد من الأشياء فغير خارج من أحد العددين : شفع أو وتر ؛ فإن يكن شفعا فإن أولها اثنان ، وذلك تصحيح القول بأن لها ابتداء وأولاً ، وإن كان وترأ فإن أولها واحد ، وذلك دليل على أن لها ابتداء وأولاً ، وما كان له ابتداء فإنه لا بد له من مبتدئ ، هو خالقه .

(١) ١ : « بخالفهما » .

(٢) ط : « والأخرى » ، وما أثبتته عن ١ .

القول في هل كان الله عز وجل خلق قبل خلقه الزمان والليل والنهار شيئاً غير ذلك من الخلق

قد قلنا قبل: إن الزمان إنما هو ساعات الليل والنهار، وإن الساعات إنما هي قِطْعُ (١) الشمس والقمر درجات الفلك .

فإذا (٢) كان ذلك كذلك ، وكان صحيحاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) ما حدثنا هناد بن السري، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي سعد البقّال، عن عكرمة، عن ابن عباس — قال هناد: وقرأت سائر الحديث (٤) [على أبي بكر] — (٥) أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والأرض فقال: خَلَقَ اللهُ الأَرْضَ يَوْمَ الأَحَدِ والأثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيها من منافع، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب؛ فهذه أربعة، [ثم] (٥) قال: ﴿قُلْ أَتُنْكُم تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَواسي مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ ثَلَاثِينَ﴾ (٦)، لمن سأل . قال: وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة، إلى ثلاث ساعات بقيت منه، فخلق في أول ساعة من هذه الثلاث الساعات الآجالَ مَنْ يَحْيَا وَمَنْ يَمُوتُ ، وفي الثانية أُلْقِيَ الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس، وفي الثالثة آدم وأُسْكِنَهُ الْجَنَّةَ ، وأمر إبليس بالسجود له

(١) : «مطلع» تحريف .

(٢) جواب «إذا» : «فإن كان كذلك» ص ٢٦

(٣) الخبر في التفسير ٢٤ : ٦١ (بولاق) .

(٤) ط : «في سائر الحديث» ، وما أثبتته عن أ .

(٥) زيادة من التفسير .

(٦) سورة فصلت ٩ ، ١٠ .

وأخرجه منها في آخر ساعة . ثم قالت اليهود : ثم ماذا يا محمد ؟ قال : ثم استوى على العرش ، قالوا : قد أصبت لو أنممت : قالوا : ثم استراح ، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً ، فنزل : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ۖ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ ^(١) .

حدثني القاسم بن بشر بن معروف والحسين بن علي الصدائي ، قالوا : حدثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج : أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبي هريرة قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال : « خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة ، آخر خلق خلق ، في آخر ساعة من ساعات الجمعة ، فيما بين العصر إلى الليل » .

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ^(٢) ، قال : حدثنا الفضيل ^(٣) بن سليمان ، حدثني محمد بن زيد ، قال : حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : ٢١/١ أخبرني ابن سلام وأبو هريرة ، فذكرنا عن النبي صلى الله عليه وسلم الساعة التي في يوم الجمعة ، وذكرنا أنه قالها ؛ قال ^(٤) عبد الله بن سلام : أنا أعلم أي ساعة هي ؛ بدأ الله في خلق السموات والأرض يوم الأحد ، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة ، فهي في آخر ساعة من يوم الجمعة .

حدثني المثني ، قال : حدثنا الحجاج ، حدثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن عكرمة : أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : ما يوم الأحد ؟ فقال رسول

(١) سورة ق ٣٨ ، ٢٩

(٢) كذا ضبطه صاحب التقریب ؛ بفتح الموحدة وكسر الزاي .

(٣) ط : « الفضل » تحريف ؛ وانظر تهذيب التهذيب ٨ : ٢٩١ ، ٩ : ٢٤٨

(٤) ط : « فقال » .

الله صلى الله عليه وسلم : خلق الله فيه الأرض وبسطها^(١) ، قالوا : فالأثنين ؟ قال : خلق الله فيه آدم ، قالوا : فالثلاثاء ؟ قال : خلق فيه الجبال والماء وكذا وكذا وما شاء الله ، قالوا : فيوم الأربعاء ؟ قال : الأقوات ، قالوا : فيوم الخميس ؟ قال : خلق السموات ، قالوا : فيوم الجمعة ؟ قال : خلق الله في ساعتين الليل والنهار ، ثم قالوا : السبت — وذكروا الراحة — قال : سبحان الله ! فأنزل الله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ .

فقد بين هذان الخبران اللذان رويناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الشمس والقمر خلقا بعد خلق الله أشياء كثيرة من خلقه ؛ وذلك أن حديث ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد بأن الله خلق الشمس والقمر يوم الجمعة = فإن^(٢) كان ذلك كذلك ، فقد كانت الأرض والسماء وما فيهما — سوى الملائكة وآدم — مخلوقة قبل خلق الله الشمس والقمر ، وكان ذلك كله ولا ليل ولا نهار ؛ إذ كان الليل والنهار إنما هو اسم لساعات معلومة من قطع الشمس والقمر درج الفلك .

وإذا كان صحيحاً أن الأرض والسماء وما فيهما ، سوى ما ذكرنا ، قد كانت ولا شمس ولا قمر — كان معلوماً أن ذلك كله كان ولا ليل ولا نهار . وكذلك حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه أخبر عنه أنه قال : « خلق الله النور يوم الأربعاء » ، يعنى بالنور الشمس — إن شاء الله .

* * *

فإن قال لنا قائل : قد زعمت أن اليوم إنما هو اسم لميقات ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، ثم زعمت الآن أن الله خلق الشمس والقمر بعد أيام من أول ابتدائه خلق الأشياء التي خلقها ، فأثبت مواقيت ، وسميتها بالأيام ، ولا شمس ولا قمر ، وهذا إن لم تأت ببرهان على صحته ، فهو كلام ينقض بعضه بعضاً !

(١) ط : « كسبها » ، س « وكسبها » ؛ وما أثبتته من أ .

(٢) « فإن كان » ، جواب : « إذا » فيما سبق ص ٢٤ .

قيل : إن الله سَمَّى ما ذكرته ^(١) أياماً ، فسميته بالاسم الذى سماه به ، وكان وجه تسمية ذلك أياماً ، ولا شمس ولا قمر ، نظير قوله عز وجل : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ ^(٢) ولا بكرة ولا عشي هنالك ، إذ كان لا ليل فى الآخرة ولا شمس ولا قمر ؛ كما قال جل وعز : ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَفْئَةٍ أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ ^(٣) . فسمى تعالى ذكره يوم القيامة يوماً عقيماً ، إذ كان يوماً لا ليل بعده مجيئه ؛ وإنما أريد بتسمية ما سَمَّى أياماً قبل خلق الشمس والقمر قدرُ ألف سنة من أعوام الدنيا ، التى العام منها اثنا عشر شهراً من شهور أهل الدنيا ، التى تُعد ساعاتها وأيامها بقطع الشمس والقمر درج الفلك ، كما سَمَّى بكرة وعشيماً لما يرزقه أهل الجنة فى قدر المدة التى كانوا يعرفون ذلك من الزمان فى الدنيا بالشمس ومجراها فى الفلك ، ولا شمس عندهم ولا ليل .

٢٣/١

* * *

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال السلف من أهل العلم .

* ذكر بعض من حضرنا ذكره ممن قال ذلك :

حدثنى القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى الحجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد أنه قال : ^(٤) يقضى الله عز وجل أمر كل شىء ألف سنة إلى الملائكة ؛ ثم كذلك حتى يمضى ألف سنة ، ثم يقضى أمر كل شىء ألفاً ، ثم كذلك ابتداءً ، قال : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ ^(٥) قال : اليوم أن يقول لما يقضى إلى الملائكة ألف سنة : « كن فيكون » ، ولكن سَمَاهُ يوماً ، سَمَاهُ كما شاء . كل ذلك

(١) ١ : « ذكرت »

(٢) سورة مريم ٦٢

(٣) سورة الحج ٥٥

(٤) الخبير فى التفسير ٢١ : ٥٩ (بلاق) .

(٥) سورة السجدة ٥

عن مجاهد، قال : وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾^(١)
قال : هو هو سواء .

* * *

وبنحو الذي ورد^(٢) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخبر ، بأن الله
جل جلاله خلق الشمس والقمر بعد خلقه السموات والأرض وأشياء غير ذلك ،
ورد الخبر عن جماعة من السلف أنهم قالوه .
* ذكر الخبر عن قال ذلك منهم :

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، حدثنا ابنُ يمان ، حدثنا سفيان ،
عن ابن جُرَيْج ، عن سليمان بن موسى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس :
﴿قَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٣) .
قال : قال الله عز وجل للسموات : أطلعي شمسي وقمرى ، وأطلعي نجوى^(٤) .
وقال للأرض : شققي أنهارك ، وأخرجي ثمارك ، فقالتا : أتينا طائعين .

حدثنا بشر بن معاذ ، : قال حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة :
﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾^(٥) ، خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها
وصلاحتها^(٦) .

* * *

فقد بينت هذه الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعمن ذكرناها عنه أن الله عز وجل خلق السموات والأرض قبل خلقه
الزمان والأيام والليالي ، وقبل الشمس والقمر . والله أعلم .

(١) سورة الحج ٤٧ .

(٢) ١ : « روى » .

(٣) سورة فصلت ١١ .

(٤) كذا في ١ ، والتفسير ، وفي ط : « وقمرى ونجوى » .

(٥) سورة فصلت ١٢ . (٦) الخبر في التفسير ٢٤ : ٦٤ (بولاق) .

القول في الإبانة عن فناء الزمان والليل والنهار

وأن لا شيء يبقى غير الله تعالى ذكره

والدلالة على صحة ذلك قول الله تعالى ذكره : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ^(١) ، وقوله تعالى : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ^(٢) .

فإن ^(٣) كان كل شيء هالك غير وجهه - كما قال جل وعز - وكان الليل والنهار ظلمة أو نوراً خلقتهما لمصالح خلقه ، فلا شك أنهما فانيان هالكان ، كما أخبر ؛ وكما قال : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ^(٤) .
يعنى بذلك أنها عُمِّيت فذهب ضوءها ، وذلك عند قيام الساعة ، وهذا ما لا يحتاج إلى الإكثار فيه ؛ إذ كان مما يدين بالإقرار ^(٥) به جميع أهل التوحيد من أهل الإسلام وأهل التوراة والإنجيل والمجوس ، وإنما ينكره قوم من غير أهل التوحيا ، لم نقصد بهذا الكتاب قصد الإبانة عن خطيئتهم . فكل الذين ^(٦) ذكرنا عنهم أنهم مقرون بفناء جميع العالم حتى لا يبقى غير القديم الواحد ، مقرون بأن الله عز وجل يحْيِيهم بعد فنائهم ، وباعثهم بعد هلاكهم ، خلا قوم من عبدة الأوثان ، فإنهم يُقرون بالفناء ، وينكرون البعث .

٢٥/١

(١) سورة الرحمن : ٢٦-٢٧ .

(٢) سورة القصص : ٨٨ .

(٣) ١ : « فإذ » .

(٤) سورة التكوثر : ١ .

(٥) ر : « إذ كان مما يقر به » .

(٦) ط : « وكل الذي » ، وما أثبتته عن ١ .

القول في الدلالة على أن الله عز وجل القديم الأول قبل شيء
وأنه هو المحدث كل شيء بقدرته تعالى ذكره

فمن الدلالة على ذلك أنه لا شيء في العالم مشاهد إلا جسم أوقائم يحسم، وأنه لا جسم إلا مفترق أو مجتمع، وأنه لا مفترق منه إلا وهو موهوم فيه الائتلاف إلى غيره من أشكاله، ولا مجتمع منه إلا وهو موهوم فيه الافتراق، وأنه متى عدم أحدهما عدم الآخر معه، وأنه إذا اجتمع الجزءان منه بعد الافتراق، فعلوم أن اجتماعهما حادث فيهما بعد أن لم يكن، وأن الافتراق إذا حدث فيهما بعد الاجتماع، فعلوم أن الافتراق فيهما حادث بعد أن لم يكن.

وإذا كان الأمر في العالم من شيء كذلك، وكان حكم ما لم يشاهد وما هو من جنس^(١) ما شاهدنا في معنى جسم أوقائم يحسم، وكان ما لم يخل من الحدث لا شك أنه محدث بتأليف مؤلف له إن كان مجتمعاً، وتفريق مفرق له إن كان مفترقاً. وكان معلوماً بذلك أن جامع ذلك إن كان مجتمعاً، ومفرقه إن كان مفترقاً من لا يشبهه، ومن لا يجوز عليه الاجتماع والافتراق، وهو الواحد القادر الجامع بين المختلفات، الذي لا يشبه شيء، وهو على كل شيء قدير - فبين بما وصفنا أن باري الأشياء ومحدثها كان قبل كل شيء، وأن الليل والنهار والزمان والساعات ومحدثات، وأن محدثها الذي يدبرها ويصرفها قبلها، إذ كان من الحال أن يكون شيء يحدث شيئاً إلا ومحدثه قبله، وأن في قوله تعالى ذكره : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾^(٢)، لأبلغ الحجج،

(١) أ، ك : « مما هو جنس ما شاهدنا » .

(٢) سورة الفاشية ١٧ - ٢٠

وأدُلُّ الدلائل — لمن فكَّر بعقل، واعتبر^(١) بفهم — على قِدَمِ باريها، وحدث كل ما جانسها، وأنَّ لها خالقاً لا يشبهها.

وذلك أن كلَّ ما ذكر ربنا تبارك وتعالى في هذه الآية من الجبال والأرض والإبل فلان ابن آدم يعالجه ويدبره بتحويل وتصريف وحفر ونحت وهدم، غيرَ ممتنع عليه شيء من ذلك. ثم إنَّ ابن آدم مع ذلك غير قادر على إيجاد^(٢) شيء من ذلك من غير أصل؛ فعلوم أن العاجز عن إيجاد^(٢) ذلك لم يحدث نفسه، وأن الذي هو غير ممتنع ممن أراد تصريفه وتقليبه لم يوجد له من هو مثله، ولا هو أوجد نفسه، وأن الذي أنشأه وأوجد عينه هو الذي لا يُعجزه شيء أراده، ولا يمتنع عليه إحداث شيء شاء إحداثه، وهو الله الواحد القهار.

* * *

فإن قال قائل: فما تنكر أن تكون الأشياء التي ذكرت من فعل قديمين؟ قيل: أنكرنا ذلك لوجودنا اتصال التدبير وتمام الخلق، فقلنا: لو كان المدبِّرَ اثنين، لم يخلوا من اتفاق أو اختلاف؛ فإن كانا متفقين فعناهما واحد، وإنما جعل الواحد اثنين من قال بالاثنتين. وإن كانا مختلفين كان محالاً وجودُ الخلق على التمام والتدبير على الاتصال؛ لأن المختلفين، فعل كل واحد منهما خلاف فعل صاحبه، بأنَّ أحدهما إذا أحيأ أَمَات الآخر، وإذا أوجد أحدهما أفنى الآخر، فكان محالاً وجود شيء من الخلق على ما وُجد عليه من التمام والاتصال. وفي قول الله عز وجل ذكره: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(٣)، وقوله عز وجل: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ۚ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٤)

(١) ١: «أعين» .

(٢) ٢، ر: «اتخاذ» .

(٣) سورة الأنبياء ٢٢

(٤) سورة المؤمنين «٩١، ٩٢»

أبلغ حجة، وأوجز بيان، وأدل دليل على بطول^(١) ما قاله المبطلون من أهل الشرك بالله، وذلك أن السموات والأرض لو كان فيهما إله غير الله، لم يخل أمرهما مما وصفت من اتفاق واختلاف. وفي القول باتفاقهما فساد القول بالثنوية، وإقرار بالتوحيد، وإحالة في الكلام بأن قائله سمى الواحد اثنين. وفي القول باختلافهما، القول بفساد السموات والأرض، كما قال ربنا جل وعز: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ لأن أحدهما كان إذا أحدث شيئاً وخلقه كان من شأن الآخر إعدامه وإبطاله، وذلك أن كل مختلفين فأفعالهما مختلفة، كالنار التي تسخن، والثلج الذي يبرد ما أسخنه النار.

وأخرى، أن ذلك لو كان كما قاله المشركون بالله لم يخل كل واحد من الاثنين اللذين أثبتوهما قديمين من أن يكونا قوين أو عاجزين؛ فإن كانا عاجزين فالعاجز مقهور وغير كائن إلهاً. وإن كانا قوين فإن كل واحد منهما بعجزه عن صاحبه عاجز، والعاجز لا يكون إلهاً. وإن كان كل واحد منهما قوياً على صاحبه؛ فهو بقوة صاحبه عليه عاجز، تعالى ذكره عما يشرك المشركون!

فتبين إذاً أن القديم باري الأشياء وصانعها هو الواحد الذي كان قبل كل شيء، وهو الكائن بعد كل شيء، والأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، وأنه كان ولا وقت ولا زمان، ولا ليل ولا نهار، ولا ظلمة ولا نور^(٢) إلا نور وجهه الكريم. ولا سماء ولا أرض، ولا شمس ولا قمر ولا نجوم، وأن كل شيء سواه محدث مدبر مصنوع، انفرد بخلق جميعه بغير شريك ولا معين ولا ظهير، سبحانه من قادر قاهر!

وقد حدثني علي بن سهل الرملي، قال: حدثنا زيد بن أبي الزرقاء، عن جعفر، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(١) ١: «بطلان»؛ وهما مصدران صحيحان.

(٢) ١: «ولا ضياء».

« إنكم تُسألون بعدى عن كلِّ شىء ، حتى يقول القائل : هذا الله خلق كلَّ شىء فمن ذا خلقه ! » .

حدثني عليّ ، حدثنا زيد ، عن جعفر ، قال : قال يزيد بن الأصم : حدثني نَجْبَة بن صَبِيح ، قال : كنت عند أبي هريرة فسألوه عن هذا فكبر وقال : ما حدثني خليل بشىء إلا قد رأيته — أو^(١) أنا أنتظره . قال جعفر : فبلغني أنه قال : إذا سألكم الناس عن هذا فقولوا : الله خالق كلِّ شىء ، والله كان قبل كلِّ شىء ، والله كائن بعد كلِّ شىء .

* * *

٢٩/١ فإذا كان معلوماً أن خالق الأشياء وبارئها كان ولا شىء غيره، وأنه أحدث الأشياء فدبرها، وأنه قد خلق صنوفاً من خلقه قبل خلق الأزمنة والأوقات، وقبل خلق الشمس والقمر اللذين يُجريهما في أفلاكهما ، وبهما عرفت الأوقات والساعات ، وأرخت التأثيرات ، وفصل بين الليل والنهار ، فلننقل : فیمَ ذلك الخلق الذى خلق قبل ذلك ؟ وما كان أوله ؟

(١) ط : « وأنا » ، وما أثبتته عن ١ .

القول في ابتداء الخلق ما كان أوله

صحّ الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدثني به يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني معاوية بن صالح - حدثني عبيد بن آدم بن أبي إياس العسقلاني ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا الليث بن سعد ، عن معاوية بن صالح - عن أيوب بن زياد ، قال : حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، قال : أخبرني أبي ، قال : قال أبي عبادة بن الصامت : يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن » .

حدثني أحمد بن محمد بن حبيب ، قال : حدثنا علي بن الحسن بن شقيق ، قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا رباح بن زيد ، عن عمر بن حبيب ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أول شيء خلق الله القلم ، وأمره أن يكتب كل شيء » .

حدثني موسى بن سهل الرملي ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا ابن المبارك ، أخبرنا رباح بن زيد^(١) ، عن عمر بن حبيب ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه .

٣٠/١

حدثني محمد بن معاوية الأنماطي ، حدثنا عباد بن العوام ، حدثنا عبد الواحد بن سليم ، قال : سمعت عطاء ، قال : سألت الوليد بن عبادة بن الصامت : كيف كانت وصية أبيك حين حضره الموت ؟ قال : دعاني فقال :

(١) ط : « رباح بن يزيد » ؛ وما أثبتته عن أ ؛ ذكره ابن حجر فيمن روى عن عمر ابن حبيب . وانظر تهذيب التهذيب ٣ : ٢٣٣ ، و ٧ : ٤٣١ .

أَيُّ بَنِيَّ، اتَّقِ اللَّهَ وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تَتَّقِيَ^(١) اللَّهَ، وَلَنْ تَبْلُغَ الْعِلْمَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ،
وَالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنْ أَوَّلُ مَا خَلَقَ
اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ:
اَكْتُبِ الْقَدَرَ، قَالَ: فَجَرَى الْقَلَمُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنْ إِلَى الْآبَدِ».

* * *

وقد اختلف [أهل] ^(٢) السلف قبلنا في ذلك، فنذكر أقوالهم، ثم نتبع
البيان عن ذلك إن شاء الله تعالى.

فقال بعضهم في ذلك بنحو الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه.
* ذكر من قال ذلك:

حدثني واصل بن عبد الأعلى الأسدي، قال: حدثنا محمد بن
فضيل، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس، قال: أول ما خلق الله
من شيء القلم فقال له: اكتب، فقال ^(٣): وما أكتب يا رب؟ قال: اكتب
القدر، قال: فجرى القلم بما هو كائن من ذلك إلى قيام الساعة، ثم رُفِعَ
بخار الماء ففتق منه السموات.

حدثنا واصل بن عبد الأعلى، قال: حدثنا وكيع، عن الأعمش،
عن أبي ظبيان، عن ابن عباس نحوه.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، ٢١/١
عن سليمان، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس، قال: أول ما خلق الله من شيء
القلم، فجرى بما هو كائن.

حدثنا ميم بن المنتصر، أخبرنا إسحاق، عن شريك، عن الأعمش،
عن أبي ظبيان — أو مجاهد —، عن ابن عباس نحوه.

(١) ط: «لَنْ تَلْقَى اللَّهَ»، وصوابه من أ، ر، ن، س.

(٢) تكملة من أ.

(٣) أ: «قال».

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، قال : حدثنا معمر ،
حدثنا الأعمش أن ابن عباس قال : إن أولَ شيءٍ خلقَ القلم .

حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن عطاء^(١) ، عن أبي الضحّا مسلم بن
صُبَيْح ، عن ابن عباس ، قال : إن أولَ شيءٍ خلقَ ربّي عزّ وجلّ القلم ،
فقال له : اكتب ، فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة .

* * *

وقال آخرون : بل أولُ شيءٍ خلقَ الله عزّ وجلّ من خلقه النور والظلمة .
* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ؛ قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : قال ابن اسحاق :
كان أول ما خلق الله عزّ وجلّ النور والظلمة ، ثم ميّز بينهما ، فجعل الظلمة
ليلاً أسود مظلماً ، وجعل النور نهاراً مضيئاً مبصراً .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك عندى بالصواب قولُ ابن عباس ،
لخبر الذى ذكرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [قبل]^(٢) ، أنه قال :
أول شيءٍ خلقَ الله القلم .

فإن قال لنا قائل : فإنك قلت : أولى القولين — اللذين أحدهما أن أولَ
شيءٍ خلقَ الله من خلقه القلم ، والآخر أنه النور والظلمة — قولُ من قال : إن أولَ
شيءٍ خلقَ الله من خلقه القلم ، فما وجهُ الرواية عن ابن عباس التى حدّثكموها ابن بشار ؟
قال : حدّثنا عبد الرحمن ، حدّثنا سفيان ، عن أبي هاشم^(٣) ، عن مجاهد ، قال : قلت
لابن عباس : إن ناساً يكذبون بالقدر ، فقال : «إنهم يكذبون بكتاب الله ،
لأخذنّ بشعر أحدهم فلا نفرضنّ به ؛ إن الله تعالى ذِكْرُهُ كان على عرشه قبل أن
يخلق شيئاً ، فكان أول ما خلقَ الله القلم ، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة ،

٣٢/١

(١) هو جرير بن عبد الحميد الضبي ، أخذ عن عطاء ، وعطاء هو ابن السائب الكوفي ، وانظر
تهذيب التهذيب ٢ : ٧٥ . (٢) تكملة من ١ .

(٣) في ر ، ك : «أبي هاشم» ؛ وهو خطأ . وأبو هاشم هو إسماعيل بن كثير الحجازي
المكي ؛ روى عن مجاهد وروى عنه سفيان الثوري . تهذيب التهذيب ١ : ٣٢٦ .

ولما يجرى الناس على أمر قد فُريغ منه ؟ .

وعن ابن إسحاق ، التي حدثكموها ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يقول الله عز وجل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ ^(١) ، فكان كما وصف نفسه عز وجل ، إذ ليس إلا الماء عليه العرش ، وعلى العرش ذو الجلال والإكرام ، فكان أول ما خلق الله النور والظلمة ؟

قيل : أما قول ابن عباس : إن الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء قبل أن يخلق شيئاً ، فكان أول ما خلق الله القلم — إن كان صحيحاً عنه أنه قاله — فهو خبرٌ منه أن الله خلق القلم بعد خلقه عرشه ، وقد روى عن أبي هاشم هذا الخبر شعبة ، ولم يقل فيه ما قال سفيان ، من أن الله عز وجل كان على عرشه ، فكان أول ما خلق القلم ، بل روى ذلك كالذي رواه سائر من ذكرنا من الرواة عن ابن عباس أنه قال : أول ما خلق الله عز وجل القلم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن المنني ، قال : حدثني عبد الصمد ، قال : حدثنا شعبة ، قال : حدثنا أبو هاشم ، سمع مجاهداً قال : سمعت عبد الله — لا يدري ابن عمر ٣٢/١ أو ابن عباس — قال : إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اجر ، فجرى القلم بما هو كائن ؛ ولما يعمل الناس اليوم فيما قد فُريغ منه .

وكذلك قول ابن إسحاق الذي ذكرناه عنه معناه أن الله خلق النور والظلمة بعد خلقه عرشه ، والماء الذي عليه عرشه . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي روينا عنه أولى قول في ذلك بالصواب ، لأنه كان أعلم قائل في ذلك قولاً بحقيقته وصحته ، وقد روينا عنه عليه السلام أنه قال : « أول شيء خلقه الله عز وجل القلم » من غير استثناء منه شيئاً من الأشياء أنه تقدّم خلق الله إياه خلق القلم ، بل عمّ بقوله صلى الله عليه وسلم : « إن أول شيء خلقه الله القلم » ، كل

شيء^(١) ، وأن^(٢) القلم مخلوق قبله من غير استثنائه من ذلك عرشاً ولا ماء ولا شيئاً غير ذلك .

فالرواية التي رويناها عن أبي ظَبْيَان وأبي الضُّحَا ، عن ابن عباس ، أولى بالصحة عن ابن عباس من خبر مجاهد عنه الذي رواه عنه أبو هاشم ؛ إذ كان أبو هاشم قد اختلف في رواية ذلك عنه شعبة وسفيان ، على ما قد ذكرت من اختلافهما فيها .

وأما ابن إسحاق فإنه لم يسند قوله الذي قاله في ذلك إلى أحد ، وذلك من الأمور التي لا يدرك علمها إلا بخبر من الله عز وجل ، أو خبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرت الرواية فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) ط : « قبل كل شيء » ، وما أثبتته عن ا .

(٢) ط : « أن » ، بغير واو .

القول في الذي ثنى خلق القلم

ثم إن الله جل جلاله خلق بعد القلم - وبعد أن أمره فكتب ما هو كائن إلى قيام الساعة - سبحانه رقيقاً ، وهو الغمام الذي ذكره جل وعز ذكره في محكم كتابه فقال : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ ^(١) ، وذلك قبل أن يخلق عرشه ، وبذلك ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ومحمد بن هارون القطان ، قالوا : حدثنا يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة ، عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن حُدُس ، عن عمه أبي رزين ، قال : قلت : يا رسول الله ، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : « كان في سماء ^(٢) » ، ما تحته هواء ، وما فوقه ^(٣) هواء ، ثم خلق عرشه على الماء ^(٤) .

حدثني المشني بن إبراهيم ، قال : حدثنا الحجاج ، قال : حدثنا حماد ، عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن حُدُس ، عن عمه أبي رزين العُقَيْلي ، قال :

(١) سورة البقرة : ٢١٠ .

(٢) ك ، وابن الأثير ١ : ١٢ : « في غمام » . والماء ، بالفتح والمد : السحاب . قال أبو عبيد : لا يدري كيف كان ذلك الماء . وفي رواية : « كان في سما » بالقصر ، ومعناه : ليس معه شيء ؛ وقيل : هو كل أمر لا تدركه عقول بني آدم ، ولا يبلغ كنهه الوصف واللفظ ؛ ولا بد من تقدير مضاف محذوف في قوله : « أين كان ربنا » كما حذف في قوله تعالى : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله) ، فيكون التقدير : أين كان عرش ربنا ؟ ويدل عليه قوله تعالى : (وكان عرشه على الماء) . وانظر النهاية لابن الأثير ٣ : ١٣٠ .

(٣) ا ، ر : « ولا فوقه » . وفي ك : « تحته هواء ، وماء فوقه هواء » .

(٤) عقب عليه ابن الأثير بقوله : « فيه نظر » ، لأنه قد تقدم أن أول ما خلق الله تعالى القلم وقال له : اكتب ، فجري في تلك الساعة ، ثم ذكر في أول هذا الفصل أن الله خلق بعد القلم وبعد أن جرى بما هو كائن سبحانه رقيقاً . ومن المعلوم أن الكتابة لا بد فيها من آلة يكتب بها - وهو القلم - ومن شيء يكتب فيه - وهو الذي يعبر عنه هنا باللوح المحفوظ - وكان ينبغي أن يذكر اللوح المحفوظ ثانياً للقلم ، والله أعلم . ويحتمل أن يكون ترك ذكره لأنه معلوم من مفهوم اللفظ بطريق الملازمة .

قلت : يا رسول الله ، أين كان ربنا عز وجل قبل أن يخلق^(١) السموات والأرض ؟
قال : « في^(٢) أعماه ، فوقه هواء ، وتحتة هواء^(٣) ، ثم خلق عرشه على الماء » .

حدثنا خلاد بن أسلم ، حدثنا النضر بن شميل ، قال : حدثنا المسعودي ،
أخبرنا جامع بن شداد ، عن صفوان بن محرز ، عن ابن حصين — وكان من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال : أتى قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلوا
عليه ، فجعل يبشّره ويقولون : أعطينا ، حتى ساء ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، ثم خرجوا من عنده . وجاء قوم آخرون ، فدخلوا عليه فقالوا : جئنا نسلّم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونتفقّه في الدين ، ونسأله عن بدء هذا الأمر ،
قال : فاقبلوا البشرى إذ لم يقبلها أولئك الذين خرجوا ، قالوا : قبّلنا ، فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « كان الله لا شيء غيره^(٤) » ، وكان عرشه على الماء ، وكُتِبَ
في الذّكر قبل كلّ شيء ، ثم خلق سبع سموات . ثم أتاني آت فقال : تلك
ناقتك قد ذهبت ، فخرجت ينقطع دونها السراب ، ولوددت أنى تركتها^(٥) . ٣٥/١

حدثني أبو كُريب ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن جامع
ابن شداد ، عن صفوان بن محرز ، عن عمران بن الحصين ، قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « اقبلوا البشرى يا بني تميم » ، فقالوا : قد بشّرتنا فأعطنا ، فقال :
« اقبلوا البشرى يا أهل اليمن » ، فقالوا : قد قبّلنا ، فأخبرنا عن هذا الأمر كيف
كان ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان الله عز وجل على العرش ، وكان
قبل كلّ شيء ، وكتب في اللوح كلّ شيء يكون » . قال : فأتاني آت فقال :
يا عمران ، هذه ناقتك قد حلّت عقابها ، فقممت ، فإذا السراب ينقطع بيني
وبينها ، فلا أدري ما كان بعد ذلك

* * *

(١) أ : « خلق » .

(٢-٣) ك : « في غمام فوقه هواء وماء » .

(٣) التفسير : « ولا شيء غيره »

(٤) الخبر في التفسير ١٢ : ٤ (بولاق)

ثم اختلف في الذي خلق تعالى ذكره بعد العماء، فقال بعضهم : خلق بعد ذلك عرشه .

* ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن ستان ، حدثنا أبو سلمة ، قال : حدثنا حيان^(١) ابن عبيد الله ، عن الضمحاك بن مزاحم ، قال ، قال ابن عباس : إن الله عز وجل خلق العرش أول ما خلق ، فاستوى عليه .

* * *

وقال آخرون : خلق الله عز وجل الماء قبل العرش ، ثم خلق عرشه فوضعه على الماء .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط بن نصر ، عن السدّي في خبر ذكره ، عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود — وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — قالوا : إن الله عز وجل كان عرشه على الماء ، ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء .

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن العرش كان قبل أن يخلق السموات والأرض على الماء ، فلما أراد أن يخلق السموات والأرض قبض من صفاء الماء قبضة ، ثم فتح القبضة فارتفعت دخاناً ، ثم قضاهن سبع سموات في يومين ، ودحا الأرض في يومين ، وفرغ من الخلق اليوم السابع . وقد قيل : إن الذي خلق ربنا عز وجل بعد القلم الكرسي ، ثم خلق بعد الكرسي العرش ، ثم بعد ذلك خلق الهواء والظلمات ، ثم خلق الماء ، فوضع عرشه عليه .

* * *

(١) في ط : « حدثنا حيان عن عبيد الله » ، وما أثبتته عن أ ، وانظر لسان الميزان ٢ : ٣٧٠ .

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك عندى بالصواب قول من قال : إن الله تبارك وتعالى خلق الماء قبل العرش ؛ لصحة الخبر الذى ذكرت قبل عن أبي رزين العقيلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال حين سئل : أين كان ربنا عز وجل قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : « كان في عماء ، ما تحته هواء ، وما فوقه هواء ، ثم خلق عرشه على الماء » ، فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الله خلق عرشه على الماء . ومحال إذ كان خلقه على الماء أن يكون خلقه عليه ؛ والذي خلقه عليه غير موجود ، إما قبله أو معه ؛ فإذا كان ذلك كذلك ، فالعرش لا يخلو من أحد أمرين ؛ إما أن يكون خُلِقَ بعد خلق الله الماء ، وإما أن يكون خُلِقَ هو والماء معا . فأما ^(١) أن يكون خلقه قبل خلق الماء ؛ فذلك غير جائز صحته على ما روى عن أبي رزين ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقد قيل : إن الماء كان على متن الريح حين خلق عرشه عليه ، فإن ^(٢) كان ذلك كذلك ، فقد كان الماء والريح خُلِقا قبل العرش .

ذكر من قال : كان الماء على متن الريح :

حدثني ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، قال : سئل ابن عباس عن قوله عز وجل : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ ^(٣) : على أى شيء كان الماء ؟ قال : على متن الريح .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، قال : سئل ابن عباس عن قوله عز وجل : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ : على أى شيء كان الماء ؟ قال : على متن الريح ^(٤) .

(١) ط : « وأما » ، وما أثبتته عن ١ .

(٢) ١ : « فإذا » .

(٣) سورة هود ٧ .

(٤) الخبر في التفسير ١٢ : ٤ (بولاقي) .

حدثنا القاسم بن الحسن ، حدثنا الحسين بن داود ، حدثني حجاج ،
عن ابن جُرَيْج ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله .

* * *

قال : والسموات والأرض وكل ما فيهن من شيء يحيط بها البحار ، ويحيط
بذلك كله الهيكل ، ويحيط بالهيكل — فيما قيل — الكرسي .
* ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ،
قال : حدثني عبد الصمد أنه سمع وهباً يقول — وذكر من عظمته — فقال : إن السموات
والأرض والبحار لفي الهيكل ، وإن الهيكل لفي الكرسي ، وإن قدميه عز وجل
لعلّي الكرسي ، وهو يحمل الكرسي ، و [قد] ^(١) عاد الكرسي كالنعل في قدميه .
وسئل وهب : ما الهيكل ؟ قال : شيء من أطراف السموات محدد بالأرضين
والبحار كأطناط الفسطاط .

وسئل وهب عن الأرضين : كيف هي ؟ قال : هي سبع أرضين ممهدة
جزائر ، بين كل أرضين بحر ، والبحر يحيط بذلك كله ، والهيكل من وراء البحر .

* * *

وقد قيل : إنه كان بين خلقه القلم وخلق سائر خلقه ألف عام .
* ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثنا
مبشر الحلبي ، عن أرطاة بن المنذر ، قال : سمعتُ ضَمْرَةَ يقول : إن الله خلق القلم ،
فكتب به ما هو خالق وما هو كائن من خلقه ، ثم إن ذلك الكتاب سبّح الله
ومجّده ألف عام قبل أن يخلق شيئاً من الخلق ، فلما أراد جلّ جلاله خلق
السموات والأرض خلق — فيما ذكر — أياماً ستة ، فسمى كل يوم منهن باسم
غير الذي سمي به الآخر .

* * *

وقيل : إن اسم أحد تلك الأيام الستة أبجد ، واسم الآخر منهن هوز ، واسم الثالث منهن حطى ، واسم الرابع [منهن] ^(١) كلمن ، واسم الخامس [منهن] ^(٢) سعفص ، واسم السادس منهن قرشت .
* ذكر من قال ذلك :

حدثني الحضرمي ، قال : حدثنا مصرف بن عمرو اليامي ^(٣) ، حدثنا حفص ابن غياث ، عن العلاء بن المسيب ، عن رجل من كندة ، قال : سمعت الضحاك ابن مزاحم يقول : خلق الله السموات والأرض في ستة أيام ، ليس منها ^(٤) يوم إلا له اسم : أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت .

وقد حدث به عن حفص غير مصرف وقال ^(٥) : عنه ، عن العلاء بن المسيب ، قال : حدثني شيخ من كندة قال : لقيت الضحاك بن مزاحم ، فحدثني قال : سمعت زيد بن أرقم قال : إن الله تعالى خلق السموات والأرض في ستة أيام ؛ لكل يوم منها اسم : أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت .

* * *

وقال آخرون : بل خلق الله واحداً فسماه الأحد ، وخلق ثانياً فسماه الاثنين ، وخلق ثالثاً فسماه الثلاثاء ، ورابعاً فسماه الأربعاء ، وخامساً فسماه الخميس .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن غالب بن غلاب ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : إن الله خلق يوماً واحداً فسماه الأحد ، ثم خلق ثانياً فسماه الاثنين ، ثم خلق ثالثاً فسماه الثلاثاء ، ثم خلق رابعاً فسماه الأربعاء ، ثم خلق خامساً فسماه الخميس .

* * *

(١) تكملة من ا

(٢) ط : « الإيامى » ، صوابه من ا .

(٣) ا : « فيها » .

(٤) ا : « فقال » .

وهذان القولان غير مختلفين ، إذ كان جائزاً ^(١) أن تكون أسماء ذلك بلسان العرب على ما قاله عطاء ، وبلسان آخرين ، على ما قاله الضحاك بن مزاحم .

* * *

وقد قيل إن الأيام سبعة لا ستة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ،
حدثني عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول : الأيام سبعة . ٤٠/١

* * *

وكلا القولين — اللذين روينا أحدهما عن الضحاك وعطاء ، من أن الله خلق الأيام الستة ، والآخر منهما عن وهب بن منبه من أن الأيام سبعة — صحيح مؤتلف غير مختلف ، وذلك أن معنى قول عطاء والضحاك في ذلك كان أن الأيام التي خلق الله فيهنّ الخلق من حين ابتدائه ^(٢) في خلق السماء والأرض وما فيهنّ إلى أن فرغ من جميعه ستة أيام ، كما قال جلّ ثناؤه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ ^(٣) ، وأن معنى قول وهب بن منبه في ذلك كان أن عدد الأيام التي هي أيام الجمعة سبعة أيام لا ستة .

* * *

واختلف السلف في اليوم الذي ابتدأ الله عزّ وجلّ فيه في خلق السموات والأرض ، فقال بعضهم : ابتدأ في ذلك يوم الأحد .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا إسحاق بن شاهين ، حدثنا خالده بن عبد الله ، عن الشيباني ، عن عون بن عبد الله بن عتبة ، عن أخيه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : قال عبد الله بن سلام : إن الله تبارك وتعالى ابتدأ الخلق ، فخلق الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين .

(١) ط : « إذ كان ذلك جائزاً » .

(٢) ١ : « ابتدأ » .

(٣) سورة هود ٧ .

حدثني المثنى بن إبراهيم ، حدثني عبد الله بن صالح ، حدثني أبو معشر ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن عبد الله بن سلام أنه قال : إن الله عز وجل بدأ الخلق يوم الأحد ، فخلق الأرضين في الأحد والاثنين .

١/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن كعب ، قال : بدأ الله خلق^(١) السموات والأرض يوم الأحد والاثنين .

حدثني محمد بن أبي منصور الآملي ، حدثنا علي بن الهيثم ، عن المسيب بن شريك ، عن أبي روق ، عن الضحاك في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ قال : من أيام الآخرة ، كل يوم مقداره ألف سنة ، ابتداء الخلق يوم الأحد .

حدثني المثنى ، حدثنا الحجاج ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، قال : بدأ الخلق يوم الأحد .

* * *

وقال آخرون : اليوم الذي ابتداء الله فيه في ذلك يوم السبت .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : حدثني محمد ابن أنى أبي إسحاق ، قال : يقول أهل التوراة : ابتداء الله الخلق يوم الأحد : وقال أهل الإنجيل : ابتداء الله الخلق يوم الاثنين . ونقول نحن المسلمون^(٢) فيما انتهى إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم : ابتداء الله الخلق يوم السبت . وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال كل فريق من هذين الفريقين اللذين قال أحدهما : ابتداء الله الخلق في يوم الأحد ، وقال الآخر منهما : ابتداء في يوم السبت ، وقد مضى ذكرنا الخبرين ، غير أنا نعيد من ذلك في هذا

(١) ط : « بخلق » ، وما أثبتته عن ١ .

(٢) كذا في الأصول ، والوجه النصب على الاختصاص .

الموضع بعض ما فيه من الدلالة على صحة قول كل فريق منهما .

* * *

فأما الخبر عنه بتحقيق ما قال القائلون : كان ابتداء الخلق يوم ٤٢/١ الأحد ، فما حدثنا به هناد بن السري ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي سعد البقال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس - قال هناد : وقرأت سائر الحديث - أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والأرض فقال : « خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين » .

وأما الخبر عنه بتحقيق ما قاله القائلون من أن ابتداء الخلق كان يوم السبت ، فما حدثني القاسم بن بشر بن معروف والحسين بن علي الصّدّاق ، قالوا : حدثنا حجاج ، قال ابن جريج : أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : أخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه بيدي ، فقال : « خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق الجبال يوم الأحد » .

* * *

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال : اليوم الذي ابتداء الله تعالى ذكره فيه خلق السموات والأرض يوم الأحد ؛ لإجماع السلف من أهل العلم على ذلك .

فأما ما قال ابن إسحاق في ذلك ، فإنه إنما استدل - بزعمه - على أن ذلك كذلك ؛ لأن الله عزّ ذكره فرّغ من خلق جميع خلقه يوم الجمعة ، وذلك اليوم السابع ، وفيه استوى على العرش ، وجعل ذلك اليوم عيداً للمسلمين ؛ ودليله على ما زعم أنه استدل به على صحة قوله فيما حكينا عنه من ذلك هو الدليل على خطئه فيه ، وذلك أن الله تعالى أخبر عباده في غير موضع من [محكم]^(١) تنزيهه ، أنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، فقال : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ^(١). وقال تعالى ذكره : ﴿ قُلْ أَتُنتَكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَّا السَّمَاءَ الذَّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ^(٢) .

ولا خلاف بين ^(٣) جميع أهل العلم أن اليومين اللذين ذكرهما الله تبارك وتعالى في قوله : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ داخلان في الأيام الستة اللاتي ذكرهن قبل ذلك ، فعلوم إذ كان الله عز وجل إنما خلق السموات والأرضين وما فيهن في ستة أيام ، وكانت الأخبار مع ذلك متظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن آخر ما خلق الله من خلقه آدم ، وأن خلقه إياه كان في يوم الجمعة — أن يوم الجمعة الذي فرغ فيه من خلق خلقه داخل في الأيام الستة التي أخبر الله تعالى ذكره أنه خلق خلقه فيهن ؛ لأن ذلك لو لم يكن داخلا في الأيام الستة ، كان إنما خلق خلقه في سبعة أيام ، لا في ستة ، وذلك خلاف ما جاء به التنزيل ؛ فتبين ^(٤) إذاً — إذ كان الأمر كالذي وصفنا في ذلك — أن أول الأيام التي ابتداء الله فيها خلق السموات والأرض وما فيهن من خلقه يوم الأحد ؛ إذ كان الآخر يوم الجمعة ، وذلك ستة أيام ، كما قال ربنا جل جلاله . ٤٤/١

فأما الأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه بأن الفراغ من الخلق كان يوم الجمعة ، فسنذكرها في مواضعها إن شاء الله تعالى .

(١) سورة السجدة ٤

(٢) سورة فصلت ٩ - ١٢ .

(٣) ط : « عند » .

(٤) (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) : « فبين » .

القول فيما خلق الله في كل يوم من الأيام الستة التي ذكر الله
في كتابه أنه خلق فيهن السموات والأرض وما بينهما

اختلف السلف من أهل العلم في ذلك :

فقال بعضهم ما حدثني به المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا
عبد الله بن صالح ، حدثني أبو معشر ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن
عبد الله بن سلام ، أنه قال : إن الله بدأ الخلق ^(١) يوم الأحد ، فخلق الأرضين
في الأحد والاثنين ، وخلق الأقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء ،
وخلق السموات في الخميس والجمعة ، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة ،
فخلق فيها آدم على عَجَل ، فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة .

حدثني موسى بن هارون ، حدثنا عمرو بن حماد ، حدثنا أسباط ، عن
السدي ، في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة
الهمداني عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
قالوا : جعل — يعنون ربنا تبارك وتعالى — سبع أرضين في يومين : الأحد والاثنين ،
وجعل فيها رواسي أن تميد بكم ؛ وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها ، وشجرها وما
ينبغي لها في يومين : في الثلاثاء والأربعاء ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فجعلها
سما واحد ، ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين : الخميس والجمعة .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن غالب ٤٥/١
[ابن غلاب] ^(٢) ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : خلق الله
الأرض في يومين . الأحد والاثنين .

ففي قول هؤلاء خُلِقَت الأرض قبل السماء ؛ لأنها خلقت عندهم في الأحد ^(٣)
والاثنين .

(١) ط : « بالخلق » ، وما أثبتته عن ١ .

(٢) تكله من ١ .

(٣) ١ : « يوم الأحد » .

وقال آخرون : خلق الله عز وجل الأرض قبل السماء بأقواتها من غير أن يدحوها ، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ، ثم دحا الأرض بعد ذلك .
 • ذكر من قال ذلك :

حدثني علي بن داود ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : قوله عز وجل حيث ذكر خلق الأرض قبل السماء ، ثم ذكر السماء قبل الأرض ، وذلك أن الله خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء ، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ، ثم دحا الأرض بعد ذلك ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عبي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ^(١) ، يعنى أنه خلق السموات والأرض ، فلما فرغ من السماء قبل أن يخلق أقوات الأرض بث أقوات الأرض فيها بعد خلق السماء ، وأرسي الجبال - يعنى بذلك دحوها - ^(٢) ولم تكن تصلح أقوات الأرض ونباتها إلا بالليل والنهار ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ ؛ ألم تسمع أنه قال : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ ؟

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله الذين قالوا :
 إن الله خلق الأرض يوم الأحد ، وخلق السماء يوم الخميس ، وخلق النجوم والشمس والقمر يوم الجمعة لصحة الخبر الذي ذكرنا قبل عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . وغير مستحيل ما روينا في ذلك عن ابن عباس من القول ، وهو أن يكون الله تعالى ذكره خلق الأرض ولم يدحها ، ثم خلق السموات فسواهن ، ثم دحا الأرض بعد ذلك ، فأخرج منها ماءها

(١) سورة النازعات ٣٠ - ٣٢

(٢) ط : « دحاه » ، وما أثبتته عن التفسير ٣٠ : ٢٩ (بولاق) .

ومرعاها ، والجبالَ أرساها ، بل ذلك عندى هو الصواب من القول فى ذلك ؛ وذلك أن معنى الدَّحْوِ غيرُ معنى الخلق ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * ^(١) .

فإن قال قائل : فلأنك قد علمت أن جماعةً من أهل التأويل قد وجهت قول الله : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ إلى معنى «مع ذلك دحاهها» ، فما برهانك على صحة ما قلت ، من أن «ذلك» بمعنى «بعد» التى هى خلاف «قبل» ؟
 قيل : المعروف من معنى «بعد» فى كلام العرب هو الذى قلنا من أنها بخلاف معنى «قبل» لا بمعنى «مع» ؛ وإنما تَوَجَّهَ معانى الكلام إلى الأغلب عليه من معانيه المعروفة فى أهله ، لا إلى غير ذلك .

* * *

وقد قيل : إن الله خلق البيت العتيق على الماء على أربعة أركان ، قبل أن يخلق الدنيا بألئى عام ، ثم دُحِيت الأرض من تحته .

* ذكر من قال ذلك :

٤٧/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ الْقُسْمِيُّ ، عن جعفر ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابن عباس قال : وَضِعَ الْبَيْتُ عَلَى الْمَاءِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ ، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الدُّنْيَا بِأَلْئِىَّ عام ^(٢) ، ثم دُحِيت الأرضُ من تحت البيت .

حدثنا ابن حميد ، قال : حَدَّثَنَا مِهْرَانُ ، عن سُفْيَانَ ، عن الأعمش ، عن بُكَيْرِ بْنِ الْأَخْنَسِ ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمر ^(٣) ، قال : خلق الله البيت قبل الأرض بألئى سنة ، ومنه دُحِيت الأرض .

وإذا كان الأمرُ كذلك كان خلقُ الأرض قبل خلق السموات ، ودَحْوُ

(١) سورة النازعات ٢٧ - ٣٢ .

(٢) س : «بألف عام» .

(٣) ١ : «عمرو» .

الأرض وهو بسطها بأقواتها ومراعيها ونباتها ، بعد خلق السموات ، كما ذكرنا عن ابن عباس .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : حدثني مهران ، عن أبي سنان ، عن أبي بكر ، قال : ^(١) جاء اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد ، أخبرنا : ما خلق الله من الخلق في هذه الأيام الستة ؟ فقال : خلق الأرض يوم الأحد والاثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء ، وخلق المدائن والأقوات والأنهار وعمراتها وخرابها يوم الأربعاء ، وخلق السموات والملائكة يوم الخميس ، إلى ثلاث ساعات بقيت من يوم الجمعة ^(٢) ، وخلق في أول الثلاث ساعات الآجال ، وفي الثانية الآفة ، وفي الثالثة آدم . قالوا : صدقت إن أتمت ، فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ما يريدون ، فغضب ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُؤُوبٍ ۖ فَاصْبِرْ ۚ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ ^(٣) . ٤٨/١

فإن قال قائل : فإن ^(٤) كان الأمر كما وصفت من أن الله تعالى خلق الأرض قبل السماء ، فما معنى قول ابن عباس الذي حدَّثكموه واصل ابن عبد الأعلى الأسدي ، قال : حدثنا محمد بن فضيل ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس قال : أول ^(٥) ما خلق الله تعالى من شيء القلم ، فقال له : اكتب ، فقال : وما أكتب يارب ؟ قال : اكتب القدر ، قال : فجرى القلم بما هو كائن من ذلك إلى قيام الساعة ، ثم رفع بخار الماء ففتق منه السموات ، ثم خلق النون ^(٦) ، فدُحيت الأرض على ظهره ، فاضطرب النون ، فمادت الأرض فأثبتت بالجبال ، فإنها لتفخر ^(٧) على الأرض .

(١) الخبر في التفسير ٢٦ : ١١١ (بولاق) .

(٢) كذا في ط ، وفي ا ، ن ، والتفسير : « يعني من يوم الجمعة » . وفي س : « يعني يوم الجمعة » .

(٣) سورة ق ٣٨ ، ٣٩ .

(٤) ١ : « فإذ » .

(٥) الخبر في التفسير ٢٩ : ١٠ (بولاق) .

(٦) النون هنا : الحوت .

(٧) س : « لتفتخر » .

حدثني واصل ، قال : حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس نحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : أول^(١) ما خلق الله تعالى القلم فجري بما هو كائن ، ثم رفع بخار الماء ، فخلقت منه السموات ، ثم خلق النون ، فبسطت الأرض على ظهر النون ، فتحرك النون ، فمادت الأرض فأثبتت بالجلال ، فإن الجبال لتفخر على الأرض . قال : وقرأ : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾^(٢) .

حدثني تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان — أو مجاهد^(٣) — عن ابن عباس بنحوه ، إلا أنه قال : ففتقت منه السموات .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا يحيى ، قال : حدثنا سفيان ، قال : حدثني سليمان ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس قال : أول ما خلق الله تعالى القلم فقال : اكتب ، فقال^(٤) : ما أكتب ؟ قال : اكتب القدر ، قال : فجري بما هو كائن من ذلك اليوم إلى قيام الساعة . ثم خلق النون ، ورفع بخار الماء ففتقت منه السماء ، وبسطت الأرض على ظهر النون ، فاضطرب النون ، فمادت الأرض فأثبتت بالجلال ، قال : فإنها لتفخر على الأرض^(٥) .

حدثنا ابن حميد ، قال ، حدثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحى مسلم بن صبيح ، عن ابن عباس قال : أول شيء خلق

(١) الخبر في التفسير ٢٩ : ٩ (بلاق) .

(٢) سورة القلم ١ .

(٣) كذا في ١ ، والتفسير ٢٩ : ٩ (بلاق) ، وفي ط : « أبي ظبيان عن مجاهد » والأعمش يرى عن أبي ظبيان وعن مجاهد ؛ وهما أيضاً يرويان عن ابن عباس . وانظر تهذيب التهذيب ٤ : ٢٢٢ .

(٤) ١ والتفسير : « قال » .

(٥) الخبر في التفسير ٢٩ : ٩ (بلاق) .

الله تعالى القلم ، فقال له : اكتب ، فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، ثم خلق النون فوق الماء ، ثم كبّس الأرض عليه .
 قيل : ذلك صحيح على ما روى عنه وعن غيره من معنى ذلك مشروحاً مفسراً
 غير مخالف شيئاً مما روينا عنه في ذلك .

* * *

فإن قال : وما الذى روى عنه وعن غيره من شرح ذلك الدالّ على صحة
 كل ما رويت لنا في هذا المعنى عنه ؟

قيل له : حدثني موسى بن هارون الهمداني وغيره ، قالوا : حدثنا
 عمرو بن حماد ، حدثنا أسباط بن نصر ، عن السدي ، عن أبي مالك ، وعن
 أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن امرأة الهمداني عن عبد الله بن مسعود — وعن
 ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي
 الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ ^(١) قال : إن
 الله تعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء ، فلما أراد أن
 يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء ، فسمّا عليه ، فسمّا سماءً ،
 ثم أيبس ^(٢) الماء ، فجعله أرضاً واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين ،
 في الأحد والاثنين ، فخلق الأرض على حوت — والحوت هو النون الذي
 ذكر الله عز وجل في القرآن : ﴿ ن وَالْقَلَمِ ﴾ — والحوت في الماء ، والماء على ظهر
 صفاة ، والصفاة على ظهر ملك ، والملك على صخرة ، والصخرة على الريح ^(٣) —
 وهى الصخرة التى ذكر لقمان — ليست في السماء ولا في الأرض ، فتحرك
 الحوت فاضطرب ، فترلزت الأرض ، فأرسي عليها الجبال فقرّت ، فالجبال

٥٠/١

(١) سورة البقرة ٢٩

(٢) كذا في ١ ، والتفسير ١ : ٤٣٥ (المعارف) وفى ط : «يبس» .

(٣) كذا في ١ ، وفى ط والتفسير : « في الريح » .

تفخر على الأرض؛ فذلك قوله تعالى : ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾^(١).

قال أبو جعفر : فقد أنبأ قول هؤلاء الذين ذكرت : إن الله تعالى أخرج من الماء دخاناً حين أراد أن يخلق السموات والأرض ، فسمّا عليه — يعنون بقولهم : « فسمّا عليه » علا على الماء ، وكل شيء كان فوق شيء عالياً عليه فهو له سماء — ثم أيسس بعد ذلك الماء ، فجعله أرضاً واحدة = أن الله خلق السماء غير مسواة قبل الأرض ، ثم خلق الأرض .

وإن كان الأمر كما قال هؤلاء ، فغير محال أن يكون الله تعالى أثار من الماء دخاناً فعلاً على الماء ، فكان له سماء ، ثم أيسس الماء فصار الدخان الذي سما عليه أرضاً ، ولم يدحها ، ولم يقدّر فيها أقواتها ، ولم يخرج منها ماءها ومرعاها ، حتى استوى إلى السماء ؛ التي هي الدخان النائر من الماء العالى عليه ، فسوّاهن سبع سموات ، ثم دحا الأرض التي كانت ماءً فييسه ففتقه ، فجعلها سبع أرضين ، وقد رّفها أقواتها ، و ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ ،^{٥١/١} كما قال عز وجل . فيكون كلّ الذي روى عن ابن عباس في ذلك — على ما روينا — صحيحاً معناه .

وأما يوم الاثنين فقد ذكرنا اختلاف العلماء فيما خلق فيه ، وما روى في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل .

وأما ما خلق في يوم الثلاثاء والأربعاء ، فقد ذكرنا أيضاً بعض ما روى فيه ، ونذكر في هذا الموضع بعض ما لم نذكر منه قبل .

فالذي صحّ عندنا أنه خلق فيهما ما حدثني به موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، حدثنا أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره

عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن عبد الله بن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : وخلق الجبال فيها - يعني في الأرض - وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغى لها في يومين : في الثلاثاء والأربعاء ؛ وذلك حين يقول الله عز وجل : ﴿ قُلْ أَنتُمْ كُمُ تَكْفُرُونَ ﴾ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ • وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَا لِّلسَّائِلِينَ ^(١) ؛ يقول : مَنْ سأل . فهكذا الأمر ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان ، وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس ، فجعلها سماء واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة ^(٢) .

حدثني المثني ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني أبو معشر ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن عبد الله بن سلام ، قال : إن الله تعالى خلق الأقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء .

حدثني تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، ٥٢/١
عن غالب بن غلاب ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال :
إن الله تعالى خلق الجبال يوم الثلاثاء . فذلك قول الناس : هو يوم ثقيل .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا ، ما روينا
عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : «إن الله تعالى خلق يوم الثلاثاء الجبال وما
فيهن من المنافع ، وخلق يوم الأربعاء الشجر ، والماء ، والمدائن ، والعمران ،
والخراب . حدثنا بذلك هناد ، قال : حدثنا أبو بكر بن عيَّاش ، عن أبي سعد
البحال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ^(٣) .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله خلق الجبال يوم الأحد ،
والشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، والنور يوم الأربعاء ،

(١) سورة فصلت ٩ ، ١٠ .

(٢) الخبر في التفسير ٢٤ : ٦٣ (بولاق) .

(٣) ط : بعدها كلمة « مثله » ، صواب حذفها من أ .

حدثني به القاسم بن بشر بن معروف ، والحسين بن علي الصُّدائي ، قالا :
حدثنا حجاج ، قال ابن جريج : أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن
خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله
عليه وسلم .

والخبيرُ الأولُ أصبحُ مخرجاً ، وأولى بالحق ، لأنه قول أكثر السلف .

وأما يوم الخميس فإنه خلق فيه السموات ، ففتقت بعد أن كانت
رتقاً ، كما حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال :
حدثنا أسباط ، عن السُّدي ، في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح
عن ابن عباس - وعن مرةُ الهمداني عن عبد الله بن مسعود - وعن ناس من
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ ^(١) ،
وكان ذلك الدخان من تنفُّس الماء حين تنفَّس وجعلها سماء واحدة ، ثم فتقها
فجعلها سبع سموات في يومين ، في الخميس والجمعة .

ولإنما سُمِّي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض ﴿ وَأَوْحَى فِي
كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾ ^(١) قال : خلق في كل سماء خلقها من الملائكة ، والخلق الذي
فيها من البحار وجبال البرد وما لم يُعْلَم ، ثم زين السماء الدنيا بالكواكب ، فجعلها
زينة وحفظاً ، تحفظ من الشياطين ، فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على
العرش . فذلك حين يقول : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ ^(٢) ، ويقول :
﴿ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ ^(٣) .

حدثني المثني ، حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني أبو معشر ،
عن سعيد بن أبي سعيد ، عن عبد الله بن سلام ، قال : إن الله تعالى خلق
السموات في الخميس والجمعة ، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة ،

(١) سورة فصلت ١١ ، ١٢

(٢) سورة هود ٧

(٣) سورة الأنبياء ٣٠

فخلق فيها آدم على عَجَل ، فتلك الساعةُ التي تقوم فيها الساعة .

حدثني تميم [بن المنتصر] ^(١) ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن غالب بن غلاب ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : إن الله تعالى خلق مواضع الأنهار والشجر يوم الأربعاء ، وخلق الطير والوحش ^(٢) والهوام والسباع يوم الخميس ، وخلق الإنسان يوم الجمعة ، ففرغ من خلق كل شيء يوم الجمعة .

وهذا الذي قاله مَنْ ذكرنا قوله ؛ من أن الله عزَّ وجلَّ خلق السموات والملائكة وآدم في يوم الخميس والجمعة ، هو ^(٣) الصحيح عندنا ، للخبر الذي حدثنا به هناد [بن السري] ^(١) قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي سعد البقال ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم — قال : هناد ، وقرأتُ سائر الحديث — قال : وخلق يوم الخميس السماء ، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه ، فخلق في أول ساعة من هذه الثلاث ساعات الآجال ؛ مَنْ يَحْيَا وَمَنْ يَمُوت ، وفي الثانية أُلْقِيَ الْآفَةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مما يَنْتَفِعُ به الناس ، وفي الثالثة آدم وأُسْكَنَهُ الْجَنَّةَ ، وأمر إبليس بالسجود ، وأُخْرِجَهُ مِنْهَا فِي آخِرِ سَاعَةٍ .

٥٤/١

حدثني القاسم بن بشر [بن معروف] ^(١) ، والحسين بن علي الصَّدَّائِي ، قالا : حدثنا حجاج ، قال ابن جريج : أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن أيوب ابن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال : « وَبَتْ فِيهَا — يَعْنِي فِي الْأَرْضِ — الدَّوَابُّ يَوْمَ الْخَمِيسِ ، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة آخر خلق في آخر ساعة ، من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل » .

فإذا كان الله تعالى ذكره خَلَقَ الْخَلْقَ من لدن ابتداء خلق السموات والأرض إلى حين فراغه من خلق جميعهم في ستة أيام ، وكان كلُّ يوم من

(١) ط : « الوحش » وما أثبتته من أ .

(٢) تكملة من أ .

(٣) ط : « وهو » ، وما أثبتته من أ .

الأيام الستة التي خلقهم فيها مقدارُه ألف سنة من أيام الدنيا ، وكان بين ابتدائه في خلق ذلك وخلق القلم الذي أمره بكتابة [كل] ^(١) ما هو كائن إلى قيام الساعة ألف عام ، وذلك يوم من أيام الآخرة التي قَدَّرَ اليوم الواحد منها ألف عام من أيام الدنيا— كان معلوماً أن قَدَّرَ مدة ما بين أول ابتداء ربنا عز وجل في خلق ما خلق من خلقه إلى الفراغ من آخرهم سبعة آلاف عام ^(٢) . يزيد إن شاء الله شيئاً أو ينقص شيئاً ، على ما قد رويناه من الآثار والأخبار التي ذكرناها ، وتركنا ذكر كثير منها كراهة إطالة الكتاب بذكرها .

وإذا كان ذلك كذلك ، وكان صحيحاً أن مدة ما بين فراغ ربنا تعالى ذكره — من خلق جميع خلقه إلى وقت فناء جميعهم بما قد دللنا قبل ، واستشهدنا من الشواهد ، وبما سنشرح فيما بعد — سبعة آلاف سنة ، تزيد قليلاً أو تنقص قليلاً ^(٣) — كان معلوماً بذلك أن مدة ما بين أول خلق خلقه الله تعالى إلى قيام الساعة وفناء جميع العالم ، أربعة عشر ألف عام من أعوام الدنيا ؛ وذلك أربعة عشر يوماً من أيام الآخرة ، سبعة أيام من ذلك — وهي سبعة آلاف عام من أعوام الدنيا — مدة ما بين أول ابتداء الله جل وتقدس في خلق أول خلقه إلى فراغه من خلق آخرهم — وهو آدم أبو البشر صلوات الله عليه ، وسبعة أيام آخر ، وهي سبعة آلاف عام من أعوام الدنيا ، من ذلك مدة ما بين فراغه جل ثناؤه من خلق آخر خلقه — وهو آدم — إلى فناء آخرهم وقيام الساعة ، وعود الأمر إلى ما كان عليه قبل أن يكون شيء غير القديم الباري الذي له الخلق والأمر الذي كان قبل كل شيء ، فلا شيء كان قبله ، والكائن بعد كل شيء فلا شيء يبقى غير وجهه الكريم .

* * *

فإن قال قائل : وما دليلك على أن الأيام الستة التي خلق الله فيهن خلقه كان قَدَّرَ كل يوم منهن قدر ألف عام من أعوام الدنيا دون أن يكون ذلك

(١) تكلمة من أ .

(٢) ١ : « سنة » .

(٣) ١ : « يسيراً » .

كأيام أهل الدنيا التي يتعارفونها بينهم ، وإنما قال الله عز وجل في كتابه : ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(١) ، فلم يعلمنا أن ذلك كما ذكرت ، بل أخبرنا أنه خلق ذلك في ستة أيام ، والأيام المعروفة عند المخاطبين بهذه المخاطبة هي أيامهم التي أول^(٢) اليوم منها طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، ومن قولك : إن خطاب الله عباده بما خاطبهم به في تنزيله إنما هو موجه إلى الأشهر والأغلب عليه من معانيه ، وقد وجهت خبر الله في كتسابه عن خلقه السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام إلى غير المعروف من معاني الأيام ، وأمر الله عز وجل إذا أراد شيئاً أن يكونه أنفذ وأمضى من أن يوصف بأنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ؛ مقدارهن ستة آلاف عام من أعوام الدنيا ، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون ؛ وذلك كما قال ربنا تبارك وتعالى : ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾^(٣) ؟

قيل له : قد قلنا فيما تقدم من كتابنا هذا إنا إنما نعتمد في معظم ما نرسمه في كتابنا هذا على الآثار والأخبار عن نبينا صلى الله عليه وسلم وعن السلف الصالحين قبلنا دون الاستخراج بالعقول والفكر ، إذ أكثره خبر عما مضى من الأمور ، وعما هو كائن من الأحداث ، وذلك غير مدرك علمه بالاستنباط الاستخراج بالعقول .

فإن قال : فهل من حجة على صحة ذلك من جهة الخبر ؟

قيل : ذلك ما لا نعلم قائلًا من أئمة الدين قال خلافه .

فإن قال : فهل من رواية عن أحد منهم بذلك ؟

قيل : عليم ذلك عند أهل العلم من السلف كان أشهر من أن يحتاج فيه إلى رواية منسوبة إلى شخص منهم بعينه ، وقد روى ذلك عن جماعة منهم مسمين بأعيانهم .

(١) سورة الفرقان ٥٩

(٢) س : « أول يوم » .

(٣) سورة القمر ٥٠

فإن قال : فاذكرهم لنا .

قيل : حدثنا ابن حُمَيد ، قال : حدثنا حَكَّام : عن عنبسة^(١) ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : خلق الله السموات والأرض في ستة أيام ، فكلّ يوم من هذه الأيام كالف سنة مما تعدون أنتم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾^(٢) . قال : الستة الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض .

حدثنا عبدة ، حدثني الحسين بن الفرّج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عُبَيْد ، قال : سمعت الضحّاك يقول في قوله : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ : يعني هذا اليوم من الأيام الستة التي خلق الله فيهنّ السموات والأرض وما بينهما .

حدثني المثني ، حدثنا عليّ ، عن المسيّب بن شريك ، عن أبي رَوْق ، عن الضحّاك : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾^(٣) . قال : من أيام الآخرة ، كلّ يوم كان مقداره ألف سنة ، ابتداءً في الخلق يوم الأحد ، واجتمع الخلق يوم الجمعة .

حدثنا ابن حُمَيد قال : حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح : عن كعب ، قال : بدأ الله خلق السموات والأرض يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ، وفرغ منها يوم الجمعة ، قال : فجعل مكان كلّ يوم ألف سنة .

(١) في ط : « عبيسة » تصحيف ؛ وهو عنبسة بن سعيد ؛ ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ٣ : ٤٢٢ فيمن روى عنهم حكام بن سلم ؛ وذكره الطبري أيضاً في ١ : ٥٥٩ ، ٥٣٨ : « حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكام بن سلم ، عن عنبسة . . . » .

(٢) سورة السجدة ٥

(٣) سورة هود ٧

حدثني المثني ، قال : حدثنا الحجاج ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، قال : يوم من الستة الأيام ، كآلف سنة مما تعدّون .

فهذا هذا . وبعد ؛ فلا وجه لقول قائل : وكيف يوصف الله تعالى ذكره بأنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام قدر مدتها من أيام الدنيا ستة آلاف سنة ؛ وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون ، لأنه لا شيء يتوهمه متوهم في قول قائل ذلك إلا وهو موجود في قول قائل : خلق ذلك كله في ستة أيام مدتها مدة ستة أيام من أيام الدنيا ، لأن أمره جلّ جلاله إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون^(١) .

(١) علق ابن الأثير (١ : ٤١) على القول فيما خلق الله في كل يوم من الأيام الستة بقوله : « أما ما ورد في هذه الأخبار من أن الله تعالى خلق الأرض في يوم كذا والسماء في يوم كذا إنما هو مجاز ؛ وإلا فلم يكن ذلك الوقت أيام وليال ؛ لأن الأيام عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها والليال عبارة عما بين غروبها وطلوعها ؛ ولم يكن ذلك الوقت سماء ولا شمس ؛ وإنما المراد به أنه خلق كل شيء بمقدار يوم ؛ كقوله تعالى : (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) : وليس في الجنة بكرة وعشي . »

القول في الليل والنهار أيهما خلق قبل صاحبه

وفي بدء خلق الشمس والقمر وصفتهما إذ كانت الأزمنة بهما تعرف

قد قلنا في خلق^(١) الله عزّ ذكره ما خلق من الأشياء قبل خلقه الأوقات والأزمنة، وبيّنا أن الأوقات والأزمنة إنما هي ساعات الليل والنهار، وأن ذلك إنما هو قَطْعُ الشمس والقمر درَجَاتِ الفلك ؛ فلنقل الآن : بأيّ ذلك كان الابتداء؛ بالليل أم بالنهار^(٢)؟ إذ كان الاختلاف في ذلك موجوداً بين ذوى النظر فيه؛ بأن بعضهم يقول فيه : خلق الله الليل قبل النهار ، ويستشهد على حقيقة قوله ذلك بأن الشمس إذا غابت وذهب ضوءها الذى هو نهار هجم الليلُ بظلامه ، فكان معلوماً بذلك أن الضياء هو المتورّد على الليل ، وأن الليل إن لم يُبطله النهار المتورد عليه هو الثابت ، فكان بذلك من أمرهما دلالة على أن الليل هو الأولُ خلقاً ، وأن الشمس هو الآخر منهما خلقاً ، وهذا قولٌ يروى عن ابن عباس .

٥٩/١

حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، عن سُفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : سئل : هل^(٣) الليل كان قبل النهار؟ قال : أرأيتم حين كانت السموات والأرض رَتْقاً ، هل كان بينهما إلاظمة ! ذلك لتعلموا أن الليل كان قبل النهار .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا الثوري ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : إن الليل قبل النهار ، ثم قال : ﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي ، قال : سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبي حبيب ، عن مرثد

(١) : « قول » .

(٢) : « أم النهار » .

(٣) : « عن الليل » .

ابن عبد الله اليزنيّ، قال: لم يكن عَقْبَةُ بن عامر إذا رأى الهلال — هلال رمضان — يقوم تلك الليلة حتى يصومَ يومها ، ثم يقوم بعد ذلك . فذكرت ذلك لابن حُجيرة فقال : الليل قبل النهار أم النهار قبل الليل ؟

* * *

وقال آخرون : كان النهارُ قبل الليل ، واستشهدوا لصحة قولهم هذا بأن الله عزّ ذكره كان ولا ليلَ ولا نهار ولا شئَ غيره ، وأن نورَه كان يضيء به كل شئَ خلقه بعد ما خلقه حتى خلق الليل .
* ذكر من قال ذلك :

حدثني علي بن سهل ، حدثنا الحسن بن بلال ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن الزبير أبي^(١) عبد السلام ، عن أيوب بن عبد الله الفهريّ أن ابن مسعود قال : إن ربكم ليس عنده ليلٌ ولا نهار ، نور السموات من نور وجهه ، وإن مقدار كلِّ يوم من أيامكم هذه اثنتا عشرة ساعة .

* * *

قال أبو جعفر : وأوّل القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال : كان الليل قبل النهار ، لأن النهار هو ما ذكرتُ من ضوء الشمس ؛ وإنما خلق الله الشمس وأجراها في الفلك بعد ما دحا الأرض فبسطها ، كما قال عز وجل : ﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾^(٢) ، فإذا كانت الشمس خلقت بعد ما سُمكت السماء ، وأغطش ليلها ، فعلوم أنها كانت — قبل أن تخلق الشمس ، وقبل أن يُخرج الله من السماء ضحاهَا — مظلمة لا مضيئة .

٦٠/١

وبعد ، فإن في مشاهدتنا من أمر الليل والنهار ما نشاهده^(٣) دليلاً بيّناً

(١) ط : « الزبير بن عبد السلام » ؛ وصوابه من أ ؛ ذكره ابن حجر فيمن روى عن أيوب بن عبد الله . وانظر تهذيب التهذيب ١ : ٤٠٧ .

(٢) سورة النازعات ٢٧ - ٢٩ .

(٣) أ : « نشاهد » .

على أن النهار هو الهاجم على الليل لأن الشمس متى غابت فذهب ضوءها ليلاً [أو نهاراً] ^(١) أظلم الجو ، فكان معلوماً بذلك أن النهار هو الهاجم على الليل بضوئه ونوره . والله أعلم .

فأما القول في بدء خلقهما فإن الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بوقت خلق الله الشمس والقمر مختلف .

فأما ابن عباس فروى عنه أنه قال : خلق الله يوم الجمعة الشمس والقمر والنجوم والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه ، حدثنا بذلك هناد بن السرى ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي سعد البقال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خلق الله النور يوم الأربعاء » ، حدثني بذلك القاسم بن بشر والحسين بن علي ، قال : حدثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، عن إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وأى ذلك كان ؛ فقد خلق الله قبل خلقه إياهما خلقاً كثيراً غيرهما ، ثم خلقهما عز وجل لما هو أعلم به من مصلحة خلقه ، فجعلهما دائبى الجرى ، ثم فصل بينهما ، فجعل إحداهما آية الليل ، والأخرى آية النهار ، فعلا آية الليل ، وجعل آية النهار مبصرة . وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبب اختلاف حالتى آية ^(٢) الليل وآية النهار أخبار أنا ذاكر منها بعض ما حضرني ذكره . وعن جماعة من السلف أيضاً نحو ذلك .

فمما ^(٣) روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، ما حدثني محمد بن أبي منصور الآملى ، حدثنا خلف بن واصل ، قال : حدثنا عمر بن

(١) تكلة من ا .

(٢) ر : « حالتى الشمس والقمر وآية الليل » .

(٣) ا : « فاما » .

صُبْحُ^(١) أَبُو نَعِيمٍ الْبَلْخِيُّ، عَنْ مِقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِزَى، عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغَفَارِيِّ، قَالَ: كُنْتُ أَخْذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نَتَمَشَّى جَمِيعًا نَحْوَ الْمَغْرِبِ، وَقَدْ طَفَلْتُ^(٢) الشَّمْسَ، فَمَا زِلْنَا نَنْظُرُ إِلَيْهَا حَتَّى غَابَتْ؛ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَ تَغْرُبُ؟ قَالَ: تَغْرُبُ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ تَرْفَعُ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ حَتَّى تَرْفَعُ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ الْعُلْيَا؛ حَتَّى تَكُونَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخْرُ سَاجِدَةً، فَتَسْجُدُ مَعَهَا الْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلُونَ بِهَا، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ، مِمَّنْ أَيْنَ تَأْمُرُنِي أَنْ أَطْلُعَ، أَمْ مِنْ مَغْرِبِي أَمْ مِنْ مَطْلَعِي؟ قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ حَيْثُ تَحْبَسُ تَحْتَ الْعَرْشِ، ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(٣) قَالَ: يَعْنِي بِ«ذَلِكَ»^(٤) صُبْحَ الرَّبِّ الْعَزِيزِ فِي مَلِكَةِ الْعَلَمِ بِخَلْقِهِ. قَالَ: فَيَأْتِيهَا جِبْرِئِيلُ بِحُلَّةٍ ضَوْءٍ مِنْ نَوْرِ الْعَرْشِ، عَلَى مَقَادِيرِ سَاعَاتِ النَّهَارِ، فِي طَوْلِهِ فِي الصَّيْفِ، أَوْ قَصْرِهِ فِي الشِّتَاءِ، أَوْ مَا بَيْنَ ذَلِكَ فِي الْخَرِيفِ وَالرَّبِيعِ. قَالَ: فَتَلْبَسُ تِلْكَ الْحُلَّةَ كَمَا يَلْبَسُ أَحَدُكُمْ ثِيَابَهُ، ثُمَّ تَنْطَلِقُ^(٥) بِهَا فِي جِوِ السَّمَاءِ حَتَّى تَطْلُعَ مِنْ مَطْلَعِهَا^(٦)، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَكَأَنَّهُا قَدْ حُبِسَتْ مَقْدَارَ ثَلَاثِ لَيَالٍ ثُمَّ لَا تُكْسَى ضَوْءًا، وَتُؤَمَّرُ أَنْ تَطْلُعَ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾^(٧). قَالَ: وَالْقَمَرُ كَذَلِكَ فِي مَطْلَعِهِ وَبَحْرَاهُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ وَمَغْرِبِهِ وَارْتِفَاعِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ الْعُلْيَا، وَمَحْبَسُهُ تَحْتَ الْعَرْشِ وَسُجُودُهُ وَاسْتِئْذَانُهُ، وَلَكِنْ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَأْتِيهِ بِالْحُلَّةِ مِنْ نَوْرِ الْكَرْسِيِّ. قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا﴾^(٨). قَالَ أَبُو ذَرٍّ: ثُمَّ عَدَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى

٦٢/١

(١) كَذَا فِي «عَمْرِ بْنِ صَبِيحٍ»، تَرْجِمَ لَهُ ابْنُ حَجَرٍ فِي تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ ٧ : ٤٦٣ ؛ وَذَكَرَ أَنَّهُ أَخَذَ عَنْ مِقَاتِلَ . وَفِي ط : «صَبِيحٍ» . وَانْظُرْ خِلَاصَةَ تَهْذِيبِ الْكَمَالِ ٢٤٠ .

(٢) طَفَلْتُ الشَّمْسَ : مَالَتْ لِلْفُرُوبِ .

(٣) سُورَةُ يَسَ ٣٨

(٤) كَذَا فِي أ ، ر ، ك ، وَفِي ط : «ذَلِكَ» .

(٥) ط : «يَنْطَلِقُ» ، وَمَا أَثْبَتَهُ عَنْ أ ، ر ، ن .

(٦) ط : «مَطَالَعُهَا» ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ أ .

(٧) سُورَةُ التَّكْوِينِ ١

(٨) سُورَةُ يُونُسَ ٥

الله عليه وسلم فصليلنا المغرب. فهذا الخبر عن رسول الله [يُنسَبُ] ^(١) أن سبب اختلاف حالة الشمس والقمر إنما هو أن ضوء الشمس من كسوة كسيتهما من ضوء العرش، وأن نور القمر من كسوة كسيتهما من نور الكرسي.

فأما الخبر الآخر الذي يدل على غير هذا المعنى؛ فما حدثني محمد ابن أبي منصور، قال: حدثنا خلف بن واصل، قال: حدثنا أبو نعيم، عن مقاتل بن حيان، عن عكرمة قال: بينا ابن عباس ذات يوم جالس إذ جاءه رجل، فقال: يا ابن عباس، سمعت العجب من كعب الحبش ^(٢) يذكر في الشمس والقمر. قال: وكان متكئاً فاحتفز ^(٣) ثم قال: وما ذاك؟ قال: زعم أنه يجيء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عفيران، فيُقذَّان في جهنم. قال عكرمة: فطارت من ابن عباس شقة وقعت أخرى غضبا، ثم قال: كذب كعب! كذب كعب! كذب كعب! ثلاث مرات، بل هذه يهودية يريد إدخالها في الإسلام، الله أجل وأكرم من أن يعذب على طاعته، ألم تسمع لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ ^(٤)، إنما يعنى دعوهم في الطاعة، فكيف يعذب عبيد يثنى عليهما؛ أنهما دائبان في طاعته! قاتل الله هذا الحبش وقبح حبريته! ما أجرأه على الله وأعظم فيريته على هذين العبيدين المطيعين لله! قال: ثم استرجع مراراً، وأخذ عويداً من الأرض، فجعل ينكت في الأرض، فظل كذلك ما شاء الله، ثم إنه رفع رأسه، ورى بالعويد فقال: ألا أحدثكم بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول في الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير أمرهما؟ فقلنا: بلى رحمك الله! فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك، فقال: إن الله تبارك وتعالى لما أبرم خلقه إحكاماً فلم يبق من خلقه غير آدم خلقت شمسين من نور عرشه، فأما ما كان في سابق علمه ^(٥) أنه يدعها شمساً، فإنه خلقها مثل الدنيا ما بين مشارقها ومغاربها،

(١) : «عن أن» .

(٢) : ر، ن : «الأخبار» .

(٣) : احتفز : استوى جالساً على وركيه .

(٤) : سورة إبراهيم ٣٣ .

(٥) : ر، س : «من سابق علمه» .

وأما ما كان في سابق علمه ^(١) أنه يطمسها ويحوّلها قمراً ، فإنه دون الشمس في العِظَم ؛ ولكن إنما يُرَى صغرهما من شدة ارتفاع السماء وبعدها من الأرض .

قال : فلو ترك الله الشمسين كما كان خلقهما في بدء الأمر لم يكن يُعرَف الليل من النهار ، ولا النهار من الليل ، وكان لا يدري الأجير إلى متى يعمل ، ومتى يأخذ أجره . ولا يدري الصائم إلى متى يصوم ، ولا تدرى المرأة كيف تعتدّ ، ولا يدري المسلمون متى وقت الحج ، ولا يدري الديّان متى تحلّ ديونهم ، ولا يدري الناس متى ينصرفون لمعيشهم ، ومتى يسكنون لراحة أجسادهم . وكان الربّ عزّ وجلّ أنظر لعباده وأرحم بهم ، فأرسل جبرئيل عليه السلام فأمرّ جناحه على وجه القمر - وهو يومئذ شمس - ثلاث مرات ، فطمس عنه الضوء ، وبقي فيه النور ، فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ ^(٢) . قال : فالسّواد الذي ترونه في القمر شبه الخطوط فيه فهو أثرُ الحو . ثم خلق الله للشمس عجلة من ضوء نور العرش لها ثلثمائة وستون عروة ، ووكل بالشمس وعجلتها ثلثمائة وستين ملكاً من الملائكة من أهل السماء الدنيا ، قد تعلّق كلّ ملك منهم بعروة من تلك العُرَا ، ووكل بالقمر وعجلته ثلثمائة وستين ملكاً من الملائكة من أهل السماء ، قد تعلّق بكلّ عروة من تلك العُرَا ملك منهم .

ثم قال : وخلق الله لهما مشارق ومغارب في قُطْرَيِ الأرض وكنفي السماء ثمانين ومائة عين في المغرب ، طينة سوداء ، فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ ^(٣) إنما يعني ^(٤) حمأة سوداء من طين ، وثمانين ومائة عين في

(١) ر : « من سابق علمه » .

(٢) سورة الإسراء ١٢

(٣) سورة الكهف ٨٦

(٤) كذا في ا ، س وفي ط : « هي حمئة » .

المشرق مثل ذلك طينة سوداء تفور غلياً كغلي القِدْر إذا ما اشتد غليها. قال :
فكل يوم [وكل]^(١) ليلة لها مطلع جديد ومغرب جديد ، ما بين أولها مطلعاً ، وآخرها
مغرباً أطول ما يكون النهار في الصيف إلى آخرها مطلعاً ، وأولها مغرباً أقصر ما يكون
النهار في الشتاء ، فذلك قوله تعالى : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾^(٢)
يعنى آخرها هاهنا وآخرها ثم ، وترك ما بين ذلك من المشارق والمغارب ، ثم
جمعهما فقال : ﴿ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾^(٣) ، فذكر عِدَّة تلك العيون كلها.

قال : وخلق الله بحراً ، فجرى دون السماء^(٤) مقدار ثلاث فراسخ ، وهو موج
مكفوف قائم في الهواء بأمر الله عز وجل لا يقطر منه قطرة ، والبحار كلها
ساكنة ، وذلك البحر جارٍ في سرعة السهم ثم انطلاقه في الهواء مستوياً ، كأنه
حبَلٌ ممدود ما بين المشرق والمغرب ، فتجرى الشمس والقمر والخُنُس في لُجَّة
غَمَر ذلك البحر ، فذلك قوله تعالى : ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾^(٥) ، والفلك
دوران العجلة في لُجَّة غمر ذلك البحر . والذي نفس محمد بيده ، لو بدت
الشمس من ذلك البحر لأحرقت كل شيء في الأرض ، حتى الصخور
والحجارة ، ولو بدا القمر من ذلك لافتتن أهل الأرض حتى يعبدوه من دون
الله ، إلا من شاء الله أن يعصم من أوليائه .

قال ابن عباس : فقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : بأبي أنت
وأُمي يا رسول الله ! ذكرت مجرى الخُنُس مع الشمس والقمر ، وقد أقسم الله
بالخُنُس في القرآن إلى ما كان من ذكرك ، فما الخُنُس ؟ قال : يا علي ، هن
خمسة كواكب : البرجيس^(٦) ، وزُحَل ، وعُطارد ، وبهرام ، والزُّهرة ،

(١) تكلّة من ا .

(٢) سورة الرحمن ١٧

(٣) سورة المارج ٤٠

(٤) كذا في ط ، وفي اللآله المصنوعة ١ : ٧ : « بينه وبين السماء » ، وفي ا : « فجرى

بين السماء » .

(٥) سورة الأنبياء ٣٣

(٦) كذا ضبطه صاحب القاموس بكسر الباء ؛ وقال : هو نجم أو هو المشتري .

٦٦/١ فهذه الكواكب الخمسة الطالعات الجاريات ، مثل الشمس والقمر ، العاديات ^(١) معهما ، فأما سائر الكواكب فمعلقات من السماء كتعليق ^(٢) القناديل من المساجد ، وهى تحوم مع السماء دورانا بالتسييح والتقديس والصلاة لله ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : فإن أحببت أن تستبينوا ^(٣) ذلك ، فانظروا إلى دوران الفلك مرة هاهنا ومرة هاهنا ، فذلك دوران السماء ، ودوران الكواكب معها كلها سوى هذه الخمسة ، ودورانها اليوم كما تزور ، وتلك صلاتها ، ودورانها إلى يوم القيامة في سرعة دوران الرّحا من أهوال يوم القيامة وزلازله ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا * فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ^(٤).

قال : فإذا طلعت الشمس فلإنها تطلع من بعض تلك العيون على عجلتها ومعها ثلثمائة وستون ملكاً ناشري أجنتهم ، يجرونها في الفلك بالتسييح والتقديس والصلاة لله على قدر ساعات الليل وساعات النهار ليلا كان أو نهاراً ، فإذا أحب الله أن يبتلى الشمس والقمر فيسرى العباد آية من الآيات فيستعينهم رجوعاً عن معصيته وإقبالاً على طاعته ، خربت الشمس من العجلة فتقع في غمر ذلك البحر وهو الفلك ، فإذا أحب الله أن يعظم الآية ويشدد تخويف العباد وقعت الشمس كلها فلا يبقى منها على العجلة شيء ، فذلك حين يظلم النهار وتبدو النجوم ، وهو المنتهى من كسوفها . فإذا أراد أن يجعل آية دون آية وقع منها النصف أو الثلث أو الثلثان في الماء ، ويبقى سائر ذلك على العجلة ، فهو كسوف دون كسوف ، وبلاء للشمس أو للقمر ، وتخويف للعباد ، واستعتاب من الرب عز وجل ، فأى ذلك كان صارت الملائكة الموكلون بعجلتها فرقتين : فرقة منها يقبلون على الشمس فيجرونها نحو العجلة ، والفرقة الأخرى

(١) ا ، ر ، ن : « العاديات » وفى اللآلئ المصنوعة : « الجاريات » .

(٢) ر ، س : « كتعلق » .

(٣) ن : « أن تستبينوا » .

(٤) سورة الطور ٩ - ١١ .

يُقبلون على العجلة فيجرونها نحو الشمس ، وهم في ذلك ^(١) يقرّونها ^(٢) في الفلك بالتسييح والتقديس والصلاة لله على قدر ساعات النهار أو ساعات الليل ، ليلاً كان أو نهاراً ، في الصيف كان ذلك أو في الشتاء ، أو ما بين ذلك في الحريف والربيع ، لكيلا يزيد في طولهما شيء ، ولكن قد ألهمهم الله علم ذلك ، وجعل لهم تلك القوة ، والذي ترون من خروج الشمس أو القمر بعد الكسوف قليلاً قليلاً ، من غمر ذلك البحر الذي يعلوهما ، فإذا أخرجوها كلّها اجتمعت الملائكة كلهم ، فاحتملوها حتى يضعوها على العجلة ، فيحمدون الله على ما قوّاهم لذلك ، ويتعلقون بعُرّاء العجلة ، ويَجْرُونَهَا في الفلك بالتسييح والتقديس والصلاة لله حتى يبلغوا بها المغرب ، فإذا بلغوا بها المغرب أدخلوها تلك العين ، فتسقط من أفق السماء في العين .

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ، وعجب من خلق الله : ولتَعْجَب من القدرة فيما لم نَرَ ^(٣) أعجِب من ذلك ؛ وذلك قول جبرئيل عليه السلام لسارة : ﴿ أَمْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ ^(٤) وذلك أن الله عزّ وجلّ خلق مدينتين : إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب ، أهل المدينة التي بالمشرق من بقايا عاد من نسل مؤمنهم ، وأهل التي بالمغرب من بقايا ثمود من نسل الذين آمنوا بصالح ، اسم التي بالمشرق بالسريانية «مركيسيا» وبالغربية «جابلق» ^(٥) واسم التي بالمغرب بالسريانية «برجيسيا» ^(٦) وبالغربية «جابرَس» ولكل مدينة منهما عشرة آلاف باب ، ما بين

(١) ن : « مع ذلك » .

(٢) كذا في أ ، م ، ك ، وفي ط : « يجرونها » .

(٣) ط : « لم يخلق » ، وما أثبتته من اللؤلؤ المصنوعة .

(٤) سورة هود ٧٣

(٥) ضبطها ياقوت بالياء المفتوحة المفتحة وسكون اللام ، ونقل عن ابن عباس أنها مدينة بأقصى المغرب وأهلها من ولد عاد .

(٦) كذا ضبطت بالقلم في معجم البلدان . ونقل أيضاً عن ابن عباس أن أهلها من ولد ثمود .

كل بابين فرسخ ، ينوب كل يوم على كل باب من أبواب هاتين المدينتين عشرة آلاف ^(١) رجل من الحراسة ، عليهم السلاح ، لا تنوبهم ^(٢) الحراسة بعد ذلك إلى يوم ينفخ في الصور ، فالذى نفس محمد بيده ، لولا كثرة هؤلاء القوم وضجيج أصواتهم لسمع الناس من جميع أهل الدنيا هدة وقعة الشمس حين تطلع وحين تغرب ، ومن ورائهم ثلاث أمم : منسك ^(٣) ، وتافيل ، وتاريس ^(٤) ، ومن دونهم يأجوج ومأجوج .

وإن جبئ رثيل عليه السلام انطلق بي إليهم ليلة أسرى بي من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، فدعوت يأجوج ومأجوج إلى عبادة الله عز وجل فأبوا أن يحيبوني ، ثم انطلق بي إلى أهل المدينتين ، فدعوتهم إلى دين الله عز وجل وإلى عبادته فأجابوا وأنابوا ، فهم في الدين [إخواننا] ^(٥) ، من أحسن منهم فهو مع محسنكم ، ومن أساء منهم فأولئك مع المسيئين منكم . ثم انطلق بي إلى الأمم الثلاث ، فدعوتهم إلى دين الله وإلى عبادته فأنكروا بما دعوتهم إليه ، فكفروا بالله عز وجل وكذبوا رسله ، فهم مع يأجوج ومأجوج وسائر من عصى الله في النار ؛ فإذا ما غربت الشمس رُفِعَ بها من سماء إلى سماء في سرعة طيران الملائكة ؛ حتى يُبلِّغَ بها إلى السماء السابعة العليا ، حتى تكون تحت العرش فتخرّ ساجدة ، وتسجد معها الملائكة الموكلون بها ، فيُحدَرُ بها من سماء إلى سماء ؛ فإذا وصلت إلى هذه السماء فذلك حين ينفجر الفجر ^(٦) ، فإذا انحدرت من بعض تلك العيون ، فذاك حين يضيء الصبح ، فإذا وصلت إلى هذا الوجه من السماء فذاك حين يضيء النهار .

٦٩/١

قال : وجعل الله عند المشرق حجاباً من الظلمة على البحر السابع ، مقدار

-
- (١) كذا في ١ وابن الأثير والآلاء المصنوعة . وفي ط : « عشرة آلاف ألف » .
 (٢) كذا في ١ . وفي ط : « ولما تلحقهم نوبة الحراسة » . وفي ابن الأثير : « ولا تعود الحراسة إليهم » .
 (٣) ر ، س : « تافيل » .
 (٤) س : « باريس » ، ا « ناريس » ، وابن الأثير « تاريس » .
 (٥) تكملة من ١ والآلاء المصنوعة .
 (٦) ط : « الصبح » ، وما أثبتته من ١ .

عدة الليالى منذ يوم خلق الله الدنيا إلى يوم تُصْرَم ، فإذا كان عند الغروب أقبلَ ملكٌ قد وُكِّلَ بالليل فيقبض قبضةً من ظُلمة ذلك الحجاب ، ثم يستقبلُ المغرب ؛ فلا يزال يُرسل من الظلمة من خلل أصابعه قليلاً قليلاً وهو يراعى الشفق ، فإذا غاب الشفق أرسلَ الظلمة كلَّها ثم ينشر جناحيه ، فيبلغان قُطْرَي الأرض وكنَفَي السماء ، ويحاذيان ما شاء الله عزَّ وجلَّ خارجاً في الهواء ، فيسوق ظلمة الليل بجناحيه بالتسييح والتقديس والصلاة لله حتى يبلغ المغرب ، فإذا بلغ المغرب انفجر الصبح من المشرق ، فضمَّ جناحيه ، ثم يضم الظلمة بعضها إلى بعض بكفيه ، ثم يقبض عليها بكف واحدة نحو قبضته إذا تناوَلها من الحجاب بالمشرق ، فيضعها عند المغرب على البحر السابع من هناك ظلمة الليل . فإذا ما نقل ذلك الحجابُ من المشرق إلى المغرب نفخ في الصور ، وانقضت الدنيا ، فضوء النهار من قِبَل المشرق ، وظلمة الليل من قِبَل ذلك الحجاب ، فلا تزال الشمس والقمر كذلك من مطالعهما إلى مغاربهما إلى ارتفاعهما ، إلى السماء السابعة العليا ، إلى محبسهما^(١) تحت العرش ، حتى يأتى الوقت الذى ضرب الله لتوبة العباد ، فتكثر المعاصي في الأرض ويذهب المعروف ، فلا يأمر به أحد ، ويفشو المنكرُ فلا يَنْهى عنه أحد .

٧٠/١

فإذا كان ذلك حَبِسَت الشمس مقدار ليلة تحت العرش ، فكلَّما سجدت وأُستأذنت : من أين تطلع ؟ لم يُحَرَّ^(٢) إليها جواب ؛ حتى يوافيها القمر ويسجد معها ، ويستأذن : من أين يطلع ؟ فلا يحار إليه جواب ، حتى يحبسهما مقدار ثلاث ليالٍ للشمس ، وليلتين للقمر ، فلا يَعْرِف طول تلك الليلة إلا المهجدون في الأرض ؛ وهم حينئذ عِصابة قليلة في كل بلدة من بلاد المسلمين ؛ في هوان من الناس وذلة من أنفسهم ، فينام أحدهم تلك الليلة قَدَر ما كان ينام قبلها من الليالى ، ثم يقوم فيتوضأ ويدخل مصلاً فيصلى ورَّده ، كما كان يصلى

(١) ط : « إلى محبسهما » ، وما أثبتته من أ .

(٢) لم يحمر إليها جواب ؛ أى لم يرجع إليها جواب ؛ ويقال : ما أحر جواباً ؛

أى ما يرجع .

قبل ذلك ، ثم يخرج فلا يرى الصبح ، فينكر ذلك ويظن فيه الظنون من الشر ثم يقول : فلعلني خفت قراءتي ، أو قصرت صلاتي ، أو قمت قبل حيني ! قال : ثم يعود أيضاً فيصلّي ورّده كمثل ورّده ، الليلة الثانية ، ثم يخرج فلا يرى الصبح ، فيزيده ذلك إنكاراً ، ويخالطه الخوف ، ويظن في ذلك الظنون من الشر ، ثم يقول : فلعلني خفت قراءتي ، أو قصرت صلاتي ، أو قمت من أول الليل ! ثم يعود أيضاً الثالثة وهو وجل مُشفق لما يتوقع من هول تلك الليلة ، فيصلّي أيضاً مثل ورّده ، الليلة الثالثة ، ثم يخرج فإذا هو بالليل مكانه والنجوم قد استدارت وصارت إلى مكانها من أول الليل . فيشفق عند ذلك ^(١)

٧١/١

شفقة الخائف العارف بما كان يتوقع من هول تلك الليلة فيستلحمه ^(٢) الخوف ، ويستخفه البكاء ، ثم ينادى بعضهم بعضاً ، وقبل ذلك كانوا يتعارفون ويتواصلون ، فيجتمع المهجّدون من أهل كل بلدة إلى مسجد من مساجدها ، ويجأرون إلى الله عز وجل بالبكاء والصراخ بقية تلك الليلة ، والغافلون في غفلتهم ، حتى إذا ما تمّ لهما مقدار ثلاث ليالٍ للشمس والقمر ليلتين ، أتاهما جبرئيل فيقول : إن الرب عز وجل يأمركما أن ترجعا إلى مغاريكما فتطلعا منها ، وأنه لا ضوء لكما عندنا ولا نور . قال : فيبكيان عند ذلك بكاء يسمعه أهل سبع سموات من دونهما وأهل سرادقات العرش وحمة العرش من فوقهما ، فيبكون لبكائهما مع ما يخالطهم من خوف الموت ، وخوف يوم القيامة .

قال : فبينما الناس ينتظرون طلوعهما من المشرق إذا هما قد طلعا خلتف أقميتهم من المغرب أسودين مكورين كالغراطين ^(٣) ، ولا ضوء للشمس ولا نور للقمر ، مثلهما في كسوفهما قبل ذلك ، فيتصايح أهل الدنيا وتندهل الأمهات عن أولادها ، والأحبة عن ثمره قلوبها ، فتشتغل كل نفس بما أتاه . قال : فأما الصالحون والأبرار فإنه ينفعهم بكائهم يومئذ ، ويكتب ذلك لهم عبادة . وأما الفاسقون والفجار فإنه لا ينفعهم بكائهم يومئذ ، ويكتب ذلك عليهم حسارة . قال : فيرتفعان مثل البعيرين القرينين ، ينازع كل واحد منهما

(١) : « عندها » .

(٢) استلحمه الخوف : نشب فيه .

(٣) ط : « كالغرايين » ، وما أثبتته من أ .

صاحبه استيقاً ، حتى إذا بلغا سُرة السماء - وهو منصفها - أتاهما جبرئيل فأخذ بقرونيهما ثم ردهما إلى المغرب ، فلا يُغربهما في مغاربهما من تلك العيون ، ولكن يغربهما في باب التوبة .

فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أنا وأهلى فداؤك يا رسول الله ! فما باب التوبة ؟ قال : يا عمر ، خلق الله عز وجل باباً للتوبة خلف المغرب ، مصرعين من ذهب ، مكلا بالدرّ والجوهر ، ما بين المصرع إلى المصرع ^(١) الآخر مسيرة أربعين عاماً للراكب المسرع ؛ فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله خلقه إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغاربهما ، ولم يتب عبد من عباد الله توبة نصوحاً من لدن آدم إلى صبيحة تلك الليلة إلا وبلت تلك التوبة في ذلك الباب ، ثم ترفع إلى الله عز وجل .

قال معاذ بن جبل : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! وما التوبة النصوح ؟ قال : أن يندم المذنب على الذنب الذى أصابه فيعتذر إلى الله ثم لا يعود إليه ، كما لا يعود اللبن إلى الضرع . قال : فبرد جبرئيل بالمصرعين فيلأ ^(٢) بينهما ويصيرهما كأنه لم يكن فيما بينهما صدع قط ، فإذا أغلق ^(٣) باب التوبة لم يقبل بعد ذلك توبة ، ولم ينفع بعد ذلك حسنة يعملها في الإسلام إلا من كان قبل ذلك محسناً ، فإنه يجرى لهم وعليهم بعد ذلك ما كان يجرى قبل ذلك ، قال فذلك قوله عز وجل : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾ ^(٤) .

فقال أبتى بن كعب : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك ! وكيف بالناس والدنيا ! فقال : يا أبتى ، إن الشمس والقمر

(١) : « والمصرع »

(٢) : « فيلأ » .

(٣) ط : « غلق » ومعنى لغة رديئة في « أغلق » .

(٤) : سورة الأنعام ١٥٨

بعد ذلك يَكْسِيَانِ النور والضوء، ويطلعان على الناس ويغرُبَانِ كما كانا^(١) قبل ذلك، وأما الناس فإنهم نظروا إلى ما نظروا إليه من فظاعة الآية، فيُلْحَتُونَ على الدنيا حتى يُجْرُوا فيها الأنهار، ويغرسوا فيها الشجر، وبينوا فيها البنيان. وأما الدنيا فإنه لو أنتج رجل مهراً لم يركبه من لدن طلوع الشمس من مغربها إلى يوم ينفخ في الصور.

فقال حذيفة بن اليمان: أنا وأهلي فداؤك يا رسول الله! فكيف هم عند النفخ في الصور! فقال: يا حذيفة، والذي نفس محمد بيده، لتقوم الساعة ولينفخن في الصور والرجل قد لَطَّ^(٢) حوضه فلا يسقي منه، ولتقوم الساعة والثوب بين الرجلين فلا يطويانه، ولا يتبايعانه. ولتقوم الساعة والرجل قد رفع لقمته إلى فيه فلا يَطْعَمُهَا، ولتقوم الساعة والرجل قد انصرف بلبن لِفَحْتِهِ^(٣) من تحته فلا يشربه، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٤).

فإذا نُفِخَ في الصور، وقامت الساعة، وميز الله بين أهل الجنة وأهل النار ولما يدخلوهما بعد، إذ يدعو الله عز وجل بالشمس والقمر، فيجاء بهما أسودين مكورين قد وقعا في زلزال ولبال، تُرْعِدُ فرائضهما من هول ذلك اليوم وخافة الرحمن، حتى إذا كانا حيال العرش خراً لله ساجدين؛ فيقولان: إلهنا قد علمت طاعتنا ودُعُونَا في عبادتك، وسرعتنا للمضى^(٥) في أمرك أيام الدنيا، فلا تُعَذِّبْنَا بعبادة المشركين إيانا، فإننا لم ندعُ إلى عبادتنا، ولم نذهك عن عبادتك! قال: فيقول الرب تبارك وتعالى: صدقتما، وإنى قضيت على نفسي أن أبدئ وأعيد، وإنى معيدكما فيما بدأتكما منه، فارجعا إلى ما خلقتما منه،

(١) كذا في ١، وفي ط: «كان».

(٢) ١: «لاط»، ولاط الحوض بالطين ولطه: طينه.

(٣) اللقحة، بالكسر: الناقة الحلوب.

(٤) سورة النكبات ٥٣.

(٥) ١: «المضى»، ن: «بالمضى».

قالا : إلهنا ، ومِمَّ خلقتنا؟ قال : خلقتكما من نور عرشي ، فارجعا إليه . قال : ٧٤/١
فيلتصم من كل واحد منهما برقة تكاد تَخْطَفُ الأبصار نورا ، فتختلط بنور
العرش . فذلك قوله عز وجل : ﴿ يَبْدِي وَيُعِيدُ ﴾^(١) .

قال عكرمة : فقمتم مع النفر الذين حَدَّثُوا به ، حتى أتينا كعباً فأخبرناه
بما كان من وجد ابن عباس من حديثه ، وبما^(٢) حدث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فقام كعب معنا حتى أتينا ابن عباس ، فقال : قد بلغني ما كان من
وجدك من حديثي ، وأستغفر الله وأتوب إليه ، وإني إنما حدثت عن كتاب
دارسٍ قد تداولته الأيدي ، ولا أدري ما كان فيه من تبديل اليهود ، وإنك
حدثت عن كتاب جديد حديث العهد بالرحمن عز وجل وعن سيد الأنبياء
وخير النبيين ، فأنا أحب أن تحدثني الحديث فأحفظه عنك ، فإذا حدثت
به كان مكان حديثي الأول .

قال عكرمة : فأعاد عليه ابن عباس الحديث ، وأنا أستقره في قلبي
باباً باباً ، فما زاد شيئاً ولا نقص ، ولا قدّم شيئاً ولا أخر ، فزادني ذلك في ابن
عباس رغبة ، وللحديث حفظاً^(٣) .

* * *

وبما روى عن السلف في ذلك ما حدثناه ابن حميد ، قال :
حدثنا جرير ، عن عبد العزيز بن رُفَيْع ، عن أبي الطفيل ، قال : قال
ابن الكوّاء لعلّ عليه السلام : يا أمير المؤمنين ، ما هذه اللطخة التي في القمر؟
فقال : ويحك ! أما تقرأ القرآن : ﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ﴾^(١) ! فهذه محوه .

(١) سورة البروج ١٣ .

(٢) ط : « وما » .

(٣) أورد ابن الأثير في الكامل : (١ : ١٤ - ١٥) هذا الخبر مختصراً ؛ ولم يذكر تفصيل
ما فيه من أشياء ؛ ثم قال : « أعرضت عنها لمنافاتها العقول ، ولو صح إسنادها لذكرناها وقلنا
به ؛ ولكن الحديث غير صحيح ؛ ومثل هذا الأمر العظيم لا يجوز أن يسطر في الكتب بمثل هذا
الإسناد الضعيف » ، ونقله أيضاً السيوطي في اللآلئ المصنوعة ١ : ٤٥ - ٦٠ من طريقين آخرين ؛
وقال عنه : « موضوع » ، في إسناده مجاهيل وضعفاء .

(٤) سورة الإسراء ١٢ .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا طلحة ، عن زائدة ، عن
عاصم ، عن علي بن ربيعة ، قال : سأل ابن الكواء علياً عليه السلام فقال :
ما هذا السواد في القمر ؟ فقال علي : ﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ
مُبْصِرَةً ۖ ﴾ ^(١) ، هو المحو ^(٢) .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا
إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبيد بن عمير ، قال : كنت عند علي
عليه السلام ، فسأله ابن الكواء عن السواد الذي في القمر فقال : ذاك آية الليل
محيت ^(٣) .

حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال :
حدثنا عمران بن حدير ، عن رفيع ^(٤) ، أبي كثيرة ، قال : قال علي بن
أبي طالب رضي الله عنه : سلوا عما شئتم ، فقام ابن الكواء فقال : ما السواد الذي
في القمر ؟ فقال : قاتلك الله ! هلا سألت عن أمر دينك وآخرتك ! ثم قال :
ذاك محو الليل .

حدثنا زكرياء بن يحيى بن أبان المصري ، قال : حدثنا ابن
عفير ، قال : حدثنا ابن لهيعة ، عن حنبل بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن ،
عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن رجلاً قال لعلي رضي الله عنه : ما السواد
الذي في القمر ؟ قال : إن الله يقول : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ
فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ۖ ﴾ ^(١) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني
عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا

(١) سورة الإسراء ١٢ .

(٢) الخبر في التفسير ١٥ : ٣٨ (بولاق) .

(٣) الخبر في التفسير ١٥ : ٣٨ (بولاق) .

(٤) ط : « ابن أبي كثيرة » ، وفي التفسير : « رفيع بن أبي كثيرة » ، والصواب

ما أثبتته ، ذكره أبو حاتم الرازي في المحرر والتعديل ١٠٠/٢/١ . والدولاب في الكنى ٩٠ .

الَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ﴿١﴾ ، قال : هو السواد بالليل .
 حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قال : حَدَّثَنَا حُجَّاجٌ ،
 عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : كَانَ الْقَمَرُ يُضِيءُ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ ،
 وَالْقَمَرُ آيَةُ اللَّيْلِ ، وَالشَّمْسُ آيَةُ النَّهَارِ ، ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ ، السَّوَادُ الَّذِي فِي
 الْقَمَرِ .

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ ، قال : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ ، قال : ذَكَرَ
 ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ ،
 ٧٦/١ قال : الشَّمْسُ آيَةُ النَّهَارِ ، وَالْقَمَرُ آيَةُ اللَّيْلِ ، ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ ، قال : السَّوَادُ
 الَّذِي فِي الْقَمَرِ ، كَذَلِكَ خَلَقَهُ اللَّهُ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قال : حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ،
 عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ ، قال : لَيْلاً وَنَهَاراً
 كَذَلِكَ خَلَقَهُمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

قال ابن جرير : وأخبرنا عبد الله بن كثير ، قال : ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ
 وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ ، قال : ظِلْمَةُ اللَّيْلِ وَسَدَفُ النَّهَارِ .

حَدَّثَنَا بَشِيرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قال : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، قال : حَدَّثَنَا
 سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ ، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ
 اللَّيْلِ﴾ ، كُنَّا نَحْدِثُ أَنَّ مَحْوَ آيَةِ اللَّيْلِ سَوَادُ الْقَمَرِ الَّذِي فِيهِ ، ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ
 النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ ، مَنِيرَةٌ ، وَخَلَقَ الشَّمْسُ أَنْوَارَ مِنَ الْقَمَرِ وَأَعْظَمَ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قال : حَدَّثَنَا
 عِيسَى^(١) . وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ^(٢) ، قال : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ ، قال : حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ ،
 جَمِيعاً عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ ،
 قال : لَيْلاً وَنَهَاراً ، كَذَلِكَ جَعَلَهُمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

(١) هو عيسى بن ميمون الحرثي ، روى عنه أبو عاصم النبيل . تهذيب التهذيب ٨ : ٢٣٥ .

(٢) هو الحارث بن محمد بن أسامة . تاريخ بغداد ٨ : ٢١٨ .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى ذكره خلق شمس النهار وقمر الليل آيتين ، فجعل آية النهار التي هي الشمس مبصرةً يبصر بها ، ومحا آية الليل التي هي القمر ^(١) بالسواد الذي فيه . وجائز أن يكون الله تعالى ذكره خلقهما شمسين من نور عرشه ، ثم محا نور القمر بالليل على نحو ما قاله مَنْ ذكرنا قوله ، فكان ذلك سبب اختلاف حالتها .

وجائز أن يكون إضاءة الشمس للكسوة التي تُكساها من ضوء العرش ، ونور القمر من الكسوة التي يكساها من نور الكرسي . ٧٧/١

ولو صحَّ سندُ أحد الخبرين اللذين ذكرتهما ^(٢) قلنا به ؛ ولكن في أسانيدهما ^(٣) نظراً ؛ فلم نستجز قطع القول بتصحيح ما فيهما من الخبر عن سبب اختلاف حال الشمس والقمر ؛ غير أننا ييقين نعلم ^(٤) أن الله عزَّ وجلَّ خالف بين صفتيهما في الإضاءة لما كان أعلم به من صلاح خلقه باختلاف أمريهما ، فخالف بينهما ، فجعل أحدهما مضيئاً مبصراً به ، والآخر ممحواً الضوء .

وإنما ذكرنا قدر ما ذكرنا من أمر الشمس والقمر في كتابنا هذا ، وإن كنا قد أعرضنا عن ذكر كثير من أمرهما وأخبارهما ، مع إعراضنا عن ذكر بدء خلق الله السموات والأرض وصفة ذلك ، وسائر ما تركنا ذكره من جميع خلق الله في هذا الكتاب ؛ لأنَّ قصدنا في كتابنا هذا ذكر ما قدمنا الخبر عنه أننا ذاكره فيه من ذكر الأزمنة وتاريخ الملوك والأنبياء والرسل ، على ما قد شرطنا في أول هذا الكتاب ، وكانت التواريخ والأزمنة إنما توقَّت بالليالي والأيام التي إنما هي مقادير ساعات جري الشمس والقمر في أفلاكهما على ما قد ذكرنا في الأخبار التي روينها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ما كان قبل

(١) : « قمر » .

(٢) انظر صفحتي ٦٤ ، ٦٥ .

(٣) : « ولكن في أسانيدهما نظر » .

(٤) كذا في ط ، وفي س : « نعلم ييقين » ، وفي ن : « نتيقن ونعلم » ، وفي ا ، ك

« نتيقن بعلم » .

خلق الله عزّ ذكره إياهما من خلقه في غير أوقات ولا ساعات ولا ليل ولا نهار .

* * *

وإذ كنّا قد بينا مقدار مدة ما بين أول ابتداء الله عزّ وجلّ في إنشاء ما أراد إنشاء من خلقه إلى حين فراغه من إنشاء جميعهم من سبّئ الدنيا ومدة أزمانها بالشواهد التي استشهدنا بها^(١) من الآثار والأخبار ، وأتينا على القول في مدة ما بعد أن فرغ من خلق جميعه إلى فناء الجميع بالأدلة التي دللنا بها على صحة ذلك من الأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة وغيرهم من علماء الأمة ، وكان الغرض في كتابنا هذا ذكر ما قد بينا أنا ذاكره من تأريخ الملوك الجبابرة العاصية ربّتها عزّ وجلّ والمطبعة ربها منهم ، وأزمان الرسل والأنبياء ، وكنا قد أتينا على ذكر ما به تصحّ التواريخ ، وتعرف به الأوقات والساعات ، وذلك الشمس والقمر اللذان بأحدهما تُدرّك معرفة ساعات الليل وأوقاته ، وبالأخر تُدرّك علم ساعات النهار وأوقاته . فلنقل الآن في أول من أعطاه الله ملكاً ، وأنعم عليه فكفر نعمته ، وجحد ربوبيته ، وعتّا على ربه واستكبر ، فسلبه الله نعمته ، وأخزاه وأذله . ثم نُتبعه ذكر من استنّ في ذلك سنّته ، واقتفى فيه أثره ، فأحلّ الله به نعمته ، وجعله من شيعته ، وألحقه به في الخزي والذلّ . ونذكر من كان بليّزائه أو بعده من الملوك المطيعة ربها المحمودّة آثارها ، أو من الرسل والأنبياء إن شاء الله عزّ وجلّ .

* * *

فأولهم وإمامهم في ذلك ورئيسهم وقائدهم فيه إبليس لعنه الله .

وكان الله عز وجلّ قد أحسن^(٢) خلقه وشرفه وكرّمه وملكه على سماء^(٣) الدنيا والأرض فيما ذكر ، وجعله مع ذلك من خزان الجنة ، فاستكبر على ربه

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « استشهدناها » .

(٢) ط : « حسن » .

(٣) كذا في ١ ، وفي ط : « السماء الدنيا » .

وَادْعَى الرُّبُوبِيَّةَ ، وَدَعَا مَنْ كَانَ تَحْتَ يَدِهِ فِيمَا ذَكَرَ إِلَى عِبَادَتِهِ ، فَسَخَّهَ اللَّهُ تَعَالَى شَيْطَانًا رَجِيمًا ، وَشَوْهَ خَلْقِهِ ، وَسَلَبَهُ مَا كَانَ حَوْلَهُ ، وَلَعَنَهُ وَطَرَدَهُ عَنْ سَمَوَاتِهِ فِي الْعَاجِلِ ، ثُمَّ جَعَلَ مَسْكَنَهُ وَمَسْكَنَ أَتْبَاعِهِ وَشِيعَتِهِ فِي الْآخِرَةِ نَارَ جَهَنَّمَ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِهِ ، وَمَنْ عَمِلَ يَقْرَبَ مِنْ غَضَبِهِ ، وَمَنْ الْخَوْرَ بَعْدَ الْكُورِ ^(١) .

وفبدأً بذكر جمل من الأخبار الواردة عن السلف بما كان الله عز وجل أعطاه من الكرامة قبل استكباره عليه ، وادّعائه ما لم يكن له ادّعاؤه ، ثم نُسِّبَ ذلك ما كان من الأحداث في أيام سلطانه وملكه إلى حين زوال ذلك عنه ، والسبب الذي به زال عنه ما كان فيه من نعمة الله عليه ، وجميل آلائه ^(٢) ، وغير ذلك من أموره ^(٣) ، إن شاء الله مختصراً .

(١) أصله في الحديث : « نعوذ بالله من الخور بعد الكور » ، قال ابن الأثير : أي من نقصان بعد الزيادة ، وقيل : من فساد أمورنا بعد صلاحها ، وقيل من الرجوع عن الجماعة بعد أن كنا منهم ، وأصله من نقض العمارة بعد لقها . النهاية ١ : ٢٦٩ .

(٢) ١ : « بلائه » .

(٣) ط : « أمره » ، وما أثبتته عن .

ذكر الأخبار الواردة بأن إبليس كان له ملك السماء والدنيا والأرض وما بين ذلك

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ،
قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : كان إبليس
من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة ، وكان خازناً على الجنان ، وكان له سلطان
سما الدنيا ، وكان له سلطان الأرض .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ،
عن ابن جريج ، عن صالح مولى التوءمة وشريك بن أبي نمر - أحدهما أو كلاهما -
عن ابن عباس ، قال : إن من الملائكة قبيلة من الجن وكان إبليس منها ،
وكان يسوس ما بين السماء والأرض .

حدثنا موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حمّاد ،
قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن
أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود ، وعن ناس من
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : جعل إبليس على سماء الدنيا ، وكان
من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن ، وإنما سموا الجن لأنهم خُزّنوا الجنة ، وكان
إبليس مع ملكه خازناً .

حدثني عبدان المروزي ، حدثني الحسين بن الفرج ، قال : سمعت
أبا معاذ الفضل بن خالد قال : أخبرنا عبيد الله بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك
ابن مزاحم يقول في قوله عز وجل : ﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ ^(١) ،
قال : كان ابن عباس يقول : إن إبليس كان من أشرف ^(٢) الملائكة وأكرمهم

(١) سورة الكهف ٥٠

(٢) كذا في ن وفي ط : « أشرف » .

قبيلة ، وكان خازناً على الجنان ، وكان له سلطان سماء الدنيا ، وكان له سلطان الأرض .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا المبارك بن مجاهد أبو الأزهر ، عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر ، عن صالح مولى التوءمة ، عن ابن عباس ، قال : إن من الملائكة قبيلة يقال لهم الجن ، فكان إبليس منهم ، وكان يسوس ما بين السماء والأرض فعصى ، فسخه الله شيطاناً رجماً .

ذكر الخبر عن غمط عدو الله نعمة ربه واستكباره عليه وادعائه الربوبية

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن
ابن جريج : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ ^(١) ﴾ قال : قال ، ابن جريج :
من يقل من الملائكة إلى إله من دونه ، فلم يقله إلا إبليس ، دعا إلى عبادة نفسه ،
فترلت هذه الآية في إبليس .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ،
عن قتادة : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ
نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ ، وإنما كانت ^(٢) هذه الآية خاصة لعدو الله إبليس لما قال
ما قال ، لعنه الله وجعله رجما ، فقال : ﴿ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي
الظَّالِمِينَ ^(١) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن
معمر ، عن قتادة : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ^(١) ﴾ ،
قال : هي خاصة لإبليس .

(١) سورة الأنبياء ٢٩ .

(٢) ١ : « وكان » .

القول في الأحداث التي كانت في أيام ملك إبليس وسلطانه والسبب الذي به هلك وادعى الربوبية

فمن الأحداث التي كانت في ملك عدو الله — إذ كان لله مطيعاً — ما ذكر لنا عن ابن عباس في الخبر الذي حدثناه أبو كُرَيْب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، عن أبي رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : كان إبليس من حيٍّ من أحياء الملائكة يقال لهم : الجن^(١) خلقوا من نار السموم من بين الملائكة ، قال : وكان اسمه الحارث ، قال : وكان خازناً من خزان الجنة ، قال : وخلق الملائكة كلهم من نور غير هذا الحي ، قال : وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من مسارج من نار ، وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا ألهبت ، قال : وخلق الإنسان من طين ، فأول من سكن الأرض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضاً ، قال : فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة وهم^(٢) هذا الحي الذين يقال لهم الجن ، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال ، فلما فعل إبليس ذلك اغتر في نفسه ، وقال : قد صنعت شيئاً لم يصنعه أحد ، قال : فاطلع الله على ذلك من قلبه ، ولم تطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه .

٨٢/١

حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : إن الله خلق الملائكة يوم الأربعاء ، وخلق الجن يوم الخميس ، وخلق آدم يوم الجمعة ، قال : فكفر قوم من الجن ، فكانت الملائكة تهبط إليهم في الأرض فتقتلهم ، فكانت الدماء وكان الفساد في الأرض .

(١) كذا في ١ ، ط وابن الأثير ، بالجيم المعجمة ؛ والخبر في التفسير ١ : ٥٥ ؛ (المعارف) وانظر حواشيه .

(٢) ط : « فهم » .

ذكر السبب الذي به هلك عدو الله وسولت له نفسه
من أجله الاستكبار على ربه عز وجل

اختلف السلف من الصحابة والتابعين في ذلك ، وقد ذكرنا أحد الأقوال
التي رُويت في ذلك عن ابن عباس ، وذلك ما ذكر الضحاك عنه ، أنه لما قتل
الجن الذين عصوا الله ، وأفسدوا في الأرض وشرّدهم ، أعجبت نفسه ورأى
في نفسه أن له بذلك من الفضيلة ما ليس لغيره .

* * *

والقول الثاني من الأقوال المروية في ذلك عن ابن عباس ، أنه كان ملك
سما الدنيا وسائسها ، وسائس ما بينها وبين الأرض ، وخازن الجنة ، مع احتجاده في
العبادة ، فأعجب بنفسه ، ورأى أن له بذلك الفضل ، فاستكبر على ربه
عز وجل .

* ذكر الرواية عنه بذلك :

حدثنا موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ،
قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره عن أبي مالك وعن
أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : لما فرغ الله عز وجل من خلق ما أحب
استوى على العرش ، فجعل إبليس على ملك سما الدنيا وكان من قبيلة^(١)
من الملائكة يقال لهم الجن ، وإنما سُموا الجن لأنهم خزان الجنة ، وكان
إبليس مع ملكه خازناً ، فوقع في صدره كبر ، وقال : ما أعطاني الله هذا
إلا لمزية ، هكذا حدثني موسى بن هارون .

(١) كذا في ط وتاريخ ابن كثير ١ : ٥٥ ، وفي ١ : « وكان قبيلة » .

وحدثني به أحمد بن أبي خَيْثَمَةَ ، عن عمرو بن حماد ، قال ^(١) :
لَمَزِيَّةٌ لى على الملائكة . فلما وقع ذلك الكبُر في نفسه اطلع الله عز وجل
على ذلك منه ، فقال الله للملائكة : ﴿ إِنِّ جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن ابن
إسحاق ، عن خَلَاد بن عطاء ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، قال : كان
إبليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه عَزَازِيل ، وكان من سكان
الأرض ، وكان من أشد الملائكة اجتهداً ، وأكثرهم علماً ، فذلك الذى
دعاه إلى الكبُر ، وكان من حى يسمون جنّاً .

وحدثنا به ابن حميد مرة أخرى ، قال : حدثنا سلمة ، عن
ابن إسحاق ، عن خلاد بن عطاء ، عن طاوس — أو مجاهد أبي الحجاج —
عن ابن عباس وغيره بنحوه ، إلا أنه قال : كان ملكاً من الملائكة اسمه عَزَازِيل ،
وكان من سكان الأرض وعُمَّارها ، وكان سكان الأرض فيهم يسمون الجنَّ
من بين الملائكة .

حدثنا ابن المنثى ، قال : حدثنا شيبان ، قال : حدثنا سَلَامٌ
ابن مسكين ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيَّب ، قال : كان إبليس رئيس
ملائكة سماء الدنيا .

* * *

والقول الثالث من الأقوال المروية عنه أنه كان يقول : السبب فى ذلك
أنه كان من بقايا خلق خلقهم الله عز وجل ، فأمرهم بأمر فأبوا طاعته ^(٣) . ٨٤/١

• ذكر الرواية عنه بذلك :

(١) : « فقال » .

(٢) : سورة البقرة ٣٠

(٣) : « فأبوا طاعته » .

حدثني محمد بن سنان القرّاز ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : إن الله خلق خلقاً فقال : اسجدوا لآدم ، فقالوا : لا نفعل ، قال : فبعث الله عليهم ناراً تُحرقهم ، ثم خلق خلقاً آخر فقال : إني خالق بشرأ من طين فاسجدوا لآدم ، فأبوا ، فبعث الله عليهم ناراً فأحرقهم ، قال : ثم خلق هؤلاء فقال : ألا تسجدوا لآدم^(١) ! قالوا : نعم ، قال : وكان إبليس من أولئك الذين أبوا أن يسجدوا لآدم .

* * *

وقال آخرون : بل السبب في ذلك أنه كان من بقايا الجنّ الذين كانوا في الأرض ، فسفكوا فيها الدماء ، وأفسدوا فيها ، وعصوا ربهم ، فقاتلتهم الملائكة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا أبو سعيد اليمحمديّ إسماعيل بن إبراهيم ، قال : حدثني سَوَّار بن الجعد اليمحمديّ ، عن شهر بن حوشب ، قوله : ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾^(٢) ، قال : كان إبليس من الجنّ الذين طردتهم الملائكة ، فأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السماء .

حدثني علي بن الحسن ، قال : حدثني أبو نصر أحمد بن محمد الخلال ، قال : حدثني سُتَيْد بن داود ، قال : حدثنا هُشَيْم ، قال : أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى ، عن موسى بن ثُمَيْر وعثمان بن سعيد بن كامل ، عن سعد ٨٥/١ ابن مسعود ، قال : كانت الملائكة تقاتل الجنّ فسبى إبليس ، وكان صغيراً ، وكان مع الملائكة يتعبد معهم ، فلما أمروا أن يسجدوا لآدم سجدوا وأبى إبليس ، فلذلك قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾^(٣) .

* * *

(١) ١ : « اسجدوا لآدم » .

(٢) سورة الكهف ٥٠

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب أن يقال كما قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ ^(١) ؛ وجائز أن يكون فسوقه عن أمر ربه كان من أجل أنه كان من الجن ، وجائز ^(٢) أن يكون من أجل إعجابه بنفسه لشدة اجتهاده كان في عبادة ربه ، وكثرة علمه ، وما كان أوفى من مُلك السماء الدنيا والأرض وخزن الجنان ^(٣) . وجائز أن يكون كان لغير ذلك من الأمور ، ولا يُدرَك ^(٤) علم ذلك إلا بخبر تقوم به الحجة ، ولا خبر في ذلك عندنا كذلك ، والاختلاف في أمره على ما حكينا ورويناه .

وقد قيل : إن سبب هلاكه كان من أجل أن الأرض كان فيها قبل آدم الجن ؛ فبعث الله إبليس قاضياً يقضى بينهم ، فلم يزل يقضى بينهم بالحق ألف سنة حتى سمي حَكَمًا ، وسماه الله به ، وأوحى إليه اسمه ، فعند ذلك دخله الكبير ، فتعظم وتكبر ، وألقى بين الذين كان الله بعثه إليهم حَكَمًا البأس والعداوة والبغضاء ، فاقتتلوا عند ذلك في الأرض النُفْسَ سنة فيما زعموا ؛ حتى إن خيولهم تخوض في دماهم ، قالوا : وذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَدْنٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ ^(٥) ؛ وقول الملائكة : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ ^(٦) ! فبعث الله تعالى عند ذلك ناراً فأحرقهم . قالوا : فلما رأى إبليس ما نزل بقومه من العذاب عرج إلى السماء ، فأقام عند الملائكة بعد الله في السماء مجتهداً لم يعبد شيئاً من خلقه مثل عبادته ، فلم يزل مجتهداً في العبادة حتى خلق الله آدم ، فكان من أمره ومعصيته ربه ما كان .

٨٦/١

(١) سورة الكهف ٥٠

(٢ - ٢) ساقط من ١ .

(٣) ر : « لا يدري » .

(٤) سورة ق ١٥

(٥) سورة البقرة ٣٠

القول في خلق آدم عليه السلام

وكان مما حدث في أيام سلطانه وملكه خلق الله تعالى ذكره أبانا آدم أبابشر؛ وذلك لما أراد جلّ جلاله أن يطلع ملائكته على ما قد علم من انطواء إبليس على الكبر ولم يعلمه الملائكة، وأراد إظهار أمره لهم حين دنا أمره للبوار، وملكه وسلطانه للزوال، فقال عزّ ذكره لما أراد ذلك للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، فأجابوه بأن قالوا [له] ^(١): ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ ^(٢)! فروى عن ابن عباس أن الملائكة قالت ذلك كذلك للذين ^(٣) قد كانوا عهدوا من أمر الجنّ الذين كانوا سكان الأرض قبل ذلك، فقالوا لربهم جلّ ثناؤه لما قال لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ^(٢) أتعجلُ فيها من يكون فيها مثل الجنّ الذين كانوا فيها، فكانوا يسفكون فيها الدماء ويُفسدون فيها ويعصونك، ونحن نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ، فقال الربّ تعالى ذكره لهم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ^(٣)، يقول: أعلم ما لا تعلمون من انطواء إبليس على التكبر، وعزّمه على خلافه أمرى، وتسويل نفسه له الباطل ^(٤) واغتراره، وأنا مبدي ذلك لكم منه لترؤا ذلك منه عياناً.

٨٧/١

وقيل أقوال كثيرة في ذلك، قد حكينا منها جُمُلاً في كتابنا المسمى: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» ^(٥)، فكرهنا إطالة الكتاب بذكر ذلك في هذا الموضع.

فلما أراد الله عز وجلّ أن يخلق آدم عليه السلام أمر بتربته أن تؤخذ من الأرض، كما حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا

(١) تكلّة من

(٢) سورة البقرة ٣٠

(٣) كذا في ١، وفي ط: «الذي».

(٤) ك: «بالباطل».

(٥) كذا في ط، وفي ١، ر، ك: «الفرقان».

بشر بن عمارة ، عن أبي رَوْق ، عن الضحَّاك ، عن ابن عباس ؛ قال : ثم أمر
 - يعنى الربّ تبارك وتعالى - بتربة آدم فرفعت ، فخلق الله آدم من طين
 لازب - واللازب اللَّزْج الطَّيِّب - من حَمَمٍ مَسْنُونٍ ؛ مُنْتِن ، قال :
 وإنما كان حَمَمًا مَسْنُونًا بعد التراب ، قال : فخلق منه آدم بيده .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال :
 حدثنا أسباط ، عن السُّدِّيِّ - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن
 أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهَمْدَانِيّ ، عن ابن مسعود - وعن ناس
 من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : قالت الملائكة : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا
 مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۚ قَالَ
 إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ يعنى من شأن إبليس ، فبعث الله جبرئيل عليه
 السلام إلى الأرض ليأتيه بطين منها ، فقالت الأرض : إني أعوذ بالله منك أن تنقص
 مني شيئاً وتشتيني ، فرجع ولم يأخذ ، وقال : يا رب إنها عاذت بك فأعذتها ،
 فبعث ميكائيل فعاذت منه فأعادها . فرجع ، فقال كما قال جبرئيل ،
 فبعث ملك الموت فعاذت منه ، فقال : وأنا أعوذ بالله أن أرجع ، ولم أنفذ
 أمره ، فأخذ من وجه الأرض ، وخلط فلم يأخذ من مكان واحد ، وأخذ من
 تربة حمراء وبيضاء وسوداء ، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين ، فصعد به فبسل
 التراب حتى عاد طيناً لازباً - واللازب هو الذى يلتزق ببعضه ببعض - ثم ترك
 حتى تغير وأثنى ، وذلك حين يقول : ﴿ مِنْ حَمَمٍ مَسْنُونٍ ﴾ ^(١) ، قال : مُنْتِن .

٨٨/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب القُصَمِيُّ ، عن جعفر بن أبي
 المغيرة ، عن سعيد بن جبَّير ، عن ابن عباس ، قال : بعث ربّ العزة عزّ
 وجلّ إبليس ، فأخذ من أديم الأرض ، من عذبتها ومِلِّحها ^(٢) ، فخلق منه آدم ،

(١) سورة الحجر ٢٦

(٢) ١ : « ومِلِّحها » .

ومن ثمَّ سُمِّيَ آدم ، لأنه خلق من أديم الأرض ، ومن ثمَّ قال إبليس :
﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾^(١) ، أى هذه الطينة أنا جئتُ بها .

حدثنا ابن المنثي ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا شعبة ، عن
أبي حصين ، عن سعيد بن جببّر ، قال : إنما سُمِّيَ آدم لأنه خلق من أديم
الأرض .

حدثني أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال :
حدثنا مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جببّر ، قال : خلق
آدم من أديم الأرض فُسِمِّيَ آدم .

حدثني أحمد بن إسحاق ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا
عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن عليّ رضي الله عنه ، قال :
إن آدم خلق من أديم الأرض ، فيه الطيب والصالح والردى ، فكلّ ذلك
أنت راء في ولده الصالح والردى .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلَيَّة ، عن عوف — وحدثنا
محمد بن بشار وعمر بن شبة ، قالوا : حدثنا يحيى بن سعيد ، قال :
حدثنا عوف . وحدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا ابن أبي عديّ ومحمد بن جعفر
وعبد الوهاب الثقفي ، قالوا : حدثنا عوف . وحدثني محمد بن عُمارة الأسديّ ،
قال : حدثنا إسماعيل بن أبان ، قال : حدثنا عَنَسْبَة ، عن عوف الأعرابي —
عن قَسَّامَة بن زُهَيْر ، عن أبي موسى الأشعريّ ، قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء
بنو آدم على قدر الأرض ؛ جاء منهم الأحمر ، والأسود ، والأبيض ، وبين
ذلك . والسهل ، والحزن ، والخبيث ، والطيب ، ثم بُلِّتْ طينته حتى صارت
طينا لازبا ، ثم تُرِكَتْ حتى صارت حمأ مسنونا ، ثم تُرِكَتْ حتى صارت صلصالا

(١) سورة الإسراء ٦١ ، والخبر في التفسير ١٥ : ٨٠ (بولاق) .

كما قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ (١).

وحدثنا ابن بَشَّار ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي ، قالا : حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم البَطِين ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، قال : خُلِقَ آدم من ثلاثة : من صلصال ، ومن حمى ، ومن طين لازب . فأما اللازب فالجيد ، وأما الحمى فالحمئة ، وأما الصلصال فالتراب المدقق ، ويعني تعالى ذكره بقوله : ﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾ ؛ من طين يابس له صلصلة ، والصلصلة : الصوت .

وذكر أن الله تعالى ذكره لما خَمَرَ طينة آدم تركها أربعين ليلة ، وقيل أربعين عاماً جسداً ملقى .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، عن أبي رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : أمر الله تبارك وتعالى بتربة آدم فرفعت ، فخلق آدم من طين لازب من حمى مسنون . قال : وإنما كان حمى مسنوناً بعد التراب ؛ قال : فخلق منه آدم بيده ، قال : فكث أربعين ليلة جسداً ملقى ، فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله ، فيصلل فيصوت ، قال : فهو قول الله تبارك وتعالى : ﴿مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ (٢) ؛ يقول : كالشيء المنفرج الذي ليس بمصمت ، قال : ثم يدخل في فيه ويخرج من دُبُرِهِ ، ويدخل في دُبُرِهِ ويخرج من فيه ، ثم يقول : لست شيئاً للصلصلة ، ولشيء مما خلقت ، ولئن سُلِّطْتُ عليك لأهلكنك ، ولئن سُلِّطْتُ على لأعصينك (٣) .

(١) سورة الحجر ٢٦

(٢) سورة الرحمن ١٤

(٣) الخبر في التفسير ٢٧ : ٧٣ (بولاق) .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حمّاد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهَمْدَانِيّ عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله للملائكة : ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ . فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ ^(١) ؛ فخلقه الله عز وجلّ بيديه لكيلا يتكبر إبليس عنه ^(٢) ليقول حين يتكبر : ^(٣) تتكبر عَمَّا عَمِلْتُ يَدَيَّ ولم أتكبر أنا عنه ! فخلقه بشراً ، فكان جسداً من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة ، فمرت به الملائكة ففرزوا منه لما رأوه ، وكان أشدّهم فرعاً إبليس ، فكان يمرّ به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخّار تكون له صلصلة ، فذلك حين يقول : ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ ، ويقول : لأمر ما خلقت . ودخل ٩١/١ من فيه وخرج من دُبُرِهِ ، فقال للملائكة : لا ترهبوا من هذا ؛ فإن ربكم صَمَدٌ ^(٤) وهذا أجوف ، لئن سلطت عليه لأُهلكنّه ^(٥) .

وحدثنا عن الحسن بن بلال ، قال : حدثنا حمّاد بن سلمة ، عن سليمان التيميّ ، عن أبي عثمان النهديّ ، عن سلمان الفارسيّ ، قال : حمّر الله تعالى طينة آدم عليه السلام أربعين يوماً ، ثم جمعه بيديه ، فخرج طيبه يمينه ، وخبيثه بشماله ، ثم مسح يديه إحداهما على الأخرى ، فخلط بعضه ببعض ، فنمّ ثم يخرج الطيب من الخبيث ، والخبيث من الطيب .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يقال - والله أعلم : خلق الله آدم ، ثم وضعه ينظر إليه أربعين يوماً ^(٦) قبل أن ينفخ فيه الروح ، حتى عاد صلصالاً كالفخّار ، ولم تمسه نار ^(٧) ، قال : فلما

(١) سورة ص ٧١ ، ٧٢

(٢) ر ، ن : « عليه » .

(٣) ط : « تكبر » .

(٤) الصمد ، بفتحين : المصمت الذي لا جوف له .

(٥) ر : « لأهلكنّه » .

(٦) ا : « عاماً » .

(٧) ن : « النار » .

مضى له من المدّة ما مضى وهو طين صلصال كالفخّار؛ وأراد عزّ وجلّ أن ينفخ فيه الروح؛ تقدّم إلى الملائكة فقال لهم: إذا نفختُ فيه من روحي فقَعُوا له ساجدين.

* * *

فلما نفخ فيه الروح أتته الروح من قبل رأسه، فيما ذكر عن السلف قبلنا أنهم قالوه.

* ذكر من قال ذلك :

حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السديّ - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس - وعن مرة الهمدانيّ، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: فلما بلغ الحين الذي أراد^(١) الله عزّ وجلّ أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة: إذا نفختُ فيه من روحي فاسجدوا له، فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح، في رأسه عطس، فقالت الملائكة: قل الحمد لله، فقال: الحمد لله، فقال الله عزّ وجلّ له: رحمك ربّك. فلما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام، فوثب قبل أن تبلغ الروح رجله عجلان إلى ثمار الجنة، فذلك حين يقول: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾^(٢)، ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾^(٣)، ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٤)، فقال الله له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾^(٥) لِمَا خلقتُ بيديّ، قال: أنا خير منه، لم أكن لأسجد لبشر خلقتة من طين، قال الله له: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾ - يعني ما ينبغي لك - ﴿أَنْ تَتَكَبَّرَ

٩٢/١

(١) ١: « يريد ».

(٢) سورة الأنبياء ٣٧

(٣) سورة الحجر ٣١

(٤) سورة البقرة ٣٤

(٥) سورة الأعراف ١٢

فِيهَا فَأَخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ^(١) ، والصَّغَارُ الذَّلَّ .

حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابن عباس ، قال : فلما نفخ الله عزَّ وجلَّ فيه - يعني في آدم - من روحه أتت النفخة من قبَل رأسه ، فجعل لا يجري شيء منها في جسده إلا صار لحماً ودماً ، فلما انتهت النفخة إلى سرته نظر إلى جسده فأعجبه ما رأى من حسنه ، فذهب لينهض فلم يقدر ، فهو قول الله عزَّ وجلَّ ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾^(٢) ، قال : ضجراً لا صبر له على سراء ولا ضراء ، قال : فلما تمت النفخة في جسده عطس فقال : الحمد لله ربَّ العالمين ، بإلهام الله ، فقال : يرحمك الله يا آدم ، ثم قال للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون الملائكة الذين في السموات : اسجدوا لآدم ، فسجدوا كلُّهم أجمعون إلا إبليس أبى واستكبر ، لما كان حدث به نفسه من كبره واغتراره ، فقال : لا أسجد ، وأنا خير منه وأكبر سنّاً ، وأقوى خلقاً ، ﴿ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾^(٣) ، يقول : إن النار أقوى من الطين ، قال : فلما أبى إبليس أن يسجد أبلسه الله تعالى ، أيَّسَّه^(٤) من الخير كله ، وجعله شيطاناً رجماً عقوبة لمعصيته .

حدثنا ابن حميد ، قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فيقال - والله أعلم - : إنه لما انتهى الروحُ إلى رأسه عطس فقال : الحمد لله ، قال : فقال له ربه : يرحمك ربك ، ووقعت الملائكة حين استوى سجوداً له ، حفظاً لعهد الله الذي عهد إليهم ، وطاعة لأمره الذي أمرهم به ، وقام عدو الله إبليس من بينهم ، فلم يسجد متكبراً^(٥) متعظماً بغياً وحسداً ، فقال : ﴿ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي ﴾ إلى قوله : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ

(١) سورة الأعراف ١٣

(٢) سورة الأنبياء ٣٧

(٣) سورة ص ٧٦

(٤) ن : « وآيسه » ، ا : « آيسه » .

(٥) ا : « مكابراً » .

جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَتَّبِعُكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ^(١)، قال: فلما فرغ الله تعالى من إبليس ومعاتبته وأبى إلا المعصية أوقع الله تعالى عليه اللعنة، وأخرجه من الجنة.

حدثني محمد بن خلف، قال: حدثنا آدم بن أبي إياس، قال: حدثنا أبو خالد سليمان بن حيّان، قال: حدثني محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي، عليه السلام. قال أبو خالد: [وحدثني الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه] . قال أبو خالد: وحدثني داود بن أبي هند عن الشعبي، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال أبو خالد: وحدثني ابن أبي ذباب الدوسي، قال: حدثني سعيد المقبري، ويزيد بن هرم عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه أنه قال: «خلق الله عز وجل آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا له، فجلس فعطس فقال: الحمد لله، فقال له ربه: يرحمك ربك، إيت أولئك الملائكة فقال لهم: السلام عليكم. فأتاهم فقال: السلام عليكم، فقالوا له: وعليك السلام ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه عز وجل فقال له: هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم. فلما أظهر إبليس من نفسه ما كان له مخفياً فيها من الكبر والمعصية لربه، وكانت الملائكة قد قالت لربها عز وجل حين قال لهم: إني جاعل في الأرض خليفة: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك. فقال لهم ربهم: إني أعلم ما لا تعلمون، تبين لهم ما كان عنهم مستتراً، وعلموا أن فيهم من منه المعصية لله عز وجل والخلاف لأمره.

* *

ثم علّم الله عز وجل آدم الأسماء كلها. واختلف السلف من أهل العلم قبلنا في الأسماء التي علّمها آدم: أخصاً من الأسماء علّم، أم عاماً؟ فقال بعضهم: علّم اسم كل شيء.

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر ابن عمار ، عن أبي رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : علم الله تعالى آدم الأسماء كلها ، وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس : إنسان ، ودابة ، وأرض ، وسهل ، وبحر ، وجبل ، وحمار ؛ وأشبه ذلك من الأمم وغيرها .

حدثني أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد ، حدثنا شريك ، عن عاصم بن كليب ، عن الحسن بن سعد ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ^(١) ، قال : علمه اسم كل شيء ، حتى الفسوة والفسية .

حدثني علي بن الحسن ، حدثنا مسلم الجرمي ^(٢) ، قال : حدثنا محمد بن مصعب ، عن قيس بن الربيع ، عن عاصم بن كليب ، عن سعيد بن معبد ، عن ابن عباس في قول الله عز وجل : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ قال : علمه اسم كل شيء حتى الهنة والهنية ، والفسوة والضرطة .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ابن ميمون ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله عز وجل : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ قال : ما خلق الله تعالى كله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفیان ، عن خصيف ، عن مجاهد : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ قال : علمه اسم كل شيء .

(١) سورة البقرة ٣١

(٢) ط : « وحدثنا مسلم » ؛ والصواب ما أثبتته عن ١ ، والتفسير ١ : ٤٨٤

حدثنا سفيان ، قال : حدثنا أبي ، عن شريك ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبّير ، قال : علّمه اسم كل شيء ؛ حتى البعير ، والبقرة ، والشاة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله عز وجل : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ، ٩٦/١ قال : علّمه اسم كل شيء : هذا جبل ، وهذا بحر ، وهذا كذا ، وهذا كذا ، لكل شيء ، ثم عرضهم ^(١) على الملائكة ، فقال : ﴿ أَنْدَبْتُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ^(٢) .

حدثنا بشر بن معاذ ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، قوله عز وجل : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ حتى بلغ ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ ^(٣) ، قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فأبأ كل صنف من الخلق باسمه ، وألجأه إلى جنسه .

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين [بن داود] ^(٤) ، قال : حدثنا حجاج ، عن جرير بن حازم ومبارك ، عن الحسن وأبي بكر ، عن الحسن وقتادة ، قالا : علّمه اسم كل شيء ؛ هذه الخيل ، وهذه البغال ، والإبل ، والخن ، والوحش ، وجعل يسمي كل شيء برسمه .

* * *

وقال آخرون : بل إنما علّم اسما خاصا من الأسماء ^(٥) ، قالوا : والذي علّمه أسماء الملائكة .

• ذكر من قال ذلك :

(١) كذا في ط ، وفي ا ، ر ، س : « ثم عرض تلك الأسماء » .

(٢) سورة البقرة ٣١ .

(٣) سورة البقرة ٣٢ .

(٤) تكلمة من ا

(٥) ن : « الأشياء » .

حدثني عبدة المروزي ، قال : حدثنا عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع^(١) ، قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ، قال : أسماء الملائكة .

وقال آخرون مثل قول هؤلاء في أن الذي علّم آدم [من]^(٢) الأسماء [اسما]^(٣) خاصاً من الأشياء ، غير أنهم قالوا : الذي علّم من ذلك أسماء ذريته .
 * ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله عز وجل : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ، قال : أسماء ذريته ، فلما علّم الله آدم الأسماء كتّما عرض الله عز وجل أهل الأسماء على الملائكة ، فقال لهم : ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٤) ، وإنما قال ذلك عز وجل للملائكة - فيما ذكر - لقولهم إذ قال لهم : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾^(٥) فعرض - بعد أن خلق آدم عليه السلام ونفخ فيه الروح ، وعلمه أسماء كل شيء - مما^(٦) خلق من الخلق - عليهم ، فقال لهم : أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين أني إن جعلت منكم خليفة في الأرض أطعتموني وسبّحتموني وقدمتموني ولم تعصوني ، وإن جعلته من غيركم أفسد فيها وسفك ، فإنكم إن لم تعلموا ما أسماؤهم وأنتم مشاهدوهم ومعاينوهم ، فأنتم بالآل تعلموا ما يكون من أمرهم - إن جعلت خليفة في الأرض منكم ، أو من غيركم إن جعلته من غيركم ، فوهم عن أبصاركم غيب لا ترونهم ولا تعابنهم ، ولم تخبروا بما هو كائن منكم ومنهم - أحرى .

* * *

(١) هو أبو جعفر الرازي ، والربيع هو ابن أنس ، وانظر تهذيب التهذيب ٣ : ٢٢٨ ،

١٢ : ٥٦ .

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

(٣) تكملة من ١ .

(٤) سورة البقرة ٣١ . (٥) ط « ما خلق » وما أثبتته من ١ ، ر .

وهذا قول روى عن جماعة من السلف .

* ذكر بعض من روى ذلك عنه :

٩٨/١

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثني عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن عبد الله بن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أَنْ بَنَى آدَمُ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَيَسْفِكُونَ الدَّمَاءَ .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ لِمَ أَجْعَلُ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً .

* * *

وقد قيل : إِنْ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ قَالَ ذَلِكَ لِلْمَلَائِكَةِ لِأَنَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ لَمَّا ابْتَدَأَ فِي خَلْقِ آدَمَ قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ : لِيَخْلُقَ رَبُّنَا مَا شَاءَ أَنْ يَخْلُقَ ، فَلَنْ يَخْلُقَ خَلْقًا إِلَّا كُنَّا أَعْلَمُ مِنْهُ ، وَأَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ ، فَلَمَّا خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَعَلَّمَهُ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ عَرَضَ الْأَشْيَاءَ الَّتِي عَلَّمَ آدَمَ أَسْمَاءَهَا عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي قِيلِكُمْ : إِنْ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ خَلْقًا إِلَّا كُنْتُمْ أَعْلَمُ مِنْهُ ، وَأَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة : قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ، فاستشار الملائكة في خلق آدم عليه السلام فقالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ ، وقد علمت الملائكة من علم الله أنه لا شيء أكره إلى الله عز وجل من سفك الدماء والفساد في الأرض ،

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٩٩/١ ،
فكان^(١) في علم الله عز وجل أنه سيكون من تلك الخليفة^(٢) أنبياء ورسول وقوم
صالحون وساكنو الجنة .

قال : وذُكر لنا أن ابن عباس كان يقول : إن الله تعالى لما أخذ في خلق
آدم قالت الملائكة : ما الله تعالى بخالق خلقاً أكرم عليه منا ، ولا أعلم
منا ، فابتلوا بخلق آدم عليه السلام - وكل خلق مبتلى ، كما ابتليت
السموات والأرض بالطاعة - فقال الله تعالى : ﴿إِنِّي بَالِغٌ أَمْرِي وَإِنِّي فَاعِلٌ دِينِي﴾^(٣) .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثني حجاج ،
عن جرير بن حازم ، ومبارك عن الحسن وأبي بكر عن الحسن وقتادة
قالا : قال الله عز وجل للملائكة : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾
قال لهم : إني فاعل ، فعرضوا برأيهم ، فعلمهم علماً وطوى منهم علماً عليه
لا يعلمونه ، فقالوا بالعلم الذي علمهم : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ
الدِّمَاءَ﴾ - وقد كانت الملائكة علمت من علم الله تعالى أنه لا ذنب
عند الله تعالى أعظم من سفك الدماء - ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ
قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ، فلما أخذ تعالى في خلق آدم عليه السلام
همست الملائكة فيما بينهم ، فقالوا : ليخلق ربنا عز وجل ما شاء أن يخلق ، فلن يخلق
خلقاً إلا كنا أعلم منه ، وأكرم عليه منه ، فلما خلقه ونفخ فيه من روحه أمرهم
أن يسجدوا له لما قالوا ، ففضله عليهم ، فعلموا أنهم ليسوا بخير منه ، فقالوا :
إن لم نكن خيراً منه ، فنحن أعلم منه ، لأننا كنا قبله ، وخلقنا الأُم قبله ،

(١) ط : « وكان » وما أثبتته من أ .

(٢) كذا في أ : وفي ط « من ذلك الخليفة » .

(٣) سورة فصلت ١١

فلما أعجبوا بعلمهم ابتلوا ، فعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال : أنبئوني بأسماء هؤلاء ؛ إن كنتم صادقين أنسى لم^(١) أخلق خلقاً إلا كنتم أعلم منه ، فأخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا^(٢) : ففرع القوم إلى التوبة ، وإليها يفرع كل مؤمن ، فقالوا : ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ . قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ^(٣) . لقولهم : لِيَخْلُقَ رَبُّنَا مَا شَاءَ ، فلن يخلق خلقاً أكرم عليه منّا ، ولا أعلم منا ، قال : علمه اسم كل شيء : هذه الخيل ، وهذه البغال ، والإبل ، والجن ، والوحش ، وجعل يسمي كل شيء باسمه ، وعرضت عليه أمة أمة ، قال : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ ، قال : أما ما أبدوا فقولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ ؛ وأما ما كنتموا فقولهم^(٤) بعضهم لبعض : نحن خير منه وأعلم .

حدثنا عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه^(٥) ، عن الربيع بن أنس : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ ؛ قال : وذلك حين قالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ إلى قوله ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . قال : فلما عرفوا أنه جاعل في الأرض خليفة قالوا بينهم : لن يخلق الله تعالى خلقاً إلا كنا نحن أعلم منه وأكرم عليه ، فأراد الله تعالى أن يخبرهم أنه قد فضل عليهم آدم ، وعلمه الأسماء كلها ؛ وقال

١٠١/١

(١) ١ : « لا أخلق » .

(٢) ط : « قال » وما أثبتته عن ١ .

(٣) سورة البقرة ٣٢ ، ٣٣ .

(٤) ١ ، ن : « فقول بعضهم » . (٥) هو أبو جعفر الرازي (عيسى بن أبي عيسى) .

للملائكة : ﴿ اُنْسِبُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ إلى ﴿ وَأَعْلَمْ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ ، فكان الذي أبدوا حين قالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ ، وكان الذي كتموا بينهم [قولهم] ^(١) : لن يخلق ربنا خلقاً إلا كئناً نحن أعلم منه وأكرم ، فعرفوا أن الله عز وجل فضل عليهم آدم في العلم والكرم .

فلما ظهر للملائكة من استكبار إبليس ما ظهر ، ومن خلافه أمر ربه ما كان مستتراً عنهم من ذلك ، عاتبه ^(٢) ربه على ما أظهر من معصيته إياه بتركه السجود لآدم ، فأصر على معصيته ، وأقام على غيه ^(٣) وطغيانه — لعنه الله — فأخرجه من الجنة ، وطرده منها ، وسلبه ما كان أتاه من ملك السماء الدنيا والأرض ، وعزله عن خزان الجنة فقال له جل جلاله : ﴿ فَأَخْرِجْ مِنْهَا ﴾ ، يعنى من الجنة ﴿ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ » وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ^(٤) ، وهو بعد في السماء لم يهبط إلى الأرض .

وأسكن ^(٥) الله عز وجل حينئذ آدم جنته ؛ كما حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي — في خبر ذكره — عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الحممدي عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأخرج إبليس من الجنة حين لعن وأسكن آدم الجنة ، فكان يمشي فيها وحشياً ^(٦) ليس له زوج يسكن إليها ، فنام نومة فاستيقظ ؛ فإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه ، فسألها : ما أنت ؟ ^(٧) قالت : امرأة ، قال : ولم تخلقت ؟ قالت :

(١) تكلمة من أ

(٢) ط : « وعاتبه » ؛ وما أثبتته عن أ

(٣) س : « عيبه » .

(٤) سورة الحجر ٣٤ ، ٣٥

(٥) ط : « فأسكن » ، وما أثبتته عن أ

(٦) كذا في أ ، س ، وفي ط والتفسير : « وحشاً » .

(٧) ر والتفسير : « من أنت ؟ » .

لتسكن^(١) إلى ، قالت له الملائكة ينظرون ما بلغ علمه : ما اسمها يا آدم ؟ قال : حواء ، قالوا : لم سميت حواء ؟ قال : لأنها خلقت من شيء حتى ، فقال الله تعالى : ﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكَلَّا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ۖ ﴾ .^(٢)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة^(٣) ، عن ابن إسحاق ، قال : لما فرغ الله تعالى من معاتبة إبليس أقبل على آدم عليه السلام وقد علمه الأسماء كلها ، فقال : ﴿ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ إلى ﴿ وَأَعْلَمْ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾^(٤) ، قال : ثم ألقى السنّة على آدم - فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم - عن عبد الله بن العباس وغيره ، ثم أخذ ضيلعاً من أضلاعه من شقه الأيسر ، ولأم مكانها لحماً ، وآدم عليه السلام نائم لم يهت من نومته ، حتى خلق الله تعالى من ضيلعه تلك زوجة حواء ، فسوّاها امرأة ليسكن إليها ، فلما كشف عنه السنّة وهب من نومته رآها إلى جنبه ، فقال - فيما يزعمون والله أعلم : لحمي ودمي وزوجتي ، فسكن إليها ، فلما زوجه الله عز وجل وجعل له سكناً من نفسه ، قال له قبلاً^(٥) : ﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكَلَّا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ۖ ﴾ .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى^(٦) ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد^(٧) في قوله عز وجل : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا ۖ ﴾

١٠٣/١

(١) ر : « تسكن » .

(٢) سورة البقرة ٣٥ ، والخبر في التفسير ١ : ٥١٣ .

(٣) هو سلمة بن الفضل .

(٤) سورة البقرة ٣٣ ؛ وفي الأصول : إلى (إنك أنت المليم الحكيم) ؛ وهو من الآية التي قبلها .

(٥) قبلاً ، أي عياناً ، وانظر تفسير ابن كثير ١ : ٧٨ .

(٦) هو عيسى بن ميمون .

(٧) هو مجاهد بن جبر .

زَوْجَهَا^(١) . قال : حواء من قُصِيرَى^(٢) آدم ، وهونائم فاستيقظ فقال :
« أنا » بالنَّبْطِيَّة ، امرأة .

حدثنا المثنى^(٣) ، قال : حدثنا أبو حذيفة^(٤) ، قال : حدثنا شَيْبِلُ^(٥) ،
عن ابن أبي نَجِيحٍ ، عن مجاهد مثله .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيْعٍ ، قال : حدثنا
سعيد^(٦) ، عن قتادة : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ، يعني حواء ، خلقت من
آدم من ضِلَعٍ من أضلاعه .

(١) سورة النساء ١ .

(٢) القصيرى : أسفل الأضلاع .

(٣) المثنى بن إبراهيم الأمل .

(٤) أبو حذيفة (موسى بن مسعود الهنلى) .

(٥) شبل بن عباد الحللى .

(٦) سعيد بن أبي عروبة .

القول في ذكر امتحان الله تعالى أبانا آدم عليه السلام

وابتلائه إياه بما امتحنه به من طاعته، وذكر ركوب آدم معصية ربه بعد الذي كان أعطاه من كرامته وشريف المتلة عنده، ومكّنه في جنته من رغد العيش وهنيئه، وما أزال ذلك عنه، فصار من نعيم الجنة ولذيذ رغد العيش إلى نكد عيش أهل الأرض وعلاج الحرّاة والعمل بالمساحى والزراعة فيها.

فلما أسكن الله عز وجل آدم عليه السلام وزوجه أطلق لهما أن يأكلا كل ما شاء أكله من كل ما فيها من ثمارها، غير ثمر شجرة واحدة ابتلاء منه لهما بذلك، وليمضى قضاء الله فيهما وفي ذريتهما، كما قال عز وجل: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(١)، فوسوس لهما الشيطان حتى زين لهما أكل ما نهاهما ربهما عن أكله من ثمر تلك الشجرة، وحسن لهما معصية الله في ذلك، حتى أكلا منها؛ فبدت لهما من سوءاتهما ما كان مؤارياً^(٢) عنهما منها.

١٠٤/١

فكان^(٣) وصول عدو الله إبليس إلى تزيين ذلك لهما ما ذكر في الخبر الذي حدثني موسى بن هارون الهمداني، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدي - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود - وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قال: لما قال الله عز وجل لآدم: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، أراد إبليس أن يدخل عليهما الجنة

(١) سورة البقرة ٣٥

(٢) س: «متوارياً».

(٣) ١: «وكان».

فمنعه الخزنة، فأنى الحية؛ وهى دابة لها أربع قوائم، كأنها البعير؛ وهى كأحسن الدواب فكلّمها أن تدخله فى فيها حتى تدخل به إلى آدم، فأدخلته فى فيها، ففرت الحية على الخزنة [فدخلت] ^(١) وهم لا يعلمون، لِمَا أراد الله عزّ وجلّ من الأمر، فكلّمه من فيها ولم يبال كلامه، فخرج إليه فقال: ﴿يَا آدَمُ هَلْ أَذْكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ ^(٢)، يقول: هل أذك على شجرة إن أكلت منها كنت ملكاً مثل الله تبارك وتعالى أو تكوناً ^(٣) من الخالدين فلا تموتان أبداً. وحلف لهما بالله إني لكما لمن الناصحين، وإنما أراد بذلك أن يبدى ^(٤) لهما ما توارى عنهما من سوءاتهما بهتكت ^(٥) لباسهما، وكان قد علم أن لهما سوءة لما كان يقرأ من كتب الملائكة، ولم يكن آدم يعلم ذلك، وكان لباسهما الظُّفْر، فأبى آدم أن يأكل منها، فتقدمت حواء فأكلت، ثم قالت: يا آدم كُلْ؛ فإني قد أكلت، فلم يضرّنى، فلما أكل بدت لهما سوءاتهما، وطفقا يخضفان عليهما من ورق الجنة ^(٦).

حدثنا ابن حُميد، قال: حدثنا سَكَمَة، عن ابن إسحاق، عن ليث ابن أبي سليم، عن طاوس اليمانيّ، عن ابن عباس، قال: إن عدوّ الله إبليس عرض نفسه على دوابّ الأرض: أيها ^(٧) تحمله حتى تدخل به الجنة حتى يكلّم آدم وزوجه، فكلّ الدوابّ أبى ذلك عليه، حتى كلّم الحية، فقال لها: أمتنع من بنى آدم، فأنت فى ذمتي إن أنت أدخلتني الجنة، فجعلته بين نابيين من أنيابها ثم دخلت به، فكلّمهما من فيها ^(٨) وكانت كاسية تمشى على أربع قوائم، فأعراها الله تعالى وجعلها تمشى على بطنها، قال: يقول ابن عباس: اقتلوا حيث وجدتموها، وأخفروا ذمة عدوّ الله فيها ^(٩).

(١) تكلّة من ا

(٢) سورة طه ١٢٠

(٣) ا، س، ن: «أو تكون».

(٤) ا، ن والتفسير: «بذلك ليبدى» س؛ «ذلك ليبدى».

(٥) س: «لهتك».

(٦) الخبر فى التفسير ١: ٥٢٧.

(٧) س، ن: «أنها تحمله».

(٨) ا والتفسير: «من فيها».

(٩) الخبر فى التفسير ١: ٥٣٠.

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ^(١) ، قال : أخبرنا
 عمر بن عبد الرحمن بن مَهْرَب ^(٢) ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول :
 لما أسكن الله تعالى آدم وزوجته الجنة ، ونهاه عن الشجرة ، وكانت شجرة
 غصونُها متشعب بعضها في بعض ، وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم ^(٣) ، ١٠٦/١
 وهى الثمرة التى نهى الله عنها آدم وزوجته ، فلما أراد إبليس أن يستترلهما دخل
 فى جوف الحية ، وكان للحية أربع قوائم ، كأنها بُخْتِيئة من أحسن دابة
 خلقها الله تعالى ، فلما دخلت الحية الجنة خرج من جوفها إبليس ، فأخذ
 من الشجرة التى نهى الله عنها آدم وزوجته ، فجاء بها إلى حواء ، فقال :
 انظرى إلى هذه الشجرة ، ما أطيب ريحها ، وأطيب طعمها ، وأحسن لونها !
 فأخذت حواء فأكلت منها ، ثم ذهبت بها إلى آدم ، فقالت : انظر إلى هذه
 الشجرة ما أطيب ريحها ، وأطيب طعمها ، وأحسن لونها ! فأكل منها آدم ،
 فبدت لهما سَوَاتِمَا ، فدخل آدم فى جوف الشجرة ، فناداه ربُّه : يا آدم ،
 أين أنت ؟ قال : أنا هذا يا رب ، قال : ألا تخرج ؟ قال : أستحي منك
 يا رب ، قال : ملعونة الأرض التى خلقت منها لعنة حتى يتحول ثمارها شوكاً !
 قال : ولم يكن فى الجنة ولا فى الأرض شجرة كانت أفضل من الطلح والسدر .
 ثم قال : يا حواء ، أنت التى غررتِ عبدى ، فإنك لا تحمِلين حَمَلاً إلا
 حملته كرهاً ، فإذا أردت أن تضعى ما فى بطنك أشرفتِ على الموت مراراً . وقال
 للحية : أنت التى دخل الملعون فى بطنك حتى غرّ عبدى ، ملعونة أنت لعنة
 حتى تتحول قوائمك فى بطنك ، ولا يكن لك رزق إلا التراب ، أنتِ عدوة
 بنى آدم وهم أعداؤك ، حيث لقيت أحداً منهم أخذت بعقبه ، وحيث
 لقيك شدّخ رأسك ^(٤) .

(١) هو عبد الرزاق بن همام . (٢) فى ط : « معمر بن عبد الرحمن بن مهران » ؛
 وصوابه ما أثبتته من ١ ؛ وهو يوافق ما فى التفسير .

(٣) كذا فى ١ والتفسير ؛ وفى ط : « بخلداهم » .

(٤) الخبر فى التفسير ١ : ٥٢٥ ، وانظر حواشيه .

قيل لوهب^(١) : وما كانت الملائكة تأكل ؟ قال : يفعل الله ما يشاء .

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، ١٠٧/١
قال : حدثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : نهى
الله تعالى آدم وحواء أن يأكلا من شجرة واحدة في الجنة ، ويأكلا منها رغداً
حيث شاءا ، فجاء الشيطان فدخل في جوف الحية ، فكلتم حواء ، ووسوس
إلى آدم فقال : ﴿ مَا نَهَا كُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا
مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ۖ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾^(٢)
قال : فقطعت حواء الشجرة فدميت الشجرة ، وسقط عنهما ريشهما الذي كان عليهما ،
﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا
عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ أَعْدُوٌّ مُبِينٌ ﴾^(٣) لم أكلتها
وقد نهيتك عنها ؟ قال : يا رب أطعمتني حواء ، قال لحواء : لم أطعمتني ؟ قالت :
أمرتني الحية ، قال للحية : لم أمرتها ؟ قالت : أمرني إبليس ، قال : ملعونٌ مدحورٌ !
أما أنت يا حواء ، فكما أدميت الشجرة تدُميين في كل هلال ، وأما أنت
يا حية ، فأقطع قوائمك فتمشين جرياً على وجهك ، وسيشدخ رأسك من
لقيك بالحجر ، اهبطوا بعضكم لبعض عدو^(٤) .

حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي
جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : حدثني محدث أن الشيطان دخل الجنة
في صورة دابة ذات قوائم ، فكان يُرى أنه البعير ، قال : فلُعن ، فسقطت
قوائمه فصار حية^(٥) .

حدثت عن عمار ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن

(١) التفسير : « قال عمر قيل لوهب ... »

(٢) سورة الأعراف ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢

(٣) الخبر في التفسير ١ : ٥٣٠ .

(٤) الخبر في التفسير ١ : ٥٢٨

أبيه ، عن الربيع قال : وحدثني أبو العالية ؛ قال : إن من الإبل ما كان أولها من الجن . قال : فأبيحت له الجنة كلها - يعني آدم - إلا الشجرة ، وقيل لهما : ﴿ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾^(١) ، قال : فأتى الشيطان حواء فبدأ بها ، فقال : نهيتا عن شيء ؟ قالت : نعم ، عن هذه الشجرة ، فقال : ﴿ مَا نَهَا كَمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾^(٢) . قال : فبدأت^(٣) حواء فأكلت منها ، ثم أمرت آدم فأكل منها . قال : وكانت شجرة ، من أكل منها أحدث ، قال : ولا ينبغي أن يكون في الجنة حدث^(٤) ، قال : ﴿ فَازْلَمْهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾^(٥) ، قال : فأخرج آدم من الجنة^(٦) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم أن آدم عليه السلام حين دخل الجنة ورأى ما فيها من الكرامة ، وما أعطاه الله منها ؛ قال : لو أنا خلدنا^(٧) ! فاعتمز فيها منه الشيطان لما سمعها منه ، فأتاه من قبل الخلد^(٨) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حَدَّثْتُ^(٩) أن أول ما ابتدأهما به من كيدِهِ لِيَاْهُمَا أَنَّهُ نَاحَ عَلَيْهِمَا نِيَاْحَةً أَحْزَنْتُهُمَا^(١٠) حين سمعاها ، فقالا له : ما يُبْسِكِيكَ ؟ قال : أبكى عليكما ،

(١) سورة البقرة ٣٥

(٢) سورة الأعراف ٢٠

(٣) كذا في الأصول ، وفي التفسير : « فبدأت » .

(٤) ن : « شيء من الحدث » .

(٥) سورة البقرة ٣٦

(٦) الخبر في التفسير ١ : ٥٢٨

(٧) كذا في ط ؛ وفي ا ، س ، ن : « لو أن خلدا » ، وفي التفسير : « لو أن

خلدا كان » .

(٨) الخبر في التفسير ١ : ٥٢٨

(٩) الخبر في التفسير ١ : ٥٢٩

(١٠) ا ، س « حزنتهما » .

تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة . فوقع ذلك في أنفسهما ، ثم
 أتاهما فوسوس إليهما ، فقال : يا آدم هل أدلتك على شجرة الخلد وملك
 لا يبلى ؟ وقال : ﴿ مَا تَهَـكُّمَآ رَبُّكُمَا عَن هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا
 مَلَـكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ . وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكَمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿١٠٩/١﴾ ،
 أى تكونان ملكين أو تخلصان ، أى إن لم تكونا ملكين فى نعمة الجنة فلا تموتان (١)
 يقول الله عز وجل : ﴿ فَذَلَّلَاهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ .

حدثني يونس (٧) ، قال أخبرنا ابن وهب (٣) ، قال : قال ابن زيد (٤)
 فى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَوَسَّـوَسَ ﴾ : وسوس الشيطان إلى حواء فى الشجرة
 حتى أتى بها إليها ، ثم حسنها فى عين آدم ، قال : فدعاها آدم لحاجته ، قالت :
 لا : إلا أن تأتى ها هنا ، فلما أتى قالت : لا ، إلا أن تأكل من هذه الشجرة ،
 قال : فأكلا منها ، فبدت لهما سوءاتهما . قال : وذهب آدم هارباً فى الجنة ، فناداه
 ربه : يا آدم ، أمتى نفر ؟ قال : لا يارب ، ولكن حياءً منك ، قال : يا آدم ،
 أنتى أتيت ؟ قال : من قبل حواء يارب ، فقال الله عز وجل : فإن لها على أن أدميتها
 فى كل شهر مرة ، كما أدمت (٥) هذه الشجرة ، وأن أجعلها سفية ، وقد كنت
 خلقتها حليلة ، وأن أجعلها تحمل كرهاً وتضع كرهاً ، وقد كنت جعلتها
 تحمل يسراً وتضع يسراً . قال ابن زيد : ولولا البليّة التى أصابت حواء
 لكان نساء أهل الدنيا لا يحضن ، ولكن حليمات ، ولكن يحملن يسراً ،
 ويضعن يسراً (٦) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة (٧) ، عن محمد بن إسحاق ،
 عن يزيد بن عبد الله بن قيس ، عن سعيد بن المسيّب ، قال : سمعته يحلف
 بالله ما يستثنى : ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ، ولكن حواء سقته

(١) فى التفسير : « أى تكونا ملكين أو تخلصا إن لم تكونا ملكين » .

(٢) يونس بن عبد الأهل . (٣) هو عبد الله

(٤) هو عبد الرحمن زيد بن أسلم . (٥) الخبر فى التفسير ١ : ٥٢٩ .

(٦) فى التفسير : « كما أدميت » . (٧) هو سلمة بن الفضل الأبرش .

١١٠/١ الخمر حتى إذا سكير قادته إليها ، فأكل منها^(١) . فلما واقع آدم^(٢) وحواء الخطيئة ، أخرجهما الله تعالى من الجنة وسلبهما ما كانا فيه من النعمة والكرامة ، وأهبطهما وعدوهما إبليس والحية إلى الأرض ، فقال لهم ربهم : اهبطوا بعضكم لبعض عدو .

• • •

وكالذي قلنا في ذلك قال السلف من أهل العلم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثنا عبد الرحمن ابن مهدي ، عن إسرائيل^(٣) عن إسماعيل السدي ، قال : حدثني من سمع ابن عباس يقول : ﴿ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾^(٤) ، قال : آدم وحواء وإبليس والحية .^(٥)

حدثنا سفيان بن وكيع ، وموسى بن هارون ، قالوا : حدثنا عمرو ابن حماد ، عن أسباط ، عن السدي - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ ، فلعن الحية فقطع قوائمها ، وتركها تمشي على بطنها ، وجعل رزقها من التراب ، وأهبط إلى الأرض آدم وحواء وإبليس والحية .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله عز وجل : ﴿ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ ، قال : آدم وحواء وإبليس والحية^(٦) .

(١) - الخبر إلى هنا في التفسير ١ : ٥٣٠

(٢) ر : « فلما وقع من آدم » . (٣) إسرائيل بن يونس .

(٤) سورة البقرة ٣٦ .

(٥) الخبر في التفسير ١ : ٥٣٦ .

(٦) الخبر في التفسير ١ : ٥٣٥ .

القول في قدر مكث آدم في الجنة ووقت خلق الله عز وجل
إياه ووقت إهباطه إياه من السماء إلى الأرض

قد تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الله عز وجل
خلق آدم عليه السلام يوم الجمعة، وأنه أخرجه فيه من الجنة، وأهبطه إلى الأرض ١١١/١
فيه ، وأنه فيه تاب عليه ، وفيه قبضه .

* * *

• ذكر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك :
حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا علي
بن معبد ، قال : حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ،
عن عمرو بن شرحبيل عن سعيد بن سعد بن عبادة ، عن سعد بن عبادة ،
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن في الجمعة خمس خلال : فيه
خلق آدم ، وفيه أهبط إلى الأرض ، وفيه توفي الله آدم ، وفيه ساعة لا يسأل
العبد فيها ربه شيئاً إلا أعطاه الله إياه ؛ ما لم يسأل إثمًا أو قطيعة ، وفيه : تقوم
الساعة ، وما من ملك مقرب . ولا سماء ولا جبل ولا أرض ولا ريح ؛ إلا
مشفق من يوم الجمعة » .

حدثني محمد بن بشار ومحمد بن معمر ، قالا : حدثنا أبو عامر ، حدثنا
زهير بن محمد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن عبد الرحمن بن
يزيد الأنصاري ، عن أبي لبابة بن عبد المنذر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « سيد الأيام يوم الجمعة ، وأعظمها وأعظم عند الله من يوم الفطر ويوم
النحر ؛ وفيه خمس خلال : خلق الله تعالى فيه آدم ، وأهبطه فيه إلى الأرض ،
وفيه توفي الله تعالى آدم ، وفيه ساعة لا يسأل الله العبد شيئاً إلا أعطاه إياه ما لم
يكن حراماً . وفيه تقوم الساعة ؛ ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا جبال
ولا رياح ولا بحر إلا وهو مشفق من يوم الجمعة ، أن تقوم فيه الساعة » .
واللفظ لحديث ابن بشار .

حدثنا محمد بن معمر ، قال : حدثنا أبو عامر ، قال : حدثنا زهير
ابن محمد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن عمرو بن شرحبيل بن
سعيد بن سعد بن عبادة ، عن أبيه ، عن جده ، عن سعد بن عبادة ، أن
رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، أخبرنا عن يوم
الجمعة ، ماذا ^(١) فيه من الخير ؟ فقال : « فيه خُلِقَ آدم ، وفيه أهبط آدم ،
وفيه تُوَفِّي آدم ، وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئاً إلا أعطاه ^(٢) الله إياه ، ما لم
يسأل مأثماً أو قطيعة ، وفيه تقوم الساعة ، ما من ملك مقرب ولا سماء ولا
أرض ولا جبال ولا ريح إلا هنَّ يُشْفِقْنَ من يوم الجمعة » .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحَكَم ، قال : حدثنا
أبو زُرْعَةَ ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن الأعرج ،
أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير يوم طلعت
الشمس عليه يوم الجمعة ؛ فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة وأُخرج منها » .

حدثني بحر بن نصر ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن أبي
الزناد ، عن أبيه ، عن موسى بن أبي عثمان ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « سيدُ الأيام يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل
الجنة ، وفيه أُخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة » .

١١٣/١

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : حدثنا شعيب بن اللَّيْث ، قال : حدثنا
اللَّيْث بن سعد ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن هُرْمَز ، أنه
قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم
تطلع الشمس على يوم مثل يوم الجمعة ؛ فيه خلق آدم ، وفيه أُخْرِج من الجنة ،
وفيه أُعيد فيها » .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : حدثنا جرير ، عن منصور ومغيرة ، عن
زياد بن كليب أبي معشر ، عن إبراهيم ، عن القُرَظَع الضَّبِّي — وكان القرظع

(١) : « ما روى فيه » .

(٢) : « آتاه الله » .

من القراء الأولين — قال : قال سلمان : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« يا سلمان ، أتندرى ما يوم الجمعة ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم ، يقولها ثلاثاً :
« يا سلمان ، أتندرى ما يوم الجمعة ؟ فيه جمّع أبوك » ، أو « أبوكم » .

حدثنى محمد بن عُمارة الأسديّ ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى
قال : أخبرنا شيبان ، عن يحيى ، عن أبي سلمة ، أنه سمع أبا هريرة ١١٤/١
يحدث أنه سمع كعباً يقول : خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه
خلق آدم عليه السلام ، وفيه دخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، وفيه تقوم الساعة .

حدثنى الحسين بن يزيد الآدميّ^(١) ، قال : حدثنا روح بن عبادة ،
قال : حدثنا زكرياء بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، عن عبيد بن عمير ،
قال : إن أول يوم طلعت فيه شمس يوم الجمعة ، وهو أفضل الأيام : فيه
خلق الله تعالى ذكره آدم ، خلقه على مثل صورته ، فلما فرغ عطس آدم فألقى
الله تعالى عليه الحمد ، فقال الله : يرحمك ربك .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا إسحاق بن منصور ، عن أبي كُدَيْسَةَ ،
عن مغيرة ، عن زياد ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن القرّئع ، عن
سلمان ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتندرى ما يوم الجمعة ؟
هو يوم جمّع فيه أبوك » ، أو « أبوكم آدم » عليه السلام .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، عن أبي الأحوص ،
عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن علقمة^(٢) ، قال : قال سلمان . قال لى رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « يا سلمان ، أتندرى ما يوم الجمعة ؟ » مرتين أو
ثلاثاً ، قال : « هو اليوم الذى جمّع فيه أبوكم آدم » ، أو « جمّع فيه أبوكم » .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا حسن بن عطية ، قال : حدثنا
قيس ، عن الأعمش ، عن إبراهيم . عن القرّئع ، عن سلمان ، قال : قال

(١) س : « زيد » ، ب : « الحسن بن يزيد الأزدي » ؛ ولم يقع لى وجه الصواب
فيما لى من كتب التراجم . (٢) علقمة بن قيس .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتدري ما الجمعة ^(١) » ؟ أو قال : كذا ،
« فيها جمَعَ أبوكم آدم » .

حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق ، قال : سمعت أبي يقول :
أنخبرنا أبو حمزة ^(٢) ، عن منصور ^(٣) ، عن إبراهيم ^(٤) ، عن القرظي ^(٥) ،
عن سلمان ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتدري ما يوم
الجمعة ؟ » قلت : لا ، قال : « فيه جمع أبوك » .

تدري

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « ما يوم الجمعة » .

(٢) محمد بن ميمون أبو حمزة السكري .

(٣) منصور بن المعتمر .

(٤) إبراهيم النخعي .

(٥) القرظي الفهري .

ذكر الوقت الذى فيه خلق آدم عليه السلام من يوم الجمعة والوقت الذى أهبط إلى الأرض

اختلف فى ذلك ، فروى عن عبد الله بن سلام وغيره فى ذلك ما حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير يوم طلعت فيه ^(١) الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أسكن الجنة ، وفيه أهبط ، وفيه تقوم الساعة ، وفيه ساعة — [يقتلها] — ^(٢) لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها خيراً إلا آتاه الله إياه » ، فقال عبد الله بن سلام : قد علمت أى ساعة هى ، هى آخر ساعات النهار من يوم الجمعة ، قال الله عز وجل : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ^(٣) .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا المحاربى وعبد بن سليمان وأسد بن عمرو ، عن محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه ، وذكر فيه كلام عبد الله بن سلام بنحوه .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قوله عز وجل : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ، قال : قول آدم حين خلق بعد كل شيء آخر النهار من يوم [الجمعة] ^(٤) ؛ خلق الخلق ، فلما أحيا الروح عينيه ولسانه ورأسه ولم يبلغ أسفله ، قال : يا رب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس .

(١) ن : « عليه » .

(٢) تكله من ا ، والتفسير ، وفى ابن كثير : « يقبض أصابعه يقتلها » .

(٣) سورة الأنبياء ٣٧ ، والتجويد فى التفسير ١٧ ، ٢١ (يولات) . وتفسير ابن كثير ٣ : ١٧٩ .

(٤) تكله من ا ، س .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا الحسن ^(١) ، قال : حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : قال مجاهد : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ، قال : آدم حين خُلِقَ بعد كل شيء ، ثم ذكره نحوه ؛ غير أنه قال في حديثه : استعجل بخلقي ، قد غربت الشمس .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ، قال : على عجل خلق آدم آخر ذلك اليوم من ذينك اليومين - يريد يوم الجمعة - وخلق على عَجَلَةٍ ^(١) وجعله عجولا .

* * *

وقد زعم بعضهم أن الله عز وجل أسكن آدم وزوجته الفردوس لساعتين مَضْمَنَ نهار يوم الجمعة ، وقيل لثلاث ساعات مَضْمِنَ منه ، وأهبطه إلى الأرض لسبع ساعات مضين من ذلك اليوم ، فكان مقدار مَكْمَنَهُما في الجنة خمس ساعات منه . وقيل : كان ذلك ثلاث ساعات . وقال بعضهم : أخرج آدم عليه السلام من الجنة الساعة التاسعة أو العاشرة

* ذكر من قال ذلك :

١١٧/١

قال أبو جعفر : قرأتُ على عبدان بن محمد المروزي ، قال : حدثنا عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أنس عن أبي العالية ، قال : أخرج آدم من الجنة للساعة التاسعة أو العاشرة ، فقال لي : نعم ؛ لخمسَةِ أيام مضين من نَيْسَان .

فإن كان قائل هذا القول أراد الله أن تبارك وتعالى أسكن آدم وزوجته الفردوس لساعتين مضتا من نهار يوم الجمعة من أيام أهل الدنيا التي هي على

(١) هو الحارث بن محمد روى عن الحسن بن موسى الأشيب . تاريخ بغداد ٢ : ٢١٨ .

(٢) ١ : « عجل » .

ما [هى] ^(١) به اليوم ؛ فلم يبعد قوله من الصواب فى ذلك ؛ لأن الأخبار إذا كانت واردة عن السلف من أهل العلم ، بأن آدم خلّق فى آخر ساعة من اليوم السادس من الأيام التى مقدار اليوم الواحد منها ^(٢) ألف سنة من سنيننا . فعلوم أن الساعة الواحدة من ساعات ذلك اليوم ثلاثة وثمانون عاماً من أعوامنا ، وقد ذكرنا أن آدم بعد أن خَمَر ربنا عزّ وجلّ طيبته بقى قبل أن ينفخ فيه الروح أربعين عاماً ؛ وذلك لا شك أنه عَنَى به من أعوامنا وسنيننا ، ثم [من] ^(١) بعد أن نفخ فيه الروح إلى أن تنهى أمره ، وأُسكن الفردوس ، وأهبط إلى الأرض - غير مستنكر أن يكون كان مقداره من سنيننا قدر خمس وثلاثين سنة . فإن كان أراد أنه أُسكن الفردوس لساعتين مضتا من نهار يوم الجمعة من الأيام التى مقدار اليوم الواحد منها ^(٢) ألف سنة من سنيننا ، فقد قال غير الحق ، وذلك أن جميع مَنْ حَفِظَ له قول فى ذلك من أهل العلم ؛ فإنه كان يقول إن آدم نفخ فيه الروح فى آخر النهار من يوم الجمعة قبل غروب الشمس من ذلك اليوم . ثم الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متظاهرة بأن الله تبارك وتعالى أسكنه الجنة فيه ، وفيه أهبطه إلى الأرض . فإن ^(٣) كان ذلك صحيحاً ، فعلوم أن آخر ساعة من نهار يوم من أيام الآخرة ومن الأيام التى اليوم الواحد منها مقداره ألف سنة من سنيننا ، إنما هى ساعة بعد مَضَى إحدى عشرة ساعة ، وذلك ساعة من اثنتى عشرة ساعة ، وهى ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر من سنيننا ؛ فآدم صلوات الله عليه إذ كان الأمر كذلك ؛ إنما خلّق لمضى إحدى عشرة ساعة من نهار يوم الجمعة من الأيام التى اليوم الواحد منها ^(٢) ألف سنة من سنيننا ، فكث جسداً ملقى لم يُنفخ فيه الروح أربعين عاماً من أعوامنا . ثم نفخ فيه الروح . فكان مكثه فى السماء بعد ذلك ومقامه فى الجنة ؛ إلى أن أصاب الخطيئة وأهبط إلى الأرض ثلاثاً وأربعين سنة من سنيننا وأربعة أشهر ، وذلك ساعة من ساعات يوم من الأيام الستة التى خلق الله تعالى فيها الخلق .

(١) تكلمة من أ

(٢) فى الأصول : « منه » .

(٣) ١ : « فإذ » .

وقد حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال :
حدثنا هشام بن محمد ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ،
قال : خرج آدم من الجنة بين الصلاتين : صلاة الظهر وصلاة العصر ،
فأنزل إلى الأرض وكان مكثه في الجنة نصف يوم يوم من أيام الآخرة ، وهو
خمسائة سنة ، من يوم كان مقداره اثنتي عشرة ساعة ، واليوم ألف سنة
مما يعدّ أهل الدنيا ، وهذا أيضاً قولٌ خلاف ما وردت به الأخبار عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وعن السلف من علمائنا .

القول في الموضع الذي أهبط آدم وحواء إليه من الأرض حين أهبطا إليها

ثم إن الله عز وجل أهبط آدم قبل غروب الشمس من اليوم الذي خلقه فيه — وذلك يوم الجمعة — من السماء مع زوجته ، وأنزل آدم — فيما قال علماء سلف أمة نبينا صلى الله عليه وسلم — بالهند .
• ذكر من حضرنا ذكره ممن قال ذلك منهم :

٢٢٠ — حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال :
أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : أهبط الله عز وجل آدم إلى الأرض ، وكان ١٢٠/١
مهبطه بأرض الهند .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : حدثنا عمران بن عيينة ، قال : أخبرنا
عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : إن أول ما
أهبط الله تعالى آدم أهبطه بدهنا أرض الهند .

حدثت عن حماد ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ،
عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال : أهبط آدم إلى الهند .

حدثني ابن سنان ، قال : حدثنا الحجاج ، قال : حدثنا حماد بن
سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال :
قال علي بن أبي طالب عليه السلام : أطيب أرض في الأرض ريحا أرض
الهند ، أهبط بها آدم ، فعلق شجرها من ريح الجنة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا هشام بن
محمد ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : أهبط آدم
بالهند ، وحواء بجدة ، فجاء في طلبها حتى اجتمعا^(١) ، فازدلفت إليه حواء ، فلذلك

(١) ن : « جمعا » ، س : « جمعا » .

سميت المزدلفة ، وتعارفا بعرفات ، فلذلك سميت عرفات ، واجتمعا بجمْع
فلذلك سميت جمْعاً . قال : وأهبط آدم على جبل بالهند يقال له بَوْذ .

حدثنا أبو همام^(١) ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا زياد بن خيثمة ،
عن أبي يحيى بائع القَتِّ ، قال : قال لي مجاهد : لقد حدثنا عبد الله بن عباس
أنَّ آدمَ نزل حين نزل بالهند .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وأما
أهلُ التوراة فإنهم قالوا : أهبط آدم بالهند على جبل يقال له واسم^(٢) ، عند
واد يقال له بهيل^(٣) بين الدَّهْنَجِ والمندل : بلدين بأرض الهند . قالوا :
وأهبطت حواء بجُذَّة من أرض مكة .

وقال آخرون : بل أهبط آدم بَسْرَنْدِيب ، على جبل يدعى بَوْذ، وحواء
بجُذَّة من أرض مكة ، وإبليس بمِيسَانَ^(٤) ، والحية بأصْبَهَانَ . وقد قيل : أهبطت
الحية بالبرِّيَّة ، وإبليس بساحل بحر الأُبُلَّة^(٥) .

وهذا مما لا يوصل إلى علم صحته إلا بخبر يحيى عجيء الحجة ، ولا يُعلم خبر
في ذلك ورد كذلك ؛ غير ما ورد من خبر هبوط آدم بأرض الهند ؛ فإن ذلك
مما لا يدفع صحته علماء^(٦) الإسلام وأهل التوراة والإنجيل ، والحجة قد ثبتت
بأخبار بعض هؤلاء

وذُكِرَ أن الجبل الذي أهبط عليه آدم عليه السلام ذرُوتُه من أقرب ذُرَا
جبال الأرض إلى السماء ، وأن آدم حين أهبط عليه كانت رجلاه عليه ورأسه
في السماء يسمع دعاء الملائكة وتسبيحهم ؛ فكان آدم يأنس بذلك ، وكانت

(١) هو أبرهمام الوليد بن شجاع ، وشجاع هو ابن الوليد بن قيس .

(٢) واسم ، ذكره ياقوت ، وقال : « جبل بين الدهنج والمندل من أرض الهند » .

(٣) ر : « نهيل » .

(٤) ميسان ، بالفتح ثم السكون : اسم لكورة واسعة بين البصرة وواسط . معجم البلدان

٨ : ٢٢٤ .

(٥) الأبلَّة ، بضم أوله وتشديد اللام وفتحها : بلد على شاطئ دجلة بالبصرة . معجم

البلدان ١ : ٨٩ .

الملائكة تهابه ، فنُقِصَ من طول آدم لذلك .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا هشام بن حسان ، عن سَوَّارِ بْنِ عَطَاءٍ ، عن عطاء بن أبي رباح ، قال : لما أهبط الله عز وجل آدم من الجنة كان رجلاً في الأرض ، ورأسه في السماء ، ١٢٢/١ يسمع كلام أهل السماء ودعائهم ، يأنس إليهم ، فهابته الملائكة حتى شَكَتْ إلى الله تعالى في دعائها وفي صلاتها ، فحفضه إلى الأرض ، فلما فقد ما كان يسمع منهم استوحش حتى شكَا ذلك إلى الله عز وجل في دعائه وفي صلاته ، فَوُجِّهَ إلى مكة فصار ^(١) موضع قدمه قرية ، وَخُطُّوْهُ ^(٢) مفازة ، حتى انتهى إلى مكة ، وأنزل الله تعالى ياقوتة من ياقوت الجنة ، فكانت على موضع البيت الآن ، فلم يزل يطوف به حتى أنزل الله تعالى الطوفان ، فرفِعت تلك الياقوتة حتى بعث الله تعالى إبراهيم الخليل عليه السلام فبناه ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ ^(٣) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ^(٤) ، عن قتادة ، قال : وضع الله تعالى البيت مع آدم ، فكان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض ، فكانت الملائكة تهابه ، فنُقِصَ إلى ستين ذراعاً ، فحزن آدم إذ فقد أصوات الملائكة وتسييحهم ، فشكا ذلك إلى الله ، فقال الله : يا آدم ، إنني أهبط لك ^(٥) بيتاً تطوف به كما يُطَاف حول عرشي ، وتصلني عنده كما يصلني عند عرشي . فانطلق إليه آدم عليه السلام ، فخرج ومُدَّ له في خطوه ، فكان بين كل خطوة مفازة ، فلم تزل تلك المفاوز ^(٦) بعد ذلك ، فأنى آدم عليه السلام البيت ، فطاف به ومن بعده ^(٧) الأنبياء .

(١) ١ : « فكان » .

(٢) ١ : « وخطوه » .

(٣) سورة الحج ٢٦ (٤) معمر بن راشد البحراني .

(٥) ن : « اليك » .

(٦) س : « المفازة » .

(٧) تكملة من ١ ، ن .

١٢٣/١

١٢٤/١

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا هشام بن محمد ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : لما حُطَّ من طول آدم عليه السلام إلى ستين ذراعاً أنشأ يقول : ربُّ ، كنتُ جارَكَ في دارك ؛ ليس لي ربٌّ غيرك ، ولا رقيب دونك ، آكل فيها رغداً ، وأسكن حيث أحببت ، فأهبطتني إلى هذا الجبل المقدس ، فكنت أسمع أصوات الملائكة ، وأراهم كيف يحفُّون بعرشك ، وأجد ريح الجنة وطيبها ، ثم أهبطتني إلى الأرض ، وحططتني إلى ستين ذراعاً ، فقد انقطع عني الصوت والنظر ، وذهب عني ريح الجنة . فأجابه الله عزَّ وجلَّ : لمعصيتك^(١) يا آدم فعلتُ ذلك بك . فلما رأى الله تعالى عُرَى آدم وحواء أمره أن يذبح كبشاً من الضأن من الثمانية الأزواج التي أنزل من الجنة ، فأخذ كبشاً فذبحه ، ثم أخذ صوفه فغزلته حواء ، ونسجه هو وحواء ، فنسج آدم جُبَّةً لنفسه ، وجعل لحواء دِرْعاً وخِمَاراً ، فلبسا ذلك ، وأوحى^(٢) الله تعالى إلى آدم أن لي حرماً بحيال عرشي ، فانطلق فابن لي فيه بيتاً ، ثم حَفَّ به كما رأيت ملائكتي يحفُّون بعرشي ، فهناك أستجيبُ لك ولولدك ؛ مَنْ كان مهمل في طاعتي ، فقال آدم : أي ربِّ ، فكيف لي بذلك ، لست أقوى عليه ولا اهتدي له ! فقيَّض الله له ملكاً ، فانطلق به نحو مكة ، فكان آدم إذا مرَّ بروضه^(٣) ومكان يُعجبه قال للملك : انزل بنا ها هنا ، فيقول له الملك : مكانك ، حتى قدم مكة ، فكان كلُّ مكان نزل به صار عمراناً ، وكل مكان تعدَّاه صار مفاوز وقفارا ، فبنى البيت من خمسة أجبل : من طور سيناء وطور زيتون ولبنان والحددي ، وبنى قواعده من حِراء ، فلما فرغ من بنائه خرج به الملك إلى عرفات ؛ فأراه المناسك كلَّها التي تفعلها الناس اليوم ، ثم قدم به مكة ؛ فطاف بالبيت أسبوعاً ،^(٤) ثم رجع إلى أرض الهند ، فمات على بوذ^(٥) .

(١) س ، وابن الأثير ١ : ٢٣ (فيما نقل عن الطبري) : « بمعصيتك » .

(٢) ط : « فأوحى » وما أثبتته من أ .

(٣) أ : « مروضه » .

(٤) ر : « أسبوعاً سبعا » .

(٥) كذا ورد في الأصول ؛ وفي معجم البلدان : « نوذ ، بالفتح ثم السكون وذال معجمة :

جبل يسر فديب عنده مهبط آدم عليه السلام ، وهو أخصب جبل في الأرض ؛ ويقال : أمرع في =

حدثنا أبو همام ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني زياد بن خيثمة ، عن أبي يحيى بائع القَتِّ ، قال : قال لي مجاهد : لقد حدثني عبد الله ابن عباس أن آدم عليه السلام نزل حين نزل بالهند ، ولقد حجَّ منها أربعين حجة على رجله ، فقلت له : يا أبا الحجاج ، ألا كان يركب ؟ قال : فأى شيء كان يحمله ! فوالله إن خطوه مسيرة ثلاثة أيام ، وإن كان رأسه ليبلغ السماء ، فاشتكت الملائكة نَفْسَه ، فهمزه الرحمن همزةً ، فتطأطأ مقدار أربعين سنة .

حدثني صالح بن حرب أبو معمر مولى بني هاشم ، قال : حدثنا ثُمَامَةُ بن عبيدة السلمى ، قال : أخبرنا أبو الزبير ، قال : قال نافع : سمعت ابن عمر ، يقول : إن الله تعالى أوحى إلى آدم عليه السلام وهو ببلاد الهند ^(١) : أن حجَّ هذا البيت . فحجَّ آدم من بلاد الهند ، فكان كلما وضع قدمه صار قرية ، وما بين خطوَيْهِ مفازة ، حتى انتهى إلى البيت فطاف به ، وقضى المناسك كلها ، ثم أراد الرجوع إلى بلاد الهند فضى ، حتى إذا كان بمأزِمَى عرفات ، تلقَّته الملائكة ؛ فقالوا : بَرَّ حَجَّكَ يا آدم ! فدخله من ذلك عجب ، فلما رأت الملائكة ذلك منه قالوا : يا آدم ، إنا قد حجَّجْنَا هذا البيت قبل أن تُخْلَقَ بألَى سنة ، قال : فتقاصرت إلى آدم نفسه .

وذكر أن آدم عليه السلام أهبط إلى الأرض ، وعلى رأسه إكليل من شجر الجنة ، فلما صار إلى الأرض ، ويس الإكليل ؛ تحاتَّ ورقه فنبت ^(١) منه أنواع الطيب .

وقال بعضهم : بل كان ذلك ما أخبر الله عنهما ، أنهما جعلتا يَخْصِفَانِ عليهما من ورق الجنة ، فلما يبس ذلك الورق الذى خَصَفَاهُ عليهما تحاتَّ فنبت من ذلك الورق أنواع الطيب . والله أعلم .

* * *

= الأرض ؛ ويقال : أمرع من نوذ . وقال ابن الأثير ١ : ٢٤ « نود ؛ يضم النون وسكون الواو وآخره دال مهملة » ؛ وفى س : « قال الطبرى : الذى حدثنا به فى أمر الجبل أن اسمه نوذ ؛ بالنون ، قال : ولكن اسم الموضع بالباء ؛ وهو بوذ » .

(١) أبو الزبير محمد بن مسلم بن تدرس الأسدى ، ونافع مولى ابن عمر . (٢) ١ : « فنبتت » .

وقال آخرون : [بل]^(١) لما علم آدم أن الله عز وجل مهبطه إلى الأرض ، جعل لا يمر بشجرة من شجر الجنة إلا أخذ غصناً من أغصانها ، فهبط إلى الأرض وتلك الأغصان معه ، فلما يبس ورقها تحات ، فكان ذلك أصل الطيب .

ذكر من قال ذلك :

٢٣٢ — حدثنا أبو همام ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا زياد بن خيثمة ، عن أبي يحيى بائع القت قال : قال [لى]^(١) مجاهد : لقد حدثني عبد الله ابن عباس ، أن آدم حين خرج من الجنة كان لا يمر بشيء إلا عبث به ، فقبل للملائكة : دعوه فليترود منها ما شاء ، فتزل حين نزل بالهند ، وإن هذا الطيب الذى يُجاء به من الهند مما خرج به آدم من الجنة .

* * *

* ذكر من قال : كان على رأس آدم عليه السلام حين أهبط من الجنة لإكليل من شجر الجنة :

حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه^(٢) ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال : خرج آدم من الجنة ، فخرج منها ومعه عصا من شجر الجنة ، وعلى رأسه تاج أو لإكليل من شجر الجنة ، قال : فأهبط إلى الهند ، ومنه كل طيب بالهند .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : هبط آدم عليه — يعنى على الجبل الذى هبط عليه — ومعه ورق من ورق الجنة ، فبثه فى ذلك الجبل ، فنه كان أصل الطيب كله ، وكل فاكهة لا توجد إلا بأرض الهند .

١٢٦/١

* * *

وقال آخرون : بل زوّده الله من ثمار الجنة ، فثمارنا هذه من تلك الثمار .
* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا ابن أبي عديّ وعبد الوهاب ^(١) ومحمد بن جعفر ، عن عوف ^(٢) ، عن قسامة بن زهير ، عن الأشعري ^(٣) ، قال :
إن الله تبارك وتعالى لما أخرج آدم من الجنة زوّده من ثمار الجنة ، وعلمه صنعة كل شيء ، فثماركم هذه من ثمار الجنة ؛ غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير .

* * *

وقال آخرون : إنما علق بأشجار الهند طيب ريح آدم عليه السلام .

* ذكر من قال إنما صار الطيب بالهند لأن آدم حين أهبط إليها
علّق بأشجارها طيب ريحه :

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : نزل آدم عليه السلام معه ريح الجنة ، فعلق بشجرها وأوديتها وامتلاً ما هنالك طيباً ، فنّم يؤثي بالطيب من ريح الجنة .
وقالوا : أنزل معه من طيب الجنة .

وقال : أنزل معه الحجر الأسود ، وكان أشدّ بياضاً من الثلج ، وعصا موسى ، وكانت من آس الجنة ؛ طولها عشرة أذرع على طول موسى ، ومُرّ ولَبان ^(٤) ، ثم أنزل عليه بعد ذلك العلاء والمِطْرقة والكلبتان ^(٥) ، فنظر آدم

(١) عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت (٢) هو عوف الأعرابي (٣) هو أبو موسى الأشعري .

(٤) المر : صمغ شجرة تكون ببلاد العرب ؛ شبيهة بالشوكة المصرية ، تشرط فتخرج منها هذه الصمغة . واللّبان : هو العلك الذي يعضغ ؛ وشجرته تسمى الكندر ، طولها قدر ذراعين ، تعقر بالفأس فيظهر في مواضع العقر اللّبان فيجتنى . المعتمد في الأدوية ٣٠٠ ، ٣٤٠ .

(٥) العلاء : السندان ؛ حجراً كان أو حديداً . والمِطْرقة : من أدوات الحداد أو الصائغ يطرق بها . والكلبتان : ما يأخذ به الحداد الحديد المحمى .

حين أهبط على الجبل إلى قضيب من حديد نابت على الجبل ، فقال : هذا من هذا ، فجعل يكسّر أشجاراً قد عتقت وبيست بالمطرقة ، ثم أوقد على ذلك الغصن حتى ذاب ، فكان أوّل شيء ضربه مُدْيَةً ، فكان يعمل بها ، ثم ضرب التنّور ، وهو الذى ورثه نوح ، وهو الذى فار بالعذاب بالهند . وكان آدم حين هبط يمسح رأسه السماء ، فمن ثمّ صلّع ، وأورث ولده الصلّع ونفرت من طوله دوابّ البرّ ، فصارت وحشاً من يومئذ ، وكان آدم عليه السلام وهو على ذلك الجبل قائم يسمع أصوات الملائكة ، ويجد ريح الجنة ، فحطّ من طوله ذلك إلى ستين ذراعاً ، فكان ذلك طوله إلى أن مات . ولم يُجمع حسن آدم عليه السلام لأحد من ولده إلا ليوسف عليه السلام .

وقيل : إن من الثمار التى زوّد الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام حين أهبط إلى الأرض ثلاثين نوعاً ، عشرة منها فى القشور وعشرة لها نوّى ، وعشرة لاقشور لها ولا نوّى . فأما التى فى القشور منها فالخوز ، واللوز ، والفستق ، والبندق ، والخشخاش ، والبلّوط ، والشاهبلوط ، والرانج ، والرمّان ، والموز . وأما التى لها نوّى منها فالخوخ ، والمشمش ، والإجاص ، والرطب ، والغيراء ، والنبق ، والزعرور ، والعنّاب ، والمُقل ، والشاهلوج . وأما التى لاقشور لها ولا نوّى فالتفّاح ، والسفرجل ، والكمثرى ، والعنب ، والتوت ، والتين ، والأترج ، والخرنوب ، والخيار ، والبطيخ .

وقيل : كان مما أخرج آدم معه من الجنة صرة من حنطة ؛ وقيل : إن الحنطة إنما جاء بها جبرئيل عليه السلام بعد أن جاع آدم ، واستطعم ربّه ، فبعث الله إليه مع جبرئيل عليه السلام بسبع حبات من حنطة ، فوضعها فى يد آدم عليه السلام ، فقال آدم لجبرئيل : ما هذا ؟ فقال له جبرئيل : هذا الذى أخرجك من الجنة ، وكان وزن الحبة منها مائة ألف درهم وثمانمائة درهم ، فقال آدم : ما أصنع بهذا ؟ قال : انثره فى الأرض ففعل ، فأنبته الله عزّ وجلّ من ساعته ، فجرت سنّة فى ولده البشر فى الأرض ، ثم أمره فحصدّه ، ثم أمره فجمعه وفركه بيده ، ثم أمره أن يذرّيه ، ثم أتاه بمحجرين فوضع أحدهما على الآخر

فطحنه ، ثم أمره أن يعجنه ، ثم أمره أن يخبزه مَلَّةً^(١) ، وجمع له جبرئيل عليه السلام الحجر والحديد ففدحه ، فخرجت منه النار ، فهو أول مَنْ خبز المَلَّةَ .

* * *

وهذا [القول]^(٢) الذى حكيناه عن قائل هذا القول ، خلاف ما جاءت به الروايات عن سلف أمة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن المثنى بن إبراهيم حدثنى أن إسحاق^(٣) حدثه ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا سفيان بن عيينة وابن المبارك ، عن الحسن بن عُمارة ، عن المهال بن عمرو ، وعن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت الشجرة التى نهى الله عنها آدم وزوجته السنبلة ، فلما أكلا منها بدت لهما سوءاتهما ، وكان الذى وارى عنهما من سوءاتهما أظفارهما ، وطفقا يخرصان عليهما من ورق الجنة ، ورق التين يُلصقان^(٤) بعضها إلى بعض ، فانطلق آدم مولياً فى الجنة ، فأخذت برأسه شجرة من الجنة^(٥) فناداه : يا آدم ، أمنى تفرّ؟ قال : لا ، ولكنى استحييتك يا ربّ ، قال : أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأبحتك منها مندوحة عما حرمت عليك ! قال : بلى يا ربّ ، ولكن وعزتك ما حسبت أن أحداً يحلف بك كاذباً ، قال - وهو قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّى لَكَمَّ لَئِنَ النَّاصِحِينَ﴾^(٦) - قال : فبعزى لأهبطنك إلى الأرض ، فلا تنال العيش إلا كدّاً . قال : فأهبط من الجنة ، وكانا يأكلان فيها رَغداً ، فأهبط إلى غير رغد من طعام وشراب ، فعلم صنعته الحديد ، وأمير بالحرث فحرث وزرع ثم سقى ، حتى إذا بلغ حصده ، ثم داسه ، ثم ذراه ، ثم طحنه ، ثم عجنه ، ثم خبزه ، ثم أكله ، فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله أن يبلغ^(٧) .

(١) يريد بخبز الملة ما يصنع فى الرماد أو الحجر من الخبز .

(٢) تكلّة من ا .

(٣) هو إسحاق بن يوسف الأزرق .

(٤) ا : « يلزقان » .

(٥) س : « فى الجنة » .

(٦) سورة الأعراف ٢١ . (٧) الخبر فى التفسير ١٢ : ٣٥٢ - ٣٥٣ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد^(١) ، قال : أهبط إلى آدم ثور أحمر ، فكان يحدث عليه ، ويمسح العرق عن جبينه ، فهو الذي قال الله عز وجل : ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ ؛ فكان ذلك شقاؤه .

فهذا الذي قاله هؤلاء هو أولى بالصواب ، وأشبه بما دلّ عليه كتاب ربنا عز وجل ، وذلك أن الله عز ذكره لما تقدم إلى آدم وزوجته حواء بالهوى عن طاعة عدوتهما ، قال لآدم : ﴿ يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى • إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى • وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴾^(٢) ، فكان معلوماً أن الشقاء الذي أعلمه أنه يكون إن أطاع عدوه إبليس ، هو مشقة الوصول إلى ما يُزيل الجوع والعُرَى عنه ؛ وذلك هي الأسباب التي بها يصل أولاده إلى الغذاء ، من حرّاة وبلر وعلاج وسقى ، وغير ذلك من الأسباب الشاقة المؤلمة . ولو كان جبرئيل أتاه بالغذاء الذي يصل إليه ببذره دون سائر المئون غيره ، لم يكن هناك من الشقاء الذي توعدّه به ربه على طاعة الشيطان ومعصية الرحمن كبير خطب^(٣) ، ولكن الأمر^(٤) كان — والله أعلم — على ما روينا عن ابن عباس وغيره .

* * *

وقد قيل : إن آدم عليه السلام نزل معه السّندان ، والكلبتان ، والميقعة^(٥) ، والمطرقة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا الحسين^(٦) ، عن علباء بن أحمر ؛ عن عكرمة ؛ عن ابن عباس قال : ثلاثة أشياء نزلت مع آدم عليه السلام : السّندان ، والكلبتان ، والميقعة ، والمطرقة .

(١) هو يعقوب القتي ، روى عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير ، وانظر ص ٤٩ ، ٩٠ .

(٢) سورة طه ١١٧ - ١١٩ . (٣) س : « حظ » .

(٤) كذا في ١ ، وفي ط : « الأمر » . (٥) الميقعة : خشبة القصار يدق عليها .

(٦) هو الحسين بن واقد .

ثم إن الله عزّ ذكره فيما ذكر أنزل آدم من الجبل الذي أهبطه عليه إلى سفحه ، وملكه الأرض كلها ، وجميع ما عليها من الجنّ والبهايم والدواب والوحش والطير وغير ذلك ، وأن آدم عليه السلام لما نزل من رأس ذلك الجبل ، وفقد كلام أهل السماء ، وغابت عنه أصوات الملائكة ، ونظر إلى سعة الأرض وبسطها ، ولم ير فيها أحداً غيره ، استوحش فقال : يا ربّ ، أما لأرضك هذه عامرٌ يسبّجك غيري !

فأجيب بما حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : أخبرنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد ابن معقل ، أنه سمع وهباً يقول : إن آدم لما أهبط إلى الأرض فرأى سعتها ولم ير فيها أحداً غيره قال : يا ربّ ، أما لأرضك هذه عامر يسبّج بحمدك ويقدّس لك غيري ! قال الله : إني سأجعل فيها من ولدك مَنْ يسبّج بحمدى ويقدّسنى ، ١٣١/١ وسأجعل فيها بيتاً تُرفع لذكرى ، ويسبّح فيها خلقي ، ويُذكر فيها اسمي ، وسأجعل من تلك البيوت بيتاً أخصّه بكرامتى ، وأؤثّر به اسمي ، وأسميه بيتي ، أنطقه بعظمتي ، وعليه وضعتُ جلالى . ثم أنا مع ذلك فى كلّ شيء ومع كلّ شيء ؛ أجعل ذلك البيت حرماً آمناً يحرم بحرمته مَنْ حوله ومن تحته ومن فوقه ، فمن حرّمه بحرمتى استوجب بذلك كرامتى ، ومن أخاف أهله فقد أخفّر (١) ذمتى ، وأباح حرمتى (٢) . أجعل أول بيت وُضع للناس ببطن مكة مباركاً ، يأتونه شعثاً غيراً على كلّ ضامر ، من كل فج عميق ، يرجّون بالتلبية رجياً ، ويشجّون بالبكاء ثجياً ، ويعجّون بالتكبير عجباً ، فمن اعتمده ولا يريد (٣) غيره فقد وفد إلى وزارنى وضافنى (٤) ، وحقّ على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه ، وأن يسعف كلاً بحاجته . تعمّر يا آدم ما كنت حياً ، ثم تعمّر الأمم والقرون والأنبياء من ولدك أمة بعد أمة ، وقرناً بعد قرن .

ثم أمر آدم عليه السلام — فيما ذكر — أن يأتى البيت الحرام الذى أهبط

(١) أخفّر الذمة ، أى نقضها .

(٢) فى ك بعدها : « واستوجب بذلك عقوبتى » .

(٣) ١ : « لا يريد » .

(٤) ضافنى ، أى نزل بى ضيفاً ، وفى ك : « فقد وفى لى وزاد فى ضيافنى » .

له إلى الأرض ، فيطوف به كما كان يرى الملائكة تطوف حول عرش الله ، وكان ذلك ياقوته واحدة أو درة واحدة ؛ كما حدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر^(١) ، عن أبان ، أن البيت أهبط ياقوته واحدة أو درة واحدة ، حتى إذا أغرق الله قوم نوح رفعه وبقي أساسه ، فبواه الله عز وجل لإبراهيم فبناه ، وقد ذكرت الأخبار الواردة بذلك فيما مضى قبل .

١٣٢/١

* * *

فذكر أن آدم عليه السلام بكى واشتد بكاءؤه على خطيئته ، وندم عليها ، وسأل الله عز وجل قبول توبته ، وغفران خطيئته ، فقال في مسأله إياه : ما سألت من ذلك ، كما حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن عطية^(٢) عن قيس ، عن ابن أبي ليلى^(٣) ، عن المنهال ، عن سعيد بن جببر ، عن ابن عباس : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾^(٤) قال : أى رب ، ألم تخلقني بيدك ؟ قال : بلى ، قال : أى رب ، ألم تنفخ في من روحك ؟ قال : بلى ، قال : أى رب ، ألم تسكنني جنتك ؟ قال : بلى ، قال : أى رب ، ألم تسبق رحمتك غضبك ؟ قال : بلى ، قال : أرايت إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة ؟ قال : بلى ، قال : فهو قوله تعالى : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ . حدثني بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، قوله تعالى : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ ذكر لنا أنه قال : يا رب : أرايت إن أنا تبت وأصلحت ! قال : إذًا أرجعك^(٥) إلى الجنة ، قال : وقال الحسن : لئنهما قالوا : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(٦) .

حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا سفيان وقيس^(٧) ، عن خُصيف ، عن مجاهد ، في قوله عز وجل :

(١) معمر بن راشد . (٢) هو الحسن بن عطية .

(٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، روى عن المنهال بن عمرو .

(٤) سورة البقرة ٣٧ . (٥) ١ : « أرجعك » . (٦) سورة الأعراف ٢٣ .

(٧) سفيان الثوري وقيس بن سليم .

﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ قال : قوله : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد ، قال : أخبرنا أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : أنزل آدم معه حين أهبط من الجنة الحجر الأسود^(١) ، وكان أشدّ بياضاً من الثلج ، وبكى آدم وحواء على ما فاتهما - يعنى من نعيم الجنة - مائتي سنة ، ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً ، ثم أكلا وشربا ، وهما يومئذ على بؤذ الجبل الذى أهبط عليه آدم ولم يقرب حواء مائة سنة .

١٣٣/١

حدثنا أبو همام ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني زياد بن خيثمة ، عن أبي يحيى بائع القت ، قال : قال لى مجاهد ، ونحن جلوس فى المسجد : هل ترى هذا ؟ قلت : يا أبا الحجاج ، الحجر ؟ قال : كذلك تقول ؟ قلت : أو ليس حجراً ! قال : فوالله لحدثني عبد الله بن عباس أنها يا قوتة بيضاء ، خرج بها آدم من الجنة ، كان يمسح بها دموعه ، [و]^(٢) أن آدم لم ترقأ دموعه^(٣) منذ خرج من الجنة حتى رجع إليها ألفي سنة ، وما قدر منه إبليس على شيء ، فقلت له : يا أبا الحجاج ، فمن أى شيء اسود ؟ قال : كان الخبيث يلمسئنه فى الجاهلية . فخرج آدم عليه السلام من الهند يؤم البيت الذى أمره الله عز وجل بالمصير إليه ، حتى أتاه ، فطاف به ، ونسك المناسك ، فذكر أنه التقى هو وحواء بعرفات ، فتعارفا بها ، ثم ازدلف إليها بالمزدلفة ، ثم رجع إلى الهند مع حواء ، فاتخذتا مغارة يأويان إليها فى ليلتهما ونهارهما ، وأرسل الله إليهما ملكاً يعلمهما ما يلبسانه ويستتران به ، فزعموا أن ذلك كان من جلود الضأن والأنعام والسباع . وقال بعضهم : إنما كان ذلك لباس أولادهما ، فأما آدم وحواء فإن لباسهما كان ما كانا خَصَصَا على أنفسهما من ورق الجنة . ثم إن الله عز ذكره مسح ظهر آدم عليه السلام بِنِعْمَانِ من عرفة ، وأخرج

(١) : « أنزل آدم من الجنة الحجر الأسود » .

(٢) من ا

(٣) رقا الدمع : جف ، وفى ا : « لم ترقأ عينه » .

ذريته ، فنهرهم بين يديه كالذرّ ، فأخذ مواثيقهم ، وأشهدهم على أنفسهم : ١٣٤/١
 أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي
 آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ (١) .

وقد حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : حدثنا الحسين بن
 محمد ، قال : حدثنا جرير بن حازم ، عن كلثوم بن جبر ، عن سعيد
 ابن جبّير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : أخذ الله
 الميثاق من ظهر آدم بنوعمان - يعني عرفة - فأخرج من صلبه كل ذرية
 ذرأها ، فنهرهم بين يديه كالذرّ ، ثم كلمهم قبلاً (٢) ، وقال : ﴿ أَلَسْتُ
 بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ إلى قوله : ﴿ بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (٣) .

حدثني عمران بن موسى القزاز ، حدثنا عبد الوارث بن سعيد ،
 قال : حدثنا كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس في قوله :
 ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
 أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ ، قال : مسح ربنا ظهر آدم ، فخرجت كل
 نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بنوعمان هذه - وأشار بيده - فأخذ مواثيقهم ،
 وأشهدهم على أنفسهم : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى (٤) .

حدثنا ابن وكيع ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : حدثنا ابن عُلَيَّة ،
 عن كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس في قوله عزَّ وجلَّ :
 ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى
 أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ ، قال : مسح ظهر آدم فخرج كل نسمة ١٣٥/١
 هو خالقها إلى يوم القيامة بنوعمان ، هذا الذي وراء عرفة ، وأخذ ميثاقهم : أَلَسْتُ
 بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى شَهِدْنَا ، واللفظ لحديث يعقوب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمران بن عيسى ، عن عطاء ،

(١) سورة الأعراف ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٢) قبلاً ، أي عياناً ومشاهدة ، وانظر اللسان ١٤ : ٥٤ .

(٣) الخبر في التفسير ١٣ : ٢٢٣ .

عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : أهبط آدم حين أهبط ففسح الله ظهره ، فأخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، ثم قال : ألسنت بر بكم ؟ قالوا : بلى ، ثم تلى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ؛ فجفت القلم من يومئذ بما هو كائن إلى يوم القيامة .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس [في] ^(١) ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ، قال : لما خلق الله عز وجل آدم عليه السلام أخذ ذريته من ظهره مثل الذر ، فقبض قبضتين ، فقال لأصحاب اليمين : ادخلوا الجنة بسلام ، وقال للآخرين : ادخلوا النار ولا أبالي .

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : حدثنا روح بن عبادة وسعد بن عبد الحميد بن جعفر ، عن مالك بن أنس ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، عن مسلم بن يسار الجهنّي ، أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سئل عن هذه الآية : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ، فقال عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله خلق آدم ثم مسح على ظهره بيمينه واستخرج منه ذرية ، فقال : خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح على ظهره فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون » ، فقال رجل : يا رسول الله ، فقيم العمل ؟ قال : « إن الله تبارك وتعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة ، [حتى يموت على عمل من عمل أهل الجنة] ^(٢) فيدخله الجنة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من عمل أهل النار فيدخله النار » ^(٣) .

* * *

وقيل : إنه أخذ ذرية آدم عليه السلام من ظهره بدحنا .

(١) تكملة من ١

(٢) تكملة من التفسير .

(٣) الخبر في التفسير ٣ : ٢٢٣

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكام ^(١) ، قال : حدثنا عمرو بن قيس ، عن عطاء ، عن سعيد ، عن ابن عباس : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ . قال : لما خلق الله عز وجل آدم مسح ظهره بدحنا ^(٢) فأخرج من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، فقال : ألسنت بر بكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فيرون يومئذ ، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة ^(٣) .

* * *

وقال بعضهم : أخرج الله ذرية آدم من صلبه في السماء قبل أن يهبطه إلى الأرض ، وبعد أن أخرجه من الجنة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدي : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ قالوا بلى ، قال : أخرج الله آدم من الجنة ولم يهبطه من السماء ، ثم إنه مسح من آدم صفحة ظهره اليمنى ، فأخرج منه ذرية كهيئة الذر بيضاء مثل اللؤلؤ ، فقال لهم : ادخلوا الجنة برحمتي ، ومسح صفحة ظهره اليسرى ، فأخرج منه كهيئة الذر سوداً ، فقال : ادخلوا النار ولا أبالي . فذلك حين يقول : « أصحاب اليمن » و « أصحاب الشمال » . ثم أخذ الميثاق فقال : ألسنت بر بكم ؟ قالوا بلى ، فأعطاه طائفة طائعين ، وطائفة على وجه التقيّة ^(٤) .

١٣٧/١

(١) حكام بن مسلم . (٢) بمعجم البلدان : دحنا : بفتح أوله وسكون ثانيه

ونون ، وألفه يروى فيها المد والقصر : أرض خلق الله منها آدم .

(٣) الخبر في التفسير ١٣ : ٢٢٨

(٤) الخبر في التفسير ١٣ : ٢٤٢

ذكر الأحداث التي كانت في عهد آدم عليه السلام بعد أن أهبط إلى الأرض

فكان أول ذلك قتل قابيل بن آدم أخاه هابيل ، وأهل العلم يختلفون في اسم قابيل ، فيقول بعضهم : هو قَيْن بن آدم ، ويقول بعضهم : هو قايين ابن آدم . ويقول بعضهم : [هو] ^(١) قايين . ويقول بعضهم : هو قابيل . واختلفوا أيضًا في السبب الذي من أجله قتله :

فقال بعضهم في ذلك ما حدثني به موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : كان ^(٢) لا يولد لآدم مولودٌ إلا ولد معه جارية ، فكان يزوّج غلامَ هذا البطن جاريةَ هذا البطن [الآخر] ^(٣) . ويزوج جاريةَ هذا البطن غلامَ هذا البطن الآخر ، حتى وُلد له ابنان ، يقال لهما قابيل وهابيل ، وكان قابيل صاحب زرع ، وكان هابيل صاحب ضرع ، وكان قابيل أكبرهما ، وكانت له أخت أحسن من أخت هابيل ، وإن هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل ، فأبى عليه وقال : هي أختي وُلدت معي ، وهي أحسن من أختك ، وأنا أحقّ أن أتزوجها ، فأمره أبوه أن يزوّجها هابيل ، فأبى . وإنهما قربا قربانًا إلى الله أيهما أحق بالجارية ، وكان

(١) تكملة من ١ .

(٢) التفسير : « فكان » .

(٣) تكملة من التفسير .

آدم يومئذ قد غاب عنهما وأتى مكة ينظر إليها ، قال الله لآدم : يا آدم ، هل تعلم أن لى بيتاً فى الأرض ؟ قال : اللهم لا ، قال : فإن لى بيتاً بمكة فأتها ، فقال آدم للسماء : احفظى ولدى بالأمانة ، فأبت ، وقال للأرض فأبت ، وقال للجبال : فأبت ، فقال لقابيل ، فقال^(١) : نعم ، تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك . فلما انطلق آدم قرباً قرباناً ، وكان قابيل يفخر عليه فيقول : أنا أحق بها منك هى أختى ، وأنا أكبر منك ، وأنا وصى والدى ، فلما قرباً ، قرب هابيل جدعة سمينة ، وقرب قابيل حزمة سنبل ، فوجد فيها سنبله عظيمة ففركها فأكلها ، فنزلت النار فأكلت قربان هابيل ، وتركت قربان قابيل ، فغضب وقال : لأقتلنك حتى لا تنكح أختى ، فقال هابيل : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾^(٢) ، فطلبه ليقتله ، فراغ الغلام منه فى رعوس الجبال ، فأتاه يوماً من الأيام وهو يرعى غنمه فى جبل وهو نائم ، فرفع صخرة فشدخ بها رأسه ، فمات وتركه بالعراء ، لا يعلم كيف يدفن ، فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا ، فقتل أحدهما صاحبه ، فحفر له ثم حثا عليه ، فلما رآه قال : ﴿ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَ أَخِي ﴾^(٣) ، فهو قوله عز وجل : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَ أَخِي ﴾^(٤) . فرجع آدم فوجد ابنه قد قتل أخاه ، فذلك حين يقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾ — إلى آخر الآية — ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾^(٥) .
يعنى قابيل حين حمل أمانة آدم ، ثم لم يحفظ له أهله^(٦) .

* * *

(١) ط : « قال » ، وما أثبتته عن التفسير .

(٢) سورة المائدة ٢٧ - ٣١

(٣) سورة الأحزاب ٧٢

(٤) الخبر فى التفسير ١٠ : ٢٠٦

وقال آخرون : كان السبب في ذلك أن آدم كان يولد له من حواء في كل بطن ذكر وأنثى ، فإذا بلغ الذكر منهما زوج منه [ولده] ^(١) الأنثى التي وُلدت مع أخيه الذي ولد في البطن الآخر ؛ قبله أو بعده .

فرغب قابيل بتوأمته عن هابيل .

كما حدثني القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم ، قال : أقبلت مع سعيد بن جبّير أرى الجمرة ، وهو متقنّع متوكّي على يدي ؛ حتى إذا وازينا ^(٢) بمنزل سمرة الصواف ، وقف يحدثني عن ابن عباس ، قال : نهيت أن تنكح المرأة أخاها توأمها ، وينكحها غيره من إختوها ، وكان يولد في كل بطن رجل وامرأة ، فوُلدت امرأة وسيمة وولدت امرأة قبيحة ، فقال أخو الدميمة : أنكحني أختك وأنكحك أختي ، قال : لا ، أنا أحق بأختي ، فقربا قرباناً فتقبّل من صاحب الكباش ، ولم يتقبّل من صاحب الزرع ، فقتله ، فلم يزل ذلك الكباش محبوباً عند الله عزّ وجلّ حتى أخرجه في فداء إسحاق ، فذبحه على هذا الصفا ، في ثبير ، عند منزل سمرة الصواف ، وهو على يمينك حين ترمي الجمار . ^(٣)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم من أهل الكتاب الأوّل ، أن آدم عليه السلام كان يغشى حواء في الجنة قبل أن نصيب الخطيئة ، فحملت له بقيس بن آدم وتوأمته ، فلم تجد عليهما وحمّاً ولا وصباً ، ولم تجد عليهما طلقاً حين ولدتهما ، ولم تر معهما دمّاً لطهر الجنة ، فلما أكلا من الشجرة وأصابا المعصية ، وهبطا إلى الأرض واطمأنا بها تغشّاهما ، فحملت بهابيل وتوأمته ، فوجدت عليهما الوحماً والوصب ، ووجدت حين ولدتهما الطلق ^(٤) ورأت معهما الدم ، وكانت حواء —

(١) تكملة من أ

(٢) أ ، ر ، س ، ن : « وازينا » .

(٣) الخبر في التفسير ١٠ : ٢٢٣ .

(٤) الطلق : وجع الولادة

فيما يذكرون— لا تحمل إلا توعماً ذكراً وأنثى ، فولدت حواء لآدم أربعين ولداً لصلبه^(١) من ذكر وأنثى في عشرين بطناً ، وكان الرجل منهم أياً أخواته شاء تزوج^(٢) إلا توعمته التي تولد معه^(٣) ، فإنها لا تحل له ، وذلك أنه لم يكن نساء يومئذ إلا أخواتهم وأمهم حواء .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول^(٤) أن آدم أمر ابنه قيناً^(٥) أن ينكح توعمته هابيل ، وأمر هابيل أن ينكح أخته توعمته قينا ، فسلم لذلك هابيل ورضى ، وأبى ذلك قين وكره تكراً عن أخت هابيل ، ورغب بأخته عن هابيل ، وقال ، نحن ولادة الجنة ، وهما من ولادة الأرض ، وأنا أحق بأختي — ويقول بعض أهل العلم من أهل الكتاب الأول : بل كانت أخت قين من أحسن الناس ، فضن بها عن أخيه ، وأرادها لنفسه — والله أعلم أى ذلك كان — فقال له أبوه : يا بني إنما لا تحل لك ، فأبى قين أن يقبل ذلك من قول أبيه ، فقال له أبوه : يا بني ، فقرّب قرباناً ، وبقرب أخوك هابيل قرباناً ، فأيتكما قبل الله قربانه فهو أحقّ بها ، وكان قين على بذر الأرض ، وكان هابيل على رعاية الماشية ، فقرّب قين قمحاً ، وقرب هابيل أبقاراً من أبقار غنمهم — وبعضهم يقول : قرب بقرة — فأرسل الله جلّ وعزّ ناراً بيضاء ، فأكلت قربان هابيل وترك قربان قين^(٦) . وبذلك كان يُقبل القربان إذا قبله الله عزّ وجلّ ؛ فلما قبل الله قربان هابيل — وكان في ذلك القضاء له بأخت قين — غضب قين ، وغلب عليه الكبير واستحوذ عليه الشيطان ، فاتبع أخاه هابيل ، وهو في ماشيته فقتله ، فهما اللذان قصّ الله خبرهما في القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني أهل الكتاب ﴿نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾

١٤١/١

(١) ر : « من صلبه » .

(٢) في ط : « يتزوج » ، وأثبت ما في ا وابن الأثير ١ : ٢٥ .

(٣) في ط : « ولدت » ، وأثبت ما في ا وابن الأثير .

(٤) في جميع الأصول : « عن الكتاب الأول » ، وما أثبتته من التفسير .

(٥) في التفسير « قابيل » ، وكذلك حيث ورد في باقي الخبر .

(٦) الخبر إلى هنا في التفسير ١٠ : ٢٠٥ .

فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا^(١) إلى آخر القصة، قال : فلما قتله سَقِطَ في يديه ، ولم يدرك كيف يُؤارِيه ، وذلك أنه كان — فيما يزعمون — أولَ قَتِيلٍ من بني آدم : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي. ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾^(٢)

قال : ويزعم أهل التوراة أن قينسًا^(٣) حين قتل أخاه هابيل ، قال الله له : أين أخوك هابيل ؟ قال : ما أدري ، ما كنت عليه رقيباً ؛ فقال الله له : إن صوت دم أخيك لسينادي من الأرض ! الآن أنت ملعون من الأرض التي فتحت فاهاً ، فتلقّت دم أخيك من يدك ، فإذا أنت عملت في الأرض ، فإنها لا تعود تعطيك حرثها حتى تكونَ فرعاً ناثماً في الأرض ، فقال قين : عَظُمْتُ خَطِيئَتِي من أن تغفرها ، قد أخرجتني اليوم عن وجه الأرض [وأتوارى]^(٤) من قدامك ، وأكون فرعاً ناثماً في الأرض ، وكل من لقيتني ؛ قتلني . فقال الله عز وجل : ليس ذلك كذلك ؛ فلا يكون كل من قتل قتيلاً يجزى بواحد سبعة ، ولكن من قتل قينسًا يجزى سبعة ، وجعل الله في قين آية لئلا يقتله كل من وجده ، وخرج قين من قدام الله عز وجل من شرقي عدن الجنة^(٥) .

* * *

وقال آخرون في ذلك : إنما كان قتل القاتل منهما أخاه أن الله عز وجل أمرهما بتقريب قربان ، فتقبَّلَ قربان أحدهما ، ولم يتقبل من الآخر ، فبغاه الذي لم يتقبَّلَ قربانه فقتله .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا

(١) سورة المائدة ٢٧ - ٣٢

(٢) في التفسير : « قاييل » .

(٣) تكلمة من التفسير .

(٤) الخبر في التفسير ١٠ : ٢٢٨

عوف ، عن أبي المغيرة ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : إن ابني آدم اللذين قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر كان أحدهما صاحب حرث ، والآخر صاحب غنم ، وأنها أمرا أن يقربا قرباناً ، وأن صاحب الغنم قَرَّبَ أكرم غنمه وأسمها وأحسنها ، طيبة بها نفسه ، وأن صاحب الحرث قَرَّبَ شرَّ حرثه : الكوزر^(١) والزَّوَان ، غير طيبة بها نفسه ، وأن الله عزَّ وجلَّ يتقبل قربان صاحب الغنم ، ولم يتقبل قربان صاحب الحرث ، وكان من قصتهما ما قصَّ الله في كتابه وقال : إيمُ الله ، إن كان المقتول لأشدَّ الرجلين ، ولكن منعه التَّحَرُّجُ أن ينسب^(٢) إلى أخيه^(٣) . ١٤٣/١

وقال آخرون بما حدثني به محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : كان من شأنهما أنه لم يكن مسكين يتصدق عليه ، وإنما كان القربان يقربه الرجل ، فبينما ابنا آدم قاعدان إذ قالوا : لو قربنا قرباناً ! وكان الرجل إذا قَرَّبَ قرباناً فرضيَّه الله عزَّ وجلَّ أرسل إليه ناراً فأكلته ، وإن لم يكن رضيَّه الله خبت النار ، فقربا قرباناً ، وكان أحدهما راعياً والآخر حراثاً ، وإن صاحب الغنم قَرَّبَ خيرَ غنمِهِ وأسمها ، وقَرَّبَ الآخر بعض زرعهِ ، فجاءت النار فتزلت [بينهما]^(٤) فأكلت الشاة وتركزت الزرع ، وإن ابن آدم قال لأخيه : أتمشى في الناس ، وقد علموا أنك قَرَّبْتَ قرباناً فتقبل منك ورُدَّ عليَّ قرباني ! فلا والله لا ينظر الناس إلى وإليك وأنت خير مني ، فقال : لأقتلنك ، فقال له أخوه : ما ذنبي ! إنما يتقبل الله من المتقين^(٥) .

* * *

وقال آخرون : لم تكن قصة هذين الرجلين في عهد آدم ، ولا كان القربان

(١) ط : « الكوزر » ، وفي التفسير : « الكوزن » ، وأثبت ما في ا ، ر ، ك .

(٢) في ط والتفسير : « يبسط » ، وأثبت ما في ا

(٣) الخبر في التفسير ١٠ : ٢٠٢

(٤) الخبر في التفسير ١٠ : ٢٠٣

(٥) تكلمة من ا والتفسير .

في عصره ، وقالوا : إنما كان هذان رجلين من بني إسرائيل ، وقالوا : إن أول ميت مات في الأرض آدم عليه السلام ، لم يمّت قبله أحد .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن ، قال : كان الرجلان اللذان في القرآن قال الله عز وجل .
فيهما : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ﴾ من بني إسرائيل ، ولم يكونا ابني آدم لصلبه ، وإنما كان القربان في بني إسرائيل ، وكان آدم أول من مات (١) .

* * *

وقال بعضهم : إن آدم غشي حواء بعد مهبطهما إلى الأرض بمائة سنة ، فولدت له قابيل وتوعمته قليما في بطن واحد ، ثم هابيل وتوعمته في بطن واحد ، فلما شبوا أراد آدم عليه السلام أن يزوّج أخت قابيل التي ولدت معه في بطن واحد من هابيل ، فامتنع من ذلك قابيل ، وقربا بهذا السبب قربانا فتقبّل قربان هابيل ، ولم يتقبّل قربان قابيل ، فحسده قابيل ، فقتله عند عقبة حيرى (٢) ثم نزل قابيل من الجبل ، أخذاً بيد أخته قليما ، فهرب بها إلى عدن من أرض اليمن .

حدثني بذلك الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : لما قتل قابيل أخاه هابيل أخذ بيد أخته ثم هبط بها من جبل بوذ إلى الحضيض ، فقال آدم لقابيل : اذهب فلا تزال مرعوباً لا تأمن من تراه ، فكان لا يمرّ به أحد من ولده إلا رماه ، فأقبل ابن لقابيل أعمى ، ومعه ابن له ، فقال للأعمى ابنه : هذا أبوك قابيل ، فرمى الأعمى أباه قابيل فقتله ، فقال ابن الأعمى : قتلت

(١) الخبر في التفسير ١٠ : ٢٠٨ .

(٢) كذا في ١ ، ك ، وفي ط : « حراء » .

يا أبتاه أباك، فرفع الأعمى يده، فلطم ابنه فمات ابنه، فقال الأعمى : ويل لي !
 قتلت أبي برميّتي ، وقتلت ابني بلطمتي !
 وذكر في التوراة أن هابيل قُتل وله عشرون سنة ، وأن قابيل كان له يوم
 قتله خمس وعشرون سنة .

* * *

والصحيح من القول عندنا أن الذي ذكر الله في كتابه أنه قتل
 أخاه من ابني آدم هو ابن آدم لصلبه ، لنقل الحجة أن ذلك كذلك ، وأن
 هناد بن السريّ حدثنا ، قال : حدثنا أبو معاوية ووكيع جميعاً عن الأعمش . ١٤٥/١
 — وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير . وحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا
 جرير وأبو معاوية عن الأعمش — عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن
 عبد الله^(١) ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما من نفس تُقتل ظمماً إلا
 كان على ابن آدم الأوّل كَيْفَلٌ منها » ، وذلك لأنه أوّل مَنْ سَنَّ القتل .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهديّ — وحدثنا
 ابن وكيع قال : حدثنا أبي — جميعاً عن سفيان^(٢) ، عن الأعمش ، عن
 عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه
 وسلم نحوه^(٣) .

فقد بيّن هذا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحة قول مَنْ قال :
 إن اللذين قصّ الله في كتابه قصتهما من ابني آدم كانا ابنيّه لصلبه ؛ لأنه لاشكّ
 أنهما لو كانا من بني إسرائيل — كما روى عن الحسن — لم يكن الذي وُصف
 منهما بأنه قتل أخاه أوّل مَنْ سَنَّ القتل ، إذ كان القتل في بني آدم قد كان
 قبل إسرائيل وولده .

* * *

فإن قال قائل : فما برهانك على أنهما ولدا آدم لصلبه ، وأن لم يكونا من
 بني إسرائيل ؟

(١) مسروق بن الأجدع ، روى عن عبد الله بن مسعود . (٢) سفيان الثوري .

(٣) الخبر في التفسير ١٠ : ٢١٤ .

قيل : لا خلاف بين سلف علماء أمتنا في ذلك ، إذا فسد قول من قال :
كانا من بني إسرائيل .

* * *

وذكر أن قابيل لما قتل أخاه هابيل بكاه آدم عليه السلام فقال - فيما
حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن غياث بن إبراهيم ، عن أبي
إسحاق الهمداني ، قال : قال ^(١) علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : لما قتل
ابن آدم أخاه بكاه آدم ، فقال :

١٤٦/١

تَغَيَّرَتِ الْمِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا فَوَجَّهُ الْأَرْضِ مُغْبَرٌ قَبِيحٌ ^(٢)
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي طَعْمٍ وَلَوْنٍ وَقَلَّ بَشَاشَةُ الْوَجْهِ الْمَلِيحِ
قال : فأجيب آدم عليه السلام :

أَبَا هَابِيلَ قَدْ قُتِلَا جَمِيعًا وَصَارَ الْحَى كَالْمَيِّتِ الذَّبِيحِ ^(٣)
وَجَاءَ بَشِيرَةٌ قَدْ كَانَ مِنْهَا عَلَى خَوْفٍ فَجَاءَ بِهَا يَصِيحٌ ^(٤)

* * *

وذكر أن حواء ولدت لآدم عليه السلام عشرين ومائة بطن ، أولهم
قابيل وتوعمته قليما ، وآخرهم عبد المغيث وتوعمته أمة المغيث .
وأما ابن إسحاق فذكر عنه ما قد ذكرت قبل ، وهو أن جميع ما ولدته
حواء لآدم لصلبه أربعون من ذكر وأنثى في عشرين بطنًا ، وقال : قد بلغنا
أسماء بعضهم ولم يبلغنا بعض .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
فكان من بلغنا اسمه خمسة عشر رجلا وأربع نسوة ؛ منهم قين وتوعمته ، وهابيل
وليودا ^(٥) وأشوث بنت آدم وتوعمها ، وشيث ^(٦) وتوعمته ، وحزورة وتوعمها ؛ على

(١) الخبر في التفسير ١٠ : ٢٠٩

(٢) التفسير : « فلون » .

(٣) ١ ، س ، ك : « بالميت » .

(٤) في الأبيات إقواء .

(٥) ن : « كيذا » .

(٦) ١ : « شث » .

ثلاثين ومائة سنة من عمره . ثم أباد^(١) بن آدم وتوعمته ، ثم بالغ^(٢) بن آدم وتوعمته ، ثم أثاثي^(٣) بن آدم وتوعمته ، ثم توبة^(٤) بن آدم وتوعمته ، ثم بنان^(٥) ابن آدم وتوعمته ، ثم شبوبة^(٦) بن آدم وتوعمته ، ثم حيان بن آدم وتوعمته ، ثم ضرابيس^(٧) بن آدم وتوعمته ، ثم هلز^(٨) بن آدم وتوعمته ، ثم يهود^(٩) بن آدم وتوعمته ، ثم سندل بن آدم وتوعمته ، ثم بارق بن آدم وتوعمته ، كل رجل منهم تولد معه امرأة في بطنه الذي يُحْمَل به فيه . ١٤٧/١

* * *

وقد زعم أكثر علماء الفرس أن جُيو مَرَّتْ هو آدم ، وزعم بعضهم أنه ابن آدم لصلبه من حواء .

وقال فيه غيرهم أقوالا كثيرة ، يطول بذكر أقوالهم الكتاب ، وتركنا ذكر ذلك إذ كان قصدنا في كتابنا هذا ذكر الملوك وأيامهم ، وما قد شرطنا في كتابنا هذا أنْذاكروه فيه ، ولم يكن ذكر اختلاف المختلِفين في نسب ملك من جنس ما أنْشأنا له صنعة الكتاب ، فإن ذكرنا من ذلك شيئا فلتعريف من ذكرنا ؛ ليعرفه من لم يكن به عارفاً ؛ فأما ذكر الاختلاف في نسبة فإنه غير المقصود به في كتابنا هذا .

* * *

وقد خالف علماء الفرس فيما قالوا من ذلك آخرون من غيرهم ممن زعم أنه آدم ، ووافق علماء الفرس على اسمه وخالفه في عينه وصفته ، فزعم أن

(١) كذا في ١ ، ن ، وفي ط : « إياد » .

(٢) ك : « بالغ » .

(٣) ١ : « أثاث » ، ر : « إيائي » .

(٤) ر : « ثوبة » .

(٥) ١ ، ن : « بيان » ، ر : « لبنان » .

(٦) ر : « ثوبه » ، ك : « شوبة » ، ن : « سبوبة » .

(٧) س : « صرابيس » .

(٨) ١ : « هزر » ، س : « هوز » ، ك : « هرز » ، ن : « هذن » .

(٩) ١ : « نهود » ، س : « يحور » ، ن : « يهود » .

جَيُومَرْت^(١) الذي زعمت الفرس أنه آدم عليه السلام إنما هو جامر^(٢) بن يافث ابن نوح ، وأنه كان معمرًا سيّدًا ، نزل جبل دُنْبَاوَنَد^(٣) من جبال طَبْرِسْتَان من أرض المشرق ، وتعلّك بها وبفارس ، ثم عظم أمره وأمر ولده ، حتى ملكوا بابل ، وملكوا في بعض الأوقات الأقاليم كلّها ، وأن جَيُومَرْت منع من البلاد ما صار إليه ، وابتنى المدن والحصون وعمّرها ، وأعدّ السلاح ، واتخذ الخيل ، وأنه تجبّر في آخر عمره ، وتسمى بآدم ؛ وقال : من سمانى بغير هذا الاسم ضربت عنقه ، وأنه تزوج ثلاثين امرأة ، فكثرت منه نسله ، وأن ماري^(٤) ابنة وماريانه^(٥) أخته ، ممن كان ولد له في آخر عمره ، فأعجب بهما وقدّمهما ، فصار الملوك بذلك السبب من نسلهما ، وأن ملكه اتسع وعظم .

وإنما ذكرت من أمر جَيُومَرْت في هذا الموضع ما ذكرت ، لأنه لا تدافع بين علماء الأمم أن جَيُومَرْت هو أبو الفرس من العجم ؛ وإنما اختلفوا فيه : هل هو آدم أبو البشر على ما قاله الذين ذكرنا قولهم أم هو غيره ؟ ثم مع ذلك فلأن ملكه وملك أولاده لم يزل منتظمًا على سياق ، متسقًا بأرض المشرق وجبالها إلى أن قتل يَزْدَجِيرْد بن شهر يار من ولد ولده بَمَرُو - أبعده الله - أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فتأريخ ما مضى من سنى العالم على أعمار ملوكهم أسهل بيانًا ، وأوضح منارًا منه على أعمار ملوك غيرهم من الأمم ؛ إذ لا تعلم أمة من الأمم الذين ينتسبون إلى^(٦) آدم عليه السلام دامت لها المملكة ، واتصل لهم^(٧) الملك ، وكانت لهم ملوك تجمعهم ، ورعوس تحامى عنهم من ناوهم ، وتغالّب بهم من عازهم ، وتدفع ظالمهم عن مظلومهم ، وتحملهم من الأمور على ما فيه حظهم

(١) جيومرت ، كذا كتب في الأصول ، بالجيم والتاء المثناة ، وكذا في الشاهنامه ١ : ١٣ ، ومعناه عند الفرس اسم الإنسان الأول .

(٢) ر ، وابن الأثير ١ : ٢٨ : « حام بن يافث » .

(٣) دنباوند ، ضبطه ياقوت بضم أوله وسكون ثانيه ويعدها باء موحدة ، وبعد الألف واو ثم نون ساكنة وآخره دال ، قال : « ويقال دباوند : جبل من فواحي الرى » . وفى س : « ديباوند » .

(٤) ك : « أمارى »

(٥) ر : « ماريانة » ، س : « ماريّا » ، ك : « ماريانة » .

(٦) أ : « ينسبون » .

(٧) أ : « بها » .

على اتصال ودوام ونظام ، يأخذ ذلك آخرهم عن أولهم ، وغابهم عن سالفهم -
سواهم ، فالتأريخ على أعمار ملوكهم أصبح مخرجاً ، وأحسن وضوحاً .

* * *

وأنا ذا كرما انتهى إلينا من القول في عمر آدم عليه السلام وأعمار من كان بعده من ولده الذين خلفوه في النبوة والملك ، على قول من خالف قول الفرس الذين زعموا أنه جسيومت ، وعلى قول من قال : إنه هو جيومرت أبو الفرس ، وذاكر ١٤٩/١
ما اختلفوا فيه من أمرهم إلى الحال التي اجتمعوا عليها ، فاتفقوا على من ملك منهم في زمان بعينه أنه كان هو الملك في ذلك الزمان إن شاء الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم سائق ذلك كذلك إلى زماننا هذا .

* * *

ونرجع الآن إلى الزيادة في الإبانة عن خطأ قول من قال : إن أول ميت كان في أول الأرض آدم ، وإنكاره الذين قص الله نبأهما في قوله : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا ﴾ ^(١) ، أن يكونا من صلب آدم من أجل ذلك .

فحدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : حدثنا عمر بن إبراهيم ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرّة بن جندب ، عن النبي عليه السلام قال : « كانت حواء لا يعيش لها ولد ، فنذرت لئن عاش لها ولد لتسمينه عبد الحارث ، فعاش لها ولد فسمته عبد الحارث ، وإنما كان ذلك عن وحى الشيطان ^(٢) » .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كانت حواء تلد لآدم فتعبدهم الله ^(٣) عز وجل وتسميهم : عبد الله ، وعبيد الله ، ونحو ذلك ،

(١) سورة المائدة ٢٧ .

(٢) الخبر في التفسير ١٣ : ١٩٠ .

(٣) ١ والتفسير : « الله » .

فيصيبهم الموت ، فأثاها إبليس وآدم عليه السلام ؛ فقال : إنكما لو تسميانه
بغير الذي تسميانه به لعاش ، فولدت له ذكراً ، فسمياه عبد الحارث ؛ فففيه أنزل
الله عز ذكره ، يقول الله عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ ؛
إلى قوله : ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ ^(١) إلى آخر الآية ^(٢) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا ابن فضيل ، عن سالم بن أبي
حفصة ، عن سعيد بن جبير : ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهُ رَبَّهُمَا ﴾ إلى قوله :
﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ^(٣) .

قال : ولما حملت حواء في أول ولد ولدته حين أثقلت أثاها إبليس قبل
أن تلد فقال : يا حواء ، ما هذا في بطنك ؟ فقالت : ما أدري من ؟ فقال :
أين يخرج ؟ من أنفك ؟ أو من عينك ؟ أو من أذنك ؟ قالت : لا أدري ،
قال : أرايت إن خرج سليماً أمطبعني أنت فيما أمرك به ؟ قالت : نعم ، قال :
سميه عبد الحارث — وقد كان يسمى إبليس لعنه الله الحارث — فقالت : نعم ،
ثم قالت بعد ذلك لآدم : أتاني آت في النوم فقال لي : كذا وكذا ، فقال : إن
ذاك الشيطان فاحذريه ، فإنه عدونا الذي أخرجنا من الجنة ، ثم أثاها إبليس
لعنه الله فأعاد عليها ، فقالت : نعم ، فلما وضعته أخرجته الله سليماً فسمته
عبد الحارث ، فهو قوله : ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ إلى قوله : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ^(٤) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا جرير وابن فضيل ^(٥) ، عن
عبد الملك ^(٥) ، عن سعيد بن جبير ، قال : قيل له : أشرك آدم ؟ قال : أعوذ
بالله أن أزعم أن آدم عليه السلام أشرك ! ولكن حواء لما أثقلت أثاها إبليس

(١) سورة الأعراف ١٨٩ ، ١٩٠

(٢) الخبر في التفسير ١٣ : ٣٠٩

(٣) الخبر في التفسير ١٣ : ٣١٣ (٤) محمد بن فضيل بن غزوان .

(٥) عبد الملك بن أبي سليمان .

فقال لها : من أين يخرج هذا ؟ من أنفك ، أو من عينك ، أو من فيك ؟
فقتطها ، ثم قال : أرايت إن خرج سويا — قال ابن وكيع : زاد ابن فضيل :
« لم يضرّك ولم يقتلك » — أتطعيني ؟ قالت : نعم ، قال : فسمّيه عبد الحارث ،
ففعلت — زاد جرير : فإنما كان شرّكه في الاسم ^(١) .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال :
حدثنا أسباط ، عن السديّ : فولدت — يعني حواء — غلاماً ، فأتاها إبليس ١٥١/١
فقال : سمّوه عبدى ، وإلا قتلتك ، قال له آدم : قد أطعْتُك وأخرجتني من
الجنة . فأبى أن يطيعه ، فسماه « عبد الرحمن » ، فسلب عليه إبليس لعنه الله فقتله ،
فحملت بآخر فلما ولدته ، قال : سمّيه عبدى وإلا قتلتك ، قال له آدم عليه
السلام : قد أطعْتُك فأخرجتني من الجنة . فأبى فسماه صالحاً ، فقتله ، فلما
كان الثالث قال لهما : فإذا غلبتموني فسمّوه عبد الحارث ، وكان اسم إبليس
الحارث ، — وإنما سمى إبليس حين أبلس (تحيّر) ^(٢) — فذلك حين يقول
الله عزّ وجلّ : ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ — يعني في الأسماء ^(٣) .

* * *

فهؤلاء الذين ذكرت الرواية عنهم بما ذكرت ؛ من أنه مات لآدم وحواء
أولاد قبلهما ، ومن لم نذكر أقوالهم ممن عدّهم أكثر من عدد من ذكرت
قوله والرواية عنه ، قالوا خلاف قول الحسن الذي روى عنه أنه قال : أول من
مات آدم عليه السلام .

وكان آدم مع ما كان الله عزّ وجلّ قد أعطاه من ملك الأرض والسلطان
فيها قد نبّأه ، وجعله رسولا إلى ولده ، وأنزل عليه إحدى وعشرين صحيفة كتبها
آدم عليه السلام بخطه ، علّمه إياها جبرئيل عليه السلام .

وقد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثنا عمي ،
قال : حدثني الماضي بن محمد ، عن أبي سليمان ، عن القاسم بن محمد ، عن ١٥٢/١

(١) الخبر في التفسير ١٣ : ٣١٣

(٢) ط : « تحيرا » تصحيف .

(٣) الخبر في التفسير ١٣ : ٣١٣

أبي لإدريس الخولانيّ ، عن أبي ذرّ الغفاريّ ، قال : دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده ، فجلست إليه فقال لي : « يا أبا ذرّ ، إن للمسجد تحية وإن تحيته ركعتان ، فقم فاركعهما » ، فلما ركعتهما جلست إليه فقلت : يا رسول الله ، إنك أمرتني بالصلاة فما الصلاة ؟ قال : « خير موضوع ، استكثر أو استقل » ، ثم ذكر قصة طويلة قال فيها : قلت : يا رسول الله ، كم الأنبياء ؟ قال : « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً » ، قال : قلت : يا رسول الله ، كم المرسل من ذلك ؟ قال : « ثلثمائة وثلاثة عشر جمّاً غفيراً » ، يعني كثيراً طيباً ، قال : قلت : يا رسول الله ، من كان أولهم ؟ قال : « آدم » ، قال : قلت : يا رسول الله ، وآدم نبيّ مرسل ؟ قال : « نعم خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، ثم سواه قبلاً » . (١)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد ابن إسحاق ، عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبي أمامة ، عن أبي ذرّ قال : قلت ، يا نبي الله ، أنبياء كان آدم ؟ قال : « نعم ، كان نبياً ، كلمه الله قبلاً » .

وقيل : إنه كان مما أنزل الله تعالى على آدم تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وحروف المعجم في إحدى وعشرين ورقة .

ذكر ولادة حواء شيثاً

ولما مضى لآدم صلى الله عليه وسلم من عمره مائة وثلاثون سنة ، وذلك بعد قتل قابيل هايل بنخمس سنين ، ولدت له حواء ابنة شيثاً ، فذكر أهل التوراة أن شيثاً ولد فرداً بغير توأم ، وتفسير « شيث » عندهم « هبة الله » ، ومعناه أنه خلف من هايل .

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثني ابن سعد ، قال : أخبرنا هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : ولدت حواء لآدم شيثاً وأخته عزورا^(١) ، فسمي هبة الله ، اشتق له من هايل ، قال لها جبرئيل حين ولدته : هذا هبة الله بدل هايل ، وهو بالعربية شيث ، وبالسريانية شاث ، وبالعبرانية شيث ، وإليه أوصى آدم ، وكان آدم يوم ولد له شيث ابن ثلاثين ومائة سنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : لما حضرت آدم الوفاة — فيما يذكرون والله أعلم — دعا ابنه شيثا فعهده إليه عهده ، وعلمه ساعات الليل والنهار ، وأعلمه عبادة الخلق في كل ساعة منهمن^٢ ، فأخبره أن لكل ساعة صنفاً من الخلق فيها عبادته . وقال له : يا بني إن الطوفان سيكون في الأرض يلبث فيها سبع سنين . وكتب وصيته ، فكان شيث — فيما ذكر — وصي أبيه آدم عليه السلام ، وصارت الرياسة من بعد وفاة آدم لشيث ، فأنزل^(٢) الله عليه فيما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين صحيفة .

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثنا عمي ، قال : حدثنا الماضي بن محمد ، عن أبي سليمان ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ذر الغفاري ، قال : قلت : يا رسول الله ، كم

(١) كذا في ١ ، ن وفي ط : « عزورا » .

(٢) ١ : « وأنزل » .

كتاب أنزله الله عز وجل؟ قال : « مائة كتاب وأربعة كتب ، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة » .

* * *

وإلى شيث أنسابُ بني آدم كلهم اليوم ، وذلك أن نسل سائر ولد آدم غير نسل شيث ، انقرضوا وبادوا فلم يبق منهم أحد ، فأنسابُ الناس كلهم اليوم إلى شيث عليه السلام .

١٥٤/١

وأما الفرس الذين قالوا إن جَيُّومَرْت هو آدم ؛ فلأنهم قالوا : ولد لجيومَرْت ابنه ميشى ، وتزوج ميشى ^(١) أخته ميشانه فولدت له سيامك بن ميشى ، وسيامى ابنة ميشى ، فولد لسيامك بن ميشى بن جيومرت أفرواك ، وديس ، وبراسب ، وأجوب ^(٢) ، وأوراش ^(٣) بنو سيامك ، وأفري ، وددى ^(٤) ، وبرى ^(٥) وأوراشى بنات سيامك ، أمهم جميعاً سيامى بنت ميشى ، وهى أخت أبيهم .

وذكروا أن الأرض كلها سبعة أقاليم ، فأرض بابل وما يوصل إليه مما يأتيه الناس براً أو بحراً فهو إقليم واحد ، وسكانه نسل ولد أفرواك بن سيامك وأعقابهم ، وأما الأقاليم الستة الباقية التى لا يوصل إليها اليوم براً أو بحراً فنسلُ سائر ولد سيامك ، من بنيهِ وبناته .

فولد لأفرواك بن سيامك من أفري بنت سيامك هوشَنَك بيشداد الملك ، وهو الذى خلف جدّه جَيُّومَرْت فى الملك ، وأول من جمع له ملك الأقاليم السبعة ، وسندكر أخباره إن شاء الله إذا انتهينا إليه . وكان بعضهم يزعم أن أوشهنج هذا ، هو ابن آدم لصلبه من حواء .

وأما هشام الكلبي فإنه فيما حدثتُ عنه قال : بلغنا والله أعلم — أول ملك ملك الأرض أوشهنتق بن عابر بن شالخن بن أرفخشذ بن سام بن نوح . قال :

(١) كذا فى ١ ، والشاهنامه ؛ وفى ط : « مشا ... ميشان » ، وانظر الشاهنامه وحواشيها

١٥٤ : ١

(٢) كذا فى ١ ، وفى ط : « أجرب » .

(٣) ر ، ك : « أوراس » ، بن : « أوراس » .

(٤) ١ : « دخرى » .

(٥) ١ : « بزى » .

والفرس تدّعيه وتزعم أنه كان بعد وفاة آدم بمائتي سنة ، وإنما كان هذا الملك فيما بلغنا بعد نوح بمائتي سنة ، فصيرَه أهل فارس بعد آدم بمائتي سنة ، ولم يعرفوا ما كان قبل نوح .

١٥٥/١

وهذا الذى قاله هشام قول لا وجه له ، لأن هوشنك الملك فى أهل المعرفة بأنساب الفرس أشهر من الحجاج بن يوسف فى أهل الإسلام ، وكل قوم فهم بأبائهم وأنسابهم وما تُرهم أعلم من غيرهم ؛ وإنما يُرجع فى كل أمر التّبس إلى أهله .

وقد زعم بعض نسابه الفرس أن أوشهنج يشداذ الملك هذا هو مهلائيل ، وأن أباه فرواك هو قينان أبو مهلائيل ، وأن سيامك هو أنوش أبوقينان ، وأن ميشى هو شيث أبو أنوش ، وأن جيُومرت هو آدم صلى الله عليه وسلم . فإن كان الأمر كما قال ، فلا شك أن أوشهنج كان فى زمان آدم رجلاً ، وذلك أن مهلائيل فيما ذكر فى الكتاب الأول كانت ولادة أمه دينة ^(١) ابنة براكيل ابن محويل بن خنوخ بن قيس بن آدم إياه بعد ما مضى من عمر آدم صلى الله عليه وسلم ثلثمائة سنة وخمس وتسعون سنة ، فقد كان له حين وفاة آدم ستائة سنة وخمس سنين ، على حساب ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمر آدم أنه كان عمره ألف سنة .

وقد زعمت علماء الفرس أن مُلك أوشهنج هذا كان أربعين سنة . فإن كان الأمر فى هذا الملك كالذى قاله النسابه الذى ذكرت عنه ما ذكرت فلم يُبعد من قال : إن مُلكه كان بعد وفاة آدم صلى الله عليه وسلم بمائتي سنة .

ذكر وفاة آدم عليه السلام

اختُلِفَ في مدة عمره ، وابن كَمْ* كان يوم قبضه الله عز وجل إليه .
 فأما الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها واردة بما حدثني
 ١٥٦/١ محمد بن خلف العسقلاني ، قال : حدثنا آدم بن أبي إياس ، قال :
 حدثنا أبو خالد سليمان بن حيان ، قال : حدثني محمد بن عمرو ، عن أبي
 سلمة ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال أبو خالد : وحدثني
 الأعمش ، عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال
 أبو خالد : وحدثني داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله
 عليه وسلم . قال أبو خالد : وحدثني ابن أبي ذباب الدؤسي ، قال : حدثنا
 سعيد المقبري ، ويزيد بن هرمز ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم -
 أنه قال : « خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا له ،
 فجلس فغطس فقال : الحمد لله ، فقال له ربه : يرحمك ربك ، إيت أولئك
 الملائكة من الملائكة فقل لهم : السلام عليكم ، فاتاهم فقال [لهم] ^(١) : السلام
 عليكم . قالوا له : وعليك السلام ورحمة الله ، ثم رجع إلى ربه فقال له : هذه
 تحيتك وتحية ذريتك بينهم ، ثم قبض له يديه ، فقال له : خذ واختر ، قال :
 اخترت يمين ربى وكلتا يديه يمين ، ففتحها له ، فإذا فيها صورة آدم وذريته
 كلهم ، فإذا كل رجل مكتوب عنده أجله ، وإذا آدم قد كتب له عمر ألف
 سنة ، وإذا قوم عليهم النور ، فقال : يا رب ، من هؤلاء الذين عليهم النور ،
 فقال : هؤلاء الأنبياء والرسل الذين أرسل إلى عبادى ، وإذا فيهم رجل هو
 أضوءهم نوراً ، ولم يكتب له من العمر إلا أربعون سنة ، فقال : [يا رب ،
 ما بال هذا ، من أضوئهم نوراً ولم يكتب له من العمر إلا أربعون سنة ؟ فقال] ^(١) :
 ذاك ما كتب له ، فقال : يا رب ، انقص له من عمرى ستين سنة . فقال رسول
 ١٥٧/١ الله صلى الله عليه وسلم : « فلما أسكنه الله الجنة ثم أهبط إلى الأرض كان يعدّ

أيامه ، فلما أتاه ملك الموت ليقبضه قال له آدم : عجّلتَ عليّ يا ملك الموت ! فقال : ما فعلت ، فقال : قد بقيَ من عمري ستون سنة ، فقال له ملك الموت : ما بقيَ من عمرك شيء ، قد سألتَ ربّك أن يكتبه لابنك داود ، فقال : ما فعلتُ . فقال : رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « فَنَسِيتُ ذَريَّتَهُ ، وَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذَريَّتُهُ ، فَيَوْمَئِذٍ وَضَعَ اللهُ الْكِتَابَ ، وَأَمَرَ بِالشُّهُودِ » .

حدثني ابن سنان ، قال : حدثنا موسى بن إسماعيل ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن عليّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت آية الدّٰيْنِ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَوَّلَ مَنْ جَحَدَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَهُ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَأَخْرَجَ مِنْهُ مَا هُوَ ذَارٌّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَجَعَلَ يَعْضُهُمْ عَلَى آدَمَ ، فَرَأَى فِيهِمْ رَجُلًا يَزْهَرُ ، فَقَالَ : أَيُّ رَبِّ ، أَيُّ نَبِيٍّ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا ابْنُكَ دَاوُدَ ، قَالَ : أَيُّ رَبِّ ، كَمْ عَمْرُهُ ؟ قَالَ : ستون سنة ، قَالَ : أَيُّ رَبِّ ، زَدَهُ فِي عَمْرِهِ ، قَالَ : لَا ، إِلَّا أَنْ تُزِيدَهُ أَنْتَ مِنْ عَمْرِكَ ، وَكَانَ عَمْرُ آدَمَ أَلْفَ سَنَةٍ ، فَوَهَبَ لَهُ مِنْ عَمْرِهِ أَرْبَعِينَ عَامًا ، فَكُتِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ كِتَابًا وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ ، فَلَمَّا احْتَضَرَ آدَمَ أَتَتْهُ الْمَلَائِكَةُ لَتَقْبِضَ رُوحَهُ ، قَالَ : إِنَّهُ قَدْ بَقِيَ مِنْ عَمْرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً ، قَالُوا : إِنَّكَ قَدْ وَهَبْتَهَا لابنك داود ، قَالَ : مَا فَعَلْتُ وَلَا وَهَبْتُ لَهُ شَيْئًا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْكِتَابَ ، وَأَقَامَ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ شُهودًا ، فَأَكْمَلَ لآدَمَ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَأَكْمَلَ لِدَاوُدَ مِائَةَ سَنَةٍ » .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ^(١) ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾ ^(٢) ، قال ابن عباس : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ ، وَأَخْرَجَ ذَريَّتَهُ

١٥٨/١

(١) ط : حدثني محمد بن سعد ، قال حدثنا هشام ، قال حدثني أبي قال حدثني عمي ، وما أثبتته عن ١ والتفسير .

(٢) سورة الأعراف ١٧٢

كلهم كهيئة الذرّ ، فأنطقهم فتكلموا ، وأشهدهم على أنفسهم ، وجعل مع بعضهم النور . وأنه قال لآدم : هؤلاء ذريتك أُخِذْ عليهم الميثاق : أتى أنا ربهم لثلاث يُشركوا بي شيئاً ، وعلى رزقهم . قال آدم : فمن هذا الذى معه النور ؟ قال : هو داود ، قال : يا ربّ ، كم كتبت له من الأجل ؟ قال : ستين سنة ، قال : كم كتبت لى ؟ قال : ألف سنة ، وقد كتبت لكل إنسان منهم : كم يعمرّ ، وكم يلبث ، قال : يا رب زدّه ، قال : هذا الكتاب موضوع فأعطه إن شئت من عمرك ، قال : نعم ، وقد جفّ القلم عن سائر بنى آدم ^(١) ، فكتب له من أجل آدم أربعين سنة ، فصار أجله مائة سنة ، فلما عمّر تسعمائة سنة وستين سنة جاءه ملك الموت ، فلما أن رآه آدم قال : مالك ؟ قال له : قد استوفيت أجلك ، قال له آدم : إنما عمّرت تسعمائة سنة وستين سنة ، وبقى [لى] ^(٢) أربعون سنة ، فلما قال ذلك للملك ، قال الملك : قد أخبرنى بها ربى ، قال : فأرجع إلى ربك فسله ، فرجع الملك إلى ربه فقال ^(٣) : مالك ؟ قال : يا ربّ رجعتُ إليك لما كنت أعلم من تكرمك إياه ، قال الله عزّ وجلّ : ارجع فأخبره ، أنه قد أعطى ابنه داود أربعين سنة ^(٤) .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير فى هذه الآية : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ، قال : أخرجهم من ظهر آدم ، وجعل لآدم عمر ألف سنة ، قال : فعرضوا على آدم ، فرأى رجلاً من ذريته له نور ، فأعجبه فسأله عنه فقال : هو داود ، وقد جعل عمره ستين سنة ، فجعل له من عمره أربعين سنة ، فلما احتضر آدم عليه السلام جعل يخاصمهم فى الأربعين السنة ، فقيل له : إنك قد أعطيتها داود ، قال : فجعل يخاصمهم ^(٥) .

(١) فى التفسير : « عن أجل سائر بنى آدم » .

(٢) تكلمة من ا

(٣) فى الأصول : « قال » . وما أثبتته من التفسير .

(٤) الخبر فى التفسير ١٣ : ٢٣٧

(٥) الخبر فى التفسير ١٣ : ٢٤٠

حدثنا ابن حميد: قال: حدثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد،
في قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾
قال: أخرج ذريته من ظهره في صورة كهية الذر، فعرضهم على آدم
بأسمائهم وأسماء آبائهم وأجالهم، قال: فعرض عليه روح داود في نور ساطع،
فقال: مَنْ هذا؟ قال: هذا من ذريتك، نبي خلقته، قال: كم عمره؟
قال: ستون سنة، قال: زيدوه من عمري أربعين سنة، قال: والأقلام^(١) رطبة
تجري، وأثبتت لداود عليه السلام الأربعون، وكان عمر آدم ألف سنة،
فلما استكملها إلا الأربعين سنة^(٢) بعث إليه ملك الموت قال: يا آدم أمِرتُ
أن أقبضك، قال: ألم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: فرجع ملك الموت إلى
ربه عز وجل فقال: إن آدم يدعى من عمره أربعين سنة، قال: أخبر آدم
أنه جعلها لابنه داود. والأقلام رطبة، وأثبتت لداود [الأربعون] (٣).

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبو داود، عن يعقوب، عن
جعفر، عن سعيد، بنحوه.

وذكر أن آدم عليه السلام مرض قبل موته أحد عشر يوماً، وأوصى إلى
ابنه شيث عليه السلام وكتب وصيته، ثم دفع كتاب وصيته إلى شيث، وأمره
أن يخفيه من قابيل وولده، لأن قابيل قد كان قتل هابيل حسداً منه حين
خصه آدم بالعلم، فاستخفى شيث وولده بما عندهم من العلم، ولم يكن عند
قابيل وولده علم ينتفعون به^(٤).

ويزعم أهل التوراة أن عمر آدم عليه السلام كله كان تسعمائة سنة
وثلاثين سنة.

حدثنا الحارث قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرني هشام
ابن محمد، قال: أخبرني أبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: كان
عمر آدم تسعمائة سنة وستاً وثلاثين سنة؛ والله أعلم.

(١) ط: «فالأقلام»، وما أثبتته عن التفسير.

(٢) أ: «السنة».

(٣) الخبر في التفسير ١٣: ٢٤١، والتكلمة من أ.

(٤) أ: «ينفعون».

والأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والعلماء من سلفنا ما قد ذكرت ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان أعلم الخلق بذلك .

وقد ذكرت الأخبار الواردة عنه أنه قال : كان عمره ألف سنة ، وأنه بعد ما جعل لابنه داود من ذلك ما جعل له ، أكمل الله له عِدَّة ما كان أعطاه من العمر قبل أن يهب لداود ما وهب له من ذلك ، ولعل ما كان جعل من ذلك آدم عليه السلام لداود عليه السلام لم يُحسب في عمر آدم في التوراة ، فقليل : كان عمره تسعمائة وثلاثين سنة .

فإن قال قائل : فإن الأمر وإن كان كذلك ؛ فإن آدم إنما كان جعل لابنه داود من عمره أربعين سنة ، فكان ينبغي أن يكون في التوراة تسعمائة سنة وستون ؛ ليوافق ذلك ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قيل : قد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك أن الذي كان جعل آدم لابنه داود من عمره ستون سنة ، وذلك في رواية لأبي هريرة ^(١) عنه ، وقد ذكرناها قبل . فإن يكن ذلك كذلك ، فالذي زعموا أنه في التوراة من الخبر عن مدة حياة آدم عليه السلام موافق لما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، أنه قال : لما كتب آدم الوصية مات صلوات الله عليه ، واجتمعت عليه الملائكة من أجل أنه كان صنيّ الرحمن ، فقبرته الملائكة ، وشيئ وإخوته في مشارق الفردوس ، عند قرية هي أول قرية كانت في الأرض ، وكسفت عليه الشمس والقمر سبعة أيام وليالين ، فلما اجتمعت عليه الملائكة وجمع الوصية ، جعلها في معراج ، ومعها القرن الذي أخرج أبونا آدم من الفردوس ؛ لكيلا يغفل عن ذكر الله عز وجل .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يحيى بن عباد ، عن أبيه ، قال : سمعته يقول : بلغني أن آدم عليه السلام حين

(١) ط : « أبي هريرة » ، وما أثبتته من أ .

مات بعث الله إليه بكفنه وحنوطه من الجنة ، ثم وليت الملائكة قبره ودفنه حتى غيبوه .

حدثنا علي بن حرب ، قال : حدثنا روح بن أسلم ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني ، عن الحسن ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لما توفي آدم غسلته الملائكة بالماء وتراً ، وألحدوا^(١) له ، وقالت : هذه سنة آدم في ولده » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن ابن ذكوان ، عن الحسن بن أبي الحسن ، عن أبي بن كعب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أباكم آدم كان طُوالاً كالنخلة السَّحوق ، ستين ذراعاً ، كثير الشعر ، موارى العورة ، وأنه لما أصاب الخطيئة بدت له سوءته فخرج هارباً في الجنة فتلقاه شجرة ، فأخذت بناصيته ، وناداه ربه : أفراراً مني يا آدم ! قال : لا والله يا رب ولكن حياءً منك مما [قد]^(٢) جنيت ، فأهبطه الله إلى الأرض ، فلما حضرته الوفاة بعث الله إليه بحنوطه^(٣) وكفنه من الجنة ، فلما رأت حواء الملائكة ذهبت لتدخل دونهم إليه ، فقال : خلتني عنى وعن رسل ربى ، فإني ما لقيت ما لقيت إلا منك ، ولا أصابني ما أصابني إلا فيك . فلما قبض غسلوه بالسَّدر والماء وتراً ، وكفنوه في وتر من الثياب ، ثم ألحدوا له فدفنوه ، ثم قالوا : هذه سنة ولد آدم من بعده .

حدثني أحمد بن المقدم ، قال : حدثنا المعتمر بن سليمان ، قال : قال أبي : — وزعم قتادة عن صاحب له حدث عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان آدم رجلاً طُوالاً كأنه نخلة سَحوق » .

حدثنا الحارث بن محمد ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام [بن محمد]^(٢) قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال :

(١) ألحدوا له ولحدوا : عملوا له لحداً ؛ وهو القبر .

(٢) تكلمة من أ

(٣) الحنوط ، بالفتح : كل طيب يخلط للميت .

لما مات آدم عليه السلام قال شيث لجبرئيل صلى الله عليهما : صلّ على آدم ، قال : تقدم أنت فصلّ على أبيك ، وكبّر عليه ثلاثين تكبيرة ، فأما خمس فهي الصلاة ، وأما خمس وعشرون فتفضيلا لآدم صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقد اختلف في موضع قبر آدم عليه السلام ، فقال ابن إسحاق ما قد مضى ذكره ، وأما غيره فإنه قال : دفن بمكة في غار أبي قبيس ، وهو غار يقال له غار الكثر^(١) .

وروى عن ابن عباس في ذلك ، ما حدثني به الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا هشام قال : أخبرنا أبي ، عن أبي صالح ، ١٦٣/١ عن ابن عباس قال : لما خرج نوح من السفينة دَفَنَ آدم عليه السلام بيت المقدس .

* * *

وكانت وفاته يوم الجمعة ، وقد مضى ذكرنا الرواية بذلك ، فكرهنا إعادته .

وروى عن ابن عباس في ذلك ما حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام بن محمد ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : مات آدم عليه السلام على بوذ - قال أبو جعفر يعني الجبل الذي أُهبط عليه - وذكر أن حواء عاشت بعده سنة ثم ماتت رحمهما الله ، فدفنت مع زوجها في الغار الذي ذكرت ، وأنهما لم يزالا مدفونين في ذلك المكان ، حتى كان الطوفان ، فاستخرجهما نوح ، وجعلهما في تابوت ، ثم حملهما معه في السفينة ، فلما غاضت الأرض الماء ردتّهما إلى مكانهما الذي كانا فيه قبل الطوفان ، وكانت حواء قد غرّكت - فيما ذكر -

(١) ذكره ياقوت وقال : « غار الكثر : موضع في جبل أبي قبيس ، دفن فيه آدم كُتِبَ فيها زعموا » . معجم البلدان ٦ : ٢٦١

ونسجت وعجنت وخيزت ، وعملت أعمال النساء كلها .

* * *

ونرجع الآن إلى قصة قابيل وخبره وأخبار ولده وأخبار شيث وخبر ولده —
إذ كنا قد أتينا^(١) من ذكر آدم وعدوه إبليس وذكر أخبارهما ، وما صنع الله
بإبليس إذ تجبر وتعظم وطفى على ربه عز وجل فأشهر وبطر نعمته التي أنعمها
الله عليه ، وتمادى في جهله وغيته ، وسأل ربه النظرة ، فأنظره^(٢) إلى يوم الوقت
المعلوم ، وما صنع [الله]^(٣) بآدم صلوات الله عليه إذ خطى^(٤) ونسى عهد الله
من تعجيل عقوبته له على خطيئته ، ثم تغمدته إياه بفضله ورحمته ، إذ تاب
إليه من زلته فتاب عليه وهده ، وأنقذه من الضلالة والردى — حتى نأتى على
ذكر من سلك سبيل كل واحد منهما ؛ من تباع آدم عليه السلام على
منهاجه^(٥) وشيعة إبليس والمقتدين به في ضلالته ، إن شاء الله ، وما كان من
صنع الله تبارك وتعالى بكل فريق منهم .

١٦٤/١

فأما شيث عليه السلام فقد ذكرنا بعض أمره ، وأنه كان وصى أبيه آدم
عليه السلام في مختلفيه^(٦) بعد مضيئه لسبيله ، وما أنزل الله عليه من الصحف .
وقيل : إنه لم يزل مقبلاً بمكة يحج ويعتمر إلى أن مات ، وإنه كان جمع
ما أنزل الله عز وجل عليه من الصحف إلى صحف أبيه آدم عليه السلام ، وعمل
بما فيها ، وأنه بنى الكعبة بالحجارة والطين .

وأما السلف من علمائنا فإنهم قالوا : لم تزل القبة التي جعل الله لآدم في
مكان البيت إلى أيام الطوفان ، وإنما رفعها الله عز وجل حين أرسل الطوفان .
وقيل : إن شيئاً لما مرض أوصى ابنه أنوش ومات ، فدفن مع أبويه في غار
أبي قبيس ، وكان مولده لمضى مائتي سنة وخمسين وثلاثين سنة ، من عمر آدم

(١) ن : « على ذكر آدم » .

(٢) ا ، ك : « فأنظر » بالبناء للمجهول .

(٣) تكملة من ا

(٤) ا : « أخطأ » ، وهما سواء .

(٥) ا : « منهاجه » .

(٦) كذا في ا ، س ، ن ، ط : « مختلفيه » .

عليه السلام . وكانت وفاته وقد أتت له تسعمائة سنة واثنى عشرة سنة .
 وولد لشيث أنوش^(١) ، بعد أن مضى من عمره ستمائة سنة وخمس سنين ؛ فيما
 يزعم أهل التوراة .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قال فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا
 سلمة بن الفضل ، عنه : نكح شيث بن آدم أخته حزورة ابنة آدم ، فولدت
 له يانش بن شيث ، ونعمة ابنة شيث ، وشيث يومثد ابن مائة سنة وخمس
 سنين ، فعاش بعد ما وُلد له يانش ثمانمائة سنة وسبع سنين .

وقام أنوش بعد مضى أبيه شيث لسبيله بسياسة^(٢) الملك ، وتدير من^{١٦٥/١}
 تحت يديه من رعيته مقام أبيه شيث ، ولم يزل — فيما ذكر — على منهاج أبيه ،
 لا يوقف منه على تغيير ولا تبديل . وكان جميعُ عمر أنوش — فيما ذكر أهل
 التوراة — تسعمائة سنة وخمس سنين .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثني هشام ، قال :
 أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : ولد شيث أنوش
 ونفراً كثيراً ، وإليه أوصى شيث ، ثم وُلد لأنوش بن شيث بن آدم ابنه
 قَيْنَان^(٣) من أخته نعمة ابنة شيث بعد مضى تسعين سنة من عمر أنوش ،
 ومن عمر آدم ثلثمائة سنة وخمس وعشرين سنة .

وأما ابن إسحاق فإنه قال فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن
 ابن إسحاق : نكح يانش بن شيث أخته نعمة ابنة شيث ، فولدت له قَيْنَان ،
 ويانش يومثد ابن تسعين سنة ، فعاش يانش بعد ما ولد له قَيْنَان ثمانمائة
 سنة وخمس عشرة سنة ، وولد له بنون وبنات ، فكان كلُّ ما عاش
 يانش تسعمائة سنة وخمس سنين . ثم نكح قَيْنَان بن يانش — وهو ابن

(١) أنوش كصبور ، كذا ضبطه صاحب تاج العروس في ٤ : ٢٨٠ ، قال :
 « ويقال : يانش كصاحب وآدم ، ويقال لأنوش ، بكسر الهمزة بمعنى إنسان » .

(٢) ر ، س : « لسياسة » .

(٣) قينان ، كذا ضبطه صاحب اللسان ؛ بفتح القاف ومد النون الأولى ، وفي سفر التكوين
 ١٢ : ضبط بكسر القاف . ويقال أيضاً « قَيْنين » بإسقاط الألف ؛ كما نقله صاحب التاج .

سبعين سنة - دينة^(١) ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ^(٢) بن قين^(٣) بن آدم ، فولدت له مهلائيل^(٤) بن قينان ، فعاش قينان بعد ما ولد له مهلائيل ثمانمائة سنة وأربعين سنة ، فكان كل ما عاش قينان تسعمائة سنة وعشر سنين .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : ولد أنوش قينان ، ونفراً كثيراً ، وإليه الوصية ، فولد قينان مهلائيل ونفراً معه ، وإليه الوصية ، فولد مهلائيل يرد^(٥) - وهو اليارد - ونفراً معه ، وإليه الوصية ، فولد يرد أخنوخ وهو إدريس النبي صلى الله عليه وسلم ونفراً معه ، فولد أخنوخ متوشلخ^(٦) ونفراً معه وإليه الوصية ، [فولد متوشلخ ملك^(٧) ونفراً معه وإليه الوصية] .^(٨)

وأما التوراة فما ذكره أهل الكتاب أنه فيها أن مولد مهلائيل بعد أن مضت من عمر آدم ثلثمائة سنة وخمس وتسعون سنة ، ومن عمر قينان سبعون سنة .

ونكح مهلائيل بن قينان - وهو ابن خمس وستين سنة ، فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - خالته سمعن ابنة براكيل ابن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم ، فولدت له يرد بن مهلائيل ، فعاش مهلائيل بعد ما ولد له يرد ثمانمائة سنة وثلثين سنة ، فولد له بنون وبنات ، فكان كل ما عاش مهلائيل ثمانمائة سنة وخمساً وتسعين سنة ، ثم مات .

وأما في التوراة فإنه ذكر أن فيها أن يرد ولد لمهلائيل بعد ما مضى من عمر آدم أربعمائة سنة وستون سنة ، وأنه كان على منهاج أبيه قينان ، غير أن الأحداث بدت في زمانه .

(١) في « ذنب » ، وفي : « ذنب » بالذال .

(٢) كذا في الأصول ، وفي القاموس : خنوخ بالفتح وأخنوخ بالهمز .

(٣) في القاموس : « قايين ابن لآدم عليه السلام » ، وقال في التاج : « إنه انقرض » .

وفي سفر التكوين ٤ : ١ « قايين » .

(٤) في سفر التكوين ٥ : ١٥ « مهلائيل » .

(٥) كذا ورد في الأصول ، وحكي أبو الفدا في ١ : ٩ إعجام الذال أيضاً .

(٦) كذا في الأصول ، وضبطه ابن الأثير في ١ : ٣٦ بفتح الميم وبالناء المعجمة باثنتين من فوق

وبالشين المعجمة وبهاء مهملة ، قال : وقيل خاء معجمة .

(٧) في أبي الفدا : « لامخ » ، ويقال : لملك وملك أيضاً . (٨) تكملة من ١

ذكر الأحداث التي كانت في أيام بني آدم

من لدن ملك شيث بن آدم إلى أيام يرد

١٦٧/١ ذكر أن قابيل لما قتل هابيل ، وهرب من أبيه آدم إلى اليمن ، أناه إبليس ، فقال له : إن هابيل إنما قَبِلَ قُربانَهُ وأكلته النار ، لأنه كان يخدم النار ويعبدها ، فانصب أنت أيضاً ناراً تكون لك ولعقبك . فبنى بيت نار ، فهو أول مَنْ نَصَبَ النارَ وعبدها .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : إن قيناً نكح أخته آشوث بنت آدم ، فولدت له رجلاً وامراًة : خنوخ بن قين ، وعذب^(١) بنت قين ، فنكح خنوخ بن قين أخته عذب بنت قين ، فولدت له ثلاثة نفر وامراًة : عيرد بن خنوخ ومحويل بن خنوخ وأنوشيل^(٢) بن خنوخ ، وموليث بنت خنوخ ، فنكح أنوشيل بن خنوخ موليث ابنة خنوخ ، فولدت لأنوشيل رجلاً اسمه لامك ، فنكح لامك امرأتين : اسم إحداهما عددي واسم الأخرى صلتى^(٣) ، فولدت له عددي تولين بن لامك ، فكان أول من سكن القباب ، واقتنى المال ، وتوبيش^(٤) ، وكان أول من ضرب بالونج^(٥) والصننج ، وولدت رجلاً اسمه توبلقين ، فكان أول مَنْ عمل النحاس والحديد ، وكان أولادهم جبابرة وفراعنة ، وكانوا قد أعطوا بسطة في الخلق ؛ كان الرجل فيما يزعمون يكون ثلاثين ذراعاً . قال : ثم انقرض ولد قين ، ولم يتركوا عقباً إلا قليلاً ، وذرية آدم كلهم جهلت^(٦) أنسابهم وانقطع نسلهم ، إلا ما كان من شيث بن آدم ، فنه كان النسل ، وأنساب الناس اليوم كلهم إليه دون أبيه آدم ، فهو أبو البشر ، إلا ما كان من أبيه وإخوته ممن لم يترك عقباً .

١٦٨/١

(١) كذا في أ ، س ، ن ، وابن الأثير ١ : ٣٢ ، وفي ط : « عدن » .

(٢) كذا في أ ، ك ، وابن الأثير ، وفي ط : « أبوشيل » .

(٣) سفر التكوين : « عادة » و « صلة » ، بتشديد اللام .

(٤) في ابن الأثير : « تولين » .

(٥) النونج : المعزف ؛ وهو المزهر أو العود .

(٦) في الأصول : « فجهلت » ، وما أثبتته عن ابن الأثير .

قال : ويقول أهل التوراة : بل نكح قَيْنَ آشوث ، فولدت له خَنوخ ، فولد لخَنوخ عِيرِد^(١) ، فولد عيرِد محويل ، فولد محويل أنوشيل ، فولد أنوشيل ، لامك ، فنكح لامك عدتي وصلتي ، فولدتا له مَن سميَت . والله أعلم . فلم يذكر ابن إسحاق من أمر قابيل وعقبه إلا ما حكيت .

وأما غيره من أهل العلم بالتوراة فإنه ذكر أن الذي اتخذ الملائكة من ولد قايين رجل يقال له توبال^(٢) ، اتخذ في زمان مهلائيل بن قَيْنان آلات اللهو من المزامير والطبول والعِيدان والطنابير والمعازف ، فأنهمك ولد قايين في اللهو ، وتناهى خبرهم إلى مَن بالجبل من نسل شيث ، فهم منهم مائة رجل بالنزول إليهم ، وبمخالفة ما أوصاهم به آبائهم ، وبلغ ذلك يارد ، فوعظهم ونهاهم ؛ فأبوا إلا تمادياً ، ونزلوا إلى ولد قايين ، فأعجبوا بما رأوا منهم ، فلما أرادوا الرجوع حيل بينهم وبين ذلك لدعوة سبقت من آبائهم ، فلما أبطأوا بمواضعهم ، ثلث من كان في نفسه زيغ من كان بالجبل أنهم أقاموا اعتباطاً ، فتسللوا^(٣) ينزلون عن الجبل ، ورأوا اللهو فأعجبهم ، ووافقوا نساء من ولد قايين متسرعات إليهم ، وصرن معهم ، وأنهمكوا في الطغيان ، وفشت الفاحشة وشرب الخمر .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول غير بعيد من الحق ؛ وذلك أنه قول قد روى عن جماعة من سلف علماء أمة نبينا صلى الله عليه وسلم نحو منه ، وإن لم يكونوا يبينوا زمان مَن حدث ذلك في ملكه ، سوى ذكرهم أن ذلك كان فيما بين آدم ونوح صلى الله عليهما وسلم . ١٦٩/١

* ذكر من روى ذلك عنه :

حدثنا أحمد بن زهير ، قال : حدثنا موسى بن إسماعيل ، قال : حدثنا داود — يعني ابن أبي الفرات — قال : حدثنا علباء بن أحمر ، عن عكرمة ،

(١) في سفر التكوين : « عيراد » .

(٢) كذا في ١ ، وفي ط من غير نقط ، وفي ابن الأثير : « ثوبال » .

(٣) كذا في ١ ، وفي ابن الأثير : « فتسللوا » ، وفي ط : « فتسللوا » .

عن ابن عباس ، أنه تلا هذه الآية : ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ .^(١)
قال : كانت فيما بين نوح وإدريس ، وكانت ألف سنة ، وإن بطنين من
ولد آدم ، كان أحدهما يسكن السهل ، والآخر يسكن الجبل ، وكان رجال
الجبل صباحاً وفي النساء دمامة^(٢) ، وكان نساء السهل صباحاً وفي الرجال
دمامة ، وإن إبليس أتى رجلاً من أهل السهل في صورة غلام فأجر نفسه
منه ، وكان يخدمه ، واتخذ إبليس لعنه الله شيئاً مثل الذي يزمرفيه الرعاء ،
فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله ، فبلغ ذلك من حولم ، فانتابوهم^(٣)
يسمعون إليه ، واتخذوا عيداً يجتمعون إليه في السنة ، فتتبرج النساء للرجال ،
قال : وينزل الرجال لهم . وإن رجلاً من أهل الجبل هجم عليهم وهم في
عيدهم ذلك ، فرأى النساء وصباحتهن ، فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك ، فتحولوا
إليهن ، فترلوا عليهن^(٤) ، فظهرت الفاحشة فيهن ، فهو قول الله عز وجل :
﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ .^(٥)

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا ابن أبي غنينة ، عن أبيه ، عن الحكم : ١٧٠/١
﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ ، قال : كان بين آدم ونوح ثمانمائة
سنة ، وكان^(٦) نساؤهم أقبح ما يكون من النساء ، ورجالهم حسان ، فكانت المرأة تريد
الرجل على نفسها ، فأنزلت هذه الآية : ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ .^(٧)
حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال :
أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : لم يمض آدم حتى
بلغ ولده وولده ولده أربعين ألفاً ببؤذ .

(١) سورة الأحزاب ٣٣

(٢) كذا في التفسير ، وفي باقي الأصول : « دمامة » .

(٣) ك : « فأتوهم » .

(٤) كذا في ط ، وفي أ ، ك والتفسير : « مهن » .

(٥) الخبر في التفسير ٢٢ : ٤ (بولاقي)

(٦) ١ ، والتفسير : « فكان » .

(٧) الخبر في التفسير ٢٢ : ٤ (بولاقي) .

ورأى آدم فيهم الزنا وشرب الخمر والفساد ، فأوصى ألا يناكِح بنو شيث
 بنى قابيل ، فجعل بنو شيث آدم في مغارة ، وجعلوا عليه حافظاً^(١) ، لا يقربه
 أحد من بنى قابيل^(٢) ، وكان الذين يأتونه ويستغفر لهم من بنى شيث^(٣) ،
 فقال مائة من بنى شيث صباح : لو نظرنا إلى ما فعل بنو عمنا ! يعنون بنى قابيل .
 فهبطت المائة إلى نساء صباح من بنى قابيل ، فاحتبس النساء الرجال ، ثم
 مكثوا ما شاء الله . ثم قال مائة آخرون : لو نظرنا ما فعل إخوتنا ! فهبطوا
 من الجبل إليهم ، فاحتبسهم النساء . ثم هبط بنو شيث كلهم ، فجاءت المعصية ،
 وتناكحوا واختلطوا^(٤) ، وكثر بنو قابيل حتى ملئوا^(٥) الأرض ، وهم الذين
 غرقوا أيام نوح .

* * *

وأما نسابو الفرس فقد ذكرت ما قالوا في مهلائيل بن قيسان ، وأنه هو
 أوشهنج الذى ملك الأقاليم السبعة ، وبيئت قول من خالفهم في ذلك من
 نسابى العرب .

فإن كان الأمر فيه كالذى قاله نسابو الفرس ، فلإنى حدثت عن هشام
 ابن محمد بن السائب ، أنه هو أول من قطع الشجر ، وبنى البناء ، وأول من
 استخرج المعادن وفطن الناس لها ، وأمر أهل زمانه باتخاذ المساجد ، وبنى
 مدينتين كانتا أول ما بُنى على ظهر الأرض من المدائن ، وهما مدينة بابل
 التى بسواد الكوفة ، ومدينة السوس . وكان^(٦) ملكه أربعين سنة .

١٧١/١

وأما غيره فإنه قال : هو أول من استنبط الحديد فى ملكه ، فاتخذ منه
 الأدوات للصناعات ، وقدر المياه فى مواضع المنافع ، وحض الناس على الحراثة
 والزراعة والحصاد واعمال الأعمال ، وأمر بقتل السباع الضارية ، واتخاذ الملابس

(١) ك : « حائطا » .

(٢) ط : « من بنى آدم » ، وما ذكرته من ا ، وكذلك فيما يأتى .

(٣) ا : « بنو شيث » .

(٤) ط : « فاختلطوا » .

(٥) ط : « ملئوا » .

(٦) ط : « فكان » .

من جلودها والمفارش ، وبذبح البقر والغنم والوحش والأكل من لحومها ، وأن
مُلْكِهِ كان أربعين سنة ، وأنه بنى مدينة الرّعى. قالوا: وهى أوّل مدينة بنيت
بعد مدينة جيومرّت التى كان يسكنها بدُنْبَاوَنَد من طبرستان .

وقالت الفرس : إن أوْشَهَنْج هذا وُلِدَ ملكًا ، وكان فاضلاً محموداً فى
سيرته وسياسة رعيته ، وذكروا أنه أوّل من وَضَعَ الأحكام والحدود ، وكان
ملقباً بذلك ، يُدْعَى فيشداذ ومعناه بالفارسية أوّل مَنْ حَكَمَ بالعدل ، وذلك
أن « فاش » معناه أوّل ، وأن « داذ » عدل وقضاء ، وذكروا أنه نزل الهند ،
وتنقلّ فى البلاد ، فلما استقام أمره واستوثق له الملك عقد على رأسه تاجاً ،
وخطب خطبة ، فقال فى خطبته : إنه ورث الملك عن جده جيومرّت ، وإنه
عذاب ونقمة على مرّدة الإنس والشرّاطين . وذكروا أنه قهر إبليس وجنوده ،
ومنعهم الاختلاط بالناس ، وكتب عليهم كتاباً فى طِرْس أبيض أخذ عليهم
فيه المواثيق ألاّ يعرضوا لأحد من الإنس ، وتوعدهم على ذلك ، وقتل مردّتهم
وجماعة من الغيلان ، فهربوا من خوفه إلى المفاوز والجبال والأودية ، وأنه ملك
الأقاليم كلها ، وأنه كان بين موت جيومرّت إلى مولد أوْشَهَنْج وملكه مائتا سنة
وثلاث وعشرون سنة .

وذكروا أن إبليس وجنوده فرحوا بموت أوْشَهَنْج ، وذلك أنهم دخلوا بموته
مساكن بنى آدم ، ونزلوا إليهم من الجبال والأودية .

* * *

ونرجع الآن إلى ذكر يرد - وبعضهم يقول هو يارد - فولد يرد لمهلثيل من
خالته سمعن ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين ، بعد ما مضى من عمر آدم
أربعمئة وستون سنة ، فكان وصى أبيه وخليفته فيما كان والد مهلاثيل أوصى
إلى مهلاثيل ، واستخلفه عليه بعد وفاته ، وكانت ولادة أمه إياه بعد ما مضى
من عمر أبيه مهلاثيل - فيما ذكروا - خمس وستون سنة ، فقام من بعد مهلاثيل
أبيه من وصية أجداده وآبائه بما كانوا يقومون به أيام حياتهم .

ثم نكح يرد - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن

إسحاق ، وهو ابن مائة سنة واثنين وستين سنة — بركننا ابنة الدرسميل ^(١) بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم. فولدت له أخنوخ بن يرد — وأخنوخ إدريس النبي ، وكان أول بني آدم أعطي النبوة — فيما زعم ابن إسحاق — وخط بالقلم ، فعاش يرد بعد ما وُلد له أخنوخ ثمانمائة سنة ، وولد له بنون وبنات ، فكان كل ما عاش يرد تسعمائة سنة واثنين وستين سنة ثم مات .

وقال غيره من أهل التوراة : ولد ليرد أخنوخ — وهو إدريس — فنبأه الله عز وجل ، وقد مضى من عمر آدم ستمائة سنة واثنان وعشرون سنة ، وأنزل عليه ثلاثون صحيفة . وهو أول من خط بعد آدم وجاهد في سبيل الله ، وقطع الثياب وخاطها ، وأول من سبى من ولد قابيل ، فاسترق منهم ، وكان وصى والده يرد فيما كان أباه أوصوا به إليه ، وفيما أوصى به بعضهم بعضاً ، وذلك كله من فعله في حياة آدم .

قال : وتوفي آدم عليه السلام بعد أن مضى من عمر أخنوخ ثلثمائة سنة وثمانين سنة ، تئمت تسعمائة وثلاثين سنة التي ذكرنا أنها عمر آدم . قال : ودعا أخنوخ قومه ووعظهم ، وأمرهم بطاعة الله عز وجل ومعصية الشيطان ، وألا يلبسوا ولد قابيل ، فلم يقبلوا منه ، وكانت العصابة بعد العصابة من ولد شيث تنزل إلى ولد قايين .

قال : وفي التوراة : إن الله تبارك وتعالى رفع إدريس بعد ثلثمائة سنة وخمس وستين سنة مضت من عمره ، وبعد خمسمائة سنة وسبع وعشرين سنة مضت من عمر أبيه ، فعاش أبوه بعد ارتفاعه أربعمائة وخمسة وثلاثين سنة تمام تسعمائة واثنين وستين سنة ، وكان عمر يرد تسعمائة واثنين وستين سنة ، وولد أخنوخ وقد مضت من عمر يرد مائة واثنان وستون سنة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : في زمان يرد عُملت الأصنام ، ورجع من رجوع عن الإسلام . ١٧٤/١

وقد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثني عمي ، قال :

حدثني الماضي بن محمد ، عن أبي سليمان ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ذر الغفاري ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا ذر ، أربعة - يعنى من الرسل - سريانئون : آدم ، وشيث ، ونوح ، وأخنوخ ، وهو أول من خط بالقلم ، وأنزل الله تعالى على أخنوخ ثلاثين صحيفة » .

وقد زعم بعضهم أن الله بعث ^(١) إدريس إلى جميع أهل الأرض في زمانه ، وجمع له علم الماضين ، وأن الله عز وجل زاده مع ذلك ثلاثين صحيفة ، قال : فذلك قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ ^(٢)

وقال : يعنى بالصحف الأولى [الصحف] ^(٣) التي أنزلت على ابن آدم هبة الله وإدريس عليهما السلام .

وقال بعضهم : ملك بيوراسب في عهد إدريس ، وقد كان وقع إليه كلام من كلام آدم صلوات الله عليه ، فاتخذة في ذلك الزمان سحراً ، وكان بيوراسب يعمل به ، وكان إذا أراد شيئاً من جميع مملكته أو أعجبه دابة أو امرأة نفخ بقصبة ^(٤) كانت له من ذهب ، وكان يحيى إليه كل شيء يريد ، فن تم تنفخ اليهود [في الشبورات] ^(٥) .

وأما الفرس فإنهم قالوا : ملك بعد موت أوشهنج طهمورث بن ويونجهان ابن خبانداذ بن خيا يذار ^(٦) بن أوشهنج .

وقد اختلف في نسب طهمورث إلى أوشهنج ، فنسبه بعضهم النسبة التي ذكرت . وقال بعض نسابة الفرس : هو طهمورث بن أيونكهان بن أنكهذ ابن أسكهذ بن أوشهنج .

(١) : « ابتعث » .

(٢) سورة الأعلى ١٨ - ١٩

(٣) من ١

(٤) : « بعصية » .

(٥) تكملة من غرر أخبار ملوك الفرس ص ٢٤ فيها نقله عن الطبري .

(٦) كذا أورد الاسم مضبوطاً معجماً في ١ ، وفي ط مهمل من الضبط .

وقال هشام بن محمد الكلبي - فيما حدثت عنه : ذكر أهل العلم أن أول ملوك بابل طهمورث ، قال : وبلغنا - والله أعلم - أن الله أعطاه من القوة ما خضع له إبليس وشياطينه ، وأنه كان مطيعاً لله ، وكان ملكه أربعين سنة . وأما الفرس فإنها تزعم أن طهمورث ملك الأقاليم كلها ، وعقد على رأسه تاجاً ، وقال يوم ملك : نحن دافعون بعون الله عن خليقته المردة الفسدة .^(١) وكان محموداً في ملكه ، حديباً على رعيته ، وأنه ابني سابور من فارس ونزلها ، وتنقل في البلدان ، وأنه وثب بإبليس حتى ركه ، فطاف عليه في أداني الأرض وأقاصيها ، وأفرعه ومردة أصحابه حتى تطايروا وتفرقوا ، وأنه أول من اتخذ الصوف والشعر للباس^(٢) والفرش ، وأول من اتخذ زينة الملوك من الخيل والبغال والحمير ، وأمر باتخاذ الكلاب لحفظ المواشي وحراستها من السباع والحوارح للصيد ، وكتب بالفارسية ، وأن بيوراسب ظهر في أول سنة من ملكه ، ودعا إلى ملة الصابئين .

١/٦٧١

ثم رجعنا إلى ذكر أخنوخ ، وهو إدريس عليه السلام .

ثم نكح - فيما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : أخنوخ بن يرد هداة^(٣) - ويقال : أدانة^(٤) - ابنة باويل^(٥) ابن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم ، وهو ابن خمس وستين سنة ، فولدت له متوشلخ بن أخنوخ ، فعاش بعد ما ولد له متوشلخ ثلثمائة سنة ، وولد له بنون وبنات ؛ فكان كل ما عاش أخنوخ ثلثمائة سنة وخمسة وستين سنة ثم مات .

وأما غيره من أهل التوراة فإنه قال فيما ذكر عن^(٦) التوراة : ولد لأخنوخ بعد ستمائة سنة وسبع وثمانين سنة خلكت من عمر آدم متوشلخ ، فاستخلفه

١٧٧/١

(١) : « والفسدة » .

(٢) : « ن » : « للناس » .

(٣) : « كذا ضبطت في بعض النسخ » .

(٤) : « ك » : « أدانة » .

(٥) : « ر » : « باويل » . « ن » : « ناولين » . « ن » : « باويل » .

(٦) : « ط » : « ذكر أهل التوراة » وما أثبت من أ .

أَخْنُوخَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ ، وَأَوْصَاهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ ، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَيُعَذِّبُ وَلَدَ قَايِينَ وَمَنْ خَالَطَهُمْ وَمَالَ إِلَيْهِمْ ، وَنَهَاهُمْ عَنِ مَخَالَطَتِهِمْ ، وَذُكِّرَ أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ رَكِبَ الْخَيْلَ ، لِأَنَّهُ اقْتَنَى رَسْمَ أَبِيهِ فِي الْجِهَادِ ، وَسَلَكَ فِي أَيَّامِهِ فِي الْعَمَلِ بِطَاعَةِ اللَّهِ طَرِيقَ آبَائِهِ . وَكَانَ عَمْرُ أَخْنُوخَ إِلَى أَنْ رَفَعَ ثَلَاثَةَ سَنَةٍ وَخَمْسًا وَسِتِينَ سَنَةً . وَوُلِدَ لَهُ مَتُوشَلَخُ بَعْدَ مَا مَضَى مِنْ عَمْرِهِ خَمْسَ وَسِتُونَ سَنَةً .

ثم نكح - فيما حدثني ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق - مَتُوشَلَخُ بْنُ أَخْنُوخَ عَرَبِيًّا ابْنَةَ عِزْرَائِيلَ ^(١) بِنِ أَنْوَشِيلَ بْنِ خَنْوُخَ بْنِ قَيْنَ بْنِ آدَمَ ، وَهُوَ ابْنُ مِائَةِ سَنَةٍ وَسَبْعٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً . فَوُلِدَتْ لَهُ الْمَلِكُ بْنُ مَتُوشَلَخَ ، فَعَاشَ بَعْدَ مَا وَلَدَ لَهُ الْمَلِكُ سَبْعِمِائَةَ سَنَةٍ ، فَوُلِدَ لَهُ بَنُونَ وَبَنَاتٌ ، وَكَانَ كُلُّ مَا عَاشَ مَتُوشَلَخُ تِسْعِمِائَةَ سَنَةٍ وَتِسْعَ عَشْرَةِ سَنَةٍ . ثُمَّ مَاتَ وَنَكَحَ الْمَلِكُ بْنُ مَتُوشَلَخَ بْنُ أَخْنُوخَ بَنَتُوسَ ابْنَةَ بَرَاكِيْلَ بْنِ مَحْوِيلَ ^(٢) بِنِ خَنْوُخَ بْنِ قَيْنَ بْنِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُوَ ابْنُ مِائَةِ سَنَةٍ وَسَبْعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً . فَوُلِدَتْ لَهُ نُوحًا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَعَاشَ الْمَلِكُ بَعْدَ مَا وَلَدَ لَهُ نُوحٌ خَمْسِمِائَةَ سَنَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً ، [وَوُلِدَ لَهُ بَنُونَ وَبَنَاتٌ] ^(٣) ، فَكَانَ كُلُّ مَا عَاشَ سَبْعِمِائَةَ سَنَةٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً ، ثُمَّ مَاتَ . وَنَكَحَ نُوحٌ ابْنَ الْمَلِكِ عَمْدَرَةَ ^(٤) ابْنَةَ بَرَاكِيْلَ بْنِ مَحْوِيلَ بْنِ خَنْوُخَ بْنِ قَيْنَ بْنِ آدَمَ ، وَهُوَ ابْنُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ ، فَوُلِدَتْ لَهُ بَنِيهِ : سَامٌ ، وَحَامٌ ، وَيَافَثُ ، بَنِيُّ نُوحَ .

١٧٨/١

وقال أهل التوراة : وَلِدَ لِمَتُوشَلَخَ بَعْدَ ثَمَانِمِائَةِ سَنَةٍ وَأَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً مِنْ عَمْرِ آدَمَ الْمَلِكِ ، فَأَقَامَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ آبَاؤُهُ : مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَحِفْظِ عَهْدِهِ . قَالُوا : فَلَمَّا حَضَرَتْ مَتُوشَلَخَ الْوَفَاةُ اسْتَخْلَفَ الْمَلِكُ عَلَى أَمْرِهِ ، وَأَوْصَاهُ بِمِثْلِ مَا كَانَ آبَاؤُهُ يَفْعَلُونَ بِهِ . قَالُوا : وَكَانَ الْمَلِكُ يَعْظُ قَوْمَهُ ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ التَّرْوَلِ إِلَى وَلَدِ قَايِينَ فَلَا يَتَّعْظُونَ ، حَتَّى نَزَلَ جَمِيعٌ مِّنْ كَانَ فِي الْجَبَلِ إِلَى وَلَدِ قَايِينَ .

(١) وابن الأثير : « عزرايل » .

(٢) محويل ، ضبطه ابن الأثير ١ : ٣١ : « بجاء مهملة وياء معجمة باثنين من تحت » .

(٣) تكملة من ١ .

(٤) ١ : « عمزورة » ، ر : « عزرة » ، ك : « عمريزة » ، ابن الأثير ١ : ٣٦ .

« عزرة » .

وقيل : إنه كان مَتَوْشَلَخ ابن آخر غير لَمَك ، يقال له صابئ — وقيل : إن الصابئين به سُمِّوا صابئين — وكان عمر مَتَوْشَلَخ تسعمائة وستين سنة ، وكان مولد لَمَك بعد أن مضى من عمر مَتَوْشَلَخ مائة وسبع وثمانون سنة . ثم ولد لَمَك نوحاً بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة ، وذلك لألف سنة وست وخمسين سنة مضت من يوم أهبط الله عزَّ وجلَّ آدم إلى مولد نوح عليه السلام ، فلما أدرك نوح قال له لَمَك : قد علمت أنه لم يبق في هذا الموضع غيرُنا ، فلا تستوحش ولا تتبع الأمة الخاطئة ؛ فكان نوح يدعو إلى ربِّه ، ويعظ قومه فيستخفُّون به ، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه أنه قد أمهلهم ؛ ^(١) فأنظرهم ليراجعوا ويتوبوا مدة ، فانقضت المدة قبل أن يتوبوا ويُنِيبوا .

* * *

وقال آخرون غير من ذكرت قوله : كان نوح في عهد بيوراسب ، وكان قومه يعبدون الأصنام ، فدعاهم إلى الله جلَّ وعزَّ تسعمائة وستة وخمسين سنة ؛ كلِّما مضى قرن تبعهم قرن ، على ملَّة واحدة من الكفر ، حتى أنزل الله عليهم العذاب فأفناهم .

١٧٩/١

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثني هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : ولَّد مَتَوْشَلَخ ملك ونفرًا معه ، وإليه الوصية ، فولد لَمَك نوحاً ، وكان لَمَك يوم ولد نوح اثنتان وثمانون سنة ، ولم يكن أحد في ذلك الزمان ينهَى عن منكر ، فبعث الله إليهم نوحاً ؛ وهو ابن أربعمائة سنة وثمانين سنة ، ثم دعاهم في نبوته مائة وعشرين سنة ، ثم أمره بصناعة السفينة فصنعها وركبها وهو ابن ستائة سنة ، وغرق من غرق ، ثم مكث بعد السفينة ثلاثمائة سنة وخمسين سنة .

* * *

وأما علماء الفرس فإنهم قالوا : ملك بعد طهمورث جم الشيد — والشيد معناه عندهم الشعاع ، لقبوه بذلك فيما زعموا لجماله — وهو جم بن ويونجهان ، وهو أخو طهمورث . وقيل إنه ملك الأقاليم السبعة كلَّها ، وسُخِّر له ما فيها من

الجنّ والإنس ، وعُقِدَ على رأسه التاج . وقال حين قعد في ملكه : إن الله تبارك وتعالى قد أكمل بهاءنا وأحسن تأييدنا ، وسنوسع رعتنا خيراً . وإنه ابتدع صنعة السيوف والسلاح ، ودلّ على صنعة الإبريسم والقزّ وغيره مما يُغزّل ، وأمر بنسج الثياب وصبغها ، ونحت السروج والأكف وتذليل الدواب بها .

وذكر بعضهم أنه توارى بعد ما مضى من ملكه ستمائة سنة وست عشرة سنة وستة أشهر ، فخلت البلادُ منه سنة ، وأنه أمر لمُضَيّ سنة من ملكه إلى سنة خمس منه بصناعة السيوف والدروع والبيض وسائر صنوف الأسلحة وآلة

الصنّاع من الحديد . ومن سنة خمسين من ملكه إلى سنة مائة بغزل الإبريسم والقزّ والقطن والكتّان وكلّ ما يُستطاع غزله وحيَاكَة ذلك وصبغته ألواناً وتقطيعه أنواعاً ولبسه . ومن سنة مائة إلى سنة خمسين ومائة صنّف الناس أربع طبقات :

طبقة مقاتلة ، وطبقة فقهاء ، وطبقة كتّاباً وصناعاً وحرّاثين ، واتخذ طبقة منهم خدماً ، وأمر كلّ طبقة من تلك الطبقات بلزوم العمل الذي ألزمها إياه . ومن سنة مائة وخمسين إلى سنة خمسين ومائتين حارب الشياطين والجنّ

وأثخنهم وأذلّتهم وسُخّرُوا له وانقادوا لأمره . ومن سنة خمسين ومائتين إلى سنة ست عشرة وثلثمائة وكَلّ الشياطين بقطع الحجارة والصخور من الجبال ، وعمل

الرخام والجصّ والكسّ ، والبناء بذلك ، وبالطين البنيان والحمامات ، وصنعة الثّورة ، والنقل من البحار والجبال والمعادن والفلوات كلّ ما ينتفع به الناس ،

والذهب والفضة وسائر ما يذاب من الجواهر ، وأنواع الطيب والأدوية فنقدوا في كلّ ذلك لأمره . ثم أمر فصنعت له عَجَلَة من زجاج ، فصنعت فيها

الشياطين وركبها ، وأقبل عليها في الهواء من بلده ، من دَنبَاوند إلى بابل في يوم واحد ، وذلك يوم هرمز أز فروردين ماه^(١) ، فاتخذ الناس للأعجوبة التي رأوا

من إجرائها ما أجرى على تلك الحال نوروز ؛ وأمرهم باتخاذ ذلك اليوم وخمسة أيام بعده عيداً ، والتنعم والتلذذ فيها ، وكتب إلى الناس اليوم السادس ، وهو

خُرْدَاذروز يخبرهم أنه قد سار فيهم بسيرة ارتضاها الله ، فكان من جزائه

(١) هرمز اسم اليوم الأول من السنة الشمسية ، وكلمة «أز» بمعنى «من» ، وفروردين ماه : اسم الشهر الأول منها .

إياه عليها أن جنبهم الحرَّ والبردَ والأسقام والهرم والحسد ، فكث الناس ثلثمائة سنة بعد الثلثمائة والست عشرة سنة التي خلت من مُلكه ، لا يصيبهم شيء مما ذكر أن الله جلَّ وعزَّ جنبهم إياه .

ثم إن جمًّا بنطربعد ذلك نعمة الله عنده ، وجمع الإنس والجن ، فأخبرهم أنه وليهم ومالكهم والدافع بقوته عنهم الأسقام والهرم والموت ، وجحد إحسان الله عزَّ وجلَّ إليه ، وتمادى في غيئه فلم يُحِرْ^(١) أحد من حضره له جواباً ، وفقد مكانه بهاءه وعزه ، وتخلت عنه الملائكة الذين كان الله أمرهم بسياسة أمره ، فأحسن بذلك بيوراسب الذي يسمى الضحاك فابتدر إلى جَم لينتسه^(٢) فهرب منه ، ثم ظفر به بيوراسب بعد ذلك ، فامتلىخ أمعاءه واسترطها^(٣) ، ونشره بمنشار . وقال بعض علماء الفرس : إن جمًّا لم يزل محمودَ السيرة إلى أن بقى من ملكه مائة سنة فخلط حينئذ ، وادّعى الربوبية ، فلما فعل ذلك اضطرب عليه أمره ، ووثب عليه أخوه اسفتور^(٤) وطلبه ليقتله ، فتواري عنه ، وكان في تواريه ملكاً ينتقل من موضع إلى موضع ، ثم خرج عليه بيوراسب فغلبه على ملكه ، ونشره بالمنشار .

وزعم بعضهم أن مُلك جم كان سبعمائة سنة وست عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرين يوماً^(٥) .

* * *

وقد ذكرت عن وهب بن منبه ، عن ملك من ملوك الماضين قصة شبيهة بقصة جم شاذ الملك ، ولولا أن تاريخه خلاف تاريخ جم لقلت إنها قصة جم .

(١) ن : « فلم يحدر » .

(٢) كذا في أو ابن الأثير ، وفي ط : « لينتسه »

(٣) استرطها ، من السرط ؛ وهو « البلع » .

(٤) أو ابن الأثير ١ : ٣٧ : « اسفتور » .

(٥) قال ابن الأثير بعد أن نقل هذا الخبر : « قلت : وهذا الفصل من حديث جم قد أتينا به تاماً بعد أن كنا عازمين على تركه ؛ لما فيه من الأشياء التي تمجها الأسماح ، وتأباه العقول والطباع : فإنها من خرافات الفرس مع أشياء آخر قد تقدمت قبلها ؛ وإنما ذكرناها ليعلم جهل الفرس ؛ فإنهم كثيراً ما يشتعن على العرب بجهلهم ، وما بلغوا هذا ؛ ولأننا لو تركنا هذا الفصل لخلا من شيء نذكره من أخبارهم » .

وذلك ما حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، عن وهب بن منبه ، أنه قال : إن رجلاً ملك وهو فتى شاب^(١) ، فقال : إني لأجدُ للملِك لذة وطعمًا ، فلا أدري : أكل ذلك كل الناس أم أنا وجدته من بينهم ؟ فقيل له : بل الملِك كذلك ، فقال : ما الذي يقيمه لي ؟ فقيل له : يقيمه لك أن تطيع الله فلا تعصيه . فدعا ناسًا من خيار مَنْ كان في ملكه فقال لهم : كونوا بحضرتي في مجلسي ؛ فإرايتم أنه طاعة لله عز وجل فأمروني أن أعمل به ، وما إرايتم أنه معصية لله فأنجزني عنه أنزجر ؛ ففعل ذلك هو وهم ، واستقام له ملكه بذلك أربعمئة سنة مطيعًا لله عز وجل . ثم إن إبليس انتبه لذلك فقال : تركت رجلاً يعبد الله ملكًا أربعمئة سنة ! فجاء فدخل عليه فتمثل له برجل ، ففزع منه الملِك ، فقال : من أنت ؟ قال إبليس : لا تُرْعَ ؛ ولكن أخبرني مَنْ أنت ؟ قال الملِك : أنا رجل من بني آدم ، فقال له إبليس : لو كنت من بني آدم لقد متَّ كما يموت بنو آدم ؛ ألم ترَ كمَّ قد مات من الناس وذهب من القرون ! لو كنت منهم لقد متَّ كما ماتوا ؛ ولكنك إله ، فادعُ الناس إلى عبادتك . فدخل ذلك في قلبه ، ثم صعد المنبر ، فخطب الناس فقال : أيها الناس ، إني قد كنت أخفيت عنكم أمرًا بآن لي إظهاره ؛ لكم تعلمون أني ملكتكم منذ أربعمئة سنة ، ولو كنت من بني آدم لقد متَّ كما ماتوا ؛ ولكني إله فاعبدوني . فأرعى مكانه ، وأوحى الله إلى بعض مَنْ كان معه فقال : أخبره أني قد استقيمت له ما استقام لي ، فإذا تحول عن طاعتي إلى معصيتي فلم يستقم لي ، فبعزتي حلفت لأسلطنَّ عليه بخت ناصر ؛ فليضربنَّ عنقه ، وليأخذنَّ ما في خزائنه . وكان في ذلك الزمان لا يسخط الله على أحد إلا سلط عليه بخت ناصر ؛ فلم يتحول الملِك عن قوله ، حتى سلط الله عليه بخت ناصر ، فضرب عنقه ، وأقر من خزائنه سبعين سفينة ذهبًا .

قال أبو جعفر : ولكن بين بخت ناصر وجم دهر طويل ؛ إلا أن يكون الضحاك كان يدعى في ذلك الزمان بخت ناصر .

(١) ر : « وهو ذو شباب » ، ن : « وهو شاب » .

وأما هشام بن الكلبي فإني حُددت عنه أنه قال : ملك بعد طهمورث جم ، وكان أصبح أهل زمانه وجهًا ، وأعظمهم جسمًا ، قال : فذكروا أنه غبر^(١) سبائة سنة وتسع عشرة سنة مطيعًا لله مستعليًا أمره مستوثقة له البلاد . ثم إنه طغى وبغى ، فسلب الله عليه الضحاك ، فسار إليه في مائتي ألف ، فهرب جم منه مائة سنة ، ثم إن الضحاك ظفّر به فنشره بمشار . قال : فكان جميع ملك جم ، منذ ملك إلى أن قتل سبعمائة وتسع عشرة سنة .

وقد روى عن جماعة من السلف أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون ؛ كلُّهم على ملة الحق ، وأن الكفر بالله إنما حدث في القرن الذين بعث إليهم نوح عليه السلام ، وقالوا : إن أول نبي أرسله الله إلى قوم بالإنذار والدعاء إلى توحيد نوح عليه السلام .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا همام ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان بين نوح وآدم عليهما السلام عشرة قرون ، كلُّهم على شريعة من الحق ؛ فاختلفوا ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، قال : وكذلك هي في قراءة عبد الله : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ﴾^(٢)

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : قوله عز وجل : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ ، قال : كانوا على الهدى جميعًا فاختلفوا ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، فكان أول نبي بعث نوح عليه السلام^(٣) .

(١) ط : « عمر » ، وما أثبتته من ١ .

(٢) سورة البقرة ٢١٣ ، والخبر في التفسير ٤ : ٢٧٥ .

(٣) الخبر في التفسير ٤ : ٢٧٥ .

ذكر الأحداث التي كانت في عهد نوح عليه السلام

قد ذكرنا اختلاف المختلفين في ديانة القوم الذين أرسل إليهم نوح عليه السلام ، وأن منهم من يقول : كانوا قد أجمعوا على العمل بما يكرهه الله ، من ركوب الفواحش وشرب الخمر والاشتغال بالملاهي عن طاعة الله عز وجل ، وأن منهم من يقول : كانوا أهل طاعة بيوراسب ، وكان بيوراسب أول من أظهر القول بقول الصابئين ، وتبعه على ذلك الذين أرسل إليهم نوح عليه السلام ، وسأذكر إن شاء الله خبر بيوراسب فيما بعد .

فأما كتاب الله فإنه ينبي عنهم أنهم كانوا أهل أوثان ، وذلك أن الله عز وجل يقول مخبراً عن نوح : ﴿ قَالَ نُوحُ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبِعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا ، وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۝ ﴾^(١) . فبعث الله إليهم نوحاً مخوفهم بأسه ، وحذرهم سطوته ، وداعياً لهم إلى التوبة والمراجعة إلى الحق ، والعمل بما أمر الله به رسله وأنزله في ١٨٥/١ صحف آدم وشيث وأخنوخ . ونوح يوم ابتعثه الله نبياً إليهم - فيما ذكر - ابن خمسين سنة .

وقيل أيضاً ما حدثنا به نصر بن علي الجهضمي ، قال : حدثنا نوح بن قيس ، قال : حدثنا عوف بن أبي شداد ، قال : إن الله تبارك وتعالى أرسل نوحاً إلى قومه وهو ابن خمسين وثلاثمائة سنة ، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلاثمائة سنة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : بعث الله نوحاً إليهم وهو ابن أربعمائة سنة وثمانين سنة ، ثم دعاهم في نبوته مائة وعشرين سنة ،

وركب السفينة وهو ابن ستائة سنة ، ثم مكث بعد ذلك ثلاثمائة وخمسين سنة .

قال أبو جعفر : فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً كما قال الله عز وجل يدعهم إلى الله سرّاً وجهراً ، يمضي قرن بعد قرن ، فلا يستجيبيون له ، حتى مضى قرون ثلاثة على ذلك من حاله وحالهم ، فلما أراد الله عز وجل إهلاكهم دعا عليهم نوح عليه السلام فقال : ﴿ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَاراً ﴾ ، فأمره الله تعالى ذكره أن يغرس شجرة فغرسها ، فعظمت وذهبت كل مذهب ، ثم أمره بقطعها من بعد ما غرسها بأربعين سنة ، فيتخذ منها سفينة ، كما قال الله له : ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا ﴾ ^(١) ، فقطعها وجعل يعملها .

وحدثنا صالح بن مسمار المروزي والثني بن إبراهيم ، قالا : حدثنا ابن أبي مريم ، قال : حدثنا موسى بن يعقوب ، قال : حدثني فائد مولى عبيد الله ابن علي بن أبي رافع ، أن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة ، أخبره أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لورحم الله أحداً من قوم نوح لرحم أم الصبي » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان نوح مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، يدعهم إلى الله عز وجل ، حتى كان آخر زمانه غرس شجرة فعظمت وذهبت كل مذهب ثم قطعها ، ثم جعل يعمل سفينة فيمرّون فيسألونه فيقول : أعملها سفينة ، فيسخرون منه ، ويقولون : تعمل سفينة في البر فكيف تجرى ! فيقول : سوف تعلمون . فلما فرغ منها وفار التنور وكثر الماء في السكك خشيت أم الصبي عليه — وكانت تحبه حباً شديداً — فخرجت إلى الجبل حتى بلغت ثلثه ، فلما بلغها الماء خرجت حتى بلغت ثلثي الجبل ، فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على الجبل ، فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيدها ، حتى ذهب به الماء ، فلو رحم الله منهم أحداً لرحم أم الصبي » .

حدثني ابن أبي منصور ، قال : حدثنا علي بن الهيثم ، عن المسيّب بن

١٨٦/١

شريك ، عن أبي رَوْق ، عن الضَّحَّاك ، قال : قال سلمان الفارسيّ : عمل نوح السفينة أربعمئة سنة ، وأثبت الساج أربعين سنة ، حتى كان طوله ثلثمائة ذراع ، والذراع إلى المنكب .

١٨٧/١ فعمل نوح بوحى الله إليه ، وتعليمه إياه ، عملها فكانت إن شاء الله كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكِرَ لنا أن طول السفينة ثلثمائة ذراع ، وعرضها خمسون ذراعاً ، وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً ، وبابها في عرضها .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا مبارك ، عن الحسن ، قال : كان طول سفينة نوح ألف ذراع ومائتي ذراع ، وعرضها ستمائة ذراع . حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن مفضل بن فضالة ، عن عليّ بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : قال الخواريون لعيسى بن مريم : لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة فحدثنا عنها ! فانطلق بهم حتى انتهى إلى كتيب من تراب ، فأخذ كفاً من ذلك التراب بكفه ، فقال : أتدرون ما هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا قبر حام بن نوح ، قال : فضرب الكتيب بعصاه وقال : قم بإذن الله ، فإذا هو قائم ينفخ التراب عن رأسه ، وقد شاب ، فقال له عيسى عليه السلام : هكذا هلكت ؟ قال : لا ، ولكني مت وأنا شاب ، ولكنني ظننت أنها الساعة ، فمن ثمّ شئت . قال : حدثنا عن سفينة نوح ، قال : كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع ، وكانت ثلاث طبقات : فطبقة فيها الدواب والوحش ، وطبقة فيها الإنس ، وطبقة فيها الطير ، فلما كثر أزواث الدواب أوحى الله إلى نوح أن اغمر ذنّب القيل ، فغمز فوق منه خنزير وخنزيرة ، فأقبلا على الروث ، فلما وقع الفأر بجوز السفينة يقرضه ، أوحى الله إلى نوح أن اضرب بين عيني الأسد ، فخرج من منخره سنور وسنورة ، فأقبلا على الفأر . فقال له عيسى : كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت ؟ قال : بعث الغراب يأتيه بالخبر ، فوجد جيفة فوق عليها ، فدعا عليه بالخوف ، فلذلك لا يألف البيوت . قال : ثم بعث الحمامة ، فجاءت

بورق زيتون بمنقاوها وطين برجليها ، فعلم أن البلاد قد غرقت . قال : فطوقها
الحفصة التي في عنقها ، دعا لها أن تكون في أنس وأمان ، فن ثم تألف
البيوت . قال : فقالت الحواريون : يا رسول الله ، ألا ننطلق به إلى
أهلنا ، فيجلس معنا ويحدثنا ؟ قال : كيف يتبعكم من لا رزق له ؟ قال :
فقال له : عُدْ بإذن الله ، فعاد تراباً .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني
أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : نَجَرَ^(١) نوح السفينة بجبل بَوْدَ ،
من ثم تبدى الطوفان . قال : وكان طول السفينة ثلثمائة ذراع بذراع جد أبي
نوح ، وعرضها خمسين ذراعاً ، وطولها في السماء ثلاثين ذراعاً ، وخرج منها
من الماء ستة أذرع ، وكانت مطبقة ، وجعل لها ثلاثة أبواب ، بعضها أسفل
من بعض .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عمن
لا يتهم ، عن عبيد بن عمير الليثي ، أنه كان يحدث أنه بلغه أنهم كانوا يبطشون
به - يعني قوم نوح بنوح - فيخنقونه حتى يَغشى عليه ، فإذا أفاق قال :
اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون .

قال ابن إسحاق : حتى إذا تمادوا في المعصية ، وعظمت في الأرض منهم
الخطيئة ، وتناول عليه وعليهم الشأن ، واشتد عليه منهم البلاء ، وانتظر النجل
بعد النجل ، فلا يأتي قرن إلا كان أخبث من الذي قبله ؛ حتى إن كان الآخر
منهم ليقول : قد كان هذا مع آبائنا ومع أجدادنا ، هكذا مجنوناً ! لا يقبلون
منه شيئاً ، حتى شكا ذلك من أمرهم نوح إلى الله عز وجل ، فقال كما قص الله
عز وجل علينا في كتابه : ﴿ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ
دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴾ إلى آخر القصة ، حتى قال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ
مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْنِي يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا
كُفَّارًا ﴾ ،^(٢) إلى آخر القصة . فلما شكا ذلك منهم نوح إلى الله عز وجل

(١) يقال : نجر الخشب ؛ أي نحته وسواه .

(٢) سورة نوح ٦٥ - ٦٦ - ٦٧

واستنصره عليهم أوحى الله إليه أن ﴿أَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ ^(١) . فأقبل نوح على عمل الفلك ، ولها عن قومه ، وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ، ، وبهيمى عدة الفلك من القار وغيره مما لا يُصلحه إلا هو ، وجعل قومه يمرُّون به ، وهو فى ذلك من عمله ، فيسخرون منه ، ويستهزئون به فيقول : ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ . فسوف تعلمون من يأتيه عذابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ^(٢) . قال : ويقولون - فيما بلغنى - : يا نوح قد صرت نجاراً بعد النبوة ! قال : وأعقم الله أرحام النساء فلا يولد لهم .

قال : ويزعم أهل التوراة أن الله عز وجل أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج ، وأن يصنعه أزور ^(٣) ، وأن يطليه بالقار من داخله وخارجه ، وأن يجعل طوله ثمانين ذراعاً وعرضه خمسين ذراعاً ، وطوله فى السماء ثلاثين ذراعاً ، وأن يجعله ثلاثة أطباق : سفلاً ووسطاً وعلواً ، وأن يجعل فيه كُؤاً . ففعل نوح كما أمره الله عز وجل ، حتى إذا فرغ منه وقد عهد الله إليه : ﴿إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ^(٤) . وقد جعل التنور آية فيما بينه وبينه ، فقال : إذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واركب . فلما فار التنور حمل نوح فى الفلك من أمره الله تعالى به - وكانوا قليلاً كما قال - وحمل فيها من كل زوجين اثنين مما فيه الروح والشجر ، ذكراً وأنثى . فحمل فيه بنيه الثلاثة : سام وحام ويافت ونساءهم ، وستة أناس ممن كان آمن به فكانوا عشرة نفر : نوح وبنوه وأزواجهم ، ثم أدخل ما أمره الله به من الدواب ، وتخلف عنه ابنته يام ، وكان كافراً .

(١) سورة هود ٣٧

(٢) سورة هود ٣٨ - ٣٩

(٣) أزور ، أى مائلاً .

(٤) سورة هود ٤٠

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن ابن دينار ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : سمعته يقول : كان أول ما حمل نوح في الفلك من الدواب الذرة ، وآخر ما حمل الحمار . فلما أدخل الحمار ودخل صدره تعلق إبليس لعنه الله بذنبه فلم تستقل رجلاه ، فجعل نوح يقول : ويحك ! ادخل ، فينهض فلا يستطيع ، حتى قال نوح ، ويحك ! ادخل ! وإن كان الشيطان معك ، قال كلمة زلت عن لسانه ، فلما قالها نوح خلت الشيطان سبيله ، فدخل ودخل الشيطان معه ، فقال له نوح : ما أدخلك عليّ يا عدو الله ! قال : ألم تقل : « ادخل وإن كان الشيطان معك ! » ، قال : اخرج عني يا عدو الله ، فقال : مالك بد من أن تحملني ، فكان - فيما يزعمون - في ظهر الفلك ، فلما اطمأن نوح في الفلك وأدخل فيه كل من آمن به ، وكان ذلك في الشهر من السنة التي دخل فيها نوح بعد ستمائة سنة من عمره لسبع عشرة ليلة مضت من الشهر ، فلما دخل وحمل معه من حمل ، تحرك ينابيع الغوط الأكبر ، وفتحت أبواب السماء ، كما قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّهِمٍّ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۖ ﴾ ^(١) . فدخل نوح ومن معه الفلك وغطاه عليه وعلى من معه بطبقة ، فكان بين أن أرسل الله الماء وبين أن احتل الماء الفلك أربعين يوماً وأربعين ليلة . ثم احتل الماء كما يزعم أهل التوراة ، وكثر واشتد وارتفع ؛ يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسِّرَ ۖ تَجْرَىٰ بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفْرًا ۖ ﴾ ^(٢) . والدُّسْرُ : المسامير ، مسامير الحديد . فجعلت الفلك تجرى به وبمن معه في موج كالجبال ، ونادى نوح ابنه الذي هلك فيمن هلك ، وكان في معزل حين رأى نوح من صدق موعود ربه ما رأى ، فقال : ﴿ يَابْنَئِي ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ۖ ﴾ ، وكان شقيفاً قد أضمر كفرًا ، قال ساوئ إلى جبيل يعصم مني من الماء ، وكان عهد الجبال وهي حرز

١٩١/١

١٩٢/١

من الأمطار إذا كانت ، فظن أن ذلك كما كان يكون ، قال [نوح] ^(١) : ﴿ لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِقِينَ ﴾ ^(٢) . وكثر الماء وطفى ، وارتفع فوق الجبال — كما يزعم أهل التوراة — خمسة عشر ذراعاً ، فباد ما على وجه الأرض من الخلق ، [من] ^(٣) كل شيء فيه الروح أو شجر ، فلم يبق شيء من الخلائق إلا نوح ومن معه في الفلك ، وإلا عوج بن عتق ^(٣) — فيما يزعم أهل الكتاب — فكان بين أن أرسل الله الطوفان وبين أن غاض الماء ستة أشهر وعشر ليال .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : أرسل الله المطر أربعين يوماً وأربعين ليلة ، فأقبلت الوحوش حين أصابها المطر والدواب والطير كلها إلى نوح ، وسخرت له ، فحمل منها كما أمره الله عز وجل : ﴿ مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ ، وحمل معه جسد آدم ، فجعله حاجزاً بين النساء والرجال ، فركبوا فيها لعشر ليال مضيئ من رجب ، وخرجوا منها يوم عاشوراء من الحرم ، فلذلك صام من صام يوم عاشوراء . وأخرج الماء تصفين ، فذلك قول الله عز وجل ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمَرٍ ﴾ ، يقول : منصب ، ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ ، يقول : شققنا الأرض ، ﴿ فَالتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ فصار الماء نصفين : نصف من السماء ونصف من الأرض ، وارتفع الماء على ١٩٣/١ أطول جبل في الأرض خمسة عشر ذراعاً ، فسارت بهم السفينة ، فطافت بهم الأرض كلها في ستة أشهر لا تستقر على شيء ، حتى أتت الحرم فلم تدخله ، ودارت بالحرم أسبوعاً ، ورُفِعَ البيت الذي بناه آدم عليه السلام ، رفع من الفرق ، — وهو البيت المعمور والحجر الأسود — على أبي قبيس ، فلما دارت بالحرم ذهبت في الأرض تسير بهم ، حتى انتهت إلى الجودي — وهو جبل بالحضيض من

(١) تكله من ا

(٢) سورة هود ٤٣ .

(٣) كذا في ا ، وفي ط : « أعنتق » .

أرض الموصل — فاستقرت بعد ستة أشهر لتمام السبع ، فقليل بعد السبعة الأشهر : ﴿بُعْدًا لِلْعَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١) ، فلما استقرت على الجودي ﴿قِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ﴾ ؛ يقول : أنشئ ماءك الذي خرج منك ، ﴿وَيَا سَمَاءُ اقْلَعِي﴾ ؛ يقول : احبسِي ماءك ، ﴿وَعِغِضَ الْمَاءِ﴾^(٢) نشفت الأرض ، فصار ما نزل من السماء هذه البحور التي ترون في الأرض ، فأخر ما بقي من الطوفان في الأرض ماءٌ بِحِسْمَتِي^(٣) بقي في الأرض أربعين سنة^(٤) بعد الطوفان ثم ذهب .
وكان التنوير الذي جعل الله تعالى ذكره آية ما بينه وبين نوح فوران الماء منه تنوراً كان لحواء من حجارة ، وصار إلى نوح .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا هُشَيْمٌ ، عن أبي محمد ، عن الحسن ، قال : كان تنوراً من حجارة ، كان لحواء حتى صار إلى نوح ، قال : فقليل له : إذا رأيت الماء يفور من التنور ، فاركب أنت وأصحابك .

* * *

وقد اختلف في المكان الذي كان به التنور الذي جعل الله فوران مائه آية ، ما بينه وبين نوح ، قتال بعضهم : كان بالهند . ١٩٤/١

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عبد الحميد الحماني ، عن النضر أبي عمر الخزاز ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : في : ﴿وَقَارَ التَّنُّورُ﴾^(٤) . قال : فار بالهند .

* * *

وقال آخرون : كان ذلك بناحية الكوفة .

* ذكر من قال ذلك :

(١) سورة هود ٤٤

(٢) حسمي : أرض ببادية الشام ؛ ذكرها ياقوت في معجم البلدان وقال : آخر ماء نضب من ماء الطوفان حسمي ، فبقيت منه هذه البقية إلى اليوم فلذلك هي أخبت ماء .

(٣) ١ : « يعني بعد الطوفان » .

(٤) سورة هود ٤٠

حدثني الحارث ، قال : حدثنا الحسن ^(١) ، قال : حدثنا خَلَف بن خليفة ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : نَبَعَ الماء في التنور ، فعلمت به امرأته فأخبرته ، قال : وكان ذلك في ناحية الكوفة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا القاسم ، قال : حدثنا علي بن ثابت ، عن السري بن إسماعيل ، عن الشعبي ، أنه كان يحلف بالله : ما فار التنور إلا من ناحية الكوفة .

واختلاف في عدد مَنْ ركب الفُلُك من بني آدم ، فقال بعضهم : كانوا ثمانين نفساً .

* ذكر من قال ذلك :

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : حدثنا زيد بن الحُبَاب ، قال : حدثني حسين بن واقد الخراساني ، قال : حدثنا أبو هنيك ، قال : ١٩٥/١ سمعت ابن عباس يقول : كان في سفينة نوح ثمانون رجلاً ، أحدهم جرهم .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال ابن عباس : حمل نوحٌ معه في السفينة ثمانين إنساناً . حدثني الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : قال سفيان : كان بعضهم يقول : كانوا ثمانين — يعني القليل الذين قال الله عز وجل : ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ^(٢) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : حَمَلَ نوح في السفينة بنيهِ : سام ، وجام ، ويافث . وكنائنه : نساء بنيهِ هؤلاء ، وثلاثة وسبعين من بني شيث ، ممن آمن به ، فكانوا ثمانين في السفينة .

* * *

(١) كذا في ط ، وفي أ : «حدثنا الحارث ، حدثنا القاسم» وهو يوافق ما في التفسير :

١٢ : ٢٥ (بلاق) ، وانظر تاريخ بغداد ٨ : ٢١٨ .

(٢) سورة هود ٤٠ .

وقال بعضهم : بل كانوا ثمانية أنفس .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أنه لم يَمْ^(١) في السفينة إلا نوح وامرأته وثلاثة بنيه ، ونساؤهم ، فجميعهم ثمانية .

حدثنا ابن وكيع والحسن بن عرفة ، قالا : حدثنا يحيى بن عبد الملك ابن أبي غنينة ، عن أبيه ، عن الحكم : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ، قال : نوح ، وثلاثة بنيه ، وأربع كئناته .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، قال : قال ابن جريج : حَدَّثْتُ أَنَّ نَوْحًا حَمَلَ مَعَهُ بَنِيهِ الثَّلَاثَةَ وَثَلَاثَ نِسْوَةٍ لِبَنِيهِ ، وامرأة نوح ، فهم ثمانية بأزواجهم ، وأسماءُ بنيه : يافث ، وحام ، وسام . فأصاب حامُ امرأته في السفينة ، فدعا نوح أن تُغَيَّرَ^(٢) نطفته ، فجاء بالسودان .

١٩٦/١

* * *

وقال آخرون : بل كانوا سبعة أنفس .

* ذكر من قال ذلك :

حدثني الحارث ، قال : حدثني عبد العزيز ، قال : حدثنا سُفْيَانُ ، عن الأعمش : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ، قال : كانوا سبعة : نوح ، وثلاث كئنات ، وثلاثة بنين له .

* * *

وقال آخرون : كانوا عشرة سوى نساؤهم .

* ذكر من قال ذلك :

(١) س : « لم يبق » ، ك : « لم يَمْ » .

(٢) أ : « يغير » ، ك : « تغير » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حمل بنيه الثلاثة : سام ، وحام ، ويافث ونساءهم ، وستة أناسي ممن كان آمن به ^(١) ، فكانوا عشرة نفر بنوح وبنيه وأزواجهم . وأرسل ^(٢) الله تبارك وتعالى الطوفان لمضى ستمائة سنة من عمر نوح — فيما ذكره أهل العلم من أهل الكتاب وغيرهم — ولتتمة ألفي سنة ومائتي سنة وست وخمسين سنة من لدن أهبط آدم إلى الأرض .

وقيل : إن الله عز وجل أرسل الطوفان لثلاث عشرة خلت من آب ، وإن نوحاً أقام في الضلك إلى أن غاض الماء ، واستوت الضلك على جبل الجودي ^(٣) بقردى ^(٤) ، في اليوم السابع عشر من الشهر السادس . فلما خرج نوح منها اتخذ بناحية قردى من أرض الجزيرة موضعاً ، وابتنى هناك قرية سماها ثمانين ^(٥) ؛ لأنه كان بنى فيها بيتاً لكل إنسان ممن آمن معه وهم ثمانون ، فهي إلى اليوم تسمى سوق ثمانين .

١٩٧/١

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثني هشام بن محمد ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : هبط نوح عليه السلام إلى قرية ^(٦) ، فبنى كل رجل منهم بيتاً ، فسميت سوق ثمانين ، ففرق بنو قابيل كلهم ، وما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام . قال أبو جعفر : فصار هو وأهله فيه ، فأوحى الله إليه أنه لا يعيد الطوفان إلى الأرض أبداً .

وقد حدثني عباد بن يعقوب الأسدي ، قال : حدثنا المحاربي ، عن عثمان

(١) ا : « معه » . (٢) كذا في ا ، وفي ط : « فأرسل » .

(٣) الجودي ؛ بالتشديد : جبل مطل على جزيرة ابن عمر ، في الجانب الشرق من دجلة ، من أعمال الموصل .

(٤) قردى ، بالفتح ثم السكون ، ثم دال مهملة . ياقوت .

(٥) قال ياقوت : « ثمانين » ، بليدة عند جبل الجودي ، قرب جزيرة ابن عمر التغلبي فوق الموصل . كان أول من نزل نوح عليه السلام لما خرج من السفينة معه ثمانون إنساناً ؛ فبنوا لهم مساكن بهذا الموضع ، وأقاموا به ، فسمى الموضع بهم ، ثم أصابهم وباء ، فأت الثمانون غير نوح عليه السلام وولده ؛ فهو أبو البشر كلهم . معجم البلدان ٣ : ٢٣ . (٦) ا : « في قرية » .

ابن مطر ، عن عبد العزيز بن عبد الغفور ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « في أول يوم من رجب ركب نوح السفينة ، فصام هو وجميع مَنْ معه ، وحجرت بهم السفينة ستة أشهر ، فانتهى ذلك إلى المحرم ، فأرست^(١) السفينة على الجودي يوم عاشوراء ، فصام نوح ، وأمر جميع من معه من الوحش والدواب فصاموا شكراً لله عز وجل » .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : كانت السفينة أعلاها الطير ، ووسطها الناس ، وأسفلها السباع . وكان طولها في السماء ثلاثين ذراعاً ، ودَفَعَتْ^(٢) من عين وردة^(٣) يوم الجمعة لعشر ليال مضين من رجب ، وأرست على الجودي يوم عاشوراء ، ومرت بالبيت ، فطافت به سبعاً ، وقد رفعه الله من الغرق ، ثم جاءت اليمن ، ثم رجعت .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن قتادة ، قال : هبط نوح من السفينة يوم العاشر من المحرم ، فقال لمن معه : مَنْ كان منكم صائماً فليتم صومه ، ومن كان منكم مُفْطِراً فليصم . ١٩٨/١

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : « ذكر لنا أنها - يعني الفلک - استقلت بهم في عشر خلّون من رجب ، فكانت في الماء خمسين ومائة يوم ، واستقرت على الجودي شهراً ، وأهبط بهم في عشر خلّون من المحرم يوم عاشوراء .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : ما كان زمان نوح شبراً من الأرض إلا إنسان يدعيه .

(١) رست السفينة وأرست : وقفت .

(٢) كذا في أ ، ر ، وفي ط : « رفعت » . ، ودفعت من عين وردة ، أي ابتداء سيرها من هذا المكان .

(٣) عين وردة ، ذكرها ياقوت باسم « عين الوردة » ، وقال : « رأس عين المدينة المشهورة بالخريرة » .

ثم عاش نوح بعد الطوفان فيما حدثني نصر بن علي الجهضمي ، قال : أخبرنا نوح بن قيس ، قال : حدثنا عون بن أبي شداد ، قال : عاش - يعني نوحاً - بعد ذلك - يعني بعد الألف سنة إلا خمسين عاماً التي لبثها في قومه - ثلثمائة وخمسين سنة .

وأما ابن إسحاق ، فإن ابن حميد حدثنا ، قال : حدثنا سلمة ، عنه ، قال : وعمر نوح - فيما يزعم أهل التوراة - بعد أن أهبط من الفلك ثلثمائة سنة وثمانياً وأربعين سنة ، قال : فكان جميع عمر نوح ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ثم قبضه الله عز وجل إليه .

وقيل : إن ساماً ولد لنوح قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة . وقال بعض أهل التوراة : لم يكن التناسل ، ولا ولد لنوح ولد إلا بعد الطوفان ، وبعد خروج نوح من الفلك .

قالوا : إنما الذين كانوا معه في الفلك قوم كانوا آمنوا به واتبعوه ، غير أنهم بادوا وهلكوا ، فلم يبق لهم عقب ، وإنما الذين هم اليوم في الدنيا من بني آدم ولد نوح وذريته دون سائر ولد آدم ؛ كما قال الله عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ ^(١) .

وقيل : إنه كان لنوح قبل الطوفان ابنان هلكا جميعاً ؛ كان أحدهما يقال له كنعان ، قالوا : وهو الذي غرق في الطوفان ، والآخر منهما يقال له عابر ^(٢) ، مات قبل الطوفان .

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : ولد لنوح سام ، وفي ولده بياض وأدمة ^(٣) ، وحام وفي ولده سواد وبياض قليل ، ويافث وفيهم الشقرة والحمرة ، وكنعان وهو الذي غرق ، والعرب تسميه يام ؛ وذلك قول العرب : إنما هام عمنا يام ؛ وأم هؤلاء واحدة .

(١) سورة الصافات ٧٧ (٢) ن : « غابر » .

(٣) كذا في ١ ، ن ، وفي ط : « آدم » .

فأما الجوس فإنهم لا يعرفون الطوفان ، ويقولون : لم يزل المَلَكُ فينا من عهد جيومرّت ، وقالوا : جيومرّت هو آدم يتوارثه آخرٌ عن أول إلى عهد فيروز بن يزْدَجِرْد بن شهريار ، قالوا : ولو كان لذلك صحة كان نسب القوم قد انقطع ، ومُلْكُ القوم قد اضمحل ، وكان بعضهم يُقرّ بالطوفان ويزعم أنه كان في إقليم بابل وما قرب منه ، وأن مساكن ولد جيومرّت كانت^(١) بالمشرق ، فلم يصل ذلك إليهم .

قال أبو جعفر : وقد أخبر الله تعالى ذكره من الخبر عن الطوفان بخلاف ما قالوا ، فقال وقوله الحق : ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ . وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ^(٢) ، فأخبر عزّ ذكره أن ذرية نوح هم الباقيون دون غيرهم . وقد ذكرتُ اختلافَ الناس في جيومرّت ومن يخالف الفرس في عينه ، ومن هو ، ومن نسبته إلى نوح عليه السلام .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا ابن عثمة ، قال : حدثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة بن جندب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ . قال : « سام وحام ويافث » .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ ، قال : فالناس كلُّهم من ذرية نوح . حدثني علي بن داود ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ . يقول : لم يبق إلا ذرية نوح .

وروي عن علي بن مجاهد ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري . وعن محمد بن

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « كان » .

(٢) سورة الصافات : ٧٥ - ٧٧ .

صالح ، عن الشعبي قالوا : لما هبط آدم من الجنة ، وانتشر ولدُه أرخ بنوهُ من هبوط آدم ؛ فكان ذلك التاريخ حتى بعث الله نوحًا فأرخوا بيعث^(١) نوح ، حتى كان الغرق ، فهلك مَنْ هلك ممن كان على وجه الأرض . فلما هبط نوح وذريته وكلّ من كان في السفينة إلى الأرض قسّم الأرض بين ولده أثلاثًا : فجعل لسام وسطا من الأرض ، ففيها بيت المقدس ، والنيل ، والفُرات ، ودجلة ، وسينحان ، وجيحان ، وقيشون ؛ وذلك ما بين فيشون إلى شرق النيل ، وما بين منخر ريح الجنوب^(٢) إلى منخر الشمال . وجعل لحام قسمه غربيّ النيل ، فما وراءه إلى منخر ريح الدَّبُور . وجعل قسم يافث في فيشون^(٣) فما وراءه إلى منخر ريح الصبا ؛ فكان التاريخ من الطوفان إلى نار إبراهيم ، ومن نار إبراهيم إلى مبعث يوسف ، ومن مبعث يوسف إلى مبعث موسى ، ومن مبعث موسى إلى ملك سليمان ، ومن ملك سليمان إلى مبعث عيسى بن مريم ، ومن مبعث عيسى بن مريم إلى أن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢٠١/١

وهذا الذي ذكر عن الشعبي من التاريخ ينبغي أن يكون على تاريخ اليهود ، فأما أهل الإسلام فإنهم لم يؤرخوا إلا من الهجرة ، ولم يكونوا يؤرخون بشيء من قبل ذلك ، غير أن قريشًا كانوا — فيما ذكر — يؤرخون قبل الإسلام بعام الفيل ، وكان سائر العرب يؤرخون بأيامهم المذكورة ، كتاريخهم بيوم جبلة ، وبالكُلاب الأول ، والكُلاب الثاني .

وكانت النَّصارى تؤرخ بعهد الإسكندر ذي القرنين ؛ وأحسبهم على ذلك من التاريخ إلى اليوم .

وأما الفرس فإنهم كانوا يؤرخون بملوكهم ، وهم اليوم فيما أعلم يؤرخون بعهد يزدجيرد بن شهریار ، لأنه كان آخر مَنْ كان من ملوكهم له ملك بابل والمشرق^(٤) .

(١) كذا في ١ ، وهو الصواب ، وفي باقي الأصول : « أرخوا مبعث نوح » ؛ وصوبها مصحح ط : « بمبعث » .

(٢) منخر ريح الجنوب ، أى موضع هبوبها .

(٣) ١ ، ر ، ن : « قيسون » .

(٤) س : « لأنه كان آخر من ملك من ملوكهم » .

ذكر بيوراسب ، وهو الازدهاق

والعرب تسميه الضحاك ، فتجعل الحرف الذى بين السين والزى فى الفارسية ضاداً ، والهاء جاء ، والقاف كافاً ، وإياه عَنَى حبيب بن أوس بقوله :

مَا نَالَ مَا قَدْ نَالَ فِرْعَوْنُ وَلَا هَامَانُ فِي الدُّنْيَا وَلَا قَارُونُ^(١)
بَلْ كَانَ كَالضَّحَّاكِ فِي سَطَوَاتِهِ بِالْعَالَمِينَ ، وَأَنْتَ أَفْرِيدُونُ

وهو الذى افتخر بادعائه أنه منهم الحسن بن هانىء فى قوله :

وَكَانَ مِنَّا الضَّحَّاكُ يَعْبُدُهُ الْخَائِلُ وَالْجِنُّ فِي مَسَارِيهَا^(٢)

٢٠٢/١

قال : واليمن تدعيه .

حدثت عن هشام بن محمد بن السائب — فيما ذكر من أمر الضحاك هذا — قال : والعجم تدعى الضحاك وتزعم أن جما كان زوج أخته من بعض أشراف أهل بيته ، وملكه على اليمن ، فولدت له الضحاك .

قال : واليمن تدعيه ، وتزعم أنه من أنفسها ، وأنه الضحاك بن علوان بن عبيد بن عويج ، وأنه ملك على مصر أخاه سنان بن علوان بن عبيد^(٣) بن عويج ، وهو أول الفراعنة ، وأنه كان ملك مصر حين قدمها إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام .

وأما الفرس فلإنها تنسب الازدهاق هذا غير النسبة التى ذكر^(٤) هشام عن أهل اليمن ، وتذكر أنه بيوراسب بن أرونداسب بن زينكاو^(٥) بن وىروشك^(٦)

(١) ديوانه ٣ : ٣٢١ ؛ من قصيدة يمدح فيها الأفشين .

(٢) ديوانه ١٥٥ ، وروايته : « والوحش فى مساريها » . والخائيل : ضرب من الجن .

(٣) س : « عبيدة » .

(٤) ن : « ذكرها » .

(٥) ا : « زينكار » .

(٦) ا : « ريشنك » .

٢٠٣/١

ابن تاز^(١) بن فرواك^(٢) بن سيامك^(٣) بن مشا بن جيومرت .
ومنهم من ينسبه هذه النسبة ؛ غير أنه يخالف النطق بأسماء آبائه فيقول :
هو الضحاك بن أندرماسب بن زنجدار^(٤) بن وندريسج^(٥) بن تاج^(٦) بن
فرياك^(٧) بن ساهمك^(٨) بن تاذي^(٩) بن جيومرت .

والجوس تزعم أن تاج هذا هو أبو العرب ، ويزعمون^(١٠) أن أم الضحاك كانت
ودك بنت ويونجهان^(١١) ، وأنه قتل أباه تقرّباً بقتله إلى الشياطين ، وأنه كان
كثير المقام ببابل ، وكان له ابنان يقال لأحدهما : سرهوار^(١٢) ، وللآخر
نفوار^(١٣) .

* * *

وقد ذكر عن الشعبي أنه كان يقول : هو « قرشت » مسيحه الله « ازدهاق » .
* ذكر الرواية عنه بذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن يحيى بن العلاء ،
عن القاسم بن سلمان ، عن الشعبي ، قال : أبجد ، وهوز ، وحطى ، وكلمن ،
وسعفس ، وقرشت ؛ كانوا ملوكاً جابرة ، فتفكر^(١٤) قرشت يوماً ، فقال :
٢٠٤/١ تبارك الله أحسن الخالقين ! فمسخه الله فجعله « اجدهاق » ،^(١٥) وله سبعة

(١) ا ، ن : « تاز » .

(٢) ر ، ك : « فردال » ، س : « فروال » ، ن : « عيردال » .

(٣) ر : « سيامل » ، ك : « مسامك » .

(٤) كذا في ا ، ن ، وفي س : « زنجدار » ، وفي ر : « ريحدان » وفي ط بدون نقط .

(٥) كذا في ا ، وفي ط بدون نقط .

(٦) س : « باح » ، ر ، ك : « راج » .

(٧) في ن : « فريال » وفي رس : « فرمال » .

(٨) س : « شاهمك » .

(٩) ر ، س : « مادي » .

(١٠) كذا في ا ، وفي ط : « فيزعمون » .

(١١) ا : « ونونجهان » .

(١٢) كذا في ا ، وفي ن : « سريقرار » ، وفي ط بدون نقط .

(١٣) كذا في ا ، وفي ط بدون نقط .

(١٤) ر ، ك : « قفكر » .

(١٥) ر ، س ، ك ، ن : « ازدهان » .

أرؤس ، فهو الذى بدُّبَاوَنَد ، وجميع أهل الأخبار من العرب والعجم تزعم أنه ملك الأقاليم كلها ، وأنه كان ساحراً فاجراً .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : ملك الضحاك بعد جم - فيما يزعمون ، والله أعلم - ألف سنة ، ونزل السَّوَاد في قرية يقال لها نَرْس^(١) في ناحية طريق الكوفة^(٢) ، وملك الأرض كلها ، وسار بالبحر والعسف^(٣) ، وبسط يده في القتل ، وكان أول مَنْ سَنَّ الصَّلب والقطع ، وأول مَنْ وضع العُشور ، وضرب الدراهم ، وأول مَنْ تَغْنَى وَغُنَّى له ، قال : ويقال إنه خرج في منكبه سِلْعَتَانِ^(٤) فكانتا تضربان عليه ، فيشتد عليه الوجع حتى يطليهما بدماع إنسان ، فكان يقتل لذلك في كل يوم رجلين ويَطْلِي سِلْعَتَيْهِ بدماعيهما ، فإذا فعل ذلك سَكَنَ ما يحِد ، فخرج عليه رجل من أهل بابل فاعتقد لواء ، واجتمع إليه بشر كثير ، فلما بلغ الضحاك خبره راعه ، فبعث إليه : ما أمرك ؟ وما تريد ؟ قال : ألتست تزعم أنك ملك الدنيا ، وأن الدنيا لك ! قال : بلى ، قال : فليكن كَلْبُكَ^(٥) على الدنيا ، ولا يكونَنَّ علينا خاصة ، فإنك إنما تقتلنا دون الناس . فأجابته الضحاك إلى ذلك ، وأمر بالرجلين اللذين كان يقتلهما في كل يوم أن يُقَسِّمَا على الناس جميعاً ، ولا يخصَّ بهما مكان دون مكان . قال : فبلغنا أن أهل أصبهان من ولد ذلك الرجل الذى رفع اللواء ، وأن ذلك اللواء لم يزل محفوظاً عند ملوك فارس في خزائنتهم^(٦) ، وكان فيما بلغنا جلد أسد ، فألبسه ملوك فارس الذهب^(٧) والديباج تيمناً به .

٢٠٥/١

قال : وبلغنا أن الضحاك هو نُمْرُود ، وأن إبراهيم خليل الرحمن صلى

(١) نرس ، بفتح أوله وسكون ثانيه ؛ ذكرها ياقوت وقال : « وقيل نرس ، قرية كان ينزلها الضحاك بيوراسب ببابل » .

(٢) ك : « في ناحية الطريق إلى الكوفة » .

(٣) ر ، ك : « والعسف » .

(٤) السلعة ، بالكسر : زيادة تحدث في الجسد مثل الغدة ؛ تمرور بين الجلد والحم

إذا حركتها .

(٥) ا ، س : « كلك » .

(٦) ر ، ك : « خزائنتهم » .

(٧) ك : « من الذهب » .

الله عليه وُلد في زمانه ، وأنه صاحبه الذي أراد إحراقه .

قال : وبلغنا أن أفريدون — هو ^(١) من نسل جم الملك الذي كان [من] ^(٢) قبل الضحاك ، ويزعمون أنه التاسع من ولده ، وكان مولده بدُنبَاوند ، خرج حتى ورد منزل الضحاك وهو عنه غائب بالهند ، فحوى ^(٣) على منزله وما فيه ، فبلغ الضحاك ذلك ، فأقبل وقد سلبه الله قوته ، وذهبت دولته ، فوثب ^(٤) به أفريدون فأوثقه وصيَّره بجبال دُنبَاوند ؛ فالعجمُ تزعم أنه إلى اليوم مُوثق في الحديد يُعذَّب هناك .

وذكر غيرُ هشام أن الضحاك لم يكن غائباً عن مسكنه ، ولكن أفريدون ابن أنثيان جاء إلى مسكن له في حِصْن يُدعى زرنج ماه مهرور مهر ، فنكح امرأتين له : تسمى إحداهما : أروناز ^(٥) والأخرى سنوار . فوهل بيوراسب لما عاين ذلك ، وخرَّ مدَّلهً لا يعقل ، فضرب أفريدون هامته بِحُرْز ^(٦) له ملتوى الرأس ، فزاده ذلك وهلاً وعزوبَ عقل ، ثم توجه به أفريدون إلى جبل دُنبَاوند ، وشده هنالك وثاقاً ، وأمر الناس باتخاذ مهرماه مهرورز — وهو المهرجان اليوم الذي أوثق فيه بيوراسب — عيداً ، وعلا أفريدون سرير الملك .

وذكر عن الضحاك أنه قال يومَ ملك وعُقد عليه التاج : نحن ملوك الدنيا ، المالكون لما فيها .

والفرس تزعم أن الملك لم يكن إلا للبطن الذي منه أوشهنيج وجم وطهمورث ، وأن الضحاك كان غاصباً ^(٧) وأنه غصب ^(٨) أهل الأرض بسحره وخبثه ، وهوَّل عليهم بالحيثيتين اللتين كانتا على منكبَيْه ، وأنه بنى بأرض بابل مدينة

(١) كذا في ا ، س ، ن ؛ وفي ط : « وهو » .

(٢) تكلمة من ا .

(٣) كذا في جميع الأصول ، وفي ن : « فاحتوى » .

(٤) ن : « فأقبل عليه » .

(٥) ا : « أروناز » ، س : « أردنان » ، ر ، ك : « أرونا » .

(٦) الحرز : عمود من حديد .

(٧) كذا في ا ، ر ، س ، وفي ط : « عاصيا » .

(٨) س : « غلب » .

سماها حوب^(١) ، وجعل التَّبَط أصحابه وبِطانته ، فلقى الناس منه كل جهد ، وذبح الصبيان .

ويقول كثير من أهل الكتب : إن الذى كان على منكبيه كان لحمتين طويلتين ناتئتين على منكبيه ، كل واحدة منهما كراس الثعبان ، وأنه كان بخبثه^(٢) ومكره يسترهما بالثياب . ويذكر على طريق التهويل أنهما حيتان يقتضيان الطعام ، وكانتا تتحركان تحت ثوبه إذا جاع كما يتحرك العضو من الإنسان عند التهابه بالجوع والغضب . ومن الناس من يقول : كان ذلك حيتين ، وقد ذكرت ما روى عن الشعبي في ذلك ، والله أعلم بحقيقته وصحته .

* * *

وذكر بعض أهل العلم بأنساب الفرس وأمورهم أن الناس لم يزالوا من بيوراسب هذا في جهنم شديد ، حتى إذا أراد الله إهلاكه وثب به رجل من العامة من أهل أصبهان يقال له كابي^(٣) ، بسبب ابنين كانا له أخذهما رسل بيوراسب بسبب الحيتين اللتين كانتا على منكبيه . وقيل : إنه لما بلغ الجزع من كابي هذا على ولده أخذ عصا كانت بيده ، فعلق بأطرافها جراباً كان معه ، ثم نصب ذلك العلكم ، ودعا الناس إلى مجاهدة بيوراسب ومحاربتة ، فأسرع إلى إجابته خلق كثير ، لما كانوا فيه معه من البلاء وفنون الجور ، فلما غلب كابي تفاعل الناس بذلك العلكم ، فعظموا أمره ، وزادوا فيه حتى صار عند ملوك العجم علكمهم الأكبر الذى يتبركون به ، وسموه درفش كايان^(٤) ، فكانوا لا يسيرون^(٥) إلا في الأمور العظام ، ولا يرفع إلا لأولاد الملوك إذا وجهوا في الأمور العظام . وكان من خبر كابي أنه شخص عن أصبهان بمن تبعه والتف إليه في طريقه ، فلما قرب من الضحاك وأشرف عليه ، قذف في قلب الضحاك

٢٠٧/١

(١) س : « حوف » ، ك : « تسمى ها حوب » .

(٢) ر : « لحيلته » .

(٣) ر : « كافي » .

(٤) ا : « درفتين كايان » ، ر : « درقين كايان » ، ك : « دريس كاتيان » ، ن :

« دفس كايان » .

(٥) س : « لا يسيرون به » .

منه الرعب، فهرب عن منازل، وخلّى مكانه، وانفتح للأعاجم فيه^(١) ما أرادوا، فاجتمعوا إلى كابي وتناظروا، فأعلمهم كابي أنه لا يتعرض للملك؛ لأنه ليس من أهله، وأمرهم أن يملكوا بعض ولد جم، لأنه ابن الملك الأكبر أو شهنش بن فرواك الذى رسم الملك، وسبق إلى القيام به، وكان أفريدون بن أنفيان مستخفياً فى بعض النواحي من الضحاك، فوافى كابي ومن كان معه، فاستبشر القوم بموافاته، وذلك أنه كان مرشحاً للملك برواية كانت لهم فى ذلك، فملكوه، وصار كابي والوجه لأفريدون أعواناً على أمره، فلما ملك وأحكم ما احتاج إليه من أمر الملك، واحتوى على منازل الضحاك، اتبعه فأسره بدُناوند فى جبالها.

وبعض المحوس تزعم أنه جعله أسيراً حبيساً فى تلك الجبال، موكلًا به قوم من الجن.

ومنهم من يقول: إنه قتله، وزعموا أنه لم يسمع من أمور الضحاك شيء يستحسن غير شيء واحد؛ وهو أن بليته^(٢) لما اشتدت ودام جورُهُ وطالت أيامه، عظم على الناس ما لقوا منه، فتراسل الوجوه فى أمره، فأجمعوا على المصير إلى بابه، فوافى بابه الوجوه والعظماء من الكور والنواحي، فتناظروا فى الدخول عليه والتظلم إليه^(٣)، والتأتى لاستعطافه، فاتفقوا على أن يقدموا للخطاب عنهم كابي الأصهبانى، فلما صاروا إلى بابه أعلم بمكانهم، فأذن لهم، فدخلوا وكابي متقدم لهم^(٤)، فقتل بين يديه، وأمسك عن السلام، ثم قال: أيها الملك، أى السلام أسلم عليك؟ أسلام من يملك هذه الأقاليم كلها، أم سلام من يملك هذا الإقليم الواحد؟ يعنى بابل، فقال له الضحاك: بل سلام من يملك هذه الأقاليم كلها، لأنى ملك الأرض. فقال له الأصهبانى: فإذا كنت تملك الأقاليم كلها، وكانت يدك تنالها أجمع، فما بالناس قد خصصنا بمؤنتك

٢٠٩/١

(١) كذا فى ا، س، ن، وفى ط: «منه».

(٢) ر: «نكته».

(٣) كذا فى ا، ر، ك: «منه».

(٤) ن: «مقدمهم».

وتحاملُك وإساءتُك من بين أهل الأقاليم ! وكيف لم تقسم أمر كذا وكذا بيننا وبين الأقاليم ؟ وعدّد عليه أشياء كان يُمكنه تخفيفها عنهم ، وجرّد له الصدق والقول في ذلك ، فقدح في قلب الضحّاك قوله ، وعَمِل فيه حتى انخزل وأقرّ بالإساءة ، وتألّف القوم ووعدهم ما يُحبّون ، وأمرهم بالانصراف لينزلوا ويتدعوا ، ثم يعودوا ليقضى حوائجهم ، ثم ينصرفوا إلى بلادهم .

وزعموا أن أمه ودك كانت شرّاً منه وأردى ، وأنها كانت في وقت مُعاجة القوم إياه بالقرب منه تتعرف ما يقولونه ، فتغتاظ وتُنكره ، فلما خرج القوم دخلت مُستشيطةً مُنكرة على الضحّاك احتمالاً القوم ، وقالت له : قد بلغني كلّ ما كان وجراًة هؤلاء القوم عليك حتى قرّعوك^(١) بكذا ، وأسمعوك كذا ،^(٢) أفلا دمرّت عليهم ودمدمتهم ، أو قطعت أيديهم^(٣) !

فلما أكثرت على الضحّاك قال لها مع عتوّه : يا هذه ، إنك لم تفكرى في شيء إلا وقد سبقت إليه ؛ إلا أن القوم بدّهوني بالحق ، وقرّعوني^(٤) به ، فلما هممت بالسطوة بهم والثوب عليهم تخیل^(٥) الحق قتل بيني وبينهم بمزلة الجبل ، فما أمكنني فيهم شيء . ثم سكّتها وأخرجها ، ثم جلس لأهل النواحي بعد أيام ، فوفى لهم بما وعدهم ، وردّهم وقد لان لهم ، وقضى أكثر حوائجهم ، ولا يُعرف للضحّاك — فيما ذكر — فعلة استحسنت [منه]^(٥) غير هذه .

وقد ذكر أن عُمر الأجدهاق^(٦) هذا كان ألف سنة ، وأن ملكه منها كان ستمائة سنة ، وأنه كان في باقى عمره شبيهاً بالملك لقدرته ونفوذ أمره . وقال

(١) في ط : « فرعوك » ؛ وما أثبتته من أ ؛ وابن الأثير ١ : ٤٤

(٢-٣) ١ : « أفلا دمر عليهم ودمدّم بهم ، أولا قطعت أيديهم ! » . ودمدّمهم ودمدّم عليهم ؛ أى أهلكهم .

(٣) ط : « فرعوني » .

(٤) ن : « تجبل » ؛ أى صار مثل الجبل .

(٥) من ن .

(٦) ر ، ك : « الازدهاق » .

بعضهم : إنه ملك ألف سنة ، وكان عمره ألف سنة ومائة سنة ، إلى أن خرج عليه أفريدون فقهره وقتله .

وقال بعض علماء الفرس : لا نعلم أحداً كان أطول عمراً— ممن لم يُذكر عمره في التوراة — من الضحاك هذا ، ومن جامر بن يافث بن نوح أبي الفرس ؛ فإنه ذكر أن عمره كان ألف سنة .

وإنما ذكرنا خبر بيوراسب في هذا الموضع ؛ لأنّ بعضهم زعم أن نوحاً عليه السلام كان في زمانه ، وأنه إنما كان أرسل إليه وإلى من كان في مملكته ، ممن دان بطاعته واتبعه على ما كان عليه من العتوّ والتمرّد على الله ، فذكرنا إحسانَ الله وأياديّه عند نوح عليه السلام بطاعته ربّه وصبره على ما لقيّ منه ^(١) من الأذى والمكره في عاجل الدنيا ، بأن نجّاه ومن آمن معه واتبعه من قومه ، وجعل ذريّته هم الباقيين في الدنيا ، وأبقى له ذكره بالثناء الجميل ، مع ما ذكر له عنده في الآجل من النعيم المقيم والعيش الهنيء ، وإهلاكه الآخرين بمعصيتهم إياه وتمرّدهم عليه ، وخلافهم أمره ، فسلبهم ما كانوا فيه من النعيم ، وجعلهم عبرة وعظة للغابرين ؛ مع ما ذكر لهم عنده في الآجل من العذاب الأليم .

* * *

ونرجع الآن إلى ذكر نوح عليه السلام والخبر عنه وعن ذريّته ، إذ كانوا هم الباقيين اليوم كما أخبر الله عنهم ؛ وكان الآخرون الذين بُعث نوح إليهم خلا ولده ونسله قد بادوا وذريّتهم ، فلم يبق منهم ولا من أعقابهم أحدٌ .

قد ذكرنا قبلُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ : إنهم سام ، وحام ، ويافث .

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثنا عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه ؛ يقول : إن سام بن نوح أبو العرب وفارس والروم ، وإنّ حام أبو السودان ، وإنّ يافث أبو الترك وأبو أجوج ومأجوج ، وهو بنو عمّ الترك .

وقيل : كانت زوجة يافث أربسية^(١) بنت مرازيل بن الدرسميل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم عليه السلام ، فولدت له سبعة نفر وامرأة . فممن ولدت له من الذكور جومر بن يافث وهو - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - أبو ياجوج ومأجوج ، ومارح^(٢) بن يافث ووائل بن يافث ، وحوآن بن يافث ، وتوبيل بن يافث ، وهوشل^(٣) بن يافث ، وترس بن يافث ، وشبكة بنت يافث . قال : فمن بنى يافث كانت ياجوج ومأجوج والصقالبة والترك فيما يزعمون . وكانت امرأة حام بن نوح نحل^(٤) بنت مارب بن الدرسميل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم . فولدت له ثلاثة نفر : كوش بن حام بن نوح ، وقوط بن حام بن نوح ، وكنعان بن حام . فنكح كوش بن حام بن نوح قرنييل ابنة بتاويل بن ترس بن يافث ، فولدت له الحبشة والسند والهند فيما يزعمون . ونكح قوط بن حام بن نوح بخت ابنة بتاويل ابن ترس بن يافث بن نوح ، فولدت له القبط - قبط مصر - فيما يزعمون . ونكح كنعان بن حام بن نوح أرتيل^(٥) ابنة بتاويل بن ترس بن يافث بن نوح ، فولدت له الأساود : نوبة ، وفرآن ، والزنج ، والزغاوة ، وأجناس السودان كلها .

٢١٢/١

* * *

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، في الحديث قال : ويزعم أهل التوراة أن ذلك لم يكن إلا عن دعوة دعاها نوح على ابنه حام ، وذلك أن نوحاً نام فأنكشف عن عورته ، فرآها حام فلم يغطها ، ورآها سام ويافث فألقيا عليها ثوباً فواريا عورته ، فلما هب من نومته علم ما صنع حام وسام ويافث ، فقال : ملعون كنعان بن حام ، عبيداً يكونون لإخوته ، وقال : يبارك الله ربّي في سام ، ويكون حام عبد أخويه ، ويقرض الله يافث^(٦) ، ويحمل في مساكن حام ، ويكون كنعان عبداً لهم^(٦) . قال : وكانت امرأة سام

(١) ا ، س : « أربسية » .

(٢) ا ، ن : « مارح » .

(٣) ا : « هوشك » ، س : « هوشد » .

(٤) كذا في ا ، ك ، وفي ط : « أريش » .

(٦-٦) كذا في ا ، وفي ط : « ويحمل في مساكن سام ، ويكون حام عبداً لهم » .

ابن نوح صليب ابنة بتاويل بن محويل بن خندوخ بن قيس بن آدم، فولدت له نفراً : أرفخشذ بن سام، وأشوذ بن سام، ولاوذ بن سام، وعويلم بن سام ، وكان لسام إرم بن سام ، قال : ولا أدري إرم لأم أرفخشذ وإخوته أم لا ؟

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام بن محمد ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : لما ضاقت بولد نوح سوق ثمانين تحولوا إلى بابل فبنوها ، وهي بين الفرات والصرّة ، وكانت اثني عشر فرسخاً في اثني عشر فرسخاً ، وكان بابها موضع دوران^(١) اليوم، فوق جسر الكوفة يسرة إذا عبرت ، فكثروا بها حتى بلغوا مائة ألف ، وهم على الإسلام .

ورجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . فنكح لاوذ بن سام بن نوح شبكة ابنة يافث بن نوح ، فولدت له فارس وجرجان وأجناس فارس ، ووُلد للاوذ مع الفرس طسم وعمليق ، ولا أدري أهو لأم الفرس أم لا ؟ فعمليق أبو العماليق . كلهم أُم تفرقت في البلاد ، وكان أهل المشرق وأهل عُمان وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر منهم ، ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون ، ومنهم كانت الفراعنة بمصر ، وكان أهل البحرين وأهل عمان منهم أمة يُسمون جاسم ، وكان^(٢) ساكني المدينة منهم ، بنوهف وسعد بن هزان ، وبنو مطر ، وبنو الأزرق . وأهل نجد منهم بديل وراجل^(٣) وغفار ، وأهل تيماء منهم . وكان ملك الحجاز منهم بتياء اسمه الأرقم^(٤) ، وكانوا ساكني^(٥) نجد مع ذلك . وكان ساكني الطائف بنو عبد بن ضخم ، حتى من عبس الأول .

قال : وكان بنو أميسم بن لاوذ بن سام بن نوح أهل وبار بأرض الرمل ،

(١) دوران ، بضم أوله : موضع خلف جسر الكوفة . ياقوت .

(٢) ط : « وكانوا » ، والصواب ما أثبتته من أ .

(٣) أ ، ن : « راجل » . (٤) ن : « الأذفر » .

(٥) أ : « من ساكني نجد » .

رمل عالج، وكانوا قد كثروا بها وربّلوا^(١)؛ فأصابتهم من الله عزّ وجلّ رقعة من معصية أصابوها، فهلكوا وبقيت منهم بقية، وهم الذين يقال لهم النسناس.

قال : وكان طسم بن لاوذ ساكن اليمامة وما حولها، قد كثروا بها وربّلوا إلى البحرين؛ فكانت طسم والعماليق وأمّيم وجاسم قومًا عربيًا، لسانهم الذي جُبِلوا عليه لسان عربيّ. وكانت فارس من أهل المشرق ببلاد فارس، يتكلمون بهذا اللسان الفارسيّ.

قال : وولد إرم بن سام بن نوح عوّص بن إرم، وغاثر^(٢) بن إرم، وحويل بن إرم. فولد عوص بن إرم غاثر بن عوص، وعاد بن عوص، وعبيل ابن عوص. وولد غاثر بن إرم ثمود بن غاثر، وجديس بن غاثر. وكانوا قومًا عربيًا يتكلمون بهذا اللسان المضريّ، فكانت العرب تقول لهذه الأمم : العرب العاربة، لأنه لسانهم الذي جُبِلوا عليه، ويقولون لبني إسماعيل بن إبراهيم : العرب المتعربة، لأنهم إنما تكلموا بلسان هذه الأمم حين سكنوا بين أظهرهم. فعاد وثمرود والعماليق وأمّيم وجاسم وجديس وطسم هم العرب؛ فكانت عاد بهذه الرمل إلى حضرموت واليمن كله، وكانت ثمود بالحِجْر بين الحجاز والشام إلى وادي القُرَى وما حوله، ولحقت جدیس بطسم، فكانوا معهم باليمامة وما حولها إلى البحرين، واسم اليمامة إذ ذاك جَوّ، وسكنت جاسم عُمان فكانوا بها.

وقال غير ابن إسحاق : إن نوحًا دعا لسام بأن يكون الأنبياء والرسل من ولده، ودعا ليافث بأن يكون الملوك من ولده، وبدأ بالدعاء ليافث وقدّمه في ذلك على سام، ودعا على حام بأن يتغيّر لونه، ويكون ولده عبيدًا لولد سام ويافث.

قال : وذكر في الكتب أنه رقّ على حام بعد ذلك، فدعا له بأن يرزق الرأفة من إخوته، ودعا من ولد ولده لكوش بن حام ولحامير بن يافث بن نوح،

(١) ربّلوا : كثّر عددهم .

(٢) س : « عابر » ، ك : « غابر » .

وذلك أن عدة من ولد الولد لحقوا نوحًا فخدموه، كما خدمه ولده لصلبه، فدعا لعدة منهم .

٢١٦/١

قال : فولد لسام عابر وعُليم وأشوذ وأرفخشذ ولاوذ وإرم^(١)، وكان مقامه بمكة . قال : فمن ولد أرفخشذ الأنبياء والرسل وخيار الناس ، والعرب كلها، والفراعنة بمصر . ومن ولد يافث بن نوح ملوك الأعاجم كلها من الترك والخرز وغيرهم ، والفرس الذين آخر من ملك منهم يزدد جرد بن شهریار ابن أبرويز ، ونسبه ينتهي إلى جيومرت بن يافث بن نوح .

قال : ويقال إن قومًا من ولد لاوذ بن سام بن نوح وغيره من إخوته نزحوا إلى جامر هذا ، فأدخلهم جامر في نعمته ومملكه ، وأن منهم ماذى بن يافث ، وهو الذي تُنسب السيوف الماذية إليه . قال : وهو الذي يقال إن كيرش الماذوي قاتل بلشصر^(٢) بن أولرودخ بن بختنصر من ولده .

قال : ومن ولد حام بن نوح، النوبة، والحبيشة، وفزان، والهند، والسند، وأهل السواحل في المشرق والمغرب .

قال : ومنهم نمروذ ، وهو نمروذ بن كوش بن حام .

قال : وولد لأرفخشذ بن سام ابنة قينان، ولا ذكر له في التوراة ، وهو الذي قيل إنه لم يستحق أن يذكر في الكتب المنزل ، لأنه كان ساحرًا، وسمى نفسه إلهًا، فسيفت المواليد في التوراة على أرفخشذ بن سام ثم على شالغ بن قينان بن أرفخشذ من غير أن يذكر قينان في النسب ، لما ذكر من ذلك .

قال : وقيل في شالغ : إنه شالغ بن أرفخشذ من ولد لقينان . وولد لشالغ عابر . وولد لعابر ابنان : أحدهما فالغ، ومعناه بالعربية قاسم — وإنما سمي بذلك لأن الأرض قسمت والألسن تبلبلت في أيامه — وسمى الآخر قحطان .

٢١٧/١

فولد لقحطان يعرب ويقطان ابنا قحطان بن عابر بن شالغ ، فترلا أرض اليمن، وكان قحطان أول من ملك اليمن، وأول من سلم عليه : «أَبَيْتَ اللَّعْنَةَ» ، كما كان يقال للملوك . وولد لفالغ بن عابر أرغوا — وولد لأرغوا ساروغ ، وولد لساروغ ناحورا ، وولد لناحورا تارخ — واسمه بالعربية آزر — وولد لتارخ

(١) في سفر التكوين ١٠ : ٢١ : « بنو سام عيلام وأشور وأرفكشار ولوذ وآرام » .

(٢) ن : « تلشصر » ، ل : « بلشهر » .

إبراهيم صلوات الله عليه . وولد لأرفخشذ أيضاً نمرود بن أرفخشذ ، وكان منزله بناحية الحجر . وولد للاوذ بن سام طسم وجديس ، وكان منزلهما اليمامة . وولد للاوذ أيضاً عمليق بن لاوذ ، وكان منزله الحرم وأكناف مكة ، ولحق بعض ولده بالشام ؛ فمنهم كانت العماليق ، ومن العماليق القراعنة بمصر . وولد للاوذ أيضاً أميم بن لاوذ بن سام ، وكان كثير الولد ، فترع بعضهم إلى جامر بن يافث بالمشرق . وولد لإرم بن سام عوص بن إرم ، وكان منزله الأحقاف . وولد لعوص عاد بن عوص .

وأما حام بن نوح ، فولد له كوش ومصرام^(١) وقوط وكنعان ، فن ولد كوش نمرود المتجبر الذي كان ببابل ، وهو نمرود بن كوش بن حام ، وصارت بقية ولد حام بالسواحل من المشرق والمغرب والنوبة والحبشة وفزان . قال : ويقال : إن مصرام ولد القبط والبربر ، وإن قوطاً صار إلى أرض السند والهند فترها ، وإن أهلها من ولده .

وأما يافث بن نوح فولد له جامر وموعج^(٢) وموادي^(٣) ويوان^(٤) وثوبال وماشج وتيرش . ومن ولد جامر ملوك فارس . ومن ولد تيرش الترك والخزر . ومن ولد ماشج الأشبان . ومن ولد موعج يأجوج ومأجوج ، وهم في شرق أرض الترك والخزر . ومن ولد يوان الصقالية وبرجان والأشبان ، كانوا في القديم بأرض الروم قبل أن يقع بها من وقع من ولد العيص وغيرهم ؛ وقصد كل فريق من هؤلاء الثلاثة : سام وحام ويافث أرضاً ، فسكنوها ودفعوا غيرهم عنها .

٢١٨/١

* * *

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد بن السائب ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس : قال : أوحى الله إلى موسى عليه السلام : إنك يا موسى وقومك وأهل الجزيرة وأهل العال من ولد سام بن نوح . وقال ابن عباس : والعرب والفرس والنسب والهند والسند من ولد سام بن نوح .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن

(٢) كذا في ١ ، وفي ط : « موعج » .

(١) ن : « مصرام » .

(٣) ١ : « موراي » . ن : « مورالي » . (٤) ط : « يوان » .

محمد ، عن أبيه : قال : الهند والسند بنو توقير ^(١) بن يقطن بن عابر بن شالخ ابن أرفخشذ بن سام بن نوح . ومُكران بن البند ، وجهرم ، اسمه هذرم ^(٢) بن عابر بن سبأ بن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح . ٢١٩/١ وحضرموت بن يقطن بن عابر بن شالخ . ويقطن هو قحطان بن عابر بن شالخ ابن أرفخشذ بن سام بن نوح ، في قول من نسبته إلى غير إسماعيل . والفرس بنو فارس بن تيرش ^(٣) بن ناسور بن نوح . والنَّبَط بنو نبط بن ماش ابن إرم بن سام بن نوح . وأهل الجزيرة والعال من ولد ماش بن إرم بن سام ابن نوح . وعمليق - وهو عَرَب - وطسم وأميم بنو لوذ بن سام بن نوح . وعَمَلِيْق هو أبو العمالقة ، ومنهم البربر وهم بنو ثميلا بن مارب بن فاران بن عمرو بن عمليق بن لوذ بن سام بن نوح ، ما خلا صِنهاجة وكُتامة ، فإنهما بنو فريقيش بن قيس بن صيني بن سبأ .

ويقال : إن عمليق أول مَنْ تكلم بالعربية حين ظعنوا من بابل ؛ فكان يقال لهم ولجهرم : العربُ العاربة . وثمود وجديس ابنا عابر بن إرم بن سام ابن نوح ، وعاد وعَبِيل ابنا عَوْص بن إرم بن سام بن نوح ، والروم بنو لنطى ^(٤) ابن يونان بن يافث بن نوح . ونمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح ، وهو صاحب بابل ؛ وهو صاحب إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه .

قال : وكان يقال لعاد في دهرهم عادُ إرم ، فلما هلكت عاد قيل لثمود إرم ، فلما هلكت ثمود قيل لسائر بني إرم : إرماني ؛ فهم النَّبَط ، فكل هؤلاء كان على الإسلام وهم ببابل ، حتى ملكتهم نمرود بن كوش بن كنعان بن حام ابن نوح ، فدعاهم إلى عبادة الأوثان ففعلوا ، فأمسوا وكلامهم السريانية ، ثم أصبحوا وقد بلبس الله ألسنتهم ، فجعل لا يعرف بعضهم كلام بعض ، فصار لبني سام ثمانية عشر لساناً ، ولبني حام ثمانية عشر لساناً ، ولبني يافث

(١) كذا في ١ وهو يوافق ما في ابن الأثير ١ : ٤٥ ، وفي ر : « بنوقين » ، وفي ن :

« توفين » .

(٢) ١ : « هذرم » .

(٣) كذا في ١ ، وفي ر : « نبرس » ، وابن الأثير « تيرش » ، وفي ط مهمل .

(٤) ١ : « ليطنى » .

سنة وثلاثون لسانًا ، ففهم الله العربية عادًا وعَبِيل وثمود وجَدِيس وعِمْلِيق وطَسَم وأَمِيسَم وبَنِي يَقْظَن بن عابر بن شالْخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح .

وكان الذي عقد لهم الألوية ببابل بوناظر^(١) بن نوح ، وكان نوح فيما حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس : تزوج امرأة من بني قابيل ، فولدت له غلامًا ، فسماه بوناظر ، فولده بمدينة بالمشرق يقال لها معلون^(٢) شمسًا ، فنزل بنو سام المجدل^(٣) سرّة^(٤) الأرض ، وهو ما بين ساتيدما^(٥) إلى البحر ، وما بين اليمن إلى الشام ، وجعل الله النبوة والكتاب والجمال والأدمة والبياض فيهم . ونزل بنو حام مجرى الجنوب والدبور ، ويقال لتلك الناحية الداروم^(٦) ، وجعل الله فيهم أدمة وبياضًا قليلًا ، وأعمّر بلادهم وسماهم ، ورفع عنهم الطاعون ، وجعل في أرضهم الأثل والأراك والعُشْر والغار والنخل ، وجرت الشمس والقمر في سماهم . ونزل بنو يافث الصفون مجرى الشمال والنصبا ، وفيهم الحمرة والشقرة ، وأخلى الله أرضهم فاشتدّ بردها ، وأخلى سماهم ، فليس يجرى فوقهم شيء من النجوم السبعة الجارية ، لأنهم صاروا تحت بنات نعش والجدى والفرقدين ، فابتلوا بالطاعون . ثم لحقت عاد بالشحر ، فعليه هلكوا بواد يقال له مغيث ، فلحقّتهم بعد مهرة^١ بالشحر . ولحقت عبيل بموضع يثرب . ولحقت العماليق بصنعاء قبل أن تسمى صنعاء ، ثم انحدر بعضهم إلى يثرب ، فأخرجوا منها عبيل ، فنزلوا موضع الجحفة ، فأقبل السيل فاجتحفهم فذهب بهم فسميت الجحفة . ولحقت ثمود بالحجر وما يليه فهلكوا ثمّ ، ولحقت طسم وجدِيس باليامة فهلكوا ، ولحقت أميم بأرض أبار فهلكوا بها ، وهي بين اليامة والشحر ، ولا يصل إليها اليوم أحد ، غلبت عليها الجن . وإنما سميت أبار بأبار بن أميم .

٢٢١/١

(١) ١ : « يونان » ، ن : « نوياطن » .

(٢) ١ : « معلون » .

(٣) المجلد ، ضبطها ياقوت بكسر الميم وسكون الجيم وفتح الدال .

(٤) ر ، ك : « من الأرض » .

(٥) ساتيدما ، ضبطها ياقوت : « بعد الألف تاء مثناة من فوق مكسورة وياء مثناة من تحت ؛ ودال مهلة مفتوحة ثم ميم وألف مقصورة » .

(٦) ١ : « الزاروم » .

ولحقت بنو يقطن بن عابر باليمن ، فسميت اليمن حيث تيامنوا إليها ، ولحق قوم من بني كنعان بالشأم فسميت الشأم حيث تشاءموا إليها ، وكانت الشأم يقال لها أرض بني كنعان ، ثم جاءت بنو إسرائيل فقتلوهم بها ، ونفّوهم عنها ، فكانت الشأم لبني إسرائيل . ثم وثبت الروم على بني إسرائيل فقتلوهم ، وأجلوهم إلى العراق إلا قليلا منهم ، ثم جاءت العرب فغلبوا على الشأم ، وكان فالغ - وهو فالغ بن عابر بن أرفخشذ بن سام بن نوح - هو الذي قسم الأرض بين بني نوح كما سمينا .

٢٢٢/١

وأما الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علماء سلفنا في أنساب الأمم التي هي في الأرض اليوم ، فعلى ما حدثني أحمد بن بشير بن أبي عبد الله الوراق ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سام أبو العرب ، ويافث أبو الروم ، وحام أبو الحبش » .

حدثني القاسم بن بشر بن معروف ، قال : حدثنا روح ، قال : حدثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة . عن الحسن ، عن سمرة بن جندب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « ولد نوح ثلاثة : سام وحام ويافث ، فسام أبو العرب ، وحام أبو الزنج ، ويافث أبو الروم » .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا عبّاد بن العوّام ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سام أبو العرب ، ويافث أبو الروم ، وحام أبو الحبش » .

حدثني عبد الله بن أبي زياد ، قال : حدثني روح ، قال : حدثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « ولد نوح سام وحام ويافث » . قال عبد الله : قال رَوْح : أحفظ « يافث » ، وسمعت مرة « يافث » .

وقد روى هذا الحديث عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة وعمران بن حصين ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

٢٢٣/١

حدثني عمران بن بكّار الكلاعي قال : حدثنا أبو اليمان ، قال : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن يحيى بن سعيد ، قال : سمعت سعيد بن المسيّب يقول : ولد نوح ثلاثة ، وولد كل واحد ثلاثة : سام ، وحام ، ويافث . فولد سام العرب وفارس والروم ؛ وفي كل هؤلاء خير . وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج ؛ وليس في واحد من هؤلاء خير ، وولد حام القبط والسودان والبربر .

وروي عن ضَمْرَةَ بن ربيعة ، عن ابن عطاء ، عن أبيه ، قال : ولد حام كل أسود جَعَدَ الشعر ، وولد يافث كل عظيم الوجه صغير العينين ، وولد سام كل حسن الوجه حَسَنَ الشعر . قال : ودعا نوح على حام ألا يعدّو شعرُ ولده آذانتهم ، وحيثما لقي ولده ولد سام استعبدوهم .

وزعم أهل التوراة أن سام ولد لنوح بعد أن مضى من عمره خمسمائة سنة ، ثم ولد لسام أرفخشذ بعد أن مضى من عمر سام مائة سنة وستتان ، فكان (١) جميع عمر سام - فيما زعموا - ستمائة سنة . ثم ولد لأرفخشذ قينان ، وكان عمر أرفخشذ أربعمائة سنة وثمانيا وثلاثين سنة . وولد قينان لأرفخشذ بعد أن مضى من عمره خمس وثلاثون سنة ، ثم ولد لقينان شالخ بعد أن مضى من عمره تسع وثلاثون سنة ، ولم يذكر مدة عمر قينان في الكتب فيما ذكر لما ذكرنا من أمره قبل . ثم ولد لشالخ عابر بعد أن مضى من عمره ثلاثون سنة ، وكان عمر شالخ كله أربعمائة سنة وثلاثا وثلاثين سنة .

٢٢٤/١

ثم ولد لعابر فالغ وأخوه قحطان ، وكان مولد فالغ بعد الطوفان بمائة وأربعين سنة ، فلما كثر الناس بعد ذلك مع قرب عهدهم بالطوفان همّوا ببناء مدينة تجمعهم فلا يتفرقون ، أو صرح عال يجرّهم من الطوفان إن كان مرة أخرى فلا يفرقون ، فأراد الله عز وجل أن يوهن أمرهم ، ويخلف ظنهم ويعلمهم أن الحول والقوة له ، فبدّد شملهم (٢) ، وشتت جمعهم ، وفرّق ألسنتهم . وكان عمر عابر أربعمائة سنة وأربعاً وسبعين سنة .

(١) : « وكان » .

(٢) ط : « وبدد » ؛ وما أثبت عن ا .

ثم ولد لفالغ أرغوا ، وكان عمر فالغ مائتين وتسعا وثلاثين سنة ، وولد أرغوا لفالغ وقد مضى من عمره ثلاثون سنة ، ثم ولد لأرغوا ساروغ ، وكان عمر أرغوا مائتين وتسعا وثلاثين سنة ، وولد له ساروغ بعد ما مضى من عمره اثنتان وثلاثون سنة . ثم ولد لساروغ ناحور^(١) ، وكان عمر ساروغ مائتين وثلاثين سنة . وولد له ناحور ، وقد مضى من عمره ثلاثون سنة .

ثم ولد لناحور تارخ أبو إبراهيم ، صلوات الله عليه ، وكان هذا الاسم اسمه الذي سماه أبوه ، فلما صار مع نمرود قيما على خزانة آلهته سماه آزر . وقد قيل : إن آزر ليس باسم أبيه ؛ وإنما هو اسم صنم ؛ فهذا قول يروى عن مجاهد . وقد قيل إنه عيب عابه به بمعنى « معوج » ، بعد ما مضى من عمر ناحور ٢٢٥/١ سبع وعشرون سنة ، وكان عمر ناحور كله مائتين وثمانيا وأربعين سنة .

وولد لتارخ إبراهيم ، وكان بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف سنة وتسع وسبعون سنة ، وكان بعض أهل الكتاب يقول : كان بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف سنة ومائتا سنة وثلاث وستون سنة ، وذلك بعد خلق آدم بثلاثة آلاف وثلاثمائة سنة وسبع وثلاثين سنة .

وولد لقحطان بن عابر يعرب ، فولد يعرب يشجب بن يعرب ، فولد يشجب سبأ بن يشجب ، فولد سبأ حمير بن سبأ وكهلان بن سبأ وعمرو ابن سبأ ، والأشعر بن سبأ وأنمار بن سبأ ومر بن سبأ وعاملة بن سبأ . فولد عمرو ابن سبأ عدي بن عمرو ، فولد عدي نخم بن عدي وجذام بن عدي .

* * *

وقد زعم بعض نسائي الفرس أن نوحا هو أفريدون الذي قهر الازدهاق ، وسلبه ملكه . وزعم بعضهم أن أفريدون هو ذو القرنين صاحب إبراهيم عليه السلام الذي قضى له ببئر السبع^(٢) ، الذي ذكر الله في كتابه . وقال بعضهم : هو سليمان بن داود .

وإنما ذكرته في هذا الموضع لما ذكرت فيه من قول من قال : إنه نوح ،

(١) ١ : « ناحور » ر : « ياحور » ، س : « ياجور » .

(٢) بئر السبع ، نقل القرطبي في تفسيره ١ : ١٢ : ٤٧ عن السهيلي أنه موضع بالشام .

وإن قصته شبيهة بقصة نوح في أولاد له ثلاثة، وعدله وحسن سيرته ، وهلاك الضحاك على يده . وأنه قيل إن هلاك الضحاك كان على يد نوح وأن^(١) نوحاً إنما كان أرسل — في قول من ذكرت عنه أنه قال : كان هلاك الضحاك على يدى نوح —^(١) حين أرسل إلى قومه ، وهم كانوا قوم الضحاك .

فأما الفرس فإنهم ينسبونه النسبة التي أنا ذاكرها ؛ وذلك أنهم يزعمون أن أفريدون من ولد جهم شاذ الملك الذي قتله الازدهاق ، على ما قد بيّنا من أمره قبل ، وأن بينه وبين جهم عشرة آباء .

وقد حدثت عن هشام بن محمد بن السائب ، قال : بلغنا أن أفريدون — وهو من نسل جهم الملك الذي كان من قبل الضحاك ، قال : يزعمون أنه التاسع ولده ، وكان مولده بُدُنْبَاوند — خرج حتى ورد منزل الضحاك ، فأخذه وأوثقه ، وملك مائتي سنة ، وردّ المظالم ، وأمر الناس بعبادة الله والإنصاف والإحسان، ونظر إلى ما كان الضحاك غصّب الناس من الأرضين وغيرها، فردّ ذلك كلّهُ على أهلِهِ، إلا ما لم يجد له أهلاً ، فإنه وقفه على المساكين والعامّة . قال : ويقال إنه أوّل مَنْ سَمِيَ الصّوّافِي ، وأوّلُ مَنْ نظر في الطبّ والنجوم ، وإنه كان له ثلاثة بنين : اسم الأكبر سَلَمٌ^(٢) ، والثاني طوج ، والثالث إيرج ، وأن أفريدون تخوّف ألا يتفق بنوه، وأن يبغي بعضهم على بعض، فقسّم ملكه بينهم ثلاثاً ، وجعل ذلك في سهام كتب أسماءهم عليها ، وأمر كلّ واحد منهم فأخذ سهماً، فصارت الروم وناحية المغرب لسلام ، وصارت الترك والصين لطوج ، وصارت للثالث — وهو إيرج — العراق والهند ، فدفع التاج والسريّر إليه ، ومات أفريدون ، فوثب بإيرج أخواه فقتلاه ، وملكوا الأرض بينهما ثلاثاً سنة .

قال : والفرس تزعم أن لأفريدون عشرة آباء ، كلهم يسمى أنفيان باسم واحد . قالوا : وإنما فعلوا ذلك خوفاً من الضحاك على أولادهم، لرواية كانت عندهم، بأن بعضهم يغلب الضحاك على ملكه، ويُدرك منه ثأر جهم ،

(١ - ١) كذا وردت العبارة في ١ .

(٢) في الأصول : « سرم » ، وانظر ما يأتي .

وكانوا يعرفون ويميّزون بألقاب لقبوها ، فكان يقال للواحد منهم : أنفيان صاحب البقر الحمر ، وأنفيان صاحب البقر البلق ، وأنفيان صاحب البقر الكدر^(١) . وهو أفريدون بن أنفيان بُوَكاو - وتفسيره صاحب البقر الكثير - بن أنفيان نيككاو - وتفسيره صاحب البقر الحياذ ، بن أنفيان سيركاو^(٢) - وتفسيره صاحب البقر السمان العظام - بن أنفيان بوركاو - وتفسيره صاحب البقر التي بلون حمير الوحش - بن أنفيان أخشين كاو - وتفسيره صاحب البقر الصفر - بن أنفيان سياه كاو - وتفسيره صاحب البقر السود - بن أنفيان اسبيدكاو - وتفسيره صاحب البقر البيض - بن أنفيان كيركاو - وتفسيره صاحب البقر الرمادية - بن أنفيان رمين - وتفسيره كلّ ضرب من الألوان والقطعان - بن أنفيان بنفر وسن ؛ بن جم الشاذ .

وقيل : إن أفريدون أول من سُمّي بالكَيْيَّة فقليل له : كَيّ أفريدون ، وتفسير الكيَّة أنها بمعنى التنزيه ، كما يقال : روحاني ، يعنون به أن أمره أمر مخلص متزه يتصل بالروحانية . وقيل إن معنى « كَيّ » أي طالب الدخول^(٣) ، ويزعم بعضهم أن « كَيّ » من البهاء ، وأن البهاء تعشّى أفريدون حين قتل الضحّاك ؛ وتذكر العجم من الفُرس أنه كان رجلاً جسيماً وسيماً بهيئاً مجرباً ، وأن أكثر قتاله كان بالجرز ، وأن جرّزه كان رأسه كرأس الثور ، وأن ملك ابنه إيرج العراق ونواحيها كان في حياته ، وأن أيام إيرج داخلة في ملك أفريدون ، وأنه ملك الأقاليم كلّها ، وتنقل في البلدان ، وأنه لما جلس على سرير يوم الملك قال : نحن القاهرون بعون الله وتأييده للضحّاك ، القامعون للشيطان وأحزابه ، ثم وعظ الناس ، فأمرهم بالتناصف وتعاطي الحقّ وبذل الخير بينهم ، وحشّهم على الشكر والتمسك به ، ورتّب سبعة من القوهيارين^(٤) - وتفسير ذلك محولو الجبال سبع مراتب - وصيّر إلى كلّ واحد منهم ناحية من دُنْبَاوند وغيرها على شبيه بالتملك . قالوا : فلما ظفر بالضحّاك قال له الضحّاك : لا تقتلني بجدّك

(١) كذا في أ ، وفي ط : « الكذا » .

(٢) أ ، ب ، ك ، ن : « شوكاو » . س : « سوكاو » .

(٣) ك : « الجعل » .

(٤) أ : « القوهيارين » . س : « القوهارين » .

جم ، فقال له أفريدون منكراً لقوله : لقد سميت بك همتك ، وعظمت في نفسك حين قدرتها لهذا ، وطمعت لها فيه ! وأعلمه أن جدّه كان أعظم قدراً من أن يكون مثله كفتاً له في القود ، وأعلمه أنه يقتله بثور كان في دار جدّه . وقيل إن أفريدون أول من ذلّل الفيلة وامتطّاها ، ونَتَجَ البغال ، واتخذ الإوز والحمام ، وعالج الدّرياق^(١) ، وقاتل الأعداء فقتلهم ونفاهم ، وأنه قسم الأرض بين أولاده الثلاثة : طوج وسلم وإيرج ، فللك طوجاً ناحية الترك والخزر والصين ، فكانوا يسمونها صين بَغَا ، وجمع إليها النواحي التي اتصلت بها ، وملك سلماً ابنه الثاني الروم والصقالبة والبُرجان وما في حدود ذلك ، وجعل وسط الأرض وعامرهما - وهو إقليم بابل ، وكانوا يسمونها خنارث^(٢) بعد أن جمع إلى ذلك ما اتصل به من السند والهند والحجاز وغيرها - لإيرج وهو الأصغر من بنيه الثلاثة ، وكان أحبّهم إليه . وبهذا السبب سُمّي إقليم بابل لإيران شهر ، وبه أيضاً نشبت العداوة بين ولد أفريدون وأولادهم بعد ، وصار ملوك خنارث والترك والروم إلى المحاربة ومطالبة بعضهم بعضاً بالدماء والترات . وقيل : إن طوجاً وسلماً لمّا علما أن أباهما قد خصّ لإيرج وقدّمه عليهما أظهرهما له البغضاء ، ولم يزل التحاسد ينمى بينهما إلى أن وثب طوج وسلم على أخيهما إيرج ، فقتلاه متعاونين^(٣) عليه ، وأن طوجاً رماه بوَهَق^(٤) فخنقه ، فن أجل ذلك استعملت الترك الوَهَق ، وكان لإيرج ابنان ؛ يقال لهما وندان^(٥) وأسطوبة^(٦) ، وابنة يقال لها خوزك^(٧) ، ويقال خوشك ، فقتل سلم وطوج الابنين مع أبيهما ، وبقيت الابنة .

٢٣٠/١

وقيل : إن اليوم الذي غلب فيه أفريدون الضحّاك كان روزمهر من مهرماه ، فاتخذ الناس ذلك اليوم عيداً لارتفاع بليّة الضحّاك عن الناس ، وسماه المِهْرَجَان ؛

(١) ك : « وعالج بالدرياق » .

(٢) ١ ، س : « خيارت » ، ك : « خنارث » ، ن : « خنباث » .

(٣) ن : « متعاونين » .

(٤) الوَهَق : الحبل يرمى في أنشودة فتؤخذ به الدابة والإنسان .

(٥) ك : « وندان » ب : « وندان » .

(٦) كذا في ١ ، وفي ر : « أستويه » ، وفي ن : « أستويه » وفي ك : « وسطوبة » وفي ط مهمل .

(٧) ١ : « خوزك » .

فَقِيلَ : إِنْ أَفْرِيدُونِ كَانَ جَبَاراً عَادِلاً فِي مَلِكِهِ ، وَكَانَ طَوْلُهُ تِسْعَةَ أَرْمَاحَ ، كُلُّ رَمَحٍ ثَلَاثَةَ أَبْوَاعَ ، وَعَرْضُ حُجْرَتِهِ ثَلَاثَةَ أَرْمَاحَ ، وَعَرْضُ صَدْرِهِ أَرْبَعَةَ أَرْمَاحَ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَتَّبَعُ مَنْ كَانَ بَقِيَ بِالسُّودَانِ مِنْ آلِ نَمْرُودَ وَالنَّبَّاطِ ، وَقَصْدَهُمْ حَتَّى أَتَى عَلَى وَجْهِهِمْ ، وَحَا أَعْلَامَهُمْ وَأَثَرَهُمْ ؛ وَكَانَ مَلِكُهُ خَمْسِمِائَةَ سَنَةٍ .

ذكر الأحداث التي كانت بين نوح وإبراهيم خليل الرحمن عليهما السلام

قد ذكرنا قبل ما كان من أمر نوح عليه السلام وأمر ولده واقتسامهم الأرض بعده ، ومساكن كل فريق منهم ، وأى ناحية سكن من البلاد . وكان ممن طغا وعتا على الله عز وجل بعد نوح ، فأرسل الله إليهم رسولا فكذبوه وتمادوا في غيبتهم ، فأهلكهم الله هذان الحيان من إرم بن سام بن نوح : أحدهما عاد ابن عوص بن إرم ابن سام بن نوح ، وهى عاد الأولى ، والثانى ثمود بن جاثر بن إرم بن سام بن نوح ، وهم كانوا العرب العاربة .

* * *

فأما عاد فإن الله عز وجل أرسل إليهم هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود ابن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح . ومن أهل الأنساب من يزعم أن هوداً هو عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، وكانوا أهل أوثان ثلاثة يعبدونها ، يقال لإحداها : صداة ، وللآخر صمود ، وللثالث الهباء^(١) . فدعاهم إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة دون غيره ، وترك ظلم الناس ، فكذبوه وقالوا : من أشد منا قوة ! فلم يؤمن بهود منهم إلا قليل ، فوعظهم هود إذ تمادوا في طغيانهم ، فقال لهم : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ . فكان جوابهم له أن قالوا :

٢٣٢/١

(١) : « الهباء » .

﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾^(١). وقالوا له: ﴿يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾^(٢)، فحبس الله عنهم - فيما ذكر - القطرَ سنين ثلاثاً ؛ حتى جَهِدُوا ، فأوفدوا وفداً ليستسقوا لهم .

فكان من قصصهم ما حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو بكر بن عَيَّاش ، قال : حدثنا عاصم ، عن أبي وائل ، عن الحارث بن حَسَّان البكري ، قال : قدمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمرتُ بامرأة بالربذة ، فقالت : هل أنتَ حاملي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلتُ : نعم ، فحملتها حتى قدمت المدينة ، فدخلتُ المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر ، وإذا بلالٌ متقلدُ السيف ، وإذا^(٣) راياتُ سُودٌ ، قال : قلتُ : ما هذا ؟ قالوا : عمرو بن العاص قدم من غزوته ، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن منبره أتيتُهُ فاستأذنته ، فأذن لي ، فقلتُ : يا رسول الله ، إنَّ بالباب امرأةً من بني تميم ، قد سألتني أن أحملها إليك ، قال : يا بلال ، ائذنْ لها ، قال : فدخلتُ ، فلما جلستُ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل كان بينكم وبين تميم شيء ؟ قلتُ : نعم ، وكانت الدبيرة^(٤) عليهم ، فإن رأيت أن تجعل الدّهْءاءَ بيننا وبينهم فعلت ، قال : تقول المرأةُ فأين تضطرمُّضرك يا رسول الله ؟ قال : قلتُ : مثلي مثل معزى حملت حَتَفًا ، قال : قلتُ : أو حملتُك تكونين على خصما ! أعوذ بالله أن أكون كوفد^(٥) عاد . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما وفد عاد ؟ قال : قلتُ : على الخبير سقطت ؛ إن عاداً قحِطت ، فبعثت من يستسقي لها ، فرأوا على بكر بن معاوية بمكة يسقيهم الخمر ، وتغنيهم الجرادتان شهراً ، ثم بعثوا رجلاً من عنده ، حتى أتى جبال مَهْرَةَ ، فدعا ، فجاءت سحابات ، قال : وكلّما جاءت قال :

(١) سورة الشعراء ١٢٨ - ١٣٦

(٢) سورة هود ٥٣ ، ٥٤

(٣) ط والتفسير « فإذا » ، وما أثبتته من أ .

(٤) الدبيرة عليهم ، أي الهزيمة ، وفي أ : « الدائرة » .

(٥) أ والتفسير : « وفد » .

اذهبي إلى كذا، حتى جاءت سحابة، فنودی [منها] ^(١) : خُذْهَا رِمَاداً رِمْدَاً ^(٢) ،
لا تَدْعُ من عاد أحدا . قال : فسمعه وكنتمهم حتى جاءهم العذاب .

قال أبو كريب : قال أبو بكر بعد ذلك في حديث عاد، قال : فأقبل
الذي أتاهم، فأتى جبال مَهْرَة فصعد فقال : اللهم إني لم أجثك لأسير فأفاديه،
ولا لمريض أشفيه ، فأسقى عاداً ما كنت مُسْقِيه ! قال : فرُفِعَتْ له سحابات .
قال : فنودی منها : اختر ، فجعل يقول : اذهبي إلى بني فلان [اذهبي إلى
بني فلان] ^(١) . قال : فررت آخرها سحابة سوداء ؛ فقال : اذهبي إلى عاد .
قال : فنودی منها : خُذْهَا رِمَاداً رِمْدَاً ، لا تَدْعُ من عاد أحداً . قال :
وكنتمهم والقوم عند بكر بن معاوية يشربون . قال : وكره بكر بن معاوية أن يقول
لهم من أجل أنهم عنده ، وأنهم في طعامه . قال : فأخذ في الغناء وذكّرهم ^(٣) .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا زيد بن حُبَاب ، قال : حدثنا سلام
أبو المنذر النَّحْوِيّ ، قال : حدثنا عاصم ، عن أبي وائل ، عن الحارث بن
يزيد البكريّ ، قال : خرجت لأشكو العلاء بن الحضرميّ إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فررت بالربّة ، فإذا عجوز منقطع بها من بني تميم ، فقالت :
يا عبد الله ، إن لي إلى رسول الله حاجةً ، فهل أنت مُبْلِغِي إليه ؟ قال :
فحملتها ، فقدمت المدينة — قال أبو جعفر : أظنه أنا قال : « فإذا رايات
سود » — قال : قلت : ما شأن الناس ؟ قالوا : يريد أن يبعث بعمر بن العاص
وجنّها . قال : فجلست حتى فرغ ، قال : فدخل منزله — أو قال رحلته —
فاستأذنت عليه ، فأذن لي . قال : فدخلت فقعدت ، فقال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم : هل كان بينكم وبين تميم شيء ؟ قال : قلت : نعم ،
وكانت الدّبرة عليهم ، وقد مررت بالربّة ، فإذا عجوز منهم منقطع بها ،
فسألتنى أن أحملها إليك ، وها هي بالباب ، فأذن لها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فدخلت ، فقلت : يا رسول الله ، اجعل بيننا وبين تميم الدّهناء حازراً ،
فحميت العجوز واستوفزت ، وقالت : فأين تضطّر مضرّك يا رسول الله ؟ قال :

٢٣٤/١

(١) تكلّة من ا والتفسير .

(٢) الرمد: المنتهى في الاحتراق . (٣) الخبر في التفسير ١٢ : ٥١٣ - ٥١٥ .

قُلْتُ : أَنَا كَمَا قَالُوا : «مَعْرَى حَمَلْتُ حَتَفًا»^(١) ، حَمَلْتُ هَذِهِ وَلَا أَسْعُرُ أَنَهَا كَائِنَةً لِي خَصْمًا ، أَعُوذُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْ أَكُونَ كَوَافِدَ عَادٍ ! قَالَ : وَمَا وَافِدَ عَادٍ ؟ قُلْتُ : عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطَتْ ، قَالَ : وَهُوَ يَسْتَطْعِمُنِي^(٢) الْحَدِيثُ قُلْتُ : إِنْ عَادًا قَحَطُوا فَبِعُثُوا «قَيْلًا» وَافِدًا ، فَتَزَلْ عَلَى بَكْرٍ ، فَسَقَاهُ الْخَمْرَ شَهْرًا ، وَتَغْنِيهِ جَارِيَتَانِ يُقَالُ لِهَمَا الْجَرَادَتَانِ ، فَخَرَجَ إِلَى جِبَالِ مَهْرَةَ ، فَتَادَى : إِنْ لَمْ أَجِءْ لِمَرِيضٍ فَأَدَاوِيهِ ، وَلَا لِأَسِيرٍ فَأَفَادِيهِ ، اللَّهُمَّ أَسْقِ عَادًا مَا كُنْتُ تُسْقِيهِ ! فَرَّتْ بِهِ سَحَابَاتٌ سَوْدٌ ، فَتَوَدَّى مِنْهَا : خَذَهَا رِمَادًا رِمْدًا ، لَا تَبْقَى مِنْ عَادٍ أَحَدًا . قَالَ : فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَقُولُ : لَا تَكُنْ كَوَافِدَ عَادٍ ، فَمَا بَلَغْنِي أَنَّهُ أُرْسِلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الرِّيحِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا قَدَرًا مَا يَجْرَى فِي خَاتَمِي . قَالَ أَبُو وَائِلٍ : وَكَذَلِكَ بَلَغْنِي^(٣) .

وَأَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ فَإِنَّهُ قَالَ كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ عَنْهُ : ٢٣٥/١
أَنَّ عَادًا أَلَمَّا أَصَابَهُمْ مِنَ الْقَحْطِ مَا أَصَابَهُمْ قَالُوا : جَهِّزُوا مِنْكُمْ وَفَدَّ إِلَى مَكَّةَ فَيَسْتَسْقُوا لَكُمْ ، فَبِعُثُوا قَيْلَ بْنَ عَتْرِ وَلُقَيْمَ بْنَ هَزَالِ بْنِ هَزِيلَ بْنِ عَتِيلَ ابْنِ صَدِّ بْنِ عَادِ الْأَكْبَرِ ، وَمَرْثَدَ بْنَ سَعْدِ بْنِ عَفِيرٍ - وَكَانَ مُسْلِمًا يَكْتُمُ إِسْلَامَهُ - وَجُلُثُمَةَ ابْنَةَ الْخَبِيرِ ، خَالَ مَعَاوِيَةَ بْنَ بَكْرٍ أَخَا أُمِّهِ ، ثُمَّ بَعَثُوا لِقَمَانَ بْنَ عَادِ بْنِ فُلَانِ بْنِ فُلَانِ بْنِ صَدِّ بْنِ عَادِ الْأَكْبَرِ ، فَاَنْطَلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مَعَهُ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِهِ ، حَتَّى بَلَغَ عِدَّةُ وَفَدَهُمْ سَبْعِينَ رَجُلًا ، فَلَمَّا قَدَمُوا مَكَّةَ نَزَلُوا عَلَى مَعَاوِيَةَ بْنَ بَكْرٍ وَهُوَ بَظَاهِرِ مَكَّةَ خَارِجًا مِنَ الْحَرَمِ ، فَأَنْزَلَهُمْ وَأَكْرَمَهُمْ ، وَكَانُوا أَخْوَالَهُ وَصَهْرَهُ . وَكَانَتِ هَزِيلَةُ ابْنَةُ بَكْرٍ أُخْتُ مَعَاوِيَةَ بْنَ بَكْرٍ لِأَبِيهِ وَأُمُّهُ كُلْهَدَةُ ابْنَةُ الْخَبِيرِ عِنْدَ لُقَيْمَ [بْنِ هَزَالِ بْنِ عَتِيلَ بْنِ صَدِّ ابْنِ عَادِ الْأَكْبَرِ^(٤)] ، فَوَلَدَتْ لَهُ عَبِيدَ بْنَ لُقَيْمَ بْنَ هَزَالِ وَعَمْرُو بْنَ لُقَيْمَ بْنَ هَزَالِ وَعَامِرُ بْنُ لُقَيْمَ بْنَ هَزَالِ وَعُمَيْرُ بْنُ لُقَيْمَ بْنَ هَزَالِ ، فَكَانُوا فِي أَخْوَالِهِمْ مَكَّةَ عِنْدَ آلِ مَعَاوِيَةَ بْنَ بَكْرٍ ، وَهُمْ عَادُ الْآخِرَةِ الَّتِي بَقِيَتْ مِنْ عَادِ الْأَوَّلَى . فَلَمَّا نَزَلَ

(١) ط : «حيفا» ، وما أثبتته من ١ والتفسير ، ومعزى مصروف ؛ لأن الألف للإلحاق وليست للتأنيث ؛ ذكره سيبويه .

(٢) استطعمه الحديث : أغراه أن يحدثه . (٣) الخبر في التفسير ١٢ : ٥١٦ - ٥١٨ .

(٤) تكله من ١ .

نبيكم، وأنبئتم إليه سقيم. فأظهر إسلامه عند ذلك، فقال لهم جلهمسة بن
الحخيرى، خال معاوية بن بكر حين سمع قوله، وعرف أنه قد تبع دين هود
وأمن به :

أَبَا سَعْدٍ فَإِنَّكَ مِنْ قَبِيلِ ذَوِي كَرَمٍ وَأُمَّكَ مِنْ ثَمُودٍ
فَإِنَّا لَنْ نُطِيعَكَ مَا بَقِينَا وَلَكِنَّا فَاعِلِينَ لِمَا تُرِيدُ
أَتَامَرْنَا لِنَتْرِكَ آلَ رِفْدٍ^(١) وَزَمَلْوَآلَ صُدٍّ وَالْعُبُودِ^(٢)
وَنَتْرِكَ دِينَ آبَاءِ كَرَامٍ ذَوِي رَأْيٍ وَنَتَّبِعُ دِينَ هُودٍ

ورفد وزمل وصد قبائل من عاد، والعبود منهم. ثم قال لمعاوية بن بكر
وأبيه بكر: احبسنا عنا مَرْتَدُ بن سعد فلا يقدمنا معنا مكة؛ فإنه قد اتبع دين
هود، وترك ديننا. ثم خرجوا إلى مكة يستسقون بها لعاد، فلما ولّوا إلى مكة خرج
مَرْتَدُ بن سعد من منزل معاوية، حتى أدرَكهم بها قبل أن يدعوا الله بشيء
مما خرجوا له. فلما انتهى إليهم قام يدعو الله، وبها وفد عاد قد اجتمعوا يدعون.
فقال: اللهم أعطيني سؤلي وحدي، ولا تدخلني في شيء مما يدعوك به وفد
عاد. وكان قَيْلُ بن عتر رأس وفد عاد. وقال وفد عاد: «اللهم أعط قَيْلًا
ما سأل، واجعل سؤلنا مع سؤله». وقد كان تخلّف عن وفد عاد لقمان
ابن عاد، وكان سيد عاد، حتى إذا فرغوا من دعوتهم قال: اللهم إني جئتكم
وحدي في حاجتي فأعطيني سؤلي. وقال قَيْلُ بن عتر حين دعا: يا إلهنا، إن
كان هود صادقًا فاسقنا فإننا قد هلكنا. فأنشأ الله سحائب ثلاثًا: بيضاء
وحمرًا، وسوداء، ثم ناداه مناد من السحاب: يا قَيْلُ، اختر لنفسك وقومك
من هذا السحاب. فقال: قد اخترت السحابة السوداء، فإنها أكثر السحاب
ماءً، فناداه مناد: اخترت رماداً رَمْدَدًا، لا تبق من عاد أحدًا، لا والدًا
ترك ولا ولدًا، إلا جعلته هَمْدَدًا، إلا بني اللوذِيَّة المَهْدِي^(٣) — وبني اللوذِيَّة

(١) كذا في ١، وفي ط والتفسير: «دين رَفْد».

(٢) همدا؛ إلى هالكا.

(٣) كذا ضبط في ١ بضم الميم وفتح الدال.

بنو لُقَيْمِ بْنِ هَزَالِ بْنِ هَزِيلِ بْنِ هَزِيلَةَ ابْنَةِ بَكْرِ ، كانوا سُكَّانًا بِمَكَّةَ مع
أَخْوَالِهِمْ ، لم يَكُونُوا مع عاد بَارِضِهِمْ ، فهم عاد الآخِرَة ، وَمَنْ كان من نسلهم
الذين بقوا من عاد -

وساق الله السحابة السوداء فيما يذكرون التي اختار قَيْلُ بْنُ عَتَرَ بما فيها
من النعمة إلى عاد، حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغِيثُ . ولما رأوها ٢٣٩/١
استبشروا بها ، وقالوا : ﴿ هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ ، يقول الله عز وجل : ﴿ بَلْ هُوَ
مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تَدْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ (١) ،
أى كُلَّ شَيْءٍ أَمِرت به . فكان أول من أبصر ما فيها أنها ريح - فيما يذكرون -
امرأة من عاد يقال لها مَهْدَدٌ ، لما تبيّنت ما فيها صاحت ثم صَعَقَتْ ، فلما
أفاقوا قالوا : ماذا رأيت يا مَهْدَدُ ؟ قالت : رأيت ريحاً فيها كَشْهَبُ النار ،
أمامها رجال يُقودونها . فسخرها الله عليهم (سَبَّحَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا) ،
كما قال الله : وَالْحُسُومُ : الدائمة ، فلم تَدَعْ من عادٍ أحداً إلا هلك .

فاعتزل هود - فيما ذكر - ومن معه من المؤمنين في حظيرة ، ما يُصَيِّبه ومن
معه منها إلا ما تَكَلَّنَ عليه الجلود ، وتلتذذ الأنفُسُ ؛ وإنها لَتُسْمَرُ من عاد بالظعن
ما بين السماء والأرض ، وتدمغهم بالحجارة . وخرج وفد عاد من مكَّةَ حتى
مرُّوا بمعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ وَأَبِيهِ ، فقتلوا عليه ، فبينما هم عنده ، إذ أقبل رجل على ناقة
له في ليلة مقمرة مُسْنًى (٢) ثالثة من مصاب عاد ، فأخبرهم الخبر ، فقالوا : فأين
فارقت هوداً وأصحابه ؟ قال : فارقتهم بساحل البحر ؛ فكأنهم شكُّوا فيما
حدَّثهم ، فقالت هزيلة ابنة بكر : صدقَ وربُّ مكَّةَ (٣) . ومثوبُ بْنُ يَعْفَرَ بْنِ
أَخِي معَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ معهم . وقد كان قيل - فيما يزعمون والله أعلم - لمرثد بن ٢٤٠/١
سعد ولقمان بن عاد ، وقَيْلُ بْنُ عَتَرَ حين دعوا بمكة : قد أعطيتُم مُنَّاكِمَ
فاختاروا لأنفسكم ، إلا أنه لا سبيلَ إلى الخلد ، فإنه لا بدَّ من الموت ،
فقال مرثد بن سعد : يا ربِّ ، أعطني براً وصدقاً ، فأعطيتني ذلك ، وقال

(١) سورة الأحقاف ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) كذا في ١ ، س ، وفي ط : « مساء » .

(٣) الخبر إلى هنا في التفسير ١٢ : ٥٠٩ - ٥١٣ .

لقمان بن عاد : أعطني عُمرًا ، فقليل له : اختر لنفسك ، إلا إنه لاسبيل إلى الخُلْد : بقاء أيعار^(١) ضأن عُفر ، في جبل وعر ، لا يُلْقَى به إلا القطر ، أم سبعة أنسر إذا مضى نَسْرُ حِلوت إلى نسر ؟ فاختار لقمان لنفسه النسر ، فَعُمِّرَ - فما يزعمون - عُمر سبعة أنسر ؛ يأخذ القرخ حين يخرج من بيضته ، فيأخذ الذكر منها لقوته ؛ حتى إذا مات أخذ غيره ، فلم يزل يفعل ذلك ، حتى أتى على السابع . وكان كلُّ نَسْر فيما زعموا يعيش ثمانين سنة ، فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ للقمان : أي عم ، ما بقي من عمرك إلا عمر هذا النسر ؛ فقال له لقمان : أي ابن أخي : هذا لُبْدٌ - ولُبْدٌ بلسانهم الدهر - فلما أدرك نَسْر لقمان ، وانقضى عمره ، طارت النسر غداة من رأس الجبل ، ولم ينهض فيها لُبْدٌ ، وكانت نسر لقمان تلك لا تغيب عنه ؛ إنما هي بعينه^(٢) . فلما لم ير لقمان لُبْدًا نهض مع النسر ؛ نهض إلى الجبل لينظر ما فعل لُبْدٌ ، فوجد لقمان في نفسه وهنًا لم يكن يجده قبل ذلك ، فلما انتهى إلى الجبل رأى نسرهُ لُبْدًا واقعا من بين النسر ، فناداه : انهض لُبْدٌ ، فذهب لُبْدٌ لينهض فلم يستطع ، عريت قواده وقد سقطت ؛ فأتا جميعًا .

٢٤١/١

وقيل لقليل بن عتر حين سمع ما قيل له في السحاب : اختر لنفسك كما اختار صاحبك ، فقال : أختار أن يصيبني ما أصاب قومي ، فقليل : إنه الهلاك ، قال : لا أبالي ؛ لا حاجة لي في البقاء بعدهم . فأصابه ما أصاب عادًا من العذاب فهلك ، فقال مَرْتَد بن سعد بن عُفَيْر حين سمع من قول الراكب الذي أخبر عن عاد بما أخبر من الهلاك :

عَصَتْ عَادُ رَسُولَهُمْ فَأَمْسَوْا	عِطَاشًا مَا تَبَلَّهْمُ السَّمَاءُ
وَسِيرَ وَقَدْهُمْ شَهْرًا لَيْسَقُوا	فَارَدَقَهُمْ مَعَ الْعَطَشِ الْعَمَاءُ
بَكْفَرِهِمْ بَرَبُّهُمْ جَهَارًا	عَلَى آثَارِ عَادِهِمُ الْعَفَاءُ
أَلَا نَزَعَ إِلَهُ حُلُومَ عَادٍ	فَإِنَّ قُلُوبَهُمْ فَقَرَّ هَوَاءُ

(١) الأيعار : جمع يعر ؛ وهي الشياه .

(٢) كذا في ا ، س ، ن ، وفي ط : « تتعينه » .

مِنَ الْخَبْرِ الْمُبَيَّنِ أَنْ يَعُوهُ وَمَا تُغْنِي النَّصِيحَةُ وَالشَّفَاءُ ^(١)
 فَنَفْسِي وَأَبْنَتَايَ وَأُمُّ وَلَدِي لِنَفْسٍ نَبِينًا هُودٍ فِدَاهِ
 أَنَا وَالْقُلُوبُ مُصَمَّدَاتٌ عَلَى ظُلْمٍ ، وَقَدْ ذَهَبَ الضَّمَاءُ
 لَنَا صَمٌّ يُقَالُ لَهُ صَمُودٌ يُقَابِلُهُ صُدَاءُ وَأَهْبَاءُ
 فَأَبْصَرَهُ الَّذِينَ لَهُ أَنَابُوا وَأَذْرَكَ مَنْ يُسَكِّدُ بِهِ الشَّقَاءُ
 فَأَبْنَى سَوْفَ الْحَقِّ آلَ هُودٍ وَإِخْوَتَهُ إِذَا جَنَّ الْمَسَاءُ

وقيل : إن رئيسهم وكبيرهم في ذلك الزمان الخَلَجَان .

٢٤٢/١

حدثني العباس بن الوليد ، قال : حدثنا أبي ، عن إسماعيل بن عياش ،
 عن محمد بن إسحاق ، قال : لما خرجت الرياحُ على عاد من الوادي ، قال سبعة
 رهط منهم ، أحدهم الخَلَجَان : تعالوا حتى نقومَ على شفير الوادي فردها ،
 فجعلت الرياحُ تدخل تحت الواحد منهم فتحمله ، ثم ترمى به فتندقُ عنقه ،
 فتتركهم كما قال الله عز وجل : ﴿ صَرَغَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَارُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ ^(٢)
 حتى لم يبق منهم إلا الخَلَجَان ، فقال إلى الجبل ، فأخذ بجانب منه ، فهزّه فاهتزَّ
 في يده ، ثم أنشأ يقول :

لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْخَلَجَانُ نَفْسُهُ بَالِكَ مِنْ يَوْمٍ دَهَانِي أَمْسُهُ
 بِثَابِتِ الْوُطْءِ شَدِيدٍ وَطْأُهُ لَوْ لَمْ يَحْنِي جَنْتُهُ أَجْسُهُ

فقال له هود : ويحك يا خَلَجَان ! أَسْلِمَ تَسْلَم ، فقال له : وما لي عند ربك
 إن أَسْلَمْتُ ؟ قال : الجنة ، قال : فما هؤلاء الذين أراهم في هذا السحاب كأنهم
 البُخْت ، قال هود : تلك ملائكة ربِّي ، قال : فإن أَسْلَمْتُ أَيْعِيزُنِي
 ربك منهم ؟ قال : ويلاك ! هل رأيت مَلَكًا يعيذ من جنده ! قال : لو فعل
 ما رُضِيت ، قال : ثم جاءت الرياحُ فألحفته بأصحابه ، أو كلاماً هذا معناه .
 قال أبو جعفر : فأهلك الله الخَلَجَان ، وأفنى عاداً خلا مَن بَقِيَ

(١) ا ، ك : « من الخير » .

(٢) سورة الحاقة ٧

منهم ، ثم بادوا بعد ، ونجى الله هوداً ومن آمن به . وقيل : كان عمر هود مائة سنة وخمسين سنة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، قال : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۚ ۱﴾ ؛ إن عاداً أتاهم هود ، فوعظهم وذكرهم بما قص الله في القرآن ، فكذبوه وكفروا ، وسألوه أن يأتيهم العذاب فقال لهم : ﴿ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ ۚ ۲﴾ ؛ وإن عاداً أصابهم حين كفروا قحط من المطر ، حتى جهدوا لذلك جهداً شديداً ، وذلك أن هوداً دعا عليهم ، فبعث الله عليهم الريح العقيم ، وهى الريح التى لا تلقح الشجر ، فلما نظروا إليها قالوا : هذا عارض ممطرنا ، فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال ، تطير بهم الريح بين السماء والأرض ، فلما رأوها تبادروا إلى البيوت ، حتى دخلوا البيوت دخلت عليهم فأهلكتهم فيها ، ثم أخرجتهم من البيوت ، فأصابتهم ﴿ فِي يَوْمٍ نَحْسٍ ۚ ۳﴾ ، والنحس هو الشؤم ﴿ مُسْتَمِرًّا ۚ ۴﴾ استمر عليهم بالعذاب . ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ۚ ۵﴾ ، حسمت كل شئ مرت به ، حتى أخرجتهم من البيوت ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ تَنَزَّعُ النَّاسُ ۚ ۶﴾ عن البيوت ، ﴿ كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ۚ ۷﴾ ، انقعر من أصوله . ﴿ خَاوِيَةً ۚ ۸﴾ خوت فسقطت ، فلما أهلكهم الله أرسل عليهم طيراً سوداً ، فنقلتهم إلى البحر ،

(١) سورة هود ٥٠

(٢) سورة الأحقاف ٢٣

(٣) سورة القمر ١٩

(٤) سورة الحاقة ٧

(٥) سورة القمر ٢٠

(٦) من قوله تعالى في سورة الحاقة ٧ : ﴿ قَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَانَهُمْ أَعْجَازُ

نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۚ .

٢٤٤/١ فألقتهم فيه ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ ﴾ (١) .
ولم تخرج الريح قط إلا بمكيال إلا يومئذ ، فإنها عنت على الخزنة فغلبتهم ،
فلم يعلموا كم كان مكيالها ؟ فذلك قوله : ﴿ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ (٢) .
والصرصر : ذات الصوت الشديد .

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ،
قال : حدثني عبد الصمد ، أنه سمع وهباً يقول : إن عاداً لما عذبهم الله بالريح
التي عذبوا بها ، كانت تقلع الشجرة العظيمة بعُروقها وتهدم عليهم بيوتهم ، فمن
لم يكن في بيتٍ هبت به الريح حتى تقطعه بالجبال ، فهلكوا بذلك كلهم .

* * *

وأما ثمود فإنهم عتوا على ربهم ، وكفروا به ، وأفسدوا في الأرض ، فبعث
الله إليهم صالح بن عبيد بن أسف بن ماسخ (٣) بن عبيد بن خادر بن ثمود
ابن جاثر بن إرم بن سام بن نوح ، رسولا يدعوهم إلى توحيد الله وإفراده
بالعبادة .

وقيل : صالح ، هو صالح بن أسف بن كماش بن إرم بن ثمود بن جاثر
ابن إرم بن سام بن نوح .

فكان من جوابهم له أن قالوا له : ﴿ يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ
هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ
مُرِيبٍ ﴾ (٤) . وكان الله عز وجل قد مد لهم في الأعمار ، وكانوا يسكنون الحِجْرَ

(١) سورة الأحقاف ٢٥

(٢) سورة الحاقة ٦ (٣) ١ : « ماشح » .

(٤) سورة هود ٦٢ .

إلى وادي القرى ، بين الحجاز والشام ، ولم يزل صالح يدعوهم إلى الله على تمردهم وطمعائهم ، فلا يزيدهم دعاؤه إياهم إلى الله إلا مباعدة من الإجابة ، فلما طال ذلك من أمرهم وأمر صالح قالوا له : إن كنت صادقاً فأتنا بآية .

فكان من أمرهم وأمره ما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن عبد العزيز بن رُفيع ، عن أبي الطفيل ، قال : قالت ثمود لصالح : اثنتا بآية إن كنت من الصادقين . قال : فقال لهم صالح : اخرجوا إلى هَضْبَةٍ من الأرض ؛ فإذا هي تتمخض كما تتمخض الحامل ، ثم تفرجت فخرجت من وسطها الناقة ، فقال صالح عليه السلام : ﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . ^(١) ﴿لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ ^(٢) فلما ملئوها عقروها ، فقال لهم : ﴿ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ . ^(٣) قال عبد العزيز : وحدثني رجل آخر أن صالحاً قال لهم : إن آية العذاب أن تصبحوا غداً حُمَراً ، واليوم الثاني صُفْراً ، واليوم الثالث سُوداً ، فصبتهم العذاب ، فلما رأوا ذلك تحنطوا واستعدوا ^(٤) .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب ، عن عمرو بن خارجة ، قال : قلنا له : حدثنا حديث ثمود ، قال : أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثمود . كانت ^(٥) ثمود قوم صالح عمَّهم الله عزَّ وجلَّ في الدنيا ، فأطال أعمارهم حتى جعل أحدهم يبني المسكن من المدر فيتهدَّم ^(٦) والرجل منهم حي ، فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتاً فريهين ، ففتحوها وجابوها وجوقوها ،

(١) سورة الأعراف ٧٣ (٢) سورة الشعراء ١٥٥

(٣) سورة هود ٦٥ (٤) الخبر في التفسير ١٢ : ٥٢٥ - ٥٢٦ .

(٥) ر ، س : « وكانت » .

(٦) ر : « فيهدم » ، س : « فيهدم » .

وكانوا في سعة من معاشهم^(١) ، فقالوا : يا صالح ، ادع لنا ربك يخرج^(٢) لنا آية نعلم أنك رسول الله . فدعا صالح ربه ، فأخرج لهم الناقة فكان شربها يوماً وشربهم يوماً معلوماً^(٣) ، فإذا كان يوم شربها خلّوا عنها وعن الماء ، وحلبوها لبناً ، ملثوا كلّ إناء ووعاء وسقاء ، فإذا كان يوم شربهم صرّفوها عن الماء ولم تشرب منه شيئاً ، فملثوا كلّ إناء ووعاء وسقاء ، فأوحى الله عز وجل إلى صالح أن قومك سيعقرون ناقتك ، فقال لهم ؛ فقالوا : ما كنا لنفعل ، قال : إلا تعقروها أنتم أوشك أن يولد فيكم مولود يعقرها ، قالوا : ما علامة ذلك المولود ؟ فوالله لا نجده إلا قتلناه ، قال : فإنه غلام أشقر أزرق أصهب أحمر ، قال : فكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان ، لأحدهما ابن يرغب له عن المناكح ، ولآخر ابنة لا يجد لها كفناً ، فجمع بينهما مجلس ، فقال أحدهما لصاحبه : ما بمنعك^(٤) أن تزوّج ابنتك ؟ قال : لا أجد له كفناً ، قال : فإن ابنتي كفء له ؛ وأنا أزوّجك ، فزوّجه فولد منهما^(٥) ذلك المولود . ٢٤٧/١

وكان في المدينة ثمانية رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، فلما قال لهم صالح : إنما يعقرها مولود فيكم ؛ اختاروا ثمانى نسوة قوايل من القرية ، وجعلوا معهن شرطاً كانوا يطوفون في القرية ؛ فإذا وجدوا المرأة تمخضن نظروا ما ولد لها ؟ فإن كان غلاماً قتلته^(٦) ، وإن كانت جارية أعرضن^(٧) عنها ، فلما وجدوا ذلك المولود صرخ^(٨) النسوة ، وقلن : هذا الذي يريد^(٩) رسول الله صالح ، فأراد الشرط أن يأخذوها ، فحال جدّاه بينه وبينهم . وقالوا : إن أراد صالح هذا قتلناه ، وكان شرّ مولود ، وكان يشبّ في اليوم شباب غيره في الجمعة ، ويشبّ

(١) س : « العيش » .

(٢) ن : « يظهر » .

(٣) ن : « فكان شربهم يوماً معلوماً وشربها كذلك » .

(٤) ب : « ما منعك » .

(٥) ا ، ن ، و ؛ ابن الأثير « بينهما » .

(٦) ا ، س ، ن : « قلبته فنظرن ما هو » .

(٧) ن : « انصرفن » .

(٨) ط : « صرخن » ، والأجود ما أثبتته عن ا .

(٩) ن : « أخبر عنه » .

في الجمعة شباب غيره في الشهر ، ويشبّ في الشهر شبابَ غيره في السنة ، فاجتمع الثمانية الذين يفسدون في الأرض ولا يُصلحون ، وفيهم الشيخان ، فقالوا : استعمل علينا هذا الغلام لمنزلته وشرف جدّه ، فصاروا تسعة ، وكان صالح عليه السلام لا ينام معهم في القرية ، بل كان في مسجد يقال له مسجد صالح ، فيه بيت بالليل ؛ فإذا أصبح أتاهم فوعظهم وذكّرهم ، فإذا أمسى خرج إلى مسجده ^(١) فبات فيه .

قال حجاج : قال ابن جريج : لما قال لم صالح عليه السلام : إنه سيولد غلام يكون هلاكهم على يديه ، قالوا : فكيف تأمرنا ؟ قال : آمركم بقتلهم ، فقتلوهم إلا واحداً ، قال : فلما بلغ ذلك المولود قالوا : لو كنّا لم نقتل أولادنا لكان لكل واحد منا مثل هذا ، هذا عمل صالح ! فأنمروا بينهم بقتله ، وقالوا : نخرج مسافرين والناس يروننا علانية ، ثم نرجع من ليلة كذا وكذا فرصده عند مصلاّه فنقتله ، فلا يحسب الناس إلا أنا مسافرون كما نحن . فأقبلوا حتى دخلوا تحت صخرة يرصدونه ، فأنزل الله عزّ وجلّ عليهم الصخرة فرضختهم فاصبحوا رُضُخاً ، فانطلق رجال ممن قد اطلع على ذلك منهم ؛ فإذا هم رُضُخ ، فرجعوا يصيحون في القرية : أي عباد الله ، أما رضيّ صالح أن أمرهم أن يقتلوا أولادهم حتى قتلهم ! فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة أجمعون ، فأحجموا عنها إلا ذلك ابن العاشر .

قال أبو جعفر : ثم رجع الحديث إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فأرادوا أن يمكروا بصالح ، فشؤا حتى أتوا على سرب على طريق صالح ، فاخبتاً فيه ثمانية وقالوا : إذا خرج علينا قتلناه وأتيناه أهله فيبيتناهم ، فأمر الله عزّ وجلّ الأرض فاستوت عليهم ، قال : فاجتمعوا ومشوا إلى الناقة ، وهى على حوضها قائمة ، فقال الشقي لأحدهم : ائتها فاعقرها ، فأتاها ، فتعاضمه ذلك ، فأضرب عن ذلك ، فبعث آخر فأعظم ذلك ، فجعل لا يبعث أحداً إلا تعاضمه أمرها ؛ حتى مشى إليها وتناول

(١) س : « منزله » .

(٢) ١ : « فأرسل » .

فضرب عرقوبيئها^(١) ، فوقعت تركض . فأتى رجلٌ منهم صالحاً فقال : أدرك الناقة فقد عُقِرَتْ . فأقبل ، فخرجوا يتلقونه ويعتذرون إليه : يا نبي الله ، إنما عقرها فلان ؛ إنه لا ذنب لنا ، قال : انظروا هل تُدركون فصيلها ! فإن أدركتموه فعسى الله أن يرفع عنكم العذاب ! فخرجوا يطلبونه . فلما رأى الفصلُ أمه تضطرب أتى جبلاً - يقال له : القارة - قصيراً فصعدوه وذهبوا ليأخذوه ، فأوحى الله عز وجل إلى الجبل ، فطال في السماء حتى ما تناله الطير ، قال : ودخل صالح القرية ، فلما رآه الفصل بكى حتى سالت دموعه ، ثم استقبل صالحاً ، فرغاً رغو ، ثم رغا أخرى ، ثم رغا أخرى . فقال صالح : لكل رغو أجل يوم ؛ تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ، ذلك وعد غير مكذوب ؛ إلا أن آية العذاب أن اليوم الأول تصبح وجوهكم مصفرة ، واليوم الثاني محمرة ، واليوم الثالث مسودة ، فلما أصبحوا إذا وجوههم كأنما طليت بالخلق ، صغيرهم وكبيرهم ، ذكرهم وأنثاهم ، فلما أمسوا أصبحوا بأجمعهم : ألا قد مضى يومٌ من الأجل وحضركم العذاب ، فلما أصبحوا اليوم الثاني إذا وجوههم محمرة ؛ كأنما خضبت بالدماء ، فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا أنه العذاب . فلما أمسوا أصبحوا بأجمعهم : ألا قد مضى يومان من الأجل ، وحضركم^(٢) العذاب ، فلما أصبحوا اليوم الثالث فإذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار ، فصاحوا جميعاً : ألا قد حضركم العذاب ، فتكفتموا وتحنطوا ، وكان حنوطهم الصبر والمقر^(٣) ، وكانت أكفانهم الأنطاع ، ثم ألقوا أنفسهم إلى الأرض ، فجعلوا يقلبون أبصارهم إلى السماء مرة ، وإلى الأرض مرة ، لا يدرون من حيث^(٤) يأتيهم العذاب ؛ من فوقهم من السماء ، أو من تحت أرجلهم من الأرض خشعاً وفرقاً ؛ فلما أصبحوا اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت في الأرض ، فتقطعت قلوبهم في صدورهم فأصبحوا في ديارهم جاثمين .

٢٤٠/١

(١) أ ، س : « عرقوبها » .

(٢) س : « وحضرهم » .

(٣) الصبر : عصاة شجر مر ، والمقر شبه به .

(٤) ن : « من أين » .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : حدثت أنه لما أخذتهم الصيحة أهلك الله مَنْ بين المشارق والمغارب منهم ، إلا رجلاً واحداً كان في حَرَمِ الله ، منعه حرمُ الله من عذاب الله^(١) قيل : مَنْ هو يا رسول الله : ؟ قال : أبورغال ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتى على قرية ثمود لأصحابه : « لا يدخلن أحدٌ منكم القرية ، ولا تشربوا من مائهم » ، وأرأهم مُرتقى الفصيل ، حين ارتقى في القارة^(٢) قال ابن جريج : وأخبرني موسى بن عقبة ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتى على قرية ثمود قال : « لا تدخلن »^(٣) على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم ؛ أن يصيبكم ما أصابهم .

قال ابن جريج : قال جابر بن عبد الله : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أتى على الحجر ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد ، فلا تسألوا رسولكم الآيات ، هؤلاء قوم صالح سألوهم رسوهم الآية ، فبعث الله لهم الناقة ، فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج ، فتشرب ماءهم يوم وُردها » .

حدثني إسماعيل بن المتوكل الأشجعي ، قال : حدثنا محمد بن كثير ، قال : حدثنا عبد الله بن واقد ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، قال : حدثنا أبو الطفيل [قال]^(٤) : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزاة تبوك ، نزل الحجر فقال : « أيها الناس لا تسألوا نبيكم الآيات ، هؤلاء قوم صالح سألوهم نبيهم أن يبعث لهم آية ، فبعث الله تعالى ذكره لهم الناقة آية ، فكانت تليج عليهم يوم وُردها من هذا الفج فتشرب ماءهم ، ويوم وردهم كانوا يتزودون منه ، ثم يحلبونها مثل ما كانوا يتزودون من مائهم قبل ذلك لبناً ، ثم تخرج من ذلك الفج . فعتوا عن أمر ربهم وعقروها ، فوعدهم الله العذاب بعد ثلاثة أيام ،

(١) ن : « منعه من العذاب » .

(٢) ن : « حين ألقى في المغارة » ، والقارة ، الجبل الصغير .

(٣) أ : « لا تدخلوا » .

(٤) تكله من أ .

وكان وعداً من الله غير مكذوب ، فأهلك الله مَنْ كان منهم في مشارق الأرض ومغاربها إلا رجلاً^(١) واحداً كان في حرم الله ، فنبهه حرم الله من عذاب الله ، قالوا : وَمَنْ ذلك الرجل يا رسول الله ؟ قال : أبو رغال .

* * *

فأما أهل التوراة فإنهم يزعمون أن لا ذكر لعاد ولا^(٢) ثمود ولا هود وصالح في التوراة ، وأمرهم عند العرب في الشهرة في الجاهلية والإسلام كشهرة إبراهيم وقومه .

قال : ولولا كراهة إطالة الكتاب بما ليس من جنسه ، لذكرت من شعر شعراء الجاهلية الذي قيل في عاد وثمود وأمورهم بعض ما قيل . ما يعلم به مَنْ ظن خلاف ما قلنا في شهرة أمرهم في العرب صحة ذلك . ٢٥٢/١

ومن أهل العلم من يزعم أن صالحاً عليه السلام توفي بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، وأنه أقام في قومه عشرين سنة .

* * *

قال أبو جعفر : نرجع الآن إلى :

(١) ١ : « ليس رجلاً » .

(٢) لم يذكر « لا » في ١ .

ذكر إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام وذكر من كان في عصره من ملوك العجم

إذ كنا قد ذكرنا من بينه وبين نوح من الآباء وتاريخ السنين التي مضت قبل ذلك . وهو إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروخ بن أرغوا^(١) بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قيهشان بن أرفخشذ بن سام بن نوح .
واختلفوا في الموضع الذي كان منه ، والموضع الذي ولد فيه ، فقال بعضهم : كان مولده بالسُّوس من أرض الأهواز ، وقال بعضهم : كان مولده ببابل من أرض السَّوَاد . وقال بعضهم : كان بالسواد بناحية كوثى . وقال بعضهم : كان مولده بالوركاء بناحية الزواي وحدود كَسْنَكِر ، ثم نقله أبوه إلى الموضع الذي كان به نَمْرود من ناحية كوثى . وقال بعضهم : كان مولده بجران ، ولكن أباه تارخ نقله إلى أرض بابل . وقال عامة السلف من أهل العلم : كان مولد إبراهيم عليه السلام في عهد نمرود بن كوش . ويقول عامة أهل الأخبار : كان نمرود عاملاً للزدهاق الذي زعم^(٢) بعض من زعم أن نوحاً عليه السلام كان مبعوثاً إليه على أرض بابل وما حولها . وأما جماعة من سلف العلماء فإنهم يقولون : كان ملكاً برأسه ، واسمه الذي هو اسمه فيما قيل : زرهى بن طهاسلفان^(٣) .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق — فيما ذكر لنا والله أعلم — أن أزركان رجلاً من أهل كوثى ، من قرية بالسواد سواد الكوفة ، وكان إذ ذاك ملكُ المشرق لنمرود الخاطئ ، وكان يقال له الهاصر ، وكان ملكه فيما يزعمون — قد أحاط بمشارك الأرض ومغاربها ، وكان ببابل ، قال : وكان ملكه وملك قومه بالمشرق قبل ملك فارس .

قال : ويقال لم يجتمع ملك الأرض ولم يجتمع الناس على ملك واحد إلا

(١) س : « أرغوا » ، ن : « أرغوا » .

(٢) ر : « يزعم » .

(٣) س : « طهاسلفان » .

على ثلاثة ملوك : نَمْرُود بن أَرغوا ، وذى القرنين ، وسليمان بن داود .

* * *

وقال بعضهم : نمرود هو الضحّاك نفسه .

حدثت عن هشام بن محمد، قال : بلغنا والله أعلم أن الضحّاك هو نَمْرُود ، وأن إبراهيم خليل الرحمن ولد في زمانه ، وأنه صاحبه الذى أراد إحراقه .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى في خبر ذكره عن أبي صالح وعن أبي مالك ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : إن أول ملك مَلَكَ في الأرض شرقها وغربها نَمْرُود بن كنعان ابن كوش بن سام بن نوح ، وكانت الملوك الذين ملكوا الأرض كلها أربعة : نمرود ، وسليمان بن داود ، وذو القرنين ، وبخت نصر : مؤمنان وكافران .

٢٥٤/١

وقال ابن إسحاق فيما حدثني ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : فلما أراد الله عزّ وجلّ أن يبعث إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن حجة على قومه ورسولاً إلى عباده ، ولم يكن فيما بين نوح وإبراهيم عليهما السلام من نبيّ قبله إلا هود وصالح ، فلما تقارب زمان إبراهيم الذي أراد الله تعالى ذكره ما أراد ، أتى أصحاب النجوم نمرود ، فقالوا له : تعلم أنا نجد في علمنا أن غلاماً يُولد في قريتك هذه يقال له إبراهيم ، يفارق دينكم ، ويكسر أوثانكم ، في شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا . فلما دخلت السنة التي وصف أصحاب النجوم لنمرود ، بعث نمرود إلى كل امرأة حبلى بقريته ، فحبسها عنده ، إلا ما كان من أم إبراهيم امرأة آزر فإنه لم يعلم بحبلها ، وذلك أنها كانت جارية - حَدَّثَته فيما يذكر - لم يعرف الحبل في بطنها ، فجعل لا تلد امرأة غلاماً في ذلك الشهر من تلك السنة إلا أمر به فذبح ، فلما وجدت أم إبراهيم الطلّق خرجت ليلاً إلى مغارة كانت قريباً منها ، فولدت فيها إبراهيم عليه السلام ، وأصلحت من شأنه ما يُصنع بالمولود ، ثم سَدَّتْ عليه المغارة ، ثم رجعت إلى بيتها ، ثم كانت تطالعه في المغارة لتنظر ما فعل ، فتجده حيّاً

٢٥٥/١

يَمْصُ إِِبْرَاهِيمَ^(١). يَزْعُمُونَ - والله أعلم - أن الله جعل رزقَ إبراهيم عليه السلام فيها ما يجيئه من مصَّه ، وكان آزر فيها يزعمون قد سأل أم إبراهيم عن حملها ما فعل ، فقالت : ولدت غلاماً مات . فصدَّقها فسكت عنها ، وكان اليوم - فيما يذكرون - على إبراهيم في الشباب كالشهر ، والشهر كالسنة ؛ ولم يمكث إبراهيم عليه السلام في المغارة إلا خمسة عشر شهراً ، حتى قال لأمه : أخرجيني أنظر ، فأخرجته عشاء ، فنظر وتفكر في خلق السموات والأرض ، وقال : إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لرَبِّي ، مالى إله غيره . ثم نظر في السماء ورأى كوكباً ، فقال : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ ، ثم اتبعه ينظر إليه ببصره حتى غاب ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ ﴾ قال لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ^(٢) ، ثم اطلع للقمر^(٣) فرآه بازغاً فقال : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ ثم اتبعه ببصره حتى غاب ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ ﴾ قَالَ لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ^(٤) . فلما دخل عليه النهار وطلعت الشمس رأى عظم الشمس ورأى شيئاً هو أعظم نوراً من كل شيء رآه قبل ذلك ، فقال : ﴿ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ، فَسَمَّا أَفَلَتَ ﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ^(٥) .

ثم رجع إبراهيم إلى أبيه آزر وقد استقامت وجهته ، وعرف ربه وبرَّي من ٢٥٦/١ دين قومه إلا أنه لم يباדם^(٦) ، بذلك ، فأخبره أنه ابنه ، فأخبرته أم إبراهيم عليه السلام أنه ابنه ، فأخبرته بما كانت صنعت في شأنه ، فسرَّ بذلك آزر وفرح فرحاً شديداً ، وكان آزر يصنع أصنام قومه التي يعبدون ، ثم يعطيها إبراهيم يبيعها ، فيذهب بها إبراهيم عليه السلام فيما يذكرون فيقول : مَنْ يَشْتَرِ ما يضره ولا ينفعه ! فلا يشتريها منه أحد ، فإذا بارت عليه ذهب بها إلى نهر فصوّب فيه رؤوسها ، وقال : اشربني - استهزاء بقومه ، وبما هم^(٧) عليه من الضلالة - حتى فشا عيبه إياها ، واستهزأوه بها في قومه وأهل قريته ،

(١) ر : « أصابه » .

(٢) ط : « أطلع القمر » ، وما أتته عن أ .

(٣) سورة الأنعام ٧٦ - ٧٩

(٤) يقال : بادى فلان بالعداوة ؛ أى جاهر بها .

(٥) كذا في أ ، ن ، وفي ط : « وما هم » .

من غير أن يكون ذلك بلغ نمرود الملك ^(١) . ثم إنه لما بدا لإبراهيم أن يبادى قومه بخلاف ما هم عليه وبأمر الله والدعاء إليه ﴿ نَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ، يقول الله عز وجل : ﴿ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾ ^(٢) ، وقوله : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ^(٣) أى طعين ^(٤) ، أو لسقم ^(٥) كانوا يهربون منه إذا سمعوا به ، وإنما يريد إبراهيم أن يخرجوا عنه ليبلغ من أصنامهم الذى يريد . فلما خرجوا عنه خالف إلى أصنامهم التى كانوا يعبدون من دون الله ، فقرَّب لها طعاماً ، ثم قال : ألا تأكلون ! ما لكم لا تنطقون ! تعبيراً فى شأنها واستهزاء بها .

٢٥٧/١

وقال فى ذلك غير ابن إسحاق ، ما حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى ، فى خبر ذكره عن أبى صالح ، وعن أبى مالك ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود — وعن أناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : كان من شأن إبراهيم عليه السلام أنه طلع كوكب على نمرود ، فذهب بضوء الشمس والقمر ، ففرع من ذلك فرعاً شديداً ، فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة ، فسألهم عنه ، فقالوا : يخرج من ملكك رجل يكون على وجهه هلاكك وهلاك ملكك — وكان مسكنه ببابل الكوفة — فخرج من قريته إلى قرية أخرى ، فأخرج الرجال وترك النساء ، وأمر ألا يؤلد مولود ذكر إلا ذبحه ، فذبح أولادهم . ثم إنه بدت له حاجة فى المدينة لم يأمن عليها إلا آزر أباً إبراهيم ، فدعاه فأرسله . فقال له : انظر لا تواقع أهلِكَ ، فقال له آزر : أنا أضنُّ بدينى من ذلك ، فلما دخل القرية نظر إلى أهله فلم يملك نفسه أن وقع عليها ؛ فقرَّبها إلى قرية بين الكوفة والبصرة ، يقال لها أور ، فجعلها فى سَرَب ، فكان يتعاهدها بالطعام

(١) إلى هنا الخبر فى التفسير ١١ : ٤٨١ — ٤٨٣

(٢) سورة الصافات ٨٨ — ٩٠

(٣) طعين ، أى أصابه الطاعون . اللسان — طعن .

(٤) ط : « بالسقم » ؛ وما أثبتته عن ا ، س ؛ وهو يوافق ما فى التفسير ٢٣ : ٤٤

(ببلاق) .

والشراب وما يصلحها . وإن الملك لما طال عليه الأمر قال : قول سحرة كذابين ،
ارجعوا إلى بلدكم ، فرجعوا . وولد إبراهيم فكان في كل يوم يمر كأنه جمعة ،
والجمعة كالشهر ، والشهر كالسنة من سرعة شبابه ، ونسى الملك ذلك ، وكبر
إبراهيم ولا يرى أن أحداً من الخلق غيره وغير أبيه وأمه ، فقال أبو إبراهيم
لأصحابه : إن لي ابناً قد خبأته ، أفتخافون عليه الملك إن أنا جئت به ؟ قالوا :
لا ، فأت به . فانطلق فأخرجه ، فلما خرج الغلام من السرب نظر إلى الدواب
والبهائم والخلق ، فجعل يسأل أباه : ما هذا ؟ فيخبره عن البعير أنه بَعِير ،
وعن البقرة أنها بقرة ، وعن الفرس أنه فرس ، وعن الشاة أنها شاة ، فقال :
ما هؤلاء الخلق بد من أن يكون لهم رب ، وكان خروجه حين خرج من السرب
بعد غروب الشمس ، فرفع رأسه إلى السماء فإذا هو بالكوكب وهو المشتري ،
فقال : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ ، فلم يلبث أن غاب ، فقَالَ ﴿ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ ، أى
لا أحب رباً يغيب . قال ابن عباس : وخرج في آخر الشهر ، فلذلك لم ير
القمر قبل الكواكب ، فلما كان آخر الليل رأى القمر بازغاً قد طلع ، فقال :
﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ ، فلماً أَقْلَ يقول : غاب ، ﴿ قَالَ لئن لم يهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ
الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ ، فلما أصبح ورأى الشمس بازغة ، قال : ﴿ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ﴾ ،
فلما غابت قال الله له : أَسْلِمَ ، قال : قد أسلمت لرب العالمين . ثم أتى قومه
فدعاهم فقال : ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي
فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ﴾ ^(١) . يقول مخلصاً : فجعل يدعو قومه وينذرهم .
وكان أبوه يصنع الأصنام فيعطئها ولدَه فيبيعونها ، وكان يعطئ فينادى :
مَنْ يَشْتَرِي مَا يَضُرُّهُ وَلَا يَنْفَعُهُ ؟ فيرجع إخوته وقد باعوا أصنامهم ، ويرجع
إبراهيم بأصنامه كما هي ، ثم دعا أباه فقال : ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ
وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾ ^(٢) قال : ﴿ أَرَأَيْبَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ
لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ ^(٣) . قال : أبداً . ثم قال له أبوه :

(١) سورة الأنعام ٧٦ - ٧٩

(٢) سورة مريم ٤٢

(٣) سورة مريم ٤٦

يا إبراهيم ، إن لنا عيداً لو قد خرجت معنا لأعجبك ديننا ، فلما كان يوم العيد ، فخرجوا إليه خرج معهم إبراهيم ، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ، يقول : أشتكى رجلى ، فتوطئوا رجليه ، وهو صريع ، فلما مضوا نادى في آخرهم وقد بقي^(١) ضَعَقَى النَّاسَ : ﴿ تَاللَّهِ لَا كِيدَنَ أَصْنَامُكُمْ بَعْدَ أَنْ تَوَلَّوْا مُذِيرِينَ ﴾^(٢) فسمعوها منه ، ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة ، فإذا هو في بهو عظيم ، مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه ، بعضها إلى جنب بعض ، كل صنم يليه أصغر منه ، حتى بلغوا باب البهو وإذا هم قد صنعوا^(٣) طعاماً ، فوضعوه بين يدي الآلهة ، قالوا : إذا كان حين نرجع رجعنا ، وقد باركت الآلهة في طعامنا فأكلنا . فلما نظر إليهم إبراهيم عليه السلام ، وإلى ما بين أيديهم من الطعام قال : ألا تأكلون ؟ فلما لم تجبه قال : ما لكم لا تنطقون ! فراغ عليهم ضرباً باليمين ، فأخذ حديدة فبقّر كل صنم في حافتيه ، ثم علق الفأس في عنق الصنم الأكبر ، ثم خرج فلما جاء القوم إلى طعامهم ، ونظروا إلى آلهتهم ، قالوا : ﴿ مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ قالوا سَمِعْنَا قَتَى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ^(٤) .

قال أبو جعفر : رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق .

٢٦٠/١

ثم أقبل عليهم كما قال الله عز وجل : ﴿ ضَرَبْنَا بِالْيمِينِ ﴾^(٥) . ثم جعل يكسرهن بفأس في يده ، حتى إذا بقي أعظم صنم منها ربط الفأس بيده ، ثم تركهن ، فلما رجع قومه رأوا ما صنع بأصنامهم ، فراعهم ذلك ، فأعظموه وقالوا : ﴿ مَنْ فَعَلَ بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . ثم ذكروا فقالوا : ﴿ قَدْ سَمِعْنَا قَتَى

(١) ط : « بقوا » ، والصواب ما أثبتته عن ١ ، والتفسير .

(٢) سورة الأنبياء ٥٧

(٣) ١ ، والتفسير : « جعلوا » .

(٤) سورة الأنبياء ٥٩ ، ٦٠ ، والخبر في التفسير ١٧ : ٢٩ (بولاق) .

(٥) سورة الصافات ٩٣

يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ^(١) - يَعْنُونَ^(٢) فَتَى يَسْبِهَا وَيُعِيْبَهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا ،
 لَمْ نَسْمَعْ أَحَدًا يَقُولُ ذَلِكَ غَيْرُهُ ، وَهُوَ الَّذِي نَظَنُّ صَنَعَ هَذَا بِهَا . وَبَلَغَ ذَلِكَ
 نَمْرُودَ وَأَشْرَفَ قَوْمَهُ ، فَقَالُوا : ﴿ فَاتُّوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾^(٣) ،
 أَيْ مَا يَصْنَعُ بِهِ .

فَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ ، مِنْهُمْ قَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ يَقُولُونَ فِي ذَلِكَ :
 لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ عَلَيْهِ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ ، وَقَالُوا : كَرِهُوا أَنْ يَأْخُذُوهُ
 بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ :

قَالَ : فَلَمَّا أَتَى بِهِ فَاجْتَمَعَ لَهُ قَوْمُهُ عِنْدَ مَلِكِهِمْ نَمْرُودَ ، قَالُوا : ﴿ أَأَنْتَ
 فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْئَةِ يَا إِبْرَاهِيمُ ؟ ﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ
 إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ^(١) ، غَضِبَ مِنْ أَنْ يَعْبُدُوا مَعَهُ هَذِهِ الصِّغَارَ وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْهَا ،
 فَكَسَرَهُمْ ، فَارْعَوْا وَارْجِعُوا عَنْهُ فِيمَا ادَّعَا عَلَيْهِ مِنْ كُسْرِهِمْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ ،
 فَقَالُوا : لَقَدْ ظَلَمْنَاهُ وَمَا نَرَاهُ إِلَّا كَمَا قَالَ . ثُمَّ قَالُوا وَعَرَفُوا أَنَّهُ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَا
 تَبْطِشُ : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾^(٢) ، أَيْ لَا يَتَكَلَّمُونَ فَيُخْبِرُونَا :
 مَنْ صَنَعَ هَذَا بِهَا ، وَمَا تَبْطِشُ بِالْأَيْدِي فَنُصَدِّقُكَ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :
 ﴿ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾^(٣) ، أَيْ نَكِسُوا عَلَى
 رُءُوسِهِمْ فِي الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ لِإِبْرَاهِيمَ حِينَ جَادَلَهُمْ ، فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ حِينَ
 ظَهَرَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِمْ : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ . قَالَ
 أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ؟ أَفَ لَكُمْ
 وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ^(٤) .

قَالَ : وَحَاجَّةُ قَوْمِهِ عِنْدَ ذَلِكَ فِي اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَسْتَوْصِفُونَهُ إِيَّاهُ وَيُخْبِرُونَهُ

(١) سورة الأنبياء ٦٠ ، ٦٣ .

(٢) ١ : « يَعْنُونَ : سَمِعْنَا قِيَّ » .

(٣) سورة الأنبياء ٦٥ - ٦٧ .

أن آلهتهم خير مما يعبد، فقال: ﴿أَنحَا جُؤُنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ ، إلى قوله: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ^(١) ، يضرب لهم الأمثال ، ويصرف لهم العبر ، ليعلموا أن الله هو أحق أن يُخاف ويُعبد مما يعبدون من دونه .

قال أبو جعفر : ثم إن نمرود - فيما يذكره - قال لإبراهيم : أرأيت إلهك هذا الذي تعبد وتدعو إلى عبادته ، وتذكره من قدرته التي تعظمه بها على غيره ما هو ؟ ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ ، فقال نمرود : فأنا ﴿أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ ، فقال له إبراهيم : كيف تحيي وتميت ؟ قال : آخذ الرجلين قد استوجبا القتل في حكمي ، فأقتل أحدهما فأكون قد أمتته ، وأعفو عن الآخر فأتركه فأكون قد أحييته ، فقال له إبراهيم عند ذلك : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ ^(٢) ، فعرف ^(٣) أنه كما يقول ، فبُهِت عند ذلك نمرود ولم يرجع إليه شيئاً ، وعرف أنه لا يطيق ذلك . يقول الله عز وجل : ﴿قَبِضَتِ الذِّكْرَ﴾ ^(٤) ، يعني وقعت عليه الحجة .

٢٦٢/١

قال : ثم إن نمرود وقومه أجمعوا في إبراهيم فقالوا : ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ^(٥) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، قال : تلوت هذه الآية على عبد الله بن عمر ، فقال : أتدرى يا مجاهد ، من الذي أشار بتحريق إبراهيم عليه السلام بالنار ؟ قال : قلت : لا ، قال : رجل من أعراب فارس ، قال : قلت : يا أبا عبد الرحمن ، وهل للفرس أعراب ؟ قال : نعم ، الكرْدُ هم أعراب فارس ، فرجل منهم هو الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار .

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا ابن عُلَيَّة ، عن ليث ، عن مجاهد في

(١) سورة الأنعام ٨٠ ، ٨١

(٢) سورة البقرة ٢٥٨

(٣) كذا في ١ ، وفي ط « أعرف » .

(٤) سورة الأنبياء ٦٨

قوله: ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ قال : قالها رجل من أعراب فارس - يعنى الأكراد .

وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني وهب بن سليمان ، عن شعيب الحبائي ، قال : إن اسم الذى قال حرقوه « هينون » ، فخسف الله به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة

ثم رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق .

قال : فأمر نمروذ ، بجمع الخطب^(١) ، فجمعوا له صلاب الخطب من أصناف الخشب ، حتى أن كانت المرأة من قرية إبراهيم - فيما يُذكر - لتندرفى بعض ما تطلب مما تحب أن تدرك : لأن أصابته لتحطين فى نار إبراهيم التى يحرق بها احتساباً فى دينها ، حتى إذا أرادوا أن يلقوه فيها ٢٦٣/١ قدّموه وأشعلوا فى كل ناحية من الخطب الذى جمعوا له ، حتى إذا اشتعلت النار ، واجتمعوا^(٢) لقفذه فيها ، صاحت السماء والأرض وما فيها من الخلق إلا الثقلين - فيما يذكرون - إلى الله عز وجل صيحة واحدة : أى ربنا ! إبراهيم ليس فى أرضك أحدٌ يعبدك غيره ، يحرق بالنار فيك ! فأذن لنا فى نصرته ، فيذكرون - والله أعلم - أن الله عز وجل حين قالوا ذلك قال : إن استغاث بشئ منكم أو دعاه فلينصره ، فقد أذنت له فى ذلك ، فإن لم يدع غيرى فأنا وليه ، فخلّوا بينى وبينه ، فأنا أمنعه ، فلما ألقوه فيها قال : ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٣) ، فكانت كما قال الله عز وجل .

وحدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى قال ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾^(٤) ،

(١) ط : « فجمع له الخطب » ، وما أثبتته عن ١ .

(٢) ط : « واجمعوا » .

(٣) سورة الأنبياء ٦٩

(٤) سورة الصافات ٩٧

قال : فحبسوه في بيت ، وجمعوا له حطباً حتى أن كانت المرأة لتمرض فتقول :
لئن عافاني الله لأجمعن حطباً لإبراهيم ، فلما جمعوا له وأكثروا من الحطب
حتى أن كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها وحرها ، فعمدوا إليه فرفعوه
على رأس البنيان ، فرفع إبراهيم رأسه إلى السماء ، فقالت السماء والأرض
والجبال والملائكة : ربنا ! إبراهيم يحرق فيك . فقال : أنا أعلم به ، فإن
دعاكم فأغيثوه . وقال إبراهيم حين رفع رأسه إلى السماء : اللهم أنت الواحد
في السماء وأنا الواحد في الأرض ، ليس في الأرض أحد يعبدك غيري ، حسبي الله
ونعم الوكيل ! فقد فوه في النار ، فناداها فقال : ﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا
عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ . وكان جبرئيل هو الذي ناداها . وقال ابن عباس : لو لم يتبع
بردها سلاماً لمات إبراهيم من بردها ، فلم تبق يومئذ نار في الأرض إلا طففت ،
ظنت أنها تضيئ ، فلما طففت النار نظروا إلى إبراهيم فإذا هو رجل آخر معه ،
ولما رأس إبراهيم في حجره يمسح عن وجهه العرق ، وذكر أن ذلك الرجل
ملك الظل ، وأنزل الله ناراً وانتفع بها بنو آدم ، فأخرجوا إبراهيم ، فأدخلوه على
الملك ، ولم يكن قبل ذلك دخل عليه ^(١)

٢٦٤/١

ثم رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق .

قال : وبعث الله عز وجل ملك الظل في صورة إبراهيم ، فقعدها فيها إلى
جنبه يؤنسه ، فكث ثمرود أياماً لا يشك إلا أن النار قد أكلت إبراهيم وفرغت منه ،
ثم ركب فرساً بها وهي تحرق ما جمعوا لها من الحطب ، فنظر إليها ، فرأى إبراهيم
جالساً فيها إلى جنبه رجل مثله ، فرجع من مركبه ذلك ، فقال لقومه : لقد
رأيت إبراهيم حياً في النار ، ولقد شبّه علي ، ابنوا لي صرحاً يشرف بي على
النار حتى أستشيت ، فبنوا له صرحاً ، فأشرف عليه فاطلع منه إلى النار ، فرأى
إبراهيم جالساً فيها ، ورأى الملك قاعداً إلى جنبه في مثل صورته ، فناداه
نمرود : يا إبراهيم ، كبير إلهك الذي بلغت قدرته وعزته أن حال بين ما
أرى وبينك ، حتى لم تضرك يا إبراهيم ، هل تستطيع أن تخرج منها ؟

٢٦٥/١

قال : نعم ، قال : هل تخشى إن أقمت فيها أن تضرك ؟ قال : لا ، قال : فقم واخرج منها ، فقام إبراهيم يمشي فيها حتى خرج منها ، فلما خرج إليه قال : يا إبراهيم ، من الرجل الذي رأيتُ معك في مثل صورتك قاعداً إلى جنبك ؟ قال : ذلك ملك الظل ، أرسله إلى ربّي ليكون معي فيها ليؤنسني ، وجعلها على برداً وسلاماً . فقال نمrod - فيما حدثت - : يا إبراهيم ، إني مقرب إلى إلهك قرباناً لما رأيت من عزته وقدرته ، ولما صنع بك حين أبييت إلا عبادته وتوحيده ، إني ذابح له أربعة آلاف بقرة . فقال له إبراهيم : إذا لا يقبل الله منك ما كنت على شيء من دينك هذا حتى تفارقه إلى ديني ! فقال : يا إبراهيم ، لا أستطيع ترك ملكي ، ولكنني سوف أذبحها له ، فذبحها نمrod ، ثم كف عن إبراهيم ، ومنعه الله عز وجل منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الحارث ، عن أبي زُرعة ، عن أبي هريرة ، قال : إن أحسن شيء قاله أبو إبراهيم ^(١) لما رفع عنه الطبق وهو في النار وحده يرشح جبينه ، فقال عند ذلك : نعم الرب ربك يا إبراهيم .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا معتمر بن سليمان التيمي ، عن بعض أصحابه قال : جاء جببرئيل إلى إبراهيم عليه السلام وهو يؤثّق ويقمط ليلق في النار ، قال : يا إبراهيم ، ألك حاجة ؟ قال : أمّا إليك فلا .

حدثني أحمد بن المقdam ، قال : حدثني المعتمر ، قال : سمعت أبي قال : حدثنا قتادة ، عن أبي سليمان ، قال : ما أحرقت النار من إبراهيم إلا وثاقه .

قال أبو جعفر : رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال : واستجاب لإبراهيم عليه السلام رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله به على خوف من نمrod

(١) كذا في ١ ، ن ، و ، ط : « قاله لإبراهيم » .

وملثهم ، فأمن له لوط - وكان ابن أخيه - وهو لوط بن هاران بن تارخ ،
 وهاران هو أخو إبراهيم ، وكان لهما أخ ثالث يقال له ناحور بن تارخ ، فهاران
 أبو لوط ، وناحور أبو بتويل ، وبتويل أبو لابان ، وربقا ابنة بتويل امرأة
 إسحاق بن إبراهيم أم يعقوب ، وليا وراحيل زوجتا يعقوب ابنتا لابان . وآمنت
 به سارة وهي ابنة عمه ، وهي سارة بنت هاران الأكبر عم إبراهيم ، وكانت
 لها أخت يقال لها ملكا امرأة ناحور .

وقد قيل : إن سارة كانت ابنة ملك حرّان .

* ذكر من قال ذلك :

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا
 أسباط ، عن السدي ، قال : انطلق إبراهيم ولوط قبيل الشام ، فلقى إبراهيم
 سارة ، وهي ابنة ملك حرّان ، وقد طعنت على قومها في دينهم ، فترّجها
 على ألاّ يغيّرها ، ودعا إبراهيم أباه آزر إلى دينه ، فقال له : يا أبت لم تعبد
 ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ! فأبى أبوه الإجابة إلى ما دعاه إليه .
 ثم إن إبراهيم ومن كان معه من أصحابه الذين اتبعوا أمره أجمعوا لفراق
 قومهم ، فقالوا : ﴿ إِنَّا بَرَاءةٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾ ،
 أيها المعبودون من دون الله ﴿ وَبَدَأَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا ﴾
 أيها العابدون ﴿ حَتَّى تَوُفِّيَنَا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ ^(١) . ثم خرج إبراهيم مهاجراً إلى
 ربه وخرج معه لوط مهاجراً ، وتزوج سارة ابنة عمه ، فخرج بها معه يلتمس
 الفرار بدينه ، والأمان على عبادة ربه ^(٢) حتى نزل حرّان ، فكث بها ما شاء الله
 أن يمكث ، ثم خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر ، وبها فرعون من الفراعنة
 الأولى . وكانت سارة من أحسن الناس فيما يقال ، وكانت ^(٣) لا تعصى إبراهيم

(١) سورة المتحنة ٤

(٢) ١ « على عبادته » .

(٣) ط : « فكانت » ؛ وما أثبتته عن ١ .

شيئا ، وبذلك أكرمها الله عز وجل ، فلما وصفت لفرعون ووصف له حسنها وجماها أرسل إلى إبراهيم ، فقال : ما هذه المرأة التي معك ؟ قال : هي أختي ، وتخوف إبراهيم إن قال هي امرأتي أن يقتله عنها . فقال لإبراهيم : زيتها ، ثم أرسلها إلى حتى أنظر إليها ، فرجع إبراهيم إلى سارة وأمرها فتهيأت ، ثم أرسلها إليه ، فأقبلت حتى دخلت عليه ، فلما قعدت إليه تناوها بيده ، فبيست إلى صدره ، فلما رأى ذلك فرعون أعظم أمرها ، وقال : ادعني الله أن يطلق عني ، فوالله لا أريك ولأحسبنن إليك ، فقالت : اللهم إن كان صادقا فأطلق يده ، فأطلق الله يده ، فردّها إلى إبراهيم ، وهب لها هاجر ، جارية كانت له قبطية .

٢٦٨/١

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو أسامة ، قال : حدثني هشام ، عن محمد ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : لم يكذب إبراهيم عليه السلام غير ثلاث : ثنتين في ذات الله ، قوله : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ . وبينما هويسير في أرض جبّار من الجبابرة ، إذ نزل منزلا ، فأقى الجبّار رجل فقال : إن في أرضك — أو قال : ها هنا — رجلا معه امرأة من أحسن الناس ، فأرسل إليه ، فجاء فقال : ما هذه المرأة منك ؟ قال : هي أختي ، قال : اذهب فأرسل بها إلى ، فانطلق إلى سارة ، فقال : إن هذا الجبار قد سألتني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني عنده ، فإنك أختي في كتاب الله ، فإنه ^(١) ليس في الأرض مسلم غيري وغيرك ، قال : فانطلق بها وقام إبراهيم عليه السلام يصلّي قال : فلما دخلت عليه فرآها أهوى إليها [وذهب] ^(٢) يتناولها ، فأخذ أخذاً شديداً ، فقال : ادعني الله ولا أضرك ، فدعت له فأرسل فأهوى إليها [فذهب] ^(٢) يتناولها ، فأخذ أخذاً شديداً ، فقال : ادعني الله ولا أضرك ، فدعت له فأرسل ، ثم

(١) : « وإنه » .

(٢) : تكلّة من ١ .

فعل ذلك الثالثة ، فأخذ ، فذكر مثل المرتين فأرسل . [قال] : ^(١) فذعأ أدنى حُجَّابَه فقال : إنك لم تأتني بإنسان ، ولكنك أتيتني بشيطان ، أخرجها وأعطيها هاجر ، فانخرجت وأعطيت هاجر ، فأقبلت بها ، فلما أحس إبراهيم بمجيئها انقتل من صلاته ، فقال : مهيم ! فقالت : كفى الله كيد الفاجر الكافر ! وأخدم هاجر . ٢٦٩/١

قال محمد بن سيرين : فكان أبو هريرة إذا حدث هذا الحديث يقول : فتلك أمكم يا بني ماء السماء .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لم يقل إبراهيم شيئاً قط » لم يكن « إلا ثلاثاً : قوله ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ لم يكن به سقم ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ ، وقوله لفرعون حين سأله عن سارة فقال : مَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ مَعَكَ ؟ قال : أختي ، قال : فما قال إبراهيم عليه السلام شيئاً قط « لم يكن « إلا ذلك » .

حدثني سعيد بن يحيى الأموي ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا محمد ابن إسحاق ، قال : حدثنا أبو الزناد ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم يكذب إبراهيم في شيء قط إلا في ثلاث . . . » ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو أسامة ، قال : حدثني هشام ، عن محمد ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لم يكذب إبراهيم غير ثلاث : ثنتين في ذات الله ، قوله : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ ، وقوله في سارة : هي أختي » .

(١) تكله من ا .

(٢) ط : « وأخدم هاجر » ، وما أثبتته من ا .

حدثني ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن المسيب بن رافع ، عن أبي هريرة قال : ما كذب إبراهيم عليه السلام غير ثلاث كذبات : قوله : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ ، وإنما قاله موعظة ، وقوله حين سأله الملك فقال : أنخى - لسارة - وكانت امرأته .

حدثني يعقوب ، قال : حدثني ابن عُلَيَّة ، عن أيوب ، عن محمد ، قال : إن إبراهيم لم يكذب إلا ثلاث كذبات : ثنتان في الله ، وواحدة في ذات نفسه ، وأما الثنتان فقولاه : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ وقصته في سارة . وذكر قصتها وقصة الملك

قال أبو جعفر : رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق .

قال : وكانت هاجر جارية ذات هيئة ، فوهبتها سارة لإبراهيم ، وقالت : إني أراها امرأة وضيئة فخذها ، لعلَّ الله يرزقك منها ولدًا ، وكانت سارة قد منعت الولد فلا تلد لإبراهيم حتى أسنت ، وكان إبراهيم قد دعا الله أن يهب له من الصالحين ، وأخرت الدعوة حتى كبر إبراهيم وعقمت سارة ، ثم إن إبراهيم وقع على هاجر ، فولدت له إسماعيل عليهما السلام .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا فتحتم ^(١) مصر فاستوصوا بأهلها خيرًا ، فإن لهم ذمة ورحيما » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : سألت الزهري : ما الرحم التي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ؟ قال : كانت هاجر أم إسماعيل منهم . فيزعمون - والله أعلم - أن سارة حزنت عند ذلك على ما فاتها من الولد حزنًا شديدًا ، وقد كان إبراهيم خرج من مصر إلى الشام ، وهاب ذلك الملك الذي كان بها ، وأشفق من شره حتى قدمها ، فنزل السبع من أرض فلسطين ، وهي برية الشام ، ونزل لوط بالمؤتفكة ، وهي من

السَّبْعُ على مسيرة يوم وليلة . وأقرب من ذلك ، فبعثه الله عز وجل نبياً ، وأقام إبراهيم فيما ذكر لي بالسَّبْعِ ، فاحترق به بئراً واتخذ به مسجداً ، فكان ماء تلك البئر معيناً طاهراً ، فكانت غنمه تَرِدُها . ثم إن أهلها آذوه فيها ببعض الأذى ، فخرج منها حتى نزل بناحية من أرض فلسطين بين الرملة وإيليا ، ببلد يقال له قَطَ - أَوْقَطَ^(١) - فلما خرج من بين أظهرهم نصب الماء فذهب . واتبعه أهل السَّبْعِ ، حتى أدركوه وندموا على ما صنعوا ، وقالوا : أخرجتنا من بين أظهرنا رجلاً صالحاً ، فسألوه أن يرجع إليهم ، فقال : ما أنا براجع إلى بلد أخرجت منه ، قالوا له : فإن الماء الذي كنت تشرب منه ونشرب معك منه قد نصب فذهب ، فأعطاهم سبعمائة من غنمه ، فقال : اذهبوا بها معكم ، فإنكم لو قد أوردتموها البئر ، قد ظهر الماء ، حتى يكون معيناً طاهراً كما كان ، فاشربوا منها ، فلا تَغْتَرِفَنَّ منها امرأةٌ حائضٌ ، فخرجوا بالأعتر ، فلما وقفت على البئر ظهر إليها الماء ، فكانوا يشربون منها وهي على ذلك ، حتى أتت امرأة طامثٌ ، فاغترفت منها ، فنكص ماؤها إلى الذي هو عليه اليوم ، ثم ثبت . ٢٧٢/١

قال : وكان إبراهيم يُضَيِّفُ من نزل به ، وكان الله عز وجل قد أوسع عليه ، وبسط له في الرزق والمال والخدم ، فلما أراد الله عز وجل هلاك قوم لوط ، بعث إليه رسلاً يأمرونه بالخروج من بين أظهرهم ، وكانوا قد عملوا من الفاحشة ما لم يسبقهم به أحدٌ من العالمين ، مع تكذيبهم نبيهم ، وردتهم عليه ما جاءهم به من النصيحة من ربهم ، وأمرت الرسل أن يتزلوا على إبراهيم ، وأن يشروه وسارة بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، فلما نزلوا على إبراهيم وكان الضيفُ قد حُبِسَ عنه خمس عشرة ليلة حتى شقَّ ذلك عليه - فيما يذكرون - لا يضيفه أحد ، ولا يأتيه ، فلما رأهم سرَّ بهم رأى ضيفاً لم يصفه مثلهم حسناً وجمالاً ، فقال : لا يخدم هؤلاء القوم أحدٌ إلا أنا بيدي ، فخرج إلى أهله ، فجاء كما قال الله عز وجل : ﴿ بِمَجْلٍ سَمِينٍ ﴾^(٢) قد حَنَذَهُ - والحناذ :^(٣) الإنضاج يقول الله جل ثناؤه : ﴿ جَاءَ بِمَجْلٍ حَنِذٍ ﴾^(٤) فقرَّبه إليهم ، فأمسكوا أيديهم

(١) ذكرها ياقوت ، وقال : « بلد بفلسطين ، بين الرملة وبيت المقدس » .

(٢) سورة الذاريات ٢٦ .

(٣) ط : « التحنَّاذ » ؛ وما ذكرته من ا ، والتفسير : ١٢ : ٤٣ . (٤) سورة هود ٦٩

عنه ، ﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ حين لم يأكلوا من طعامه ، ﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطَ . وَامْرَأَتُهُ سَارَةُ ﴾ قائمة فضحكت ﴿ لما عرفت من أمر الله عز وجل ، ولما تعلم من قوم لوط ، فبشروها ﴾ بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ^(١) بآبن ، وبآبن ابن ، ٢٧٣/١ فقالت - وصكت ^(٢) وجهها ، يقال : ضربت على جبينها : ﴿ يَا وَيْلَتَىٰ أَلِدْتُ وَأَنَا عَجُوزٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ ^(٣) . وكانت سارة يومئذ - فيما ذكر لي بعض أهل العلم - ابنة تسعين سنة ، وإبراهيم ابن عشرين ومائة سنة ، فلما ذهب عن إبراهيم الروح وجاءته البشري بإسحاق ويعقوب ولد من صلب إسحاق وأمن ما كان يخاف ، قال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ ^(٤) .

* * *

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني وهب بن سليمان ، عن شعيب الجبائي ، قال : ألقى إبراهيم في النار وهو ابن ست عشرة سنة ، وذبح إسحاق وهو ابن سبع سنين ، وولدت سارة وهي ابنة تسعين سنة ، وكان مذبحه من بيت إيليا على ميلين ، فلما علمت سارة بما أراد بإسحاق مرضت يومين ، وماتت اليوم الثالث ، وقيل : ماتت سارة وهي ابنة مائة وسبع وعشرين سنة .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا

(١) سورة هود ٦٩ ، ٧١

(٢) من قوله تعالى في سورة الذاريات ٢٩ : ﴿ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ

وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ .

(٣) سورة هود ٧٢ ، ٧٣

(٤) سورة إبراهيم ٣٩ ؛ وهذا آخر حديث ابن إسحاق الذي بدأ به في ص ٢٣٤ .

أسباط ، عن السدي ، قال : بعث الله الملائكة لتهلك قوم لوط ، فأقبلت
تمشي في صورة رجال شباب ، حتى نزلوا على إبراهيم ، فتضيفوه ، فلما رأهم
إبراهيم أجلسهم ، فراغ إلى أهله ، فجاء بعجل سمين فذبحه ، ثم شواه في الرضف ^(١)
وهو الحنيد حين شواه ، وأتاهم فقعده معهم ، وقامت سارة تخدمهم ، فذلك
حين يقول جل ثناؤه : ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ وَهُوَ جَالِسٌ﴾ ^(٢) في قراءة ابن مسعود ،
فلما قربته إليهم قال : ألا تأكلون ! قالوا : يا إبراهيم ، إنا لا نأكل طعاماً
إلا بئمن ، قال : فإن لهذا ثمناً ، قالوا : وما ثمنه ؟ قال : تذكرون اسم الله
على أوّله وتحملونه على آخره ، فنظر جبرئيل إلى ميكايل ، فقال : حق لهذا أن
يتخذ ربه خليلاً ، ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ يقول : لا يأكلون ،
﴿نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ ^(٣) ، فلما نظرت إليه سارة أنه قد أكرمهم
وقامت هي تخدمهم ضحكت وقالت : عجيباً لأضيافنا ! هؤلاء إنا نخدمهم
بأنفسنا تكريماً لهم ، وهم لا يأكلون طعامنا !

(١) الرضف : الحجارة التي حميت بالشمس أو النار .

(٢) سورة هود ٧١

(٣) سورة هود : ٧٠ .

ذكر أمر بناء البيت *

قال : ثم إن الله عز وجل أمر إبراهيم بعد ما ولد له إسماعيل وإسحاق — فيما ذكر — ببناء بيت له يعبد فيه ، ويذكر . فلم يدر إبراهيم في أي موضع يبني ؟ إذ لم يكن بيّن له ذلك ، فضاق بذلك ذرعاً ، فقال بعض أهل العلم : بعث الله إليه السكينة لتدلّه على موضع البيت ، فضت به السكينة ، ومع إبراهيم هاجر وزوجته وابنه إسماعيل ، وهو طفل صغير .
وقال بعضهم : بل بعث الله إليه جبرئيل عليه السلام ، حتى دلّه على موضعه ، وبيّن له ما ينبغي أن يعمل .

* * *

٢٧٥/١

* ذكر من قال : الذي بعثه الله إليه لذلك السكينة :

حدثنا هناد بن السريّ ، قال : حدثنا أبو الأحوص ، عن سماك بن حرب ، عن خالد بن عرعة : أن رجلاً قام إلى علي بن أبي طالب ، فقال : ألا تخبرني عن البيت ، أهو أول بيت وضع في الأرض ؟ فقال : لا ، ولكنه أول بيت وضع في البركة مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً ، وإن شئت أنبأتك كيف بُني . إن الله عز وجل أوحى إلى إبراهيم أن ابن لي بيتاً في الأرض ، فضاق إبراهيم بذلك ذرعاً ، فأرسل عز وجل السكينة ، وهي ريح خجوج^(١) ولها رأسان ، فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت إلى مكة فتطوّت على موضع البيت كتطوى الحية ، وأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة ، فبنى إبراهيم وبنى حجر ، فذهب الغلام يبني شيئاً ، فقال إبراهيم : أبغني^(٢) حجراً كما أمرك ، فانطلق الغلام يلتمس له حجراً ، فأتاه به ، فوجده قد ركب الحجر الأسود في مكانه ، فقال : يا أبت ، من أذاك بهذا الحجر ؟ فقال : أتاني به من لم يتكل على بنائك ، أتاني به جبرئيل من السماء . فآتماه^(٣) .

* لم يرد في ١ ، ر ، س .

(١) الخجوج : الريح الشديدة المر .

(٢) كذا في ١ ، يقال : أبغاه الشيء ؛ إذا أعانه على طلبه .

(٣) الخبر في التفسير ٣ : ٧٠ .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : حدثنا مؤمل ، قال : حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن عليّ عليه السلام قال : لما أمر إبراهيمُ ببناء البيت خرج معه إسماعيل وهاجر ، فلما قدم مكة رأى ^(١) على رأسه في موضع البيت مثل الغمامة فيه مثل الرأس ، فكلّمه ؛ وقال : يا إبراهيم ، ابن على ظلتى - أو على قدّرى - ولا تزد ولا تنقص ، فلما بنى خرج وخلف إسماعيل وهاجر ، فقالت هاجر : يا إبراهيم ، إلى ^(٢) مَنْ تكلّمنا ؟ قال : إلى الله ، قالت : انطلق فإنه لا يُضيعنا ، قال : فعطش إسماعيل عطشاً شديداً ، فصعدت هاجر الصفا ، فنظرت فلم تر شيئاً ، ثم أتت المرأة فنظرت فلم تر شيئاً ، ثم رجعت إلى الصفا ، فنظرت فلم تر شيئاً ، حتى فعلت ذلك سبع مرات ، فقالت : يا إسماعيل ، مُتْ حيث لا أراك . فأنته وهو يفحص ^(٣) برجله من العطش ، فناداها جبرائيل ، فقال : مَنْ أنت ؟ قالت : أنا هاجر ، أم ولد إبراهيم ، قال : إلى مَنْ وكلّكما ؟ قالت : وكلّنا إلى الله ، قال : وكلّكما إلى كافٍ ، قال : ففحص الغلام الأرض بإصبعه ، فنبعت زمزم ، فجعلت تحبس الماء ، فقال : دعيه ، فإنها رواء ^(٤) .

٢٧٦/١

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى ، قال : لما عهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل : أن طهراً بيتي للطائفتين ، انطلق إبراهيم حتى أتى مكة ، فقام هو وإسماعيل ، وأخذ المعاول لا يدريان أين البيت ، فبعث الله عز وجل ريحاً يقال لها ريح الحجّوج ، لها جناحان ورأس في صورة حية ، فكنّست لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الأول ، واتبعاها بالمعاول يحفران حتى وضعوا الأساس ، فذلك حين يقول عز وجل : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ ^(٥) .

٢٧٧/١

(١) ر : « أتى » .

(٢) ر : « على » .

(٣) يفحص برجله ، أى يبحث ويزيل التراب عن حفرة .

(٤) الرواء : الماء العذب ، والخبر في التفسير ٣ : ٦٨ .

(٥) سورة الحج ٢٦ .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن عمار ، عن سماك بن حرب ، عن خالد بن عرعة ، عن عليّ ابن أبي طالب عليه السلام أنه كان يقول : لما أمر الله إبراهيم بعمارة البيت والأذان بالحج في الناس خرج من الشام ومعه ابنه إسماعيل ، وأم إسماعيل هاجر ، وبعث الله معه السكينة ، وهي ريح^(١) لها لسان تكلم به ، يغدو معها إبراهيم إذا غدت ، ويروح معها إذا راحت ، حتى انتهت به إلى مكة ، فلما أتت موضع البيت استدارت به ، ثم قالت لإبراهيم : ابن عليّ ، ابن عليّ ، ابن عليّ ، فوضع إبراهيم الأساس ورفع البيت هو وإسماعيل ، حتى انتهيا^(٢) إلى موضع الركن ، قال إبراهيم لإسماعيل : يا بنيّ ، ابغ لي حجراً أجعله علماً للناس ، فجاءه بحجر ، فلم يرضه وقال : ابغني غير هذا ، فذهب إسماعيل ليلتمس^(٣) له حجراً ، فجاءه وقد^(٤) أتى بالركن ، فوضعه في موضعه ، فقال : يا أبت ، من جاءك بهذا الحجر ؟ قال : من لم يكلتني إليك يا بنيّ .

* * *

وقال آخرون : إنّ الذي خرج مع إبراهيم من الشام لدلالته على موضع البيت جبرئيل عليه السلام ، وقالوا : كان إخراج هاجر وإسماعيل إلى مكة لما كان من غير سارة بسبب ولادة هاجر منه إسماعيل .
* ذكر من قال ذلك :

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي بالإسناد الذي قد ذكرناه أن سارة قالت لإبراهيم : تسرّ هاجر^(٥) ، فقد أذنت لك فوطئها ، فحملت بإسماعيل ، ثم إنه وقع على سارة فحملت بإسحاق ، فلما ولدته^(٦) وكبر اقتتل هو وإسماعيل ، فغضبت سارة

٢٧٨/١

(١) كذا في أ ، وفي ط : « ريح » ، وفي ب : « وريحاً » .

(٢) ر ، س ، ن : « انتهى » .

(٣) ب ، ر : « يلتص » .

(٤) ط : « فقد » ، وما أثبتته عن أ .

(٥) ط : « بهاجر » ، وما أثبتته عن أ ، ر ، ن .

(٦) أ ، س : « ولد له » .

على أم إسماعيل ، وغارت عليها ، فأخرجتها ، ثم إنهما دعتهما فأدخلتها . ثم غضبت أيضاً فأخرجتها ثم أدخلتها ، وحلفت لتقطعن منها بضعة ، فقالت : أقطع أنفها ، أقطع أذنها ، فيشينها ذلك ، ثم قالت : لا بل أخفضها ^(١) ، فقطعت ذلك منها ، فاتخذت هاجر عند ذلك ذило تعنى به عن الدم ، فلذلك خفضت النساء ، واتخذت ذيولاً ، ثم قالت : لا تساكنتي في بلد . وأوحى الله إلى إبراهيم أن يأتي مكة ، وليس يومئذ بمكة بيت ، فذهب بها إلى مكة وابنها فوضعهما ، وقالت له هاجر : إلى من تركتنا ^(٢) هاهنا ؟ ثم ذكر خبرها ، وخبر ابنها .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد وغيره من أهل العلم أن الله عز وجل لما بوأ لإبراهيم مكان البيت ومعالم الحرم ، فخرج وخرج معه جبرئيل ، يقال : كان لا يمر بقرية إلا قال : بهذه أمرت يا جبرئيل ؟ فيقول : جبرئيل : امضه ، حتى قدم به مكة ، وهي إذ ذاك عضاء سلم وسمر ، وبها أناس يقال لهم العماليق ، خارج مكة وما حولها ، والبيت يومئذ ربوة حمراء مدرة ، فقال إبراهيم لجبرئيل : أها هنا أمرت أن أضعهما ؟ قال : نعم ، فعمد بهما إلى موضع الحجر ، فأنزلهما فيه ، وأمر هاجر أم إسماعيل أن تتخذ فيه عريشاً فقال : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَشْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ إلى - ﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ ^(٣) . ثم انصرف إلى أهله بالشأم وتركهما عند البيت ، قال : فظمئ إسماعيل ظمأ شديداً ، فالتمس له أمه ماء فلم تجده ، فاستسمعت ^(٤) : هل تسمع صوتاً ؟ فالتمس له شرباً ، فسمعت كالصوت عند الصفا ، فأقبلت حتى قامت عليه فلم تر شيئاً ، ثم سمعت صوتاً نحو المروة ،

(١) الخفض للجارية ، مثل الختان للصبي .

(٢) ر : « تركنا » .

(٣) سورة إبراهيم ٣٧ .

(٤) في كذا ، ن ، وفي ط : « فاستمعت » .

فأقبلت حتى قامت عليه فلم تر شيئاً ، ويقال : بل قامت على^(١) الصفا تدعو الله وتستغيثه لإسماعيل ، ثم عمدت إلى المروة ففعلت ذلك . ثم إنها سمعت أصوات سباع الوادي نحو إسماعيل حيث تركته ، فأقبلت إليه تشتد ، فوجدته يفحص الماء بيده من عين قد انفجرت من تحت يده ، فشرب منها ، وجاءتها أم إسماعيل فجعلتها^(٢) حسياً ، ثم استقت منها في قربتها تذخره لإسماعيل ، فلولاً الذي فعلت ما زالت زمزم معيناً طاهراً ماؤها أبداً . قال مجاهد : ولم نزل نسمع أن زمزم هزومة^(٣) جبرئيل بعقبه لإسماعيل حين ظمى .

حدثني يعقوب بن إبراهيم والحسن بن محمد ، قالا : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أيوب ، قال : نُبِئتُ عن سعيد بن جبير أنه حدث عن ابن عباس أن أول من سعى بين الصفا والمروة لأم إسماعيل ، وأن أول من سار أحدث من نساء العرب جرّ الذبول لأم إسماعيل . قال : لما فرّت من سارة أرخت ذيلها^(٤) لتعفى أثرها ، فجاء بها إبراهيم ومعها إسماعيل حتى انتهى بهما إلى موضع البيت ، فوضعهما ثم رجع ، فاتبعته فقالت : إلى أي شيء تكلنا ؟ إلى طعام تكلنا ؟ إلى شراب تكلنا ؟ لا يرد عليها شيئاً ، فقالت : آله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذا لا يضيعنا ، قال : فرجعت ومضى حتى إذا استوى على ثنية كداء ، أقبل على الوادي فقال : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ... ﴾ الآية . قال : ومع الإنسانية^(٥) شنة فيها ماء ، فنقذ الماء ، فعطشت فانقطع لبنها ، فعطش الصبي فنظرت : أي الجبال أدنى إلى الأرض ، فصعدت الصفا فتسمعت : هل تسمع صوتاً ، أو ترى أنيساً ؟^(٦) فلم تسمع شيئاً فأنحدرت ، فلما

(١) أ : « عند » .

(٢) ن : « فوجدتها » ، والحصى : حفرة قريبة القمر ؛ ولا يكون إلا في أرض أسفلها حجارة وفوقها رمل ؛ فإذا مطرت نشفه الرمل ؛ فإذا انتهى إلى الحجارة أمسكته ، وجمعه أحساء .

(٣) هزيمة جبريل ؛ أي ضرب برجله فانخفض المكان فنبع الماء . النهاية لابن الأثير ٤ : ٢٤٨

(٤) أ : « أرخت من ذيلها » .

(٥) ر : « هاجر » .

(٦) س : « إنساً » .

أتت على الوادى سعت - وما تريد السعى - كالإنسان المجهود الذى يسعى وما يريد السعى ، فنظرت أى الجبال أدنى إلى الأرض ، فصعدت المروة ، فتسمعت : هل تسمع صوتاً أو ترى أنيساً^(١) ؟ فسمعت صوتاً ، فقالت كالإنسان الذى يكذب سمعه : صه ! حتى استيقنت ، فقالت : قد أسمعنى صوتك فأعثنى ، فقد هلكك وهلك من معى ، فجاء الملك بها حتى انتهى بها إلى موضع زمزم ، ففرض بقدمه فقارت عيناً ، فعجلت^(٢) الإنسانة تفرغ فى شئنها^(٣) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله أم إسماعيل ، لولا أنها عجلت لكانت زمزم عيناً معيناً » .

٢٨١/١

وقال لها الملك : لا تخافى الظمأ على أهل هذا البلد ؛ فإنها عين يشرب^(٤) ضيفان الله منها ، وقال : إن أبا هذا الغلام سيجئ فيبنيان لله بيتاً هذا موضعه . قال : ومرت رُفقة من جرهم تريد الشام ، فرأوا الطير على الجبل ، فقالوا : إن هذا الطير لعائف^(٥) على ماء ، فهل علمتم بهذا الوادى من ماء ؟ فقالوا : لا ، فأشرفوا فإذا هم بالإنسانة ، فأتوها فطلبوا إليها أن يتزلوا معها ، فأذنت لهم ، قال : وأتى عليها ما يأتى على هؤلاء الناس من الموت ، فانت وتزوج إسماعيل امرأة منهم ، فجاء إبراهيم فسأل عن منزل إسماعيل حتى دُلَّ عليه فلم يجده ، ووجد امرأة له^(٦) فظنة غليظة ، فقال لها : إذا جاء زوجك فقولى له : جاء^(٧) ها هنا شيخ من صفته كذا وكذا ، وأنه يقول لك : إني لا أرضى لك عتبة بابك فحوّنها ، وانطلق^(٨) . فلما جاء إسماعيل أخبرته فقال : ذلك أبى ، وأنت عتبة بابى . فطلقها ، وتزوج امرأة أخرى منهم^(٩) ، وجاء إبراهيم حتى

٢٨٢/١

(١) س : « أنيساً » .

(٢) ا : « فجعلت » .

(٣) ر : « شئها » ، والشئ والشنة : القربة .

(٤) ط : « لشرب » ، وما أثبتته من ؟

(٥) قال أبو عبيدة : « العائف هنا : الذى يتردد على الماء ويحوم ولا يمشى » . وانظر

اللسان ٦٣ : ١٦٩ .

(٦) ن : « امرأته » .

(٧) ر : « كان »

(٨) كذا فى ا ، ن ، وفى ط : « فانطلق » .

(٩) ن : « منهم » .

انتهى إلى منزل^(١) إسماعيل فلم يجده ووجد امرأة له سهلة طليقة^(٢) فقال لها : أين انطلق زوجك ؟ فقالت : انطلق إلى الصيد ، قال : فما طعامكم ؟ قالت : اللحم والماء ، قال : اللهم بارك لهم في لحمهم ومائهم ، ثلاثاً . وقال لها : إذا جاء زوجك فأخبريه ؛ قولي^(٣) له جاء هاهنا شيخ من صفته كذا وكذا ، وإنه يقول لك : قد رضى لك عتبة بابك ، فأثبتها ، فلما جاء إسماعيل أخبرته ، قال : ثم جاء الثالثة ، فرفعا القواعد من البيت^(٤) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا يحيى بن عباد ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : جاء إبراهيم نبي الله بإسماعيل وهاجر فوضعهما بمكة في موضع زمزم ، فلما مضى نادته هاجر : يا إبراهيم ، إنما^(٥) أسألك ثلاث مرات : مَنْ أَمَرَكَ أَنْ تَضَعَنِي بِأَرْضٍ لَيْسَ فِيهَا زَرْعٌ وَلَا ضَرْعٌ وَلَا أُنَيْسٌ وَلَا مَاءٌ وَلَا زَادٌ ؟ قال : رَبِّي أَمَرَنِي ، قالت : فإنه لن يضيعنا ، قال : فلما قفا إبراهيم قال : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ﴾ يعنى من الحزن ﴿ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ^(٦) . فلما ظمى إسماعيل جعل يدحس^(٧) الأرض

٢٨٣/١ بعقبه فذهبت هاجر حتى علت الصفا ، والوادي يومئذ لاخ - يعنى عميق - فصعدت الصفا ، فأشرفت لتنظر : هل ترى شيئاً ؟ فلم تر شيئاً ، فأنحدرت فبلغت الوادي ، فسعت فيه حتى خرجت منه ، فأثت المروة فصعدت فاستشرفت : هل ترى شيئاً ؟ فلم تر شيئاً ، ففعلت ذلك سبع مرات ، ثم جاءت من المروة إلى إسماعيل ، وهو يدحس الأرض بعقبه ، وقد نبعت العين

(١) ن : « موضع » .

(٢) ١ ، « طليقة » ، والطلقة والطليقة : المستبشرة .

(٣) ط : « فقولي » وما أثبتته عن ا والتفسير .

(٤) الخبر في التفسير ٣ : ١٥٢ (بولاق) .

(٥) ط : « أنا » وما أثبتته من ا والتفسير .

(٦) سورة إبراهيم ٣٨ .

(٧) دحس الأرض : أثار غبارها ؛ وفي ا والتفسير : « دحس » ، وما يعنى .

وهي زمزم ، فجعلت تفحص الأرض بيدها عن الماء ، وكلما^(١) اجتمع ماء أخذته بقدحها ، فأفرغته في سقائها ، قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يرحمها الله ! لو تركتها لكانت عيناً سائحة تجرى إلى يوم القيامة » .

قال : وكانت جرهم يومئذ بواد قريب من مكة ، قال : ولزمت الطير الوادى حين رأت الماء ، فلما رأت جرهم الطير لزمت الوادى ، قالوا . ما لزمته إلا وفيه ماء ، فجاءوا إلى هاجر ، فقالوا : لو شئت كنا معك وأنسناك والماء ماؤك ، قالت : نعم ! فكانوا معها حتى شبّ لإسماعيل وماتت هاجر ، فتزوج إسماعيل امرأة من جرهم ، قال : فاستأذن إبراهيم سارة أن يأتي هاجر ، فأذنت له ، وشرطت عليه ألا ينزل ، وقدم إبراهيم - وقد ماتت هاجر - إلى بيت إسماعيل ، فقال لامرأته : أين صاحبك ؟ قالت : ليس ها هنا ، ذهب يتصيد ، وكان إسماعيل يخرج من الحرم فيتصيد ثم يرجع ، فقال إبراهيم : هل عندك^(٢) ضيافة ؟ هل عندك طعام أو شراب ؟ قالت : ليس عندي وما عندي أحد ، قال إبراهيم : إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام ، وقولي له : فليغير عتبة بابه ، وذهب إبراهيم وجاء إسماعيل ، فوجد ريح أبيه فقال لامرأته : هل جاءك أحد^(٣) ؟ قالت : جاءني شيخ صفته كذا - وكذا كالمستخفة بشأنه - قال : فما قال لك ؟ قالت : قال لي : أقرئي زوجك السلام ، وقولي له : فليغير عتبة بابه ، فطلقها وتزوج أخرى ، فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث ، ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل ، فأذنت له واشترطت عليه ألا ينزل ، فجاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب^(٤) إسماعيل ، فقال لامرأته : أين صاحبك ؟ قالت : ذهب يتصيد وهو يحيى الآن إن شاء الله ، فانزل يرحمك الله ! قال لها : هل عندك ضيافة ؟ قالت : نعم ، قال : هل عندك خبز أو بُرّ أو شعير أو تمر ؟ قال : فجاءت باللبن واللحم ، فدعا لهما^(٥) بالبركة ، فلو جاءت يومئذ بخبز

(١) ط والتفسير : « فكلما » وما أثبتته من ا .

(٢) س : « عندكم » .

(٣) ن : « شيخ » .

(٤) س : « مكان » .

(٥) ر ، س : « لها » .

أَوْ بُرٌّ أَوْ شَعِيرٌ أَوْ تَمْرٌ لَكَانَتْ أَكْثَرُ أَرْضِ اللَّهِ بَرًّا وَشَعِيرًا وَتَمْرًا ، فَقَالَتْ (١) :
 أَنْزِلْ حَتَّى أَغْسِلَ رَأْسَكَ ، فَلَمْ يَنْزِلْ ، فَجَاءَتْهُ بِالْمَقَامِ فَوَضَعَتْهُ عَنْ شِقِّهِ الْأَيْمَنِ ،
 فَوَضَعَ قَدَمَهُ عَلَيْهِ فَبَقِيَ أَثَرُ قَدَمِهِ عَلَيْهِ ، فَغَسَلَتْ شِقَّ رَأْسِهِ الْأَيْمَنِ ، ثُمَّ حَوَّلَتْ
 الْمَقَامَ إِلَى شِقِّهِ الْأَيْسَرِ ، فَغَسَلَتْ شِقَّهُ الْأَيْسَرَ ، فَقَالَ لَهَا : إِذَا جَاءَ زَوْجُكَ
 فَأَقْرِئِهِ السَّلَامَ ، وَقُولِي لَهُ : قَدْ اسْتَقَامَتْ عَتَبَةُ بَابِكَ . فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ وَجَدَ
 رِيحَ أَبِيهِ ، فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ : هَلْ جَاءَكَ أَحَدٌ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، شَيْخٌ أَحْسَنُ النَّاسِ
 وَجْهًا وَأَطْيَبُهُمْ رِيحًا ، فَقَالَ لِي : كَذَا وَكَذَا ، وَقُلْتُ لَهُ : كَذَا وَكَذَا ، وَغَسَلْتُ رَأْسَهُ ،
 وَهَذَا مَوْضِعُ قَدَمِهِ عَلَى الْمَقَامِ ، قَالَ : وَمَا قَالَ لَكَ ؟ قَالَتْ : قَالَ لِي : إِذَا جَاءَ
 زَوْجُكَ فَأَقْرِئِهِ السَّلَامَ ، وَقُولِي لَهُ : قَدْ اسْتَقَامَتْ عَتَبَةُ بَابِكَ ، قَالَ ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ ،
 فَلَبِثَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَلِيبَ وَأَمْرُهُ (٢) اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِنَاءَ الْبَيْتِ ، فَبَنَاهُ هُوَ وَإِسْمَاعِيلُ ،
 فَلَمَّا بَنِيَاهُ قِيلَ : ﴿ اذْنُ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ (٣) ، فَجَعَلَ لَا يَمُرُّ بِقَوْمٍ إِلَّا قَالَ : يَا أَيُّهَا
 النَّاسُ ، إِنَّهُ قَدْ بُنِيَ لَكُمْ بَيْتٌ فَحُجُّوهُ ، فَجَعَلَ لَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ ؛ لَا صَخْرَةً وَلَا
 شَجَرَةً وَلَا شَيْءَ إِلَّا قَالَ : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ . قَالَ : وَكَانَ بَيْنَ قَوْلِهِ : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي
 أَتُكِنُّ مِنْ دُرِّيَّتِي بَوَادِغٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ ، وَبَيْنَ قَوْلِهِ :
 ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ (٤) كَذَا وَكَذَا
 عَامًّا ؛ لَمْ يَحْفَظْ عَطَاءُ (٥) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَجِيدِ أَبُو عَلِيٍّ
 الْحَنْفِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ نَافِعٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ كَثِيرَ بْنَ كَثِيرٍ يَحْدُثُ عَنْ
 سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : جَاءَ - يَعْنِي إِبْرَاهِيمَ - فَوَجَدَ إِسْمَاعِيلَ
 يُصَلِّحُ نَبْلًا لَهُ مِنْ وَرَاءِ زَمْزَمَ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : يَا إِسْمَاعِيلُ ، إِنَّ رَبَّكَ قَدْ
 أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ لَهُ بَيْتًا ، فَقَالَ لَهُ إِسْمَاعِيلُ : فَأُطْعِمَ رَبَّكَ فِيمَا أَمَرَكَ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ :
 ٢٨٦/١

(١) ر : « على » .

(٢) ط : « فأمره » ؛ وما أثبتته من التفسير .

(٣) سورة الحج ٢٧ .

(٤) سورة إبراهيم ٣٧ ، ٣٩ .

(٥) الخبر في التفسير ١٣ : ١٥٢ - ١٥٣ (بولاق) .

قد أمرك أن تُعِينَنِي عَلَيْهِ قَالَ : إِذَا أَفْعَل ، قَالَ : فَمَقَامُ مَعَهُ ، فَجَعَلَ إِبْرَاهِيمُ بَيْنَهُ وَإِسْمَاعِيلَ يَنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ وَيَقُولَانِ : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(١) ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ الْبَنِيَانُ وَضَعُفَ الشَّيْخُ عَنْ رَفْعِ الْحِجَارَةِ قَامَ عَلَى حَجَرٍ ، وَهُوَ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ، فَجَعَلَ يَنَاوِلُهُ وَيَقُولَانِ : ﴿ تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(٢) .

فَلَمَّا فَرَغَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِنَائِهِ ، أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يُؤْذَنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ، فَقَالَ لَهُ : ﴿ وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ بَايَتَيْنِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ ^(٣) . فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ - فِيمَا ذَكَرْنَا - مَا حَدَّثَنَا بِهِ ابْنُ حُسَيْنٍ قَالَ : حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ قَابُوسَ بْنِ أَبِي ظَبْيَانَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : لَمَّا فَرَغَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ ، قِيلَ لَهُ : أُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ، قَالَ : يَا رَبِّ ، وَمَا يَبْلُغُ صَوْقِي ؟ قَالَ : أُذِّنْ وَعَلَى الْبَلَاغِ ، فَنَادَى إِبْرَاهِيمُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ، قَالَ : فَسَمِعَهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ : أَفَلَا تَرَى النَّاسَ يَجْثُونَ مِنَ أَقْصَى الْأَرْضِ يَلْبُثُونَ !

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عُرْفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ بْنُ غَزْوَانَ الضَّبِّيُّ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : لَمَّا بَنَى إِبْرَاهِيمُ الْبَيْتَ أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ : أَنْ أُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ، قَالَ : فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : أَلَا إِنْ رَبَّكُمْ قَدْ اتَّخَذَ بَيْتًا ، وَأَمَرَكُمْ أَنْ تَحْجُّوهُ ، فَاسْتَجَابَ لَهُ مَا سَمِعَهُ مِنْ شَيْءٍ ؛ مِنْ حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ أَكْمَةٍ أَوْ تَرَابٍ أَوْ شَيْءٍ : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ^(٣) !

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ وَاضِحٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ وَاقِدٍ ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَوْلُهُ : ﴿ وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ ، قَالَ : قَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلِيلُ اللَّهِ عَلَى الْحَجَرِ فَنَادَى :

(١) سورة البقرة ١٢٧ والخبر في التفسير ٣ : ٦٨ .

(٢) سورة الحج ٢٧ .

(٣) الخبر في التفسير ١٧ : ١٠٦ (بولاق) .

يأيها الناس ، كتب عليكم الحج ، فاستمع مَنْ في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، فأجابه مَنْ آمن ممن سبق في علم الله أن يحجَّ إلى يوم القيامة : لبَّيك اللهم لبَّيك^(١) !

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا سفيان ، عن سلمة ، عن مجاهد ، قال : قيل لإبراهيم : أذن في الناس بالحج ، فقال : يا رب ، كيف أقول ؟ قال : قل : لبَّيك اللهم لبَّيك ، قال : فكانت أول التلبية^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عمر ابن عبد الله بن عروة ؛ أن عبد الله بن الزبير قال لعبيد بن عمير الليثي : كيف بلغك أن إبراهيم دعا إلى الحج ؟ قال : بلغني أنه لما رفع هو وإسماعيل قواعد البيت ، وانتهى إلى ما أراد الله من ذلك ، وحضر الحج استقبل اليمين ، فدعا إلى الله وإلى حجِّ بيته فأجيب : أن لبَّيك اللهم لبَّيك ! ثم استقبل المشرق فدعا إلى الله وإلى حجِّ بيته فأجيب : أن لبَّيك اللهم ! ثم إلى المغرب فدعا إلى الله وإلى حجِّ بيته ، فأجيب : أن لبَّيك اللهم لبَّيك ! ثم إلى الشام فدعا إلى الله عزَّ وجلَّ وإلى حجِّ بيته فأجيب أن لبَّيك اللهم لبَّيك ؛ ثم خرج بإسماعيل وهو معه يوم التروية ، فنزل به منى ومن معه من المسلمين ، فصلَّى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ، ثم بات بهم حتى أصبح ، فصلَّى بهم صلاة الفجر ، ثم غدا بهم إلى عرفة ، فقال بهم هنالك ، حتى إذا مالت الشمس جَمَعَ بين الصلاتين : الظهر والعصر ، ثم راح بهم إلى الموقف من عرفة ، فوقف بهم على الأراك^(٣) ، وهو الموقف من عرفة الذي يقف عليه الإمام يريه ويعلمه ، فلما غربت الشمس دفع به وبمن معه حتى أتى المزدلفة ، فجمع فيها بين الصلاتين : المغرب والعشاء الآخرة ، ثم بات بها^(٤) وبمن معه ، حتى إذا طلع الفجر صلَّى بهم صلاة الغداة ، ثم وقف به على قُزَح من المزدلفة فيمن معه ، وهو الموقف

(١) الخبر في التفسير ١٧ : ١٠٦ (بولا).

(٢) الخبر في التفسير ١٧ : ١٠٦ (بولا).

(٣) الأراك : من مواقف عرفة ، بعضه من جهة الشام وبعضه من اليمن .

(٤) كذا في ١ ، في ط : « به » .

الذى يقف به الإمام حتى إذا أسفر دَفَعَ به وبمن معه يُرِيه ويعلمه كيف يصنع ، حتى رمى الجمرَةَ الكبرى ، وأراه المنحَر من منى ، ثم نحر وحلق ، ثم أفاض به من منى ليرِيه كيف يطوف ، ثم عاد به إلى منى ليرِيه كيف يرمى الجمار ، حتى فرغ له من الحج وأذن به فى الناس .

* * *

قال أبو جعفر : وقد رُوِيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن بعض أصحابه أن جبرئيل هو الذى كان يُرى لإبراهيم المناسك إذا حج . ٢٨٩/١
ذكر الرواية بذلك عن رسول الله :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى — وحدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى — قال : أخبرنا ابن أبي ليلى ، عن ابن أبي مليكة ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أتى جبرئيل إبراهيم يوم التروية فراح به إلى منى ، فصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والفجر بمنى ، ثم غدا به إلى عرفات ، فأنزله الأراك — أو حيث ينزل الناس — فصلّى به الصلاتين جميعاً : الظهر والعصر ، ثم وقف به حتى إذا كان كأعجل ما يصلّى أحد من الناس المغرب ، أفاض حتى أتى به جمعاً ، فصلّى به الصلاتين جميعاً : المغرب والعشاء ، ثم أقام حتى إذا كان كأعجل ما يصلّى أحد من الناس الفجر صلّى به ، ثم وقف حتى إذا كان كأبطأ ما يصلّى أحد من المسلمين الفجر أفاض به إلى منى ، فرمى الجمرَةَ ، ثم ذبح وحلق ، ثم أفاض إلى البيت ، ثم أوحى الله عز وجل إلى محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَنْ أَتْبِعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ^(١) .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عمران بن محمد بن أبي ليلى ، قال : حدثني أبي ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن عبد الله بن عمرو ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه .

* * *

ثم إن الله تعالى ذكره ابتلى خليله إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه .
واختلف السلف من علماء أمة نبينا صلى الله عليه وسلم في الذي أمرَ
إبراهيم بذبحه من ابنه ، فقال بعضهم : هو إسحاق بن إبراهيم ، وقال ٢٩٠/١
بعضهم : هو إسماعيل بن إبراهيم ، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلا القولين ، لو كان فيهما صحيح لم نَعُدْهُ إلى غيره ، غير أن الدليل من
القرآن على صحة الرواية التي رويت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « هو
إسحاق » أوضح وأبين منه على صحة الأخرى .

والرواية التي رويت عنه أنه قال : « هو إسحاق » حدثنا بها أبو كريب ،
قال : حدثنا زيد بن الحباب ، عن الحسن بن دينار ، عن علي بن زيد بن
جُدعان ، عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب ، عن
النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكر فيه : ﴿ وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ^(١)
قال : « هو إسحاق » ^(٢) .

* * *

وقد روى هذا الخبر عن غيره من وجه أصح من هذا الوجه ، غير أنه
موقوف على العباس غير مرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب قال : حدثنا ابن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن ،
عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب : ﴿ وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾
قال : « هو إسحاق » ^(٣) .

وأما الرواية التي رويت عنه أنه هو إسماعيل ، فها حدثنا محمد بن عمار
الرازي ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة ، قال : حدثنا عمر بن
عبد الرحيم الخطابي ، عن عبد الله بن محمد العُتْبِيّ من ولد عُتْبَةَ بن أبي سفيان ،
عن أبيه ، قال : حدثني عبد الله بن سعيد ، عن الصُّنَابْحِي ، قال : كنا عند معاوية

(١) سورة الصافات ١٠٧ .

(٢) الخبر في التفسير ٥١: ٢٣ (بلاق) . (٣) الخبر في التفسير ٥١: ٢٣ (بلاق) .

ابن أبي سفيان ، فذكروا الذبيح : إسماعيل أو إسحاق ؟ فقال : على الخير سقطم ، كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءه رجل فقال : يا رسول الله ، عدُّ علىّ مما أفاء الله عليك يا بن الذبيحين ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقليل له : وما الذبيحان يا رسول الله ؟ فقال : (إن عبد المطلب لما أمير بحجر زمزم نذر لله : لئن سهل الله له أمرها ليدبحنّ أحد ولده) ، قال : فخرج السهم على عبد الله ، ففنع أخواله وقالوا : افد ابنك بمائة من الإبل ، ففداه بمائة من الإبل وإسماعيل الثاني ^(١) .

* * *

ونذكر الآن من قال من السلف إنه إسحاق ، ومن قال إنه إسماعيل .

* ذكر من قال هو إسحاق :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ قال : هو إسحاق .

حدثنا الحسين بن يزيد الطحّان ، قال : حدثنا ابن إدريس ، عن داود ابن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : الذي أمر بذبحه إبراهيم هو إسحاق .

٢٩١/١

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا ابن عليه ، عن داود ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس : الذبيح هو إسحاق .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا ابن أبي عدى ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ قال : هو إسحاق .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، قال : افتخر رجل عند ابن مسعود ، فقال : أنا فلان ابن فلان ابن الأشياخ الكرام ، فقال عبد الله : ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ، ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا إبراهيم بن المختار ، قال : حدثنا محمد ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر، عن الزهري ، عن العلاء بن جارية الثقفي ، عن أبي هريرة، عن كعب ، في قوله : ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال : من ابنه إسحاق .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن محمد بن مسلم الزهري ، عن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي ، حليف بني زهرة ، عن أبي هريرة ، عن كعب الأحبار ، أن الذي أمر بذبحه إبراهيم من ابنه إسحاق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب، أن عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية الثقفي ، أخبره أن كعباً قال لأبي هريرة : ألا أخبرك عن إسحاق بن إبراهيم النبي ؟ قال أبو هريرة : بلى ، قال كعب : لما أرى^(١) إبراهيم ذبح إسحاق ، قال الشيطان : والله لئن لم أقتن عند هذا آل إبراهيم لا أقتن أحداً منهم أبداً ، فتمثل الشيطان لهم رجلاً يعرفونه ، فأقبل حتى إذا خرج إبراهيم بإسحاق ليذبحه دخل على سارة امرأة إبراهيم ، فقال لها : أين أصبح إبراهيم غادياً بإسحاق ؟ قالت : غدا لبعض حاجته ، قال الشيطان : لا والله ما لذلك غدا به ، قالت سارة : فلم غدا به ؟ قال : غدا به ليذبحه ، قالت سارة : ليس من ذلك شيء ، لم يكن ليذبح ابنه ، قال الشيطان : بلى والله ، قالت سارة : فلم يذبحه ؟ قال : زعم أن ربه أمره بذلك ، قالت سارة : فهذا حسن^(٢) بأن يطيع ربه إن كان أمره بذلك . فخرج الشيطان من عند سارة حتى أدرك إسحاق وهو يمشي على أثر أبيه ، فقال له : أين أصبح أبوك غادياً بك ؟ قال : غدا لي لبعض حاجته ، قال الشيطان : لا والله ، ما غدا بك لبعض حاجته ، ولكنه^(٣) غدا بك ليذبحك .

(١) ب ، ن : « لما أرى » .

(٢) كذا في ا ، ن ، وفي ط : « فهذا أحسن » .

(٣) ن : « وإنما » .

قال إسحاق : ما كان أبى ليذبحنى ، قال : بلى ، قال : لم ؟ قال : زعم أن ربّه أمره بذلك ، قال إسحاق : فوالله لئن أمره بذلك لم يُطيعنّه ، فتركه الشيطان وأسرع إلى إبراهيم ، فقال : أين أصبحت غادياً بابنك ؟ قال : غدوت به لبعض حاجتى ، قال : أما والله ما غدوت به إلا لتذبحه ، قال : لم أذبحه ؟ قال : زعمت أن ربك أمرك بذلك ، قال : فوالله لئن كان أمرنى ربى لأفعلنّ ، قال : فلما أخذ إبراهيم إسحاق ليذبحه وسلم إسحاق أعفاه الله ، وفداه بذبح عظيم . قال إبراهيم لإسحاق : قم أى بُنىّ ، فإن الله قد أعفاك ، فأوحى الله إلى إسحاق : إنى أعطيك دعوة أستجيب لك فيها ، قال إسحاق : اللهم فإنى أدعوك أن تستجيب لى : أيما عبدٍ لقيك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئاً فأدخِلْهُ الجنة (١) .

٢٩٤/١

حدثنى عمرو بن على ، قال ، حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، عن أبيه ، قال : قال موسى : يا ربّ ، يقولون يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فيم قالوا ذلك ؟ قال : إن إبراهيم لم يعدل بى شيئاً قطّ إلا اختارنى عليه ، وإن إسحاق جادّ لى بالذبح وهو بغير ذلك أجود ، وإن يعقوب كلّما زدته بلاء زادنى حسن ظنّ .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا مؤمّل ، قال : حدثنا سفيان ، عن زيد ابن أسلم ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، عن أبيه قال : قال موسى : أى ربّ بمّ أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما أعطيتهم ؟ فذكر نحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن ابن سابط ، قال : هو إسحاق .

٢٩٥/١

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان عن سفيان ، عن أبي سنان الشيبانى ، عن ابن أبي الهذيل ، قال : الذبيح هو إسحاق .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا سفيان بن عتبة ، عن حمزة الزيات ، عن أبى إسحاق ، عن أبى ميسرة ، قال : قال يوسفُ للملك فى وجهه ترغّب

أن تأكل معي ، وأنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله بن إسحاق ذبيح الله
ابن إبراهيم خليل الله !

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن سفيان ، عن أبي سنان ،
عن ابن أبي الهذيل ، قال : قال يوسف للملك ، فذكر نحوه .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا
أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن
ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ، أن إبراهيم عليه السلام أرى في المنام فقيلاً له : أوف
نذرك^(١) الذي نذرت : إن رزقك الله غلاماً من سارة أن تذبحه .

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا هشيم ، قال : حدثنا زكرياء وشعبة ، عن
أبي إسحاق ، عن مسروق في قوله : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ قال :
هو إسحاق .

* * *

* ذكر من قال هو إسماعيل :

حدثنا أبو كريب وإسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : حدثنا
يحيى بن يمان ، عن إسرائيل ، عن ثوير^(٢) ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : ٢٩٦/١ :
الذبيح إسماعيل .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا يحيى ، قال : حدثنا سفيان ، قال :
حدثنا بيان ، عن الشعبي ، عن ابن عباس : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ،
قال : إسماعيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا أبو حمزة
محمد بن ميمون السكري عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس

(١) : « بنذرك » .

(٢) وهو ثوير من أبي فاضة أبو الجهم الكوفي ؛ ذكر ابن حجر في التهذيب ٢ : ٣٦ أن
إسرائيل عن روى عنه . وفي ب : « ثور » وهو خطأ .

قال : إن الذى أمير بذبحه إبراهيم إسماعيل .

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا هشيم ، عن على بن زيد ، عن عمار مولى بنى هاشم ، وعن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس قال : هو إسماعيل ، يعنى : ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ .

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا ابن علية ، قال : حدثنا داود ، عن الشعبي ، قال : قال ابن عباس : هو إسماعيل .

وحدثني به يعقوب مرة أخرى ، قال : حدثنا ابن علية ، قال : سئل داود بن أبي هند : أى ابنى إبراهيم أمير بذبحه ؟ فزعم أن الشعبي قال : قال ابن عباس : هو إسماعيل .

حدثنا ابن المثني ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن بيان ، عن الشعبي ، عن ابن عباس ، أنه قال فى الذى ، فداه الله بذبح عظيم ، قال : هو إسماعيل . ٢٩٧/١

حدثنا يعقوب ، قال : حدثنا ابن علية ، قال : حدثنا ليث ، عن مجاهد عن ابن عباس ، قوله : ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ ، قال : هو إسماعيل .

وحدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : ، حدثنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمر بن قيس ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن عبد الله بن عباس ، أنه قال : المفدى إسماعيل ، وزعمت اليهود أنه إسحاق ، وكذبت اليهود .

وحدثني محمد بن سنان القزاز ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن مبارك ، عن على بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس : الذى فداه الله عز وجل قال : هو إسماعيل .

حدثني محمد بن سنان ، قال : حدثنا حجاج ، عن حماد ، عن أبي عاصم الغنوي ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس مثله .

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : حدثني خالد بن عبدالله ، عن داود ، عن عامر ، قال : الذي أراد إبراهيم ذبحه إسماعيل .

حدثنا ابن المني ، قال : حدثني عبد الأعلى ، قال : حدثنا داود ، عن عامر أنه قال في هذه الآية ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : هو إسماعيل ، قال : وكان قَرْنَا الكِشِ مَنْوُطِينَ بالكعبة .

٢٩٨/١

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن الشعبي ، قال : الذبيحُ إسماعيل .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن الشعبي ، قال : رأيتُ قرني الكِشِ في الكعبة .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن مبارك بن فضالة ، عن علي بن زيد بن جُدعان ، عن يوسف بن مِهْران ، قال : هو إسماعيل .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، قال : حدثنا سفيان ، عن ابن أبي تَجِيح ، عن مجاهد ، قال : هو إسماعيل .

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا هشيم ، قال : أخبرنا عوف ، عن الحسن : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : هو إسماعيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي وهو يقول : إن الذي أمر الله عز وجل إبراهيم بذبحه من ابنه إسماعيل ، وإننا لنجدُ ذلك في كتاب الله عز وجل في قصة الخبر عن إبراهيم وما أمر به من ذبح ابنه ، أنه إسماعيل ، وذلك أن الله عز وجل يقول حين فرغ من قصة المذبح من ابني إبراهيم قال : ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ^(١) ويقول : ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ

يَعْقُوبَ^(١)؟ يقول : بابين وابن ابن ، فلم يكن يأمره بذبح إسحاق ، وله فيه من الله من الموعود ما وعده ، وما الذي أُمرَ بذبحه إلا إسماعيل^(٢) . ٢٩٩/١

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، قال : حدثنا محمد بن إسحاق، عن بُرَيْدَةَ بن سفيان بن فروة الأسلمي، عن محمد بن كعب القرظي، أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز ، وهو خليفة إذ كان معه بالشام ، فقال له عمر : إن هذا لشيء ما كنتُ أنظر فيه ، وإني لأراه كما قلت ، ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهودياً فأسلم ، فحسن إسلامه ، وكان يرى أنه من علماء اليهود . فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك . قال محمد بن كعب القرظي : وأنا عند عمر بن عبد العزيز ، فقال له عمر : أي ابني إبراهيم أمر بذبحه ؟ فقال : إسماعيل ؛ والله يا أمير المؤمنين ، إن يهود لتعلم بذلك ، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أبائكم الذي كان من أمر الله فيه ، والفضل الذي ذكره الله منه لصبره على ما أمر به ، فهم يحسدون ذلك ، ويزعمون أنه إسحاق ، لأن إسحاق أبوهم^(٣) .

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الحسن بن دينار وعمر بن عبيد ، عن الحسن بن أبي الحسن البصري، أنه كان لا يشك في ذلك أن الذي أمر بذبحه من ابني إبراهيم إسماعيل .

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، قال : قال محمد بن إسحاق : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول ذلك كثيراً . ٣٠٠/١

• • •

وأما الدلالة من القرآن التي قلنا إنها على أن ذلك إسحاق أصح ، فقوله تعالى مخبراً عن دعاء خليله إبراهيم حين فارق قومه مهاجراً إلى ربه إلى الشام مع زوجته

(١) سورة هود ٧١

(٢) الخبر في التفسير ١٣ : ٥٤ (بولاقي)

(٣) الخبر في التفسير ٢٣ : ٥٢ (بولاقي)

سارة، فقال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ رَبُّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢)، وذلك قبل أن يعرف هاجر، وقبل أن تصير له أم إسماعيل، ثم أتبع ذلك ربنا عز وجل الخبر عن إجابته دعاءه، وتبشيره^(٣) إياه بغلام حلیم، ثم عن رؤيا إبراهيم أنه يذبح ذلك الغلام حين بلغ معه السعى، ولا يُعلم في كتاب ذكر^(٤) لتبشير إبراهيم بولده ذكر إلا بإسحاق، وذلك قوله: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾^(٥) وقوله: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بَغْلَامٍ عَليمٍ﴾ فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجز عقيم^(٦) ثم ذلك كذلك في كل موضع ذكر فيه تبشير إبراهيم بغلام، فإنما ذكر تبشير الله إياه به من زوجته سارة، فالواجب أن يكون ذلك في قوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغْلَامٍ حَلِيمٍ﴾^(٨) نظير^(٩) ما في سائر سور القرآن من تبشيره إياه به من زوجته سارة.

* * *

وأما اعتلال من اعتل بأن الله لم يكن يأمر إبراهيم بذبح إسحاق، وقد أتته البشارة من الله قبيل ولادته بولادته وولادة يعقوب منه من بعده، فإنها علّة غير موجبة صحة ما قال، وذلك أن الله إنما أمر إبراهيم بذبح إسحاق بعد إدراك إسحاق السعى. وجائز^(١٠) أن يكون يعقوب ولد له قبل أن يؤمر أبوه بذبحه، وكذلك لا وجه لاعتلال من اعتل في ذلك بقرن الكبش أنه رآه معلقاً في الكعبة، وذلك أنه غير مستحيل أن يكون حُمِل من الشام إلى الكعبة فعلق هنالك.

- | | |
|----------------------|--|
| (١) أ : « قال » . | (٢) سورة الصافات ٩٩ ، ١٠٠ . |
| (٣) ن : « تبشيره » . | (٤) ط : « في كتاب الله عز وجل تبشير لإبراهيم » . |
| (٥) سورة هود ٧١ . | (٦) سورة الذاريات ٢٨ ، ٢٩ . |
| (٧) ر : « ذكر » . | (٨) سورة الصافات ١٠١ . |
| (٩) ر : « نظيرها » . | (١٠) ر : « وجاز » . |

ذكر الخبر عن صفة فعل إبراهيم
وابنه الذي أمر بذبحه فيما كان أمر به من ذلك
والسبب الذي من أجله أمر إبراهيم بذبحه

والسبب في أمر الله عز وجل إبراهيم بذبح ابنه الذي أمره بذبحه
فيما ذكر أنه إذ فارق قومه هارباً بدينه مهاجراً إلى ربه متوجّهاً إلى الشام
من أرض العراق دعا^(١) الله أن يهب له ولداً ذكراً صالحاً من سارة فقال :
﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [يعني بذلك ولداً صالحاً من الصالحين^(٢)] كما
أخبر الله تعالى عنه فقال : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ رَبِّ هَبْ
لِي مِنَ الصَّالِحِينَ . فلما نزل به أضيافه من الملائكة الذين كانوا أرسلوا إلى
المؤتفكة قوم لوط بشروه بغلام حلیم عن أمر الله تعالى إياهم بتبشيره ، فقال
إبراهيم إذ بشر به : هو إذأ لله ذبيح . فلما ولد الغلام وبلغ السعى قيل له :
أوف بنذرك الذي نذرت لله .

* ذكر من قال ذلك :

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثني عمرو بن حماد ، قال : حدثنا
أسباط ، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك . وعن أبي صالح ، عن ابن
عباس - وعن مرة الهمداني ، عن عبد الله - وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال : قال جبرئيل عليه السلام لسارة : أبشري بولد اسمه إسحاق ،
ومن وراء إسحاق يعقوب ، فضربت جبينها عجباً ، فذلك قوله : ﴿ فَصَكَتُ
وَجْهَهَا ﴾^(٣) . وقالت : ﴿ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾
﴿ قَالُوا أَتَمْنَحِينَ مِنَ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةً اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ

(١) ر : « إلى الله » .

(٢) تكملة من ١ .

(٣) سورة الذاريات ٢٩

الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ^(١) . قالت سارة لجبرائيل : ما آية ذلك ؟
 فأخذ بيده عوداً يابساً فلواه بين أصابعه فاهتزّ أخضر ، فقال إبراهيم : هو إذا
 لله ذبيح ، فلما كبر إسحاق أتى^(٢) إبراهيم في النوم فقيل له : أوف بندرك الذي
 نذرت ، إن رزقك الله غلاماً من سارة أن تدبجه . فقال لإسحاق : انطلق فقرب
 قرباناً إلى الله . وأخذ سكيناً وجلاً ، ثم انطلق معه حتى إذا ذهب به بين الجبال
 قال له الغلام : يا أبت ، أين قربانك ؟ قال : يا بني إني أرى في المنام أني
 أذبحك فانظر ماذا ترى . قال : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من
 الصابرين ، قال له إسحاق : اشدد رباطي حتى لا أضطرب واكفف عن^(٣)
 ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء فتراه سارة فتحزن ، وأسرع مَرَّ
 السكين على حلقى ليكون أهونَ للموت على^(٤) ، وإذا أتيت سارة فاقرأ عليها
 السلام . فأقبل عليه إبراهيم عليه السلام يقبله وقد ربطه وهو يبكي ، وإسحاق
 يبكي ، حتى استنقع الدموع تحت خدّ إسحاق ، ثم إنه جرّ السكين على
 حلقه فلم يَحِكْ^(٥) السكين ، وضرب الله عزّ وجلّ صفيحة من نحاس على حلق
 إسحاق ، فلما رأى ذلك ضرب به على جبينه ، وحزّ في قفاه قوله عزّ وجلّ :
 ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّ لِلْجَبِينِ ﴾^(٥) . يقول : سلما لله الأمر ، فنودي : يا إبراهيم
 قد صدقت الرؤيا بالحق . التفت ، فإذا بكيش ، فأخذه وخلّى عن ابنه ، فأكبّ
 على ابنه يقبله وهو يقول : يا بني اليوم وهبت لي ، فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَقَدْ يَنَافُ
 بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ . فرجع إلى سارة فأخبرها الخبر ، فجزعت سارة وقالت : يا إبراهيم ،
 أردت أن تدبح ابني ولا تعلمني^(٦) !

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال :
 كان إبراهيم فيما يقال إذا زارها — يعني هاجر — حميل على البراق يغدو من

(٢) ط : « أرى » ، وما أثبتته عن ١ ، ن .

(٤) لم يحك : لم يقطع .

(٦) الخبر في التفسير ٢٣ : ٤٩ (بولاق) .

(١٨)

(١) سورة هود ٧٢ ، ٧٣

(٣) ١ : « عني » .

(٥) سورة الصافات ١٠٣

الشَّام ، فيقبل بمكة ، ويروح من مكة ، فبييت عند أهله بالشَّام ، حتى إذا بلغ معه السَّعْيَ ، وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرمانه أرى في المنام أن يذبحه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم أن إبراهيم حين أمير بذبح ابنه قال له : يا بني خذ الحبل والمُدْيَةَ ، ثم انطلق بنا إلى هذا الشعب ليحطب^(١) أهلك منه ، قبل أن يذكر له شيئاً مما أمر به . فلما وجه إلى الشعب اعترضه عدو الله إبليس ليصدّه عن أمر الله في صورة رجل ، فقال : أين تريد أيها الشيخ ؟ قال : أريد هذا الشعب لحاجة لي فيه ، فقال : والله إنى لأرى الشيطان قد جاءك في منامك ، فأمرك بذبح بنيك هذا ، فأنت تريد ذبحه ، فعرّفه إبراهيم ، فقال : إليك عنّي ، أي عدو الله ، فوالله لأمضين لأمر ربّي فيه ، فلما يش عدو الله إبليس من إبراهيم اعترض إسماعيل وهو وراء إبراهيم يحمل الحبل والشَّفْرَةَ ، فقال له : يا غلام هل تدري أين يذهب بك أبوك ؟ قال : يحطب^(٢) أهلنا من هذا الشعب ، قال : والله ما يريد إلا أن يذبحك ، قال : لِمَ ؟ قال : زعم أن ربه أمره بذلك ، قال : فليفعل ما أمره به ربه ، فسمعاً وطاعة . فلما امتنع منه الغلام ذهب إلى هاجر أم إسماعيل وهي في منزلها ، فقال لها : يا أمّ إسماعيل ، هل تدري أين ذهب إبراهيم بإسماعيل ؟ قالت : ذهب به يحطبنا^(٣) من هذا الشعب ، قال : ما ذهب به إلا ليذبحه ، قالت : كلاًّ هو أرحمُ به وأشدّ حبّاً له من ذلك ، قال : إنّه يزعم أن الله أمره بذلك ، قالت : إن^(٤) كان ربه أمره بذلك فتسليماً لأمر الله . فرجع علوّ الله بغیظه لم يصب من آل إبراهيم شيئاً مما أراد ، وقد امتنع^(٥) منه إبراهيم وآل إبراهيم بعون الله ، وأجمعوا^(٦) لأمر الله بالسمع والطاعة ،

(١) ن : « لنحطب لأهلك » .

(٢) ر ، ن : « يحطب لأهلنا » .

(٣) ن : « ليحطب لنا » .

(٤) ا : « فإن » .

(٥) ط : « قد امتنع » ، وما أثبتته عن ا .

(٦) ر : « واجتمعوا » .

فلما خلا إبراهيم بابنه في - الشعب وهو فيها يزعمون شعب ثبير - قال له : يا بني ،
إني أرى في المنام أني أذبحك قال : يا أبت افعل ما تؤمر ، ستجدني إن شاء الله
من الصابرين .

قال ابن حميد : قال سلمة : قال محمد بن إسحاق عن بعض أهل
العلم : إن إسماعيل قال له عند ذلك : يا أبت إن أردت ذبحي فاشدد رباطي
لا يُصيبك (١) مني شيء فينقص أجرى ، فإن الموت شديد ، وإني لا آمن
أن أضطرب عنده إذا وجدت مسه ، واشحذ شفرتك حتى تُجهز علي فترينني ،
وإذا أنت أضجعتني لتذبحني فكبتني لوجهي على جبیني ولا تُصجعتني لشيء ،
فإني أخشى إن أنت نظرت في وجهي أن تدركك رقة تحول بينك وبين أمر
الله في ، وإن رأيت أن ترد قميصي على أمي فإنه عسى أن يكون هذا أسلتي
لها عني ، فافعل . قال : يقول له إبراهيم : نعم العون أنت يا بني على أمر
الله . قال : فربطه كما أمره إسماعيل فأوثقه ، ثم شحذ شفرته ثم تله للجبين
واتقى النظر في وجهه ، ثم أدخل الشفرة حلقة فقلبها الله لقفاه في يده ، ثم اجتذبا
إليه ليفرغ منه ، فنودي : أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ، هذه ذبيحتك فداء
لابنك فاذبحها دونه ، يقول الله عز وجل ، ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ ، وإنما
تسل الذبائح على خلدوها ، فكان مما صدق عندنا هذا الحديث عن إسماعيل
في إشارته على أبيه بما أشار إذ قال : كبتني على وجهي قوله : ﴿ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ .
وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . ٣٠٦/١
إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبْتَلِي * وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿ (٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن
دينار ، عن قتادة بن دعامه ، عن جعفر بن إياس ، عن عبد الله بن عباس ،
قال : خرج عليه كبش من الجنة قد رعاها قبل ذلك أربعين خريفاً ، فأرسل
إبراهيم ابنه فاتبع الكبش ، فأخرجه إلى الحمرة الأولى فرماه بسبع حصيات ،

(١) ن : « حتى لا يصيبك » .

(٢) سورة الصافات ١٠٣ - ١٠٧ .

فأفلته عنده ، فجاء الجمرة الوسطى ، فأخرجه عندها ، فرماه بسبع حصيات ، ثم أفلته فأدركه عند الجمرة الكبرى ، فرماه بسبع حصيات ، فأخرجه عندها ، ثم أخذه فأثى به المنحرم من منى فذبجه ، فوالذى نَفَسُ ابن عباس بيده ، لقد كان أول-الإسلام ، وإن رأس الكبش لعلق بقرنيه فى ميزاب الكعبة ، وقد وَخَّش - يعنى قد ييس .

حدثنى محمد بن سنان القزاز ، قال : حدثنى حجاج ، عن حماد ، عن أبي عاصم الغنوى ، عن أبي الطُّفَيْل ، قال : قال ابن عباس : إن إبراهيم لما أُمر بالمناسك عَرَضَ له الشيطان عند المسعى ^(١) فسابقه ، فسبقه إبراهيم ، ثم ذهب به جبرئيل عليه السلام إلى جمرة العقبة ، فعرض له الشيطان ، فرماه بسبع حصيات . حتى ذهب ، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى ، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم تله للجبين ، وعلى إسماعيل قميص أبيض ، فقال له : يا أبت إنه ليس لى ثوب تكفنى ^(٢) فيه غير هذا فاخلعه عنى ، فأكفنى فيه ، فالتفت إبراهيم عليه السلام فإذا هو بكبش أعين أبيض أقرن فذبجه ، فقال ابن عباس : لقد رأيتنا نتبع هذا الضرب من الكباش ^(٣) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : حدثنى أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى وحدثنى الحارث ، قال : حدثنا الحسن ، قال ، حدثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن أبى نجيع ، عن مجاهد ، قوله : ﴿ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ ، قال : وضع وجهه للأرض قال : لا تدبجنى وأنت تنظر إلى وجهى عسى أن ترحمنى ؛ فلا تجهز علىّ ؛ اربط يديّ إلى رقبتي ، ثم ضع وجهى للأرض .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أبي الطفيل ، عن عليّ عليه السلام : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : كبش أبيض أقرن أعين مربوط بِسَمَرٍ ^(٤) فى ثبير .

(١) ر : « السعى » . (٢) ر : « تكفى » .

(٣) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٥١ (بولاق) .

(٤) سمر ، كرجل : من شجر العضاء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن جُرَيْج ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : كبش . قال عبيد بن عمير : ذبح بالمقام ، وقال مجاهد : ذبح بمنى في المنحر .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا سفيان ، عن ابن خُثَيْم ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : الكبش الذي ذبحه إبراهيم عليه السلام هو الكبش الذي قرّبه ابن آدم فتقبل منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبيرة : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : كان الكبش الذي ذبحه إبراهيم رعى في الجنة أربعين سنة ، وكان كبشاً أملح ، صوفه مثل العهن الأحمر .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن ٣٠٨/١ رجل ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : كان وعيلاً .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمرو ابن عبيد ، عن الحسن أنه كان يقول : ما فُدىَ إسماعيلُ إلا بتيس كان من الأروى ، أهبط عليه من ثبير ، وما يقول الله : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ لذبيحته فقط ، ولكنه الذبح على دينه ، فتلك السنة إلى يوم القيامة ، فاعلموا أن الذبيحة تدفع ميتة السوء ، فضحوا عباد الله .

وقد قال أمية بن أبي الصلت في السبب الذي من أجله أمر إبراهيم بذبح ابنه شعراً ، ويحقق بقيله ما قال في ذلك الرواية التي روينها عن السدي ، وأن ذلك كان من إبراهيم عن نذر كان منه ، فأمره الله بالوفاء به ، فقال :

وَلِإِبْرَاهِيمَ الْمُؤْتَى بِالنَّذْرِ
رِ احْتِسَابًا وَحَامِلِ الْأَجْزَالِ^(١)

بَكَرِهِ لَمْ يَكُنْ لِيَصْبِرَ عَنْهُ أَوْ يَرَاهُ فِي مَشْرِيقِ أَقْيَالٍ
 أَيْ بُنَى إِنِّي نَذَرْتُكَ لِلْمَشْحِيطِ فَأَصْبِرْ فِدَى لَكَ خَالِي^(١)
 وَاشْدُدِ الصَّفَدَ لَا أَحِيدُ عَنْ السَّكِينِ حَيْدَ الْأَسِيرِ ذِي الْأَغْلَالِ
 وَلَهُ مُدَيَّةٌ تَخَايَلُ فِي اللَّحْمِ جَذَامٌ حَنِيتٌ كَالِهَلَالِ
 بَيْنَمَا يَخْلَعُ السَّرَايِلَ عَنْهُ فَكَّهُ رَبُّهُ بِكَبْشٍ جُلَالِ
 فَخَذَنَ ذَا قَارَسِلَ ابْنَكَ إِنِّي لِلَّذِي قَدْ فَعَلْتَمَا غَيْرُ قَالَ
 وَالِدٌ يَتَّقِي وَآخِرُ مَوْلُو دُفْطَارِ أَمِنَهُ سَمِعَ فَصَالَ^(٢)
 رُبَّمَا تَجَزَعُ النُّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ لَهُ فَرَجَةٌ كَحُلِّ الْعِقَالِ

٣٠٩/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا الحسين
 — يعنى ابن واقد — عن زيد ، عن عكرمة : قوله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا ﴾ :
 قال : أسلما جميعاً لأمر الله ؛ رضى الغلام بالذبح ورضى الأب بأن يذبحه .
 قال : يا أبت اقدنى للوجه كيلا تنظر إلى فترحمنى ، وأنظر أنا إلى الشفرة
 فأجزع ، ولكن أدخل الشفرة من تحنى ، وامض لأمر الله ، فذلك قوله تعالى :
 ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ ، فلما فعل ذلك نادينا به ﴿ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ
 سَدَقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

* * *

[ذكر ابتلاء الله إبراهيم بكلمات]

وكان ممن امتحن الله به إبراهيم عليه السلام وابتلاه به — بعد ابتلائه بإياه بما
 كان من أمره وأمر ثمرود بن كوش ، ومحاولة إحراقه بالنار وابتلائه بما كان
 من أمره بإياه بذبح ابنه ، بعد أن بلغ معه السعى ورجا نفعه ومعونته على
 ما يقربه من ربه عز وجل ورفع القواعد من البيت ، ونسكه المناسك — ابتلاؤه
 جل جلاله بالكلمات التى أخبر الله عنه أنه ابتلاه بهن فقال : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى

(١) كذا فى ١ ، ر ، وفى ط : « حال » .

(٢) السمع : الذكر الجميل . وفى الخزانة : « بسمع معال » .

إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ^(١)

• • •

وقد اختلف السلف من علماء الأمة في هذه الكلمات التي ابتلاه الله بهن^٢ فأتمهن^٣ ، فقال بعضهم : ذلك ثلاثون سهماً ، وهي شرائع الإسلام . ٣١٠/١

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثنا عبد الأعلى ، قال : حدثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ ، قال : قال ابن عباس : لم يُبْتَلْ أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم عليه السلام ، ابتلاه الله تعالى بكلمات فأتمهن^٤ ، قال : فكتب الله تعالى له البراءة فقال : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾^(١) : عشر^٥ منها في الأحزاب ، وعشر منها في براءة^٦ ، وعشر منها في المؤمنين ، وسأل سائل ، وقال : إن هذا الإسلام ثلاثون سهماً .

حدثنا إسحاق بن شاهين الواسطي ، قال : حدثنا خالد الطحان ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ما ابتلي أحد بهذا الدين فقام به كله غير إبراهيم عليه السلام ؛ ابتلي بالإسلام فأتمه ، فكتب الله له البراءة فقال : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ ، فذكر عشر^٧اً في براءة ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ... ﴾^(٢) وعشر^(٣)اً في الأحزاب : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ... ﴾^(٤) وعشر^(٥)اً في سورة «المؤمنين» إلى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾^(٥) ، وعشر^(٦)اً في سأل سائل : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾^(٦) .

(٢) سورة النجم ٣٧

(٤) سورة الأحزاب ٣٥

(٦) سورة المعارج ٣٤

(١) سورة البقرة ١٢٤

(٣) سورة التوبة ١١٢

(٥) سورة المؤمنين ٩

وحدثني عبد الله بن أحمد المروزي، قال : حدثنا علي بن الحسن ، قال :
حدثنا خارجة بن مصعب ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ،
قال : الإسلام ثلاثون سهماً ، وما ابتلى أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم ،
قال الله تعالى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ ، فكتب الله له براءة من النار .

* * *

وقال آخرون : ذلك عشر خصال من سنن الإسلام ، خمس منهن في
الرأس ، وخمس في الجسد .
* ذكر من قال ذلك :

حدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا
معمّر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ
رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ ، قال : ابتلاه الله عز وجل بالطهارة : خمس في الرأس ،
 وخمس في الجسد ؛ في الرأس قصّ الشارب ، والمضمضة ، والاستنشاق ، والسواك ، وفرق
الرأس . وفي الجسد تغليم الأظفار ، وحلق العانة ، والختان ، ونتف الإبط ، وغسل أثر
الغائط والبول بالماء .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحاق ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، عن
معمّر ، عن الحكم بن أبان ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن ابن عباس بمثله ،
غير أنه لم يذكر أثر البول .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سليمان بن حرب ، قال : حدثنا أبو هلال ،
قال : حدثنا قتادة في قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ ،
قال : ابتلاه بالختان ، وحلق العانة ، وغسل القبل والدبر ، والسواك ، وقصّ الشارب ،
وتغليم الأظفار ، ونتف الإبط . قال أبو هلال : ونسيت خصلة .

حدثني عبدان المروزي ، قال : حدثنا عمار بن الحسن ، قال : حدثنا
عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن مطر ، عن أبي الجليل^(١) ، قال : ابتلى

إبراهيم عليه السلام بعشرة أشياء هن في الإنسان ^(١) سنة : المضمضة ، والاستنشاق ، وقص الشارب ، والسواك ، ونتف الإبط ، وتقليم الأظفار ، وغسل البراجم ، والختان ، وحلق العانة ، وغسل الدبر والفرج .

* * *

وقال آخرون نحو قول هؤلاء ، غير أنهم قالوا : ست من العشر في جسد الإنسان ، وأربع منهن في المشاعر .
* ذكر من قال ذلك :

حدثني المثني ، قال : حدثنا إسحاق ، قال : حدثنا محمد بن حرب ، قال : حدثنا ابن لهيعة ، عن ابن هبيرة ، عن حنّس ، عن ابن عباس في قوله عز وجل : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ، قال : ست في الإنسان وأربع في المشاعر ، فالتى في الإنسان : حلق العانة ، والختان ، ونتف الإبط ، وتقليم الأظفار ، وقص الشارب ، والغسل يوم الجمعة . وأربع في المشاعر : الطواف ، والسعي بين الصفاء والمروة ، ورمي الجمار ، والإفاضة .

* * *

وقال آخرون : [بل] ^(٢) ذلك قوله : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ، ومناسك الحج .
* ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : سمعت إسماعيل ابن أبي خالد ، عن أبي صالح : قوله : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ،
٣١٣/١ منهن : إني جاعلك للناس إماماً وآيات النسك ^(٣)

حدثني أبو السائب ، قال : حدثنا ابن إدريس قال : سمعت إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ، مولى أم هانئ في قوله : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ ، قال : منهن : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ، ومنهن آيات النسك

(١) ط : « الإسلام » وما أثبتته من التفسير .

(٢) من ١ ، ن والتفسير ٣ : ١٠ .

(٣) ر : « ومناسك الحج » .

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾^(١).

حدثني محمد بن عمرو ، قال : أخبرنا أبو عاصم ، قال : حدثني عيسى ابن أبي نجيع ، عن مجاهد في قوله : ﴿وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾^(٢) قال : قال الله لإبراهيم : إني مبتليك بأمر فما هو ؟ قال : تجعلني للناس إماماً ، قال : نعم ، ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ، قال : تجعل البيت مثابة للناس ، قال : نعم ، قال : وتجعل هذا البلد آمناً ، قال : نعم ، [قال]^(٣) : وتجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمةً مسلمة لك ، قال : نعم ، [قال]^(٣) : وترينا مناسكنا وتب علينا ، قال : نعم ، [قال]^(٣) : وترزق أهلنا من الثمرات من آمن [منهم]^(٣) ؟ قال : نعم^(٤) .

حدثني القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد بنحوه . قال ابن جريج : فاجتمع على هذا القول مجاهد وعكرمة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد : ﴿وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ ، قال : ابتلى بالآيات التي بعدها : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٢) .

حدثني الثني بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبيل ، عن ابن أبي نجيع ، قال : أخبرني به عكرمة ، قال : فعرضته على مجاهد فلم ينكره . ٣١٤/١

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي : الكلمات التي ابتلى بها إبراهيم : ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ

(٢) سورة البقرة ١٢٤ .

(١) سورة البقرة ١٢٧ .

(٤) الخبر في التفسير ٣ : ١١ .

(٣) من التفسير .

أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ
لَكَ وَأَرْنَا مَنَاسِكَكَ وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ
فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ^(١).

حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ،
عن أبيه ، عن الربيع ، في قوله : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ ^(٢) قال :
الكلمات : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ^(٣) ، وقوله : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً
لِلنَّاسِ وَأَمْنَا ﴾ ، وقوله : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ ^(٤) وقوله : ﴿ وَعِهدْنَا إِلَىٰ
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ^(٥) ﴾ الآية ، وقوله : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ .. ﴾ ^(٦)
الآية . قال فذلك كله من الكلمات التي ابتلى بها إبراهيم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال :
حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ، قال : منهن ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ^(٧) ، ومنهن :
﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ ، ومنهن الآيات في شأن المنسك
والمقام الذي جعل لإبراهيم ، والرزق الذي رزق ساكن البيت ، ومحمد صلى الله
عليه وسلم بعث في ذريتهما .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك مناسك الحج خاصة .

* ذكر من قال ذلك :

٣١٥/١

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سلم بن قتيبة ، قال : حدثنا عمر بن
نبهان ، عن قتادة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾
قال : مناسك الحج .

(١) سورة البقرة ١٢٧ - ١٢٩

(٢) سورة البقرة ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٧ .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان ابن عباس يقول في قوله : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ قال : هي المناسك .

حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه قال : بلغنا عن ابن عباس أنه قال : إنَّ الكلمات التي ابتلى بها إبراهيم هي المناسك .

حدثني أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ، قال : مناسك الحج .

حدثني ابن المني ، قال : حدثني الحيماني ، قال : حدثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : قال ابن عباس : ابتلاه بالمناسك . ٢١٦/١

* * *

وقال آخرون : بل ابتلاه بأمور ، منهم الخِنان .
* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سلم بن قتيبة ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن الشعبي : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ ، قال : منهن الختان .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا يونس ابن أبي إسحاق ، قال : سمعتُ الشعبي يقول . . . فذكر مثله .

حدثني أحمد بن إسحاق ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، قال : سمعتُ الشعبي — وسأله أبو إسحاق عن قوله

عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ - قال : منهم الختان يا أبا إسحاق .

* * *

وقال آخرون : ذلك الخلال الست : الكوكب ، والقمر ، والشمس ، والنار ، والهجرة ، والختان ، التي ابتلى بهن أجمع فصبر عليهن .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلَيْيَّةَ ، عن أبي رَجَاءَ ، قال : قلت للحسن : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ ، قال : ابتلاه بالكوكب فرضى عنه ، وابتلاه بالقمر فرضى عنه ، وابتلاه بالشمس فرضى عنه ، وابتلاه بالنار فرضى عنه ، وابتلاه بالهجرة ، وابتلاه بالختان .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيْعَ ، قال : حدثنا سَعِيدٌ ، عن قَتَادَةَ ، قال : كان الحسن يقول : إن الله ابتلاه بأمرٍ فصبر عليه ؛ ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر ، فأحسن في ذلك ، وعرف أن ربه دائم لا يزول ، فوجه وجهه للذي فطر السموات والأرض خنيقاً وما كان من المشركين ؛ وابتلاه بالهجرة فخرج من بلاده وقومه حتى لحق بالشام مهاجراً إلى الله تعالى ؛ ثم ابتلاه بالنار قبل الهجرة فصبر على ذلك ، وابتلاه بذبح ابنه وبالختان^(١) ، فصبر على ذلك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن سمع الحسن يقول في قوله : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ ، قال : ابتلاه [بذبح ولده ، وبالنار]^(٢) بالكوكب ، وبالشمس ، وبالقمر .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سلم بن قُتَيْبَةَ ، قال : حدثنا أبو هلال عن الحسن : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ ، قال : ابتلاه بالكوكب ، وبالشمس ، وبالقمر ، فوجده صابراً .

(١) ط : « والختان » ، وما أثبتته من ١ ، والتفسير ٣ : ١٤٠

(٢) تكملة من التفسير ٣ : ١٤٠

حدثنا أحمد بن إسحاق بن المختار ، قال : حدثني غسان بن الربيع ،
قال : حدثنا عبد الرحمن — وهو ابن ثوبان — عن عبد الله بن الفضل ، عن
عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « اختن إبراهيم بعد ثمانين سنة بالقُدُوم » .

* * *

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الكلمات التي ابتلى بها إبراهيم
خبران :

أحدهما : ما حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا الحسن بن عطية ، قال :
حدثنا إسرائيل ، عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وإبراهيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ قال : « أتدرون
ما وفَّى ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « وفَّى عملَ يومه أربعَ ركعات
في النهار » .

والآخر منهما ما حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا رشدين بن سعد ،
قال : حدثنا زبائن بن فائد ، عن سهيل بن معاذ بن أنس ، عن أبيه ، قال :
كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله
﴿ الَّذِي وَفَّى ﴾ ؟ لأنه كان يقول كُلَّمَا أَصْبَحَ وَكَلَّمَا أَمْسَى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ
تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ... ﴾ (١) حتى ختم الآية » (٢) .

فلما عرف الله تعالى من إبراهيم الصبرَ على كلِّ ما ابتلاه به ، والقيام بكلِّ
ما ألزمه من فرائضه ، وإيثاره طاعته على كلِّ شيء سواها ، اتخذهُ خليلًا ،
وجعله لمن بعده من خلقه إمامًا ، واصطفاه إلى خلقه رسولًا ، وجعل في ذريته
النُبوَّةَ والكتابَ والرَّسالةَ ، وخصَّهم بالكتبِ المتَّزلة ، والحِكَمِ البالغة ، وجعل
منهم الأعلام والقادة والرؤساء والسادة ، كُلُّما مضى منهم نجيبٌ خلفه سيد
رفيع ، وأبقى لهم ذكرًا في الآخرين ، فالأُمم كلها تتولاه وتُشفي عليه ، ويقول
بفضله إكرامًا من الله له بذلك في الدنيا ، وما ادَّخر له في الآخرة من الكرامة

أجلٌ وأعظمٌ من أن يحيط به وصف واصف .

* * *

[أمر نمرود بن كوش بن كنعان]

وفرجع الآن إلى الخبر عن عدو الله وعدو إبراهيم الذي كذَّب بما جاء به ٣١٩/١ من عند الله ، وردَّ عليه النصيحة التي نصحها له جهلا منه ، واغتراراً بحلم الله تعالى عنه ، نمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح ، وما آل إليه أمره في عاجل دنياه حين تمرَّد على ربه ، مع إملاء الله إياه ، وتركه تعجيل العذاب له على كفره به ، ومحاولته إحراق خليله بالنار حين دعاه إلى توحيد الله والبراءة من الآلهة والأوثان ، وأن نمرود لما تطاول عتوه وتمرَّده على ربه مع إملاء^(١) الله تعالى له — فيما ذكر — أربعمئة عام ، لا تزيده حجج الله التي يحتاج بها عليه ، وعبره التي يُريها إياه إلا نمادياً في غيئه ، عذبه الله — فيما ذكر — في عاجل دنياه قدر إملائه إياه من المدة بأضعف خلقه ، وذلك بعوضة سلطها عليه [توغلت في خياشيمه فمكث أربعمئة سنة يعذب بها في حياته الدنيا]^(٢) .

* * *

* ذكر الأخبار الواردة عنه بما ذكرت من جهله وما أحلَّ الله به من نقمته :

حدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن زيد بن أسلم ، أن أول جبار كان في الأرض نمرود ، وكان الناس يخرجون فيمتارون من عنده الطعام ، فخرج إبراهيم يمتار مع من يمتار ، فإذا مرَّ به ناس قال : مَنْ ربِّكم ؟ قالوا : أنت ، حتى مرَّ به إبراهيم ، قال : من ربك ؟ قال : ﴿ رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ ٣٢٠/١

(٢) تكلمة من ١ ، ن .

(١) : « إملاء الله إياه » .

فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ^(١) .
 قال : فردّه بغير طعام ، قال : فرجع إبراهيمُ إلى أهله فرراً على كتيبٍ أعفر^(٢) ،
 فقال : هلاّ آخذُ من هذا فأتي به أهلي فتطيبَ أنفسهم حين أَدْخُلُ عليهم !
 فأخذ منه ، فأَتَى أهله . قال : فوضع متاعه ثم نام ، فقامت امرأته إلى متاعه
 ففتحتّه فإذا هي بأجود طعام رآه أحدٌ ، فصنعت له منه ، فقرّبتّه إليهم وكان
 عهد أهله ليس عندهم طعام — فقال : من أين هذا ؟ قالت : من الطعام
 الذي جئت به ، فعلم أن الله قد رزقه ، فحميد الله .

ثم بعث الله إلى الجبار مَلَكًا : أن آمنْ بي وأتركك على ملكك ، قال :
 فهل ربّ غيري ؟ فجاءه الثانية فقال له ذلك ، فأبى عليه ، ثم أتاه الثالثة فأبى
 عليه . فقال له المَلَكُ : اجمع جموعك إلى ثلاثة أيام ، فجمع الجبار جموعه ،
 فأمر الله الملك ، ففتح عليهم بابًا من البعوض ، فطلعت الشمس فلم يروها
 من كثرتها^(٣) ، فبعثها الله عليهم ، فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ، فلم يبق
 إلا العظام ، والمَلَكُ كما هو لم يُصِبه من ذلك شيء ، فبعث الله عليه بعوضةً
 فلدخلت في منخره ، فكثت أربعمئة سنة يُضرب رأسه بالمطارق ، وأرحم الناس
 به مَنْ جَمَعَ يديه ثم ضرب بهما رأسه . وكان جباراً أربعمئة عام ، فعذبه
 الله أربعمئة سنة كملكه وأماته الله ، وهو الذي بنى صرحاً إلى السماء ،
 فأتى الله بنيانه من القواعد ، وهو الذي قال الله : ﴿ فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانُهُمْ مِنَ
 الْقَوَاعِدِ ﴾^(٤)

حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا
 أسباط ، عن السديّ في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن
 ابن عباس — وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله

(١) سورة البقرة ٢٥٨ .

(٢) الكتيب الأعفر : الرمل الأحمر .

(٣) ن : « كثرتها » .

(٤) سورة النحل ٢٦ ، والخبر في التفسير ٥ : ٤٣٣ - ٤٣٤ .

عليه وسلم ، قال : أمر الذي حاج إبراهيم في ربه بإبراهيم ، فأخرج - يعنى من مدينته -
قال : فأخرج فلقي لوطاً على باب المدينة - وهو ابن أخيه - فدعاه فأمن به ،
وقال : ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ﴾ ^(١) ، وحلف نمرود أن يطلب إله إبراهيم ، فأخذ
أربعة أفرخ من فراخ النسر ، فربّاهن باللحم والخمر ، حتى إذا كبرن
وغلظن واستعلجن ، قرهن بتابوت ، وقعد في ذلك التابوت ، ثم رفع رجلاً من
لحم هن ، فطرن به ؛ حتى إذا ذهبن في السماء أشرف ينظر إلى الأرض ، فرأى
الجبال تدب كدبيب النمل ، ثم رفع هن اللحم ، ثم نظر فرأى الأرض
محيطاً بها بحر كأنها فلكة في ماء ، ثم رفع طويلاً فوقع في ظلمة ؛ فلم ير
ما فوقه ولم ير ما تحته ، ففرع فألقى اللحم فاتبعته منقضات ، فلما نظرت الجبال
إليهن وقد أقبلن منقضات وسمعن حفيفهن فزعت الجبال ، وكادت أن تزول
من أمكنتها ولم يفعلن ، وذلك قوله عز وجل : ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ
مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ ^(٢) ، وهى فى قراءة ابن مسعود :
﴿ وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ ﴾ فكان طيرانهن ^(٣) به من بيت المقدس ، ووقعهن فى ٣٢٢/١
جبل الدخان ، فلما رأى أنه لا يطيق شيئاً أخذ فى بناء الصرح ، فبنى حتى
إذا أسنده إلى السماء ارتقى فوقه ينظر - بزعمه - إلى إله إبراهيم ، فأحدث لم
يكن يحدث ، وأخذ الله بنيانه من القواعد : ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ
وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ^(٤) ، يقول : من آمنهم ، وأخذهم من
أساس الصرح ، فتنقض [بهم] ^(٥) . ثم سقط فتلبلت ألسن الناس من يوشد من
الفرع ، فتكلموا بثلاثة وسبعين لساناً ، فلذلك سميت بابل ، وإنما كان
لسان الناس قبل ذلك السريانية ^(٦) .

(١) سورة المنكوت ٢٦

(٢) سورة إبراهيم ٤٦

(٣) ١ والتفسير : « طيورتهن » ؛ وهما بمعنى .

(٤) سورة النحل ٢٦

(٥) تكلمة من ١ والتفسير .

(٦) الخبر فى التفسير ١٤ : ٦٦ ، ٦٧ (بولاق) .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا أبو داود الحفصيّ ، عن يعقوب ، عن حفص بن حميد - أوجعفر - عن سعيد بن جبير : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ ، قال : نمرود صاحب النور ، أمر بتابوت فجعل وجعل معه رجلا . ثم أمر بالنور فاحتملته ، فلما صعد قال لصاحبه : أى شيء ترى ؟ قال : أرى الماء والجزيرة - يعنى الدنيا - ثم صعد وقال لصاحبه : أى شيء ترى ؟ قال : ما نزداد من السماء إلا بعداً ، قال : اهبط ، وقال غيره : تُودى : أيها الطاغية ، أين تريد ؟ فسمعت الجبال حفيف النور ، وكانت ترى أنه أمر من السماء فكادت تزول ، فهو قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ ^(١) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن دانييل ، أن علياً عليه السلام قال في هذه الآية : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ ، قال : أخذ ذلك الذى حاج إبراهيم في ربه تسريين صغيرين ، فرباهما حتى استغلظا واستعلجا فشبا ، قال : فأوثق رجل كل واحد منهما بوتر إلى تابوت ، وجوعهما وقعد هو ورجل آخر في التابوت ، قال : ورفع في التابوت عصاً على رأسه اللحم ، فطارا ، وجعل يقول لصاحبه : انظر ماذا ترى ؟ قال : أرى كذا وكذا ، حتى قال : أرى الدنيا كأنها ذباب ، فقال : صوب ، فصوبها ، فهبط . قال : فهو قوله عز وجل : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ . قال أبو إسحاق : ولذلك هي في قراءة عبد الله : ﴿ وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ ﴾ ^(٢) .

فهذا ما ذكر من خبر نمرود بن كوش بن كنعان .

* * *

وقد قال جماعة : إن نمرود بن كوش بن كنعان هذا ملك مشرق الأرض ومغربها ، وهذا قول يدفعه أهل العلم بسير الملوك وأخبار الماضين ، وذلك أنهم

(١) الخبر في التفسير ١٣ : ١٦١ (بولاقي) .

(٢) الخبر في التفسير ١٣ : ١٦٠ (بولاقي) .

لا يدفعون ولا ينكرون أن مولد إبراهيم كان في عهد الضحاك بن أندرماسب الذى قد ذكرنا بعض أخباره فيما مضى ، وأن ملك شرق الأرض وغربها يومئذ كان الضحاك . وقد قال بعض من أشكل عليه أمر نمرود من عرف زمان الضحاك وأسبابه فلم يدر كيف الأمر في ذلك مع سماعه ما انتهى إليه من الأخبار عن رؤى عنه أنه قال : ملك الأرض كافران ومؤمنان ، فأما الكافران فنمرود وبختنصر ، وأما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين . وقول القائلين من أهل الأخبار إن الضحاك كان هو ملك شرق الأرض وغربها في ٣٢٤/١ عهد إبراهيم نمرود : هو (١) الضحاك . وليس الأمر في ذلك عند أهل العلم بأخبار (٢) الأوائل ، والمعرفة بالأمور السوالف ، كالذى ظن ، لأن نسب نمرود في النسب معروف ، ونسب الضحاك في عجم الفرس مشهور ، ولكن ذوى العلم بأخبار الماضين وأهل المعرفة بأمور السالفين من الأمم ذكروا أن الضحاك كان ضم إلى نمرود السواد وما اتصل به بمنة ويسرة ، وجعله ولده عماله على ذلك ، وكان هو يتنقل (٣) في البلاد ، وكان وطنه الذى هو وطنه ووطن أجداده (٤) دُنباوند ، من جبال طبرستان ، وهنالك رعى به أفريدون حين ظفر به وقهره موثقاً بالحديد . وكذلك بختنصر كان أصهبذ ما بين الأهواز إلى أرض الروم من غربى دجلة من قبل هُراسب ، وذلك أن هُراسب كان مشتغلاً بقتال الترك ، مقيماً بإزائهم ببلخ ، وهو بناها - فيما قيل - لما تطاول مكثه هنالك لحرب الترك ، فظن من لم يكن عالماً بأمور القوم بتطاول مدة ولايتهم أمر الناحية لمن ولوا له أنهم كانوا هم الملوك . ولم يدع أحداً من أهل العلم بأمور الأوائل وأخبار الملوك الماضية وأيام الناس فيما نعلمه أن أحداً من النسب كان ملكاً برأسه على شبر من الأرض ، فكيف يملك شرق الأرض وغربها ! ولكن العلماء من أهل الكتاب وأهل المعرفة بأخبار الماضين ومن قد عانى النظر في كتب التواريخ ، يزعمون أن ولاية نمرود لإقليم بابل من قبل الازدهارق بيوراسب دامت أربع مائة سنة ، ثم لرجل من نسله من بعد هلاك نمرود ، يقال ٣٢٥/١

(١) ر : « وهو » . (٢) ط : « بالأخبار » ، وما أثبتته عن ا ، ر ، ن .

(٣) كذا في ا ، وفى ط : « يتنقل » . (٤) ن : « أولاده » .

له نَبَطَ بن قعود مائة سنة ، ثم لداوص^(١) بن نبط من بعد نبط ثمانين سنة ،
ثم من بعد داوص بن نبط لبالش بن داوص مائة وعشرين سنة ، ثم لنمرود بن
بالش من بعد بالش سنة وأشهرًا . فذلك سبعمائة سنة وسنة وأشهر ، وذلك
كله في أيام الضحاك ، فلما ملك أفريدون وقهر الازدهاق قتل نمرود بن بالش
وشرّد النَبَطَ وطردهم ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، لما كان منهم من معاونتهم
بيوراسب على أموره ، وعمل نمرود وولده له .
وقد زعم بعض أهل العلم أن بيوراسب قد كان قبل هلاكه تنكّر لهم .
وتغيّر عما كان لهم عليه .

* * *

[ذكر لوط بن هاران وقومه]

ونعود الآن إلى ذكر الخبر عن بقية الأحداث التي كانت في أيام إبراهيم
صلى الله عليه وسلم .

وكان من الكائنات أيام حياته من ذلك ما كان من أمر لوط بن هاران
ابن تارخ ، ابن أخى إبراهيم عليهما السلام وأمر قومه من سدّوم . وكان
من أمره فيما ذكر أنه شخص من أرض بابل مع عمّه إبراهيم خليل الرحمن ،
مؤمنًا به ، متبعًا له على دينه ، مهاجرًا إلى الشام ، ونعهما سارة بنت ناحور .

وبعضهم يقول : هي سارة بنت هيبال^(٢) بن ناحور . وشخص معهم — فيما
قيل — تارخ أبو إبراهيم مخالفًا لإبراهيم في دينه ، مقيمًا على كفره حتى صاروا
إلى حرّان ، فمات تارخ وهو [آزر]^(٣) أبو إبراهيم بحرّان على كفره وشخص
إبراهيم ولوط وسارة إلى الشام ، ثم مضوا إلى مصر ، فوجدوا بها فرعونًا من فراعنتها ،
ذكر أنه كان سنان بن علوان بن عبيد بن عويج^(٤) بن عملاق بن لاوذ^(٥)
ابن سام بن نوح . وقد قيل إن فرعون مصر يومئذ كان أخًا للضحاك ، كان

(١) ن : « ولداوص » ر « ولداوص » .

(٢) كذا في أ ، وفي ط : « هنال » .

(٣) تكلّة من أ .

(٤) ر : « عوج » .

(٥) ب : « لاوى » .

الضحك وجهه إليها عاملاً عليها من قبله — وقد ذكرتُ بعض قصته مع إبراهيم فيما مضى قبل — ثم رجعوا عوداً على بلدتهم إلى الشام. وذكر أن إبراهيم نزل فلسطين، وأنزل ابن أخيه لوطاً الأردن، وأن الله تعالى أرسل لوطاً إلى أهل سدوم، وكانوا أهل كفر بالله وركوب فاحشة، كما أخبر الله عن قوم لوط: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ • أَتُنْكُمُ لَتَأْتُونَ الرَّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ (١).

* * *

وكان قطعهم السبيل — فما ذكر — إتيانهم (٢) الفاحشة إلى من ورد بلدهم.

* ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ ، قال : السبيل طريقُ المسافر إذا مرّ بهم ، وهو ابن السبيل قطعوا به وعملوا به ذلك العمل الخبيث .

* * *

وأما إتيانهم ما كانوا يأتونه من المنكر في ناديهم ، فإن أهل العلم اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : كانوا يحذفون من مرّ بهم .

٣٢٧/١

وقال بعضهم : كانوا يتضارطون في مجالسهم .

وقال بعضهم : كان بعضهم ينكح بعضاً فيها .

* ذكر من قال كانوا يحذفون من مرّ بهم :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا عمر ابن أبي زائدة ، قال : سمعتُ عكرمة يقول في قوله: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ ، قال : كانوا يؤذون أهل الطريق ، يحذفون من مرّ بهم (٣) .

(١) سورة العنكبوت ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) ب : «اتباعهم» .

(٣) الخبر في التفسير ٢٠ : ٩٣ (بلاق)

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن عمر بن أبي زائدة^(١) ، قال : سمعت
عكرمة ، قال : الحذف .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا
أسباط ، عن السديّ في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن
عباس - وعن مرة الهمدانيّ عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ ، قال : كانوا كلّ من
مرّ بهم حذفوه ، وهو المنكر .

• ذكر من قال : كانوا يتضارطون في مجالسهم :

حدثني عبد الرحمن بن الأسود الطفاويّ ، قال : حدثنا محمد بن ربيعة ،
قال : حدثنا رَوْحُ بن غُطَيْفِ الثَّقَفِيّ ، عن عمرو بن مُصْعَبٍ ، عن عُرْوَةَ
ابن الزبير ، عن عائشة في قوله تعالى : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ ، قالت :
الضراط .

• ذكر من قال كان يأتي بعضهم بعضاً في مجالسهم :

٣٢٨/١

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : حدثنا جرير ، عن منصور ، عن
مجاهد في قوله : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ ، قال : كان بعضهم يأتي بعضاً
في مجالسهم .

حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال : حدثنا ثابت بن محمد الليثي ، قال :
حدثنا فضيل بن عياض ، عن منصور بن المعتمر ، عن مجاهد في قوله :
﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ ، قال : كان يجامع بعضهم بعضاً في المجالس .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ،
عن مجاهد مثله .

(١) ط : « عمران بن زيد » ، والصواب ما أثبتته من أ .

(٢) كذا في أ ، وفي ط : « الطفاوي » ، وانظر تهذيب التهذيب ٦ : ١٤٠ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كانوا يجامعون الرجال في مجالسهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى .
وحدثني الحارث ، قال : حدثنا الحسن ، قال : حدثنا ورقاء ، جميعاً عن
ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَر ﴾ ، قال : المجالس ،
والمُنْكَر إتيانهم الرجال .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله :
﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَر ﴾ ، قال : كانوا يأتون الفاحشة في ناديتهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله :
﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَر ﴾ قال : ناديتهم المجالس ، والمُنْكَر عملهم الخبيث
الذي كانوا يعملونه ، كانوا يعترضون الراكب فيأخذونه فيركبونه ، وقرأ : ﴿ أَتَأْتُونَ
الفاحشة وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ ^(١) وقرأ : ﴿ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٢) .

وقد حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا إسماعيل بن علية ، عن ابن
أبي نجيح ، عن عمرو بن دينار : قوله : ﴿ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ ،
ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال : عَنَى
بالمُنْكَر الذي كانوا يأتونه في ناديتهم في هذا الموضع حذفهم مَنْ مَرَّ بِهِمْ
وسخريتهم منه ، للخبر الوارد بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي
حدثناه أبو كريب وابن وكيع ، قالوا : حدثنا أبو أسامة ، عن حاتم بن
أبي صغيرة ، عن سماك بن حرب ، عن أبي صالح مولى أم هانئ ، عن أم هانئ

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ ، قال : كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم ، وهو المنكر الذي كانوا يأتونه (١)

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي ، قال : حدثنا سليمان بن حيان ، قال : أخبرنا أبو يونس القشيري ، عن سماك بن حرب ، عن أبي صالح ، عن أم هانئ ، قالت : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله : ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ ، قال : كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم ٣٣٠/١

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : حدثنا أسد بن موسى ، قال : حدثنا سعيد بن زيد ، قال : حدثنا حاتم بن أبي صغيرة ، قال : حدثنا سماك بن حرب ، عن باذام أبي صالح ، مولى أم هانئ ، عن أم هانئ ، قالت : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ ، فقال : كانوا يجلسون بالطريق فيحذفون أبناء السبيل ويسخرون منهم ، فكان لوط عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله ، وينهاهم بأمر الله إياه عن الأمور التي كرهها الله تعالى لهم من قطع السبيل وركوب الفواحش وإتيان الذكور في الأدبار ، ويتوعدهم — على إصرارهم على ما كانوا عليه مقيمين من ذلك وتركهم التوبة منه — العذاب الأليم فلا يزجرهم عن ذلك وعيده ولا يزيدهم وعظه إلا تمادياً وعتواً واستعجالاً لعذاب الله ، إنكاراً منهم وعيده ، ويقولون له : ﴿اِئْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢) ، حتى سأل لوط ربه عز وجل النصر عليهم لما تناول عليه أمره وأمرهم وتماديهم في غيهم ، فبعث الله عز وجل لما أراد خزيهم وهلاكهم ونصرة رسوله لوط عليهم جبرئيل عليه السلام وملاكين آخرين معه .

وقد قيل : إن الملكين الآخرين كان أحدهما ميكائيل والآخر إسرافيل

(١) الخبر في التفسير ٢٠ : ٩٢ (بولاقي) ، وفيه : « يأتون » .

(٢) سورة النكبات ٢٩ .

فأقبلوا - فيما ذكر - مُشاةً في صورة رجال شباب .

* ذكر بعض من قال ذلك :

حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : بعث الله الملائكة لتَهْلِك قومَ لوط ، فأقبلت^(١) تمشي في صورة رجال شباب ، حتى نزلوا على إبراهيم فتضيّفوه ، فكان من أمرهم وأمر إبراهيم ما قد مضى ذكرنا إياه في خبر إبراهيم وسارة . فلما ذهب عن إبراهيم الروح جاءتهُ البشري ، وأطلعتهُ الرسل على ما جاءوا له ، وأنَّ الله أرسلهم لهلاك قوم لوط ناظرهم إبراهيم وحاجّهم في ذلك كما أخبر الله عنه [فقال] :^(٢) ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾.^(٣)

وكان جداله إياهم في ذلك - فيما بلغنا - ما حدثنا به ابن حميد ، قال :

حدثنا يعقوب القمي ، قال : حدثنا جعفر ، عن سعيد ﴿ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ قال : لما جاءه جبرئيل ومن معه ، قالوا لإبراهيم : ﴿ إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنْ أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾^(٤) . قال لهم إبراهيم : أتَهْلِكُون قريةً فيها

أربعمائة مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قريةً فيها ثلثمائة مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قريةً فيها مائتا مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قريةً فيها أربعون مؤمناً ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قريةً فيها أربعة عشر مؤمناً ؟ قالوا : لا ، وكان إبراهيم يعدّهم أربعة عشر بامرأة لوط ، فسكت عنهم ، واطمأنت نفسه .

(١) في جميع الأصول : « أقبلت » .

(٢) ط : « فأطلعتهُ » ، وما أثبتته من أ .

(٣) من أ .

(٤) سورة هود ٧٤

(٥) سورة النكبت ٣١

حدثنا أبو كريب، قال : حدثنا الحِمَافِي ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سَعِيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، قال : قال الملك لإبراهيم : إن كان فيها خمسة يصلُّون رُفِع عنهم العذاب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ قال : بلغنا أنه قال لهم يومئذ : أرايتم إن كان فيهم خمسون من المسلمين ؟ قالوا : إن^(١) كان فيهم خمسون لن نعتذبهم^(٢) ، قال : وأربعون ؟ قالوا : وأربعون ، قال : وثلاثون ؟ قالوا : وثلاثون ، حتى بلغ عشرة ، قالوا : وإن كانوا عشرة ؟ قال : ما من قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير ، فلما علم إبراهيم حال قوم لوط يخبر الرسل قال للرسل : ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾^(٣) إشفاقاً منه عليه ، فقالت الرسل : ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِرِينَ﴾^(٤) .

* * *

ثم مضت رسلُ الله نحو أهل سدوم ، قرية قوم لوط ، فلما انتهوا إليها ذكر أنهم لَقُوا لوطاً في أرض له يعمل فيها ، وقيل إنهم لَقُوا عند نهرها ابنة لوط تستقي الماء .

* ذكر من قال لقوا لوطاً :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن حذيفة أنه لما جاءت الرسل لوطاً أتوه وهو في أرض له يعمل فيها ، وقد قيل لهم - والله أعلم - لا تُهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط ، قال : فأتوه فقالوا : إنا مُضَيَّفوك^(٤) الليلة . فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت فقال : أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ والله ما أعلم على ظهر

(١) في ط : « وإن » ، وما أثبتته عن ا .

(٢) ب ، ن : « يعذبهم » .

(٣) سورة النكيت ٣٢

(٤) كذا في ا ، ب ، وفي ر : « فتضيفك » ، وفي ط : « متضيفوك » .

الأرض^(١) أناساً^(٢) أحبّ منهم . قال : ففضى معهم ثم قال الثانية مثل ما قال ، فانطلق بهم ، فلما بصرت بهم عجوز السوء امرأته انطلقت فأنذرتهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا الحكم بن بشير ، قال : حدثنا عمرو ابن قيس الملائي ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، قال : أتت الملائكة لوطاً وهو في مزرعة له ، وقال الله تعالى للملائكة : إن شهد لوط عليهم أربع شهادات ، فقد أذنت لكم في هلاكهم^(٣) ، فقالوا : يا لوط ، إنا نريد أن نضيّفك الليلة ، قال : وما بلغكم^(٤) أمرهم ؟ قالوا : وما أمرهم ؟ فقال : أشهد بالله أنها لشراً قرية في الأرض عملاً ، يقول ذلك أربع مرّات ، فشهد عليهم لوط أربع شهادات ، فدخلوا معه منزله .

• ذكر من قال إنما لقيت الرسل أول ما لقيت حين دنت

من سدّوم ابنة لوط دون لوط^(٥) :

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب النبي ٣٣٤/١ صلى الله عليه وسلم ، قال : لما خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط ، فأتوها نصف النهار ، فلما بلغوا نهر سدّوم لقوا ابنة لوط تستقي من الماء لأهلها — وكانت له ابنتان : اسم الكبرى ريثا واسم الصغرى^(٦) رعزيا^(٧) — فقالوا

(١) ر : « وجه الأرض » ، ب : « ظهر هذه الأرض » .

(٢) ن : « أحداً » .

(٣) كذا في أ ، ر ، وفي ط : « مهلكتهم » ، ن : « هلاكهم » .

(٤) ابن الأثير : « أو ما بلغكم » .

(٥) ن : « قبل » .

(٦) ب ، ر : « والصغرى » .

(٧) كذا في أ ، ب ، وفي ن : « رعيثا » ، وفي ر : « دعريا » ، وفي ط من غير فقط .

لها : يا جارية ، هل من منزل ؟ قالت : نعم ، فكانتكم لا تدخلوا حتى آتيتكم ؛ فرقت^(١) عليهم من قومها ، فأنت أباهما ، فقالت : يا أبتاه ، أراذك فتیان علی باب المدينة ، ما رأيت وجوه^(٢) قوم هي أحسن منهم ، لا يأخذهم قومك فيفضحهم - وقد كان قومه نهوه أن يضيّف رجلا - فقالوا له : خَلِّ عَنَّا فلنضف الرجال ، فجاء بهم فلم يعلم أحد إلا أهل بيت لوط ، فخرجت امرأته فأخبرت قومها فقالت : إنَّ في بيت لوط رجلا ما رأيت مثلهم ومثل وجوههم حسنا قط ، فجاءه قومه بهرعون إليه .

قال أبو جعفر : فلما أتوه قال لهم لوط : يا قوم اتقوا الله ﴿ ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد ﴾^(٣) ؛ هؤلاء بناتي هنَّ أظهر لكم مما تريدون . فقالوا له : أو لم ننهك أن تضيّف الرجال ! لقد علمت ما لنا في بناتك من حق ، وإنك لتعلم ما نريد ! فلما لم يقبلوا منه شيئا مما عرضه عليهم قال : ﴿ لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد ﴾^(٤) . يقول عليه السلام : لو أن لي أنصارا ينصرونني عليكم أو عشيرة تمنعني منكم ، لحلت بينكم وبين ما جئتم تريدونه من أضيافي !

٣٣٥/١

حدثني المثني ، قال : حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا اسماعيل ابن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهبا يقول : قال لوط لهم : ﴿ لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد ﴾ ، فوجد عليه الرسل وقالوا : إن ركنك لشديد . فلما يشس^(٥) لوط من إجابتهم إياه إلى شيء مما دعاهم إليه وضاق بهم ذرعا ، قالت الرسل له حينئذ : ﴿ يا لوط ! إننا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا أمرأتك

(١) ابن الأثير ١ : ٧٩ : « خافت » .

(٢) ابن الأثير : « ما رأيت أصبح وجوها منهم » .

(٣) سورة هود ٧٨

(٤) سورة هود ٨٠

(٥) ر : « أيس » .

إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ»^(١) ، فذكر أن لوطاً لما علم أن أضيافه رسل الله ،
وأنها أرسلت بهلاك قومه قال لهم : أهلكوهم الساعة .
* ذكر من روى ذلك عنه أنه قاله من أهل العلم :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب ، عن جعفر، عن سعيد، قال :
مضت الرسل من عند إبراهيم إلى لوط ، فلما أتوا لوطاً وكان من أمرهم ما ذكر
الله قال جبرئيل للوط : يا لوط ، إنا مهلكو أهل هذه القرية ، إنَّ أهلها
كانوا ظالمين . فقال لهم لوط : أهلكوهم الساعة ، فقال جبرئيل عليه السلام :
﴿ إِنَّمَا مَوْعِدُهُمُ الصُّبْحُ الْيُسْبَغُ الصُّبْحُ يُقْرَبُ ﴾^(٢) فأنزلت على لوط : ﴿ أَلَيْسَ
الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾^(٣) .

قال : وأمره أن يُسرَى بأهله بقطع من الليل ولا يلتفت منهم أحدٌ
إلا امرأته ، قال : فسار فلما كانت الساعة^(٤) التي أهلكوا فيها أدخل
جبرئيل جناحه في أرضهم فقلعها ورفعها حتى سمع أهلُ السماء صياح الديكة ،
ونُبَّاح الكلاب ، فجعل عاليها سافلها ، وأمطر عليهم حجارة من سجيل ،
قال : وسمعت امرأة لوط الهدة فقالت : وا قوماه ! فأدركها حجر فقتلها .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن
شمر بن عطية ، قال : كان لوط أخذ على امرأته ألا تذيع شيئاً من سرِّ
أضيافه ، قال : فلما دخل عليه جبرئيل ومن معه ورأتهم في صورة لم تر
مثلها قط انطلقت تسعى إلى قومها ، فأنت النادی فقالت بيدها هكذا ،
فأقبلوا يهرعون مشياً بين الهرولة والجمز ، فلما انتهوا إلى لوط قال لهم لوط ما قال
الله تعالى في كتابه . قال جبرئيل : يا لوط إنا رُسُل ربك لن يصلوا إليك ،
قال : فقال بيده ، فطمس أعينهم ، قال : فجعلوا يطلبونهم ، يلتمسون^(٥) الحيطان
وهم لا يبصرون^(٦) .

(١) سورة هود ٨١ .

(٢) ب : « الليلة » . ن : « كان في الساعة » .

(٣) كذا في أ ، ب ؛ وفي ط : « يطلبون يلتمسون » .

(٤) الخبر في التفسير ١٢ : ٥٤ (بولاق) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن حذيفة ، قال : لما بصرت بهم - يعني بالرسل - عجوز السوء ، امرأته ، انطلقت فأندرتهم فقالت : قد تضيف لوطاً قوم ما رأيت قوماً أحسن منهم وجوهاً - قال : ولا أعلمه إلا قالت : وأشدّ بياضاً وأطيب ريحاً منهم - قال : فأتوه ^(١) **يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ** ^(٢) ، كما قال الله عز وجل ، فأصفى ^(٣) لوط الباب . ٣٣٧/١

قال : فجعلوا يعالجونه ، قال : فاستأذن جبرئيل ربه عز وجل في عقوبتهم ، فأذن له ، فصفقهم بجنّاحه ، فتركهم عمياناً يترددون في أبحث ليلة أتت عليهم قط ، فأخبروه إنا رسل ربك ، فأسر بأهلك بقطع من الليل ، قال : ولقد ذكر لنا أنه كانت مع لوط حين خرج من القرية امرأته ، ثم سمعت الصوت فالتفتت ، فأرسل الله تعالى عليها حجراً فأهلكها ^(٤) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا الحكم بن بشير ، قال : حدثنا عمرو ابن قيس الملائى ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، قال : انطلقت امرأته - يعني امرأة لوط - حين رأتهم - يعني حين رأت الرسل - إلى قومها فقالت : إنه قد ضافه الليلة قوم ما رأيت مثلهم قط أحسن وجوهاً ، ولا أطيب ريحاً . فجاءوا يهرعون إليه فبادرهم لوط إلى أن يزحمهم على الباب فقال : **هُوَ لَا بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ** ^(٥) ، فقالوا : **أَوَلَمْ نَنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ** ^(٦) ، فدخلوا على الملائكة فتناولتهم الملائكة ، فطمست أعينهم فقالوا : يا لوط جئتنا بقوم سحرة ؛ سحرونا كما أنت حتى نصبح . قال : فاحتمل جبرئيل قريات لوط الأربع ، في كل قرية مائة ألف ، فرفعهم على جناحه بين السماء والأرض حتى سمع أهل السماء الدنيا أصوات ديكتهم ثم قلبهم ، فجعل الله عاليها سافلها ^(٧) . ٣٣٨/١

(١) سورة هود ٧٨ .

(٢) أصفى الباب : أغلقه .

(٣) ر : « فقتلها » ، والخبر في التفسير ١٢ : ٥٤ - ٥٥ (بولاق) .

(٤) سورة الحجر ٧١ .

(٥) سورة الحجر ٧٠ .

(٦) الخبر في التفسير ١٢ : ٥٥ (بولاق) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور . وحدّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، جميعاً عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال حذيفة : لما دخلوا عليه ذهب عجزوه ، عجزوُ السوء ، فأنت قومها فقالت : قد تضيّف لوطاً [الليلة] ^(١) قوم ما رأيت قوماً قط أحسن وجوهاً منهم ، قال : فجاءوا يهرعون إليه ، فقام ملكٌ فلزّ الباب - يقول : فسدّه - فاستأذن جبرئيل في عقوبتهم ، فأذن له ، فضر بهم ^(٢) جبرئيل ينجّاه ، فتركهم عمياناً ، فباتوا بشرّ ليلة ، ثم قالوا : إنا رسل ربك لن يصلوا إليك ، فأسر بأهلك بقطع من الليل ، ولا يلتفت منكم أحدٌ إلا امرأتك ، قال : فبلغنا أنها سمعت صوتاً ، فالتفت فأصابها حجر وهى شاذة من القوم معلوم مكانها ^(٣) .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ في خبر ذكره ، عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمدانيّ عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه : لما قال لوط : ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ ، بسط حينئذ جبرئيل جناحه ففقا أعينهم ، وخرجوا يدوس بعضهم في آثار بعض عمياناً ، يقولون : النجاء النجاء ! فإنّ في بيت لوط أسحر قوم في الأرض ؛ فذلك قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ ^(٤)

٣٢٩/١

وقالوا للوط : ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ ، يقول : سرّ بهم فامضوا حيث تؤمرون ، فأخرجهم الله تعالى إلى الشام . وقال لوط : أهلكوهم الساعة ، فقالوا : إنا لم نؤمر إلا بالصبح ، أليس الصبح بقريب ! فلما أن كان السحر خرج لوط وأهله معه إلا امرأته ، وذلك قوله تعالى : ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ ^(٥) .

(١) من ١ والتفسير . (٢) ط : « فصفقهم فضر بهم » ، وما أثبتته من ١ ، والتفسير .

(٣) الخبر في التفسير ١٢ : ٥٥ (بولاق)

(٤) سورة القمر ٣٧ . (٥) سورة القمر ٣٤ .

حدثنا المثني ، قال : أخبرنا إسحاق ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد أنه سمع وهب بن مُنبّه يقول : كان أهل سدوم الذين فيهم لوط قومَ سوء قد استغنوا عن النساء بالرجال ، فلما رأى الله ذلك منهم بعث الملائكة ليعذبوهم ، فأتوا إبراهيم ، فكان من أمره وأمرهم ما ذكره الله تعالى في كتابه ، فلما بشروا سارة بالولد قاموا ، وقام معهم إبراهيم يمشي ، فقال : أخبروني لمَ بعثتم ؟ وما خطبكم ؟ قالوا : إنا أرسلنا إلى قوم سدوم لننذرهم فإنهم قوم سوء ، قد استغنوا بالرجال عن النساء . قال إبراهيم : أرايتم إن كان فيهم خمسون رجلاً صالحاً ؟ قالوا : إذاً لا نعلنبهم ، فلم يزل [ينقص] ^(١) حتى قال أهل البيت ، قالوا : فإن كان فيهم بيت صالح ، قال : فلو طو وأهل بيته ، قالوا : إن امرأته هواها معهم ، فلما ينس إبراهيم انصرف ومضوا إلى أهل سدوم فدخلوا على لوط ، فلما رأته امرأته أعجبها حسنهم وجمالهم ، فأرسلت إلى أهل القرية أنه قد نزل بنا قومٌ لم نر قوماً قط أحسن منهم ولا أجمل ، فتسامعوا بذلك ، فغشوا دار لوط من كل ناحية ، وتسوروا عليهم الجدران ^(٢) ، فلقيتهم لوط فقال : يا قوم لا تفضحون في ضيفي وأنا أزوجهم بناتي فهن أطهر لكم . فقالوا : لو كنا نريد بناتك لقد عرفنا مكانهن ، فقال : لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد . فوجد عليه الرسل فقالوا : إن ركنك لشديد ، وإنهم آتيهم عذاب غير مردود ، ففسح أحدهم أعينهم بجناحه ، فطمس أبصارهم ، فقالوا : سحرنا ، انصرفوا بنا حتى نرجع إليه ، فكان من أمرهم ما قد قصص الله تعالى في القرآن ، فأدخل ميكائيل وهو صاحب العذاب جناحيه حتى بلغ أسفل الأرضين ، فقلبها فترلت حجارة من السماء ، ففتتعت من لم يكن منهم في القرية حيث كانوا فأهلكهم الله ، ونجى لوطاً وأهله إلا امرأته . ^(٣)

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا جابر بن نوح ، قال : حدثنا الأعمش ، عن مجاهد ، قال : أخذ جبرئيل قوم لوط من سرّحهم ودورهم ، حملهم بمواشيهم وأمتعتهم ، حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم كفأها .

(١) من والتفسير .

(٢) ط ، ١ : « الجدارات » ، وما أثبتته من التفسير .

(٣) الخبر في التفسير ١٢ : ٥٥ (بولاق) .

وحدثنا أبو كريب مرة أخرى ، عن مجاهد ، فقال : أدخل جبرئيل جناحيه ^(١) تحت الأرض السفلى من قوم لوط ، ثم أخذهم بالجناح الأيمن ، وأخذهم من سرحهم ومواشيهم ثم رفعها .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : كان يقول : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ ^(٢) ، قال : لما أصبحوا غدا جبرئيل على قريتهم ففتقها من أركانها ثم أدخل جناحيه ^(١) ، ثم حملها على خوافي جناحيه ^(٣) .

٣٤١/١

حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، قال : وحدثنى هذا ابن أبي نجيح ، عن إبراهيم بن أبي بكر ، قال : ولم يسمعه ابن أبي نجيح من مجاهد ، قال : فحملها على خوافي جناحيه ^(٤) بما فيها ، ثم صعد بها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ، ثم قلبتها ، فكان أول ما سقط منها شرافها ، فذلك قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِنْ سَجْجٍ ﴾ ^(٥)

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغنا أن جبرئيل عليه السلام أخذ بعروة القرية الوسطى ثم ألوى بها إلى السماء ، حتى سمع أهل السماء ضواغي ^(٦) كلابهم ، ثم دمر بعضها على بعض ، فجعل عاليها سافلها ، ثم أتبعته ^(٧) الحجارة . قال قتادة : وبلغنا أنهم كانوا أربعة آلاف ألف .

٣٤٢/١

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن

(١) ط : « جناحه » ، وما أثبتته من أ . (٢) سورة هود ٨٢ .

(٣) أ : « ثم حملها في جناحيه » . (٤) ط : « جناحه » ، وما أثبتته من أ .

(٥) سورة الحجر ٧٤ . (٦) ضواغي الكلاب : نباحها .

(٧) أ : « تبعهم » .

قنادة ، قال : وذكر لنا أن جبرئيل أخذ بعروتها الوسطى ، ثم ألوى بها إلى جو السماء حتى سمعت الملائكة ضواغى كلابهم ثم دمر بعضها على بعض ، ثم أتبع شدّان^(١) القوم صخراً ، قال : وهي ثلاث قرى يقال لها سدوم ، وهي بين المدينة والشأم ، قال : وذكر لنا أنه كان فيها أربعة آلاف ألف ، قال : وذكر لنا أن إبراهيم كان يُشرف ثم يقول : سدوم يوماً هالك .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ بالإسناد الذى قد ذكرناه : لما أصبحوا - يعنى قوم لوط - نزل جبرئيل عليه السلام واقتلع الأرض من سبع أرضين ، فحملها حتى بلغ بها السماء الدنيا ، حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم وأصوات ديوكلهم ، ثم قلبها فقتلهم ، فذلك حين يقول : ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾^(٢) ، المتقلبة حين أهوى بها جبرئيل عليه السلام الأرض فاقتلعها بجناحيه ، فن لم يمت حين أسقط^(٣) الأرض أمطر الله تعالى عليه وهو تحت الأرض الحجارة ، ومن كان منهم شاذاً فى الأرض ، وهو قول الله تعالى : ﴿فَجَعَلْنَاهَا لِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ ، ثم تتبعهم فى القرى ، فكان الرجل يتحدث فيأتيه الحجر فيقتله ، فذلك قوله تعالى : ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾^(٤) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : حدثني محمد بن كعب القرظي ، قال : حدثت أن الله تعالى بعث جبرئيل إلى المؤتفكة (قرية قوم لوط التى كان لوط فيهم) ، فاحتملها بجناحيه ثم أصعد^(٥) بها حتى إن أهل السماء^(٦) الدنيا ليسمعون^(٧) نباحة كلابها وأصوات دجاجها ، ثم كفأها على وجهها ثم أتبعها الله عز وجل بالحجارة ، يقول الله تعالى :

(١) شدان القوم : المتفرون منهم . (٢) سورة النجم ٥٣ .

(٣) فى الأصول « سقط » وما أثبتته من التفسير .

(٤) الخبر فى التفسير ١٢ : ٥٩ بولاق

(٥) كذا فى ١ ، ن ، وفى ط : « صعد » .

(٦) ساقطة من أ وفى ن : « أهل سماء الدنيا » .

(٧) ط : « يسمعون » وما أثبتته من أ والتفسير .

﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ ، فأهلكها الله تعالى وما حولها من المؤتفكات ، وكُنَّ خمس قريات : صبعة ^(١) ، وصعرة ^(٢) ، وعمرة ^(٣) ، ودوما ^(٤) ؛ وسدوم هي القرية العظمى ، ونجى الله تعالى لوطاً ومن معه من أهله ، إلا امرأته كانت فيمن هلك ^(٥) .

(١) ن : « صبعة »

(٢) ن : صعوة .

(٣) ب : « غمرة » .

(٤) ب : « ورما » .

(٥) الخبر في التفسير ١٢ : ٥٦ (بولاق) .

ذكر وفاة سارة بنت هاران ، وهاجر أم إسماعيل وذكر أزواج إبراهيم عليه السلام وولده

قد ذكرنا فيما مضى قبل ما قيل في مقدار عمر سارة أم إسحاق ، فأما موضع وفاتها فإنه لا يدفع أهل العلم من العرب والعجم أنها كانت بالشام .

وقيل : إنها ماتت بقرية الجبابرة من أرض كنعان في حبرون ، فدفنت في مزرعة اشتراها إبراهيم . وقيل إن هاجر عاشت بعد سارة مدة .

فأما الخبر فبغير ذلك ورد . حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، بالإسناد الذي قد ذكرناه قبل .

ثم إن إبراهيم اشتاق إلى إسماعيل ، فقال لسارة : ائذني لي أنطلق إلى ابني فأنظر إليه ، فأخذت عليه عهداً ألا ينزل حتى يأتيها ، فركب البراق ، ثم أقبل وقد ماتت أم إسماعيل ، وتزوج إسماعيل امرأة من جرهم . ٣٤٤/١

وإن إبراهيم عليه السلام كثر ماله ومواشيه . وكان سبب ذلك فيما حدثنا به موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، بالإسناد الذي قد ذكرناه قبل ، أن إبراهيم عليه السلام احتاج - وقد كان له صديق يعطيه^(١) ويأتيه - فقالت له سارة : لو أتيت خلعتك^(٢) فأصبت لنا منه طعاماً ! فركب حماراً له ، ثم أتاه ، فلما أتاه تغيب منه ، واستحيا إبراهيم أن يرجع إلى أهله خائباً ، فمر على بطحاء ، فلأ منها خرجه ، ثم أرسل الحمار إلى أهله ، فأقبل الحمار وعليه حنطة جيدة ، ونام إبراهيم عليه السلام فاستيقظ ، وجاء إلى أهله ، فوجد سارة قد جعلت له طعاماً ، فقالت : ألا تأكل ؟ فقال : وهل من شيء ؟ فقالت : نعم من الحنطة التي جئت بها من عند خليلك ، فقال : صدقت

(١) ر : « يقرضه » . (٢) ط : « خليلك » ؛ وهما سواء .

من عند خليلي جثت بها ، فرعرها فنبتت له ، وزكا زرعه وهلك زرع
الناس ؛ فكان أصلُ ماله منها ، فكان الناس يأتونه فيسألونه فيقول : مَنْ
قال : لا إله إلا الله فليدخل فليأخذ ؛ فمنهم من قال فأخذ ، ومنهم من أبي
فرجع ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى
بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾^(١) . فلما كثر مالُ إبراهيم ومواشيه احتاج إلى السعة في

المسكن والمرعى ، وكان مسكنه ما بين قرية^(٢) مدين - فيما قيل - والحجاز ٣٤٥/١
إلى أرض الشام ، وكان ابن أخيه لوط نازلاً معه ، فقاسم^(٣) ماله لوطاً ، فأعطى
لوطاً شطره فيما قيل ، وخيره مسكنًا يسكنه ومنزلاً يتزله غير المنزل الذي هو به
نازل ، فاختار لوط ناحية الأردن فصار إليها ، وأقام إبراهيم عليه السلام
بمكانه ، فصار ذلك فيما قيل سبباً لآثاره بمكة وإسكانه إياها لإسماعيل ،
وكان ربما دخل أمصار الشام .

ولما ماتت سارة بنت هاران زوجة إبراهيم تزوج إبراهيم بعدها - فيما حدثنا
ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - قطورا بنت يقطن ؛ امرأة
من الكنعانيين ، فولدت له ستة نفر : يقسان^(٤) بن إبراهيم ، وزمران بن إبراهيم ؛
ومديان بن إبراهيم ، ويسبق بن إبراهيم ، وسوح بن إبراهيم ، وبسر بن إبراهيم ،
فكان جميع بني إبراهيم ثمانية بإسماعيل وإسحاق ، وكان إسماعيل يكره أكبر
ولده . قال : فنكح يقسان بن إبراهيم رعوة بنت زمر بن يقطن بن لوزان بن
جرهم بن يقطن بن عابر ، فولدت له البربر وليفتها . وولد زمران بن إبراهيم المزامر
الذين لا يعقلون^(٥) . وولد لمديان أهل مدين قوم شعيب بن ميكائيل النبي ،
فهو وقومه من ولده بعثه الله عز وجل إلىهم نبيًا .

٣٤٦/١

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا

(١) سورة النساء ٥٥

(٢) كذا في ١ ، وفي ط : « برية » .

(٣) ب : « فاقسم » . ن : « وقاسم » .

(٤) ١ : يقشان ، ن وابن الأثير : « نفسان » .

(٥) كذا في ١ ، ر ، وفي ط : « يعلمون » .

هشام بن محمد بن السائب، عن أبيه، قال : كان أبو إبراهيم من أهل حران ، فأصابته سنة من السنين ، فأتى هُرمز جرد بالأهواز ، ومعه امرأته أم إبراهيم ، واسمها توتا^(١) بنت كرينا^(٢) بن كوئي ، من بني أرفخشذ بن سام بن نوح .

وحدثني الحارث، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر الأسلمي عن غير واحد من أهل العلم قال : اسمها أنموتا من ولد أفرام بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن شالغ بن أرفخشذ بن سام بن نوح . وكان بعضهم يقول : اسمها انمتلى بنت يكفور^(٣) ،

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد ، عن أبيه ؛ قال : نهر كُوتى كراه كرينا جد إبراهيم من قبل أمه ، وكان أبوه على أصنام الملك نمrod ، فولد إبراهيم بهرمز جرد ، ثم انتقل إلى كُوتى من أرض بابل ، فلما بلغ إبراهيم وخالف قومه ، دعاهم إلى عبادة الله ، وبلغ^(٤) ذلك الملك نمrod فحبسه في السجن سبع سنين ، ثم بنى له الحير^(٥) يمحس ، وأوقد له الحطب الجزل ، وألقى إبراهيم فيه ، فقال : حسبي الله ونعم الوكيل ! فخرج منها سليماً لم يكلّم . ٣٤٧/١

حدثني الحارث، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا هشام بن محمد ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : لما هرب إبراهيم من كُوتى ، وخرج من النار ولسانه يومئذ سرياني ، فلما عبر الفرات من حرّان غير الله لسانه فقليل : عبراني ، أى حيث عبر الفرات ، وبعث نمrod في أثره ، وقال : لا تدعوا أحداً يتكلّم بالسريانية إلا جثمتوني به ، فلقوا إبراهيم عليه السلام فتكلّم بالعبرانية ، فتركوه ولم يعرفوا لغته .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا هشام ، عن أبيه قال : فهاجر إبراهيم من بابل إلى الشام فجاءته سارة ، فوهبت له نفسها

(١) كذا في ر .

(٢) ١ : « تكفور » .

(٣) ط : « بلغ » .

(٤) ر : « الحفر » .

فتزوجها ، وخرجت معه وهو يومئذ ابن سبع وثلاثين سنة ، فأتى حرّان ، فأقام بها زماناً ، ثم أتى الأردنّ فأقام بها زماناً ، ثم خرج إلى مصر فأقام بها زماناً ، ثم رجع إلى الشام فنزل السبع (أرض بين إيليا وفلسطين) واحترف بئراً ، وبني مسجداً . ثم إن بعض أهل البلد آذاه فتحول من عندهم ، فنزل منزلاً بين الرملة وإيليا ، فاحترف به بئراً أقام^(١) به ، وكان قد وسّع عليه في المال والخدم ، وهو أوّل من أضاف الضيف ، وأوّل من ثرّد الثريد ، وأوّل من رأى الشيب .

قال : وولد لإبراهيم عليه السلام إسماعيل وهو أكبر ولده — وأمه هاجر وهى قبطية ، وإسحاق ، وكان ضرير^(٢) البصر ، وأمه سارة ابنة بتويل بن ناخور بن ساروع بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح — ومدن ، ومدن ، ويقسان ، وزمران ، وأسبق ، وسوح ، وأمههم قنطورا بنت مقطور^(٣) من العرب العاربة .

فأما يقسان فالحق بنوه بمكة ، وأقام مدن ومدن بأرض مدّين ، فسميت به ، ومضى سائرهم في البلاد وقالوا لإبراهيم : يا أبانا أنزلت إسماعيل وإسحاق معك ، وأمرت أن ننزل أرض الغربة والوحشة ! فقال : بذلك أمرت ، قال : فعلمهم اسمًا من أسماء الله تبارك وتعالى ، فكانوا يستسقون به ويستنصرون ، فنههم من نزل خراسان ، فجاءتهم الخزر فقالوا : ينبغى للذى علمكم هذا أن يكون خير أهل الأرض ، أو ملك الأرض ، قال : فسموا ملوكهم خاقان .

قال أبو جعفر : ويقال في يسبق : يسباق ، وفي سوح : ساح .

وقال بعضهم : تزوج إبراهيم بعد سارة امرأتين من العرب ، إحداهما قنطورا بنت يقطان ، فولدت له ستة بنين ، وهم الذين ذكرنا ، والأخرى منهما حجور بنت أرهير ، فولدت له خمسة بنين : كيسان ، وشورخ ، وأمّيم ، ولوطان ، ونافس .

(١) ط : « فأقام » ، وما أثبتته من أ .

(٢) ط : « وهو ضرير » ، وما أثبتته من أ .

(٣) ط : « مقطور » ، وما أثبتته من أ .

ذكر وفاة إبراهيم عليه السلام

فلما أراد الله تبارك وتعالى قبض روح إبراهيم صلى الله عليه وسلم، أرسل إليه^(١) ملك الموت في صورة شيخ هرم . ٣٤٩/١

فحدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ بالإسناد الذي ذكرته قبل : كان إبراهيم كثير الطعام يطعم الناس ، ويضيفهم ، فبينما هو يطعم الناس إذا هو بشيخ [كبير]^(٢) يمشي في الحرة^(٣) ، فبعث إليه بحمار، فركبه حتى إذا أتاه أطعمه ، فجعل الشيخ يأخذ اللقمة يريد أن يدخلها فاه ، فيدخلها عينه وأذنه ثم يدخلها فاه ، فإذا دخلت جوفه خرجت من دبره . وكان إبراهيم قد سأل ربه عزّ وجلّ ألاّ يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت ، فقال للشيخ حين رأى من حاله ما رأى : ما بالك يا شيخ تصنع هذا ؟ قال : يا إبراهيم ، الكبّر ، قال : ابن كم أنت ؟ فزاد على عمر إبراهيم سنتين ، فقال إبراهيم : إنما بيني وبينك ستان ، فإذا بلغت ذلك صرت مثلك ! قال : نعم ، قال إبراهيم : اللهم اقبضني إليك قبل ذلك ، فقام الشيخ فقبض روحه ، وكان ملك الموت .

ولما مات إبراهيم عليه السلام — وكان موته وهو ابن مائتي سنة ، وقيل ابن مائة وخمس وسبعين سنة — دفن عند قبر سارة في مزرعة جبرون .

وكان مما^(٤) أنزل الله تعالى على إبراهيم عليه السلام من الصحف فيما قيل عشر صحائف ، كذلك حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : أخبرني عمي عبد الله بن وهب ، قال : حدثني الماضي بن محمد ، عن أبي سليمان، عن القاسم بن محمد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر الغفاري، قال : قلت : يا رسول الله ، كم كتاب أنزله الله ؟ قال : مائة كتاب وأربع

(١) ر : « أرسل الله تعالى » (٢) من ا .

(٣) ا : « الحرة » .

(٤) ن : « فيما » وفي ا : « كذلك حدثني » .

كتب : أنزل الله عزّ وجلّ على آدم عليه السلام عشر صحائف ، وعلى شيث خمسين صحيفة ، وأنزل على أخنوخ ثلاثين صحيفة ، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف ، وأنزل جلّ وعزّ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان . قلت : يا رسول الله ، فما كانت صحف إبراهيم ؟ قال : كانت أمثالا كلها .

أيها الملك المسلط المبتلى المغرور ، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض ، ولكن بعثتك لتردّ عني دعوة المظلوم ، فإني لا أردّها^(١) وإن كانت من كافر .

وكانت فيها أمثال : وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات ؛ ساعة يناجي فيها ربّه ، وساعة يفكر فيها في صنع الله عزّ وجلّ ، وساعة يحاسب فيها نفسه فيما قدم وأخر ، وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال في المطعم^(٢) والمشرب . وعلى العاقل ألاّ يكون ظاعناً إلاّ في ثلاث : تزوّد لمعاده ، وممرّة لمعاشه ، ولذة في غير محرّم . وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه ، مقبلاً على شأنه ، حافظاً للسانه . ومنّ حسب كلامه من عمله قل كلامه إلاّ فيما يعنيه .

٣٥١/١

* * *

وكان لإبراهيم — فيما ذكر — أخوان يقال لأحدهما هاران — وهو أبولوط ، وقيل إن هاران هو الذي بنى مدينة حرّان ، وإليه نسبت^(٣) — والآخر منهما ناحورا وهو أبو بتويل وبتويل^(٤) هو أبو لابان^(٥) ورفقا ابنة بتويل ، ورفقا امرأة إسحاق بن إبراهيم أم يعقوب ابنة بتويل ، وليّاً وراحيل امرأتا يعقوب ابنتا لابان .

(١) في ط : « لأردّها » تصويب من مصححه ؛ والصواب ما في الأصول .

(٢) ر : « من الحلال من المطعم » .

(٣) ط : « تنسب » ، وما أثبتته من أ .

(٤) أ : « بتويل » ، ر : « نبويل »

(٥) أ ، ن : « لا يان » .

ذكر خبر ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام

قد مضى ^(١) ذكرنا سبب مصير إبراهيم بابنه إسماعيل، وأمه هاجر إلى مكة وإسكانه إياهما بها . ولما كبر إسماعيل تزوج امرأة من جرهم ، فكان من أمرها ما قد تقدم ذكره ، ثم طلقها بأمر أبيه إبراهيم بذلك ، ثم تزوج أخرى يقال لها السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي ، وهي التي قال لها إبراهيم إذ قدم مكة ، وهي زوجة إسماعيل : قولي لزوجك إذا جاء : قد رضى لك عتبة بابك .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ولد لإسماعيل ابن إبراهيم اثنا عشر رجلا ، وأمه السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي : نابت بن إسماعيل ، وقيدر بن إسماعيل ، وأدبيل بن إسماعيل ، ومبشا بن إسماعيل ، ومسمع بن إسماعيل ، ودما بن إسماعيل ، وماس بن إسماعيل ، وأدد بن إسماعيل ، ووطور بن إسماعيل ، ونفيس بن إسماعيل ، وطما بن إسماعيل ، وقيدمان بن إسماعيل . ٣٥٢/١

قال : وكان عمر إسماعيل فيما يزعمون ثلاثين ومائة سنة ، ومن نابت وقيدر نشر الله العرب ، ونبتا الله عز وجل إسماعيل ، فبعثه إلى العماليق — فيما قيل — وقبائل اليمن .

وقد ينطق أسماء أولاد إسماعيل بغير الألفاظ التي ذكرت عن ابن إسحاق ، فيقول بعضهم في قيدر : قيدار ، وفي أدبيل : أدبال ، وفي مبشا : مبشام ، وفي دما : ذوما ومسا ، وحداد ، وتيم ، ويطور ، ونافس ، وقادمن ^(٢) .

وقيل : إن إسماعيل لما حضرته الوفاة أوصى إلى أخيه إسحاق وزوج ابنته من العيص بن إسحاق ، وعاش إسماعيل فيما ذكر مائة وسبعا وثلاثين سنة ، ودفن في الحجر عند قبر أمه هاجر .

(١) ا ، ن : « ذكرنا قبل » .

(٢) وأسأهم في سفر التكوين ٢٥ : ١٣ : ينابوت ، وقيدار ، وأنبيل ، ومبشام ، ومشعاع ، ودومة ، ومسا ، وحدار ، وتيما ، ويطور ، ونافيس ، وقدمه .

حدثني عبدة بن عبد الله الصفار ، قال : حدثنا خالد بن عبد الرحمن
 المخزومي ، عن مبارك بن حسن صاحب الأنماط ، عن عمر بن عبد العزيز ،
 قال : شكّا إسماعيل إلى ربه تبارك وتعالى حرّاً مكة فأوحى الله تعالى إليه : إني
 فاتح لك باباً من الجنة يجرى عليك روحها إلى يوم القيامة ، وفي ذلك المكان تدفن .

* * *

ونرجع الآن إلى :

٢٥٣/١ ذكر إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام وذكر نسائه وأولاده

إذ كان التأريخ غير متصل على سياق معروف لأمة بعد الفرس غيرهم ؛ وذلك أن الفرس كان ملوكهم متصلاً دائماً من عهد جيومرت الذي قد وصفت شأنه وخبره ، إلى أن زال عنهم بخير أمة أخرجت للناس ، أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وكانت النبوة والملك متصلين بالشأم ونواحيها لولد إسرائيل بن إسحاق إلى أن زال ذلك عنهم بالفرس والروم بعد يحيى بن زكرياء . وبعد عيسى بن مريم عليهما السلام . وسنذكر إذا نحن انتهينا إلى الخبر عن يحيى وعيسى عليهما السلام سبب زوال ذلك عنهم إن شاء الله .

فأما سائر الأمم غير الفرس ، فإنه غير ممكن الوصول إلى علم التأريخ بهم ؛ إذ لم يكن لهم ملك متصل في قديم الأيام وحديثه إلا ما لا يمكن معه سياق التأريخ عليه وعلى أعمار ملوكهم ، إلا ما ذكرنا من ولد يعقوب إلى الوقت الذي ذكرت^(١) ، فإن ذلك وإن كانت مدته انقطعت بزواله عنهم ؛ فإن قدر مدة زواله عنهم إلى غايتنا هذه معاوم مبلغه . وقد كان لليمن ملوك لهم ملك ، غير أنه كان غير متصل ، وإنما كان يكون منهم الواحد بعد الواحد ، وبين الأول والآخر فترات طويلة ، لا يقف على مبلغها العلماء ، لقلة عنايتهم كانت بها ، ومبلغ عمر الأول منهم والآخر ، إذا لم يكن من الأمر الدائم ، فإن دام منه شيء فإنما يدوم لمن دام له منهم بأنه عامل لغيره في الموضع الذي هو به لا يملكه^(٢) بنفسه ، وذلك كدوامه لآل نصر بن ربيعة بن الحارث بن مالك ابن عمرو بن نمارة بن نخم ؛ فإنهم كانوا على فرج ثغر العرب للفرس من الحيرة إلى حد اليمن طولاً وإلى حدود^(٣) الشأم وما اتصل بذلك^(٤) عرضاً ، فلم يزل ذلك دائماً لهم من عهد أردشير بابكان إلى أن قتل كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان النعمان بن المنذر ، فنقل عنهم ما كان إليهم من العمل على ثغر العرب إلى إياس بن قبيصة الطائي .

(١) ١ : « وصفت » . (٢) ط : « لا يملك » وما أثبتته من أ .

(٣) ط : « حد » ، وما أثبتته من أ . (٤) ط : « به » ، ما أثبتته من أ .

فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: نكح إسحاق بن إبراهيم رفقا بنت بتويل بن إلياس، فولدت له عيص بن إسحاق، ويعقوب ابن إسحاق، يزعمون أنهما كانا توءميين وأن عيصا كان أكبرهما. ثم نكح عيص بن إسحاق ابنة عمه بسمة ابنة إسماعيل بن إبراهيم، فولدت له الروم بن عيص، فكلُّ بني الأصفر من ولده. قال: وبعض الناس يزعم أن الأشبان من ولده، ولا أدري أمن ابنة إسماعيل أم لا.

ونكح يعقوب بن إسحاق - وهو إسرائيل - ابنة خاله ليثا ابنة لبان بن بتويل بن إلياس، فولدت له روبيل بن يعقوب، وكان أكبر ولده، وشمعون ٣٥٥/١ ابن يعقوب، ولاوى بن يعقوب، ويهوذا بن يعقوب، وزبالون^(١) بن يعقوب، ويسحر بن يعقوب، ودينة ابنة يعقوب. وقد قيل في يسحر إن اسمه «يشحر». ثم توفيت ليا بنت لبان فخلف يعقوب على أختها راحيل بنت لبان بن بتويل بن إلياس، فولدت له يوسف بن يعقوب، وبنيامين بن يعقوب - وهو بالعربية شداد - وولد له من سُرِّيَّتَيْنِ، اسم إحداهما زلفة، واسم الأخرى بلهة، أربعة نفر: دان بن يعقوب، ونفتالي^(٢) بن يعقوب، وجاد^(٣) بن يعقوب، وأشر^(٤) بن يعقوب، فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلا.

وقد قال بعض أهل التوراة إن رفقا زوجة إسحاق هي ابنة ناهر بن آزر عم إسحاق، ولأنها ولدت له ابنيه عيصا ويعقوب في بطن واحد، وإن إسحاق أمر ابنه يعقوب ألا ينكح امرأة من الكنعانيين، وأمره أن ينكح امرأة من بنات خاله لبان بن ناهر، وأن يعقوب لما أراد النكاح مضى إلى خاله لبان ابن ناهر خاطباً، فأدركه الليل في بعض الطريق، فبات متوسداً حجراً، فرأى فيما يرى النائم أن سلماً منصوباً إلى باب من أبواب السماء عند رأسه، والملائكة تنزل وتخرج فيه، وأن يعقوب صار إلى خاله فخطب إليه ابنته راحيل، وكانت ٣٥٦/١ له ابنتان: ليا وهي الكبرى، وراحيل وهي الصغرى، فقال له: هل من مال أزوجك عليه؟ فقال يعقوب: لا، إلا أني أخذُ منك أجيراً حتى تستوفى صداق

(١) ا، ب، ن: «زبالون». (٢) ن: «يفتال».

(٣) ر: «جادر». (٤) ن: «أسر».

ابتك ، قال : فإنَّ صداقها أن تخدمني سبع حجج . قال يعقوب : فزوجني راحيل وهي شرطي ، ولها أخذُك ، فقال له خاله : ذلك بيني وبينك ، فرعى له يعقوب سبع سنين ، فلما وفتى له ^(١) شرطه دفع إليه ابنته الكبرى ليا ، وأدخلها عليه ليلا ، فلما أصبح وجد غير ما شرط ، فجاءه يعقوب وهو في نادى قومه فقال له : غررتني وخدعتني واستحللت ^(٢) على سبع سنين ، ودلست عليّ غير امرأتى ، فقال له خاله : يا بن أختي ، أردت أن تُدخل عليّ خالك العار والسبّة ، وهو خالك والدك ، ومتى رأيت الناس يزوجون الصغرى قبل الكبرى ! فهاهم فآخذوني سبع حجج أخرى ، فأزوّجك أختها — وكان الناس يومئذ يجمعون بين الأختين إلى أن بعث موسى عليه السلام وأنزل عليه التوراة — فرعى له سبعا ، فدفع إليه راحيل ، فولدت له ليا أربعة أسباط : روبيل ، ويهوذا ، وشمعان ، ولاوى . وولدت ليراحيل يوسف وأخاه بنيامين وأخوات لهما ، وكان لابان دفع إلى ابنتيه حين جهزهما إلى يعقوب أمتين فوهبتا الأمتين ليعقوب ، فولدت كل واحدة منهما له ثلاثة رهط من الأسباط ، وفارق يعقوب خاله ، وعاد حتى نازل أخاه عيصا .

٣٥٧/١

وقال بعضهم : ولد ليعقوب دان ونفثالى من زلفة جارية راحيل ؛ وذلك أنها وهبتها له وسألته أن يطلب منها الولد حين تأخر الولد عنها ، وأن ليا وهبت جاريتها بلهة ليعقوب منافسة لراحيل في جاريته ، وسألته أن يطلب منها الولد ، فولدت له جاد ، وأشير ، ثم ولد له من راحيل بعد اليأس يوسف وبنيامين ، فانصرف يعقوب بولده هؤلاء وامراتيه المذكورتين إلى منزل أبيه من فلسطين على خوف شديد من أخيه العيص ، فلم ير منه إلا خيرا ، وكان العيص فيما ذكر لحق بعمه إسماعيل ، فتزوج إليه ابنته بسمة وحملها إلى الشام ، فولدت له عدة أولاد فكثروا حتى غلبوا الكنعانيين بالشام ، وصاروا إلى البحر وناحية الإسكندرية ثم إلى الروم . وكان العيص فيما ذكر يسمى آدم لأدومته . قال : ولذلك سمي ولده

(١) : « فلما وفاء » ، وفى ر : « فلما تم » .

(٢) ر : « واشترطت على » .

ولد الأصغر، وكانت^(١) ولادة رفقا بنت بتويل لإسحاق بن إبراهيم ابنه العيص ويعقوب — بعد أن خلا من عمر إسحاق ستون سنة — توءمين في بطن واحد، والعيص المتقدم منهما خرجا من بطن أمه، فكان إسحاق فيما ذكر يختص العيص، وكانت^(٢) رفقا أمهما تميل إلى يعقوب، فزعموا أن يعقوب ختل العيص في قربان قرباه بأمر أبيهما إسحاق بعد ما كبرت سنُّ إسحاق، وضعف بصره، فصار أكثر دعاء إسحاق ليعقوب، وتوجهت البركة نحوه بدعاء أبيه إسحاق له، فغاض ذلك العيص وتوعدّه بالقتل، فخرج يعقوب هارباً منه إلى خاله لابان ببابل، فوصله لابان وزوجه ابنتيه ليا وراحيل، وانصرف بهما وبخياريتيهما وأولاده الأسباط الاثني عشر وأختهم دينا إلى الشام إلى منزل آبائه، وتآلف أخاه العيص حتى نزل^(٣) له البلاد وتنقل في الشام، حتى صار إلى السواحل. ثم عبر^(٤) إلى الروم فأوطنها^(٥)، وصار الملوك من ولده وهم اليونانية — فيما زعم هذا القائل .

حدثنا الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي^(٥)، قال : حدثنا أبي، قال : أخبرنا أسباط، عن السدي، قال : تزوج إسحاق امرأة فحملت بغلامين في بطن، فلما أرادت أن تضعهما اقتتل الغلامان في بطنها، فأراد يعقوب أن يخرج قبل عيص، فقال عيص : والله لئن خرجت قبلي لأعرضن في بطن أبي وأقتلنّها، فتأخّر يعقوب، وخرج عيص قبله، وأخذ يعقوب بعقب عيص، فخرج فسمى عيصاً لأنه عصي، فخرج قبل يعقوب، وسمى يعقوب لأنه خرج آخذاً بعقب عيص، وكان يعقوب أكبرهما في البطن، ولكن عيصاً خرج قبله، وكبر الغلامان، فكان عيص أحبهما إلى أبيه، وكان يعقوب أحبهما إلى أمه، وكان عيص صاحب صيد، فلما كبر إسحاق

(١) ط : « فكانت » وما أثبتته من أ .

(٢) كذا في أ، ر وفي ط : « حتى ترك » .

(٣) ن : « حتى عبر » .

(٤) يقال : أوطن بمكان كذا ؛ إذا اتخذ وطناً .

(٥) في الأصول : « المبقرى »، تصحيف ؛ منسوب إلى بيع المنقر، ذكره ابن الأثير

وعمى، قال لعيص : يا بنى أطنعنى لحم صيد واقترب منى أدع لك بدعاء دعا
لى به أبى ، وكان عيص رجلاً أشعر ، وكان يعقوب رجلاً أجرداً ، فخرج
عيص يطلب الصيد ، وسمعت أمه الكلام فقالت ليعقوب : يا بنى ، اذهب إلى
الغنم فاذبح منها شاة ثم اشوه ، والبس جلده وقدّمه إلى أبيك ، وقل له : أنا
ابنك عيص : ففعل ذلك يعقوب ، فلما جاء قال : يا أبتاه كُـلْ ، قال :
مَنْ أنت ؟ قال : أنا ابنك عيص ، قال : فسّسه ، فقال : المسّ مسّ عيص ،
والريحُ ريح يعقوب ، قالت أمه : هو ابنك عيص فادع له ، قال : قدّم طعامك ،
فقدّمه فأكل منه ، ثم قال : ادن منى ، فدنا منه ، فدعا له أن يجعل فى ذريته
الأنبياء والملوك ، وقام يعقوب ، وجاء عيص فقال : قد جئتكَ بالصيد الذى
أمرتنى به^(١) ، فقال : يا بنى قد سبقك أخوك يعقوب ، فغضب عيص وقال :
والله لأقتلته ، قال : يا بنى قد بقيت لك دعوة ، فهلم أدع^(٢) لك بها ، فدعا له
فقال : تكون ذريتك عدداً كثيراً كالتراب ولا يملكهم أحدٌ غيرهم ،
وقالت أم يعقوب ليعقوب : الحق بخالك فكن عنده خشية أن يقتلك عيص ،
فانطلق إلى خاله ، فكان يسرى بالليل ويكمن بالنهار ، ولذلك سُمى إسرائيل ،
وهو سرى الله ، فأقّى خاله وقال عيص : أما إذ غلبتنى على الدعوى فلا تغلبنى
على القبر ، أن أدفن عند آبائى : إبراهيم وإسحاق ، فقال : لئن فعلت
لتُدفنن معه .

ثم إن يعقوب عليه السلام هوى ابنة خاله - وكانت له ابنتان - فخطب
إلى أبيهما الصغرى منهما ، فأنكحها إياه على أن يرعى غنمه إلى أجل مسمى ،
فلما انقضى الأجل زفّ إليه أختها ليا ، قال يعقوب : إنما أردت راحيل ،
فقال له خاله : إنا لا ينكح فينا الصغير قبل الكبير ، ولكن ارعَ لنا أيضاً
وانكحها^(٣) ، ففعل . فلما انقضى الأجل زوجّه راحيل أيضاً ، فجمع يعقوب

بينهما ، فذلك قول الله : ﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾^(٤) .

يقول : جمع يعقوب بين ليا وراحيل ، فحملت ليا فولدت يهوذا ،

(٢) : « أدعو » وكلاهما جائز .

(١) ر : « أردت » .

(٤) سورة النساء ٢٣ .

(٢) ر : وانكحها جميعاً .

وروبيل ، وشمعون . وولدت راحيل يوسف ، وبنيامين ، وماتت راحيل في نفاسها ببنيامين ، يقول : من وجع النفاس [الذى ماتت فيه] ^(١) .

وقطع خال يعقوب ليعقوب قطيعاً من الغنم ، فأراد الرجوع إلى بيت المقدس ، فلما ارتحلوا لم يكن له نفقة ، فقالت امرأة يعقوب ليوسف : خذ من أصنام أبي لعلنا نستنفق منه فأخذ ، وكان الغلامان في حجر يعقوب ، فأحبهما وعطف عليهما ليُتَمَّهما من أمهما ، وكان أحبَّ الخلق إليه يوسف عليه السلام ، فلما قدموا أرض الشام ، قال يعقوب لراع من الرعاة : إن أناكم أحدٌ يسألکم : من أنتم ؟ فقولوا : نحن ليعقوب عبد عيص ، فلقبهم عيص فقال : من أنتم ؟ قالوا : نحن ليعقوب عبد عيص ، فكفَّ عيص عن يعقوب ، ونزل ^(٢) يعقوب بالشام ، فكان همه يوسف وأخوه ، فحسده إخوته لما رأوا من حب أبيه له ، ورأى يوسف في المنام كأن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأهم ساجدين له ، فحدث أباه بها فقال : ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ ^(٣) .

(١) تكملة من ١ .

(٢) ١ : « وترك »

(٣) سورة يوسف هـ

ذكر أيوب عليه السلام

ومن ولده - فيما قيل - أيوب نبي الله؛ وهو فيما حدثنا ابن حميد ، قال :
 ٣٦١/١ حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عمن لا يتتهم ، عن وهب بن منبه ، أن
 أيوب كان رجلاً من الروم ، وهو أيوب بن موص بن رازح بن عيص بن
 إسحاق بن إبراهيم .

وأما غير ابن إسحاق فإنه يقول : هو أيوب بن موص بن رغويل بن العيص
 ابن إسحاق بن إبراهيم .

وكان بعضهم يقول : هو أيوب بن موص بن رغويل^(١) . ويقول : كان أبوه
 ممن آمن بإبراهيم عليه السلام يوم أحرقه^(٢) نمرود ، وكانت زوجته التي أمر
 بضربها بالضغث ابنة لعقوب بن إسحاق ، يقال : لها ليا ؛ كان يعقوب
 زوجها منه .

وحدثني الحسين بن عمرو بن محمد ، قال : حدثنا أبي ، قال : أخبرنا
 غياث بن إبراهيم ، قال : ذكر - والله أعلم - أن عدو الله إبليس لقى امرأة أيوب -
 وذكر أنها كانت ليا بنت يعقوب - فقال : يا ليا ابنة الصديق وأخت الصديق .
 وكانت أم أيوب ابنة للوط بن هاران .

وقيل : إن زوجته التي أمر بضربها بالضغث هي رحمة بنت أفرايم بن
 يوسف بن يعقوب ، وكانت لها البشينة^(٣) من الشام كلها بما فيها ، وكان - فيما
 ٣٦٢/١ ذكر - عن وهب بن منبه في الخبر الذي حدثنيه محمد بن سهل بن عسكر البخاري ،
 قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم أبو هشام ، قال : حدثني عبد الصمد
 ابن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن إبليس لعنه الله سمع تجاوب
 الملائكة^(٤) بالصلاة على أيوب ، وذلك حين ذكره الله تعالى وأثنى عليه ، فأدركه

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « رغويل » . (٢) ط : « إحراقه » ؛ وما أثبتته عن ١ .

(٣) البشينة ؛ ويقال البشنة ؛ ذكرها ياقوت وقال « اسم ناحية من نواحي دمشق ، وقال :

وقيل : هي قرية بين دمشق وأذرع ، عن الأزهري . وكان أيوب النبي عليه السلام منها » .

(٤) ر : « ملائكة السموات » .

البغي والحسد ، فسأل الله أن يسلطه عليه ليفتنه عن دينه ^(١) ، فسلطه الله على ماله دون جسده وعقله ، وجمع إبليس عفارىت الشياطين وعظماءهم ، وكان لأيوب البشنيّة من الشام كلّها بما فيها بين شرقها وغربها ، وكان بها ألف شاة برعاتها ^(٢) ، وخمسمائة فدّان يتبعها خمسمائة عبد ، لكل عبد امرأة وولد ومال ، ويحمل آلة كل فدّان أتان ، لكل أتان ولد ، بين اثنين ^(٣) وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك . فلما جمعهم إبليس ، قال : ماذا عندكم من القوة والمعرفة ؟ فإني قد سلطت على مال أيوب ؛ فهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال . فقال كلٌّ منّ عنده قوة على إهلاك شيء ما عنده ^(٤) . فأرسلهم فأهلكوا ماله كلّهم ، وأيوب في كلّ ذلك يحمد الله ولا يتشبه شيء أصيب به من ماله عن الجحد في عبادة الله تعالى والشكر له على ما أعطاه ، والصبر على ما ابتلاه به . فلما رأى ذلك من أمره إبليس لعنه الله سأل الله تعالى أن يسلطه على ولده ، فسلطه عليهم ، ولم يجعل له سلطاناً على جسده وقلبه وعقله ، فأهلك ولده كلّهم ، ثم جاء إليه متمثلاً بعلّهم الذي كان يعلمهم الحكمة جريحاً مشدوخاً يرققه حتى رقى أيوب فبكى ، فقبض قبضة من تراب فوضعها على رأسه ، فسّر بذلك إبليس ، واغتنمه من أيوب عليه السلام .

٣٦٣/١

ثم إنّ أيوب تاب واستغفر ، فصعدت قرناؤه من الملائكة بتوبته فبدروا إبليس إلى الله عزّ وجلّ . فلما لم يثن أيوب عليه السلام ما حلّ به من المصيبة في ماله وولده عن عبادة ربه ، والجحد في طاعته ، والصبر على ما ناله ، سأل الله عزّ وجلّ إبليس أن يسلطه على جسده ، فسلطه على جسده خلا لسانه وقلبه وعقله ؛ فإنه لم يجعل له على ذلك منه سلطاناً ، فجاءه ^(٥) وهو ساجد ، فنفخ في منخره نفخة اشتعل ^(٦) منها جسده ، فصار من جملة أمره إلى أن أتت

(١) ن : « في دينه » .

(٢) ن : « يرهاها » .

(٣) كذا في ط ، وفي ا : « بين اثنين » .

(٤) ر : « ما عندهم » .

(٥) ط : « فجاء » ، وما أثبتته من .

(٦) ن : « أشعل » .

جسده ، فأخرجه أهلُ القرية من القرية إلى كُناسة خارج القرية لا يقربه أحد إلا زوجته . وقد ذكرت اختلاف الناس في اسمها ونسبها قبل .

ثم رجع الحديث إلى حديث وهب بن منبّه :

وكانت زوجته تختلف إليه بما يصلحه وتلزمه ، وكان قد اتبعه ثلاثة نفر على دينه ، فلما رأوا ما نزل به من البلاء رفضوه واتهموه من غير أن يتركوا دينه ؛ يقال لأحدهم بلدد ، وللآخر اليفز^(١) ولثالث صافر^(٢) . فانطلقوا إليه وهو في بلائه فبكتوه ، فلما سمع أيوب عليه السلام كلامهم أقبل على ربه يستغيثه ويتضرع إليه ، فرحمه ربه ورفع عنه البلاء ، وردّ عليه أهله وماله ومثلهم معهم ، وقال له : **إِذَا رَكُضَ بِرَجُلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ**^(٣) ؛ فاغتسل به فعاد كهيمته قبل البلاء في الحسن والجمال .

٣٦٤/١

فحدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : حدثنا فضيل بن عياض ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : لقد مكث أيوب عليه السلام مطروحاً على كُناسة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرًا ، ما يسأل الله عزّ وجلّ أن يكشف ما به ، قال : فما على وجه الأرض أكرم على الله من أيوب ، فيزعمون أن بعض الناس قال : لو كان لربّ هذا فيه حاجة ما صنع به هذا ! فعند ذلك دعا .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلَيَّة ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : بقي أيوب عليه السلام على كُناسة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرًا اختلف فيها^(٤) الرواة .

فهذه جملة من خبر أيوب صلى الله عليه وسلم ، وإنما قدمنا ذكر خبره وقصته قبل خبر يوسف وقصته لما ذكر من أمره ، وأنه كان نبيّاً في عهد يعقوب أبي يوسف عليهم السلام .

وذكر أن عمّر أيوب كان ثلاثاً وتسعين سنة ، وأنه أوصى عند موته إلى

(١) : « اليفز » ، ن : « النفر » . (٢) : « صافن » .

(٣) سورة ص ٤٢ . (٤) في الأصول : « فيه » .

ابنه حومل^(١) ، وأن الله عز وجل بعث بعده ابنه بشر بن أيوب نبياً ، وسماه
 ذا الكفيل وأمره بالدعاء إلى توحيدته ، وأنه كان مقيماً بالشأم عُمره حتى مات ،
 وكان عمره خمسين سنة ، وأن بشراً أوصى إلى ابنه عبدان ، وأن الله
 عز وجل بعث بعده شُعَيْبَ بن صِيفُونَ^(٢) بن عيفا^(٣) بن ثابت^(٤) بن مدين
 ابن إبراهيم إلى أهل مدين .

وقد اختلف في نسب شُعَيْب فنسبه أهل التوراة النسب الذي^(٥) ذكرت .
 وكان ابن إسحاق يقول : هو شعيب بن ميكائيل من ولد مدين ، حدثني
 بذلك ابن حُميد ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق .

وقال بعضهم : لم يكن شعيب من ولد إبراهيم ، وإنما هو من ولد بعض من
 كان آمن بإبراهيم واتبعه على دينه ، وهاجر معه إلى الشأم ، ولكنه ابن بنت لوط ؛
 فجدة شعيب ابنة لوط .

* * *

ذكر خبر شعيب صلى الله عليه

وقيل إن اسم شعيب يزون^(٦) ، وقد ذكرت نسبه واختلاف أهل الأنساب
 في نسبه ، وكان — فيما ذكر — ضرير البصر .

حدثني عبد الأعلى بن واصل الأسدي ، قال : حدثنا أسيد بن زيد
 الجصاص ، قال : أخبرنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبَيْر في قوله :
 ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فَيِّنًا ضَعِيفًا﴾^(٧) ، قال : كان أعمى .

(١) ن : « حومل » .

(٢) أ : « صيفون » .

(٣) ط : « عنقا » ، وما أثبتته عن ابن الأثير .

(٤) كذا في أ ، ن ، وفي ط : « ثابت » .

(٥) ن : « النسبة التي » .

(٦) كذا في أ ، وفي ر : « يرون » ، وفي ط : « يرون » .

(٧) سورة هود ٩١ .

حدثنا أحمد بن الوليد الرَّمْلِيُّ، قال : حدثنا إبراهيم بن زياد وإسحاق ابن المنذر وعبد الملك بن يزيد ، قالوا : حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، مثله .

حدثني أحمد بن الوليد ، قال : حدثنا عمرو بن عون ومحمد بن الصباح ، قالا : سمعنا شريكا يقول في قوله : ﴿وإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ ، قال : أعمى .
حدثني أحمد بن الوليد ، قال : حدثنا سعدويه ، قال : حدثنا عباد ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا الحِمَاطِيُّ ، قال : حدثنا عباد ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد : ﴿وإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ ، قال : كان ضرير البصر .

حدثني العباس بن أبي طالب ، قال : حدثنا إبراهيم بن مهدي المِصْبِصِيُّ ، قال : حدثنا خلف بن خليفة ، عن سفيان ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير : ﴿وإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ ، قال : كان ضعيف البصر^(١)

حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو نعيم ، قال : حدثنا سفيان ، قوله تعالى : ﴿وإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ ، قال : كان ضعيف البصر . قال سفيان : وكان يقال له خطيب الأنبياء ، وإن الله تبارك وتعالى بعثه نبياً إلى أهل مدين ، وهم أصحاب الأيكة — والأيكة الشجر الملتف — وكانوا أهل كفر بالله وبخس للناس في المكاييل والموازين وإفساد لأموالهم ، وكان الله عز وجل وسع عليهم في الرزق ، وبسط لهم في العيش استدراجاً منه لهم ، مع كفرهم به ، فقال لهم شعيب عليه السلام : ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ مُخْيِرِينَ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾^(٢) . فكان من قول شعيب لقومه وجواب قومه له ما ذكره الله عز وجل في كتابه .

(١) ١ ، ن : «كان أعمى» .

(٢) سورة هود ٨٤

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما ذكر لي يعقوب بن أبي سلمة - إذا ذكره قال : «ذاك خطيب الأنبياء» ، لحسن مراجعته قومه فيما يرادهم به .

فلما طال تماديهم في غيئهم وضلالهم ، ولم يردّهم تذكير شعيب إياهم ، وتحذيرهم عذاب الله [لهم] ^(١) وأراد الله تبارك وتعالى هلاكهم ^(٢) ، سلط عليهم - فيما حدثني الحارث - قال : حدثنا الحسن بن موسى الأشيب ، قال : حدثني سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد ، قال : حدثنا حاتم بن أبي صغيرة ، قال : حدثني يزيد الباهلي ، قال : سألت عبد الله بن عباس عن هذه الآية : ﴿ فَأَخَذَهُمُ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ^(٣) ، فقال عبد الله بن عباس : بعث الله وبدة ^(٤) وحرّاً شديداً ، فأخذ بأنفاسهم فدخلوا أجواف البيوت ، فدخل [عليهم] ^(٥) أجواف البيوت فأخذ بأنفاسهم ، فخرجوا من البيوت هرباً ^(٥) إلى البرية فبعث الله عزّ وجلّ سحابة ، فأظلمت من الشمس ، فوجدوا لها برداً ولذة ، فنادى بعضهم بعضاً ، حتى إذا اجتمعوا تحتها أرسل ^(٦) الله عليهم ناراً ، قال عبد الله ابن عباس : فذاك عذاب يوم الظلة ، ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال : حدثني جرير بن حازم أنه سمع قتادة يقول : بُعث شعيب إلى أمتين : إلى قومه أهل مدين ، وإلى أصحاب الأيكة ، وكانت الأيكة من شجر ملتفّ ، فلما أراد الله عزّ وجلّ أن يعذبهم بعث عليهم حرّاً شديداً ، ورفع لهم العذاب كأنه سحابة ، فلما دنت منهم خرجوا إليها رجاء برّدها ، فلما كانوا تحتها أمطرت ^(٧)

(١) من أ . (٢) ١ : « إهلاكهم » .

(٣) سورة الشعراء ١٨٩

(٤) ابن الأثير : « وقدة » ؛ وهما بمعنى .

(٥) ر : « هرباً » .

(٦) ن : « أرسلها » .

(٧) كذا في أ وابن الأثير ، وهو أجود ؛ قال في اللسان : « أمطرم الله ، في المذاب خاصة » ،

وفي ط : « مطرت » .

عليهم ناراً، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني أبو سفيان ، عن معمر بن راشد ، قال : حدثني رجل من أصحابنا عن بعض العلماء ، قال : كانوا - يعني قوم شعيب - عطّلوا حدّاً ، فوسع الله عليهم في الرزق ، ثم عطّلوا حدّاً فوسع الله عليهم في الرزق ، فجعلوا كلما عطّلوا حدّاً وسع الله عليهم في الرزق ، حتى إذا أراد الله هلاكهم سلّط عليهم حرّاً لا يستطيعون أن يتقارّوا ، ولا ينفعهم ظل ولا ماء ، حتى ذهب ذهاب منهم فاستظلّ تحت ظلة فوجد رَوْحاً ، فنادى أصحابه : هلمّوا إلى الروح ، فذهبوا إليه سراعاً ، حتى إذا اجتمعوا ألهمها الله عليهم ناراً ، فذلك عذاب يوم الظلة . ٣٦٩/١

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن معاوية في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ ، قال : أصابهم حرٌّ قاتلهم في بيوتهم ، فنشأت سحابة كهيئة الظلّة فابتدروها ، فلما ناموا تحتها أخذتهم الرجفة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى . وحدثني الحارث ، قال : حدثنا الحسن ، قال : حدثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن أبي نجيح . عن مجاهد في قوله: ﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ ، قال : ظلال العذاب .

حدثني القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قوله: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ ، قال : أظلّ العذاب قوم شعيب . قال ابن جريج : لما أنزل الله تعالى عليهم أول العذاب أخذهم منه حرٌّ شديد ، فرفع الله لهم غمامة ، فخرج إليها طائفة منهم ليستظلوا بها ، فأصابهم منها برد وروح وريح طيبة ، فصبّ الله عليهم من فوقهم من تلك الغمامة عذاباً ، فذلك قوله: ﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : بعث الله عز وجل إليهم ظلة من سبحاب ، وبعث الله إلى الشمس فأحرقت ما على وجه الأرض ، فخرجوا كلهم إلى تلك الظلة ؛ حتى إذا اجتمعوا كلهم كشف الله عنهم الظلة ، وأحمى عليهم الشمس ، فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلتي .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا أبو تميمية ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عامر ، عن ابن عباس ، قال : من حدثك من العلماء ، ما عذاب يوم الظلة ، فكذب به .

حدثني محمود بن خداش ، حدثنا حماد بن خالد الخياط ، قال ، حدثنا داود بن قيس ، عن زيد بن أسلم في قوله عز وجل : ﴿ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ ^(١) ، قال : كان مما ينهاهم عنه حذف الدراهم - أو قال : قطع الدراهم ، الشك من حماد .

حدثنا سهل بن موسى الرازي ، قال : حدثنا ابن أبي فديك ، عن أبي مودود قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : بلغني أن قوم شعيب عند بوا في قطع الدراهم ، ثم وجدت ذلك في القرآن : ﴿ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا زيد بن حباب ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي ؛ قال : عذب قوم شعيب في قطعهم الدراهم ، فقالوا : ﴿ يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ .

* * *

ونرجع الآن إلى :

ذكر يعقوب وأولاده

ذكروا والله أعلم أن إسحاق بن إبراهيم عاش بعد ما ولد له العيص ويعقوب مائة سنة ، ثم توفي وله مائة وستون سنة فقبره ابنه : العيص ويعقوب عند قبر أبيه إبراهيم في مزرعة حَبْرُونَ ^(١) ، وكان عمر يعقوب بن إسحاق كله مائة وسبعاً وأربعين سنة ، وكان ابنه يوسف قد قُسم له ولأمه من الحسن ما لم يقسم لكثير من أحد من الناس .

وقد حدثني عبد الله بن محمد وأحمد بن ثابت الرازيان ، قالا : حدثنا عفان بن مسلم ، قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرنا ثابت [البثاني] ^(٢) عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « أعطى يوسف وأمّه شَطْرَ الحسن » .

وأن أمه راحيل لما ولدته دفعه زوجها يعقوب إلى أخته تحضنه ، فكان من شأنه وشأن عمته التي كانت تحضنه ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نَجِيح ، عن مجاهد ، قال : كان أول ما دخل على يوسف من البلاء فيما ^(٣) بلغني أن عمته ابنة إسحاق ، وكانت أكبر ولد إسحاق ، وكانت إليها صارت مِنْطَقَة إسحاق ، وكانوا يتوارثونها بالكَيْسَر ، فكان من اختانها مَنْ وليها كان له سَلَمًا ^(٤) لا يَنَازَع فيه ، يصنع فيه ما شاء ، وكان يعقوب حين ولد له يوسف قد كان حضنته ^(٥) عمته ، فكان معها وإليها ، فلم يَجِبْ أحد شيئاً من الأشياء حبّها إياه ، حتى إذا ترعرع

(١) في الأصول : « جبرون » ؛ وفي ياقوت : « حبرون » ، بالفتح ثم السكون وضم الراء وسكون الواو ونون : اسم القرية التي فيها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام بالبيت المقدس .

(٢) من ١ .

(٣) كذا في أ ، ح ، وفي ط : « ما بلغني » .

(٤) السلم هنا : الأسير .

(٥) كذا في أ ن والتفسير ، وفي ط : « حضنه » .

وبلغ سنوات ، ووقعت نفس يعقوب عليه ، أتاها فقال : يا أخيتي^(١) سلّمي إلى يوسف ، فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة ، قالت : والله^(٢) ما أنا بتاركته ؛ قال : فوالله ما أنا بتاركة . قالت : فدعه عندي أياماً أنظر إليه وأسكن عنه ، لعلّ ذلك يسدّيني عنه - أو كما قالت - فلما خرج من عندها يعقوب عمدت إلى منطقة إسحاق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه ، ثم قالت : لقد فقدت منطقة إسحاق ، فانظروا من أخذها ومن أصابها ، فالتُمت ثم قالت : كَشَفُوا أهل البيت ، فكشّفوهم فوجدوها مع يوسف ، فقالت : والله إنه لي لَسَلَمَ أصنع فيه ما شئت . قال : وأتاها يعقوب فأخبرته الخبر ، فقال لها : أنت وذاك ، إن كان فعل ذلك فهو سلّم لك ، ما أستطيع غير ذلك فأمسكته ، فما قدر عليه يعقوب حتى مات . قال : فهو الذي يقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ما صنع حين أخذه : ﴿ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾^(٣) .

٣٧٣/١

قال أبو جعفر : فلما رأت إخوة يوسف شدة حبّ والدهم يعقوب لإياه في صباه وطفولته وقلة صبره عنه حسدوه على مكانه^(٤) منه ، وقال بعضهم لبعض : ﴿ لِيُؤْسَفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ ، يعنون بالعصبة الجماعة ، وكانوا عشرة : ﴿ إِن أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾^(٥) .

ثم كان من أمره وأمر يعقوب ما قد قصّ الله تبارك وتعالى في كتابه من مسألتهم لإياه إرساله إلى الصحراء معهم ، ليسعى وينشط ويلعب ، وضمانهم^(٦) له حفظه ، وإعلام يعقوب لإياهم حزنه بمغيبه عنه ، وخوفه عليه من الذئب ، وخداعهم والدهم بالكذب من القول والزور عن يوسف ، ثم إرساله معهم

(١) ح : « يا أختاه » .

(٢) ط : « فوالله » ، وما أثبتته من أ .

(٣) سورة يوسف ٧٧ ، والخبر في التفسير ١٣ : ٢١ (بولاق) .

(٤) ح : « لمكانه » . وفي ر : « حسدوا مكانه » .

(٥) سورة يوسف ٨ .

(٦) ح : « في ضمانهم » .

وخروجهم به وعزمهم حين برزوا به إلى الصحراء على إلقائه في غيابة الحب ، فكان من أمره حينئذٍ فيما ذُكر - ما حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد العنقريّ ، عن أسباط ، عن السديّ قال : أرسله - يعني يعقوبُ يوسف - معهم ، فأخرجوه وبه عليهم كرامة ، فلما برزوا إلى البريّة أظهروا له العداوة ، وجعل أخوه يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه ، فجعل لا يرى منهم رجياً ، فضر به حتى كادوا يقتلونه ، فجعل يصيح ويقول : يا أبتاه يا يعقوب ! لو تعلم ^(١) ما يصنع بابنك بنو الإماء ! فلما كادوا يقتلونه ^(٢) ، قال يهوذا : أليس قد أعطيتُموني موثقاً ألا تقتلوه ! فانطلقوا به إلى الحبّ ليطرحوه ، فجعلوا يدُلّونه في البئر فيتعلق بشفيرها ^(٣) ، فربطوا يديه ، ونزعوا قميصه ، فقال : يا إخوتاه ، ردُّوا عليّ قميصي أتواري به في الحبّ ! فقالوا : ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً تؤنسك ، قال : إني لم أر شيئاً ، فدلّوه في البئر حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادةً أن يموت ، فكان في البئر ماء ، فسقط فيه ، ثم أوى إلى صخرة فيها ، فقام عليها ، فلما ألقوه في الحبّ جعل يبكي ، فنادوه ، فظنّ أنّها رحمة أدركتهم ، فأجابهم ، فأرادوا أن يرضخوه بصخرة ^(٤) فيقتلوه ، فقام يهوذا ، فنعمهم وقال : قد أعطيتُموني موثقاً ألا تقتلوه ، وكان يهوذا يأتيه بالطعام .

ثمّ خبره تبارك وتعالى عن وحيه إلى يوسف عليه والسلام وهو في الحبّ لينبئَنّ إخوته الذين فعلوا به ما فعلوا بفعلهم ذلك وهم لا يشعرون بالوحي الذي أوحى إلى يوسف . كذلك روى ذلك عن قتادة . حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعانيّ ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿ وأوحينا إليه لَتَنبِئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا ﴾ ، قال : أوحى إلى يوسف وهو في الحبّ أن ينبئهم بما صنعوا به ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ^(٥) بذلك الوحي .

(١) ط : « لم تعلم » وما أثبتته من أ .

(٢) ر ، ن : « أن يقتلوه » .

(٣) شفير البئر : أعلاها ، وفي ب ، ن : « بشفير البئر » .

(٤) أ : « بالحجارة » .

(٥) سورة يوسف ١٥ .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن قتادة بنحوه ، إلا أنه قال : أن سينبئهم . ٣٧٥/١

وقيل معنى ذلك : وهم لا يشعرون أنه يوسف ، وذلك قول يروى عن ابن عباس ؛ حدثني بذلك الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا صدقة بن عبادة الأسدي ، عن أبيه ، قال : سمعت ابن عباس يقول ذلك^(١) ، وهو قول ابن جريج .

ثم خبره تعالى عن إخوة يوسف ومجيئهم إلى أبيه عشاءً يبيكون ، يذكرون له أن يوسف أكله الذئب ، وقول والدهم : ﴿ بَلْ سَوَّاتْ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْراً فَصَبِرْ جَمِيلٌ ﴾^(٢) .

ثم خبره جلّ جلاله عن مجيء السيارة ، وإرسالهم واردهم ، وإخراج الوارد يوسف وإعلامه أصحابه به بقوله : ﴿ يَا بُشْرَايْ هَذَا غُلَامٌ ﴾^(٣) يبشرهم^(٤) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ﴿ يَا بُشْرَايْ هَذَا غُلَامٌ ﴾ ، تباشروا به حين أخرجه — وهى بشر بأرض بيت المقدس معلوم مكانها .

* * *

وقد قيل : إنما نادى الذى أخرج يوسف من البئر صاحبه له يسمى بشرى ، فناداه باسمه الذى هو اسمه . كذلك ذكر عن السدي . حدثنا الحسن بن محمد ، حدثنا خلف بن هشام ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، عن قيس بن الربيع ، عن السدي فى قوله : ﴿ يَا بُشْرَايْ ﴾ ، قال : كان اسم صاحبه بشرى . ٣٧٦/١

(١) : « ذلك » .

(٢) : سورة يوسف ١٨ .

(٣) : سورة يوسف ١٩ .

(٤) : « يبشرهم » .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، قال : حدثنا الحكم بن ظهير ، عن السدي في قوله : ﴿ يَا بُشْرَىٰ هَذَا غَلَامٌ ﴾ ، قال : اسم الغلام بشرى ، كما تقول : يا زيد .

ثم خبره عز وجل عن السيارة وواردهم الذي استخرج يوسف من الحب إذ اشتروه من إخوته ﴿بِثْمَنِ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾^(١) ، على زُهد فيه وإسراهم إياه بضاعة ، خيفة ممن معهم من التجار سألتهم الشركة فيه ، إن هم علموا أنهم اشتروه .

كذلك قال في ذلك أهل التأويل :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى [عن]^(٢) ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً﴾^(٣) ، قال : صاحب الدلو ومن معه قالوا لأصحابهم : إنا استبضعناه^(٤) خيفة أن يستشركوهم فيه إن علموا بثمانه ، وتبعهم إخوته يقولون للمدلى وأصحابه : استوثقوا منه لا يأتق ، حتى وقفوه بمصر فقال : مَنْ يبتاعني ويبشّر! فاشتراه الملك ، والملك مُسلم^(٥) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا شبابة ، قال : حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه ؛ غير أنه قال : خيفة أن يستشركوهم إن علموا به ، واتبعهم إخوته ، يقولون للمدلى وأصحابه : استوثقوا منه لا يأتق حتى وقفوه بمصر .

٣٧٧/١

حدثنا ابن وكيع ، قال ، حدثنا عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدي : ﴿وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً﴾ ، قال : لما اشتراه الرجلان فرقوا من الرفقة أن يقولوا : اشتريناه فیسألونهم الشركة فيه فقالوا : إن سألونا : ما هذا ؟ قلنا : بضاعة ، استبضعناه^(٦) أهل الماء ، فذلك قوله : ﴿وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً﴾ .

(١) سورة يوسف ٢٠ (٢) تكملة من ١ والتفسير .

(٣) كذا في ١ ، ح والتفسير ، وفي ط : « استبضعناها » .

(٤) الخبر في التفسير ١٢ : ١٠٠ (بولاق) .

فكان يبيعهم إياه ممن باعوه منه بثمان بخس ، وذلك الناقص القليل من الثمن الحرام .

وقيل إنهم باعوه بعشرين درهماً ، ثم اقتسموها - وهم عشرة - درهمين درهمين، وأخذوا العشرين معدودة بغير وزن؛ لأن الدراهم حينئذ - فيما قيل - إذا كانت أقل من أوقية وزنها أربعون درهماً لم تكن توزن ، لأن أقل أوزانهم يومئذ كانت أوقية .

وقد قيل : إنهم باعوه بأربعين درهماً . وقيل : باعوه باثنين وعشرين درهماً .

وذكر أن بائعه الذي باعه بمصر كان مالك بن دعر بن يوب^(٢) ابن عفقان بن مديان بن إبراهيم الخليل عليه السلام . حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن السائب ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس .

وأما الذي اشتراه بها وقال : ﴿ لَا مَرَاتِهِ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ ﴾^(٣)؛ فإن اسمه - فيما ذكر عن ابن عباس - قُطْفِير^(٤) . حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : كان اسم الذي اشتراه قُطْفِير .

٣٧٨/١

وقيل إن اسمه أطفير ، بن رُوحِب^(٥) ، وهو العزيز ، وكان على خزائن مصر ، والملك يومئذ الريّان بن الوليد ، رجل من العماليق ، كذلك حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق .

فأما غيره فإنه قال : كان يومئذ الملك بمصر وفرعونها الريّان بن الوليد بن ثروان بن أراشة بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح .

(١) : « ذعر » .

(٢) : ١ ، ن : بويب ، ر : « تويب » . (٣) سورة يوسف ٢١ .

(٤) كذا في ط وهو يوافق ما في ابن الأثير : ١ : ٨٠ ، وفي : « قطفين » ، وفي ن : « قطمين » ،

واسمه في سفر التكوين ٣٩ : ١ : « فوطيفار » .

(٥) : ١ : « رحيب » ، ر : « رويح » .

وقد قال بعضهم : إن هذا الملك لم يمت حتى آمن واتَّبَعَ يوسف على دينه ، ثم مات ويوسف بعدُ حيٌّ ، ثم ملك بعده قابوس بن مُصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاؤف بن سام بن نوح عليه السلام ، وكان كافرًا ، فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى أن يقبل .

وذكر بعضُ أهل التوراة أن في التوراة : أن الذي كان من أمر يوسف وإخوته والمصير به إلى مصر ، وهو ابن سبع عشرة سنة يومئذ ، وأنه أقام في منزل العزيز الذي اشتراه ثلاث عشرة سنة ، وأنه لما تمت له ثلاثون سنة استوزره فرعون مصر ؛ الوايد بن الريان ، وأنه مات يوم مات وهو ابن مائة سنة وعشر^(١) سنين وأوصى إلى أخيه يهوذا ، وأنه كان بين فراقه يعقوب واجتماعه معه بمصر اثنتان وعشرون سنة ، وأن مقام يعقوب معه بمصر بعد موافاته بأهله سبع عشرة سنة ، وأن يعقوب صلى الله عليه وسلم أوصى إلى يوسف عليه السلام .

وكان دخول يعقوب مصر في سبعين إنسانًا من أهله ، فلما اشترى أطفير يوسف ، وأتى به منزله ، قال لأهله واسمها — فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق — راعيل : ﴿ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا ﴾ فيكفينا إذا هو بلغ وفهم الأمور بعض ما نحن بسبيله من أمورنا : ﴿ أَوْ تَخِذْهُ وَلَدًا ﴾ ، وذلك أنه كان فياحدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق — رجلاً لا يأتي النساء ، وكانت امرأته راعيل حستاء ناعمة في مُلك ودنيا ، فلما خلا من عمر يوسف عليه السلام ثلاث وثلاثون سنة أعطاه الله عز وجل الحكم والعلم .

حدثني المثني ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد : ﴿ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾^(٢) : قال : العقل والعلم قبل النبوة .

* * *

﴿ وَرَأَوْدَتُهُ ﴾ حين بلغ من السن أشده ^(١) ﴿ أَلَيْ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ - وهى راعيل امرأة العزيز أطفير - ﴿ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ ﴾ ^(٢) عليه وعليها للذى أرادت منه ، وجعلت - فيما ذكر - تذكر ليوسف محاسنه تشوقه بذلك إلى نفسها .

« ذكر من قال ذلك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن ٣٨٠/١ السدى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾ ^(٣) ، قال : قالت له يا يوسف : ما أحسن شعرك ! قال : هو أول ما ينتثر من جسدى ، قالت : يا يوسف ما أحسن عينيك ! قال : هى أول ما يسيل إلى الأرض من جسدى ، قالت : يا يوسف ما أحسن وجهك ! قال : هو للتراب يأكله ، فلم تزل حتى أطمعته فهمت به وهم بها ، فدخل البيت وغلقت الأبواب ، وذهب ليحل سراويله فإذا هو بصورة يعقوب قائماً فى البيت قد عض على إصبعه يقول : يا يوسف لا تواقعها ، فإنما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير فى جو السماء لا يطاق ، ومثلك إن واقعته مثله إذا مات وقع فى الأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذى لا يعمل عليه ، ومثلك إن واقعته مثل الثور حين يموت فيدخل النمل فى أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه . فربط سراويله ، وذهب ليخرج يشتد ، فأدركته فأخذت بمؤنم تحبسه من خلفه فخرقته حتى أخرجته منه ، وسقط وطرحه يوسف ، وأشدت نحو الباب .

وقد حدثنا أبو كريب وابن وكيع وسهل بن موسى ، قالوا : حدثنا ابن عيينة عن عثمان بن أبى سليمان ، عن ابن أبى مليكة ، عن ابن عباس : سئل عن هم يوسف ما بلغ ؟ قال : حل الهميان ، وجلس منها مجلس الحائر ^(٤) .

٣٨١/١

(١) ١ ، ن ، : « بلغ السن الأشد » . (٢) سورة يوسف ٢٣

(٣) سورة يوسف ٢٥ ، والخبر فى التفسير ١٠٨ : ١٢ (بولاق) .

(٤) ١ : « الحائز » . وكذلك فى التفسير ١٠٩ : ١٢ (بولاق) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنا عبد الله بن أبي مُلَيْكَةَ ، قال : قلت لابن عباس : ما بلغ من همّ يوسف ؟ قال : استلقت له وجلس بين رجلَيْها ينزع ثيابه ، فصرف الله تعالى عنه ما كان همّ به من السوء بما رأى من البرهان الذي أراه الله ، فذلك ^(١) - فيما قال بعضهم - صورة يعقوب عاضاً على إصبعه .

وقال بعضهم : بل نودى من جانب البيت : أترنى فتكون كالطير وقع ريشه ، فذهب يطير ولا ريش له !

وقال بعضهم : رأى في الحائط مكتوباً : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ ^(٢) فقام حين رأى بُرْهَانَ رَبِّهِ هَارِبًا يريد باب البيت ، فزاراً مما أرادته ، واتبعته راعيل فأدركته قبل خروجه من الباب ، فجذبتة بقميصه من قِبَل ظهره ، فقدت قميصه وألنى يوسف وراعيلاً سيدها - وهو زوجها أظفير - جالساً عند الباب ، مع ابن عمّ لراعيل .

كذلك حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ، : ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ ^(٣) . قال : كان جالساً عند الباب وابن عمها معه ، فلما رآته قالت : ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ^(٤) ؛ إنه راودنى عن نفسى ، فدفعته عن نفسى فأبيت فشقت قميصه . قال يوسف : بل هى راودتنى عن نفسى ، فأبيت وفررت منها ، فأدركتنى فشقت قميصى . فقال ابن عمها : تبين هذا فى القميص ، فإن كان القميص ﴿ قَدْ مِنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ^(٥) ، وإن كان القميص ﴿ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ^(٥) ، فأنى بالقميص ، فوجده قد من دُبُر ، قال : ﴿ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ

(١) : « أراه الله به ، وذلك » . (٢) سورة الإسراء ٣٢ .

(٣) سورة يوسف ٢٥ . (٤) سورة يوسف ٢٦ .

(٥) سورة يوسف ٢٧ .

عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكَ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿١﴾ .

حدثني محمد بن عمارة ، قال : حدثنا عبید الله بن موسى ، قال : أخبرنا شيبان ، عن أبي إسحاق ، عن نوف الشامي ، قال : ما كان يوسف يريد أن يذكره حتى قالت : ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢) ، قال : فغضب وقال : ﴿ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ﴾ .

* * *

وقد اختلف في الشاهد الذي شهد من أهلها ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ، فقال بعضهم : ما ذكرت عن السدي .

وقال بعضهم : كان صبيًّا في المهد ، وقد روى في ذلك عن رسول الله ما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا عفان بن مسلم ، قال : حدثنا حماد ، قال : أخبرنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « تكلم أربعة وهم صغار » ، فذكر فيهم شاهد يوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا العلاء بن عبد الجبار ، عن حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : تكلم أربعة وهم صغار : ابن ماشطة ابنة فرعون ، وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسى بن مريم .

* * *

وقد قيل إن الشاهد كان هو القميص وقدّ من دبره .

* ذكر بعض من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا ﴾

قال : قميصه مشقوق من دُبُرهِ فتلك الشهادة ، فلما رأى زوجُ المرأة قميص يوسف قُدَّ من دُبُرِ قال لراعيل زوجته : ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ ، ثم قال ليوسف : أعرض عن ذكر ما كان منها من مرادتها إياك عن نفسها فلا تذكره لأحد ، ثم قال لزوجته : ﴿اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ .

وتحدث النساء بأمر يوسف وأمر امرأة العزيز بمصر ومرادتها إياه على نفسها فلم ينكمه ، وقلن : ﴿امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تَرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ ، (١) قد وصل حب يوسف إلى شغاف قلبها فدخل تحته حتى غلب على قلبها . وشغاف القلب : غلافه وحجابه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي : ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ قال : والشغاف جلدة على القلب (٢) يقال لها لسان القلب ؛ يقول : دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب ، فلما سمعت امرأة العزيز بمكرهن وتحدثن بينهن بشأنها وشأن يوسف ، وبلغها ذلك أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأً يتكئن عليه إذا حضرنها من وسائل . وحضرها فقدمت إليهن طعاماً وشراباً وأترجاً ، وأعطت كل واحدة منهن سكيناً تقطع به الأترج . ٣٨٤/١

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : حدثنا محمد بن الصلت ، قال : حدثنا أبو كدَيْسَةَ ، عن حُصَيْن ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا﴾ ، قال : أعطتهن أترجاً ، وأعطت كل واحدة منهن سكيناً .

فلما فعلت امرأة العزيز ذلك بهن ، وقد أجلست يوسف في بيت ويجلس غير المجلس الذي هن فيه جلوس ، قالت ليوسف : ﴿أُخْرِجْ عَلَيْنَا﴾ ،

(١) يوسف ٣٠ .

(٢) ن : « في القلب » .

فخرج يوسف عليهن ، فلما رأيته أجلاهن وأكبرنه وأعظمته ، وقطعن أيديهن بالسكاكين التي في أيديهن ، وهن يحسبن أنهن يقطعن بها الأترج ، وقلن : معاذ الله ما هذا إنس ، ﴿ إِن هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ ^(١) . فلما حل بهن ما حل من قطع أيديهن من أجل نظرة نظرهن إلى يوسف وذهاب عقولهن ، وعرفتتهن خطأ قبلهن : ﴿ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تَرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ ، وإنكارهن ما أنكرن من أمرها أقرت عند ذلك لهن بما كان من مراودتها إياه على نفسها ، فقالت : ﴿ فَذَلِكَ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ ، بعد ما حل سراويله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي : ٣٨٥/١ ﴿ قَالَتْ فَذَلِكَ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ ، تقول : بعد ما حل السراويل استعصم ، لا أدري ما بدا له ! ثم قالت لهن : ﴿ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ ﴾ من إتيانها ﴿ لَيَسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ ، فاختار السجن على الزنا ومعصية ربه ، فقال : ﴿ رَبُّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ ﴾ ^(٢) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي : ﴿ قَالَ رَبُّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ ﴾ من الزنا ، واستغاث بربه عز وجل فقال : ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ^(٣) . فأخبر الله عز وجل أنه استجاب له دعاءه ، فصرف عنه كيدهن ونجاه من ركوب الفاحشة ، ثم بدا للعزیز من بعد ما رأى من الآيات ما رأى من قسوة القميص من الدبر ، وخمش في الوجه ، وقطع النسوة أيديهن وعلمه

(١) سورة يوسف ٣١

(٢) سورة يوسف ٣٢

(٣) سورة يوسف ٣٣

ببراءة يوسف مما قُرف^(١) به في ترك يوسف مطلقاً .

* * *

وقد قيل : إن السبب الذي من أجله بدا له في ذلك ، ما حدثنا به ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط عن السدي : ﴿ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُفْنُهُ حَتَّى حِينَ ﴾^(٢) ، قال : قالت المرأة لزوجها : إن هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يعتذر إليهم ويخبرهم أنني راودته عن نفسه ، ولست أطيق أن أعتذر بعذري ، فلما أن تأذن لي فأخرج فاعتذر ، ولما أن تحبسه كما حبستني ، فذلك قول الله عز وجل : ﴿ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُفْنُهُ حَتَّى حِينَ ﴾ ، فذكر أنهم حبسوه سبع سنين .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا المحاربي ، عن داود ، عن عكرمة : ﴿ لَيْسَ جُفْنُهُ حَتَّى حِينَ ﴾ ، قال : سبع سنين ؛ فلما حبس يوسف في السجن صاحبه العزيز ، أدخل معه السجن الذي حبس فيه فتيان من فتیان الملك صاحب مصر الأكبر ؛ وهو الوليد بن الریان ؛ أحدهما كان صاحباً طعامه ، والآخر كان صاحب شرابه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : حبسه الملك ، وغضب على خبأزه ؛ بلغه أنه يريد أن يسمه فحبسه ، وحبس صاحب شرابه ؛ ظن أنه ماله على ذلك ، فحبسهما جميعاً ، فذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانِ ﴾^(٣) .

فلما دخل يوسف قال فيما حدثني به ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : لما دخل يوسف السجن ، قال : إني أعبر الأحلام ، فقال أحدُ الفتيين لصاحبه : هلم فلنجرّب هذا العبد العبراني ، فراء يا له ، فسأله من غير أن يكون رأياً شيئاً ، فقال الخباز : ﴿ إِنْ أَرَانِي أُحْيَىٰ

(١) ح : « قُرف به » . (٢) سورة يوسف ٣٥ . (٣) سورة يوسف ٣٦ .

فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ﴿١﴾ ، وقال الآخر : ﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ ، ﴿ تَبَشِّرْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(١) .

فقيل : كان إحسانه ما حدثنا به إسحاق بن أبي إسرائيل ، قال : حدثنا خلف بن خليفة ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك قال : سأل رجل الضحاك عن قوله : ﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ : ما كان إحسانه ؟ قال : كان إذا مرض لإنسان في السجن قام عليه ، وإذا احتاج جمع له ، وإذا ضاق عليه المكان وسَّعَ له ، فقال لهما يوسف : ﴿ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ ﴾ في يومكما ^(٢) هذا ﴿ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾ ^(٣) في اليقظة . فكره ^(٤) صلى الله عليه أن يعبرَ لهما ما سألاه عنه ، وأخذ في غير الذي سألا عنه لما في عبارة ما سألا عنه من المكروه على أحدهما فقال : ﴿ يَا صَاحِبَ السِّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ ^(٥) .

وكان اسم أحد الفتيين اللذين أدخلوا السجن محلب — وهو الذي ذكر أنه رأى فوق رأسه خبراً — واسم الآخر نبو ^(٥) ، وهو الذي ذكر أنه رأى كأنه يعصر خمرًا ، فلم يندعاه والدول عن الجواب عما سألاه عنه حتى أخبرهما بتأويل ما سألاه عنه فقال : ﴿ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ﴾ — وهو الذي ذكر أنه رأى كأنه يعصر خمرًا ، ﴿ وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلَّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ﴾ ^(٦) . ٣٨٨/١ . فلما عبرَ لهما ما سألاه تعبيره ، قالوا : ما رأينا شيئاً .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا ابن فضيل ، عن عمارة — يعني ابن القعقاع — عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، في الفتيين اللذين أتيا يوسف

(١) سورة يوسف ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) ١ : « فويكما » .

(٣) ط : « وكره » وما أثبتته من أ . (٤) سورة يوسف ٣٩ .

(٥) كذا في أ ، وفي ط مهمل . (٦) سورة يوسف ٤١ .

في الرؤيا إنما كانا تحالما ليختبراه^(١) ، فلما أَوَّلَ رؤياهما قالَا : إنما كنا نلعب ، فقال^(٢) : ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾^(٣) ثم قال لنبو— وهو الذي ظن يوسف أنه ناج منهما : ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ يعني عند الملك ، وأخبره^(٤) أني محبوس ظلماً ، ﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾^(٥) ، غفلة عرضت ليوسف من قبل الشيطان .

فحدثني الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان الضبيعي ، عن بسطام بن مسلم ، عن مالك بن دينار ، قال : قال يوسف للساقى : ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ ، قال : قيل : يا يوسف ، اتخذت من دوني وكيلًا ! لأطيلن حبسك . قال : فبكى يوسف وقال : يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى فقلت كلمة ، فويل لإخوتي !

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لو لم يقل يوسف — يعني الكلمة التي قال — ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله عز وجل » .

فلبث في السجن ، فيما حدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا عمران أبو الهذيل الصنعاني ، قال : سمعت وهبا يقول : أصاب أيوب البلاء سبع سنين ، وترك يوسف في السجن سبع سنين ، وعذب بختنصر فحوّل في السباع سبع سنين . ٣٨٩/١

• • •

ثم إن ملك مصر رأى رؤيا هالته .

-
- | | |
|-----------------------|--------------------------------------|
| (١) ١ : « ليبرياه » . | (٢) ط : « قال » ، وما أثبت من ا |
| (٢) سورة يوسف ٤١ . | (٤) ط : « فأخبره » ، وما أثبت من ا . |
| (٥) سورة يوسف ٤٢ . | |

فحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدى ، قال : إن الله عز وجل رأى الملك في منامه رؤيا هالته ، فرأى : ﴿ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابَسَاتٍ ﴾ ^(١) ، فجمع السحرة ، والكهنة والحازة ^(٢) والقافة ، فقصتها عليهم ، فقالوا : ﴿ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا ^(٣) مِنَ الْفَتَيْنِ وَهُوَ نُو ، ﴿ وَادَّكَرَ ﴾ حاجة يوسف ﴿ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ ، يعنى بعد نسيان : ﴿ أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾ ^(٣) ، يقول : فأطلقون . فأرسلوه فأتى يوسف فقال : ﴿ أَيُّهَا الصَّدِيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابَسَاتٍ ﴾ ^(٣) فإن الملك رأى ذلك في نومه .

فحدثنا ابن وكيع ، قال ، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى ، قال : قال ابن عباس : لم يكن السجن في المدينة ، فانطلق الساقى إلى يوسف ، فقال : ﴿ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ ... ﴾ الآيات .

فحدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، ﴿ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ ﴾ فالسمان الخاصيب ، والبقرات العجاف هنّ السنون المحول الجذوب . قوله : ﴿ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابَسَاتٍ ﴾ أما الخضر فهنّ السنون الخاصيب ، وأما اليابسات فهنّ الجذوب المحول .

٣٩٠/١

فلما أخبر يوسف نبوتأويل ذلك ، أتى نبو الملك ، فأخبره بما قال له يوسف ، فعلم الملك أنّ الذى قال يوسف من ذلك حقّ ، قال : اثبتنى به .

فحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى ، قال : لما أتى الملك رسوله فأخبره ، قال : اثبتنى به ، فلما أتاه الرسول ودعاه إلى

(١) سورة يوسف ٤٣ .

(٢) زاد ا : « والحازى : المتخوص » .

(٣) سورة يوسف ٤٤ - ٤٦ .

الملك أبي يوسف الخروج معه، وقال: ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ
الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ (١).

قال السدي: قال ابن عباس: لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك
بشأنه ما زالت في نفس العزيز منه حاجة، يقول: هذا الذي راود امرأتى. فلما
رجع الرسول إلى الملك من عند يوسف جمع الملك أولئك النسوة، فقال لهن:
ما خطيكن؟ إذ راودتن يوسف عن نفسه! قلن — فيما حدثنا ابن وكيع، قال:
حدثنا عمرو، عن أسباط، عن السدي قال: لما قال الملك لهن: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ
إِذْ رَاودْتُنَّ يَوْسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾؛
ولكن امرأة العزيز أخبرتنا أنها راودته عن نفسه، ودخل معها البيت، فقالت
امرأة العزيز حينئذ: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ
الصَّادِقِينَ﴾ (٢). فقال يوسف: ذلك هذا الفعل الذي فعلت من ترديدي رسول
الملك بالرسالات التي أرسلت في شأن النسوة، ليعلم أطفير سيدي ﴿أَنِّي لَمْ أَخْنُفُ
بِالْغَيْبِ﴾ في زوجته راعيل، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْخَائِثِينَ﴾ (٣).

فلما قال ذلك يوسف قال له جببرئيل: ما حدثنا أبو كريب، قال:
حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال:
لما جمع الملك النسوة، فسألهن: هل راودتن يوسف عن نفسه؟ ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ قالت امرأة العزيز الآن حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا
رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ قال يوسف: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُفُ
بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْخَائِثِينَ﴾. قال: فقال له جببرئيل:

٣٩١/١

(١) سورة يوسف ٥٠.

(٢) سورة يوسف ٥١.

(٣) سورة يوسف ٥٢.

ولا يوم هممت بها؟ فقال: ﴿وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(١).
فلما تبين للملك عنده يوسف وأمانته قال: ﴿اِئْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا
أَتَى بِهِ﴾ كَلِمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِينَا مَكِينٌ آمِينَ^(٢). فقال يوسف للملك:
﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ .

فحدثني يونس، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله :
﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ قال : كان لفرعون خزائن كثيرة غير الطعام ،
فسلم سلطانه كله إليه ، وجعل القضاء إليه أمره ، وقضاؤه نافذ .

حدثنا ابن حميد قال : حدثنا إبراهيم بن المختار ، عن شيبه الضبي في قوله :
﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ ، قال : على حفظ الطعام . ﴿إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ﴾^(١)
يقول : إني حفيظ لما استودعني ، عليم بسني المجاعة ، فولاه الملك ذلك .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
لما قال يوسف للملك: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ إِنِّْي حَفِيزٌ عَلِيمٌ قال
الملك : قد فعلت ، فولاه - فيما يذكرون - عمل إطفير ، وعزل إطفير
عما كان عليه ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ
يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)
قال : فذكر لي - والله أعلم - أن إطفير هلك في تلك الليالي ، وأن الملك
الريان بن الوليد زوج يوسف امرأة إطفير راعيل ، وأنها حين دخلت
عليه قال : أليس هذا خيراً مما كنت تريدان ! قال : فيزعمون أنها قالت :
أيها الصديق لا تلمني ، فإني كنت امرأة - كما ترى - حسنة^(٢) جميلة ناعمة ،
في ملك ودينا ، وكان صاحبي لا يأتي النساء ، وكنت كما جعلك الله في حسنك
وهيئتك ، فغلبتني نفسي على ما رأيت . فيزعمون أنه وجدها عذراء ، وأصابها
فولدت له رجلين : أفرايم بن يوسف ومنشا بن يوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي :

(١) سورة يوسف ٥٣ - ٥٦ . (٢) ح : « حسنا وجمالا » .

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾^(١) قال : استعمله الملك على مصر ، وكان صاحبَ أمرها ، وكان يلى البيع والتجارة وأمره كله ، فذلك قوله : ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾.

فلما ولي يوسف للملك خزائن أرضه واستقر^(٢) به القرار في عمله ، ومضت السنون السبع الخصبه التي كان يوسف أمرَ بترك ما في سنبل ما حصدوا من الزرع فيها فيه ، ودخلت السنون المجده وقحط الناس ، أجذبت بلاد فلسطين فيما أجذب من البلاد ، ولحق مكروه ذلك آل يعقوب في موضعهم الذي كانوا فيه ، فوجه يعقوب بنيه .

فحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : أصاب الناس الجوع حتى أصاب بلاد يعقوب التي هو بها ، فبعث بنيه إلى مصر ، وأمسك أخا يوسف بنيامين ، فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون ، فلما نظر إليهم قال : أخبروني : ما أمرُكم ؟ فإني أنكر شأنكم ! قالوا : نحن قوم من أرض الشام ، قال : فما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا نمتار طعاماً ، قال : كذبتُم ، أنتم عيون ! كم أنتم ؟ قالوا : عشرة ، قال : أنتم عشرة آلاف ، كلُّ رجل منكم [أمير]^(٣) ألف . فأخبروني خبركم ، قالوا : إنا إخوة ، بنو رجل صدِّيق ، وإنا كنا اثني عشر ، وكان أبونا يحب أخاً لنا ، وإنه ذهب معنا إلى البرية فهلك فيها ، وكان أحبنا إلى أبينا . قال : فإلى من سكن أبوكم بعده ؟ قالوا : إلى أخ لنا أصغر منه . قال : فكيف تخبروني أن أباكم صدِّيق وهو يحب الصغير منكم دون الكبير ! اتنوني بأخيكم هذا حتى أنظر إليه : ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ . قَالُوا سَرَّأَوْدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ^(٤) .

(١) سورة يوسف ٥٦ .

(٢) ط : « واستقر » ، وما أثبتته من ا .

(٣) تكلمة من ا والتفسير .

(٤) سورة يوسف ٦٠ ، ٦١ ، وأخبر في التفسير ١٣ : ٦ (بولاق) .

قال : فضعوا بعضكم رهينة حتى ترجعوا ، فوضعوا شمعون .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان يوسف حين رأى ما أصاب الناس من الجهد قد آسى بينهم ، فكان لا يحمل للرجل إلا بعيراً واحداً ، ولا يحمل الواحد بعيرين تقسيطاً بين الناس ، وتوسيعاً عليهم ، فقدم عليه لإخوته فيمن قدِم عليه من الناس يلتمسون الميرة من مصر ، فعرفهم وهم له منكرون لما أراد الله تعالى أن يبلغ بيوسف ^(١) فيما أراد . ثم أمر يوسف بأن يوقر لكل رجل من إخوته بعيرة ، فقال لهم : ائتوني بأخيكم من أبيكم ، لأحمل لكم بعيراً آخر ، فتزدادوا به حمل بعير : ﴿ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِ الْكَيْلَ ﴾ فلا أبخسه أحداً ، ﴿ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ ^(٢) . وأنا خير من أنزل ضيفاً على نفسه من الناس بهذه البلدة ، فأنا أضيفكم ﴿ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي ﴾ ^(٣) بأخيكم من أبيكم فلا طعام لكم عندي أكيله ، ولا تقربوا بلادى . وقال لفتياناه الذين يكيلون الطعام لهم : ﴿ اجْعَلُوا بَضَاعَتَهُمْ ﴾ — وهى ثمن الطعام الذى اشتروه به — ﴿ فِي رِحَالِهِمْ ﴾ .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ اجْعَلُوا بَضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ﴾ ^(٣) ، أى ورقهم ، فجعلوا ذلك فى رحالهم وهم لا يعلمون .

فلما رجع بنو يعقوب إلى أبيهم ، قالوا : ما حدثنا به ابن وكيع ، قال : ٣٩٥/١ حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى : فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا : يا أبانا ، إن ملك مصر أكرمنا كرامة ، لو كان رجلاً من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته ، وإنه ارتهن شمعون وقال : ائتوني بأخيكم هذا الذى عطف عليه أبوكم بعد

(١) : « ليوسف » ، ن : « من يوسف » .

(٢) سورة يوسف ٥٩ ، ٦٠ .

(٣) سورة يوسف ٦٢ .

أخيكم الذي هلك؛ فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربوا بلادي^(١) أبداً.
قال يعقوب: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ
فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٢). قال: فقال لهم يعقوب:
إذا أتيتم ملك مصر فأقرؤوه مني السلام وقولوا له: إن أبانا يصلّي عليك،
ويدعوك بما أوليتنا.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: خرجوا
حتى إذا قدموا على أبيهم، وكان مترهم - فيما ذكر لي^(٣) بعض أهل العلم -
بالعربيات من أرض فلسطين بغور الشام. وبعضهم يقول: بالأولاج^(٤) من
ناحية الشعب أسفل من حِسْنَى فلسطين، وكان صاحب بادية، له إبل
وشاء. فلما رجع إخوة يوسف إلى والدهم يعقوب قالوا له: يا أبانا منع منا
الكيل فوق حمل أباعرنا، ولم يكل لكل واحد منا إلا كيل بعير، فأرسل معنا
أخانا بنيامين يكتل لنفسه، وإنا له لحافظون، فقال لهم يعقوب: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ
عليه إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾. ٣٩٦/١

ولما فتح ولد يعقوب الذين كانوا خرجوا إلى مصر للميرة متاعهم الذي
قدموا به من مصر، وجعلوا ثمن طعامهم الذي اشتروه به رُدًّا إليهم، فقالوا لوالدهم:
﴿يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا
وَتَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾^(٥) آخر على أحمال إبلنا.

وقد حدثني الحارث، قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا حجاج، عن

(١) ط: «ولا تقربوني». وفي ح: «فإن لم تأتوني بأخيكم هذا فلا تقربوا بلادي»؛
وما أثبتته من أ.

(٢) سورة يوسف ٦٤.

(٣) ط: «ذكرني»؛ وما أثبتته عن أ.

(٤) الأولاج: موضع ذكره ياقوت؛ ولم يعين موضعه.

(٥) سورة يوسف ٦٥.

ابن جريج، ﴿وَتَزَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ ، قال : كان لكل رجل منهم حمل بعير ، فقالوا : أرسل معنا أخانا نزدد حمل بعير . قال ابن جريج : قال مجاهد : كيل بعير حمل حمار . قال : وهى لغة ؛ قال الحارث : قال القاسم : يعنى مجاهد أن الحمار يقال له فى بعض اللغات « بعير » .

فقال يعقوب : ﴿لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ يقول : إلا أن تهلكوا جميعاً ، فيكون حينئذ ذلك لكم عذراً عندى ، فلما وثقوا له بالإيمان قال يعقوب : ﴿اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾^(١) .

ثم أوصاهم بعد ما أذن لأخيهم من أبيهم بالرحيل معهم ، ألا تدخلوا من باب واحد من أبواب المدينة خوفاً عليهم من العين ، وكانوا ذوى صورة حسنة ، وجمال وهيئة ، وأمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة ، كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾^(١) ، قال : كانوا قد أوتوا صورة وجمالاً ، فخشى عليهم أنفسهم الناس ، فقال الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ ، [وكانت الحاجة التى فى نفس يعقوب فقضاها]^(٢) ما تخوف على أولاده أعين الناس لهيئتهم وجمالهم .

ولما دخل إخوة يوسف على يوسف ضم إليه أخاه لأبيه وأمه ، فحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى : ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾^(١) ، قال : عرف أخاه ، وأنزلهم منزلاً ، وأجرى عليهم الطعام والشراب ، فلما كان الليل جاءهم بمثل فقال : لیسنم كل أخوين

(١) سورة يوسف ٦٦ - ٦٩ .

(٢) تكملة من ١ .

منكم على مثال^(١)، فلما بقي الغلام وحده قال يوسف: هذا ينام معي على فراشي، فبات معه، فجعل يوسف يَشْتُم رِيحَهُ، ويضمُّهُ إليه حتى أصبح؛ وجعل روبيل يقول: ما رأينا مثل هذا إن نجونا منه.

وأما ابن إسحاق فإنه قال ما حدثنا به ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما دخلوا - يعني ولد يعقوب - على يوسف قالوا: هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به، قد جئناك به. فذكر لي أنه قال لهم: قد أحسنتم وأصبتم، وستجدون جزاء ذلك عندي، أو كما قال.

ثم قال: إني أراكم رجالا، وقد أردت أن أكرمكم، فدعا صاحب ضيافته فقال: أنزل كل رجلين على حدة، ثم أكرمهما وأحسن ضيافتهما. ٣٩٨/١

ثم قال: إني أرى هذا الرجل الذي جئتم به ليس معه ثان، فسأضمه إلي فيكون منزله معي، فأنزلهم رجلين رجلين في منازل شتى، وأنزل أخاه معه فأواه إليه، فلما خلا به قال: إني أنا أخوك أنا يوسف فلا تبتش بشيء فعلوه بنا فيما مضى؛ فإن الله قد أحسن إلينا فلا تعلمهم مما أعلمتكم؛ يقول الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢)، يقول له: ﴿فلا تبتش﴾، فلا تحزن.

فلما حمل يوسف إبل إخوته ما حملها من الميرة وقضى حاجتهم ووفاهم كيلهم، جعل الإِنَاء الذي كان يكيل به الطعام - وهو الصُّوَاع - في رحل أخيه بنيامين.

حدثنا الحسن بن محمد، قال: حدثنا عفان، قال: حدثنا عبد الواحد، عن يونس، عن الحسن أنه كان يقول: الصُّوَاع والسَّقَاية سواء، هما الإِنَاء الذي يشرب فيه، وجعل ذلك في رحل أخيه، والأخ لا يشعر فيما ذكر.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو، عن أسباط، عن السدي: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾، والأخ لا يشعر، فلما ارتحلو أذن مؤذن قبل أن ترتحل العير: ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾^(٢).

(١) المثال: الفراش ينام عليه. (٢) سورة يوسف ٦٩، ٧٠.

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حمل
لهم بغيراً بغيراً ، وحمل لأخيه بنيامين بغيراً باسمه كما حمل لهم ، ثم أمر بسقاية
الملك - وهو الصوّاع - وزعموا أنها كانت من فضة ، فجعلت في رحل أخيه
بنيامين ، ثم أمهلهم حتى إذا انطلقوا فأمعنوا من القرية ، أمر بهم فأدركوا
واحتبسوا ، ثم نادى مناد : أيتها العير إنكم لسارقون ، [قفوا] ^(١) . وانتهى إليهم رسوله
فقال لهم - فيما يذكرون - : ألم نكرم ضيافتكم ، ونوفّقكم كيّلكم ، ونحسن
متزلّكم ، ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم ، وأدخلناكم علينا في بيوتنا ، وصار
لنا عليكم حرمة ! أو كما قال لهم . قالوا : بلى ، وما ذاك ؟ قال : سقاية الملك
فقدناها ، ولا يثبتهموا عليها غيركم . قالوا : ﴿ تَاللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي
الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾ ^(٢) . وكان مجاهد يقول . كانت العير حميراً .

حدثني بذلك الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا سفيان ،
قال : أخبرني رجل ، عن مجاهد : وكان فيما نادى به منادى يوسف : مَنْ
جاء بصوّاع الملك فله حملٌ بغير من الطعام ، وأنا بإيافته ذلك زعيم - يعني
« كفيل » ^(٣) - وإنما قال القوم : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا
سَارِقِينَ ﴾ ، لأنهم ردوا ثمن الطعام الذي كان كيل لهم المرة الأولى في رحالهم . فردوه
إلى يوسف ، فقالوا : لو كنا سارقين ^(٤) لم نرد ذلك إليكم - وقيل إنهم كانوا
معروفين بأنهم لا يتناولون ما ليس لهم ، فلذلك قالوا ذلك - فقيل لهم : فما جزاء
من كان سرق ذلك ؟ فقالوا : جزاؤه في حُكْمنا بأن يسلم لفعله ذلك إلى مَنْ
سرقه حتى يسترقه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ،
قال : ﴿ قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين ﴾ قالوا جزاؤه مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ

(١) تكلّة من ا ، ن ، والتفسير .

(٢) سورة يوسف ٧٣ ، والخبر في التفسير ١٢ : ١٢ (بولاق) .

(٣) ن : « كفيلاً » .

(٤) ح : « سراقاً » .

فهو جزاؤه^(١) تأخذونه ؛ فهو لكم . فبدأ يوسف بأوعية القوم قبل وعاء أخيه بنيامين ، ففتشها ثم استخرجها من وعاء أخيه لأنه أختر تفتيشه .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أنه كان لا ينظر في وعاء إلا استغفر الله تأمناً مما قرفهم به ، حتى بقي أخوه - وكان أصغر القوم - قال : ما أرى هذا أخذ شيئاً . قالوا : بلى فاستبرئه ، ألا وقد علموا حيث وضعوا سقائهم . ﴿ ثُمَّ اسْتَخْرِجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾^(٢) ، يعني في حكم الملك ، ملك مصر ، وقضائه لأنه لم يكن من حكم ذلك الملك وقضائه أن يُسْتَرْقَّ السارق بما سرق ، ولكنه أخذه بكيد الله له حتى أسلمه رفقاؤه وإخوته بحكمهم عليه وطيب أنفسهم بالتسليم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا شبابة ، قال : حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : قوله : ﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾ ٤٠١/١ إلا بعلّة كادها الله له ، فاعتلّ بها يوسف ، فقال لإخوة يوسف حينئذ : ﴿ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾^(٣) - يعنون بذلك يوسف .

• • •

وقد قيل إن يوسف كان سرق صنماً لجلده أبي أمه ، فكسره ، فعيثروه بذلك .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني أحمد بن عمرو البصري ، قال : حدثنا الفيض بن الفضل ، قال : حدثنا مسعر ، عن أبي حصين^(٤) ، عن سعيد بن جبير : ﴿ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ ، قال : سرق يوسف صنماً لجلده أبي أمه فكسره وألقاه في الطريق ، فكان إخوته يعييبونه بذلك .

(١) سورة يوسف ٧٤ ، ٧٥ . (٢) سورة يوسف ٧٦ . (٣) سورة يوسف ٧٧ .

(٤) أبو حصين ، يفتح المهلة ، وهو عثمان بن عاصم بن حصين الأسدي . تهذيب التهذيب .

وقد حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبي قال : كان بنو يعقوب على طعام ، إذ نظر يوسف إلى عَرَق^(١) فخبأه فعيّروه بذلك ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ ، فأسرّ في نفسه يوسف حين سمع ذلك منهم ، فقال : ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾^(٢) به أخا بنيامين من الكذب ، ولم يُبَيِّن ذلك لهم قولاً .

فحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : لما استخرجت السريقة من رجل الغلام انقطعت ظهورهم ، وقالوا : يا بني راحيل ، ما يزال لنا منكم بلاء ! متى أخذت هذا الصواع ؟ فقال بنيامين : بل بنو راحيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء ، ذهبتم بأخي فأهلكتموه في البرية^(٣) ، وَصَّعَ هذا الصُّوَاعُ فِي رَحْطِي الَّذِي وَضَعَ الدَّرَاهِمُ فِي رِحَالِكُمْ . فقالوا : لا تذكر الدراهم فتؤخذ بها . فلما دخلوا على يوسف دعا بالصُّوَاعَ ، فنقر فيه ثم أذناه من ٤٠٢/١ أذنه ، ثم قال : إن صواعي هذا ليخبرني أنكم كنتم اثني عشر رجلاً ، وأنكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه . فلما سمعها بنيامين قام فسجد ليوسف ثم قال : أيها الملك ، سل صواعك هذا عن أخي أين هو؟ فنقره ، ثم قال : هو حي ، وسوف تراه . قال : فاصنع بي ما شئت ، فإنه إن علم بي فسوف يستنقذني . قال : فدخل يوسف فبكى ثم توضأ ، ثم خرج فقال بنيامين : أيها الملك ، إني أريد أن تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحق من الذي سرقه فجعله في رحلي . فنقره ، فقال : إن صواعي هذا غضبان ، وهو يقول : كيف تسألني : مَنْ صاحبي ؟ فقد رأيت مع من كنت ! قالوا : وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يُطَاقُوا ، فغضب روبيل وقال : أيها الملك ، والله لتتركنا أو لأصبحنَّ صبيحة لا تبقني بمصر حامل إلا ألقيت ما في بطنها ، وقامت كلُّ شعرة في جسد روبيل ، فخرجت من ثيابه . فقال يوسف لابنه : قم إلى جنب روبيل فسّه — وكان بنو يعقوب إذا غضب أحدهم فسّه الآخر ذهب غضبه — فقال روبيل : مَنْ

(١) العرق والمراق : العظم أكل لحمه .

(٢) سورة يوسف ٧٧ .

(٣) ن : « بالبرية » .

هذا ؟ إن في هذا البلد لَبَزَرًا من بَزَرِ يعقوب ، فقال يوسف : من يعقوب ؟
فغضب روبيل وقال : أيها الملك ، لا تذكر يعقوب فإنه لإسرائيل الله بن ذبيح
الله بن خليل الله . قال يوسف : أنت إذن كنت صادقًا .

٤٠٣/١ قال : ولما احتبس يوسف أخاه بنيامين ، فصار بحكم إخوته أولى به منهم ،
ورأوا أنه لا سبيلَ لهم إلى تخليصه ^(١) صاروا إلى مسألته تخليته ببذل منهم
يعطونه إياه ، فقالوا : ﴿ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا
مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ في أفعالك . فقال لهم يوسف : ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ
أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ يَجِدُنَا مَتَاعًا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَطَالُمُونَ ﴾ ^(٢) أَنْ نَأْخُذَ بَرِيئًا
بِسْقَمٍ !

فلما يئس إخوة يوسف من إجابة يوسف إياهم إلى ما سألوا من إطلاق
أخيه بنيامين وأخذ بعضهم مكانه ، خلصوا نجيًّا لا يفترق منهم أحد ، ولا
يختلط بهم ^(٣) غيرهم . فقال كبيرهم : - وهو روبيل ، وقد قيل إنه شمعون - :
ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقًا من الله أن تأتيه بأخي بنيامين إلا
أن يحاط بنا أجمعين ! ومن قبل هذه المرة ما فرطتم في يوسف ﴿ فَلَئِنْ أَفْرَحَ
الْأَرْضَ ﴾ التي أنا بها ﴿ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي ﴾ في الخروج منها وترك أخى بنيامين
بها ﴿ أَوْ يُنَحِّكُمُ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ ^(٤) - وقد قيل معنى
ذلك : أو يحكم الله لي بحرب مَنْ منى من الانصراف بأخى -
﴿ ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ ﴾ . فأسلمناه بجريرته ،
﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا ﴾ ؛ لأن صواع الملك لم يوجد إلا في رحله ، ﴿ وما كنا
للغيب حافطين ﴾ ^(٥) ، يعنون بذلك أنا إنما ضمنّا لك أن نحفظه مما لنا إلى حفظه

٤٠٤/١

(١) ن : « تخليته » .

(٢) سورة يوسف ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) ن : « معهم » .

(٤) سورة يوسف ٨٠ ، ٨١ .

سبيل، ولم نكن نعلم أنه يسرق فيُستَرَق بسرقة، واسأل أهل القرية التي كنا فيها فسرق ابنك فيها، والقافلة التي كنا فيها مقبلة من مصر معنا عن خبر ابنك، فإنك تخبر بحقيقة ذلك.

فلما رجعوا إلى أبيهم فأخبروه خبر بنيامين، وتخلّف روبيل قال لهم ^(١): بل سَوَّلْتُ لكم أنفسكم أمراً أردتموه، فصبر جميل لاجزع فيه على ما نالني من فقيد ولدي، عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً بيوسف وأخيه وروبييل. ثم أعرض عنهم يعقوب وقال: ﴿يَا أَسَفَا عَلَى يَوْسُفَ﴾ يقول الله عز وجل: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ^(٢)، مملوء من الحزن والغیظ. فقال له بنوه الذين انصرفوا إليه من مصر حين سمعوا قوله ذلك: تالله لا تزال تذكر يوسف فلا تفتر ^(٣) من حبه وذكره حتى تكون ذنفاً الجسم، محبوا العقل من حبه وذكره، هرماً بالياً أو تموت!

فأجابهم يعقوب فقال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله لا إليكم، وأعلم من الله ما لا تعلمون من صدق رؤيا يوسف؛ أن تأويلها كائن، وأني وأنت سنسجد له.

وقد حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عيسى بن يزيد، عن الحسن، قال: قيل: ما بلغ وجد يعقوب على ابنه؟ قال: وجد سبعين شكلي، قال: فما كان له من الأجر؟ قال: أجر مائة شهيد، قال: وما ساء ظنّه بالله ساعة قطّ من ليل ولا نهار.

وحدثنا ابن حميد مرة أخرى، قال: حدثنا حكام، عن أبي معاذ، عن يونس، عن الحسن، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن المبارك بن مجاهد، عن رجل من الأزد، عن طلحة بن مُصَرِّف الياشي، قال: أنبئت أن يعقوب ابن إسحاق دخل عليه جاره فقال: يا يعقوب، مالي أراك قد انهشمت

(١) «قال لهم أبيهم» . (٢) سورة يوسف ٨٤ .

(٣) كذا في ١، وفي ط: «لا تفتر» .

وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك ؟ قال : هشمى وأفنانى ما ابتلانى الله به من هم يوسف وذكره . فأوحى الله عز وجل إليه : يا يعقوب ^(١) أتشكونى إلى خلقى ! قال : يارب خطيئة أخطأتها فاغفرها ^(٢) لى . قال : فإنى قد غفرت لك ، فكان بعد ذلك إذا سئل قال : إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله ، وأعلم من الله ما لا تعلمون .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأملى ، قال : حدثنا أبو أسامة ، عن هشام عن الحسن ، قال : كان منذ خرج يوسف من عند يعقوب إلى أن رجع ثمانون سنة لم يفارق الحزن قلبه ، ولم يزل يبكى حتى ذهب بصره . قال الحسن : والله ما على الأرض خليفة أكرم على الله من يعقوب .

ثم أمر يعقوب بنبيه الذين قدموا عليه من مصر بالرجوع إليها وتحسّس الخبر عن يوسف وأخيه ، فقال لهم : اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيشوا من روح الله ، يفرج به عنا وعنكم الغم الذى نحن فيه . فرجعوا إلى مصر فدخلوا على يوسف فقالوا له حين دخلوا عليه : ﴿ أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَحِثْنَا بِبُضَاعَةِ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ ^(٣) . وكانت بضاعتهم المزجاة التى جاءوا بها معهم فيما ذكر - دراهم رديّة زيوفا لا تؤخذ إلا بوضيعة ^(٤) . وكان بعضهم يقول : كانت حلقى الغرارة والحبل ونحو ذلك . وقال بعضهم : كانت سمناً وصوفاً . وقال بعضهم : كانت صنوبراً وحبّة الخضراء . وقال بعضهم : كانت قليلة دون ما كانوا يشترون به قبل ، فسألوا يوسف أن يتجاوز لهم ويؤفّيهم بذلك من كيل الطعام مثل الذى كان يعطيهم فى المرتين قبل ذلك ، ولا ينقصهم . فقالوا له : ﴿ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ .

(١) ن : « فأوحى الله إلى يعقوب » .

(٢) ح : « فاغفر لى » .

(٣) سورة يوسف ٨٨ .

(٤) الوضيعة هنا : الحط من الثمن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي :
﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾ ، قال : بفضل ما بين الجياد والريّة . وقد قيل : إن معنى
ذلك : وتصدق علينا برد أخينا إلينا ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
ذكر أنهم لما كلموه بهذا الكلام ، غلبته نفسه فافرض دمعهُ باكيًا ، ثم باح
لهم بالذي كان يكتُم منهم ، فقال : ﴿ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ
إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ ^(١) . ولم يعن بذكر أخيه ما صنعه هو فيه حين أخذه ،
٤٠٧/١ ولكن التفريق بينه وبين أخيه إذ صنعوا بيوسف ^(٢) ما صنعوا . فلما قال لهم
يوسف ذلك قالوا له : ها أنت يوسف ! قال : ﴿ أَنَا يُونُسُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ
اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ بأن جمع بيننا بعد تفريقكم بيننا ، ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(٣) .

حدثنا ابن وكيع قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : لما قال
لهم يوسف : ﴿ أَنَا يُونُسُ وَهَذَا أَخِي ﴾ اعتذروا وقالوا : ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ
عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ ^(٣) . قال لهم يوسف : ﴿ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ
يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ^(٣) . فلما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن أبيه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال :
قال يوسف : ما فعل أبي بعدى ؟ قالوا : لما فاته بنيامين عمي من الحزن فقال :
﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ
أَجْمَعِينَ * وَلَمَّا فَصَلَ الْعِيرُ ﴾ عير بني يعقوب ، قال يعقوب :

(١) سورة يوسف ٨٩ ، ٩٠ .

(٢) ن : « فيه » .

(٣) سورة يوسف ٩١ ، ٩٢ .

﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ ^(١) .

٤٠٨/١ فحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني ابن شريح ، عن أبي أيوب الهوزني ، حدثه ، قال : استأذنت الريح بأن تأتي يعقوب بريح يوسف حين بعث بالقميص إلى أبيه قبل أن يأتيه البشير ، ففعلت ، فقال يعقوب : ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ ^(١) .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن ابن سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، عن ابن عباس في ﴿ وَلَمَّا فَصَلَ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ قال : هاجت ريح فجاءت بريح يوسف من مسيرة ثمان ليال ، فقال : ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : ذكر لنا أنه كان بينهما يومئذ ثمانون فرسخاً ، يوسف بأرض مصر ويعقوب بأرض كنعان ، وقد أتى لذلك زمان طويل .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج . قوله : ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ قال : بلغنا أنه كان بينهم يومئذ ثمانون فرسخاً ، وقال : ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ وقد كان فارقه قبل ذلك سبعة وسبعين سنة . ويعني بقوله : ﴿ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ لولا أن تسفهوني فتنسبوني إلى الهرم وذهاب العقل . فقال له مَنْ حضره من ولده حينئذ : تالله إنك من ذكر يوسف وجبه ﴿ إِنِّي ضَلَّالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ ^(٢) — يعنون في خطئك القديم . ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ ﴾ ^(٣) — يعني البريد الذي أبرده يوسف إلى يعقوب — يبشر بحياة يوسف وخبره ، وذكر أن البشير كان يهوذا بن يعقوب . ٤٠٩/١

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال :

(١) سورة يوسف ٩٣ ، ٩٤ .

(٢) سورة يوسف ٩٥ ، ٩٦ .

قال يوسف: ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ^(١). قال يهوذا: أنا ذهبت بالقميص ملطخًا بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب، وأنا أذهب اليوم بالقميص فأخبره بأنه حي، فأقر عينه كما أحزنته؛ فهو كان البشير.

فلما أن جاء البشير يعقوب بقميص يوسف ألقاه على وجهه، فعاد بصيراً بعد العمى، فقال لأولاده: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢). وذلك أنه كان قد علم — من صدق تأويل رؤيا يوسف التي رآها أن الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدون — ما لم يكونوا يعلمون. فقالوا ليعقوب: ﴿ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ ^(٣). فقال لهم يعقوب: ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾ ^(٤). قيل: إنه أخر الدعاء لهم إلى السحر. وقيل إنه أخر ذلك إلى ليلة الجمعة.

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذی، قال: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: حدثنا ابن جريج، عن عطاء وعكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « قال يعقوب: ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾، يقول: حتى تأتى ليلة الجمعة ».

فلما دخل يعقوب وولده وأهاليهم على يوسف آوى إليه أبويه، وكان دخولهم عليه قبل دخولهم مصر — فيما قيل — لأن يوسف تلقاهم. حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو، عن أسباط، عن السدي، قال: حملوا إليه أهليهم وعيالهم، فلما بلغوا مصر كلّم يوسف الملك الذى فوقه فخرج هو والملك يتلقونهم، فلما بلغوا مصر قال: ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ ^(٥). فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه.

(١) سورة يوسف ٩٣

(٢) سورة يوسف ٩٦ - ٩٩

حدثني الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان ، عن فرقد السبّخي ، قال : لما ألقى القميص على وجهه ارتدّ بصيراً ، وقال : ائتوني بأهلكم أجمعين ، فحمل يعقوب وإخوة يوسف ، فلما دنا يعقوب أخبر يوسف أنه قد دنا منه ، فخرج يتلقاه . قال : وركب معه أهل مصر - وكانوا يعظمونه - فلما دنا أحدهما من صاحبه - وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على رجل من ولده ، يقال له يهوذا - قال : فنظر يعقوب إلى الخيل والناس ، فقال (١) : يا يهوذا ، هذا فرعون مصر ، فقال : لا ، هذا ابنك يوسف ، قال : فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب (٢) يوسف يبدؤه بالسلام ، فنع ذلك ، وكان يعقوب أحقّ بذلك منه وأفضل . فقال : السلام عليك يا مذهب الأحران ، فلما أن دخلوا مصر رفع أبويه على السرير وأجلسهما عليه .

* * *

وقد اختلف في اللذين رفعهما يوسف على العرش ، وأجلسهما عليه ، فقال بعضهم : كان أحدهما أبوه يعقوب ، والآخر أمه راحيل . وقال آخرون : بل كان الآخر خالته ليا وكانت أمه راحيل قد كانت ماتت قبل ذلك . وخرّ له يعقوب وأمه وولد يعقوب سجّداً . ٤١١/١

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ (٣) قال : كانت تحية الناس أن يسجد بعضهم لبعض ، وقال يوسف لأبيه : ﴿ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ (٣) يعني بذلك : هذا السجود منكم ، يدل على تأويل رؤياي التي رأيتها من قبل ، صنع لإخوتي بي ما صنعوا ، وتلك الكواكب الأحد عشر والشمس والقمر ﴿ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ . يقول : قد حقق الرؤيا بمجيء تأويلها .

* * *

وقيل كان بين أن أرى يوسف رؤياه هذه وحىء تأويلها أربعون سنة .
* ذكر بعض من قال ذلك :

(١) ط : « قال » وما أثبتته من أ . (٢) ١ : « فذهب » .

(٣) سورة يوسف ١٠٠ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا معتمر ، عن أبيه ، قال :
حدثنا أبو عثمان ، عن سلمان الفارسي ، قال : كان بين رؤيا يوسف إلى أن
رأى تأويلها أربعون سنة .

وقال بعضهم : كان بين ذلك ثمانون سنة .

* ذكر بعض من قال ذلك :

حدثنا عمرو بن علي ، قال : حدثنا عبد الوهاب الثقفي ، قال : حدثنا
هشام ، عن الحسن ، قال : كان منذ فارق يوسف يعقوب إلى أن التقيا ثمانون
سنة ، لم يفارق الحزن قلبه ودموعه تجري على خديّه ، وما على الأرض يومئذ
أحب إلى الله عز وجل من يعقوب .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا داود بن مهزيان ، قال : حدثنا
عبد الواحد بن زياد ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : ألتقي يوسف في الحب
وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان بين ذلك وبين لقائه يعقوب ثمانون سنة ، وعاش
بعد ذلك ثلاثاً وعشرين سنة ، ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا مبارك بن
فضالة ، عن الحسن ، قال : ألتقي يوسف في الحب ، وهو ابن سبع عشرة
سنة ، فغاب عن أبيه ثمانين سنة ، ثم عاش بعد ما جمع الله شمله ، ورأى
تأويل رؤياه ثلاثاً وعشرين سنة ، فمات وهو ابن عشرين ومائة سنة .

وقال بعض أهل الكتاب : دخل يوسف مصر وله سبع عشرة سنة ، فأقام
في منزل العزيز ثلاث عشرة سنة ، فلما تمت له ثلاثون سنة استوزره فرعون
ملك مصر ، واسمه الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشة بن قاران بن عمرو بن
عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ، وأن هذا الملك آمن ، ثم مات ، ثم ملك
بعده قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس^(١) بن قاران بن عمرو
ابن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح . وكان كافراً ، فدعاه يوسف إلى الإيمان
بالله فلم يستجب إليه ، وأن يوسف أوصى إلى أخيه يهوذا ، ومات وقد أتت
له مائة وعشرون سنة ، وأن فراق يعقوب إياه كان اثنتين وعشرين سنة ، وأن

مقام يعقوب معه بمصر كان بعد موافاته بأهله سبع عشرة سنة ، وأن يعقوب لما حضرته الوفاة أوصى إلى يوسف - وكان دخول يعقوب مصر في سبعين إنساناً من أهله . وتقدم إلى يوسف عند وفاته أن يحمل جسده حتى يدفنه بجانب أبيه إسحاق ، ففعل يوسف ذلك به ومضى به حتى دفنه بالشأم ، ثم انصرف إلى مصر ، وأوصى يوسف أن يحمل جسده حتى يدفن إلى جنب آبائه ، فحمل موسى تابوت جسده عند خروجه من مصر معه .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذكر لي - والله أعلم - أن غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثمانى عشرة سنة .

قال : وأهل الكتاب يزعمون أنها كانت أربعين سنة أو نحوها ، وأن يعقوب بقي مع يوسف بعد أن قدم عليه مصر سبع عشرة سنة ، ثم قبضه الله إليه . قال : وقبر يوسف - كما ذكر لي في - صندوق من مرمر في ناحية من النيل في جوف الماء .

وقال بعضهم : عاش يوسف بعد موت أبيه ثلاثاً وعشرين سنة ، ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة . قال : وفي التوراة أنه عاش مائة سنة وعشر سنين .

وولد ليوسف أفرايم بن يوسف ومنشا بن يوسف ، فولد لإفرايم نون ، فولد لنون بن إفرايم يوشع بن نون وهو فتى موسى ، وولد لمنشا موسى بن منشا . ٤١٤/١

وقيل : إن موسى بن منشا نبي^(١) قبل موسى بن عمران .

ويزعم أهل التوراة أنه الذى طلب الخضر .

قصة الخضر وخبر موسى وفتاه يوشع عليهم السلام

قال أبو جعفر : كان الخضر ممن كان في أيام أفريدون الملك بن أنفيان في قول عامة أهل الكتاب الأول ، وقبل^(١) موسى بن عمران صلى الله عليه وسلم . وقيل إنه كان على مقدمة ذى القرنين الأكبر ، الذى كان أيام إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى قضى له ببئر السبع - وهى بئر كان إبراهيم احتفرها لما شيته في صحراء الأردن - وإن قوماً من أهل الأردن ادّعوا الأرض التى كان احتفر بها إبراهيم بئر ، فحاكمهم إبراهيم إلى ذى القرنين الذى ذكر أن الخضر كان على مقدمته أيام سيره في البلاد ، وإنه بلغ مع ذى القرنين نهر الحياة ، فشرب من مائه وهو لا يعلم ، ولا يعلم به ذو القرنين ومن معه ، فخلد ، فهو حيّ عندهم إلى الآن .

وزعم بعضهم أنه من ولد من كان آمن بإبراهيم خليل الرحمن ، واتبعه ٤١٥/١ على دينه ، وهاجر معه من أرض بابل حين هاجر إبراهيم منها . وقال : اسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، قال : وكان أبوه ملكاً عظيماً .

وقال آخرون : ذو القرنين الذى كان على عهد إبراهيم صلى الله عليه وسلم هو أفريدون بن أنفيان ، قال : وعلى مقدمته كان الخضر .

وقال عبد الله بن شوذب فيه ، ما حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى قال : حدثنا محمد بن المتوكل ، قال : حدثنا ضمرة بن ربيعة ، عن عبد الله بن شوذب ، قال : الخضر من ولد فارس ، وإلياس من بنى إسرائيل ، يلتقيان في كل عام بالموسم .

وقال ابن إسحاق فيه ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : بلغني أنه استخلف الله عز وجل في بنى إسرائيل

(١) كذا في وابن الأثير ، وهو الصواب ، وفي ط : « وقيل » .

رجلا منهم ، يقال له ناشية بن أموص ، فبعث الله عز وجل لهم الخضر نبياً . قال : واسم الخضر - فيما كان وهب بن منبه يزعم عن بنى إسرائيل - أورميا بن خلقيا ، وكان من سبط هارون بن عمران . وبين هذا الملك الذى ذكره ابن إسحاق وبين أفريدون أكثر من ألف عام . ٤١٦/١

وقول الذى قال : إن الخضر كان فى أيام أفريدون وذى القرنين الأكبر وقبل (١) موسى بن عمران أشبه بالحق إلا أن يكون الأمر كما قاله من قال إنه كان على مقدمة ذى القرنين صاحب إبراهيم ، فشرب ماء الحياة ، فلم يبعث فى أيام إبراهيم صلى الله عليه وسلم نبياً ، وبعث أيام ناشية بن أموص ، وذلك أن ناشية بن أموص الذى ذكر ابن إسحاق أنه كان ملكاً على بنى إسرائيل ، كان فى عهد بشتاسب بن لهراسب ، وبين بشتاسب وبين أفريدون من الدهور (٢) والأزمان ما لا يحمله ذو علم بأيام الناس وأخبارهم ، وسأذكر مبلغ ذلك إذا انتهينا إلى خبر بشتاسب إن شاء الله تعالى .

ولما قلنا : قول من قال : كان الخضر قبل موسى بن عمران صلى الله عليه وسلم أشبه بالحق من القول الذى قاله ابن إسحاق وحكاه عن وهب بن منبه ، للخبر الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى بن كعب ، أن صاحب موسى بن عمران - وهو العالم الذى أمره الله تبارك تعالى بطلبه إذ ظن أنه لا أحد فى الأرض أعلم منه - هو الخضر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان أعلم خلق الله بالكائن من الأمور الماضية ، والكائن منها الذى لم يكن بعد . ٤١٧/١

والذى روى أبى بن كعب فى ذلك عنه صلى الله عليه وسلم ما حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن سعيد ، قال (٣) : قلت لابن عباس : إن نوقاً يزعم أن الخضر ليس

(١) ط : « قبل » من غير واو ، وما أثبتة من ا .

(٢) ح : « الدهر » .

(٣) رواه البخارى فى كتاب التفسير بسنده عن سعيد بن جبير ، مع اختلاف فى ألفاظ

الحديث .

بصاحب موسى ، فقال : كذبَ عدو الله ، حدثنا أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن موسى قام في بني إسرائيل خطيباً فقليل : أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا ، فغضب الله عليه حين لم يرد العلم إليه ، فقال : بل عبدٌ لي ^(١) عند مجمع البحرين ، فقال : يا رب ، كيف به ؟ قال ^(٢) : تأخذ حوتاً فتجعله في مكثل فحيث تفقده فهو هناك . قال : فأخذ حوتاً فجعله في مكثل ، ثم قال لفتاه : إذا فقدت هذا الحوت فأخبرني . فانطلقا يمشيان على ساحل البحر حتى أتيا صخرة ، فرقد موسى فاضطرب الحوت في المكثل ، فخرج فوق في البحر ، فأمسك الله عنه جريرة الماء فصار مثل الطاق ، فصار للحوت سرباً ، وكان لهما عجباً . ثم انطلقا ، فلما كان حين الغداء قال موسى لفتاه : ﴿ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ ^(٣) قال : ولم يجد موسى النصب ^(٤) حتى جاوز حيث أمره الله ^(٥) ، قال : فقال : ﴿ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ ^(٦) قال : فقال : ﴿ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۖ ۱٨/١ فَأَرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ ^(٧) . قال : يقصان آثارهما ^(٨) . قال : فأتيا الصخرة ، فإذا رجل نائم مسجى بثوبه ، فسلم عليه موسى فقال : وأنتى بأرضنا السلام ! قال : أنا موسى ، قال : موسى بنى إسرائيل ؟ قال : نعم ، قال : يا موسى ، إني على علم من علم الله ، علمنيه الله لا تعلمه ، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه ، قال : فإني أتبعك على أن تعلمني ممّا علمت رُشدًا . ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ ^(٩) . فانطلقا يمشيان على الساحل ، فإذا بملاح في سفينة ، فعرف الخضر ، فحمّله

(١) البخارى : « فأوحى الله إليه إن لي عبداً » .

(٢) ط : « فقال : وما أثبتته عنى والبخارى .

(٣) سورة الكهف ٦٢ - ٦٤ .

(٤) ح : « التعب » .

(٥) لفظ البخارى : « المكان الذى أمر الله به » .

(٦) ن : « آثارهما » ، ولفظ البخارى : « رجماً يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة » .

(٧) سورة الكهف ٧٠ .

بغير نَوَلٍ ، فجاء عصفور فوق على حرفها فنقر — أو فنقد^(١) — في الماء ، فقال الخضر لموسى : ما ينقص علمي وعلمك من علم الله إلا مقدار ما نقر — أو نقد — هذا العصفور من البحر .

قال أبو جعفر : أنا أشك^٢ ، وهو في كتابي هذا « نقر » . قال : فبينما هم في السفينة لم يَفْجأ موسى إلا وهو يتد وتداً أو ينزع تخسّاً منها ، فقال له موسى : حملنا بغير نَوَلٍ وتخرقها لتغرق أهلها^(٣) ! ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْرًا﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تَوَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ^(٤) — قال : فكانت الأولى من موسى نسياناً — قال : ثم خرجا فانطلقا يمشيان ، فأبصرا غلاماً يلعب مع الغلمان ، فأخذ برأسه فقتله ، فقال له موسى : ﴿أَقْتَلْتَ نَفْساً زَاكِيَةً بغيرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْرًا﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ إِنْ سَأَلْتِكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْرًا^(٥) .

فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعنا أهلها ، فلم يجدا أحداً يطعمهم ولا يسقيهم ، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه بيده — قال : مسحه بيده — فقال له موسى : لم يضيفونا ولم ينزلونا ، ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾^(٦) . ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾^(٧) قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لوددت أنه كان صبر حتى يقص علينا قصصهم^(٨) » .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : أخبرني أبي قال : حدثنا الأوزاعي ،

(١) ط : « نقد ، وما أثبتته عن أ ، ونقر وفنقد بمعنى واحد .

(٢) لفظ البخاري : « فقال له موسى : قوم حملونا بغير نَوَلٍ عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها » .

(٣) سورة الكهف ٧١ - ٧٣ .

(٤) سورة الكهف ٧٤ - ٧٦ ، و « زاكية » قراءة الجمهور ، وقراءة الكوفيين وابن عامر : « زكية » ، بتشديد الياء ، وهي التي في المصحف . وقال البخاري : « كان ابن عباس قرأها : زكية وزاكية » .

(٥) سورة الكهف ٧٧ ، ٧٨ .

(٦) لفظ البخاري : « وددت أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرها » .

قال : حدثني الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس : أنه ^(١) تمارى هو والحمر بن قيس بن حصن الفزارى في صاحب موسى ، فقال ابن عباس : هو الخضر ، فرأى بهما أبى بن كعب ، فدعاه ابن عباس فقال : إني تماريت أنا وصاحبى هذا في صاحب موسى عليه السلام الذى سأل السبيل إلى لقائه ، فهل سمعت رسول الله يذكر شأنه ؟ قال : نعم إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بينا موسى عليه السلام في ملا من بنى إسرائيل ، إذ جاءه رجل فقال : تعلم مكان أحد أعلم منك ؟ قال موسى : لا ، فأوحى الله إلى موسى : بلى عبدنا الخضر ، فسأل موسى السبيل إلى لقائه ، فجعل الله الحوت آية ، وقال له : إذا افتقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه ، فكان موسى يتبع أثر الحوت ، [في البحر ، فقال فتى موسى لموسى : « رأيت إذ أويننا إلى الصخرة فابنى نبيت الحوت »] ^(٢) ، قال موسى : « ذلك ما كنا ننبغ فارتدأ على آثارهما قصصاً » ، فوجدنا الخضر ^(٣) ، فكان من شأنهما ما قص الله في كتابه .

حدثني محمد بن مرزوق قال ، حدثنا حجاج بن المنهال ، قال : حدثنا عبد الله بن عمر النميرى ، عن يونس بن يزيد ، قال : سمعت الزهرى يحدث قال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس : أنه تمارى هو والحمر بن قيس بن حصن الفزارى في صاحب موسى ، فذكر نحو حديث العباس عن أبيه .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثني أبى ، قال : حدثني عمى ، قال : حدثني أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : « وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ

(١) نقله ابن كثير في تفسيره ٣ : ٩٦

(٢) تكللة من وتفسير ابن كثير .

(٣) ١ : « فوجدنا عبدنا الخضر » .

لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ...»^(١) الآية ، قال : لما^(٢) ظهر موسى وقومه على مصر نزل قومه مصر ، فلما استقرت بهم الدار ، أنزل الله عز وجل عليه : أن ذكرهم بأيام الله . فخطب قومه ، فذكر ما آتاهم الله من الخير والنعمة ، وذكرهم إذ أنجاهم الله من آل فرعون ، وذكرهم هلاك عدوهم ، وما استخلفهم [الله]^(٣) في الأرض ، فقال : وكلم الله موسى نبيكم تكليماً ، واصطفاني لنفسه ، وأنزل عليّ حجة منه ، وآتاكم الله من كل ما سألتموه ، فنيبكم أفضل أهل الأرض وأنتم تقرأون التوراة . فلم يترك نعمة أنعمها الله عليهم إلا ذكرها وعرفها إياهم ، فقال له رجل من بني إسرائيل : هو كذلك يا نبي الله ، وقد عرفنا الذي تقول ، فهل على الأرض أحد أعلم منك يا نبي الله ؟ قال : لا ، فبعث الله عز وجل جبرئيل عليه السلام إلى موسى عليه السلام فقال : إن الله تعالى يقول : وما يدريك أين أضع علمي ؟ بلى إن على شطّ البحر رجلاً أعلم منك — قال ابن عباس : هو الخضر — فسأل موسى ربه أن يرّيه إياه ، فأوحى الله إليه أن ائت البحر ، فإنك تجد على شطّ البحر حوتاً فخذهُ فادفعه إلى فتاك ثم الزم شطّ البحر ، فإذا نسيت الحوت وهلك منك ، فسمّ تجدد العبد الصالح الذي تطلب .

فلما طال سفر موسى نبي الله صلى الله عليه ونصب فيه ، سأل فتاه عن الحوت ، فقال له فتاه وهو غلامه : ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ لك . قال الفتى : لقد رأيت الحوت حين اتخذ سبيله في البحر سرباً . فأعجب ذلك موسى فرجع حتى أتى الصخرة فوجد الحوت ، فجعل الحوت يضرب في البحر ويتبعه موسى ، وجعل موسى يقدم عصاه يفرج بها عنه الماء ، يتبع الحوت ، وجعل الحوت لا يمس شيئاً من الماء^(٤) إلا يبس حتى يكون صخرة ، فجعل نبي الله صلى الله عليه عليه يعجب من ذلك حتى انتهى به الحوت إلى جزيرة من جزائر البحر ، فلقى الخضر بها ، فسلم

(١) سورة الكهف ٦٠ .

(٢) نقله ابن كثير في التفسير ٣ : ٩٥ .

(٣) من تفسير ابن كثير .

(٤) ط : « البحر » ، وما أثبتته من أ .

عليه ، فقال الخضر : وعليك السلام ، وأنى يكون هذا السلام بهذه الأرض !
ومن أنت ؟ قال : أنا موسى ، فقال له : الخضر صاحب^(١) بني إسرائيل ؟
قال : نعم ، فرحب به وقال : ما جاء بك ؟ قال : جئت على أن تعلمنى مما
علمت رشدًا ، قال : ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾^(٢) ، يقول : لا تطيق
ذلك ، قال موسى : ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾^(٣) .
قال : فانطلق به ، وقال له : لا تسألنى عن شئ أصنعهُ حتى أبين لك شأنه ،
فذلك قوله : ﴿ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾^(٤) . فركبا فى السفينة يريدان
أن يتعديا إلى البر ، فقام الخضر ، فخرق السفينة فقال له موسى : ﴿ أَخْرَقْتَهَا
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾^(٥) ... ثم ذكر بقية القصة

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب القُسمي ، عن هارون بن عثرة
عن أبيه ، عن ابن عباس قال : سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل فقال :
أى رب ؟ أى عبادك أحب إليك ؟ قال : الذى يذكرنى ولا ينسانى ، قال :
فأى عبادك أقضى ؟ قال : الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى ، قال أى رب ،
أى عبادك أعلم ؟ قال : الذى يبتغى علم الناس إلى علمه ، عسى أن يُصيب
كامة تهديه إلى هدى ، أو تردّه عن ردى ، قال : رب فهل فى الأرض أحد
— قال أبو جعفر أظنه قال : أعلم منى ؟ قال : نعم ، قال : رب ، فمن
هو ؟ قال : الخضر ، قال : وأين أطلبه ؟ قال : على الساحل^(٦) ، عند
الصخرة التى ينفلت عندها الحوت ، قال : فخرج موسى يطلبه حتى كان
ما ذكره الله عز وجل وانتهى موسى إليه عند الصخرة ، فسلم كل واحد منهما
على صاحبه ، فقال له موسى : إنى أريد أن تستصحبنى^(٧) ، قال : لن تطيق

(١) ا ، ن : « أصحاب بنى إسرائيل ؟ » .

(٢) سورة الكهف ٦٧

(٣) سورة الكهف ٦٩ - ٧١

(٤) ح : « بالساحل »

(٥) ن : « أصحبك » .

صحبتي ، قال : بلى ، قال : فإن صحبتني ﴿ فَلَا تَسْأَلَنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ . فانطلقا حتى إذا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا . قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا . فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيََا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي زَاكِيَةً يَغْيِرَ نَفْسِي لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿ ، إلى قوله : ﴿ لَا تَخْذَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ ^(١) .

قال : فكان قول موسى في الجدار لنفسه ولطلب شيء من الدنيا ، وكان قوله في السفينة وفي الغلام لله عز وجل . ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ ^(١) ، فأخبره بما قال الله : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ ... ﴾ الآية ، ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ ... ﴾ ^(١) الآية ، ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ ... ﴾ ^(١) الآية . قال : فسار به في البحر حتى انتهى به إلى مجمع البحرين ^(٢) ، وليس في الأرض مكان أكثر ^(٣) ماءً منه ، قال : وبعث ربك الخُطَّاف ، فجعل يستقي منه بمنقاره ، فقال لموسى : كم ترى هذا الخُطَّاف رزاً من هذا الماء ؟ قال : ما أقل ما رزاً ! قال : يا موسى فإن علمي وعلمك في علم الله كقدر ما استقي هذا الخُطَّاف من هذا الماء . وكان موسى عليه السلام قد حدث نفسه أنه ليس أحدٌ أعلم منه ، أو تكلم به ، فمن ثم أمر أن يأتي الخضر .

٢٤٤/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن عُمارة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن سعيد بن جبير ، قال : جلست عند ابن عباس وعنده نفرٌ من أهل الكتاب ، فقال بعضهم : يا أبا العباس إن ثَوْفًا ابن امرأة كعب ، ذكر ^(٤) عن كعب أن موسى النبي عليه

(١) سورة الكهف ٧٠ - ٨٠

(٢) : ١ « البحر »

(٣) ح « أكبر »

(٤) : ١ « يزعم »

السلام الذى طلب العالم إنما هو موسى بن منشا . قال سعيد : فقال ابن عباس : أنوفٌ يقول هذا ؟ قال سعيد : فقلت له : نعم ، أنا سمعت نوناً يقول ذلك ، قال : أنت سمعته يا سعيد ؟ قال : قلت : نعم ، قال : كذب نونٌ . ثم قال ابن عباس : حدثني أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن موسى نبي إسرائيل سأل ربه تبارك وتعالى فقال : أى رب ، إن كان فى عبادك أحدٌ هو أعلم منى فادلنى عليه ، فقال له : نعم فى عبادى مَنْ هو أعلم منك ، ثم نعت له مكانه ، وأذن له فى لقائه ، فخرج موسى عليه السلام ومعه فتاه ، ومعه حوت ملبح قد قيل له : إذا حييَ هذا الحوت فى مكان فصاحبك هنالك ، وقد أدركت حاجتك .

فخرج موسى ومعه فتاه ، ومعه ذلك الحوت يحملانه ، فسار حتى جهده السير، وانتهى إلى الصخرة وإلى (١) ذلك الماء وذلك الماء، ماء الحياة، مَنْ شرب منه خلُد ، ولا يقاربه شيء ميت إلا أدركته الحياة (٢) وحي . فلما نزلوا منزلاً ومس الحوت الماء حي ، فاتخذ سبيله فى البحر سرباً ، فانطلق فلما جاوزا بمنقلة (٣) قال موسى لفتاه : ﴿ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ . قال الفتى وذكر : ﴿ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ . قال ابن عباس : وظهر موسى على الصخرة حتى انتهيا إليه ، فإذا رجل ملتف (٤) فى كساء له ، فسلم عليه موسى ، فرد عليه السلام ، ثم قال له : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قال : أنا موسى ابن عمران ، قال : صاحب بنى إسرائيل ؟ قال : نعم أنا ذلك ، قال : وما جاء بك إلى هذه الأرض ، أَنْ لَكَ فى قومك لَشُغْلٌ ! قال له موسى : جئت لك لتعلمنى مما عَلَّمْتَ رَشْدًا ، قال : إنك لن تستطيع معى صبراً ، وكان رجلاً يعمل على الغيب قد علم ذلك ، فقال موسى : بلى ، قال : ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ

(١) ن : « إلى » .

(٢) ا ، ح : « ميت إلا حي » .

(٣) المنقلة هنا : المرحلة .

(٤) كذا فى ا ، ح ، وفى ط : « ملتف » .

٤٢٦/١ خبراً ، أى إنما تعرف ظاهر ما ترى من العدل ولم تحيط من علم الغيب بما أعلم .

﴿ قَالَ سَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ وإن رأيتُ ما يخالفني .

قال : ﴿ فَإِنْ أَتَيْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ ،

أى فلا تسألني عن شيء وإن أنكرته حتى أحدث لك منه ذكراً ، أى خبراً .

فانطلقا يمشيان على ساحل البحر يتعرّضان الناس ، يلتمسان من يحملهما

حتى مرّت بهما سفينة جديدة وثيقة ، لم يمرّ بهما شيء من السفن أحسن ولا

أجمل ولا أوثق منها ، فسألا أهلها أن يحملوهما ، فحملوهما ، فلما اطمأنّا

فيها ، ولجّجت بهما مع أهلها ، أخرج متقاراً له ومطرقة ، ثم عمد إلى ناحية

منها فضرب فيها بالمتقار حتى خرقها ، ثم أخذ لوحاً فطبّقه عليها ، ثم جلس

عليها يرقعها ، قال له موسى : فأى أمر أقطع من هذا ! ^(١) ﴿ أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ

أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ ! حملونا وآوونا إلى سفينتهم ، وليس في البحر سفينة

مثلها ، فلم خرقتها ! قال : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ . قال

لا تؤاخذني بما نسيتُ ، أى بما تركت من عهدك ﴿ وَلَا تَرْهَقْنِي مِنْ أَمْرِي

عُسْرًا ﴾ . ثم خرجا من السفينة ، فانطلقا حتى أتيا أهل قرية ، فإذا غلمان

يلعبون ، فيهم غلامٌ ليس في الغلمان غلام أظرف ولا أترف ولا أوضاً منه ،

فأخذ بيده ، وأخذ حجراً فضرب به رأسه حتى دمهغه فقتله . قال : فرأى موسى

أمرأً فظيعاً لا صبرَ عليه ، صبي صغير قتله ^(٢) بغير جناية ولا ذنب

له ! فقال : ﴿ أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ ، أى صغيرة بغير نفس ،

﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾ . قال ألم أقول لك إنك لن تستطيع معي صبراً .

قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ، أى

قد أعذرت في شأني . ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ

يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ﴾ ، فهدمه ثم قعد بينيه ،

(١) ا : « رأى أمرأ فظع به »

(٢) ط : « أخذ صبياً صغيراً بغير جناية » وما أثبتته من ا .

فضجر موسى لما رآه يصنع من التكلف لما ليس عليه صبر ، فقال : ﴿ لو
شئت لاتخذت عليه أجراً ﴾ أى قد استطعناهم فلم يُطعمونا ، واستضعفناهم
فلم يُضفيونا ، ثم قعدت تعمل فى غير صنيعه ^(١) ، ولو شئت لأعطيت عليه أجراً
[فى عمله] ^(٢) ﴿ قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه
صبراً . أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها
وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة - وفى قراءة أبى بن كعب :
كل سفينة صالحة - غصبا ﴾ ، وإنما عيبها لأردّه عنها ، فسلمت منه حين
رأى العيب الذى صنعت بها . ﴿ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن
يزهقهما طغياناً وكفراً فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب
رحماً . وأما الجدار فكان لفلانين ييمين فى المدينة وكان تحته كنز
لهم وكان أبوهما صالحا ﴾ - إلى - ﴿ ما لم تستطع عليه صبراً ﴾ . ٤٢٨/١
فكان ابن عباس يقول : ما كان الكنز إلا علماً ^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ،
عن الحسن بن عمار ، عن أبيه ، عن عكرمة ، قال : قيل لابن عباس : لم نسمع
لفى موسى بذكر من حديث وقد كان معه ! فقال ابن عباس فيما يذكر من
حديث الفتى ، قال : شرب الفتى من ماء الخلد فخلد ، فأخذته العالم فطابق به
سفينة ، ثم أرسله فى البحر ، فإنها لتموج به إلى يوم القيامة ، وذلك أنه لم يكن
له أن يشرب منه فشرب .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن شعبة ، عن قتادة ، قوله :
﴿ فلما بلغا مجتمع بينهما نسيا حوتهما ﴾ ، ذكر لنا أن نبي الله موسى لما قطع
البحر وأنجاه الله من آل فرعون ، جمع بنى إسرائيل فخطبهم فقال :

(١) كذا فى ١ والتفسير ، وفى ط : « صنعة » . (٢) من أ والتفسير .

(٣) الخبر فى التفسير ١٥ : ١٨٠ - ١٨٣ (بولاق) .

أنتم خير أهل الأرض وأعلمهم قد أهلك الله عدوكم ، وأقطعكم البحر وأنزل عليكم التوراة ، قال : فقيل له : إن ها هنا رجلا هو أعلم منك^(١) قال : فانطلق هو وفتاه يوشع بن نون يطلبانه ، فترودا مملوحة في مكمل لهما ، وقيل لهما : إذا نسيما ما معكما لقيتما رجلا عالما يقال له الخضر ، فلما أتيا ذلك المكان ، رد الله إلى الخوت روحه فسرّب له من الجّد^(٢) حتى أفضى إلى البحر ، ثم سلك فجعل لا يسلك فيه طريقاً إلا صار ماء جامداً ، قال : ومضى موسى وفتاه ، يقول الله عز وجل : ﴿ فلما جاوزا قال لفتاه آتينا غداً نا لَقَيْنَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ — إلى قوله — : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ ، فلقيا رجلا عالما يقال له الخضر ، فذكر لنا أن نبي الله قال : إنما سمي الخضر خضرا لأنه قعد على فروة بيضاء فاهترت به خضراء .

* * *

فهذه الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن السلف من أهل العلم تنبئ عن أن الخضر كان قبل موسى وفي أيامه ، ويدل على خطأ قول من قال : إنه أورميا بن خلقيا ، لأن أورميا كان في أيام بختنصر ، وبين عهدى موسى وبختنصر من المدة ما لا يشكل قدرها على أهل العلم بأيام الناس وأخبارهم ؛ وإنما قلنا ذكره وذكر خبره لأنه كان في عهد أفريدون فيما قيل ؛ وإن كان قد أدرك على هذه الأخبار التي ذكرت من أمره وأمر موسى وفتاه أيام منوشهر وملكه ، وذلك أن موسى [إنما]^(٣) نُبئ في عهد منوشهر ، وكان ملك منوشهر بعد ما ملك جده أفريدون ، فكل ما ذكرنا من أخبار من ذكرنا أخباره من عهد إبراهيم إلى الخبر عن الخضر عليهما السلام ، فإن ذلك كله — فيما ذكر — كان في ملك يسيوراسب وأفريدون ، وقد ذكرنا فيما مضى قبل أخبار أعمارهما ومبلغهما ومدة كل واحد منهما^(٤) .

* * *

ونرجع الآن إلى الخبر عن :

(١) ط : « منكم » ؛ وما أثبتته من أ .

(٢) الجد ، بضم الجيم : شاطئ البحر ، وفي ح : « الحد » .

(٣) من أ : « يبلغ أعمارهما ومدة ملك كل واحد منهما » .

منوشهر وأسبابه والحوادث الكائنة في زمانه

ثم ملك بعد أفريدون بن أنفیان بركاو^(١) منوشهر، وهو من ولد إيرج بن أفريدون .

وقد زعم بعضهم أن فارس سميت فارس بمنوشهر هذا ، وهو منوشهر كيازيه^(٢) — فيما يقول نسبة الفرس — بن منشخورنر^(٣) بن منشخواربع^(٤) ابن ويرك بن سروشك^(٥) بن أبوك بن بتك^(٦) بن فرزشك^(٧) بن زشك^(٨) ٤٣١/١ ابن فركوزك^(٩) بن كوزك^(١٠) بن إيرج بن أفريدون بن أنفیان بركاو .
وقد ينطق بهذه الأسماء بخلاف هذه الألفاظ .

وقد يزعم بعض المحوس أن أفريدون وطئ ابنة لابنه إيرج ، يقال لها كوشك ، فولدت له جارية يقال لها فركوشك^(١١) ، ثم وطئ فركوشك هذه فولدت له جارية يقال لها زوشك^(١٢) ، ثم وطئ زوشك هذه ، فولدت له جارية يقال لها فرزوشك^(١٣) ، ثم وطئ فرزوشك هذه فولدت له جارية يقال لها بيتك^(١٤) ،

(١) ح وابن الأثير : « بن كاو »

(٢) كذا في ن ، وفي ا ، ح : « كان به » ، وفي ط من غير نقط .

(٣) ا : « متشجور » ن : « مشجورين » .

(٤) ا : « منشجواربع »

(٥) ن : « سروشك » .

(٦) ن : « بتك » .

(٧) ا : « فرشك » ، ح : « ورشك » .

(٨) ا : « رشك » ، ن : « رشك » .

(٩) ا ، فركوزك « ن : « فركوزل » .

(١٠) ن : « كوزل »

(١١) ا : « خركوشك » .

(١٢) ا : « روشك » .

(١٣) ا : « فروشك » .

(١٤) ا : « بتك » .

٤٣٢/١ ثم وطئ بيتك هذه فولدت له جارية يقال لها إيرك^(١) ، ثم وطئ إيرك فولدت له إيزك ، ثم وطئ إيزك فولدت له ويرك ، ثم وطئ ويرك فولدت له منشخرفاغ^(٢) . ويقول بعضهم : منشخواربغ^(٣) وجارية يقال لها : منشجرك^(٤) ، وأن منشخرفاغ وطئ منشجرك فولدت له منشخرنر ، وجارية يقال لها منشراوك ، وأن منشخرنر وطئ منشراوك فولدت له منوشهر .

فيقول بعضهم كان مولده بدنياوند .

ويقول بعض : كان مولده بالرّي ، وإن منشخرنر ومنشراوك لما ولد لهما منوشهر أسراً أمره خوفاً من طوج وسلم عليه ، وإن منوشهر لما كبر صار إلى جده أفريدون ، فلما دخل عليه توسم فيه الخير ، وجعل له ما كان جعل لجلده إيرج من المملكة ، وتوجه بتاجه . ٤٣٣/١

وقد زعم بعض أهل الأخبار أن منوشهر هذا هو منوشهر بن منشخرنر ابن أفريقيس بن إسحاق بن إبراهيم ؛ وأنه انتقل إليه الملك بعد أفريدون وبعد أن مضى ألف سنة وتسعمائة سنة واثنان وعشرون سنة ، من عهد جيومرت ، واستشهد لحقيقة ذلك بأبيات لجرير بن عطية ، وهو قوله^(٥) .

وأبناء إسحاق الأيوث إذا ارتدوا حمائل موت لآسين السنورا^(٦)
إذا انتسبوا عدوا الصهباء منهم وكسرى وعدوا الهرمزان وقيصرا^(٧)
وكان كتاب فيهم ونبوته وكانوا ياضطخروا الملوك وتستر^(٨)

(١) كذا في ن ، وفي ط ، امهل .

(٢) ١ : « منشخرفاغ » .

(٣) ١ : « منشجواربغ » .

(٤) كذا في ١ ، وفي ط امهل .

(٥) من قصيدة يملح بها هلال بن أحوز المازني ويفخر بأبناء إسماعيل وإسحاق ، ويهجو

الفرزدق وبنى طمية ، في ديوانه ٢٤٢ . والنقائض ٩٩٥

(٦) السنور : الدروع .

(٧) الصهباء : قائد السكر ، بالفارسية .

(٨) قال في شرح النقائض : « إى كان الملوك ينزلون إسطخر وتستر » .

فَيَجْمَعُنَا وَالْفَرَّ أَبْنَاءَ فَارِسَ أَبُ لَا نُبَالِي بَعْدَهُ مَنْ تَأَخَّرَا
أَبُونَا خَلِيلُ اللَّهِ ، وَاللَّهُ رَبُّنَا رَضِينَا بِمَا أَعْطَى الْإِلَهِ وَقَدَّرَا

وأما الفرس فإنها تنكر هذا النسب ، ولا تعرف لها مُلْكًا إلا في أولاد
أفريدون ، ولا تقرُّ بالملك لغيرهم ، وترى أن داخلا إن كان دخل عليهم في ذلك
من غيرهم في قديم الأيام [قبل الإسلام] ^(١) ، فإنه دخل فيه بغير حق ^(٢) .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : مَلَكَ طُوجَ وَسَلَّمِ الْأَرْضَ بَيْنَهُمَا
بعد قتلها أخاهما إِيرَجَ ثَلَاثَةَ سَنَةٍ ، ثُمَّ مَلَكَ مَنُوشَهْرَ بْنِ إِيرَجَ بْنِ أَفْرِيدُونِ
مائة وعشرين سنة ، ثم إنه وثب به ابن لابن طُوجَ التُّرْكِيُّ [على رأس ثمانين سنة] ^(١) ٤٣٤/١
فنفاه عن بلاد العراق ثنتي عشرة سنة ، ثم أديله منه منوشهر ، فنفاه عن بلاده ،
وعاد إلى ملكه ، وملك بعد ذلك ثمانيا وعشرين سنة .

قال : وكان مَنُوشَهْرُ يُوصَفُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَنَدَقَ
الْحَنَادِقَ ، وَجَمَعَ آتَةَ الْحَرْبِ ، وَأَوَّلُ مَنْ وَضَعَ الدِّهْقَنَةَ فَجَعَلَ لِكُلِّ قَرْيَةٍ
دِهْقَانًا ، وَجَعَلَ أَهْلَهَا لَهُ خَوَلَاءَ وَعَبِيدًا ، وَأَلْبَسَهُمْ لِبَاسَ الْمَدَنَةِ ، وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ .
قال : وَيُقَالُ إِنَّ مُوسَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظَهَرَ فِي سَنَةِ سِتِينَ مِنْ مَلِكِهِ .

وذكر غير ^(٣) هشام أن مَنُوشَهْرَ لما مَلَكَ تَوَّجَ بِتَاجِ الْمَلِكِ وَقَالَ يَوْمَ مَلَكَ :
نَحْنُ مَقْوُونٌ مَقَاتِلِينَا ، وَمُعِيدُهُمْ لِلانْتِقَامِ لِأَسْلَافِنَا ، وَدَفَعَ الْعَدُوَّ عَنْ بِلَادِنَا .
وأنه سار نحو بلاد الترك طالبًا بدم جده إِيرَجَ بْنِ أَفْرِيدُونِ ، فَقَتَلَ طُوجَ بْنَ
أَفْرِيدُونِ وَأَخَاهُ سَلَمًا ، وَأَدْرَكَ ثَأْرَهُ وَانصَرَفَ ، وَأَنْ فَرَّاسِيَابَ بْنَ فَشْنَجِ
ابن رستم بن ترك — الذي تنسب إليه الأتراك ، بن شهراسب . ويقال : ابن ٤٣٥/١

(١) من (٢) قال ابن الأثير : « قلت : والحق ما قاله الفرس فإن أسماء ملوكهم قبل
الإسكندر معروفة ، ويعد أيامه ملوك الطوائف ؛ وإذا كان منوهر أيام موسى ، وكان ما بين موسى
وإسحاق خمسة آباء معروفون ولم يزلوا بمصر ؛ ففى أى زمان كثروا وانتشروا وملكوا بلاد الفرس !
ومن أين لحرير هذا العلم حتى يكون قوله حجة ؛ لا سيما وقد جعل الجميع أبناء إسحاق ! » . الكامل
٩٣ : ١

(٣) ط : « عن » ، وما أثبتته عن ابن الأثير .

لارشسب بن طوج بن أفريدون الملك . وقد يقال لفشك^(١) فشنج بن زاشمين — حارب منوشهر ، بعد أن مضى لقتله طوجا وسلكما ستون سنة ، وحاصره بطبرستان .

ثم إن منوشهر وفراسياب اصطلحا على أن يجعل أحدهما بين مملكتيهما منتهى رمية سهم رجل من أصحاب منوشهر يدعى أرشبتاير — وربما خفف اسمه بعضهم فيقول : لإرش — فحيث ما وقع سهمه من موضع رميته تلك مما يلي بلاد الترك فهو الحد بينهما لا يجاوز ذلك واحد منهما إلى الناحية الأخرى . وإن أرشبتاير نزع بسهم في قوسه ، ثم أرسله — وكان قد أعطى قوة وشدة — فبلغت رميته من طبرستان إلى نهر بلخ ووقع السهم هنالك^(٢) ، فصار نهر بلخ حدًا ما بين الترك وولد طوج وولد إيرج وعمل الفرس ، فانقطع بذلك من رمية أرشبتاير حروب ما بين فراسياب ومنوشهر .

وذكروا أن منوشهر اشتق من الصراة ودجلة ونهر بلخ أنهارًا عظامًا . وقيل إنه هو الذي كثر القنرات الأكبر ، وأمر الناس بحراثة الأرض وعمارتها ، وزاد في مهنة المقاتلة الرمي ، وجعل الرياسة في ذلك لأرشبتاير لرميته التي رماها .

وقالوا : إن منوشهر لما مضى من ملكه خمس وثلاثون سنة تناولت الترك من أطراف رعيته ، فوبّخ قومه وقال لهم : أيها الناس ، إنكم لم تلدوا الناس كلهم ، وإنما الناس ناسٌ ما عقلوا من أنفسهم ودفعوا العدو عنهم ، وقد نالت الترك من أطرافكم ، وليس ذلك إلا من ترككم جهاد عدوكم ، وقلة المبالاة ، وإن الله تبارك وتعالى أعطانا هذا الملك ليلبونا أنشكر فيزيدينا ، أم نكفر فيعاقبنا ! ونحن أهل بيت عز^(٣) ومعدن الملك لله ؛ فإذا كان غداً فاحضروا ، قالوا : نعم واعتذروا ، فقال : انصرفوا ، فلما كان من الغد أرسل إلى أهل المملكة وأشرف

(١) : « لفشك بن برز بن تشمين » .

(٢) قال ابن الأثير : « وهذا من أعجب ما يتداوله الفرس في أكاذيبهم أن رمية سهم تبلغ هذا كله » .

(٣) : « غير » ، بضمين .

الأساورة ، فدعاهم وأدخل الرؤساء من الناس ، ودعا مؤبذ مؤبذان ،
 فأقعد على كرسيّ مقابل سريره ، ثم قام على سريره ، وقام أشراف أهل بيت
 المملكة وأشراف الأساورة على أرجلهم ، فقال : اجلسوا فإنّ إنّما قمت لأسمعكم
 كلامي . فجلسوا فقال : أيها الناس ، إنّما الخلق للخالق ، والشكر للمنعم ،
 والتسليم للقادر ، ولا بدّ مما هو كائن ، وإنه لا أضعف من مخلوق طالباً كان
 أو مطلوباً ، ولا أقوى من خالق ، ولا أقدر ممن طلبته في يده ، ولا أعجز
 ممن هو في يد طالبه ، وإن التفكّر نور ، والغفلة ظلمة ، والجهالة ضلالة ، وقد
 ورد الأول ولا بدّ للآخر من اللحاق ^(١) بالأول ، وقد مضت قبلنا أصول نحن
 فروعها ، فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله ! وإن الله عزّ وجلّ أعطانا هذا الملك
 فله الحمد ، ونسأله إلهام الرشد والصدق واليقين ، وإن للملك على أهل مملكته
 حقاً ، ولأهل مملكته عليه حقاً ، فحقّ الملك على أهل المملكة أن يُطيعوه
 ويناصحوه ويقاتلوا عدوّه ، وحقهم على الملك أن يعطيهم أرزاقهم في أوقاتهم ،
 إذ لا معتمد لهم على غيرها ، ولأنها تجارتهم . وحق الرعية على الملك أن ينظر
 لهم ، ويرفق بهم ، ولا يحملهم على ما لا يطيقون ، وإن أصابتهم مصيبة تنقص
 من ثمارهم من آفة من السماء أو الأرض أن يُسقط عنهم خراج ما نقص ، وإن
 اجتاحتهم مصيبة أن يُعوّضهم ما يقوّمهم على عماراتهم ، ثم يأخذ منهم بعد
 ذلك على قدر ما لا يحجف بهم ^(٢) في سنة أو سنتين ، وأمر الجند للملك بمنزله
 جناحي الطائر ، فهم أجنحة الملك متى قصّ من الجناح ريشة كان ذلك
 نقصاناً منه ؛ فكذلك الملك إنّما هو بجناحه وريشه . ألا وإن الملك ينبغي أن
 يكون فيه ثلاث خصال : أولها أن يكون صدوقاً لا يكذب ، وأن يكون سخيّاً
 لا يبخل ، وأن يملك نفسه عند الغضب ؛ فإنه مسلّط ويده مبسوطة ، والخراج
 يأتيه ، فينبغي ألا يستأثر عن جنده ورعيته بما هم أهل له ، وأن يكثر العفو ؛
 فإنه لا ملك أبى من ملك فيه العفو ، ولا أهلك من ملك فيه العقوبة . ألا

(١) : « الحق » .

(٢) ن : « بقاء » .

(٣) ط : « به » وما أثبتته عن ١ ، وابن الأثير .

وإنَّ المرءَ إنْ يخطئُ في العفو فيعفو، خير من أن يخطئَ في العقوبة . فينبغي للملك أن يثبتَّ في الأمر الذي فيه قتل النفس وبوارها . وإذا رفع إليه من عامل من عماله ما يستوجب به العقوبة فلا ينبغي له أن يجابيه ، وليجمع بينه وبين المتظلم ، فإن صحَّ عليه للمظلوم حقٌّ خرج إليه منه ، وإن عجز عنه أدى عنه الملكُ وردَّه إلى موضعه ، وأخذَه بإصلاح ما أفسدَ ؛ فهذا لكم علينا . ألا ومن سفلك دما بغير حق ، أو قطع يداً بغير حق ، فإني لا أعفو عن ذلك إلا أن يعفو^(١) عنه صاحبه فخذوا هذا عني . وإن الترتك قد طمعت فيكم فاكفونا ، فإنما تكفون أنفسكم ، وقد أمرت لكم بالسلاح والعدة وأنا شريككم في الرأي ، وإنما لي من هذا الملك اسمه مع الطاعة منكم . ألا وإن الملك ملك إذا أطيع ، فإذا خولف فذلك مملوك ليس بملك . ومهما بلغنا من الخِلاف فإنما لا نقبله من المِسلِخ له حتى نتيقنه ، فإذا صحت معرفة ذلك وإلا أنزلناه منزلة المخالف . ألا وإن أكمل الأداة عند المصيبات الأخذ بالصبر والراحة إلى اليقين ؛ فمن قُتِل في مجاهدة العدو رجوتُ له الفوز برضوان الله . وأفضل الأمور التسليم لأمر الله والراحة إلى اليقين والرضا بقضائه ، وأبشَّ المَهْرَب مما هو كائن ! وإنما يتقلب في كف الطالب ، وإنما هذه الدنيا سَفَر لأهلها لا يحدون عقْد الرحال إلا في غيرها ؛ وإنما بُلغتهم فيها بالعواري ، فما أحسن الشكر للمنعم والتسليم لمن القضاء له ! ومن أحقُّ بالتسليم لمن فوقه ممن لا يجد مهرباً إلا إليه ، ولا معولاً إلا عليه ! فتقوا بالغلبة إذا كانت نياتكم أن النصر من الله ، وكونوا على ثقة من درك الطلبة إذا صحت نياتكم . واعلموا أن هذا الملك لا يقوم إلا بالاستقامة وحسن الطاعة وقمع العدو وسد الثغور والعدل للرعية وإنصاف المظلوم ، فشفاؤكم عندكم ، والدواء الذي لا داء فيه الاستقامة ، والأمر بالخير والنهي عن الشر ، ولا قوة إلا بالله . انظروا للرعية فإنها مطعمكم ومشريكم ، ومتى عدلتم فيها رغبوا في العمارة ، فزاد ذلك في خراجكم ، وتبين في زيادة أرزاقكم ، وإذا حِفِتم على الرعية زهدوا في العمارة ، وعطلوا أكثر الأرض فنقص ذلك

(١) ط : « حتى يعفو » ، وما أثبتته من ا .

من خراجكم ، وتبين في نقص أرزاقكم ، فتعاهدوا الرعية بالإنصاف ؛ وما كان من الأتهار والبثوق مما تنفق ذلك من السلطان فأسرعوا فيه قبل أن يكثر ، وما كان من ذلك على الرعية فعجزوا عنه فأقروضهم من بيت مال الخراج ، فإذا حان^(١) أوقات خراجهم ، فخذوا من خراج غلاتهم على قدر ما لا يحفف ذلك بهم ، رُبْع في كل سنة أو ثلث أو نصف ، لكيلا يشق^(٢) ذلك عليهم . هذا قول وأمرى يا موبذ موبذان ، الزم هذا القول ، وخذ^(٣) في هذا الذي سمعت في يومك ؛ أسمعتم أيها الناس ! فقالوا : نعم ، قد قلت فأحسنست ، ونحن فاعلون إن شاء الله : ثم أمر بالطعام فوضع فأكلوا وشربوا ، ثم خرجوا وهم له شاكرون . وكان ملكه مائة وعشرين سنة .

* * *

وقد زعم هشام بن الكلبي فما حدثت عنه أن الرائش بن قيس بن صبيّ ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان كان من ملوك اليمن بعد يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ وإخوته ، وأن الرائش كان ملكه باليمن أيام [ملك]^(٤) منو شهر ، وأنه إنما سمي الرائش - واسمه الحارث بن أبي شدد^(٥) - لغنيمة غنمها من قوم غزاهم فأدخلها اليمن ، فسُمي لذلك الرائش ، وأنه غزا الهند فقتل بها وسبى وغنم الأموال ، ورجع إلى اليمن ثم سار منها ، فخرج على جبلتي طي ثم على الأنبار ، ثم على الموصل ، وأنه وجه منها خيله وعليها رجل من أصحابه ، يقال له : شمر بن العطف ، فدخل على الترك أرض أذربيجان وهي في أيديهم يومئذ ، فقتل المقاتلة وسبى الذرية ، وزبر ما كان من مسيره في حَجَرَيْن ، فهما معروفان ببلاد أذربيجان . قال : وفي ذلك يقول امرؤ القيس^(٦) :

أَلَمْ يُخْبِرْكَ أَنَّ الدَّهْرَ غُولٌ^(٧) خَتُورُ الْعَهْدِ يَلْتَقِمُ الرَّجَالَ

(١) : « جامت » .

(٢) ط : « يتبين » وما أثبتته من أ .

(٣) أ : « وجد » .

(٤) من أ .

(٥) كذا في أ ، ح ، وفي ط : « سد » .

(٦) ديوانه ٣٠٩

(٧) أ ، والديوان : « ألم يحزنك » .

أَزَالَ عَنِ الْمَصَانِعِ ذَا رِيَاشٍ وَقَدْ مَلَكَ السُّهُلَةَ وَالْجِبَالَ
وَأَنْشَبَ فِي الْمَخَالِبِ ذَا مَنَارٍ^(١) وَلِلزَّرَادِ قَدْ نَصَبَ الْعِجَابَا

قال : وذو منار الذي ذكره الشاعر هو ذو منار بن رائش ، الملك بعد أبيه ،
واسمه أبرهة بن الرائش ، قال : وإنما سمي ذا منار لأنه غزا بلاد المغرب فوغل
فيها براً وبحراً ، وخاف على جيشه الضلال عند قفوله ، فبنى المنار ليهتدوا بها .
قال : ويزعم أهل اليمن أنه كان وجه ابنه العبد بن أبرهة في غزوته^(٢) هذه
إلى ناحية من أقاصي بلاد المغرب ، فغتم وأصاب مالاً وقدم عليه بنسنتاس^(٣)
لهم خيلٌ وحشيّة منكرة ، فذعر الناس منهم ، فسموه ذا الأذعار . ٤٤٢/١
قال : فأبرهة أحد ملوكهم الذين توغلوا في الأرض ،

* * *

ولما ذكرت من ذكرت من ملوك اليمن في هذا الموضع لما ذكرت من
قول من زعم أن الرائش كان ملكاً باليمن أيام منوشهر ، وأن ملوك اليمن
كانوا عمالاً للملك فارس^(٤) بها ، ومن قبلهم كانت ولايتهم^(٥) بها .

(١) الديوان : « داخليل » .

(٢) ح وابن الأثير : « غزواته » .

(٣) في القاموس : « النسنتاس : جنس من الخلق يشب أحدهم على رجل واحدة » ، وفي

وابن الأثير : « يسي » .

(٤) ح : « الفرس » .

(٥) « ولاياتهم » .

ذكر نسب موسى بن عمران وأخباره وما كان في عهده وعهد منوشهر بن منشخورنر الملك من الأحداث

قد ذكرنا أولاد يعقوب إسرائيل الله وعددهم وموالدهم^(١) . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثم إن لاوى بن يعقوب نكح نابتة ابنة ماري بن يشخر ، فولدت له عرشون بن لاوى ومرزى^(٢) بن لاوى [ومردى بن لاوى]^(٣) وقاهث^(٤) ٤٤٣/١ ابن لاوى . فنكح قاهث بن لاوى فاهى^(٥) ابنة مسين^(٥) بن بتويل بن إلياس . فولدت له يصهر بن قاهث ، فتزوج يصهر شميث ابنة بتاديت بن بركياء^(٦) ابن يقسان^(٧) بن إبراهيم . فولدت له عمران بن يصهر ، وقارون بن يصهر ، فنكح عمران يحيى ابنة شمويل بن بركياء بن يقسان بن إبراهيم . فولدت له هارون بن عمران وموسى بن عمران .

وقال غير ابن إسحاق : كان عمر يعقوب بن إسحاق مائة وسبعاً وأربعين سنة ، وولد لاوى له ، وقد مضى من عمره تسع وثمانون سنة ، وولد للاوى قاهث بعد أن مضى من عمر لاوى ست وأربعون سنة ، ثم ولد لقاهث يصهر ، ثم ولد ليصهر عرم - وهو عمران - وكان عمر يصهر مائة وسبعاً وأربعين سنة ، وولد له عمران بعد أن مضى من عمره ستون سنة ، ثم ولد لعمران موسى ، وكانت أمه يوخابد^(٨) - وقيل : كان اسمها باخثة^(٩) - وامراته صفورا ابنة يثرون^(١٠) ، وهو

-
- (١) ح : « وموالدهم » . (٢) كذا في أ ، وفي ط : « مردى » .
(٣) من أ . (٤) أ : « قاهى » ، ن : « ماهى » .
(٥) كذا في ح ، وفي أ : « متنين » ، وفي ن : « متدير » .
(٦) أ ، ن : « بركتا » .
(٧) أ : « يفتان » .
(٨) أ : « يوخايد » ، ن : « يوخايد » .
(٩) كذا في أ . (١٠) أ : « تيزون » .

شعيب النبي صلى الله عليه وسلم . وولد موسى جرشون^(١) وإيليعازر^(٢) ، وخرج
٤٤٤/١ إلى مدين خائفًا وله إحدى وأربعون سنة ، وكان يدعو إلى دين إبراهيم ،
وتراعى^(٣) الله بطور سيناء ، وله ثمانون سنة .

وكان فرعون مصر في أيامه قابوس بن مصعب بن معاوية صاحب يوسف
الثاني ، وكانت امرأته آسية ابنة مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد ، فرعون
يوسف الأول . فلما نودي موسى أعلم أن قابوس بن مصعب قد مات ، وقام
أخوه الوليد بن مصعب مكانه ، وكان أعتى^(٤) من قابوس وأكفر^(٥) وأفجر^(٦) ،
وأمر بأن يأتيه هو وأخوه هارون بالرسالة .

قال : ويقال إن الوليد تزوج آسية ابنة مزاحم بعد أخيه وكان عمر عمران
مائة سنة وسبعًا وثلاثين سنة ، وولد موسى وقد مضى من عمر عمران سبعون
سنة^(٧) ، ثم صار موسى إلى فرعون رسولًا مع هارون ، وكان من مولد موسى إلى
أن خرج بني^(٨) إسرائيل عن مصر ثمانون سنة ، ثم صار إلى التيه بعد أن عبر
البحر ، فكان مقامهم هنالك إلى أن خرجوا مع يوشع بن نون أربعين سنة ، فكان
ما بين مولد موسى إلى وفاته في التيه مائة وعشرين سنة .

وأما ابن إسحاق فإنه قال فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ،
عن ابن إسحاق ، قال : قبض الله يوسف ، وهلك الملك الذي كان معه
الريان بن الوليد ، وتوارثت الفراعنة من العماليق ملك مصر ، فنشر الله بها
بني إسرائيل ، وقبر يوسف حين قبض — كما ذكر لي — في صندوق من مومر في
ناحية من النيل في جوف الماء ، فلم يزل بنو إسرائيل تحت أيدي الفراعنة وهم
٤٤٥/١ على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب وإسحاق وإبراهيم شرعوا فيهم

(١) ا ، ن : « جرشون » ، ح : « حوشون » .

(٢) ا : « إيلعان » ، ن : « إيليعازر » .

(٣) ح : « ورأى النار » .

(٤) ا : « أغنى » . (٥) ا ، ن : « أكبر » ، ح : « أكرم » .

(٦) كذا في ا ، وفي ط : « وأفخر » .

(٧) ح : « مائة وسبع سنين » . (٨) ا : « بنو » .

من الإسلام ، متمسكين به حتى كان فرعون موسى الذى بعثه الله إليه ، ولم يكن منهم فرعون أعتى منه على الله ولا أعظم قولاً ولا أطول عمراً فى ملكه منه . وكان اسمه — فيما ذكروا لى — الوليد بن مصعب ، ولم يكن من الفراعنة فرعون أشد غلظة ، ولا أقسى قلباً ، ولا أسوأ ملكة لبني إسرائيل منه ، يعدّ بهم فيجعلهم خدماً وخولاً ، وصنّفهم فى أعماله ، فصنّف يبنون ، وصنّف يجرثون ، وصنّف يزرعون له ، فهم فى أعماله ، ومن لم يكن منهم فى صنعة له من عمله فعليه الجزية ، فسامهم كما قال الله : ﴿ سَوَاءَ الْعَذَابِ ﴾ ، وفيهم مع ذلك بقايا من أمر دينهم لا يريدون فراقه ، وقد استنكح منهم امرأة يقال لها آسية ابنة مزاحم ، من خيار النساء المعدادات ، فعمّر فيهم وهم تحت يديه عمراً طويلاً يسومهم سوء العذاب ، فلما أراد الله أن يفرج عنهم وبلغ موسى الأشدّ أعطى الرسالة .

قال : وذكر لى أنه لما تقارب زمان موسى أتى منجمو فرعون وحزّاته إليه ، فقالوا : تعلّم أنا نجد فى علمنا أن مولوداً من بني إسرائيل قد أظلك زمانه الذى يُولد فيه ، يسلبك ملكك ، ويغلبك على سلطانك ، ويخرجك من أرضك ، ويبدّل دينك . فلما قالوا له ذلك أمر بقتل كل مولود يولد من بني إسرائيل من الغلمان وأمر بالنساء يُستحيين ، فجمع القوابل من نساء أهل مملكته فقال لهن : لا يسقطنّ على أيديكنّ غلام من بني إسرائيل إلا قتلتموه ، فكنّ يفعلن ذلك ، وكان يذبح من فوق ذلك من الغلمان ، ويأمر بالحبال فيعدّ بن حتى يطرحن ما فى بطونهنّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيع ، عن مجاهد ، قال : لقد ذُكر لى أنه كان يأمر بالقصب فيُسقّ حتى يجعل أمثال الشفار ، ثم يصفّ بعضه إلى بعض ، ثم يأتي بالحبال من بني إسرائيل فيوقفهنّ^(١) عليه فيحزّ أقدامهنّ ، حتى إن المرأة منهن لتمصع^(٢) بولدها فيقع بين رجليها ، فتظلّ تطوّه تتقي به حزّ القصب عن رجليها ، لما بلغ من جهدها ، حتى أسرف فى ذلك ، وكاد يُفنيهم ، فقيل له : أفنيت

(١) : « فيوقفن » .

(٢) : تمصع بولدها ، أى تلقيه .

الناس ، وقطعت النسل ، ولأنهم خولك وعمالك . فأمر أن يقتل الغلمان عاماً ويستحيوا عاماً ، فولد هارون في السنة التي يُستَحيا فيها الغلمان ، وولد موسى في السنة التي فيها يُقتلون ، فكان هارون أكبر منه بسنة .

* * *

وأما السدى فإنه قال ما حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [أنه] ^(١) كان من شأن فرعون أنه رأى رؤيا في منامه أن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر ، فأحرق القبط وتركت بني إسرائيل ، وأخبرت بيوت مصر ، فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة ، فسألهم عن رؤياه فقالوا له : يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه — يعنون بيت المقدس — رجل يكون على وجهه ^(٢) هلاك مصر . فأمر بنو إسرائيل ألا يولد لهم غلام إلا ذبحوه ، ولا يولد لهم جارية إلا تركت . وقال للقبط : انظروا مملوكيكم ^(٣) الذين يعملون خارجاً فأدخلوهم واجعلوا بني إسرائيل يلون تلك الأعمال القدرة . فجعل بني إسرائيل في أعمال غلمانهم وأدخلوا غلمانهم ، فذلك حين يقول الله : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ يقول : تجبر في الأرض ، ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ — يعني بني إسرائيل حين جعلهم في الأعمال القدرة — ﴿ يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَذْبَحُ أبنَاءَهُمْ ﴾ ^(٤) فجعل لا يولد لبني إسرائيل مولود إلا ذبح ، فلا يكبر الصغير ، وقذف الله في مشيخة بني إسرائيل الموت ، فأسرع فيهم ، فدخل رموس القبط على فرعون فكلّمه ، فقالوا : إن هؤلاء القوم قد وقع فيهم الموت ، فيوشيك أن يقع العمل على غلماننا نذبح أبنائهم فلا يبلغ الصغار ، ويفنى الكبار ، فلو أنك تبتى من أولادهم فأمر أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة ؛ فلما كان في السنة التي لا يذبحون فيها ولد هارون فترك ، فلما كان في السنة التي يذبحون فيها حملت أم موسى بموسى ^(٥) فلما أرادت وضعه

٤٤٧/١

٤٤٨/١

(١) من أ (٢) ن : « يديه » . (٣) كذا في أ ح ، وفي ط : « ماليكم » .

(٤) سورة القصص ٤ : (٥) أ : « حملت بموسى أمه » .

حزنت من شأنه ، فأوحى الله إليها : ﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ۖ وَهُوَ النَّيْلُ ۚ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۖ ﴾^(١) . فلما وضعت أرضعته ، ثم دعت له نجاراً فجعل له تابوتاً ، وجعل مفتاح التابوت من داخل ، وجعلته فيه وألقته في اليم ، ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ ﴾ تعنى قصصى أثره ﴿ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۖ ﴾^(٢) ، أنها أخته . فأقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة ، ويخفضه أخرى ، حتى أدخله بين أشجار عند بيت فرعون ، فخرج جوارى آسية امرأة فرعون يفتسلن ، فوجدن التابوت فأدخلته إلى آسية ، وظنن^(٣) أن فيه مالا ، فلما نظرت إليه آسية وقعت عليه رحمتها وأحبته . فلما أخبرت به فرعون أراد أن يذبحه ، فلم تنزل آسية تكلمه حتى تركه لها ، قال : إني أخاف أن يكون هذا من بنى إسرائيل ، وأن يكون هذا الذى على يديه^(٤) هلاكنا ، فذلك قول الله تعالى : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۖ ﴾^(٥) . فأرادوا له المرضعات ، فلم يأخذ من أحد من النساء ، وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون فى الرضاع ، فأبى أن يأخذ ، فذلك قول الله : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ ۖ أُخْتَهُ ۚ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ۖ ﴾^(٦) ، فأخذوها ، وقالوا : إنك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله . فقالت^(٧) : ٤٤٩/١ : ما أعرفه ، ولكنى إنما قلت : هم للملك ناصحون .

ولما جاءت أمه أخذ منها ثديها فكادت أن تقول : هو ابنى ! فعصمها

(١) سورة القصص ٧

(٢) سورة القصص ١١

(٣) ط : « وظنوا » ؛ وما أثبتته عن ١ .

(٤) ١ : « يده » .

(٥) سورة القصص ٨

(٦) سورة القصص ١٢

(٧) ١ : « قالت » .

الله، فذلك قول الله : ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(١) ، وإنما سُمِّي موسى لأنهم وجدوه في ماء وشجر ، والماء بالقبطية « مو » والشجر « شا » . فذلك قول الله عز وجل : ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ ^(٢) . فاتخذته فرعون ولداً فدعى ابن فرعون . فلما تحرك الغلام أرته أمه آسية صبيّاً ، فبينما هي ترقصه وتلعب به إذ ناولته فرعون ، وقالت : خذه فرة عين لي ولك ، قال فرعون : هو قرة عين لك ولا لي ^(٣) . قال عبد الله بن عباس : لو أنه قال : وهولي قرة عين إذا لآمن به ؛ ولكنه أبى ، فلما أخذه إليه أخذ موسى بلحيته فتسفها ، فقال فرعون : علىّ بالذباحين ، هذا هو ! قالت آسية : ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ ^(٤) ، إنما هو صبي لا يعقل ؛ وإنما صنع هذا من صباه ، وقد علمت أنه ليس في أهل مصر امرأة أحلى مني ؛ أنا أضع له حليّاً من الياقوت ، وأضع له جمرّاً ^(٥) . فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذهب به ، وإن أخذ الجمر فلنأما هو صبيّ ، فأخرجت له ياقوتها فوضعت له طستا من جمر ، فجاء جبرئيل فطرح في يده جمرة فطرحها موسى في فيه فأحرق لسانه ، فهو الذي يقول الله عز وجل : ﴿ وَاحْطُلْ هُوَ مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ ^(٦) . فزالت عن موسى من أجل ذلك . وكبر ^(٧) موسى فكان يركب مراكب فرعون ، ويلبس [مثل] ^(٨) ما يلبس ، وكان إنما يدعى موسى بن فرعون . ثم إن فرعون ركب مركباً وليس عنده موسى ، فلما جاء موسى قيل له : إن فرعون قد ركب ، فركب في أثره فأدركه المقييل بأرض يقال لها منسف ، فدخلها نصف النهار ،

٤٥٠/١

(١) سورة القصص ١٠

(٢) سورة القصص ١٣

(٣) في الأصول : « ولي لا » .

(٤) سورة القصص ٩

(٥) ن : « جمر نار » .

(٦) سورة طه ٢٧ ، ٢٨

(٧) ط : « فكبر » ، وما أثبت من ا .

(٨) من ا

وقد تغلّقت أسواقها ، وليس في طرقها أحد ، وهو قول الله عز وجل : ﴿ وَدَخَلَ
 الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ﴾
 يقول : هذا من بني إسرائيل ، ﴿ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ يقول : من القبط ﴿ فَاسْتَفَاهُ
 الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا
 مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ قال رب إني ظلمت نفسي فأغفر
 لي فغفر له إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ قال رب بما أنعمت علي فلن أكون
 ظهيراً للمجرمين ﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ ﴾ خائفاً أن يؤخذ ، ﴿ فَإِذَا
 الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ﴾ يقول : يستغيثه ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَأَوَدِيٌّ
 مُبِينٌ ﴾ ^(١) . ثم أقبل [موسى] ^(٢) لينصره ، فلما نظر إلى موسى قد أقبل نحوه ليبطش
 بالرجل الذي يقاتل الإسرائيلي ، قال الإسرائيلي — وفريق من موسى أن يبطش به من أجل أنه
 أغلظ الكلام — يا موسى ﴿ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ
 تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ ^(٣) .
 فتركه وذهب القبطي ، فأفشى عليه أن موسى هو الذي قتل الرجل ، فطلبه فرعون
 وقال : خذوه فإنه صاحبنا ، وقال للذين يطلبونه : اطلبوه في بُنْيَات ^(٤) الطريق ،
 فإن موسى غلام لا يهتدي إلى الطريق ، وأخذ موسى في بُنْيَات الطريق
 وجاءه الرجل وأخبره ﴿ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَاتِيْرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنْ لَكَ
 مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ . فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم
 الظَّالِمِينَ ^(٥) . فلما أخذ موسى في بُنْيَات الطريق جاءه ملك على فرس بيده
 عنزة ، فلما رآه موسى سجد له من الفرق ، فقال : لا تسجد لي ، ولكن اتبعني ،
 فاتبعه فهداه نحو مدين ، وقال موسى وهو متوجه نحو مدين :
 ﴿ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ ^(٦) ، فانطلق به الملك حتى انتهى
 به إلى مدين .

(٢) من ١

(١) سورة القصص ١٥ - ٢٢

(٣) بنيات الطريق : هي الطرق الصغار التي تتفرع من الجادة .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : حدثنا يزيد بن هارون ، قال :
حدثنا أصبغ بن زيد الجهنّي ، قال : حدثنا القاسم ، قال : حدثني سعيد
ابن جبير ، قال : [سألت عبد الله بن عباس عن قول الله لموسى : ﴿ وَفَتَنَّاكَ
فُتُونًا ﴾ ^(١) ، فسألته عن الفتون ما هي ؟ فقال لي : استأنف النهار يا ابن جبير ،
فإن لها حديثاً طويلاً ، قال : فلما أصبحت غدوت على ابن عباس لأنتجز منه
ما وعدني [^(٢)] . قال : فقال ابن عباس : تذاكر فرعون وجلساؤه ما وعد الله إبراهيم
من أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكاً ، فقال بعضهم : إن بني إسرائيل
لينتظرون ذلك ما يشكون ^(٣) ، ولقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب ، فلما
هلك قالوا : ليس هكذا كان الله ^(٤) وعد إبراهيم ، قال فرعون : فكيف ترون ؟
قال : فائتمروا بينهم ، وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجلاً معهم الشفّار ،
يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه ، فلما رأوا أن الكبار
من بني إسرائيل يموتون بأجلهم ، وأن الصغار ^(٥) يُذبحون قالوا : توشكون أن
تفنى بني إسرائيل فتصبروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي كانوا يكفونكم ،
فاقتلوا عاماً كل مولود ذكر ، فيقلّ أبناؤهم ، ودعوا عاماً لا تقتلوا منهم أحداً ،
فیشبّ الصغار مكان من يموت من الكبار ، فإنهم لن يكثرُوا بمن تستحيون
منهم فتخافوا مكائرتهم إياكم ، ولن يقلّوا بمن تقتلون . فأجمعوا أمرهم على ذلك
فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية آمنة
حتى إذا كان العام المقبل حملت بموسى فوقع في قلبها الهم والحزن — وذلك
من الفتون يا ابن جبير — مما دخل عليه في بطن أمه مما يراد به ، فأوحى الله إليها :
﴿ الْآتَخَا فِى وَلَا تَحْزَنِى إِنَّا رَاٰدُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ . وأمرها إذا
ولدته أن تجعله في تابوت ، ثم تلقيه في اليم . فلما ولدته فعلت ما أمرت به ،
حتى إذا توارى عنها ابنها أتاها إبليس ، فقالت في نفسها : ما صنعت بابنى ؟
لو ذبح عندى فواريته وكفنته كان أحبّ إلى من أن ألقىه بيدي إلى حيتان

٥٥٢/١

٥٥٢/١

(٢) تكلّة من التفسير وتاريخ ابن كثير .

(١) سورة طه ٤٠

(٤) ن : « كان وعد الله » .

(٣) ن ، والتفسير : « ونا يشكون » .

(٥) ن وابن كثير : « والصغار » .

البحر ودوابه . فانطلق به الماء حتى أوفى (١) به عند فُرْضَة (٢) مُسْتَقَى جوارى آل فرعون ، فرأينته فأخذنه ، فهممن أن يفتحنَ التابوت ، فقال بعضهم لبعض : إن في هذا مالا ؛ وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة فرعون بما وجدنا فيه ، فحملنه كهيتته لم (٣) يحركن منه شيئاً حتى دفعنه إليها ، فاما فتحته رأت فيه (٤) الغلام ، فألقى عليه منها حبة لم يلق مثلها منها على أحد من الناس ، ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ﴾ من ذكر كل شيء ، إلا من ذكر موسى . فلما سمع اللذباحون بأمره أقبلوا (٥) إلى امرأة فرعون بشفارهم يريدون أن يذبجوه—وذلك من الفُتُونِ يا بن جبير — فقالت : للذباحين : انصرفوا ، فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل ، فأتى فرعون فأستوهبه إياه ، فإن وهبه لى كنتم قد أحسنتم وأجملتم ، وإن أمر بذبجه لم ألكم . فلما أتت به فرعون قالت : ﴿ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَآكِ لَا تَقْتُلُوهُ ﴾ ، قال فرعون : يكون لك ، فأما أنا فلا حاجة لى فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي يُحْلَفُ به ، لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت به لهداه الله به ، كما هدى به امرأته ، ولكن الله حرمه ذلك » .

فأرسلت إلى مَنْ حولها من كل أنثى لها لبن لتختار له ظئراً ، فجعل (٦) ٤٥٤/١
كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل ثديها (٧) ، حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت ، فحرنها ذلك ، فأمرت به فأخرج إلى السوق .

(١) كذا في ا ، والتفسير وتاريخ ابن كثير ، وفي ك : « وافي » ، وفي ط : « وأرفأ » .

(٢) الفُرْضَة من النهر : ثلثة يستقى منها .

(٣) ح ، « ولم » ، وابن كثير : « لم يخرجن » .

(٤) ح ، ك : « وجه » .

(٥) ن ، وابن كثير : « جاءوا » .

(٦) ح : « فكان » .

(٧) ح : « ثديها » ، وابن كثير : « على ثديها » .

يجمع الناس ترجو أن تُصيب له ظئراً يأخذ منها ، فلم يقبل من أحد ، وأصبحت أم موسى فقالت لأختها : قصّيه واطلبيه هل تسمعين له ذكراً ! أحيّ ابني أم قد أكلته دوابّ البحر وحيثانه ؟ ونسيت الذي كان الله وعدها ، فبصرت به أختها عن جنب وهم لا يشعرون ، فقالت من الفرح حين أعياهم الظنورات : **« هَلْ أَذَلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ »** . فأخذوها فقالوا : وما يدريك ما نصحهم له ! هل تعرفينه ؟ حتى شكوا في ذلك - وذلك من الفتون يا بن جبير - فقالت : نصحهم له ، وشفقتهم عليه ، ورغبتهم ^(١) في ظنورة الملك ، ورجاء منفعتي . فتركوها ، فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر ، فجاءت فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها حتى امتلأ جنباه ، فانطلق البشراء إلى امرأة فرعون يبيرونها أن قد وجدنا لابنك ظئراً ، فأرسلت إليها فأتيت بها وبه ، فلما رأت ما يصنع بها قالت : امكثي عندي تُرضعين ابني هذا فإنني لم أحبّ حبه شيئاً قط . قال : فقالت : لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فيضيع ، فإن طابت نفسك أن تعطينيه ^(٢) فأذهب به إلى بيتي ، فيكون معي لا آلوه خيراً فعلت ، وإلا فإنني غير تاركة بيتي وولدي . وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها ، فتعاسرت على امرأة فرعون ، وأيقنت أن الله عزّ وجلّ منجز وعده ، فرجعت بابنها إلى بيتها من يومها ، فأنبته الله نباتاً حسناً ، وحفظه لما قضى فيه ، فلم تزل بنو إسرائيل وهم مجتمعون في ناحية المدينة يمتنعون به من الظلم والسُّخْر التي كانت فيهم ، فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى : أريد أن تربيني موسى ^(٣) ، فوعدها يوماً تريها إياه فيه ، فقالت لحواضنها وظنورها ^(٤) وقهارمتها : لا ييقن أحد منكم إلا استقبل ابني بهدية وكرامة ، ليرى ذلك ، وأنا باعثة أمينة ^(٥) تحصى ما يصنع كل إنسان منكم . فلم تزل الهدية والكرامة والتحف تستقبله

(١) كذا في ح ، ك ، وقاربخ ابن كثير ، وفي ط : « رغبتهم » .

(٢) كذا في أ وابن كثير والتفسير ، وفي ط : « تعطيني » .

(٣) ك : « ولدي » .

(٤) ك : « وظنورها » .

(٥) ابن كثير : « وأنا باعثة أمينة يحصى » .

من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون ، فلما دخل عليها
يَحْلَتُهُ (١) وأكرمتها وفرحت به وأعجبها ما رأت من حسن أثرها عليه ، وقالت :
انطلقن به إلى فرعون فليجعله وليكم (٢) . فلما دخلن به على فرعون وضعته في
حجره ، فتناول موسى لحية فرعون حتى مدّها ، فقال : عدو من أعداء الله ! ألا
ترى ما وعد الله إبراهيم أنه سيصرعك ويعلوك ! فأرسل إلى الذبّاحين ليذبحوه
— وذلك من الفتون يا بن جبير — بعد كل بلاء ابتلى به وأريد به . فجاءت امرأة
فرعون تسعى إلى فرعون فقالت : ما بدا لك في هذا الصبي الذي وهبته لي ؟ قال :
ألا ترى يزعم أنه سيصرعني ويعلوني ! فقالت : اجعل بيني وبينك أمراً يعرف (٣)
فيه الحق ؛ اتت بجمرتين ولؤلؤتين فقرّبين إليّ ، فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب
الجمرتين علمت أنه يعقل ، وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين فاعلم أن أحداً
لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل ، فقرب ذلك إليه فتناول الجمرتين
فتزعجهما منه مخافة أن تحرقا يده ، فقالت المرأة : ألا ترى ! فصرفه الله عنه
بعد ما كان قد همّ به ، وكان الله بالغاً فيه أمره ، فلما بلغ أشده وكان (٤)
من الرجال لم يكن أحداً (٥) من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل
بظلم ولا سخرة ، حتى امتنعوا كل امتناع ، فبينما هو يمشي ذات يوم في ناحية
المدينة إذا هو برجلين يقتتلان ؛ أحدهما من بني إسرائيل والآخر من آل فرعون ،
فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني ، فغضب موسى واشتد غضبه لأنه تناوله وهو
يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل وحفظه لهم ، ولا يعلم الناس إلا أنما ذلك من
قبل الرضاغة غير أم موسى ؛ إلا أن يكون الله عزّ وجلّ أطلع موسى من ذلك
على ما لم يطلع عليه غيره ، فوكز موسى الفرعوني فقتله ، وليس يراهما إلا الله
عزّ وجلّ والإسرائيلي ، فقال موسى حين قتل الرجل : ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾

(١) التفسير وابن كثير : « نحلته » .

(٢) كذا في ١ ، وفي ط . « فليكرمه » ، وفي التفسير وابن كثير : « فلينحله » .

(٣) ن : « تعرف » ..

(٤) كذا في ١ ، والتفسير وتاريخ ابن كثير ، وفي ط : « فكان » .

(٥) ط : « لم يكن أحداً » ، وما أثبت من التفسير وتاريخ ابن كثير .

إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ^(١)، ثم قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ^(٢)﴾. فأصبح في المدينة خائفاً يترقب الأخبار، فأتى فرعون فقيل له: إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلاً من آل فرعون فخذنا بحقنا، ولا ترخص لهم في ذلك، فقال: ابغوني قاتله، ومن يشهد عليه؛ لأنه لا يستقيم أن نقضى بغير بيّنة ولا ثبت^(٣). فطلبوا له ذلك، فبينما هم يطوفون لا يجدون بيّنة، إذ مرّ موسى من الغد، فرأى ذلك الإسرائيليّ يقاتل فرعونياً، فاستغاثه الإسرائيليّ على الفرعونيّ، فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس، وكره الذي رأى، فغضب موسى فدهّ يده وهو يريد أن يبطش بالفرعونيّ، فقال للإسرائيليّ: لما فعل بالأمس واليوم: ﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ^(٤)﴾. فنظر الإسرائيليّ إلى موسى بعد ما قال [ما قال]^(٥)، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعونيّ، فخاف أن يكون بعد ما قال له: ﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ﴾، أن يكون إياه أراد - ولم يكن أراحه، وإنما أراد الفرعونيّ - فخاف الإسرائيليّ فحاجز الفرعونيّ، وقال: يا موسى ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ!﴾ وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقته، فتتاركا، فانطلق الفرعونيّ إلى قومه فأخبرهم بما سمع من الإسرائيليّ من الخبر، حين يقول: ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ!﴾ فأرسل فرعون الذّباحين، وسلك موسى الطريق الأعظم وطالبوه وهم لا يخافون أن يفوتهم، وكان رجلٌ من شيعة موسى من أقصى المدينة، فاختصر طريقاً قريباً حتى سبقهم إلى موسى، فأخبره الخبر؛^(٦) وذلك من الفتون يا بن جبير^(٧).

* * *

ثم رجع الحديث إلى حديث السديّ. قال: ﴿فَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ

(١) سورة القصص ١٥، ١٦ (٢) الثبت هنا: الحجة.

(٣) سورة القصص ١٨، ١٩ (٤) تكلّة من التفسير وأين كثير.

(٥) ن: «بالخبر». (٦) الخبر في التفسير ١٦: ١٢٥، ونقله ابن كثير

في التاريخ ١: ٣٠٠ - ٣٠٢، بسنده عن أبي عبد الرحمن النسائي.

عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ» ^(١) يقول : كثرة من الناس يسقون .

وقد حدثنا أبوعمار المروزي ، قال : حدثنا الفضل بن موسى ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، قال : خرج موسى من مصر إلى مدين ، وبينهما ^(٢) مسيرة ثمان ليال - قال : وكان يقال نحو من الكوفة إلى البصرة - ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر ، فخرج حافيًا ، فما وصل إليها حتى وقع خف قدمه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان ، قال : حدثنا الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس بنحوه .

رجع الحديث إلى حديث السدي . ﴿ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذَوْدَانِ ﴾ يقول : تحبسان غنهما ، فسألها : ﴿ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ ^(١) ، فرحمهما موسى فأتى البئر فاقتلع صخرة على البئر ، كان التفّر من أهل مدين يجتمعون عليها حتى يرفعوها ، فسقى لهما موسى دلوًا فأروتا ^(٣) غنهما ، فرجعتا سريعًا ، وكانتا إنما تسقيان من فضول الحياض ، ثم تولّى موسى إلى ظل شجرة من السمر ^(٤) فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ ^(١) ، قال : قال ابن عباس : لقد قال موسى ، ولو شاء إنسان أن ينظر إلى خُضرة أمعائه من شدة الجوع ما يسأل الله إلا أكلة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكام بن سلم ، عن عنبسة ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله عز وجل : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ﴾ ، قال : ورد الماء وإنه ليتراءى خضرة البقل في بطنه من

(١) سورة القصص ٢٢ - ٢٤

(٢) ن : « وبينه وبينها » .

(٣) ط : « فأرويتا » ، وما أثبتته عن ا ، س .

(٤) س ، ن : شجرة سمر .

الهُزَال فَقَالَ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ قال : شَبَّعَةُ .

رجع الحديث إلى حديث السدى . فلما رجعت الجاريتان إلى أبيهما سريعا ، سألهما فأخبرته خبر موسى ، فأرسل إحداهما فأتته ﴿ تَمْشِي عَلَى أَسْحِيَاءٍ ﴾ [وهي تستحي منه] ^(١) ، ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ فقام معها ، وقال لها : امضي ، فشت ^(٢) بين يديه ، فضربتها الرياح فنظر إلى عجيزتها ، فقال لها موسى : امشي خلقي ودليني على الطريق إن أخطأت ، فلما أتى الشيخ ﴿وَفَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ . وهي الجارية التي دعتة . قال الشيخ : هذه القوة قد رأيت حين اقتلع الصخرة ، أرايت أمانته ما يدريك ما هي ؟ قالت : إني مشيت قدامه فلم يجب أن يخونني في نفسي ، وأمرني أن أمشي خلفه ، قال له الشيخ : ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْكِكَ﴾ إحداهما إِبْنَتِي هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ﴿ — إلى — ﴾ أَيَّمَا الْأَجْلِينَ قَضَيْتَ ﴿ ، إما ثمانيا وإما عشرا ، ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ ^(٣) .

قال ابن عباس : الجارية التي دعتة هي التي تزوج بها . فأمر إحدى ابنتيه أن تأتية بعضا فأتته بعضا ، وكانت تلك العصا [عصا] ^(٤) استودعها ^(٥) إياه ملك في صورة رجل ، فدفعها إليه . فدخلت الجارية فأخذت العصا فأتته بها ، فلما رآها الشيخ قال لها : لا ، إيتيه بغيرها ، فألقتها ، فأخذت تريد أن تأخذ غيرها فلا يقع في يدها إلا هي ، وجعل يردد لها ، فكل ذلك ^(٦) لا يخرج في يدها غيرها ^(٧) ، فلما رأى ذلك عمد إليها فأخرجها معه ، فرعى بها . ثم إن الشيخ قدم وقال : كانت وديعة . فخرج يتلقى موسى فلما لقيه قال : أعطني العصا ، فقال ^(٨) موسى :

(١) تكلمة من أ . (٢) ن : « فشت » .

(٣) سورة القصص ٢٥ - ٢٨ (٤) من أ

(٥) س : « أودعها » . (٦) أ : « وكل » .

(٧) ن : « إلا هي » .

(٨) كذا في أ ، وفي ط : « قال » .

هي عصاى ، فأبى أن يعطيته ، فاختمها بينهما ثم تراضيا أن يجعلا بينهما أول رجل يلقاها ، فأتاهما ملك يمشى فقضى بينهما فقال : ضبعاها فى الأرض فمن حملها فهى له ، فعالجها الشيخ فلم يطقها ، وأخذها موسى بيده ورفعها ، فتركها له الشيخ ، فرعى له عشر سنين .
قال عبد الله بن عباس : كان موسى أحقّ بالوفاء .

حدثنى أحمد بن محمد الطوسى ، قال : حدثنا الحميد بن عبد الله ابن الزبير^(١) ، قال : حدثنا سفيان ، قال : حدثنى إبراهيم بن يحيى بن أبى يعقوب ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «سألت جبرئيل : أىّ الأجلين قضى موسى ؟ قال : أتمهما وأكملهما» .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى ابن إسحاق ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال لى يهودى بالكوفة - وأنا أتجهز للحج - : إني أراك رجلا يتبع العلم ، أخبرنى أىّ الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لا أعلم وأنا الآن قادم على حبر العرب - يعنى ابن عباس - فسأله عن ذلك ، فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك وأخبرته بقول ٤٦٢/١ اليهودى ، فقال ابن عباس : قضى أكثرهما وأطيبهما ، إن النبى إذا وعد لم يخلف . قال سعيد : فقدمت العراق فلقيت اليهودى فأخبرته ، فقال : صدق ، وما أنزل الله على موسى هذا . والله العالم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصمغى بن زيد ، عن القاسم بن أبى أيوب ، عن سعيد بن جبير ، قال : سألتى رجل من أهل النصرانية : أىّ الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لا أعلم - وأنا يومئذ لا أعلم - فلقيت ابن عباس ، فذكرت له الذى سألتى عنه النصرانى ، فقال : أما كنت تعلم أن ثمانياً واجبة عليه ، لم يكن نبى لينقص منها شيئاً ، وتعلم أن الله كان قاضياً عن موسى عدته التى وعده ، فإنه قضى عشر سنين .

(١) هو عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدى ؛ وفى الأصول : « الحميدى بن عبد الله ... »

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني وهب بن سليمان الذماري ، عن شعيب الجبائي قال : اسم الحاريتين ليا وصفورة ، وامرأة موسى صفورة ابنة يثرون ، كاهن مدين ، والكاهن حَبْر .

حدثني أبو السائب ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو ابن مرة ، عن أبي عبيدة ، قال : كان الذي استأجر موسى يثرون ، ابن أخي شعيب النبي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا العلاء بن عبد الجبار ، عن حماد بن سلمة ، عن أبي جمرة ، عن ابن عباس ، قال : الذي استأجر موسى اسمه يثري صاحب مدين .

حدثني إسماعيل بن الهيثم أبو العالية ، قال : حدثنا أبو قتيبة ، عن حماد ابن سلمة ، عن أبي جمرة ، عن ابن عباس ، قال : اسم أبي امرأة موسى يثري . ٤٦٣/١

رجع الحديث إلى حديث السدي . ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾ فضل الطريق . قال عبد الله بن عباس : كان في الشتاء ، ورفعت له نار ، فلما ظن أنها نار - وكانت من نور الله - ﴿ قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ ، فإن لم أجد خبراً أتيتكم منها بشهاب قبس ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ - قال : من البرد - ﴿ فَلَمَّا أَنَا هَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ ^(١) . ﴿ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ ^(٢) . فلما سمع موسى النداء فزع وقال : الحمد لله رب العالمين . فنودي : ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٣) . ﴿ وَمَا تَلَكَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى ﴾ قال هي عصا أتوكتاً عليها وأهش بها على غنمي ، يقول

أضرب بها الورك ، فيقع للغم من الشجر ﴿ وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى ﴾ ، يقول :
 حوائج أخرى أحمل عليها المزود والسقاء ، فقال له : ﴿ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ﴾ . فَأَلْقَاهَا فَإِذَا
 هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ^(١) . ﴿ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ ،
 يقول : لم ينتظر . فنودي : ﴿ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ
 الْمُرْسَلُونَ ﴾ ^(٢) . ﴿ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ
 جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ ﴾ ^(٤) العصا واليد آيتان ، ٤٦٤/١
 فذلك ^(٥) حين يدعو موسى ربه ، فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ
 أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ . وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا
 يُصَدِّقُنِي ، يقول : كما يصدقني ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ ^(٦) قال : ﴿ وَلَهُمْ
 عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ — يعني بالقتيل — ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ
 بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا ﴾ — والسلطان الحجة — ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا
 بِأَيِّانِنَا أَنْتُمَا وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِيُونَ ﴾ ^(٧) ، ﴿ فَاتَّبِعَا فِرْعَوْنَ فَقَوْلَا إِنَّا
 رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٨) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة : ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ ﴾ ،
 خرج — فيما ذكر لي ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه الباهلي — فيما ذكر له —
 عنه ، ومعه غم له ، ومعه زنده له وعصاه في يده يهش بها على غنمه نهاره ، فإذا أمسى
 اقتدح بزنده ناراً ، فبات عليها هو وأهله وغنمه ، فإذا أصبح غدا بأهله وبقنمه
 يتوكأ على عصاه ، وكانت — كما وُصف لي عن وهب بن منبه — ذات شعبتين
 في رأسها ، ومحجن في طرفها .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن لايتهم من
 أصحابه ، أن كعب الأحبار قدم مكة وبها عبد الله بن عمرو بن العاص ،

(١) سورة طه ١٧ - ٢٠ (٢) سورة النمل ١٠ (٣) سورة القصص ٣١ - ٣٥ .

(٤) ن : « لك » . (٥) سورة الشعراء ١٦

فقال كعب: سلوه عن ثلاث، فإن أخبركم فإنه^(١) عالم، سلوه عن شيء من الجنة وضعه الله للناس في الأرض، وسلوه ما أول ما وضع في الأرض؟ وما أول شجرة غرست في الأرض؟ فسئل عبد الله عنها فقال: أما الشيء الذي وضعه الله للناس في الأرض من الجنة فهو هذا الركن الأسود، وأما أول ما وضع في الأرض فببرهوت^(٢) باليمن يردّه هام الكفار، وأما أول شجرة غرسها الله في الأرض فالعوسجة التي اقتطع منها موسى عصاه. فلما بلغ ذلك كعباً قال: صدق الرجل، عالم والله!

قال: فلما كانت الليلة التي أراد الله بموسى كرامته، وابتدأ فيها بنبوته وكلامه، أخطأ فيها الطريق حتى لا يدرى أين يتوجه، فأخرج زنده ليقده ناراً لأهله ليبينوا عليها حتى يصبح، ويعلم وجه سبيله، فأصلد عليه زنده فلا يورى له ناراً، فقدح حتى [إذا^(٣)] أعياه لاحت النار فرآها، ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾^(٤)، بقبس تصطلون، وهدى: عن علم الطريق الذي أضلنا بنعت من خير. فخرج نحوها، فإذا هي في شجرة من العليق. وبعض أهل الكتاب يقول: في عوسجة، فلما دنا استأخرت عنه، فلما رأى استخارها رجع عنها، وأوجس في نفسه منها خيفة، فلما أراد الرجعة دنت منه، ثم كلّم من الشجرة، فلما سمع الصوت استأنس، وقال الله: يا موسى ﴿أَخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى﴾^(٥). فألقاهما ثم قال: ﴿مَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾. قَالَ هِيَ عَصَايَ أَنَا كَأَعْلَيْنَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى، أي منافع أخرى، ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾. فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى^(٦) قد صار شعبتها فيها وصار محجتها عرفاً لها، في ظهر تهتر، لها أنياب، فهي كما شاء الله أن تكون. فرأى

(١) س: «فهو».

(٢) س: «ببرهوت» (٣) من ١

(٤) سورة طه: ١٠

(٥) سورة طه: ١٢

(٦) سورة طه ١٧ - ٢٠

أمرًا فظيعًا فولى مدبراً ولم يعقب ، فناداه ربه : أن يا موسى أقبل ولا تخف ، ﴿ سَمِعِدْهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ ^(١) ، أى سيرتها عصا كما كانت . قال : فلما أقبل قال : ﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ﴾ ^(٢) ، أدخل يدك فى فيها ، وعلى موسى جبّة من صوف ، فلف يده بكمته وهو لها هائب ، فنودى أن ألقى كملك عن يدك ، فألقاه عنها ، ثم أدخل يده بين لحيتيها ، فلما أدخلها قبض عليها فإذا هى عصاه فى يده ، ويده بين شعبيها حيث كان يضعها ، ومحجنها بموضعه الذى كان لا ينكر منها شيئاً . ثم قيل : ﴿ أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ ^(٣) أى من غير برّص - وكان موسى عليه السلام رجلاً آدم أقرنى جعداً طويلاً - فأدخل يده فى جيبه ثم أخرجها بيضاء مثل الثلج ، ثم ردها فى جيبه ، فخرجت كما كانت على لونه ، ثم قال : ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ . قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ . وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ، أى يبين لهم عنى ما أكلّمهم به ، فإنه يفهم عنى ٤٦٧/١ ما لا يفهمون . ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ ^(٤) .

رجع الحديث إلى حديث السدّى . فأقبل موسى إلى أهله فسار بهم نحو مصر حتى أتاهم ليلاً ، فتضيّف على أمه وهو لا يعرفهم ، فأناهم فى ليلة كانوا يأكلون فيها الطّقيشيل ^(٥) ، فترل فى جانب الدار ، فجاء هارون فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمه فأخبرته أنه ضيف ، فدعاه فأكل معه ، فلما أن قعدا تحدّثا ، فسأله هارون : مَنْ أنت ؟ قال : أنا موسى ، فقام كل واحد منهما إلى صاحبه فاعتنقه ، فلما أن تعارفا قال له موسى : يا هارون

(١) سورة طه ٢١ .

(٢) سورة النمل ١٢ .

(٣) سورة القصص ٣٢ - ٣٥ .

(٤) الطقيشيل : نوع من المرق ، قاله صاحب القاموس .

انطلق معي إلى فرعون ، إن الله قد أرسلنا إليه ، فقال هارون :
 سمعٌ وطاعة ، فقامت أمهما فصاحت وقالت : أنشدكما الله ألا تذهبا
 إلى فرعون فيقتلكما فأبيا . فانطلقا إليه ليلا ، فأتيا الباب فضرباه ففرع فرعون ،
 وفرع الباب ، وقال فرعون : مَنْ هذا الذي يضرب بابي في هذه الساعة ؟ فأشرف
 عليهما الباب ، فكلّمهما ، فقال له موسى : ﴿ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) ففرع
 الباب فأتى فرعون فأخبره فقال : إن هاهنا إنسانا مجنوناً يزعم أنه رسول رب
 العالمين ، قال : أدخله ، فدخل فقال : إني رسول رب العالمين ؛ أن أرسل
 معي بنى إسرائيل ، فعرفه فرعون فقال : ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِتْنًا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِتْنًا
 مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ .
 معن على ديننا هذا الذي تعيب ! ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَزْتُ
 مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا ﴾ - والحكم النبوة - ﴿ وَجَعَلَنِي مِنَ
 الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ وربيتني
 قبل وليداً ! ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٢) . ﴿ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى * قَالَ
 رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ ^(٣) . يقول : أعطى كل دابة زوجها ^(٤)
 ثم هدى للنكاح ، ثم قال له : ﴿ إِنْ كُنْتَ حِثَّ بَيِّةٍ فَأَتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ
 مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ^(٥) ، وذلك بعد ما قال له من الكلام ما ذكر الله تعالى . قال
 موسى : ﴿ أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ *
 فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ ^(٦) - والثعبان الذكر من الحيات - فاتحة

(١) سورة الزخرف ٤٦

(٢) سورة الشعراء ١٨ - ٢٣

(٣) سورة طه ٤٩ ، ٥٠

(٤) ١ : « خلقها : زوجاً »

(٥) سورة الأعراف ١٠٦

(٦) سورة الشعراء ٣٠ - ٣٢

فاها ، واضعةً لَحْيَها الأسفل في الأرض والأعلى على سور القصر ، ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه ، فلما رآها ذعر منها وثب ، فأحدث — ولم يكن يُحدث قبل ذلك — وصاح : يا موسى خذها وأنا أومن بك وأرسلُ معك بنى إسرائيل . فأخذها موسى فعادت عصا ، ثم نزع يده وأخرجها^(١) من جيبه ، فإذا هي بيضاء للناظرين . فخرج موسى من عنده على ذلك ، وأبى فرعون أن يؤمن به ، أو^(٢) يرسل معه بنى إسرائيل ، وقال لقومه : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا أَعْلَى أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴾^(٣) . فلما بنى له الصرح ارتقى فوقه ؛ فأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت إليه ، وهي ملطخة دماً ، فقال : قد قتلت إله موسى .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ ﴾ ، قال : كان أول من طبخ الآجر يبنى به الصرح .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قال ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : خرج موسى لما بعثه الله عز وجل حتى قدم مصر على فرعون هو وأخوه هارون ، حتى وقفا على باب فرعون يلتمسان الإذن عليه ، وهما يقولان : إنا رسولا رب العالمين ، فأذنوا بنا هذا الرجل . فكثنا — فيما بلغنا — سنتين يغدوان على بابيه ، ويروحيان لا يعلم بهما ، ولا يجترئ أحد على أن يخبره بشأنهما ، حتى دخل عليه بطال له يلعبه ويضحكه ، فقال له : أيها الملك ، إن على الباب يقول قولاً عجيباً ، يزعم أن له إلهاً غيرك ، قال : أدخلوه ، فدخل ومعه هارون أخوه ، وبسيده عصاه ، فلما وقف على فرعون قال له : إني رسول رب العالمين ، فعرفه فرعون فقال : ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « أخرجها » من غير واو .

(٢) كذا في ١ ، س ، وفي ط : « وأن » . (٣) سورة القصص ٣٨ .

مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿١﴾ أَىْ خَطَا لَا أَرِيدُ
 ذَلِكَ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ مُوسَى يَنْكُرُ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ مِنْ يَدِهِ عِنْدَهُ ، فَقَالَ : ﴿وَتِلْكَ
 نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَى أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾ ! أَىْ اتَّخَذْتُمْ عِبِيدًا تَنْزِعُ ^(١) أَبْنَاءَهُمْ
 مِنْ أَيْدِيهِمْ ، فَتَسْتَرِيقَ مَنْ شِئْتَ ، وَتَقْتُلَ مَنْ شِئْتَ . إِنَّمَا صَيَّرَنِي إِلَى
 بَيْتِكَ وَإِلَيْكَ ذَلِكَ . ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ^(٢) ، أَىْ يَسْتَوْصِفُهُ إِلَهُ الَّذِي
 أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ ، أَىْ مَا إِلَهَكَ هَذَا ! ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
 إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ . قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ ﴿مِنْ مَلَائِكَةِ﴾ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿أَىْ لِنَكَارٍ﴾
 لَمَّا قَالَ : لَيْسَ لَهُ إِلَهٌ غَيْرِي . ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ الَّذِي
 خَلَقَ آبَاءَكُمْ الْأَوَّلِينَ وَخَلَفَكُمْ مِنْ آبَائِكُمْ . قَالَ فِرْعَوْنُ : ﴿إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي
 أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ ، أَىْ مَا هَذَا بِكَلَامٍ صَحِيحٍ إِذْ يَزْعُمُ أَنْ لَكُمْ إِلَهًا غَيْرِي ،
 ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أَىْ خَالِقُ الْمَشْرِقِ
 وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْخَلْقِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ . ﴿قَالَ آتِنِي إِيَّاهُ غَيْرِي﴾
 لَتُعْبَدَ غَيْرِي وَتَتْرَكَ عِبَادَتِي ﴿لَأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُودِينَ﴾ * قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكَ
 بِشَيْءٍ مُبِينٍ ^(٣) ، أَىْ بِمَا تَعْرِفُ بِهَا صَدَقَ وَكَذَبَكَ وَحَقٌّ وَبَاطِلُكَ ! ﴿قَالَ
 فَاتِّبِعْ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ * فَالْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ^(٣) ،
 فَلَأَتْ مَا بَيْنَ سَمَاطَتِي فِرْعَوْنَ ، فَاتَمَحَّةُ فَاهَا ، قَدْ صَارَ مَحْجَنُهَا عُرْفًا
 عَلَى ظَهْرِهَا . فَارْفَضَ عَنْهَا النَّاسَ ، وَحَالَ فِرْعَوْنُ عَنْ سَرِيرِهِ يُشْهِدُهُ بَرَبَهُ .
 ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ فَأَخْرَجَهَا بَيْضَاءَ مِثْلِ الثَّلَاجِ ، ثُمَّ رَدَّهَا كَهَيْئَتِهَا ، وَأَدْخَلَ ^(٤)
 مُوسَى يَدَهُ فِي جَيْبِهِ فَصَارَتْ عَصَا فِي يَدِهِ ، يَدِدُ بَيْنَ شَعْبَتَيْهَا ، وَحُجْنَتِهَا فِي أَسْفَلِهَا
 كَمَا كَانَتْ ، وَأَخَذَ فِرْعَوْنُ بَطْنَهُ ، وَكَانَ فِيهَا يَزْعُمُونَ يَمْكُثُ الْخَمْسَ وَالسَّتْ
 مَا يَلْتَمِسُ الْمَذْهَبَ - يَرِيدُ الْخِلَاءَ - كَمَا يَلْتَمِسُهُ النَّاسُ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا زَيَّنَ لَهُ أَنْ

(١) ن : « تَنْزِعَ » .

(٢) سورة الشعراء ١٧ - ٣٢ .

يقول ما يقول^(١) : إنه ليس من الناس بشبه^(٢) .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثت عن وهب بن منبه الياني ، قال : فثني بضعا وعشرين ليلة ، حتى كادت نفسه أن تخرج ، ثم استسك^(٣) فقال للثني : ﴿ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ أى ماساحر أسحر منه ، ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾^(٤) أقتله ؟ فقال مؤمن من آل فرعون — العبد الصالح وكان اسمه فيما يزعمون حبرك : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ بعصاه ويده ! ثم خوفهم عقاب الله وحذرهم ما أصاب الأمم قبلهم ، وقال : ﴿ يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾^(٥) . وقال الملأ من قومه — وقد^(٦) وهنهم من سلطان الله ما وهنهم : ﴿ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُواكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴾^(٧) ، أى كائنه بالسحرة لعلك أن تجد في السحرة من جاء بمثل ما جاء به . وقد كان موسى وهارون خرجا من عنده حين أراهم من سلطان الله ما أراهم ، وبعث فرعون مكانه في مملكته ، فلم يترك في سلطانه ساحرا إلا أتى به ، فذكر لى — والله أعلم — أنه جمع له خمسة عشر ألف ساحر ، فلما اجتمعوا إليه أمرهم أمره ، فقال لهم : قد جاءنا ساحر ما رأينا مثله قط ، وإنكم إن غلبتموه أكرمتمكم وفضلتكم وقربتكم على أهل مملكتي ، قالوا : إن لنا ذلك [عليك]^(٨) إن

٤٧٢/١

(١) كذا في اس ، وفي ط : « ما قال » .

(٢) : « بشبه » .

(٣) ١ ، س : « استبل » .

(٤) سورة الشعراء ٣٤ ، ٣٥ .

(٥) سورة غافر ٢٨ ، ٢٩ .

(٦) ط : « قد » من غير واو ، وما أثبتته من ا .

(٧) سورة الشعراء ٣٦ ، ٣٧ .

(٨) من ا

غَلَبْنَاهُ! قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: فَعَدُّ لَنَا مَوْعِدًا نَجْتَمِعُ نَحْنُ وَهُوَ، فَكَانَ ^(١) رَمُوسُ
السَّحَرَةِ الَّذِينَ جُمِعَ فِرْعَوْنُ لِمُوسَى: سَاتُورُ ^(٢)، وَعَادُورُ ^(٣)، وَحَطَّحَطُ ^(٤)،
وَمِصْفَى ^(٥)؛ أَرْبَعَةٌ، وَهُمْ الَّذِينَ آمَنُوا حِينَ رَأَوْا مَا-رَأَوْا مِنْ سُلْطَانِ اللَّهِ،
فَأَمَنَتِ السَّحَرَةُ جَمِيعًا وَقَالُوا لِفِرْعَوْنَ حِينَ تَوَعَّدَهُمُ الْقَتْلَ وَالصَّلْبَ: ﴿لَنْ
نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ ^(٦). فَبِعَثَ
فِرْعَوْنُ إِلَى مُوسَى: أَنْ اجْعَلْ ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا
سُوءٍ﴾. قَالَ: مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزَّيْنَةِ ^(٧)، يَوْمَ عِيدِ كَانَ فِرْعَوْنُ يَخْرُجُ إِلَيْهِ ^(٨)،
﴿وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ صُحْتِي﴾ ^(٩)، حَتَّى يَحْضُرُوا أَمْرِي وَأَمْرَكَ، فَجُمِعَ فِرْعَوْنُ النَّاسَ
لِذَلِكَ الْجَمْعِ، ثُمَّ أَمَرَ السَّحَرَةَ فَقَالَ: ﴿اِثْنُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾ ^(١٠)،
أَيُّ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ اسْتَعْلَى الْيَوْمَ عَلَى صَاحِبِهِ. فَصَفَّ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ سَاحِرٍ،
مَعَ كُلِّ سَاحِرٍ جِبَالُهُ وَعَصِيهِ، وَخَرَجَ مُوسَى وَمَعَهُ أَخُوهُ يَتَكِيءُ عَلَى عَصَاهُ،
حَتَّى أَتَى الْجَمْعَ وَفِرْعَوْنَ فِي مَجْلِسِهِ وَمَعَهُ ^(١١) أَشْرَافُ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ، وَقَدْ اسْتَكْفَى
لَهُ النَّاسَ، فَقَالَ مُوسَى لِلْسَّحَرَةِ حِينَ جَاءَهُمْ: ﴿وَيَلِكُمْ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ
كَذِبًا فَيَسْحَاحَتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾ ^(١٢)، فَتَرَادَتِ السَّحَرَةُ
بَيْنَهُمْ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: [مَا هَذَا بِقَوْلِ سَاحِرٍ، ثُمَّ قَالُوا وَأَشَارَ بَعْضُهُمْ
إِلَى بَعْضٍ] ^(١٣) بَتَنَاجٍ: ﴿إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ
بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ ^(١٤). ثُمَّ قَالُوا: ﴿يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ

٧٣/١

(١) كَذَا فِي أ، وَفِي ط: «فَكَانُوا».

(٢) كَذَا فِي أ، وَفِي س: «شَانُور»، ن: «سَالُور»، وَفِي ط مِنْ غَيْرِ نَقْط.

(٣) أ: «عَادُور»، س: «غَادُور».

(٤) س: «حَطَّحَطَه». (٥) ن: «مِصْفَى».

(٦) سُورَةُ طه: ٧٢. (٧) س: «لَهُ».

(٨) سُورَةُ طه: ٥٨، ٥٩.

(٩) سُورَةُ طه: ٦٤.

(١٠) ط: «مَعَهُ»، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ أ.

(١١) سُورَةُ طه: ٦١ (١٢) تَكْمِلَةٌ مِنْ أ.

(١٣) سُورَةُ طه: ٦٣.

وَأَمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ
إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْمَى ^(١) . فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصراً موسى
وبصر فرعون ، ثم أبصار الناس بعد ، ثم ألقى كل رجل منهم ما في
يده من العصي والحبال ، فإذا هي حيات كأمثال الحبال ، قد ملأت الوادي
يركب بعضها بعضاً . ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾ ^(٢) ، وقال : والله إن
كانت لعصياً في أيديهم ، ولقد عادت حيات ، وما تعدو عصاى هذه
— أو كما حدث نفسه — فأوحى الله إليه : ﴿ وَالْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا
صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ ^(٣) . وفُرج عن موسى فالتقى
عصاه من يده ، فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم — وهى حيات فى
عين فرعون وأعين الناس تسعى فجعلت تلتقفها ^(٤) ، تبتلعها حية حية ، حتى ما يرى
فى الوادي ^(٥) قليل ولا كثير مما ألقوا ، ثم أخذها موسى فإذا هى عصاه فى
يده كما كانت ، ووقع السحرة سجداً ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ ،
لو كان هذا سحراً ما غلبنا . قال لهم فرعون — وأسف ورأى الغلبة البيئنة : ﴿ آمَنْتُمْ
لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ ، [أى
لعظيم السحار الذى علمكم] ^(٦) ﴿ فَلَا تَقْطَعْنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافِ ﴾
— إلى قوله — ﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾ ، [أى لن نؤثرك على الله وعلى ما جاء نامن
الحجج مع نبيه فاقض ما أنت قاض] ^(٧) ، أى فاصنع ما بدالك ، ﴿ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ

(١) سورة طه ٦٥ - ٦٧

(٢) سورة طه ٦٩

(٣) كذا فى ١ ، وفى ط « تلتقفها » .

(٤) ١ ، ن : « بالوادي » .

(٥) تكله من ١ .

الحياة الدنيا التي ليس لك سلطان إلا فيها ، ثم لا سلطان لك بعدها ، ﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحَرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (١) ، أى خير منك ثواباً ، وأبقى عقاباً . فرجع عدو الله مغلوباً ملعوناً (٢) ثم أبى إلا الإقامة على الكفر ، والتمادى فى الشر ، فتابع الله عليه بالآيات ، وأخذ به بالسنين ، فأرسل عليه الطوفان .

رجع الحديث إلى حديث السدى . وأما السدى فإنه قال فى خبره : ذُكر أن الآيات التى ابتلى الله بها قوم فرعون كانت قبل اجتماع موسى والسحرة ، وقال : لما رجع إليه السهم ملطخاً بالدم قال : قد قتلنا (٣) إله موسى . ثم إن الله أرسل عليهم الطوفان - وهو المطر - فغرق كل شىء لهم ، فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا ، ونحن نؤمن لك ونرسل معك بنى إسرائيل . فكشفه الله عنهم ، ونبتت زروعهم ، فقالوا : ما يسرنا أنا لم نُمطر . فبعث الله عليهم الجراد فأكل حروثهم ، فسألوا موسى أن يدعو ربه فيكشفه ويؤمنوا به ، فدعا فكشفه ، وقد بقى من زروعهم بقية ، فقالوا : لن نؤمن وقد بقى لنا من زروعنا بقية ، فبعث الله عليهم الدباب - وهو القمل - ، فلحس الأرض كلها ، وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضه ، وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتلىء دباباً حتى إن أحدهم لينبى الأسطوانة بالحصص والآجر ، فيزلقها (٤) حتى لا يرتقى فوقها شىء [من الذباب ، ثم] (٥) يرفع فوقها الطعام ، فإذا صعد إليه ليأكله وجده ملآن دباباً ، فلم يصبهم بلاء كان أشد عليهم من الدباب ، وهو الرجز الذى ذكره الله فى القرآن (٦) أنه وقع عليهم . فسألوا موسى أن يدعو ربه فيكشفه عنهم ويؤمنوا به ، فلما كشف (٧) عنهم أبوا أن يؤمنوا ، فأرسل الله عليهم الدم ، فكان الإسرائيل

(١) سورة طه : ٧٠ - ٧٣ (٢) ١ ، س : « مغلولاً »

(٣) ١ : « قتلت » .

(٤) ط : « فيزلقه » ، ما أثبتته من ١ . (٥) تكله من ١

(٦) وهو قوله تعالى فى سورة الأعراف ١٣٤ : (وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ إِنَّمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ) .

(٧) ط : « كشفه » ، والأجود ما أثبتته من ١ .

يَأْتِي هُوَ وَالْقَبْطِيُّ فَيَسْتَقِيَانِ^(١) مِنْ مَاءٍ وَاحِدٍ ، فَيُخْرِجُ مَاءَ هَذَا الْقَبْطِيُّ دُمًّا ، وَيُخْرِجُ
لِلْإِسْرَائِيلِيِّ مَاءً . فَلَمَّا اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ سَأَلُوا مُوسَى أَنْ يَكْشِفَهُ وَيُؤْمِنُوا بِهِ
فَكَشَفَ ذَلِكَ عَنْهُمْ ، فَأَبَوْا أَنْ يُؤْمِنُوا ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللَّهُ : ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾^(٢) مَا أَعْطَوْا مِنَ الْعَهْدِ ، وَهُوَ حِينَ يَقُولُ :
﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴾ — وَهُوَ الْجُوعُ — ﴿ وَنَقَصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ
أَعْلَهُمْ يَذْكُرُونَ ﴾^(٣) .

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَى مُوسَى وَهَارُونَ^(٤) أَنْ : ﴿ قُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لِمَنْ
يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾^(٥) ، فَأَتَيَاهُ فَقَالَ لَهُ مُوسَى : هَلْ لَكَ يَا فِرْعَوْنَ فِي أَنْ أُعْطِيَكَ
شِبَابَكَ وَلَا تَهْرَمَ^(٦) ، وَمُلْكَكَ لَا يَنْزِعَ مِنْكَ ، وَيُرَدَّ^(٧) إِلَيْكَ لَذَّةُ الْمُنَاقِحِ
وَالْمَشَارِبِ وَالرُّكُوبِ ، فَإِذَا مَتَّ دَخَلْتَ الْجَنَّةَ ؟ تَوْمِنُ بِي^(٨) ! فَوَقَعَتْ فِي نَفْسِهِ
هَذِهِ الْكَلِمَاتُ ، وَهِيَ اللَّيْنَةُ^(٩) ، فَقَالَ : كَمَا أَنْتَ حَتَّى يَأْتِيَ هَامَانَ . فَلَمَّا جَاءَ
هَامَانَ قَالَ لَهُ : [أَشَعَرْتُ]^(١٠) أَنْ ذَلِكَ الرَّجُلُ أَتَانِي ؟ قَالَ : مَنْ هُوَ ؟ — وَكَانَ
قَبْلَ ذَلِكَ إِنَّمَا يَسْمِيهِ السَّاحِرَ ، فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَمْ يَسْمِهِ السَّاحِرَ — قَالَ
فِرْعَوْنَ : مُوسَى ، قَالَ : وَمَا قَالَ لَكَ ؟ قَالَ : قَالَ لِي : كَذَا وَكَذَا ، قَالَ
هَامَانَ : وَمَا رَدَدْتَ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : قُلْتُ : حَتَّى يَأْتِيَ هَامَانَ فَأَسْتَشِيرَهُ ، فَمَجَّزَهُ
هَامَانَ وَقَالَ : قَدْ كَانَ ظَنِّي بِكَ خَيْرًا مِنْ هَذَا ، تَصِيرُ عَبْدًا يَعْبُدُ بَعْدَ أَنْ كُنْتُ
رَبًّا يَعْْبُدُ ! فَذَلِكَ حِينَ خَرَجَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ لِقَوْمِهِ وَجَمْعِهِمْ فَقَالَ : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ
الْأَعْلَى ﴾^(١١) . وَكَانَ بَيْنَ كَلِمَتِهِ ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾^(١٢) وَبَيْنَ قَوْلِهِ :

(١) كَذَا فِي ١ ، وَفِي ط : « يَسْتَقِيَانِ » . (٢) سُورَةُ الزَّخْرَفِ ٥٠ .

(٣) سُورَةُ الْأَعْرَافِ ١٣٠ . (٤) كَذَا فِي ١ ، وَفِي ط : « إِلَيْهِمَا » .

(٥) سُورَةُ طه ٤٤ . (٦) ط : « وَلَا يَهْرَمَ » ، ١ : « شَيْئًا لَا يَهْرَمَ » ، وَفِي ابْنِ الْأَثِيرِ

١ : ١٠٢ : « فَلَا يَهْرَمُ » . (٧) ابْنُ الْأَثِيرِ : « وَأُرَدَّ » .

(٨) ١ ، ن ، وَابْنُ الْأَثِيرِ : « وَتَوْمِنُ بِي » . (٩) ١ : « اللَّيْنِيَّاتُ » .

(١٠) تَكْلُفَةٌ مِنْ ١ . (١١) سُورَةُ النَّازِعَاتِ ٢٤ (١٢) سُورَةُ الْقَصَصِ ٣٨ .

﴿أَنَارُكُمْ الْأَعْلَى﴾ أربعون سنة . وقال لقومه : ﴿إِنَّ هَذَا سَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَا تَوَكُّلْ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ﴾ ^(١) . قال فرعون : ﴿أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ — يقول : عدلا ، قال موسى : ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ صُحُفِي﴾ — وذلك يوم عيد لهم — ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾ ^(٢) . وأرسل فرعون في المدائن حاشرين ، فحشروا عليه السحرة ، وحشروا الناس ينظرون ، يقول : ﴿هَلْ أَنتُمْ مُجْتَمِعُونَ * لَعَلَّنَا نَبْيعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ — إلى قوله : ﴿أَنْزِلْنَا لَنَا جُرْأَنَ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ — يقول : عطية تعطينا — ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُفْرِّينَ﴾ ^(٣) . فقال لهم موسى : ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾ ، يقول : يهلككم بعذاب . ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرَوْا النَّجْوَى﴾ من دون موسى وهارون ، وقالوا في نجواهم : ﴿إِنَّ هَذَانِ سَاحِرَانِ يَرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ ^(٤) ، يقول : يذهبا بأشراف قومكم .

فالتقى موسى وأمير السحرة ، فقال له موسى : أرايتك إن غلبتكَ أتؤمنُ بي وتشهد أن ما جئت به حق ؟ قال : نعم ، قال الساحر : لآتين غداً بسحر لا يقليه سحر ، فوالله لئن غلبتني لأؤمنن بك ، ولأشهدن أنك على حق — وفرعون ينظر إليهما — وهو قول فرعون : ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ ،

(١) سورة الشعراء ٣٤ - ٣٧

(٢) سورة طه ٥٧ - ٦٠

(٣) سورة الشعراء ٣٩ - ٤٢

(٤) سورة طه ٦١ - ٦٣ .

إِذِ التَّقِيْمَا لِتَنْظَاهِرَا ﴿لِيُخْرِجُوْا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾^(١) . فَقَالُوا : ﴿يَا مُوسَىٰ إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ
وَأَمَّا أَنْ نَكُوْنَنَّ نَحْنُ الْمَلٰٓئِكِيْنَ﴾^(٢) ، قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ : أَلْقُوا فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ
وَعَصِيَّهْمُ - وَكَانُوا بُضْعَةً وَّثَلَاثِيْنَ أَلْفَ رَجُلٍ ، لَيْسَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَعِهِ حَبْلٌ
وَعَصَا - ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرٰهَبُوْهُمْ﴾^(٣) يَقُوْلُ : فَرَقُوْهُمْ .
﴿فَأَوْجَسَ فِيْ نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾^(٤) ، فَأَوْحَىٰ اللّٰهُ إِلَيْهِ : أَلَّا تَخَفَ ، ﴿وَأَلْقِ
مَا فِيْ يَمِيْنِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوْا﴾^(٥) . فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَأَكَلَتْ كُلُّ حَبَّةٍ
لَّهُمْ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ سَجَدُوا ، وَقَالُوا : ﴿آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِيْنَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾^(٦) .
قَالَ فِرْعَوْنُ : ﴿فَلَا قُطْمَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صُلْبَكُمْ فِي
جُدُوْعِ النَّخْلِ﴾^(٧) فَقَتَلَهُمْ وَقَطَّعَهُمْ - كَمَا قَالَ عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ عَبَّاسٍ - حِيْنَ قَالُوا :
﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِيْنَ﴾^(٨) . قَالَ^(٩) : كَانُوا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ
سَحَرَةً ، وَفِي آخِرِ النَّهَارِ شُهَدَاءَ .

* * *

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ : ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيَفْسُدُوا فِي
الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾^(١٠) ، وَآلِهَتُهُ - فِيمَا زَعَمَ ابْنُ عَبَّاسٍ - كَانَتْ الْبَقَرُ ،
كَانُوا إِذَا رَأَوْا بَقَرَةً حَسَنَاءَ أَمَرَهُمْ أَنْ يَعْبُدُوهَا ، فَلِذَلِكَ أَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا بَقَرَةً .
ثُمَّ إِنَّ اللّٰهَ تَعَالَىٰ ذَكَرَهُ أَمْرَ مُوسَىٰ أَنْ يَخْرُجَ بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ فَقَالَ : ﴿أَنْ أَسْرِ
بِعِبَادِي﴾ لِيَلَّا ﴿إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾^(١١) . فَأَمَرَ مُوسَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنْ يَخْرُجُوا ، وَأَمَرَهُمْ

(١) سورة الأعراف ١٢٣ .

(٢) سورة الأعراف ١١٥ ، ١١٦ .

(٣) سورة طه ٦٧ .

(٤) سورة طه ٧١ .

(٥) ط : « قَالُوا » ، وَصَوَابُهُ مِنْ .

(٦) سورة الشعراء ٥٣ .

(٧) سورة الشعراء ٤٧ ، ٤٨ .

(٨) سورة الأعراف ١٢٦ .

(٩) سورة الأعراف ١٢٧ .

أن يستعبروا الحلى من القبط ، وأمر ألا ينادى إنسان صاحبه ، وأن يسرجوا في بيوتهم حتى الصبح ، وأن من خرج إذا قال : موسى ، قال : « عمرو » . وأمر من خرج يلبخ بابه بكف من دم حتى يعلم أنه قد خرج . وإن الله أخرج كل ولد زنا في القبط من بني إسرائيل إلى بني إسرائيل ، وأخرج كل ولد زنا في بني إسرائيل من القبط إلى القبط ، حتى أتوا آباءهم .

ثم خرج موسى ببني إسرائيل ليلاً والقبط لا يعلمون ، وقد دعوا قبل ذلك على القبط ، فقال موسى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ إلى قوله : ﴿ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ ^(١) ، فقال الله تعالى : ﴿ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا ﴾ فزعم السدي أن موسى هو الذي دعا وأمن هارون ، فذلك حين يقول الله : ﴿ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ ﴾ ^(٣) فذكر أن طمس الأموال أنه جعل دراهمهم ودنانيرهم حجارة ، ثم قال لهما استقيما ، فخرجا في قومهما ، وألق على القبط الموت ، فأت كل بيكر رجل ، فأصبحوا يكدفونهم ، فشغلوا عن طلبهم حتى طلعت الشمس ، فذلك حين يقول الله : ﴿ فَأَنْتَبَهُوهُمْ مُنْشَرِقِينَ ﴾ ^(٤) .

وكان موسى على ساقه ^(٥) بني إسرائيل ، وكان هارون أمامهم يقدمهم ، فقال المؤمن لموسى : يا نبي الله ، أين أميرت ؟ قال : البحر ، فأراد أن يقتحم فنفعه وسى . وخرج موسى في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل ، لا يعدون ابن العشرين لصغره ولا ابن السنين لكبره ، وإنما عدوا ما بين ذلك سوى الذرية ، وتبعهم فرعون ، وعلى مقدمته هامان ، في ألف ألف وسبعمائة ألف حصان ، ليس ^(٦) فيها ماذيانه ، وذلك حين يقول الله : ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا شَرٌّ ذَمَّةٌ قَلِيلُونَ * وَإِلَهُهُمْ لَنَا لَعَانُظُونَ ﴾ — يعنى بني إسرائيل — ﴿ وَأَنَا جَمِيعٌ حَاضِرُونَ ﴾ ^(٧) ، يقول : قد حنرنا فأجمعنا أمرا ،

(٢) سورة الشعراء ٦٠ .

(٤) ن : وليس .

(١) سورة يونس ٨٨ ، ٨٩ .

(٣) ساقه الجيش : مؤخرهم .

(٥) سورة الشعراء ٥٣ - ٥٦ .

﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ ﴾ ، فنظرت بنو إسرائيل إلى فرعون قد رددهم ، قالوا :
 ﴿ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ ^(١) . قالوا : يا موسى ، أؤذينا من قبل أن تأتيينا ، كانوا
 يذبحون أبناءنا ، ويستحيون نساءنا ، ومن بعد ما جئتنا اليوم يدركنا فرعون
 فيقتلنا ! إنا لمدركون ، البحر من بين أيدينا وفرعون من خلفنا ، قال
 موسى : ﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَزِينُ ﴾ ^(٢) ، يقول : سيكفيني ، ﴿ قَالَ عَسَى
 رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ
 تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٣) . فتقدم هارون ف ضرب البحر فأبى البحر أن يفتح ، وقال :
 من هذا الجبار الذي يضربني ! حتى أتاه موسى فكناه أبا خالد ، وضربه ،
 ﴿ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ ^(٤) ، يقول : كالجبل العظيم ،
 فدخلت بنو إسرائيل ، وكان في البحر اثنا عشر طريقاً ، في كل طريق
 سببط ، وكان الطرق إذ انفلقت بجدران . فقال كل سبط : قد قتل أصحابنا ،
 فلما رأى ذلك موسى دعا الله فجعلها لهم قناطر كهيئة الطيقان ، فنظر
 ٤٨١/١ آخرهم إلى أولهم ، حتى خرجوا جميعاً ، ثم دنا فرعون وأصحابه ، فلما
 نظر فرعون إلى البحر منفلقاً قال : ألا ترون البحر فرق مني ، وقد تفتح لي حتى
 أدرك أعدائي فأقتلهم ! فذلك قول الله : ﴿ وَأَزَلْنَا مِمَّا الْآخِرِينَ ﴾ ^(٥) ،
 يقول : قربنا ثم الآخريين ، هم آل فرعون .

فلما قام فرعون على أفواه الطرق أبت خيلُه أن تقتحم ، فزل جبرئيل
 على ماذيانه ، فشمت ^(٥) الحصن ريح الماذيانة فاقترحت في أثرها حتى إذا هم
 أولتهم أن يخرج ودخل آخرهم ، أمر البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم ،

(١) سورة الشعراء ٦١ ، ٦٢ .

(٢) سورة الأعراف ١٢٩ .

(٣) سورة الشعراء ٦٣ .

(٤) سورة الشعراء : ٦٤ .

(٥) كذا في ح وابن الأثير ، وفي ا ، ط : « فشامت » .

وتفرد جبرئيل بفرعون بمَقْلَةٍ من مَقْل (١) البحر ، فجعل يَدُسُّهَا فِيهِ ، فقال حين أدركه الغرق : ﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَقَوْا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ، فبعث الله إليه ميكائيل يعيره ، قال : ﴿ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٢) . فقال جبرئيل : يا محمد ، ما أبغضت أحداً من الخلق ما أبغضت رجلين : أما أحدهما فن الجين وهو إبليس حين أبى أن يسجد لآدم ، وأما الآخر فهو فرعون حين قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ ، ولورأيتني يا محمد ، وأنا آخذ مَقْلَ البحر فأدخله في فم فرعون مخافة أن يقول كلمة يرحمه الله بها ! وقالت بنو إسرائيل : لم يغرق فرعون ، الآن يدركنا فيقتلنا ، فدعا الله موسى : فأخرج فرعون في ستمائة ألف وعشرين ألفاً ، عليهم الحديد فأخذته بنو إسرائيل يمثلون به ، وذلك قول الله لفرعون : ﴿ فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ يَدَّيْنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً ﴾ (٣) ؛ يقول : لبني إسرائيل آية . فلما أرادوا أن يسيروا ضُرب عليهم تيه ، فلم يدروا أين يذهبون ، فدعا موسى مشيخة بني إسرائيل فسألهم : ما بالنا ؟ فقالوا له : إن يوسف لما مات بمصر أخذ على إخوته عهداً ألا يخرجوا من مصر حتى تخرجوني معكم ، فذلك هذا الأمر ، فسألهم : أين موضع قبره ؟ فلم يعلموا ، فقام موسى ينادي : أنشد الله كلَّ مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أين موضع قبر يوسف إلا أخبرني به ، ومن لم يعلم فصمت أذناه عن قولي ! وكان يمر بين الرجلين ينادي فلا يسمعان صوته ، حتى سمعته عجوز لهم فقالت : رأيته ! إن دلتك على قبره أعطيني كلَّ ما سألتك ؟ فأبى عليها وقال : حتى أسأل ربي ، فأمره الله عز وجل أن يعطيها ، فأناها فأعطاها ، فقالت : إني أريد ألا تنزل غُرْفَةً من الجنة إلا نزلتها معك ، قال : نعم ، قالت : إني عجوز كبيرة لا أستطيع أن أمشي فأحملني ، فحملها ، فلما دنا من النيل ، قالت : إنه في جوف الماء ، فادع الله أن يحسره عنه الماء ، فدعا الله فحسر الماء عن القبر ، فقالت : احفره ، ففعل فحمل عظامه ، ففتح

٤٨٢/١

٤٨٣/١

(١) في اللسان ؛ مقل البحر ، موضع المغاص منه .

(٢) سورة يونس : ٩٠ ، ٩٢ .

لهم الطريق، فساروا، ﴿فَاتُوا عَلَى قَوْمٍ يَمْكُمُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ • إِنَّ هُوَ إِلَّا مُتَّبِعٌ مَا هُمْ فِيهِ ﴾ يقول: مهلك ما هم فيه - ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ^(١).

فأما ابنُ إسحاق، فإنه قال - فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عنه - فتابع الله عليه بالآيات - يعنى على فرعون - وأخذه بالسنين إذ أبى أن يؤمن بعد ^(٢) ما كان من أمره وأمر السحرة ما كان ، فأرسل عليه الطوفان ، ثم الجراد ، ثم القمل ، ثم الضفادع ، ثم الدم آيات مفصلات ، أى آية بعد آية، يتبع بعضها بعضاً ، فأرسل الطوفان وهو الماء ، ففاض على وجه الأرض ثم ركد ، لا يقدرّون على أن يحرثوا ، ولا يعملوا شيئاً ، حتى جهدوا جوعاً. فلما بلغهم ذلك قالوا: يا موسى ادع لنا ربك، ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ بِكَ وَتَرْسِلَنَّا مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ^(٣). فدعا موسى ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم الجراد فأكل الشجر - فيما بلغني حتى إنه كان ليبأكل مسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم ومساكنهم ، فقالوا مثل ما قالوا ، فدعا ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم القمل . فذكر لى أن موسى أمير أن يمشى إلى كتيب فيضربه ^(٤) بعصاه فشى إلى كتيب أهيل عظيم فضربه بها فانثال عليهم قملاً حتى غلب على البيوت والأطعمة ، ومنعهم النوم والقرار ، فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا ، فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم الضفادع ، فلات البيوت والأطعمة والآنية فلا يكشف أحد منهم ^(٥) ثوباً ولا طعاماً ولا إناء إلا وجد فيه الضفادع قد غلبت عليه ، فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا ، فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا ، فأرسل الله

٤٨٤/١

(١) سورة الأعراف ١٣٨ ، ١٣٩

(٢) ح : « من بعد » .

(٣) سورة الأعراف ١٣٤ .

(٤) ن : « حتى يضره » .

(٥) ح ، ن : « أحدهم » .

عليهم الدم فصارت مياه آل فرعون دمًا ، لا يستقون من بئر ولا نهر ولا يغترفون من إناء إلا عادت دمًا عبيطًا .

حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : فحدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي أنه حدث أن المرأة من آل فرعون كانت تأتي المرأة من بني إسرائيل حين جهدهم العطش ، فتقول : اسقيني من مائك ، فتغرف لها من جرتها أو تصب لها من قربتها ، فيعود في الإناء دمًا ، حتى إن كانت لتقول لها : اجعليه في فيك ثم حجي به في في ، فتأخذ في فيها ماء ، فإذا مجته في فيها صار دمًا ، فكنثوا في ذلك سبعة أيام ، فقالوا : ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِنَكْشِفَ عَنَّْا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرِيَاَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ^(١) . فلما كشف عنهم الرجز نكثوا ولم يفؤا بشيء مما قالوا ، فأمر الله موسى أن يسير ، وأخبره أنه منجيه ومن معه ، ومهلك فرعون وجنوده ، وقد دعا موسى عليهم بالطمسة ؛ فقال : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوَا عَنْ سَبِيلِكَ ﴾ - إلى - ﴿ وَلَا تَدْعِيَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يِعَامُون ﴾ ^(٢) . ففسخ الله أموالهم حجارة : النخل والرقيق والأطعمة ، فكانت إحدى الآيات التي أراها ^(٣) الله فرعون .

٤٨٥/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : سألتني عمر بن عبد العزيز عن التسع الآيات التي أراها الله فرعون ، فقلت : الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، وعصاه ، ويده ، والطمسة ، والبحر . فقال عمر : فأننى عرفت أن الطمسة إحداهن ؟ قلت : دعا عليهم موسى وأمن هارون ، ففسخ الله أموالهم حجارة ، فقال : كيف يكون الفقه إلا هكذا ! ثم

(١) سورة الأعراف ١٣٤ .

(٢) سورة يونس ٨٨ ، ٨٩ .

(٣) ط : « أراها » ، وما أثبتته من أ .

دعا بخريطة فيها أشياء مما كان أصيب لعبد العزيز بن مروان بمصر ؛ إذ كان عليها من بقايا أموال آل فرعون ، فأخرج البيضة مقشورة نصفين ؛ وإنها لحجر ، والجوزة مقشورة وإنها لحجر ، والحمصة ، والعدسة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد ، عن رجل من أهل الشام كان بمصر ، قال : قد رأيت النخلة مصروعة ، وإنها لحجر ، وقد رأيت إنساناً ما شككت أنه إنسان وإنه لحجر ، من رقيقهم ، فيقول الله عز وجل : ﴿ وَالْقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ إِلَى قَوْلِهِ مَثْبُورًا ﴾ ^(١) يقول : شقيئاً . ٤٨٦/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، أن الله حين أمر موسى بالمسير ببني إسرائيل أمره أن يحمل يوسف معه حتى يضعه بالأرض المقدسة ، فسأل موسى عمن يعرف موضع قبره ، فما وجد إلا عجوزاً من بني إسرائيل ، فقالت : يا نبي الله ، أنا أعرف مكانه . إن أنت أخرجتني معك ^(٢) ، ولم تخلّفني بأرض مصر دلتك عليه . قال : أفعل ، وقد كان موسى وعبد بني إسرائيل أن يسير بهم إذا طلع الفجر ، فدعا ربه أن يؤخّر طلوعه حتى يفرغ من أمر يوسف ، ففعل ، فخرجت به العجوز حتى أرتها إياه في ناحية من النيل في الماء ، فاستخرجه موسى صندوقاً من مرمر ، فاحتمله معه . قال عروة : فن ذلك تحمّل اليهود موتاًها من كل أرض إلى الأرض المقدسة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان فيما ذكر لي — أن موسى قال لبني إسرائيل فيما أمره الله به : استعبروا منهم الأمتعة والحيل والثياب فإن منفلتكم أموالكم مع هلاكهم ؛ فلما أذن فرعون في الناس كان مما يحرّض به على بني إسرائيل أن قال حين سازوا : لم يرضوا أن يخرجوا بأنفسهم حتى ذهبوا بأموالكم معهم .

(١) سورة الإسراء ١٠١ ، ١٠٢

(٢) ١ ، ن : « خرجت بي » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد
ابن كعب القرظي ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد ، قال : لقد ذكر لي أنه
خرج فرعون في طلب موسى على سبعين ألفاً من دُهم الخيل سوى ما في جنده ٤٨٧/١
من شيات^(١) الخيل ، وخرج موسى حتى إذا قابله البحر ولم يكن عنه منصرف
طلع فرعون في جنده من خلفهم ، ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ
مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٢﴾ ، أي للنجاة ، وقد
وعدني ذلك ولا خلُفَ لموعوده^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق
قال : فأوحى الله تبارك وتعالى - فيما ذكر لي - إلى البحر : إذا ضربك موسى
بعضاه فانفلق له ، فبات البحر يضرب بعضه بعضاً فرقاً من الله
وانتظاراً لأمره ، فأوحى الله عز وجل إلى موسى : أن اضرب بعضاك البحر ، فضربه
بها وفيها سلطان الله الذي أعطاه ، ﴿ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾^(٤) ،
أي كالجبل على نشز من الأرض . يقول الله لموسى عليه السلام : ﴿ فَاضْرِبْ
لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لَا تَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى ﴾^(٥) . فلما استقر له
البحر على طريق قائمة يبس سلك فيه موسى ببني إسرائيل ، واتبعه فرعون بجنوده .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ،
عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي ، قال :
حدثت أنه لما دخلت بنو إسرائيل فلم يبق منهم أحدٌ أقبل فرعون وهو على
حصان له من الخيل ، حتى وقف على شفير البحر وهو قائم على حاله ، فهاب
الحصان أن يتقدم^(٦) ، فعرض له جبرئيل على فرس أنثى وديق^(٧) ، فقصر بها منه ٤٨٨/١

(١) كذا في ١ ، وفي التفسير : « شية » ، وفي ط : « شهب » من تصرف مصححه .

(٢) سورة الشعراء ٦١ ، ٦٢ (٣) الخبر في التفسير ١٩ : ٤٩ (بولاق) .

(٤) سورة الشعراء ٦٣ (٥) سورة طه ٧٧

(٦) ١ ح : « أن ينفذ » . (٧) الفرس الوديق : التي تريد الفحل .

فشمّتها الفحل ، ولما شمّتها قدمها ، فتقدم معه الحصان عليه فرعون ، فلما رأى جند فرعون أنّ فرعون قد دخل دخلوا معه ، وجبرئيل أمامه ، فهم يتبعون فرعون ، ويكاثيل على فرس خلف القوم يشحذهم يقول : الحقوا بصاحبكم ، حتى إذا فصل جبرئيل من البحر ليس أمامه أحدٌ ، ووقف ميكائيل على الناحية^(١) الأخرى ليس خلفه أحد ، طبّق عليهم البحر ، ونادى فرعون حين رأى من سلطان الله وقدرته ما رأى ، وعرف ذلّه وخذلته نفسه ، نادى : أن لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل ، وأنا من المسلمين .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا أبو داود البصرى ، عن حماد بن سلمة ، عن على بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : جاء جبرئيل إلى النبي عليه السلام فقال : يا محمد ، لقد رأيته وأنا أدسّ من حمى البحر فى فم^(٢) فرعون مخافة أن تدركه الرحمة ! يقول الله : ﴿ آلاَ نَ وَقدَ عصيتَ قَبْلُ وَ كُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنجِيكَ بِيَدِنَا ﴾ ، أى سواء لم يذهب منك شىء ، ﴿ لَتَكُونَنَّ لِمَن خَلَقَكَ آيَةً ﴾^(٣) أى عبرة وبينة . فكان يقال : لو لم يخرج الله بيده حتى عرفوه لشكّ فيه بعض الناس .

ولما جاوز بنى إسرائيل البحر أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، ٤٨٩/١ ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هُوَ إِلَّا مُتَّبَرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾^(٤) . ووعد الله موسى حين أهلك فرعون وقومه ونجاه وقومه ثلاثين ليلة .

رجع الحديث إلى حديث السدى . ثم إن جبرئيل أتى موسى يذهب به إلى

(١) ١ : « ناحيته الأخرى » ، ح ، س : « ناحية أخرى » .

(٢) ١ : « فى فرعون » .

(٣) سورة يونس ٩٢ ، ٩١ .

(٤) سورة الأعراف : ١٣٨ - ١٤٠ .

الله عز وجل ، فأقبل على فرس فرآه السامريّ فأنكره ، ويقال : إنه فرس الحياة ، فقال حين رآه : إن لهذا لشأناً ، فأخذ من تربة الحافر حافر الفرس ، فانطلق موسى واستخلف هارون على بني إسرائيل ، وواعدهم ثلاثين ليلة ، وأتمها الله بعشر ، فقال لهم هارون : يا بني إسرائيل ، إن الغنيمة لا تحل لكم ، وإن حلّي القبط إنما هو غنيمة ، فاجمعوها جميعاً فاحضروا لها حفرة فادفنوها فيها ، فإن جاء موسى فأحلّها أخذتموها ، وإلا كان شيئاً لم تأكلوه ، فجمعوا ذلك الحلّي في تلك الحفرة ، وجاء السامريّ بتلك القبضة فخذفها ، فأخرج الله من الحلّي عجلاً جسداً له خوار ، وعدت بنو إسرائيل موعد موسى ، فعدوا الليلة يوماً واليوم يوماً ، فلما كان العشر^(١) خرج لهم العجل فلما رأوه قال لهم السامريّ : ﴿ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَذَيِّبْهُ ﴾^(٢) . يقول : ترك موسى إلهه هاهنا ، وذهب يطلبه

٤٩٠/١

فحكفوا عليه يعبدونه ، وكان يخور ويمشي ، فقال لهم هارون : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ﴾ يقول : إنما ابتليتكم به ، يقول : بالعجل ، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾^(٣) ، فأقام هارون ومن معه من بني إسرائيل لا يقاتلونهم ، وانطلق موسى إلى إلهه يكلمه ، فلما كلمه قال له : ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَاجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى * قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾^(٤) . فلما أخبره خبرهم قال موسى : يا رب هذا السامريّ أمرهم أن يتخذوا العجل ، أرايت الروح من نفخها فيه ؟ قال الرب : أنا . قال : رب أنت إذا أضلتهم .

ثم إن موسى لما كلمه ربه أحب أن ينظر إليه ، ﴿ قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ

(١) كذا في ١ ، ن : وفي ط : « العشرين » .

(٢) سورة طه ٨٨ .

(٣) سورة طه ٩٠ .

(٤) سورة طه ٨٣ - ٨٥ .

فَسَوْفَ تَرَانِي^(١)، فَحَفَّ حَوْلَ الْجَبَلِ الْمَلَأْتِكَةَ، وَحَفَّ حَوْلَ الْمَلَأْتِكَةِ بِنَارٍ، وَحَفَّ حَوْلَ النَّارِ بِمَلَأْتِكَةِ، وَحَوْلَ الْمَلَأْتِكَةِ بِنَارٍ، ثُمَّ تَجَلَّى رَبِّهِ لِلْجَبَلِ.

فحدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، قال: حدثني السدي، عن عكرمة، عن ابن عباس، أنه قال: تجلَّى منه مثل طرف الحنصر، فجعل الجبل دكًا وخرَّ موسى صعقًا، فلم يزل صعقًا ما شاء الله، ثم انه أفاق فقال: ﴿سُبْحَانَكَ تَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، يعني أول المؤمنين من بني إسرائيل، فقال: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ * وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من الحلال والحرام ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾، يعني بجدة واجتهاد ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾^(٣) أي بأحسن ما يجدون فيها. فكان موسى بعد ذلك لا يستطيع أحد أن ينظر في وجهه^(٤)، وكان يلْبِس وجهه بحريرة، فأخذ الألواح ثم رجع إلى قومه ﴿غَضَبَانِ أَسْفًا﴾ يقول: حزينا ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ - إلى - ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾ يقولون: بطاقتنا، ﴿وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ يقول: من حلَى القبط ﴿فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾^(٥)، ذلك حين قال لهم هارون: احضروا لهذا الحلَى حُقُرة، واطرحوه فيها، فطرحوه فقذف السامري تربيته، فألقى موسى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه، ﴿قَالَ يَا بَنِي أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾^(٥). فترك موسى هارون، ومال إلى السامري، فقال:

(١) سورة الأعراف ١٤٣. (٢) سورة الأعراف ١٤٣ - ١٤٥.

(٣) ١: «إلى وجهه».

(٤) سورة طه ٨٦، ٨٧.

(٥) سورة طه ٩٤.

﴿فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾^(١)، قال السامري: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ إلى : ﴿فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾^(٢). ثم أخذه فذبحه ، ثم حرفه بالمبرد ثم ذراه في البحر ، فلم يبق بحر يجري إلا وقع فيه شيء منه ، ثم قال لهم موسى : اشربوا منه فشربوا ، فمن كان يحبه خرج على شاربيه الذهب ، فذلك حين يقول: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾^(٣). فلما سَقِطَ في أيدي بني إسرائيل حين جاء موسى ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٤). فأبى الله أن يقبل توبة بني إسرائيل إلا بالحال التي كرهوا أن يقاتلوهم حين عبدوا العجل ، فقال لهم موسى : ﴿يَا قَوْمِ إِنَّا كُنْهَ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٥) ، فاجتلد الذين عبدوه والذين لم يعبدوه بالسيوف ، فكان من قُتِلَ من الفريقين شهيداً ، حتى كثر القتل حتى كادوا أن يهلكوا ، حتى قتل بينهم سبعون ألفاً ، حتى دعا موسى وهارون : رَبَّنَا هَلَكْتَ بَنُو إِسْرَائِيلَ ! رَبَّنَا الْبَقِيَّةُ الْبَقِيَّةُ ! فأمرهم أن يضعوا السلاح ، وتاب عليهم ، فكان من قُتِلَ كان شهيداً ، ومن بقى كان مكفراً عنه ، فذلك قوله : ﴿فَتَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٦).

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان السامري رجلاً من أهل باجرما^(٧) ، وكان من قوم يعبدون البقر ، فكان حب عباد

(٢) سورة البقرة ٩٣ .

(١) سورة طه ٩٥ - ٩٧ .

(٤) سورة البقرة ٥٤ .

(٣) سورة الأعراف ١٤٩ .

(٥) باجرما ، بفتح الجيم وسكون الراء ويمم وألف مقصورة : قرية ، قرب الرقة من أعمال الجزيرة . ياقوت .

البقر في نفسه ، وكان قد أظهر الإسلام في بني إسرائيل ، فلما فصل هارون في بني إسرائيل ، وفصل موسى معهم ^(١) إلى ربه تبارك وتعالى قال لهم هارون : إنكم قد تحملتكم ^(٢) أوزاراً من زينة القوم آل فرعون ، وأمتعة وحلياً ، فطهروا منها فإنها نجس ، وأوقد لهم ناراً ، وقال : اقدفوا ما كان معكم من ذلك فيها ، قالوا : نعم ، فجعلوا يأتون بما كان فيهم من تلك الحلي وتلك الأمتعة فيقدفون به فيها ، حتى إذا انكسرت الحلي فيها ، رأى ^(٣) السامري أثر فرس جبّريّيل ، فأخذ تراباً من أثر حافره ، ثم أقبل إلى الحفرة فقال لهارون : يا نبي الله ، ألقى ما في يدي ؟ قال : نعم ، ولا يظن هارون إلا أنه كبعض ما جاء به غيره من تلك الأمتعة والحلي ، فقدفه فيها ، وقال : كن عجلاً جسداً له خوار ، فكان للبلاء والفتنة ، فقال : هذا إلهكم وإله موسى ، فعكفوا عليه وأحبوه حباً لم يحبوا مثله شيئاً قط ، فقال الله عز وجل : ﴿ فَذَسِي ﴾ ^(٤) ، أي ترك ما كان عليه من الإسلام ، - يعني السامري - ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ ^(٥) .

قال : وكان اسم السامري موسى بن ظفر ^(٥) ، وقع في أرض مصر ، فدخل في بني إسرائيل ، فلما رأى هارون ما وقعوا فيه قال : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ﴾ - إلى قوله - ﴿ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾ ^(٦) . فأقام هارون فيمن معه من المسلمين ممن لم يفتن ، وأقام من يعبد العجل على عبادة العجل ، وتخوف هارون إن سار بمن معه من المسلمين أن يقول له موسى : ﴿ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ ^(٧) ، وكان له هائباً مطيعاً ، ومضى موسى ببني إسرائيل إلى الطور ، وكان الله عز وجل وعد بني إسرائيل حين أنجاهم وأهلك عدوهم جانب الطور الأيمن ، وكان موسى حين سار ببني إسرائيل

(١) كذا في ا ، ح ، ن ؛ وفي ط : « عنهم » . (٢) س : « حملتم »

(٣) سورة طه ٨٨ ، ٨٩ .

(٤) في الأصول : « ورأى » .

(٥) سورة طه ٩٠ ، ٩١ .

(٦) ح : « الظفر » .

(٧) طه ٩٤ .

٤٩٤/١ من البحر قد احتاجوا إلى الماء، فاستسقى موسى لقومه، فأمر أن يضرب بعصاه الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، لكل سبط عين يشربون منها قدر فوها، فلما كلم الله موسى طمع في رؤيته، فسأل ربه أن ينظر إليه، فقال له: إِنَّكَ لَن تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

ثم قال الله لموسى: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿سَارِيكُمْ دَارَ الْفَاسِيَةِ﴾^(٢). وقال له: ﴿وَمَا أَعَجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾^(٣)، ومعه عهد الله في ألواح.

ولما انتهى موسى إلى قومه فرأى ما هم فيه من عبادة العجل ألقى الألواح من يده، وكانت فيما يذكرون—من زبرجد أخضر، ثم أخذ برأس أخيه وحيته ويقول: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلا تَتَّبِعَنِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾^(٤). فقال: ﴿يَا بَنِي أُمَّةٍ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تَشِمْتَنِي بِالْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٥)، فارعوى موسى وقال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٦).

وأقبل على قومه فقال: ﴿يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ﴾^(٧). وأقبل على السامري فقال: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ قَالَ: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(٨). ثم

(١) سورة الأعراف ١٤٣-١٤٥

(٢) سورة طه ٨٣-٨٦

(٣) سورة طه ٩٢-٩٤

(٤) سورة الأعراف ١٥٠، ١٥١

(٥) سورة طه ٨٦-٨٨

(٦) سورة طه ٩٥-٩٨

أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ، يَقُولُ اللَّهُ : ﴿ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ . وَفِي نُسخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ ^(١) .

٤٩٥/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن صدقة ابن يسار ، عن سعيد بن جببر ، عن ابن عباس ، قال : كان الله تعالى قد كتب لموسى فيها موعظة وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة ، فلما ألقاها رفع الله ستة أسباعها وأبقى سبعة ، يقول الله عز وجل : ﴿ وَفِي نُسخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ ، ثم أمر موسى بالعجل فأحرق ، حتى رجع رماداً ، ثم أمر به فقذف في البحر .

قال ابن إسحاق : فسمعت بعض أهل العلم يقول : إنما كان أحرقه ^(٢) ثم سحله ثم ذراه في البحر . والله أعلم .

ثم اختار موسى منهم سبعين رجلاً : الخيبر فالخيبر ، وقال : انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم وسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم ، صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ، فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربه ، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم ، فقال له السبعون - فيما ذكر لي - حين صنعوا ما أمرهم به ، وخرجوا معه للقاء ربه : اطلب لنا نسمع كلام ربنا ، فقال : أفعل ، فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ، ودنا موسى فدخل فيه ، وقال للقوم : ادنوا ، وكان موسى إذا كلمه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه ، ففُضِرَ دونه بالحجاب ، ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجوداً ، فسمعوه وهو يكلم موسى بأمره وبيناه : افعَلْ ولا تفعل ، فلما فرغ إليه من أمره انكشف عن موسى الغمام ^(٣) ، فأقبل إليهم فقالوا لموسى : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ ^(٤) ، ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ ^(٥) ، وهى الصاعقة ، فالفلت أرواحهم فأتوا جميعاً ،

٤٩٦/١

(٢) كذا في أ ، ح ، وفي ط : « إحراقه سحله » .

(٤) سورة البقرة ٥٥ .

(١) سورة الأعراف : ١٥٤

(٣) ن : « الحجاب » .

(٥) سورة الأعراف ٧٨

وقام موسى يناشد ربه ويدعوه ، ويرغب إليه ويقول : ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ ﴾^(١) قد سفهوا ، أفتهلك^(٢) مَنْ وَرَائِي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ! إِنَّ هَذَا هَلَاكٌ لَّهُمْ . اخترت منهم سبعين رجلاً الخَيْرَ فَالْخَيْرَ ، أرجع إليهم وليس معي رجل واحد ، فما الذي يصدقونني به ! فلم يزل موسى يناشد ربه ، ويسأله ويطلب إليه حتى ردَّ إليهم أرواحهم ، وطلب إليه التوبة لبني إِسْرَائِيلَ مِنْ عِبَادَةِ الْعَجَل ، فقال : لا ، إِلَّا أَنْ يَقْتُلُوا أَنْفُسَهُمْ . وقال : فبلغني أنَّهُمْ قَالُوا لِمُوسَى : نَصْبِرْ لِأَمْرِ اللَّهِ ، فَأَمَرَ مُوسَى مَنْ لَمْ يَكُنْ عَبْدَ الْعَجَلِ أَنْ يَقْتُلَ مَنْ عَبْدَهُ ، فَجَلَسُوا بِالْأَفْنِيَةِ ، وَأَصْلَتْ عَلَيْهِمُ الْقَوْمُ السُّيُوفُ ، فَجَعَلُوا يَقْتُلُونَهُمْ ، وَبَكَى مُوسَى وَبَهَشَ^(٣) إِلَيْهِ الصَّبِيَّانَ وَالنِّسَاءَ يَطْلُبُونَ الْعَفْوَ عَنْهُمْ ، فَتَابَ عَلَيْهِمْ وَعَفَا عَنْهُمْ ، وَأَمَرَ مُوسَى أَنْ يَرْفَعَ عَنْهُمْ السَّيْفَ .

وأما السُّدَى فإنه ذكر في خبره الذي ذكرت إسناده قبلُ أن مصيرَ موسى إلى ربه بالسبعين الذين اختارهم من قومه بعد ما تاب الله على عبدة العجل من قومه ، وذلك أنه ذكر بعد القصة التي قد ذكرتها عنه بعد قوله : ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾^(٤) . قال : ثم إن الله أمرَ موسى أن يأتيه في ناس من بني إِسْرَائِيلَ يعتذرون إليه من عبادة العجل ، ووعدهم موعداً ، فاخترَ موسى قومه سبعين رجلاً على عينه ، ثم ذهب بهم ليعتذروا ، فلما أتوا ذلك المكان قالوا : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾^(٥) ، فإنك قد كلَّمته فأرناهُ ، فأخذتهم الصاعقة فماتوا ، فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول : رب ماذا أقول لبني إِسْرَائِيلَ إِذَا أَتَيْتُهُمْ وَقَدْ أَهْلَكْتَ خِيَارَهُمْ ! رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ ، أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ! فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُوسَى : إِنَّ هَؤُلَاءِ السَّبْعِينَ مِنْهُمْ آتَاكَ الْعَجَلُ ، فذلك حين يقول موسى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّا هَذَا إِلَيْكَ ﴾^(٥) ، يقول :

(٢) ط : « فهلك » ؛ وما أثبت عن أ .

(٣) بهش الصبيان إليه : أقبلوا .

(٥) سورة الأعراف ١٥٥ ، ١٥٦ .

تبنا إليك، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾^(١)، والصاعقة نار . ثم إن الله أحياهم ، فقاموا وعاشوا^(٢) رجالا رجالا ، ينظر بعضهم إلى بعض : كيف يحيون ؟ فقالوا : يا موسى ، أنت تدعو الله فلا تسأله شيئا إلا أعطاك ، فادعُه يجعلنا أنبياء ، فدعا الله فجعلهم أنبياء ، فذلك قوله : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾^(٣) ،
ولكنه قدّم حرفاً وآخر حرفاً .

٤٩٨/١

ثم أمرهم بالسير إلى أريحا^(٤) ، وهي أرض بيت المقدس ، فساروا حتى إذا كانوا قريبا منها^(٥) بعث موسى اثني عشر نقيبا من جميع أسباط بني إسرائيل ، فساروا يريدون أن يأتوه بخبر الجبارين ، فلقيتهم رجل من الجبارين يقال له عاج ، فأخذ الاثنى عشر فجعلهم في حُجْرته وعلى رأسه حملة حطب ، فانطلق بهم إلى امرأته فقال : انظري إلى هؤلاء القوم الذين يزعمون^(٦) أنهم يريدون أن يقتلونا ، فطرحهم بين يديها ، فقال : ألا أطحنهم برجلي ! فقالت امرأته : لا ، بل خلّ عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ، ففعل ذلك ، فلما خرج القوم قال بعضهم لبعض : يا قوم ، إنكم إن أخبرتم بني إسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله ، ولكن اكتبوهم وأخبروا نبي الله ، فيكونان هما يريان رأيهما ، فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ليكتبوه ، ثم رجعوا فانطلق عشرة فنكثوا العهد ، فجعل الرجل منهم يخبر أخاه وأباه بما رأوا من أمر عاج ، وكتب رجلان منهم ، فأتوا موسى وهارون فأخبروهما الخبر ، فذلك حين يقول الله : ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾^(٧) .

فقال لهم موسى : ﴿يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾^(٨) ، يملك الرجل منكم نفسه وأهله وماله . ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ، يقول : التي أمركم الله بها
٤٩٩/١

(٢) كذا في ١ ، وفي أصول ط : « فعاش »

(١) سورة البقرة ٥٥ ، ٥٦

(٤) كذا في ١ ، ح ، وفي ط : « منهم » .

(٣) أريحا ، بالفتح ثم الكسر وياء ساكنة .

(٦) سورة المائدة ١٢

(٥) ح ، س : « زعموا » .

(٧) سورة المائدة ٢٠

﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ • قَالُوا﴾ مما سمعوا من العشرة: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنذُرُكُمْ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ • قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا﴾ ، وهما اللذان كما ، وهما يوشع بن نون فتي موسى وكالوب بن يوفته - وقيل : كلاب بن يوفته ختن موسى - فقالا^(١) : يا قوم ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ . ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنَنذُرُكُمْ أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ . فغضب موسى ، فدعا عليهم ، فقال : ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ وكانت عجلة من موسى عجلها ، فقال الله : ﴿فَإِنهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾^(٢) . فلما ضرب عليهم التيه ، ندم موسى وأتاه قومه الذين كانوا معه بطيعونه ، فقالوا له : ما صنعت بنا يا موسى ؟ فلما ندم أوحى الله عز وجل إليه : ألا تأس ، أى لا تحزن على القوم الذين سميتهم فاسقين . فلم يحزن ، فقالوا : يا موسى ، فكيف لنا بماء هاهنا ؟ أين الطعام ؟ فأنزل الله عليهم المن والسلوى ، فكان يسقط على الشجر الترنجيبين^(٤) والسلوى - وهو طير يشبه السماني - فكان يأتي أحدهم فينظر إلى الطير ، فإن كان سمينا ذبحه وإلا أرسله ، فإذا سمن أتاه ، فقالوا : هذا الطعام فأين الشراب ؟ فأمر موسى فضرب^(٥) بعضاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، يشرب كل سبط من عين . فقالوا : هذا الطعام والشراب ، فأين الظل ؟ فظلل الله عليهم الغمام ، فقالوا : هذا الظل ، فأين

(١) ط : « فقال » ! وما أثبتته من ا .

(٢) سورة المائدة . ٢١ ، ٢٦

(٣) سورة المائدة . ٢٢ - ٢٦

(٤) الترنجيبين : طل يقع من السماء ؛ وهو ندى شبيه بالعلل جامد متجيب ، تأويله عسل

الندى ، وأكثر ما يقع بخراسان على شجر الحاج . المستند في الأدوية المفردة ٣٥

(٥) س : « أن يضرب » .

اللباس ؟ فكانت ثيابهم تطول معهم ^(١) كما تطول الصبيان ، ولا يتخرق لهم ثوب ، فذلك قوله : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ﴾ ^(٢) . وقوله : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ﴾ ^(٣) ، فأجمعوا ذلك ، فقالوا : ﴿ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا ﴾ - وهى الحنطة - ﴿ وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِهَا ﴾ . قال : ﴿ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا ﴾ من الأمصار ، ﴿ فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ ^(٤) . فلما خرجوا من التيه رفع المن والسلوى ، وأكلوا البقول ، والتقى موسى وعاج فترا موسى فى السماء عشرة أذرع ، وكانت عصاه عشرة أذرع ، وكان طوله عشرة أذرع ، فأصاب ^(٥) كعب عاج فقتله .

٥٠١/١

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا مؤمل ، قال : حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن نوف ، قال : كان طول ^(٥) عوج ثمانمائة ذراع ، وكان طول موسى عشرة أذرع ، وعصاه عشرة أذرع ، ثم وثب فى السماء عشرة أذرع ، فضرب عوجاً فأصاب كعبه فسقط ميتاً ، فكان جيسراً للناس يمشون عليه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن عطية ، قال : أخبرنا قيس ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت عصا موسى عشرة أذرع ، ووثبته عشرة أذرع ، وطوله عشرة أذرع ، فأصاب كعب عوج فقتله ، فكان جسراً لأهل النيل . وقيل إن عوج عاش ثلاثة آلاف سنة .

(١) ن : « عليهم » .

(٢) سورة الأعراف ١٦٠ .

(٣) سورة البقرة ٦٠ ، ٦١ .

(٤) كذا فى ١ ، وفى ط : « وأصاب » .

(٥) فى ط : « سرير » ؛ والأصواب ما أثبتته عن أ .

ذكر وفاة موسى وهارون ابني عمران عليهما السلام

حدثنا موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال :
 ٥٠٢/١ حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ،
 عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود - وعن ناس من
 أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ثم إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى ،
 أني مُتَوَفِّ هَارُونَ ، فَأَتِ بِهِ جَبَلَ كَذَا وَكَذَا . فَانْطَلَقَ مُوسَى وَهَارُونَ نَحْوَ
 ذَلِكَ الْجَبَلِ ، فَإِذَا هُمَا بِشَجَرَةٍ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا ، وَإِذَا هُمَا بَبَيْتٍ مَبْنِيٍّ ، وَإِذَا هُمَا
 فِيهِ بِسَرِيرٍ عَلَيْهِ فَرَشٌ ، وَإِذَا فِيهِ رِيحٌ طَيِّبَةٌ ، فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونَ إِلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ
 وَالْبَيْتِ وَمَا فِيهِ أَعْجَبَهُ ، فَقَالَ : يَا مُوسَى إِنِّي لِأَحِبُّ أَنْ أَنَامَ عَلَى هَذَا السَّرِيرِ ،
 قَالَ لَهُ مُوسَى : فَمَنْ عَلَيْهِ ، قَالَ : إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَأْتِيَ رَبُّ هَذَا الْبَيْتِ فَيَغْضَبَ
 عَلَيَّ ، قَالَ لَهُ مُوسَى : لَا تَرْهَبْ أَنَا أَكْفِيكَ رَبُّ هَذَا الْبَيْتِ فَمَنْ ، قَالَ :
 يَا مُوسَى بَلْ نَمَّ مَعِيَ ، فَإِنْ جَاءَ رَبُّ الْبَيْتِ غَضِبَ عَلَيَّ وَعَلَيْكَ جَمِيعًا ، فَلَمَّا
 نَامَا أَخَذَ هَارُونَ الْمَوْتَ ، فَلَمَّا وَجَدَ حَسَهُ قَالَ : يَا مُوسَى خَدَعْتَنِي ، فَلَمَّا قُبِضَ
 رَفَعَ ذَلِكَ الْبَيْتَ وَذَهَبَتْ تِلْكَ الشَّجَرَةُ وَرُفِعَ السَّرِيرُ إِلَى السَّمَاءِ ، فَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى
 إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَلَيْسَ مَعَهُ هَارُونَ قَالُوا : فَإِنْ مُوسَى قَتَلَ هَارُونَ وَحَسَدَهُ لِحُبِّ
 بَنِي إِسْرَائِيلَ لَهُ ، وَكَانَ هَارُونَ أَكْفَى عَنْهُمْ وَأَلْيَنَ لَهُمْ مِنْ مُوسَى ، وَكَانَ فِي مُوسَى
 بَعْضُ الْغِلْظِ^(١) عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ قَالَ لَهُمْ : وَيَحْكُمُ ! كَانَ أَخِي ، أَفْتَرُونَنِي^(٢)
 ٥٠٣/١ أَقْتَلَهُ ! فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ قَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ دَعَا اللَّهَ فَتَنَزَلَ بِالسَّرِيرِ حَتَّى
 نَظَرُوا إِلَيْهِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَصَدَّقُوهُ . ثُمَّ إِنْ مُوسَى بَيْنَمَا هُوَ يَمْشِي وَيُوشِعُ
 فَتَاهُ إِذَا أَقْبَلَ رِيحٌ سَوْدَاءٌ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا يُوشِعُ ظَنَّ أَنَّهَا السَّاعَةُ وَالتَّزَمَ مُوسَى ،
 وَقَالَ : تَقُومُ السَّاعَةُ وَأَنَا مُلْتَزِمٌ مُوسَى نَبِيَّ اللَّهِ ، فَاسْتَلَّ مُوسَى مِنْ تَحْتِ الْقَمِيصِ
 وَتَرَكَ الْقَمِيصَ فِي يَدِ يُوشِعَ ، فَلَمَّا جَاءَ يُوشِعُ بِالْقَمِيصِ أَخَذَتْهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ ،
 وَقَالُوا : قَتَلْتَ نَبِيَّ اللَّهِ ! قَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا قَتَلْتُهُ ، وَلَكِنَّهُ اسْتَلَّ مِنِّي ، فَلَمْ يَصِدِّقُوهُ
 وَأَرَادُوا قَتْلَهُ . قَالَ : فَإِذَا لَمْ تَصْدُقُونِي فَأَخْرُونِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَدَعَا اللَّهَ فَأَتَيْتِي كُلَّ

(٢) ط : « أفتروني » .

(١) ن : « الغلظة » .

رجل ممن كان يحرسه في المنام ، فأخبر أن يوشع لم يقتل موسى ، وأنا قد رفعناه
إلينا ، فتركوه ولم يبق أحد ممن أبي أن يدخل قرية الجبارين مع موسى إلا
مات ، ولم يشهد الفتح .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان
صفي الله قد كره الموت وأعظمه ، فلما كرهه أراد الله تعالى أن يحبب إليه الموت
ويكره إليه الحياة ، فحوّلت^(١) النبوة إلى يوشع بن نون ، فكان يغدو عليه
ويروح ، فيقول له موسى : يا نبي الله ، ما أحدث الله إليك ؟ فيقول له يوشع بن
نون : يا نبي الله ، ألم أصحبك كذا وكذا سنة ، فهل كنت أسألك عن شيء
مما أحدث الله إليك حتى تكون أنت الذي تبتدى به وتذكره ؟ فلا يذكر له
شيئاً ، فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت .

٥٠٤/١

قال ابن حميد : قال سلمة : قال ابن إسحاق : وكان صفي الله - فيما
ذكر لي وهب بن منبه - إنما يستظل في عريش^(٢) ويأكل ويشرب في نقير
من حَجَرٍ ؛ إذا أراد أن يشرب بعد أن أكل كرع كما تكرر الدابة في ذلك
النقير ، تواضعاً لله حين أكرمه الله بما أكرمه به من كلامه .

قال وهب : فذكر لي أنه كان من أمر وفاته أن صفي الله خرج يوماً من
عريشه ذلك لبعض حاجته^(٣) لا يعلم به أحد من خلق الله ، فمر به من الملائكة
يحفرون قبراً^(٤) فعرفهم وأقبل إليهم ، حتى وقف عليهم ، فإذا هم يحفرون قبراً
لم ير شيئاً قط أحسن منه ، ولم يرمثل ما فيه من الحضرة والنضرة والبهجة ،
فقال لهم : يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر ؟ قالوا : نحفره لعبد كريم
على ربه ، قال : إن هذا العبد من الله ليمتزل ! ما رأيتم كالיום مضجعاً^(٥)
ولا مدخلاً ! وذلك حين حضر من أمر الله ما حضر من قبضه ، فقالت له
الملائكة : يا صفي الله ، أتحب أن يكون لك ؟ قال : وددت^(٦) . قالوا :
فانزل فاضطجع فيه ، وتوجه إلى ربك ، ثم تنفس أسهل تنفس تنفسته قط .

(١) ح : « فتحوّلت » . (٢) ح : « ظل عريش » .

(٣) كذا في جميع الأصول ؛ وفي ط : « حاجاته » تصرف من مصححه .

(٤) ح : « حفراً » . (٥) ن : « مضطجعاً » . (٦) ح : « وددته » .

فَنَزَلَ فَاضْطَجَعَ فِيهِ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى رَبِّهِ ، ثُمَّ تَنَفَّسَ فَقَبِضَ اللَّهُ تَعَالَى رُوحَهُ ، ثُمَّ
سَوَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ ، وَكَانَ صَفَىَّ اللَّهِ زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا رَاغِبًا فَمَا عِنْدَ اللَّهِ . ٥٠٥/١

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ الْمَقْدَامِ ، عَنْ حَمَادِ بْنِ
سَلَمَةَ ، عَنْ عِمَارِ بْنِ أَبِي عِمَارٍ ، مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ مَلَكَ الْمَوْتُ كَانَ يَأْتِي النَّاسَ عِيَانًا حَتَّى أَتَى
مُوسَى فَلَطَمَهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ ، قَالَ : فَرَجَعَ فَقَالَ : يَا رَبِّ ، إِنْ عَبْدَكَ مُوسَى
فَقَأَ عَيْنِي ، وَلَوْ لَا كَرَامَتُهُ عَلَيْكَ لَشَقَقْتَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : أَتَيْتَ عَبْدِي مُوسَى ،
فَقُلْ لَهُ : فَلْيَضَعْ كَفَّهُ عَلَى مَنْ ثَوْرٍ ، فَلَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ وَارْتَدَتْ يَدُهُ سَنَةً ؛ وَخَيْرُهُ
بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ أَنْ يَمُوتَ الْآنَ ، قَالَ : فَأَتَاهُ فَخَيْرُهُ ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى : فَمَا بَعْدُ
ذَلِكَ ؟ قَالَ : الْمَوْتُ ، قَالَ : فَالآنَ إِذَا ، قَالَ : فَشَمِّمَهُ شَمَةً قَبِضَ رُوحَهُ .
قَالَ : فَجَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى النَّاسِ خُفِيَّةً ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ أَبِي سَنَانَ الشَّيْبَانِيِّ ، عَنْ
أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ ، قَالَ : مَاتَ مُوسَى وَهَارُونَ جَمِيعًا فِي
الْبَيْتِ ، مَاتَ هَارُونَ قَبْلَ مُوسَى ، وَكَانَا خَرَجَا جَمِيعًا فِي الْبَيْتِ إِلَى بَعْضِ الْكَهُوفِ ،
فَمَاتَ هَارُونَ ، فَدَفَنَهُ مُوسَى ، وَانْصَرَفَ مُوسَى إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَقَالُوا : مَا فَعَلَ
هَارُونَ ؟ قَالَ : مَاتَ ، قَالُوا : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَتَلْتَهُ لِحُبِّنَا إِيَّاهُ ، وَكَانَ مُحِبًّا
فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَتَضَرَّعَ مُوسَى إِلَى رَبِّهِ ، وَشَكَا مَا لَقِيَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ،
فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ انْطَلِقْ بِهِمْ إِلَى مَوْضِعِ قَبْرِهِ ، فَإِنِّي بَاعْتُهُ حَتَّى يُخْبِرَهُمْ أَنَّهُ مَاتَ
مَوْتًا وَلَمْ يَقْتُلْهُ . قَالَ : فَانْطَلَقَ بِهِمْ إِلَى قَبْرِ هَارُونَ ، فَنَادَى : يَا هَارُونَ ،
فَخَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ يَنْفُضُ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : أَنَا قَتَلْتُكَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، وَلَكِنِّي
مِتُّ ، قَالَ : فَعُدُّوا إِلَى مُضْجِعِكُمْ ، وَانْصَرَفُوا . ٥٠٦/١

فَكَانَ جَمِيعَ مَدَّةِ عَمْرِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كُلُّهَا مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً ،
عِشْرُونَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَلِكٍ أَفْرِيدُونَ ؛ وَمِائَةً مِنْهَا فِي مَلِكٍ مِثْنُو شَهْرٍ ، وَكَانَ
ابْتِدَاءُ أَمْرِهِ مِنْ لَدُنْ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَى أَنْ قَبِضَهُ إِلَيْهِ فِي مَلِكٍ مِثْنُو شَهْرٍ .

ذكر يوشع بن نون عليه السلام*

ثم ابتعث الله عز وجل بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون بن إفرايم ابن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم نبيًا ، وأمره بالمسير إلى أريحا لحرب مَنْ فيها من الجبارين . فاختلف السلف من أهل العلم في ذلك ، وعلى يد مَنْ كان ذلك^(١) ؟ ومتى سار يوشع إليها ؟ في حياة موسى بن عمران كان مسيره إليها أم بعد وفاته ؟

* * *

فقال بعضهم : لم يسِرْ يوشع إلى أريحا ، ولا أمير بالمسير إليها إلا بعد موت موسى ، وبعد هلاك جميع من كان أبي المسير إليها مع موسى بن عمران ، حين أمرهم الله تعالى بقتال مَنْ فيها من الجبارين ، وقالوا : مات موسى وهارون جميعًا في التيه قبل خروجهما منه .

* ذكر من قال ذلك :

حدثني عبد الكريم بن الهيثم ، قال : حدثنا إبراهيم بن بشار ، قال : حدثنا سفیان ، قال : قال أبو سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال الله تعالى : لما دعا موسى - يعني بدعائه قوله : ﴿ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ^(٢) . قال : فدخلوا التيه ، فكل^(٣) من دخل التيه ممن جاوز العشرين سنة مات في التيه ، قال : فمات موسى في التيه ، ومات هارون قبله . قال : ٥٠٧/١ فلبثوا في تيههم أربعين سنة ، وناهض يوشع بمن بقى معه مدينة الجبارين فافتتح يوشع المدينة^(٤) .

(٥) هذا العنوان لم يذكر إلا في ١ .

(١) ن : « على يد من فتح ذلك » . ح : « على يد من كان فتح ذلك » .

(٢) سورة المائدة ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) س : « فكان » .

(٤) الخبر في التفسير ١٠ : ١٩٣ .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد عن قتادة . قال : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ... ﴾ الآية ، حرمت عليهم القرى ، فكانوا لا يهبطون قرية ، ولا يقدرّون على ذلك أربعين سنة . وذكر لنا أنّ موسى مات في الأربعين سنة ، ولم يدخل بيت المقدس منهم إلا أبناؤهم ، والرجلان اللذان قالوا ما قالوا .

حدثني موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في الخبر الذي ذكرت إسناده فيها مضى : لم يبق أحدٌ ممن أتى أن يدخل مدينة الجبارين مع موسى إلا مات ، ولم يشهد الفتح . ثم إن الله عز وجل لما انقضت الأربعون سنة بعث يوشع بن نون نبياً فأخبرهم أنه نبي وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين ، فبايعوه ^(١) وصدقوه ، فهزم الجبارين ، واقتحموا عليهم ، فقتلهم ^(٢) ، فكانت العصابة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضرّونها لا يقطعونها ^(٣) .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سليمان بن حرب ، عن هلال ، عن قتادة في قول الله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ ، قال : أبداً .

حدثني المثنى قال : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، عن هارون النحوي ، عن الزبير بن الحرّيت ، عن عكرمة في قوله : ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ، قال : التحريم التّيه .

* * *

وقال آخرون : إنما فتح أريحا موسى ؛ ولكن يوشع كان على مقدمة موسى حين سار إليهم .

• ذكر من قال ذلك :

(١) ح : « فتابعوه » .

(٢) ح ، س : « يقتلونهم » ، والتفسير : « يقتلونهم » .

(٣) الخبر في التفسير ١٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما نشأت النواشي من ذراريهم - يعني من ذراري الدين - أبوا قتال الجبارين مع موسى - وهلك آباؤهم ، وانقضت الأربعون سنة التي تتيها فيها ؛ سار بهم موسى ومعه يوشع بن نون ، وكلاب بن يوفنة ، وكان فيما يزعمون على مريم ابنة عمران أخت موسى وهارون ، فكان لهم صهراً ، فلما انتهوا إلى أرض كنعان ، وبها بلعم بن باعور العروف ^(١) ، وكان رجلاً قد آتاه الله علماً ، وكان فيما أوتي من العلم اسم الله الأعظم - فيما يذكرون - الذي إذا دعي الله به أجاب ، وإذا سئل به أعطى .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن سالم أبي النضر ، أنه حدث أن موسى لما نزل أرض بني كنعان من أرض الشام ، وكان بلعم ببالة - قرية من قرى البلقاء - فلما نزل موسى ببني إسرائيل ذلك المنزل ، أتى قوم بلعم إلى بلعم ، فقالوا له : يا بلعم ، هذا موسى بن عمران في بني إسرائيل قد جاء يخرجنا من بلادنا ، ويقتلنا ويحلها بني إسرائيل ، ويسكنها ، وإنّا قومك وليس لنا منزل ، وأنت رجل تحب الدعوة ، فاخرج فادع الله عليهم ، فقال : ويلكم ! نبي الله معه الملائكة والمؤمنون ! كيف أذهب أدعو عليهم ، وأنا أعلم من الله ما أعلم ! قالوا : ما لنا من منزل ، فلم يزلوا به يرفقونه ^(٢) ، ويتضرعون إليه حتى فتنوه ، فافتتن فركب حمارة ^(٣) له متوجهاً إلى الجبل الذي يطلعه على عسكر بني إسرائيل ، وهو جبل حُسبان ، فما سار عليها غير قليل ، حتى ربضت ^(٤) به ، فنزل عنها فضر بها حتى أذلقتها فقامت فركبها ، فلم تسر به كثيراً حتى ربضت به ، ففعل بها مثل ذلك ، فقامت فركبها ، فلم تسر به كثيراً حتى ربضت به ، فضر بها حتى إذا أذلقتها أذن الله لها فكلمتها حجة عليه ، فقالت : ويحك يا بلعم ! أين تذهب ! ألا ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا ! أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعو

(١) كذا في أ ، و ط : « المعروف » ، و ن : « العروف » .

(٢) ط : « يرفقونه » ، وما أثبتته من أ ، ح .

(٣) أ ، ح : « حمارة » . (٤) الربوض للداية ، كالركوب للإبل .

عليهم ! فلم يترع عنها يضربها ، فغظي الله سبيلها حين فعل بها ذلك ، فانطلقت حتى إذا أشرفت به على جبل حُسْبَان^(١) ، على عسكر موسى وبني إسرائيل ، جعل يدعو عليهم ، فلا يدعو عليهم بشيء إلا صرف الله لسانه إلى قومه ، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف لسانه إلى بني إسرائيل ، فقال له قومه : أتدري يا بلعم ما تصنع ؟ إنما تدعو لهم ، وتدعو علينا ، قال : فهذا ما لا أملك ، هذا شيء قد غلب الله عليه ، واندلع لسانه فوق على صدره ، فقال لهم : قد ذهبت الآن مني الدنيا والآخرة ، فلم يبق إلا المكر والحيلة ، فسأمر لكم وأحتال ، جملوا النساء وأعطوهن السلع ، ثم أرسلوهن إلى العسكر يبعنها فيه ، ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها ؛ فإنه إن زنى رجل واحد منهم كفيتهم ، ففعلوا ، فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كسبي^(٢) ابنة صور - رأس أمته وبني أبيه من كان منهم في مدينتي ، هو كان كبيرهم - برجل من عظماء بني إسرائيل ، وهو زمرى بن شلوم ، رأس سبط شمعون بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، فقام إليها فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها ، ثم أقبل حتى وقف بها على موسى ، فقال : إني أظنك ستقول : هذه حرام عليك ! قال : أجل هي حرام عليك لا تقربنها ، قال : فوالله لا نطيعك في هذا ، ثم دخل بها قبتة فوق عليها ، فأرسل الله الطاعون في بني إسرائيل . وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى ، وكان رجلا قد أعطى بسطة في الخلق ، وقوة في البطش ، وكان غائباً حين صنع زمرى بن شلوم ما صنع ، فجاء والطاعون يحوس في بني إسرائيل ، فأخبر الخبر ، فأخذ حربته - وكانت من حديد كلها - ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فانظمهما بحربته ، ثم خرج بهما رافعهما^(٣) إلى السماء ، والحربة قد أخذها بذراعه ، واعتمد بمرفقه على خاصرته ، وأسند الحربة إلى لحيته وكان يكسر العيزار - فجعل يقول : اللهم هكذا تفعل بمن يعصيك ! ورفع الطاعون فحسب من يهلك من بني إسرائيل في الطاعون - فيما بين أن أصاب زمرى المرأة إلى أن قتله

٥١٠/١

٥١١/١

(١) ن : « على الجبل جبل حُسْبَان » .

(٢) كذا في أ ، س ، ن ، وفي ط : « كسبي » ، ح : « كسي » .

(٣) كذا في أ ، ح ، ن ، وفي ط : « رافعا » .

فنحاص — فوجدوا قد هلك منهم سبعون ألفاً ، والمقتل لهم يقول : عشرون ألفاً ، في ساعة من النهار ، فمن هنالك تُعطى بنو إسرائيل ولد فنحاص بن العيزار بن هارون من كل ذبيحة ذبحوها القبيّة والذراع واللّحى ، لاعتماده بالحربة على خاصرته ، وأخذته إياها بذراعه ، وإسناده إياها إلى لحيته ، والبكر من كل أموالهم وأنفسهم ، لأنه كان بكر العيزار ، ففي بلعم بن باعور ، أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه : ﴿ وَآتَيْنَاهُم نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَأَنْسَخْ مِنْهَا ﴾ — يعنى بلعم بن باعور ، ﴿ فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقَرُونَ ﴾ ^(١) يعنى بنى إسرائيل ؛ أنى قد جتتهم بخبر ما كان فيهم مما يخفون عليك لعلهم يتفكرون فيعرفون أنه لم يأت ^(٢) بهذا الخبر عما مضى فيهم إلا نبى يأتيه خبر من السماء .

ثم إن موسى قدّم يوشع بن نون إلى أريحا في بنى إسرائيل فدخلها بهم ، وقتل بها الجبابرة الذين كانوا فيها ، وأصاب من أصاب منهم ، وبقيت منهم بقية في اليوم الذى أصابهم فيه ، وجنح عليهم الليل ، وخشى أن لبسهم ^(٣) الليل أن يُعجزوه ، فاستوقف الشمس ، ودعا الله أن يحبسها ، ففعل عز وجل حتى استأصلهم ؛ ثم دخلها موسى ببني إسرائيل ، فأقام فيها ما شاء الله أن يقيم ، ثم قبضه الله إليه ، لا يعلم بقبوره أحد من الخلائق .

فأما السدى في الخبر الذى ذكرت عنه إسناده فيما مضى ؛ فإنه ذكر في خبرة ذلك أن الذى قاتل ^(٤) الجبارين يوشع بن نون بعد موت موسى وهارون ، وقص من أمره وأمرهم ما أنا ذاكره ، وهو أنه ذكر فيه أن الله بعث يوشع نبيا بعد أن انقضت الأربعون سنة ، فدعا بنى إسرائيل فأخبرهم أنه نبى ، وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين ، فبايعوه ^(٥) وصدّقه ، وانطلق رجل من بنى إسرائيل يقال له : بلعم — وكان عالماً ، يعلم الاسم الأعظم ^(٦) المكتوم — فكفر

(١) سورة الأعراف ١٧٥ ، ١٧٦

(٢) ن : « يأتهم » .

(٣) ن : « ليسه » .

(٤) ن : « قتل » .

(٥) ن : « فتبايعوه » .

(٦) ن : « اسم الله الأعظم » .

وأتى الجبارين ، فقال : لا ترهبوا بنى إسرائيل ؛ فلما إذا خرجتم تقاتلوهم أَدْعُوا عليهم دعوة فيهِلِكُون ؛ فكان عندهم فيما شاء من الدنيا ، غير أنه كان لا يستطيع أن يأتى النساء من عظمهن ، فكان ينكح أُنثاهُ له ، وهو الذى يقول الله عز وجل : ﴿ وَأَنْزَلُ عَلَيْهُمُ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا ﴾ أى فبصر ﴿ فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا فَاتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾ ، فكان بلم يلهث كما يلهث الكلب ، فخرج يوشع يقاتل الجبارين فى الناس ، وخرج بلم مع الجبارين على أُنثاه ، وهو يريد أن يلعن بنى إسرائيل ، فكلما أراد أن يدعوا على بنى إسرائيل جاء على الجبارين ، فقال الجبارون : إنك إنما تدعو علينا ، فيقول (١) : إنما أردت بنى إسرائيل ، فلما بلغ باب المدينة أخذ ملك بذنئ الأتان فأمسكها ، وجعل يحركها فلا تتحرك ، فلما أكثر ضررها تكاثمت ، فقالت : أنت تنكحنى بالليل وتركنى بالنهار ! ويلي منك ! ولو أننى أطق الخروج لخرجت بك ؛ ولكن هذا الملك يحبسنى ، فقاتلهم يوشع يوم الجمعة قتالا شديداً حتى أمسوا (٢) وغربت الشمس ، ودخل السبت . فدعا الله فقال للشمس : إنك فى طاعة الله وأنا فى طاعة الله ، اللهم اردد على الشمس ، فردت عليه الشمس ، فزید له فى النهار يومئذ ساعة ، فهزم الجبارين واقتحموا عليهم يقتلوهم ، فكانت العصابة من بنى إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل (٣) يضربونها لا يقطعونها . وجمعوا غنائمهم ، وأمرهم يوشع أن يقرّبوا الغنيمة فقرّبوها ، فلم تنزل النار (٤) تأكلها ، فقال يوشع : يا بنى إسرائيل إن الله عز وجل عندكم طليبة ، هلموا فبايعوني ، فبايعوه فلصقت (٥) يد رجل منهم بيده ، فقال : هلم ما عندك ! فأتاه برأس ثور من ذهب مكلّل بالياقوت والجوهر ، كان قد غلّه ، فجعله فى القربان ، وجعل الرجل معه ، فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان .

(١) من ا ، ح ، س : « فتقول » .

(٢) ح : « حتى إذا أمسوا » .

(٣) ا ، ن : « رجل » .

(٤) ط : « تنزل » ، والصواب ما أثبتته من ا .

(٥) ن : « فالصقت » .

وأما أهلُ التوراة ؛ فإنهم يقولون : هلك هارون وموسى فى التَّيِّه ، وإن الله أوحى إلى يوشع بعد موسى ، وأمره أن يعبر الأردنَّ إلى الأرض التى أعطاهَا بنى إسرائيل ، ووعدها إياهم ، وأن يوشع جدَّ فى ذلك وجهه إلى أريحا من تعرف^(١) خبرها ، ثم سار ومعه تابوت الميثاق ، حتى عبَّر الأردنَّ ، وصار له ولأصحابه فيه طريق ، فأحاط بمدينة أريحا ستة أشهر ، فلما كان السابع تفخخوا فى القرون ، وضجَّ الشعب ضجة واحدة ، فسقط سور المدينة فأباحوها وأحرقوها ، وما كان فيها ما خلا الذهب والفضة وآنية النحاس والحديد ، فإنهم أدخلوه بيت المال . ثم إن رجلاً من بنى إسرائيل غلَّ شيئاً ، فغضب الله عليهم وانهمزوا ، فجزع يوشع جزعاً شديداً ، فأوحى الله إلى يوشع أن يُقرع بين الأسباط ، ففعل حتى انتهت القرعة إلى الرجل الذى غلَّ ، فاستخرج غلُّه من بيته ، فرجمه يوشع وأحرق كلَّ ما كان له بالنار ، وسَمَّوا الموضع باسم صاحب الغلول ، وهو عاجر^(٢) . فالوضع إلى هذا اليوم غور عاجر^(٣) . ثم نهض بهم يوشع إلى ملك عاي وشعبه ، فأرشدهم الله إلى حربه ، وأمر يوشع أن يكمن لهم كميناً ففعل ، وغلب على عاي وصالب ملكها على خشبة ، وأحرق المدينة وقتل من أهلها اثني عشر ألفاً من الرجال والنساء ، واحتال أهلُ عماق وجيعون^(٤) ليوشع حتى جعل لهم أماناً ، فلما ظهر على خديعتهم دعا الله عليهم أن يكونوا حطّابين وسقائين ، فكانوا كذلك ، وأن يكون بازق^(٥) ملك أورشليم يتصدق ، ثم أرسل ملوك الأرمنيين ، وكانوا خمسة بعضهم إلى بعض ، وجمعوا كلمتهم^(٦) على جيعون ، فاستنجد أهل جيعون يوشع ، فأنجدهم وهزموا أولئك الملوك حتى حذروهم إلى هَبْطَة حوران ، ورماهم الله بأحجار البرد ، فكان من قتلته البرد أكثر ممن قتله بنو إسرائيل بالسيف ، وسأل يوشع الشمس أن تقف والقمر أن يقوم حتى ينتقم من أعدائه قبل دخول السبت ، ففعلاً ذلك وهرب الخمسة ملوك فاختفوا فى غار ، فأمر يوشع فسُدَّ^(٧) بابُ الغار حتى فرغ من الانتقام

(٢) كذا فى ا ، ح ، وى ، ط من غير نقط .

(١) ا ، ن : « يعرف » .

(٣) كذا فى ا ، وى ط ، « عماق جيعون » . (٤) ح ، س : « بازق » ، ن : « بازق » .

(٥) كذا فى ا ، وى ط : « كلمهم » . (٦) ط : « بسد » ، وما أثبتته عن ا .

من أعدائه ، ثم أمر بهم فأخرجوا ، فقتلهم وصلبهم ثم أنزلهم من الخشب ، وطرحهم في الغار الذي كانوا فيه ، وتبع سائر الملوك بالشام ، فاستباح منهم أجداً وثلاثين ملكاً ، وفرق الأرض التي غلب عليها . ثم مات يوشع ، فلما مات دفن في جبل أفرائيم ، وقام بعده سبسط يهوذا وسبط شمعون بحرب الكنعانيين ، فاستباحوا حريمهم ، وقتلوا منهم عشرة آلاف ببازق ، وأخذوا ملك بازق فقطعوا إبهامى يديه ورجليه ، فقال عند ذلك ملك بازق : قد كان يلتقط ^(١) الخبز من تحت مائدتي سبعون ملكاً مقطّعى الأباهيم ، فقد جزاني الله بصنيعي ^(٢) ، وأدخلوا ملك بازق أورشليم ، فأت بها . وحارب بنو يهوذا سائر الكنعانيين واستولوا على أرضهم ، وكان عمر يوشع مائة سنة وستاً وعشرين سنة . وتديره أمر بني إسرائيل منذ توفي موسى إلى أن توفي يوشع بن نون سبعاً وعشرين سنة . ١٦/١

* * *

وقد قيل إن أول من ملك من ملوك اليمن ، ملك كان لهم في عهد موسى بن عمران من حمير ، يقال له : شمير بن الأملول ، وهو الذي بنى مدينة ظفار باليمن ، وأخرج من كان بها من العماليق ، وإن شمير بن الأملول الحميري هذا كان من عمال ملك الفرس يومئذ على اليمن ونواحيها .

وزعم هشام بن محمد الكلبي أن بقية بقيت من الكنعانيين بعد ما قتل يوشع من قتل منهم ، وأن إفريقيس بن قيس بن صيني بن سبأ بن كعب ابن زيد بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان مر بهم متوجهاً إلى إفريقية ، فاحتملهم من سواحل الشام ، حتى أتى بهم إفريقية ، فافتتحها وقتل ملكها جرجيرا ، وأسكنها البقية التي كانت بقيت من الكنعانيين الذين كان احتملهم معه من سواحل الشام . قال : فهم البرابرة ، قال : وإنما سمو بربراً ، لأن إفريقيس قال لهم : ما أكثر بربرتكم ! فسموا لذلك بربراً ، وذكر أن إفريقيس قال في ذلك من أمرهم شعراً ، وهو قوله :

بَرَبَرَتْ كَنَعَانُ لَمَّا سُوِّقَتْهَا مِنْ أَرْضِ الْهَلْكِ لِلْعِشْرِ الْعَجَبِ

قال : وأقام من حمير في البربر صنهاجة وكثامة ، فهم فيهم إلى اليوم .

(١) ن : « يلتقط » . (٢) ن : « بصنيعي » .

ذكر أمر قارون بن يصهر بن قاهث

وكان قارون ابن عم موسى عليه السلام . حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾^(١) ، قال : ابن عمه ، أخى أبيه . فإن^(٢) : قارون ابن يصفر^(٣) — هكذا قال القاسم ، [وإنما هو يصهر]^(٤) — بن قاهث ، وموسى بن عمر بن قاهث ، وعمر بالعربية عمران ؛ هكذا قال القاسم ، وإنما هو عمرم .

وأما ابن إسحاق فإنه قال ما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عنه : تزوج يصهر بن قاهث سميت^(٥) ابنة تباويت^(٦) بن بركيا^(٧) ابن يقسان بن إبراهيم . فولدت له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر ، فقارون — على ما قال ابن إسحاق — عم موسى أخو أبيه لأبيه وأمه .

وأما أهل العلم من سلف أمتنا ومن أهل الكتابين فعلى ما قال ابن جريج^(٧) .

* ذكر من حضرنا ذكره ممن قال ذلك من علمائنا الماضين :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا إسماعيل ابن أبي خالد ، عن إبراهيم في قوله : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، قال : كان ابن عم موسى .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا عن سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن إبراهيم ، قال : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، كان قارون ابن عم موسى .

(١) سورة القصص ٧٦ (٢) في الأصول : « قال » ، والأوجه ما أثبتته من التفسير .

(٣) كذا في التفسير ، وفي الأصول : « يصد » . (٤) ح . والتفسير ، « سميت » .

(٥) التفسير « يتأديت » . (٦) التفسير : « بركنا » .

(٧) الخبر في التفسير ٢٠ : ٦٧ (بولاقي) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن سماك ، عن إبراهيم : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، قال : كان ابن عمه فبغى عليه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن سماك بن حرب ، عن إبراهيم ، قال : كان قارون ابن عم موسى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن ابن أبي خالده ، عن إبراهيم ، قال : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، قال : كان ابن عمه .

حدثنا بشر بن معاذ قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، كنا نحدث أنه كان ابن عمه أخى أبيه ، وكان يسمى المنور من حسن صورته ^(١) في التوراة ، ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري ، فأهلكه البغي .

حدثني بشر بن هلال الصواف ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان الضبيعي ، عن مالك بن دينار ، قال : بلغني أن موسى بن عمران كان ابن عم قارون ، وكان الله قد آتاه مالا كثيراً ، كما وصفه الله عز وجل ، فقال : ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْمُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ﴾ ، يعنى بقوله : ﴿ تَنُوءَ ﴾ تثقل .

وذكر أن مفاتيح خزائنه كانت كالذي حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن منصور ، عن خبيشة في قوله : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْمُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ﴾ قال : نجد مكتوباً في الإنجيل : مفاتيح قارون وقرستين بغلاغراً محجلة ، ما يزيد مفتاح منها على إصبع ، لكل مفتاح منها كتر .

حدثني أبو كريب ، قال : حدثنا هشيم ^(٢) ، قال : أخبرنا إسماعيل بن

(١) ن « صورته » . (٢) في ط : « هشام » ؛ والصواب من التفسير ، وهو هشيم بن بشير بن القاسم ؛ ذكره ابن حجر فيمن أخذ عن إسماعيل بن سالم . والنظر تهذيب التهذيب ١١ : ٥٩ .

سالم، عن أبي صالح: ﴿مَا إِنْ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ﴾، قال: كانت مفاتيح خزائنه تحمل على أربعين بغلا^(١).

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا جابر بن نوح، قال: أخبرنا الأعمش عن خيثمة، قال: كانت مفاتيح قارون تحمل على ستين بغلا، كل مفتاح منها لباب كثر معلوم، مثل الإصبع، من جلود.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن الأعمش، عن خيثمة، قال: كانت مفاتيح قارون من جلود، كل مفتاح مثل الإصبع، كل مفتاح على خزانة على حدة، فإذا ركب حُمِلَتِ المفاتيح على ستين بغلا أغرَّ محجل. فبغى عدو الله لما أراد الله به من الشقاء والبلاء على قومه بكثرة^(٢) ماله.

وقيل إن بغيه عليهم كان بأن زاد عليهم في الثياب شبراً. كذلك^(٣) حدثني علي بن سعيد الكندي وأبو السائب وابن وكيع، قالوا: حدثنا حفص ابن غياث، عن ليث، عن شهر بن حوشب.

فوعظه قومه على ما كان من بغيه ونهوه عنه، وأمره بإنفاق ما أعطاه الله في سبيله والعمل فيه بطاعته، كما أخبر الله عز وجل عنهم أنهم قالوا له فقال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَلْسُ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٤). وعنى بقوله: ﴿وَلَا تَلْسُ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾: لا تنس في دنياك أن تأخذ نصيبك^(٥) فيها لا آخرتك، فكان جوابه إياهم جهلا منه، واغتراراً بجم الله عنه، ما ذكر الله تعالى في كتابه أن قال لهم: إنما أوتيت ما أوتيت من هذه الدنيا على علم عندي فقيل: معنى ذلك: على خير عندي، كذلك روى ذلك عن قتادة.

وقال غيره: عني بذلك: لولا رضاء الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني

(١) الخبر في التفسير ٢٠ : ٦٨ (بولاق). (٢) س : « لكثرة ».

(٣) ١ : « كالدنى ». (٤) سورة القصص ٧٦، ٧٧. (٥) ح : « بنصيبك ».

هذا ، قال الله عز وجل مَكْذِبًا قِيلَ : ﴿ أَوْ لَمْ يَعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَهَنَّمَ ۚ ﴾^(١) للأموال. ولو كان الله إنما يعطي الأموال والدنيا مَنْ يعطيها لرضاها عنه ، وفضله عنده ، لم يهلك مَنْ أَهْلَكَ مِنْ أَرْبَابِ الْأَمْوَالِ الكثيرة قبله ، مع كثرة ما كان أعطاهم منها ، فلم يردعه عن جهله ، وبغيه على قومه بكثرة ماله عظمة من وعظه ، وتذكير مَنْ ذكروه بالله ونصيحته إياه ؛ ولكنه تهادى في غيه وخسارته ، حتى خرج على قومه في زينته راكباً بِرِذْوَنًا أبيضَ مسرجاً بسرج الأرجوان ، قد لبس ثياباً معصفرة ، قد حمل معه من الخواري بمثل هيئته وزينته على مثل بِرِذْوَنِهِ ثلثمائة جارية وأربعة آلاف من أصحابه .

وقال بعضهم : كان الذين حملهم على مثل هيئته وزينته من أصحابه سبعين ألفاً . ٥٢١/١

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد : ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ ، قال : على براذين بيض ، عليها سروج الأرجوان ، عليهم^(٢) المعصفرة^(٣) . فتمنى أهل الخسار من الذين خرج عليهم في زينته مثل الذي أوتيته ، فقالوا : ﴿ يَا آيَتُ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾^(٤) ، فأنكر ذلك من قوله عليهم أهل العلم بالله فقالوا لهم : ويلكم أيها المتمنون مثل ما أوتي قارون ! اتقوا الله ، واعملوا بما أمركم الله به ، وانتهوا عما نهاكم عنه ، فإن ثواب الله وجزاءه أهل طاعته خير لمن آمن به وبرسله ، وعمل بما أمره به من صالح الأعمال ، يقول الله : ﴿ وَلَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾^(٥) ، يقول : لا يلقي مثل هذه الكلمة إلا الذين صبروا عن طلب زينة الحياة الدنيا ، وآثروا جزيل ثواب الله على صالح الأعمال على لذات الدنيا وشهواتها ، فعملوا له بما يوجب لهم ذلك .

* * *

(٢) ن : « وعليهم » .

(١) سورة القصص ٧٨

(٣) في التفسير ٢٠ : ٧٣ (بولاق) : « المعصفرات » . (٤) سورة القصص ٧٩ ، ٨٠ .

فلما عتا الخبيث وتمادى في غيّه ، وبطر نعمة ربه ابتلاه الله عزّ وجلّ من الفريضة في ماله والحق الذي ألزمه فيه ما ساق إليه شحّه به أليم عقابه ، وصار به عبرة للغابرين ^(١) وعظة للباقيين .

فحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت الزكاة أتى قارون موسى فصالحه عن كلّ ألف دينار ديناراً ، ٥٢٢/١ وعلى كلّ ألف درهم درهماً ، وعلى كلّ ألف شيء شيئاً ، أو قال : وكلّ ألف شاه شاهة — قال أبو جعفر الطبري : أنا أشدّ — قال : ثم أتى بيته فحسبه فوجده كثيراً فجمع بني إسرائيل ، فقال : يا بني إسرائيل ، إن موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه ، وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم . فقالوا له : أنت كبيرنا وسيدنا ، فرنا بما شئت ، فقال : آمركم أن تَجِثُوا بفلانة البغي فتجعلوا لها جُعلاً فتقدفه بنفسها . فدعوها فجعلوا لها جُعلاً على أن تقدفه بنفسها ، ثم أتى موسى فقال ^(٢) : إن قومك قد اجتمعوا لتأمرهم وتنهائهم ^(٣) ، فخرج إليهم وهم في بَرّاح من الأرض ، فقال : يا بني إسرائيل ، مَنْ سرق قطعنا يده ، ومن افترى جلدناه ثمانين ، ومن زنا وليس له امرأة جلدناه مائة ، ومن زنا وله امرأة جلدناه حتى يموت — أو قال : رجمناه ^(٤) حتى يموت — قال أبو جعفر أنا أشك — فقال له قارون : وإن كنت أنت ؟ قال : وإن كنت أنا . قال : وإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة ، فقال : ادعوها ، فإن قالت فهو كما قالت ، فلما أن جاءت قال لها موسى : يا فلانة ، قالت : لبيك ! قال : أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء ؟ قالت : لا ، وكذبوا ^(٥) ، ولكن جعلوا لي جُعلاً على أن أقذفك بنفسى ، فوثب فسجد وهو بينهم ، فأوحى إليه : مرّ الأرض بما شئت ، ٥٢٣/١ قال : يا أرض خذيهم ، فأخذتهم إلى أقدامهم ، ثم قال : يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى ركبهم ، ثم قال : يا أرض خذيهم ، فأخذتهم إلى أعناقهم ،

(١) س : « للغابرين » . ن : « للمعتبرين » .

(٢) كذا في ١ ، وفي ط والتفسير : « فقال لموسى » .

(٣) ١ ، ح ، ن ، والتفسير : « وتنهائهم » . (٤) وكذا في ١ ، وفي ط « أو رجمناه » .

(٥) كذا في ١ والتفسير : وفي ط : « لا ، كذبوا » .

قال : فجعلوا يقولون : يا موسى ، ويتضرعون إليه ، قال : يا أرض خذهم ، فأطبقت عليهم ، فأوحى الله إليه : [يا موسى] ^(١) يقول لك عبادي : يا موسى يا موسى ، فلا ترحمهم ، أما لو إياي دعوا لوجدوني قريباً مجيباً ، قال : فذلك قوله : ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ ، وكانت زينته أنه خرج على دواب شققر عليها ^(٢) سروج أرجوان ، عليها ثياب مصبغة بالبهرمان ، : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ ﴾ . يا محمد : تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ^(٣) .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن رجل ، عن ابن عباس بنحوه ، وزادني فيه : قال : فأصاب بني إسرائيل بعد ذلك شدة وجوع شديد ، فأتوا موسى فقالوا : ادع لنا ربك ، قال : فدعاهم فأوحى الله إليه : يا موسى ، أتكلمني في قوم قد أظلم ما ببني وبينهم من خطاياهم ، وقد دعوك فلم تجبهم ^(٤) أما لو إياي دعوا لأجبتهم ^(٥) .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا علي بن هاشم ابن البريد ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، قال : كان ابن عمه ، وكان موسى يقضي في ناحية بني إسرائيل وقارون في ناحية ، قال : فدعا بغية كانت في بني إسرائيل ، فجعل لها جُعلاً على أن ترمي موسى بنفسها ، فتركه ، حتى إذا كان يوم يجتمع فيه بنو إسرائيل إلى موسى أتاه قارون فقال : يا موسى ، ما حدث من سرق ؟ قال : أن تقطع يده ، قال : فإن كنت أنت ؟ قال نعم ، قال : فما حدث من زنا ؟ قال : أن يُرجم ، قال : وإن كنت أنت ؟ قال : نعم ،

٥٢٤/١

(١) تكلمة من التفسير . (٢) ن : « عليين » .

(٣) سورة القصص : ٧٩-٨٢ ، والخبر في التفسير ٢٠ : ٧٤ (بولاق) .

(٤) ح : « وقد دعوا غيري ولم يجبه » . (٥) الخبر في التفسير ٢٠ : ٧٥ (بولاق) .

قال : فإنك قد فعلت ، قال : ويليک ! بمن ؟ قال : بفلانة ، فدعاها موسى فقال : أنشدك بالذي أنزل التوراة ، أصدق قارون ؟ قالت : اللهم ! إذْ نشدني ، فإنني أشهد أنك برىء ، وأنتك رسولُ الله ، وأن عدو الله قارون جعل لي جُعلاً على أن أرميك بنفسي ، قال : فوثب موسى فخرّاً ساجداً ، فأوحى الله إليه أن ارفع رأسك فقد أمرت الأرض أن تطيعك ، فقال موسى : خذنيهم ، فأخذتهم حتى بلغوا الحقو ، قال : يا موسى ، قال : خذنيهم فأخذتهم حتى بلغوا الصدور ، قال : يا موسى ، قال : خذنيهم ، قال : فذهبوا ، قال : فأوحى الله إليه : يا موسى ، استغاث بك فلم تُغثه ، أمالو استغاث بي ، لأجبتُه ولاُغثته (١) .

حدثنا بشر بن هلال الصّواف ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان الضبيعي ، قال : حدثنا علي بن زيد بن جدعان ، قال : خرج عبد الله بن الحارث من الدار ، ودخل المقصورة فلما خرج منها جلس وتساند عليها (٢) وجلسنا إليه ، فذكر سليمان بن داود و ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ (٣) . قال : ثم سكت عن حديث سليمان ، فقال : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ﴾ ، وكان قد أوتي من الكنوز ما ذكره الله في كتابه : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوزَ بِالْعُصْبَةِ أُولِى الْقُوَّةِ ﴾ (٤) . فقال : إنما أوتيته على علم عندي . قال : وعاد موسى وكان مؤذياً له ، فكان موسى يصفح عنه ، ويعفو للقرابة حتى بنى داراً ، وجعل باب داره من ذهب ، وضرب على جدر داره صفائح الذهب ، وكان المملأ من بنى إسرائيل يغدون عليه ويروحون ، فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضحكونه ، فلم تدعه شقوته والبلاء حتى أرسل إلى امرأة من بنى إسرائيل مشهورة بالحناء مشهورة بالسب ، فجاءت قال لها : هل لك أن أموالك وأعطيك وأخلطك

(١) الخبر في التفسير ٢٠ : ٧٥ (بولاق) .

(٢) ١ : « واستند إليها » .

(٣) سورة النمل ٣٨ - ٤٠ .

(٤) سورة القصص ٧٦ .

بنسائي، على أن تأتيني والملا من بني إسرائيل عندى فتقولى : يا قارون ألا تنهى
عنى موسى ! قالت : بلى ، فلما جلس قارون ، وجاءه الملا من بني إسرائيل
أرسل إليها فجاءت ، فقامت بين يديه ، فقلب الله قلبها ، وأحدث لها توبة ،
فقال فى نفسها : لا أجد اليوم توبة أفضل من ألا أؤذى رسول الله وأعذب
عدو الله ، فقالت : إن قارون قال لى : هل لك أن ^(١) أمولك وأعطيك وأخلطك
بنسائي على أن تأتيني والملا من بني إسرائيل عندى ، فتقولى : يا قارون ألا تنهى
عنى موسى ! فلم أجد توبة أفضل من ألا أؤذى رسول الله ، وأعذب عدو
الله . فلما تكلمت بهذا الكلام سقط فى يدى قارون ، ونكس رأسه ، وسكت
عن الملا ، وعرف أنه قد وقع فى هلكة ، فشاع كلامها فى الناس ، حتى بلغ
موسى ، فلما بلغ موسى اشتد غضبه فتوضأ من الماء وصلى وبكى ، وقال :
يا ربّ عدوك لى مؤذٍ ، أراد فضيحتى وشيئى ، يا ربّ سلطنى عليه . فأوحى
الله إليه أن مر الأرض بما شئت تطعك ، فجاء موسى إلى قارون ، فلما دخل
عليه عرف الشر فى وجه موسى له ، فقال له : يا موسى ارحمنى ، قال : يا أرض
خديهم ، قال : فاضطربت داره ، وساخت بقارون وأصحابه إلى الكعبين ،
وجعل يقول : يا موسى ارحمنى ، قال : يا أرض خديهم ، فاضطربت داره ^(٢)
وساخت ، وخسف بقارون وأصحابه إلى ركبهم وهو يتضرع إلى موسى :
يا موسى ، ارحمنى ! قال : يا أرض خديهم ، فاضطربت داره ، وساخت
وخسف بقارون وأصحابه ^(٣) إلى سرهم ، وهو يتضرع إلى موسى : يا موسى ،
ارحمنى ! قال : يا أرض خديهم ، فخسف به وبيداره وأصحابه ، قال :
وقيل لموسى : يا موسى ، ما أفظك ، أما عزّتى لو إياى نادى لأجبتُه ^(٤) !

حدثنا بشر بن هلال ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران
الجوفى ، قال : بلغنى أنه قيل لموسى : لا أعبدُ الأرض لأحد بعدك أبداً . ٥٢٧/١

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد عن قتادة ، ﴿ فَخَسَفْنَا

(١) ح : والتفسير « هل لك فى » . (٢) ن : « أرضه » .

(٣) ح : « وساخت بقارون وخسف به وأصحابه » .

(٤) الخبر فى التفسير ٢٠ : ٧٥ ، ٧٦ (بولاى) .

بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴿١﴾ ، ذكر لنا أنه يخسف به كل يوم قامة ، وأنه يتجلجل فيها لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة .

* * *

قال أبو جعفر: فلما نزلت نعمة الله بقارون حميد الله على ما أنعم به عليهم المؤمنون الذين وعظوه وأنذروه بأمر الله ، ونصحوا له من المعرفة بحقه والعمل بطاعته ، وندم الذين كانوا يتمنون ما هو فيه من كثرة المال ، والسعة في العيش على أمنيته ، وعرفوا خطأ أنفسهم في أمنيته ، فقالوا ما أخبر الله عز وجل عنهم في كتابه : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ (١) ، فصرّف عنا ما ابتلى به قارون وأصحابه مما كنا نتمناه بالأمس نخسف بنا كما خسف به وبهم . فنجّى الله تعالى من كل هول وبلاء نبيه موسى والمؤمنين به المتمسكين بعهد من بنى إسرائيل ، وقتاه يوشع بن نون المتبعين له بطاعتهم ربهم ، وأهلك أعداءه وأعداءهم : فرعون وهامان وقارون والكنعانيين بكفرهم وتمردهم عليه وعتوهم ، بالفرق بعضاً ، وبالخسف بعضاً ، وبالسيف بعضاً ، وجعلهم عبراً لمن اعتبر بهم ، وعظة لمن اتعظ بهم ، مع كثرة أموالهم وكثرة عدد جنودهم ، وشدة بطشهم ، وعظم (٢) خلقهم وأجسامهم ، ٥٢٨/١ فلم تغن [عنهم] (٣) أموالهم ولا أجسامهم ولا قواهم ولا جنودهم وأنصارهم عنهم من الله شيئاً ؛ إذ كانوا يحمدون بآيات الله ، ويسعون في الأرض فساداً ، ويتخذون عباد الله لأنفسهم خولاً ، وحق بهم ما كانوا منه آمنين ؛ نعوذ بالله من عمل يقرب من سخطه ، ونرغب إليه في التوفيق لما يلدني من محبته ، ويزلف إلى رحمته !

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثنا عمي ، قال : حدثني الماضي بن محمد ، عن أبي سليمان ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ذر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول أنبياء بنى إسرائيل موسى وآخرهم عيسى » .

(١) سورة القصص : ٨٢ . (٢) ح : « عظيم » . (٣) من ١ .

قال : قلت : يا رسول الله ، ما كان في صحف موسى ؟ قال : كانت عِبراً
كلّها ، عجبت لمن أيقنّ بالنار ثم يضحك ، عجبت لمن أيقنّ بالموت ثم
يفرح ، عجبت لمن أيقنّ بالحساب غداً ثم لم يعمل !

وكان تدبير يوشع أمر بني إسرائيل من لدن مات موسى ، إلى أن توفي
يوشع ، كله في زمان منوشهر عشرين سنة ، وفي زمان فراسياب سبع سنين .

* * *

ونرجع الآن إلى :

إذ كان التاريخ إنما تدرك صحته على سياق مدة^(١) أعمار ملوكهم .
ولما هلك مَنُوشِهَرُ الملك بن منشخورنر^(٢) ، قَهَر فراسياب^(٣) بن فشنج
ابن رستم بن ترك على خنيارث^(٤) ومملكة أهل فارس ، وصار — فيما قيل —
إلى أرض بابل ، فكان يُكثِرُ المقام ببابل وبِمِهْرِجان قَدَقَ ، فأكثر الفساد
في مملكة أهل فارس .

وقيل : إنه قال حين غلب على مملكتهم : نحن مسرعون في إهلاك البرية ،
وإنه عظمُ جوره وظلمه ، وخرَّب ما كان عامراً من بلاد خنيارث ، ودفن الأنهار
والقنّى ، وقَحَطَ الناس في سنة خمس من ملكه ، إلى أن خرج عن مملكة أهل
فارس ، ورُدَّ إلى بلاد الترك ، فغارت المياه في تلك السنين ، وحالت الأشجار
المثمرة .

ولم يزل الناس منه في أعظم البلية ، إلى أن ظهر زو بن طهما سب
وقد يلفظ باسم « زو » بغير ذلك فيقول بعضهم : زاب بن طهما سفان ،
ويقول بعضهم : زاغ ، ويقول^(٥) بعضهم : راسب بن طهما سب بن كانجو بن
زاب^(٦) بن أرفس^(٧) بن هراسف بن ونديج^(٨) بن أريج^(٨) بن نوذ وجوش^(٨) ٥٣٠/١
ابن منسوا^(٨) — بن نوذر بن منوشهر .

وأم زو مادول ابنة وامن بن واخرجا بن قود^(٩) بن سلّم بن أفريدون .
وقيل : إن منوشهر كان وجد في أيام ملكه على طهما سب بسبب جناية
جناها ، وهو مقيم في حدود الترك لحرب فراسياب ، فأراد منوشهر قتله
بسبب ذلك ، فكلّمه في الصفع عنه عظماء أهل مملكته . وكان من عدل

(١) س : « مدد » . (٢) ١ : « منشجور » .

(٣) كذا في ١ ، وفي ط : « فراسيات » . (٤) ١ ، ن : « خنيارث » .

(٥) ط : « ويقال » ، وما أثبتته من ١ .

(٦) ١ : « زابن » ، س : « راد » ، ح ، ن : « زاق » .

(٧) ١ : « أفس » . (٨) كذا في ١ . (٩) ١ : « نوذه » ، ن : « فوذ » .

مُنُوشَهْر - فيما ذكر - أنه قد كان يسوّى بين الشريف والوضيع ، والقريب والبعيد في العقوبة ، إذا استوجبها بعضُ رعيته على ذنب أتاه - فأبى إجابتهم إلى ما سألوه من ذلك ، وقال لهم : هذا في الدين وَهَنٌ ، ولكنكم إذْ أبيتم على ، فإنه لا يسكنُ في شيء من مملكتي ، ولا يُقيم به ، فنفاه عن مملكته ٥٣١/١ فشخص إلى بلاد الترك ، فوقع إلى ناحية وامن ، فاحتال لابنته وهي محبوسة في قصر من أجل أن المنجمين كانوا ذكروا لوا من أبيها أنها تلد ولدًا يقتله ، حتى أخرجها من القصر الذي كانت محبوسة فيه ، بعد أن حملت منه بزوة .

ثم إن مَنُوشَهْرَ أذن لطماسب بعد أن انقضت أيامُ عقوبته في العود إلى خينارث مملكة فارس ، فأخرج مادول ابنة وامن بالحيلة منها ومنه في إخراجها من قصرها من بلاد الترك إلى مملكة أهل فارس ، فولدت له زوا بعد العود إلى بلاد إيرانكرد^(١) ،

ثم إن زوا - فيما ذكر - قتل جدّه ، وأمن في بعض مغازيه الترك ، وطرد فراسياب عن مملكة أهل فارس ، حتى رده إلى الترك بعد حروب جرت بينه وبينه وقاتل ، فكانت غلبة فراسياب أهل فارس على إقليم بابل اثنتي عشرة سنة ، من لدن توفي مَنُوشَهْرَ إلى أن طرده عنه ، وأخرجه زو بن طهماسب إلى تركستان .

وذكر أن طرد زو فراسياب عما كان عليه من مملكة أهل فارس في روزأبان من شهر آبانماه ، فاتخذ العجم هذا اليوم عيداً لما رفع عنهم فيه من شر فراسياب وعسفه وجعلوه الثالث من أعيادهم النوروز والمهرجان .

وكان زو محموداً في ملكه ، محسناً إلى رعيته ، فأمر بإصلاح ما كان فراسياب أفسد من بلاد خينارث ، ومملكة بابل وبناء ما كان هُدم من حصون ذلك ، ونشّل^(٢) ما كان طم^(٣) وغور من الأنهار والقنى ، وكرى ما كان اندفن من المياه حتى أعاد كل ذلك - فيما ذكر - إلى أحسن ما كان [عليه]^(٤) ، ووضع

(١) كذا في ط ، وفي : « إيرانكرد » . (٢) أى أخرج ما فيها من تراب .

(٣) طم : دفن ؛ وفي : « طمر » ؛ وهي بمعناها . (٤) من ا .

عن الناس الخراج سبع سنين ، ودفعه ^(١) عنهم ، فعمرت بلاد فارس في ملكه ، وكثرت المياه فيها ، ودرت معايش أهلها ، واستخرج بالسواد نهراً وسماه الزاب ، وأمر فبنيت على حافته مدينة وهي التي تسمى المدينة العتيقة ، وكورها كورة ، وسماها الزوابي ، وجعل لها ثلاثة طَسَاسِيج : منها طَسَوج ^(٢) الزاب الأعلى ، ومنها طَسَوج الزاب الأوسط ، ومنها طَسَوج الزاب الأسفل ، وأمر بحمل بزور ^(٣) الرياحين من الجبال إليها وأصول الأشجار ، وبذر ما يبذر من ذلك ، وغرس ما يغرس منه ، وكان أول من اتخذ له ألوان الطيبخ وأمر بها وبأصناف الأطعمة ، وأعطى جنوده مما غنم من الخيل والركاب ، مما أوجف عليه من أموال الترك وغيرهم . وقال يوم ملك وعقد التاج على رأسه : نحن متقدمون في عمارة ما أخر به الساحر فراسياب .

وكان له كرشاسب بن أثرط ^(٤) بن سهم بن نريمان بن طورك بن شيراسب ^(٥) بن أروشسب بن طوج بن أفريدون الملك .

وقد نسبه بعض نسابي الفرس غير هذا النسب فيقول : هو كرشاسف ٥٣٣/١ بن أشناس ^(٦) بن طهموس بن أشك بن ترس ^(٧) بن زحر ^(٨) بن دودسرو ^(٩) بن مَنُوشِهَرُ الملك — مؤازراً له على ملكه .

ويقول بعضهم : كان زو وكرشاسب مشتركين في الملك ، والمعروف من أمرهما أن الملك كان لزو بن طهماسب وأن كرشاسب كان له مؤازراً و] له [^(١٠) معيناً .

(١) كذا في أ ، وفي ط : « ودفعه » .

(٢) الطسوج هنا : الناحية ، فارسي مغرب .

(٣) البزور : كل حب يبذر للنبات ؛ وجمعه بزور .

(٤) أ : « أثوط » ، ح ، ن : « أنوط » .

(٥) أ ، س : « سراسب » .

(٦) كذا في أ ، ح ، وفي س : « أشناس » .

(٧) كذا في أ ، ن ، وفي ح : « نوس » ، وفي ط مهمل .

(٨) كذا في ط ، وفي ح ، س : زحر ، ، وفي ن : « زجر » ،

(٩) في أ ، ح ، ن ، وفي س : « دودسرو » ، وفي ط : « دودسرو » .

(١٠) تكملة من أ .

وكان كرشاسب عظيم الشأن في أهل فارس ، غير أنه لم يملك ، فكان جميع ملوك زو إلى أن انقضى ومات — فيما قيل — ثلاث سنين .

* * *

ثم ملك بعد زو كيقباز ، وهو كيقباز بن زاغ بن نوحياه^(١) بن منشو^(٢) بن نوذر بن منوشهر . وكان متزوجاً بفرتك^(٣) ابنة تدرسا^(٤) التركي ، وكان تدرسا من رعوس الأتراك وعظماهم ، فولدت له كى إفته ، وكى كاوس ، وكى أرش^(٥) ، وكىه أرش ، وكيفاشين وكيبية ؛ وهؤلاء الملوك الجبابرة وآباء الملوك الجبابرة .

٥٣٤/١

وقيل إن كيقباز قال يوم ملك وعقد التاج على رأسه : نحن مدوخون بلاد الترك ومجتهدون في إصلاح بلادنا ، حذبون عليها ، وأنه قد دمر مياه الأنهار والعيون لشرب الأرضين ، وسمى البلاد بأسمائها ، وحدّها بحدودها ، وكور الكور ، وبين حير كل كورة منها وحريمها ، وأمر الناس باتخاذ الأرض ، وأخذ العشر من غلاتها لأرزاق الجند ، وكان — فيما ذكر — كيقباز يشبه في حرصه على العمارة ، ومنعه البلاد من العدو ، وتكبره في نفسه بفرعون .

٥٣٥/١

وقيل إن الملوك الكيبية وأولادهم من نسله ، وجرت بينه وبين الترك وغيرهم حروب كثيرة ، وكان مقبلاً في حد ما بين مملكة الفرس والترك بالقرب من نهر بلخ ، لمنع الترك من تطرق شيء من حدود فارس ، وكان ملكه مائة سنة ، والله أعلم .

* * *

ونرجع الآن إلى :

(١) كذا في أ ، ن . (٢) كذا في أ ، وفي س : « مشر »

(٣) كذا في أ ، وفي ح ، س : « بقرتك » ، وفي ن : « بفرتك » ، وفي ط مهمله .

(٤) كذا في أ ، ن . وفي س : « تدرشيل » ، وفي ط مهمله .

(٥) س ، ن : « كى لوس » .

ذَكَرَ أَمْرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْقَوَامَ الَّذِينَ كَانُوا بِأَمْرِهِمْ بَعْدَ يَوْشَعَ
ابْنِ نُونٍ وَالْأَحْدَاثَ الَّتِي كَانَتْ فِي عَهْدِ زَوْوٍ وَكَيْسَقَبَادَ

ولا خلاف بين أهل العلم بأخبار الماضين وأمور الأمم السالفة من أمتنا
وغيرهم أن القيمَ بأمور بني إسرائيل بعد يوشع كان كالب بن يوفنا ، ثم
حزقييل بن بُوذَى^(١) من بعده ، وهو الذي يقال له ابن العجوز .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : إنما
سمى حزقييل^(٢) بن بوزى ابن العجوز ؛ أنها سألت الله الولد ، وقد كبرت وعقيمت ،
فوهبه الله لها ، فبذلك قيل له : ابن العجوز ؛ وهو الذي دعا للقوم الذين ذكر
الله في الكتاب عليه السلام كما بلغنا : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا
مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾^(٣) .

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم
قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ؛ أنه سمع وهب بن منبه يقول : أصاب
ناساً من بني إسرائيل بلاءٌ شدة من الزمان ، فشكوا ما أصابهم فقالوا : يا ليتنا
قد متنا فاسترحنا مما نحن فيه ! فأوحى الله إلى حزقييل : إن قومك صاحوا
من البلاء ، وزعموا أنهم ودوا لو ماتوا فاستراحوا ، وأى راحة لهم في الموت !
أيظنون أنى لا أقدر على أن أبعثهم بعد الموت ! فانطلق إلى جبانة كذا كذا
فإن فيها أربعة آلاف — قال وهب : وهم الذين قال الله تعالى :
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ —
فقم فيهم فنادهم ، وكانت عظامهم قد تفرقت ؛ فرقتها الطير والسباع ،
فنادها حزقييل ، فقال : يأيتهما العظامُ النخيرة ، إن الله عز وجل

(١) ، والتفسير : « بوزى » ، وكذلك حيث ورد فيها يل .

(٢) حزقييل ، بكسر الحاء ؛ ضبطه صاحب القاموس .

(٣) سورة البقرة ٢٤٣ .

يأمرُك أن تجتمعى . فاجتمع عظام كل إنسان منهم معاً ، ثم نادى ثانية ^(١) حزقيل فقال : أيتها العظام ، إن الله يأمرُك أن تكتسى اللحم ، فاكنت اللحم ، وبعد اللحم جلدا ، فكانت أجساداً ، ثم نادى حزقيل الثالثة فقال : أيتها الأرواح ، إن الله يأمرُك أن تعودى فى أجسادك . فقاموا بإذن الله ، وكبروا تكبيرة واحدة ^(٢) .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى ، فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني - عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ كانت قرية يقال لها داوردان ^(٣) قبل واسط ، فوقع بها الطاعون ، فهرب عامة أهلها فتركوا ناحية منها ، فهلك أكثر من بقي فى القرية وسلم الآخرون ، فلم يمت منهم كثير ، فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين ، فقال الذين بقوا : أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا ، لو صنعنا كما صنعوا بقينا ! ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن معهم . فوقع فى قابل فهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفاً ، حتى نزلوا ذلك المكان ، وهو واد أفحج ، فناداهم ملك من أسفل الوادى ، وآخر من أعلاه : أن موتوا ، فأتوا حتى هلكوا ، وبليت أجسادهم ، فرآهم نبيٌ يقال له حزقيل ^(٤) ، فلما رآهم وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم ، يكتوى شِدْقَه وأصابه ، فأوحى الله إليه : يا حزقيل ، أترى أن أريك كيف أحْيِيهم ؟ قال : نعم ، وإنما كان تفكره أنه تعجب من قدرة الله عليهم ، فقال : نعم ، فقيل له : ناد ، فنادى بأيتها العظام ، إن الله يأمرُك أن تجتمعى ، فجعلت العظام يطير بعضها إلى بعض ؛ حتى كانت أجساداً من عظام ، ثم أوحى الله أن ناد : بأيتها العظام ؛ إن الله يأمرُك أن تكتسى لحماً فاكنت لحماً ودماً وثيابها التى ماتت فيها ؛ وهى عليها ، ثم قيل له : ناد ،

(١) فى ١ : « الثانية » .

(٢) الخبر فى التفسير ٥ : ٤٦٨

(٣) ضبطها ياقوت بفتح الواو وسكون الراء ؛ وذكر أمر حزقيل بها .

(٤) التفسير : « حزقيل » .

فنادى : يَا أَيُّهَا الْأَجْسَادُ ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقُومَ ، فقاموا^(١)

حدثني موسى ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، قال : فرعم منصور بن المعتمر عن مجاهد أنهم قالوا حين أحيوا : سبحانك ربنا وبمحمدك ٥٣٨/١ لا إله إلا أنت ؛ فرجعوا إلى قومهم أحياء يعرفون أنهم كانوا موتى ، سحنة الموت (على) وجوههم ، لا يلبسون ثوباً إلا عاد دسماً مثل الكفن ، حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أشعث^(٢) ، عن سالم النَّصْرِيّ ، قال : بينما عمر بن الخطاب يصلي ويهوديان خلفه ، وكان عمر إذا أراد أن يركع خوي^(٣) ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : فلما انقضى عمر قال : رأيت قول أحدكما لصاحبه : أهو هو ؟ فقالا : إنا نجد في كتابنا قرناً من حديد يعطى ما أعطى حزقيل الذي أحيى الموتى بإذن الله ، فقال عمر : ما نجد في كتابنا^(٤) حزقيل ، ولا أحيى الموتى بإذن الله إلا عيسى ابن مريم ، فقالا : أما تجد في كتاب الله ﴿ وَرُسُلًا لَمْ تَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾^(٥) ، فقال عمر : بلى ، قالوا وأما إحياء الموتى فستحدثك أن بنى إسرائيل وقع فيهم الوباء ، فخرج منهم قوم حتى إذا كانوا على رأس ميل أماتهم الله ، فبنوا عليهم حائطاً ، حتى إذا بليت عظامهم بعث الله حزقيل فقام عليهم ، فقال : ما شاء الله ! فبعثهم الله له ، فانزل الله في ذلك : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ... ﴾ ، الآية^(٦) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، ٥٣٩/١

(١) الخبر في التفسير ٥ : ٢٧٠

(٢) ١ ، ن والتفسير : « أشعث بن أسلم البصري » وانظر حواشي التفسير .

(٣) خوي الرجل في سجوده : تجافى وفرج ما بين عضديه وجنبه .

(٤) ١ ، والتفسير : « كتاب الله » .

(٥) سورة النساء : ١٦٤ .

(٦) الخبر في التفسير ٥ : ٢٦٨ - ٢٧٠ .

عن وهب بن منبه : أن كالب بن يوفنا لما قبضه الله بعد يوشع ، خلف فيهم — يعنى فى بنى إسرائيل — حزقييل بن بوذى ، وهو ابن العجوز ، وهو الذى دعا للقوم الذين ذكر الله فى الكتاب لمحمد صلى الله عليه وسلم كما بلغنا : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ... ﴾ الآية (١) .

قال ابن حميد : قال سلمة قال ابن إسحاق : فبلغنى أنه كان من حديثهم أنهم خرجوا فراراً من بعض الأوباء من الطاعون ، أو من سُقَم كان يصيب الناس حذراً من الموت (٢) وهم ألوف ، حتى إذا نزلوا بصعيد من البلاد قال الله لهم : موتوا ، فماتوا جميعاً ، فعبد أهل تلك البلاد فحفظوا (٣) عليهم حظيرة دون السباع ، ثم تركوهم فيها ، وذلك أنهم كثروا عن أن يغيثوا ، فمرت بهم الأزمان والدهور ، حتى صاروا عظاماً نخرة ، فمر بهم حزقييل بن بوذى ، فوقف عليهم ، فتعجب لأمرهم ، ودخلته رحمة لهم ، فقل له : أأتب أن يحييهم الله ؟ فقال : نعم ، فقل له : فقل : أيتها العظام الرميم ، التى قد رمّت وبليت ، ليرجع كل عظم إلى صاحبه . فتاداهم بذلك ، فنظر إلى العظام تتوالب يأخذ بعضها بعضاً ، ثم قيل له : قل أيها اللحم والعصب والجلد ، اكس العظام بإذن ربك (٤) ، قال فنظر إليها والعصب يأخذ العظام ، ثم اللحم والجلد والأشعار ، حتى استووا خلقاً ليست فيهم الأرواح ، ثم دعا لهم بالحياة ، فتغشاه من السماء شيء كربه ، حتى غشي عليه منه ، ثم أفاق والقوم جلوس يقولون : سبحان الله فقد أحياهم الله (٥) !

٥٤٠/١

فلم يذكر لنا مدة مكث حزقييل فى بنى إسرائيل .

* * *

(١) الخبر فى التفسير ٥ : ٢٤٣

(٢) ن : « حذر الموت » .

(٣) س : « فحفظوا ... حفيرة » ، ن : « فحفظوا » .

(٤) ١ : « يأمر الله » .

(٥) الخبر فى التفسير ٥ : ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

[إلياس واليسع عليهما السلام]

ولما قبض الله حزقييل كثرت الأحداث - فيما ذكر - في بني إسرائيل ، وتركوا عهد الله الذي عهد إليهم في التوراة ، وعبدوا الأوثان ، فبعث الله إليهم فيما قيل : إلياس بن ياسين بن فنحاص ^(١) بن العيزار بن هارون بن عمران .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق : ثم إن الله عز وجل قبض حزقييل ، وعظمت في بني إسرائيل الأحداث ، ونسوا ما كان من عهد الله إليهم ، حتى نصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله ، فبعث الله إليهم إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران نبياً ، وإنما كانت الأنبياء من بني إسرائيل بعد موسى يُبعثون إليهم بتجديد ما نسوا من التوراة . فكان إلياس مع ملك من ملوك بني إسرائيل يقال له أحاب ، وكان اسم امرأته أزيل ^(٢) ، وكان يسمع منه ويصدقّه ، وكان إلياس يقيم له أمره ، وكان سائر بني إسرائيل قد اتخذوا صنماً يعبدونه من دون الله ، يقال له : بعل . قال ابن إسحاق : وقد سمعت بعض أهل العلم يقول : ما كان بعل إلا امرأة يعبدونها من دون الله يقول الله لمحمد ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ - إلى قوله : ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ ^(٣) - فجعل إلياس يدعوهم إلى الله ، وجعلوا لا يسمعون منه شيئاً إلا ما كان من ذلك الملك ، والملوك متفرقة بالشأم ؛ كل ملك له ناحية منها يأكلها ، فقال ذلك الملك ، الذي كان إلياس معه ، يقوم له بأمره ^(٤) ، ويراه على هدى من بين أصحابه يوماً يا إلياس ، والله

(١) في أبي الفدا : « فينحاس » ، وضبطه « بفاء مشربة بياء موحدة » ، ثم ياء مشتاة من تحتها مالة ، ثم نون ساكنة ، ثم حاء مهملة ، ثم ألف مالة وسين مهملة .

(٢) ح : « أريك » ، س : « أريك » ، ن : « أزيل » . وفي التفسير : « إزبل » .

(٣) سورة الصافات : ١٢٣ - ١٢٦ .

(٤) ١ والتفسير : « يقوم له أمره » .

ما أرى ما تدعو إليه إلا باطلا ، والله ما أرى فلاناً وفلاناً فعد^(١) ملوكاً من ملوك بني إسرائيل قد عبدوا الأوثان من دون الله إلا على مثل ما نحن عليه ، يأكلون ويشربون ويتنعمون^(٢) ، مملكين ، ما ينقص دنياهم أمرهم الذى تزعم أنه باطل ، وما نرى لنا عليهم من فضل .

فيزعمون — والله أعلم — أن إلياس استرجع وقام شعر رأسه وجلده ، ثم رفضه وخرج عنه ففعل ذلك الملك فعل أصحابه ؛ عبّد الأوثان ، وصنع ما يصنعون . فقال إلياس : اللهم إن بني إسرائيل قد أبوا إلا الكفر بك ، والعبادة لغيرك ، فغيّر ما بهم من نعمتك . أو كما قال^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : ذكر لي أنه أوحى إليه : إنا قد جعلنا أمر أرزاقهم بيدك وإليك ؛ حتى تكون أنت الذى تأمر فى ذلك . فقال إلياس : اللهم فأمسك عنهم المطر . فحبس عنهم ثلاث سنين حتى هلكت الماشية والدواب والهوام والشجر ، وجهّد الناس جهداً شديداً .

٥٤٢/١

وكان إلياس — فيما يزكرون — حين دعا بذلك على بني إسرائيل قد استخفى شفقاً على نفسه منهم ، وكان حيث ما كان وضع له رزق ، فكانوا إذا وجدوا ريح الخبز فى دار أو بيت قالوا : لقد دخل إلياس هذا المكان ، فطلبوه^(٤) ، ولقى أهل ذلك المنزل منهم شراً . ثم إنه أوى ليلة إلى امرأة من بني إسرائيل ، لها ابن يقال له اليسع بن أخطوب ، به ضرٌّ ، فأوته وأخفت أمره ، فدعا إلياس لابنها فعوفى من الضر الذى كان به ، واتبع اليسع فآمن به وصدقه ولزمه ، فكان يذهب معه حيناً ذهب ، وكان إلياس قد أسنّ وكبر ، وكان اليسع غلاماً شاباً . فيزعمون — والله أعلم — أن الله أوحى إلى إلياس أنك قد أهلك كثيراً من الخلق^(٥) ممن لم يعص ، سوى بني إسرائيل ممن لم أكن أريد هلاكه بخطايا

(١) كذا فى ١ ، وفى ط : « يعد » ، وفى التفسير : « يعدد » .

(٢) ١ : « ويمتعون » ، والتفسير : « وينعمون » .

(٣) الخبر فى التفسير ٢٣ : ٥٩ ، ٦٠ (بولاق) .

(٤) ح : « فيطلبونه فيلقى » .

(٥) ١ : « الناس » .

بنى إسرائيل من البهائم والدواب والطيور والهوام والشجر ، بحبس المطر عن
 بنى إسرائيل . فيزعمون - والله أعلم - أن إلياس قال : أى ربّ ، دعنى أكن
 أنا الذى أدعو لهم به ، وأكن أنا الذى آتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء
 الذى أصابهم ، لعلهم أن يرجعوا ويتزعموا^(١) عما هم عليه من عبادة غيرك . قيل
 له نعم ، فجاء إلياس إلى بنى إسرائيل ، فقال لهم : إنكم قد هلكتم جهداً ،
 وهلكت البهائم والدواب والطيور والهوام والشجر بخطاياكم ، وأنكم على باطل
 وغرور - أو كما قال لهم - فإن كنتم تحبسون أن تعلموا ذلك وتعلموا أن الله
 عليكم ساخط فيما أنتم عليه ، وأن الذى أدعوكم إليه الحق ، فاخرجوا بأصنامكم
 هذه التى تعبدون وتزعمون أنها خير مما أدعوكم إليه ، فإن استجابت لكم فذلك
 كما تقولون ، وإن هى لم تفعل علمتم أنكم على باطل فنزعم ، ودعوت الله ففرج
 عنكم ما أنتم فيه من البلاء . قالوا : أنصفت ، فخرجوا بأوثانهم وما يتقربون به
 إلى الله من أحداشهم التى لا يرضى ، فدعوها فلم تستجب لهم ، ولم تفرج عنهم
 ما كانوا فيه من البلاء ، حتى عرفوا ما هم فيه^(٢) من الضلالة والباطل ، ثم
 قالوا لإلياس : يا إلياس ؛ إنا قد هلكنا ، فادع الله لنا ، فدعا لهم إلياس
 بالفرج مما هم فيه ، وأن يسقوا ، فخرجت سحابة مثل الترس بإذن الله
 على ظهر البحر ، وهم ينظرون ، ثم تراه إلى السحاب ، ثم أدرجت ، ثم أرسل
 الله المطر فأغاثهم ، فحييت بلادهم ، وفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء ،
 فلم يتزعموا ولم يرجعوا وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه . فلما رأى ذلك إلياس
 من كفرهم دعا ربّه أن يقبضه إليه فيريحه منهم ، فقيل له - فيما يزعمون : انظر
 يوم كذا وكذا فاخرج فيه إلى بلد كذا وكذا ، فاجاءك من شىء فاركبه
 ولا تهبه ، فخرج إلياس ، وخرج معه اليسع بن أخطوب حتى إذا كان بالبلد
 الذى ذكر له فى المكان الذى أمر به أقبل فرس من نار ، حتى وقف بين
 يديه فوثب عليه ، فانطلق به فناداه اليسع : يا إلياس ، يا إلياس ، ما تأمرنى ؟
 فكان آخر عهدهم به ، فكساه الله الريش وألبسه النور ، وقطع عنه لذة

(١) ن : « ويقلعوا » .

(٢) كذا فى ا ، ن ، وقط : « عليه » .

المطعم ، والمشرّب ، وطار في الملائكة ، فكان إنسياً ملكياً أرضياً سمائياً^(١) .

* * *

ثم قام بعد إلياس بأمر بني إسرائيل — فما حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال : كما ذكر لي عن وهب بن منبه قال : ثم نبئ فيهم — يعني في بني إسرائيل — بعده يعني [بعد]^(٢) إلياس — اليسع ، فكان فيهم ما شاء الله أن يكون ، ثم قبضه الله إليه ، وخلفت فيهم الخُلوف ، وعظمت فيهم الخطايا ، وعندهم التابوت يتوارثونه كابراً عن كابر ، فيه السكينة وبقيّة مما ترك آل موسى وآل هارون ، فكانوا لا يلقاهم عدوّ فيقدّمون التابوت ويزحفون به معهم إلا هزم الله ذلك العدو .

والسكينة فيما ذكر ابن إسحاق عن وهب بن منبه عن بعض أهل العلم من بني إسرائيل رأسُ هرة ميتة ، فإذا صرّخت في التابوت بصُراخ هرة أيقنوا بالنصر ، وجاءهم الفتح .

ثم خلف فيهم ملك يقال له إيلاف ، وكان الله قد بارك لهم في جبلهم من إيليا ، لا يدخله عليهم عدو ، ولا يحتاجون معه إلى غيره ، فكان أحدهم — فيما يذكرون — يجمع التراب على الصخرة ، ثم ينبذ فيه الحبّ ، فيخرج الله له ما يأكل [منه]^(٣) سنة^(٤) وهو وعياله ، ويكون لأحدهم الزيتونة فيعصر منها ما يأكل ؛ هو وعياله سنة^(٥) ، فلما عظمت أحداثهم ، وتركوا عهد الله إليهم ، نزل^(٦) بهم عدوّ فخرجوا إليه وأخرجوا التابوت كما كانوا يخرجونه ، ثم زحفوا به فقتلوا حتى استلب^(٧) من أيديهم ، فأثى ملكهم إيلاف ، فأخبر أن التابوت قد أخذ واستلب ، فمالت عنقه فمات كمدّاً عليه ، فرج أمرهم بينهم^(٨) واختلف ووطئهم عدوهم حتى أصيب من أبنائهم ونسائهم ، فمكثوا على اضطراب من أمرهم ، واختلف من أحوالهم يهادون أحياناً في غيهم وضلالهم ، فسلط^(٩) الله عليهم من ينتهم به منهم ، ويراجعون التوبة أحياناً فيكفيهم الله [عند

(١) الخبر في التفسير ٢٣ : ٦٠ (بولاق) (٢) من ن .

(٣) ١ ، والتفسير : « سنته » . (٤) ن : « نهض » . (٥) ١ ، ن : « استبي » .

(٦) التفسير : « فرج أمرهم عليهم » ، وابن الأثير : « واختلف » .

(٧) ١ : « فيسلط » .

ذلك] ^(١) شر من بَخَّاهُمْ سوءاً ؛ حتى بعث الله فيهم طالوت ملكاً ، وردَّ عليهم تابوت الميثاق ^(٢) .

* * *

وكانت مدة ما بين وفاة يوشع بن نون — التي كان أمر بني إسرائيل في بعضها إلى القضاة منهم والساسة ، وفي بعضها إلى غيرهم ممن يقهرهم فيتملك عليهم من غيرهم إلى أن ثبت الملك فيهم ، ورجعت النبوة اليهم بشمويل بن بالي — أربع مائة سنة وستين سنة . فكان أول من سلَّط عليهم فيما قيل رجل من نسل لوط ، يقال له : كوشان ، فقهرهم وأذلهم ثمانى سنين ، ثم تنقَّذهم ^(٣) من يده أخ لكالب الأصغر يقال له عتيل ^(٤) بن قيس — فقام بأمرهم فيما قيل — أربعين سنة ، سلَّط عليهم ملك يقال له جعلون ^(٥) فلكهم ثمانى عشرة سنة ، ثم تنقَّذهم منه — فيما قيل — رجل من سبط بنيامين يقال له أهود بن جيرا ^(٦) الأشلّ اليمنى ، فقام بأمرهم ثمانين سنة ، ثم سلط عليهم ملك من الكنعانيين يقال له يا فين ^(٧) ، فلكهم عشرين سنة ، ثم تنقَّذهم — فيما قيل — امرأة نبية من أنبيائهم يقال لها دبورا ^(٨) فدبر أمرهم — فيما قيل — رجل من قبلها يقال له باراق أربعين سنة ، ثم سلَّط عليهم قوم ^(٩) من نسل لوط كانت منازلهم في تخوم الحجاز فلكوهم سبع سنين ، ثم تنقَّذهم منهم رجل من ولد نفتالى بن يعقوب يقال له جدعون بن يواش ^(١٠) ، فدبر أمرهم أربعين سنة ، ثم دبر أمرهم من بعد جدعون ابنه أبيمالك ^(١١) بن جدعون ثلاث سنين ، ثم دبرهم من بعد أبيمالك تولع بن فوا بن خال أبيمالك . وقيل إنه ابن عمه — ثلاثا وعشرين سنة ، ثم دبر

(٢) الخبر في التفسير ٥ : ٢٩٥ ، ٢٩٦

(١) من ا

(٤) ١ : « عتيل » .

(٣) ١ : « انتقذهم » .

(٥) ط : « جعلون » ، وما أثبتته من ا

(٦) ١ : « أعور بن حنا » .

(٧) ا ، ن : « ياقيس » .

(٨) ا ، س ، وفي ح : « ديوار » .

(٩) س : « أهل » ، ن : « ولد » .

(١٠) ا ، ن : « برانس » .

(١١) ا ، ن : « أيمك » .

٥٤٧/١
 أمرهم بعد تولع رجل من بني إسرائيل يقال له : يائير ^(١) اثنتين وعشرين سنة ،
 ثم ملكهم بنو عمون ، وهم قوم من أهل فلسطين ثمانى عشرة سنة ، ثم قام
 بأمرهم رجل منهم يقال له يفتح ست سنين ، ثم دبرهم من بعده يخبشون ^(٢) ،
 وهو رجل من بني إسرائيل سبع سنين ، ثم دبرهم بعده ألون عشر سنين ، ثم
 من بعده كيرون ^(٣) — ويسميه بعضهم عكرون — ثمانى سنين ، ثم قهرهم أهل
 فلسطين وملوكهم أربعين سنة ، ثم وليهم شمسون وهو من بني إسرائيل عشرين
 سنة ، ثم بقوا بغير رئيس ولا مدبّر لأمرهم بعد شمسون — فيما قيل — عشر
 سنين ، ثم دبر أمرهم بعد ذلك على الكاهن ، وفى أيامه غلب أهل غزة وعسقلان
 على تابوت الميثاق ، فلما مضى من وقت قيامه بأمرهم أربعين سنة ، بعث
 سمويل نبيا فدبر سمويل ^(٤) أمرهم — فيما ذكر — عشر سنين . ثم سألوا سمويل حين
 نالهم بالذل والهوان بمعصيتهم ربهم أعداؤهم ، أن يبعث لهم ملكا يجاهدون معه
 فى سبيل الله ، فقال لهم سمويل ما قد قصّ الله فى كتابه العزيز .

(١) : « يائير » ، ن : « يائين » .

(٢) : « يخبشون » .

(٣) : « ليزون » .

(٤) : « سمويل » . ، وهو فى كل مرة يرد اسمه فيها كذلك .

ذكر خبر شمويل بن بالى بن علقمة بن يرخام بن اليهو ابن تهو بن صوف ، وطالوت وجالوت

كان من خبر شمويل بن بالى أن بنى إسرائيل لما طال عليهم البلاء ،
وأذلتهم الملوك من غيرهم ، ووطئت بلادهم ، وقتلوا رجالهم ، وسبوا أذراريتهم ،
وغلبوهم ^(١) على التابوت الذى فيه السكينة والبقية ^(٢) مما ترك آل موسى وآل
هارون ، وبه كانوا ينصرون إذا لقوا العدو ، ورغبوا ^(٣) إلى الله عز وجل في أن
يبعث لهم نبياً يقيم أمرهم .

فحدثني موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ،
قال : حدثنا أسباط عن السدي ، في خبر ذكره عن أبي مالك وأبي صالح
عن ابن عباس - وعن مرة عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم : كانت بنو إسرائيل يقاتلون العمالقة ، وكان ملك العمالقة
جالوت ، وأنهم ظهروا على بنى إسرائيل فضربوا عليهم الجزية ، وأخذوا توراتهم ،
فكانت بنو إسرائيل يسألون الله أن يبعث لهم نبياً يقاتلون معه ، وكان سبط
النوبة قد هلكوا ، فلم يبق منهم إلا امرأة حبلى فأخذوها فحبسوها في بيت ،
رهبة أن تلد جارية فتبذله بغلام ، لما ترى من رغبة بنى إسرائيل في ولدها ،
فجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلاماً ، فولدت غلاماً فسمته سمعون ^(٤) ،
تقول : الله سمع دعائى . فكبر الغلام ، فأسلمته يتعلم التوراة في بيت المقدس ،
وكفله شيخ من علمائهم ، وتبناه ، فلما بلغ الغلام أن يبعثه الله نبياً ، أتاه
جبريل والغلام نائم إلى جنب الشيخ ، وكان لا يأمن ^(٥) عليه أحداً غيره فدعاه
بلحن الشيخ : يا شمويل ، فقام الغلام فزعاً إلى الشيخ ، فقال : يا أبتاه ،

(١) س ، ن : « وغلبوا » .

(٢) كذا في ا ، ح ، س ، وفي ط : « بقية » .

(٣) كذا في ا ، ح ، س ، وفي ط : « رغبوا » .

(٤) كذا في ا ، ح ، س ، وفي ط : « سمعون » .

(٥) كذا في ا ، وفي ط : « لا يتمن »

دعوتى ! فكره الشيخ أن يقول : لا فيفزع الغلام ، فقال : يا بنى ، ارجع فم ، فرجع الغلام فنام . ثم دعاه الثانية فلباه ^(١) الغلام أيضاً ، فقال : دعوتى ! فقال ارجع فم ، فإن دعوتك الثالثة فلا تجبى ، فلما كانت الثالثة ظهر له جبرئيل عليه السلام فقال : اذهب إلى قومك فبلّغهم رسالة ربك ، فإن الله قد بعثك فيهم نبياً . فلما أتاهاهم كذبوه وقالوا : استعجلت بالنبوة ولم يَألك ^(٢) وقالوا : إن كنت صادقاً فابعث لنا ملكاً يقاتل في سبيل الله ، آية من نبوتك ، قال لهم سمعون : عسى إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ^(٣) .

قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا بأداء الجزية ، فدعا الله فأتى بعضاً ، تكون مقداراً على طول الرجل الذى يبعث فيهم ملكاً ، فقال : إن صاحبكم يكون طوله طول هذه العصا ، فقاسوا أنفسهم بها ، فلم يكونوا مثلاً ، وكان طالوت رجلاً سقاءً يستقى على حمار له ، فضل حماره ، فانطلق يطلبه في الطريق ، فلما رأوه دعوه فقاسوه بها فكان مثلاً ، وقال لهم نبيهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ ^(٤) قال القوم : ما كنت قط أكذب منك الساعة ، ونحن من سبط المملكة ، وليس هو من سبط المملكة ، ولم يؤت أيضاً سعة من المال فنتبعه لذلك ، فقال النبي : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ ^(٥) ، فقالوا : فإن كنت صادقاً فأتنا بآية أن هذا ملك ، قال : ﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ ﴾ ^(٥) . والسكينة طيست من ذهب يغسل فيها قلوب الأنبياء ، أعطاه الله موسى ، وفيها وضع الألواح ، وكانت الألواح - فيما بلغنا - من درّ وياقوت وزبرجد ، وأما البقية فإنها عصا موسى ورُضاضة الألواح ، فأصبح التابوت وما فيه في دار

(١) ط : « فأتاه » ، وما أثبتته من ا .

(٢) كذا في التفسير ، وفي ط : « ولم يبالك » .

(٣) إلى هنا ينتهى الخبر في التفسير ٥ : ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

(٤) سورة البقرة : ٢٤٧ ، والخبر في التفسير ٥ : ٣١٩ . (٥) سورة البقرة : ٢٤٨ .

طالوت ، فأمنوا بنبوة سمعون ، وسلموا الملك لطالوت .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض ، وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : نزلت الملائكة بالتابوت نهاراً ينظرون إليه عياناً ، حتى وضعوه بين أظهرهم ، قال : فأقروا غير راضين ، وخرجوا ساخطين .

رجع الحديث إلى حديث السدي . فخرجوا معه وهم ثمانون ألفاً ، وكان جالوت من أعظم الناس وأشدّهم بأساً ، يخرج^(١) يسير بين يدي الجند ، ولا يجتمع إليه أصحابه حتى يهزم هو من لقي ، فلما خرجوا قال لهم طالوت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾^(٢) وهو نهر فلسطين ، فشربوا منه هيبةً من جالوت ، فعبر معه منهم أربعة آلاف ورجع ستة وسبعون ألفاً ، فمن شرب منه عطش ، ومن لم يشرب منه إلا غرفة روى ، فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه ، فنظروا إلى جالوت رجعوا أيضاً وقالوا: ﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ ﴿ الَّذِينَ يَسْتَيْقِنُونَ ﴾ ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^(٣) . فرجع عنه أيضاً ثلاثة آلاف وسبعمائة وبضعة وثمانون ، وخلص في ثلثمائة وتسعة^(٤) عشر عدة أهل بدر .

حدثني المشقي ، قال ، حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا إسماعيل ابن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن منبه يقول : كان لعيلي الذي ربي شمويل ابنان شابان ، أحدثا في القُرْبَانِ

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « فخرج » .

(٢) سورة البقرة : ٢٤٩ .

(٣) في ١ ، : « بضعة » .

شيئاً لم يكن فيه كان مِسْوَط القُرْبَان الذى كانوا يسوطونه به كلابِيسَ ، فما أخرجوا كان للكهّان الذى يَسْوَطه ، فجعله ابناه كلاليب ، وكانوا إذا جاءت النساء يصلّين فى القدس يتشبّهان بهنّ . فبينما أشمويل نائم قبل البيت الذى كان ينام فيه عيلى إذ سمع صوتاً يقول : أشمويل ! فوثب إلى عيلى فقال : لبيك ، فقال : مالك دعوتنى ؟ قال : لا ! ارجع ، فم . فنام ، ثم سمع صوتاً آخر يقول : أشمويل ! فوثب إلى عيلى أيضاً ، فقال : لبيك ؛ مالك دعوتنى ؟ فقال : لم أفعل ، ارجع فم ، فإن سمعت شيئاً فقل : « لبيك » مكانك ، « مرّنى فافعل » ، فرجع فنام فسمع صوتاً أيضاً يقول : أشمويل ، فقال : لبيك ، أنا هذا فرنى أفعل ، قال : انطلق إلى عيلى ، فقل له : منعه حُبّ الولد من أن يزجرُ ابنيه أن يُحدثا فى قدسى وقُربانى ، وأن يعصيانى ، فلا يزعنّ منه الكهانة ومن ولده ، ولأهلكته وإياهما ، فلما أصبح سأله عيلى فأخبره ، ففزع لذلك فرعاً شديداً ، فسار إليهم عدوّ من حوله فأمر ابنيه أن يخرجوا بالناس ويقاتلا ذلك العدو ، فخرجوا وأخرجوا معهم التابوت الذى فيه الألواح وعصا موسى ليتصرفوا به ^(١) . فلما همّوا للقتال هم وعدوهم جعل عيلى يتوقع الخبر : ماذا صنعوا ؟ فجاءه رجل يخبره ^(٢) وهو قاعد على كرسیه : أنّ ابنيك قد قتلا ، وأن الناس قد انهزموا ، قال : فما فعل التابوت ؟ قال : ذهب به العدو قال فشهِق ووقع على قفاه من كرسیه فأت ، وذهب الذين سبّوا التابوت حتى وضعوه فى بيت آلهتهم ، ولم يصنم يعبدونه ، فوضعوه تحت الصنم والصنم من فوقه ، فأصبح من الغد الصنم تحته ، وهو فوق الصنم ، ثم أخذوه فوضعوه فوقه ، وسَمّروا قدميه فى التابوت ، فأصبح من الغد قد قطعت يد الصنم ورجلاه ، وأصبح ملقاً تحت التابوت ، فقال بعضهم لبعض : أليس ^(٣) قد علمتم أن إله بنى إسرائيل لا يقوم له شيء ! فأخرجوه من بيت آلهتهم . فأخرجوا التابوت فوضعوه فى ناحية من قريتهم ، فأخذ أهل تلك الناحية التى وضعوا فيها التابوت وجعّ فى أعناقهم ، فقالوا : ما هذا ؟ فقالت لهم جارية كانت عندهم من سنى بنى إسرائيل : لا تزالون

(١) س : « بها » ، التفسير : « لينصروا به » .

(٢) ل ن : « فخبّره » .

(٣) ن : « ألسم » .

تروُن ما تَكْروهون ! ما كان هذا التابوت فيكم ، فأخرجوه من قريبتكم . قالوا : ٥٥٣/١
 كذبت ، قالت : إن آية ذلك أن تأتوا ببقرتين ، لهما أولاد لم يوضع عليهما
 نِيرٌ قط ، ثم تضعوا وراءهما العجل ، ثم تضعوا التابوت على العجل وتسيروهما
 وتحبسوا أولادهما ، فإنهما تنطلقان به مذعنتين ، حتى إذا خرجتا من أرضكم
 ووقعتا في أدنى أرض بني إسرائيل كسرتا نيريهما ، وأقبلتا إلى أولادهما ،
 ففعلوا ذلك ، فلما خرجتا من أرضهم ، ووقعتا ^(١) في أدنى أرض بني إسرائيل ،
 كسرتا نيريهما وأقبلتا إلى أولادهما ، ووضعتهما في خربة فيها حصاد من
 بني إسرائيل ، ففزع إليه بنو إسرائيل ، وأقبلوا إليه فجعل لا يدنو منه ^(٢)
 أحد إلا مات ، فقال لهم نبيهم أشمويل اعترضوا ^(٣) ، فن أنس من نفسه قوة
 فإيدنُ منه ، فعرضوا عليه الناس ، فلم يقدر أحد على أن يدنو منه ؛ إلا
 رجلان من بني إسرائيل ، أذن لهما بأن يحملاه إلى بيت أمهما ، وهي أرملة ،
 فكان في بيت أمهما ، حتى ملك طالوت ، فصلح أمر بني إسرائيل مع
 أشمويل ^(٤) . فقالت بنو إسرائيل : لأشمويل : ابعث لنا ملكا يقاتل في سبيل
 الله ، قال : قد كفاكم الله القتال ، قالوا إنا نتخوف من حوانا ، فيكون لنا
 ملك نفزع إليه ، فأوحى الله إلى أشمويل : أن ابعث لهم طالوت ملكا وادهنه
 بدهن القدس ، فضلت حمر لأنى طالوت ، فأرسله وغلاما له يطلبانها فجاءا
 إلى أشمويل يسألانه عنها ، فقال إن الله قد بعثك ملكا على بني إسرائيل ،
 قال : أنا ! قال : نعم ، قال أو ما علمت أن سبطي أدنى أسباط
 بني إسرائيل ! قال : بلى ، قال . أفما علمت أن قبيلتي أدنى قبائل سبطي !
 قال : بلى ، قال : أما علمت أن بيتي أدنى بيوت قبيلتي ؟ قال : بلى ، قال : فبآية آية ؟
 قال : بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك حمره ، وإذا كنت في مكان كذا وكذا
 نزل عليك الوحي . فدهنه بدهن القدس ، وقال لبني إسرائيل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ
 بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ قالوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ

(١) ن : « ووضعتهما » .

(٢) ن : « إليه » .

(٣) كذا في ١ ، ن والتفسير ، وفي ط : « أعرضوا » .

(٤) إل هنا ، الخبر في التفسير ٥ : ٣١٨ - ٣٢٠ .

بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ
وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴿١﴾

رجع الحديث إلى حديث السدى. ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا
رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ (٢) فعبر يومئذ أبو داود فيمن عبر في ثلاثة عشر
ابنًا له ، وكان داود أصغر بنيه وإنه أتاه ذات يوم فقال : يا أبتاه ، ما أرى
بقذافي شيئًا إلا صرعته ، قال : أبشر يا بني ، إن الله قد جعل رزقك في
قذافتك ، ثم أتاه مرة أخرى فقال : يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت
أسدًا رابضًا فركبت عليه وأخذت بأذنيه فلم يهجنى ، فقال : أبشر يا بني ،
فإن هذا خير يعطيكه الله ، ثم أتاه يومًا آخر ، فقال : يا أبتاه إنى لأمشي
بين الجبال فأصبح فلا يبقى جبل إلا سبّح معي ، فقال : أبشر يا بني ، فإن
هذا خير أعطاكه الله— وكان داود راعيًا ، وكان أبوه خلفه يأتي إلى أبيه وإلى
إخوته بالطعام — فأتى النبي عليه السلام بقرن فيه دهن وتنور من حديد ،
فبعث به إلى طالوت ، قال : إن صاحبكم الذى يقتل جالوت يوضع هذا القرن
على رأسه ، فيغلى حتى يدّهن منه ولا يسيل على وجهه ، ويكون على رأسه
كهينة الإكليل ، ويدخل في هذا التنور فيملاؤه . فدعا طالوت بني إسرائيل ،
فجربهم به فلم يوافقهم منهم أحد ، فلما فرغوا قال طالوت لأبي داود : هل
بقي لك ولد لم يشهدنا ؟ قال : نعم ، بقي ابني داود ، وهو يأتينا بطعام ، فلما
أتاه داود مرّ في الطريق بثلاثة أحجار فكلّمه وقلن له : خذنا يا داود تقتل بنا
جالوت ، قال : فأخذهن وجعلهن في مخلاته ، وكان طالوت قد قال : من
قتل جالوت زوجته ابنتي ، وأجريت خاتمه في ملكي ، فلما جاء داود وضعوا
القرن على رأسه ، فغلى حتى ادّهن منه ولبس التنور فلأه ، وكان رجلاً مسقماً
مصفرًا ، ولم يلبسه أحد إلا تقلقل فيه ، فلما لبسه داود تضايق التنور عليه
حتى تنفض ، ثم مشى إلى جالوت ، وكان جالوت من أجسّم الناس وأشدّهم ،

٥٥٥/١

(١) سورة البقرة : ٢٤٧ ، والخبر في التفسير ٥ : ٣٠٨ ، ٣٠٩

(٢) سورة البقرة : ٢٥٠ .

فلما نظر إلى داود قُدِفَ في قلبه الرعب منه ، فقال له : يا فتى ، ارجع فإنى أرحمك أن أقتلك ، فقال داود : لا بل أنا أقتلك . فأخرج الحجارة فوضعها في القذافة ، كلما رفع منها حجراً سمّاه ، فقال : هذا باسم أبى إبراهيم ، والثانى باسم أبى إسحاق ، والثالث باسم أبى إسرائيل ، ثم أدار القذافة فعادت الأحجار حجراً واحداً ، ثم أرسله فصكّ به بين عيني جالوت فنقبّت رأسه ، ثم قتله ؛ فلم تزل تقتل كل إنسان تصيبه تنفذ فيه ، حتى لم يكن يجيئها أحد ، ٥٥٦/١ فهزمهم عند ذلك ، وقتل داود جالوت ، ورجع طالوت فأنكح داود ابنته ، وأجرى خاتمه في ملكه ، قال الناس إلى داود وأحبّوه .

فلما رأى ذلك طالوت وجده في نفسه وحسده ، وأراد قتله ، فعلم داود أنه يريد به بذلك ^(١) ، فسجّى ^(٢) له زيقاً خمر في مضجعه ، فدخل طالوت إلى منام داود وقد هرب داود ، فضرب الرقّ ضربة فخرقه ، فسالت ^(٣) الخمر منه ، ف وقعت قطرة من خمر ^(٤) في فيه ، فقال : يرحم الله داود ، ما كان أكثر شربه للخمر ! ثم إن داود أتاه من القابلة في بيته وهو نائم ، فوضع سهمين عند رأسه ، وعند رجله وعن يمينه وعن شماله سهمين سهمين ، ثم نزل . فلما استيقظ طالوت بصّر بالسهم فعرّفها فقال : يرحم الله داود ، هو خير منى ، ظفرت به فقتلته ^(٥) وظفّر بي فكفّ عني ! ثم إنه ركب يوماً فوجده يمشى في البرية ، وطالوت على فرس ، فقال طالوت : اليوم أقتل داود - وكان داود إذا فرغ لم يدرك - فركض على أثره طالوت ، ففرغ داود ، فاشتدّ فدخل غاراً ، فأوحى الله إلى العنكبوت فضربت عليه بيتاً ، فلما انتهى طالوت إلى الغار نظر إلى بناء العنكبوت ، فقال : لو كان دخلها هنا لخرق بيت العنكبوت ، فخيّل إليه فتركه .

وطعن العلماء على طالوت في شأن داود ، فجعل طالوت لا ينهأ أحد عن داود ٥٥٧/١ إلا قتله ، وأغراه الله بالعلماء يقتلهم ، فلم يكن يقدر في بني إسرائيل على عالم يطبق قتله إلا قتله ، حتى أتى بامرأة تعلم اسم الله الأعظم ، فأمر الحبار ^(٦) أن يقتلها ،

(١) س : « يريد ذلك » . (٢) سجى الشيء : غطاه .

(٣) ق ١ ، ح : « فسالت » والخمر تذكر وتؤنث .

(٤) ط : « الخمر » ، وما أثبتته عن أ ، ح ، س .

(٥) كذا في الأصول ، وفي ابن الأثير : « فأردت قتله » . (٦) كذا في أ ، وفي ط : « الحبار » .

فرحمها الخباز ، وقال : لعلنا نحتاج إلى عالم . فتركها ، فوقع في قلب طالوت التوبة وندم ، وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس ، وكان كل ليلة يخرج إلى القبور فيبكي ، وينادي : أنشد الله عبداً علم أن لي توبةً إلا أخبرني بها ! فلما أكثر^(١) عليهم [ليالي] ناداه مناد من القبور : أن يا طالوت ، أما ترضى أن قتلنا أحياء حتى تؤذي أموالنا ! فازداد بكاء وحزناً ، فرحمه الخباز فكلمه فقال : مالك ؟ فقال : هل تعلم لي في الأرض عالماً أسأله : هل لي من توبة ؟ فقال له الخباز : هل تدري ما مثلك ؟ إنما مثلك مثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك ، فتطير منه ، فقال : لا تركوا في القرية ديكاً إلا ذبحتموه ، فلما أراد أن ينام قال : إذا صاح الديك فأيقظونا حتى نُدبج^(٢) ، فقالوا له : وهل تركت ديكاً يسمع صوته ! ولكن هل تركت عالماً في الأرض ! فازداد حزناً وبكاء ، فلما رأى الخباز منه الجدة ، قال : أرأيتك إن دلتك على عالم لعلك أن تقتله ! قال : لا ، فتوثق عليه الخباز ، فأخبره أن المرأة العالمة عنده ، قال : انطلق بي إليها أسألك هل لي من توبة ؟ وكان إنما يعلم ذلك الاسم أهل بيت ؛ إذا فنيست رجالهم علمت النساء ، فقال : إنها إن رأيتك غشيت عليها ، وفزعته منك ، فلما بلغ الباب خلفه خلفه ، ثم دخل عليها الخباز ، فقال لها : أأنت أعظم الناس منة عليك ؟ أنجيتك من القتل ، وآويتك عندي . قالت : بلى ، قال : فإن لي إليك حاجة ، هذا طالوت يسألك : هل له من توبة ؟ فغشيت عليها من الفسق ، فقال لها : إنه لا يريد قتلك ، ولكن يسألك : هل له من توبة ؟ قالت : لا ، والله ما أعلم لطالوت توبة ، ولكن هل تعلمون مكان قبر نبي ؟ قالوا : نعم ، هذا قبر يوشع بن نون ، فانطلقت وهما معها إليه ، فدعت ، فخرج يوشع بن نون ينفض رأسه من التراب ، فلما نظر إليهم ثلاثتهم قال : ما لكم ؟ أقامت القيامة ؟ قالت : لا ، ولكن طالوت يسألك : هل له من توبة ؟ قال يوشع : ما أعلم لطالوت من توبة إلا أن يتخلى من ملكه ، ويخرج هو وولده فيقاتلون^(٤) بين يديه في سبيل الله ، حتى إذا قتلوا شدةً هو فقطل ؛ فعسى أن يكون

٥٥٨/١

(١) ح ، س : « أكثر » . (٢) تكله من ا ، ح ، س .

(٣) الإدلاج هنا : السير آخر الليل .

(٤) ن : « يقاتلون » .

ذلك له توبة ، ثم سقط ميتاً في القبر .

ورجع طالوت أحزن ما كان ؛ رهبة^(١) ألا يتابعه ولده ، فبكى حتى سقطت أشفار عينيه ، ونحل جسمه ، فدخل عليه بنوه وهم ثلاثة عشر رجلاً فكلّموه وسألوه عن حاله ، فأخبرهم خبره ، وما قيل له في توبته ، فسألهم أن يغزوا معه ، فجهّزهم فخرجوا معه ، فشدوا بين يديه حتى قتلوا ، ثم شدّ بعدهم هو فقتل ، وملك داود بعد ذلك ، وجعله الله نبياً ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ ؛ قيل : هي النبوة ؛ آتاه نبوة شمعون وملك طالوت .

* * *

واسم طالوت بالسريانية شاول بن قيس بن أبيال^(٢) بن ضرار بن بحرت^(٣) بن أفيح بن آيش^(٤) بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم^(٥) .
وقال ابن إسحاق : كان النبي الذي بعث لطالوت من قبره حتى أخبره بتوبته اليسع بن أخطوب ؛ حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق .

* * *

وزعم أهل التوراة أن مدة ملك طالوت من أولها إلى أن قتل في الحرب مع ولده كانت أربعين سنة .

(١) ا ، س : « قط رهبة » .

(٢) ن : « أنيال » .

(٣) ا والتفسير : « يحرب » .

(٤) التفسير : « آيس » .

(٥) التفسير ٥ : ٣٠٨

ذكر خبر داود بن إيشي بن عويد بن باعز بن سلمون بن
 نحشون بن عمى نادب بن رام بن حصرون بن فارص بن
 يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

وكان داود عليه السلام^(١) - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة
 عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه - قصيراً أزرق
 قليل الشعر ، طاهر القلب نقيّه .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني
 ابن زيد في قول الله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ
 حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾^(٢) قال : أوحى الله
 إلى نبيهم أن في ولد فلان رجلاً يقتل الله به جالوت ، ومن علامته هذا القرن
 يضعه على رأسه فيفيض ماء ، فأتاه فقال : إن الله عز وجل أوحى إلى أن في
 ولدك رجلاً يقتل الله به جالوت . فقال : نعم يانبي الله ، قال : فأخرج له
 اثني عشر رجلاً أمثال السّواري^(٣) ، وفيهم رجل بارع [عليهم]^(٤) ، فجعل يعرضهم
 على القرن فلا يرى شيئاً ، فيقول لذلك الجسيم : ارجع ، فيردّده عليه ، فأوحى الله إليه :
 إنا لا نأخذ الرجال على صُورهم ، ولكننا نأخذهم على صلاح قلوبهم ، قال : ياربّ ،
 قد زعم أنه ليس له ولد غيره ، فقال : كذب ، فقال : إن ربي قد كذّبك ،
 وقال : إن لك ولداً غيره . قال : قد صدق يا نبي الله ، إن لي ولداً قصيراً استحييت
 أن يراه الناس فجعلته في الغم ، قال : فأين هو ؟ قال : في شعب كذا
 وكذا ، من جبل كذا وكذا ، فخرج إليه فوجد الوادي قد سال بينه وبين
 البقعة التي كان يربح^(٥) إليها . قال : ووجده يحمل شاتين شاتين ، يُجيزُ بهما
 السَّيْلَ ولا يخوض بهما السيل . فلما رآه قال : هذا هو ، لا شك فيه ، هذا

٥٦٠/١

(١) ١ : « وكان داود رجلاً » . (٢) سورة البقرة ٢٤٣ - ٢٤٦ .
 (٣) السواري : الأعمدة ، جمع سارية . (٤) تكلّة من ا والتفسير ، والبارع : الذي
 يفوق أصحابه في العلم وغيره . (٥) أراح الغنم : ردها إلى مراعيها .

يرحم البهائم ، فهو بالناس أرحم ! قال : فوضع القرن على رأسه ففاض ^(١) .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحاق ، قال ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، عن وهب بن منبه قال : ٥٦١/١ لما سلمت بنو إسرائيل الملكَ لطالوت ، أوحى الله إلى نبي بني إسرائيل : أن قل لطالوت : فليغزُ أهلَ مدينتي ، فلا ^(٢) يترك فيها حياً إلا قتله ، فإنى سأظهره عليهم ، فخرج بالناس حتى أتى مدينتي ، فقتل مَنْ كان فيها ، إلا ملكهم فإنه أسره ، وساق مواشيهم ، فأوحى الله إلى أشمويل : ألا تعجب من طالوت إذ أمرته بأمرى فاختل ^(٣) فيه ، فجاء بملكهم أسيراً ، وساق مواشيهم ! فאלقه فقل له : لأنزعنَّ الملك من بيتي ، ثم لا يعود فيه إلى يوم القيامة ، فإنى إنما أكرمُ مَنْ أطاعنى ، وأهينُ مَنْ هان عليه أمرى . فلقية فقال له : ما صنعت ! لم جئت بملكهم أسيراً ، ولم سقت مواشيهم ؟ قال : إنما سقت المواشى لأقربها ^(٤) ، قال له أشمويل : إن الله قد نزع من بيتك الملك ثم لا يعود فيه إلى يوم القيامة ، فأوحى الله إلى أشمويل : انطلق إلى إيشى فيعرض عليك بنه ، فادهن الذى آمرك بدهن القدس ، يكنْ ملكاً على بنى إسرائيل . فانطلق حتى أتى إيشى ، فقال : اعرضْ على بنيك ، فدعا إيشى أكبرَ ولده ، فأقبل رجل جسيم حسنُ المنظر ، فلما نظر إليه أشمويل أعجبه ، فقال : الحمد لله ، إن الله بصير بالعباد ! فأوحى الله إليه : إن عينيك تبصران ما ظهر ، وإنى أطلع على ما فى القلوب ، ليس بهذا ! فقال : ليس بهذا ، اعرض على غيره . فعرض عليه ستة ، فى كل ذلك يقول : ليس بهذا ، اعرض على غيره ، فقال : هل لك من ولدٍ غيرهم ؟ فقال : بلى ^(٥) ، لى غلام أمغر ^(٦) وهو راع فى الغنم . قال : أرسل إليه ، فلما أن جاء داود ، جاء غلام أمغر ؛ فدهنه بدهن القدس ، وقال لأبيه : اكتم هذا ،

(١) الخبر فى التفسير ٥ : ٣٦٦ - ٣٦٧ على وجه أطول .

(٢) ح ، س : « ولا يترك » . (٣) اختل ، من الختل وهو الفساد ، وفى ا : « فاختر » .

(٤) لأقربها ، أى لأجعلها قرباناً .

(٥) ح : « بلى » .

(٦) الأمغر : الأحمر الشعر والجلد .

فإن طالوت لو يطّلع عليه قتله . فسار جالوت في قومه إلى بني إسرائيل فعسكر ، وسار طالوت ببني إسرائيل وعسكر ، وتهيّئوا للقتال ، فأرسل جالوت إلى طالوت : لِمَ يَقْتُلُ قَوْمِي وَقَوْمُكَ ؟ ابرُزْ لِي ، أو ابرُزْ لِي مَنْ شئت ، فإن قتلْتُكَ كان الملكُ لِي ، وإن قُتِلْتُني كان الملكُ لك . فأرسل طالوت في عسكره صائِحًا : مَنْ يبرُزْ لجالوت ! ثم ذكر قصة طالوت وجالوت وقتل داود إياه ، وما كان من طالوت إلى داود^(١) .

* * *

قال أبو جعفر : وفي هذا الخبر بيان أن داود قد كان الله حوّل الملك له قبل قتله جالوت ، وقبل أن يكون من طالوت إليه ما كان من محاولته قتله ، وأما سائر مَنْ روينا عنه قولاً في ذلك ، فإنهم قالوا : إنما ملك داود بعد ما قتل طالوت وولده .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - فيما ذكر لي بعض أهل العلم - عن وهب بن منبّه قال : لما قتل داود جالوت ، وانهمز جندُه قال الناس : قتل داود جالوت وخلع طالوت ، وأقبل الناس على داود مكانه حتى لم يسمع لطالوت بذكر .

قال : ولما اجتمعت بنو إسرائيل على داود أنزل الله عليه الزبور ، وعلمه صنعة الحديد ، وألّاهُ له ، وأمر الجبال والطير أن يسبحن معه إذا سبح ، ولم يعط الله - فيما يذكرون - أحداً من خلقه مثل صوته ، كان إذا قرأ الزبور - فيما يذكرون - ترنوله الوحوش^(٢) حتى يؤخذ بأعناقها ، وإنها لمُصْبِخَةٌ تسمع لصوته ، وما صنعت الشياطينُ المزاميرَ والبرابيط والصنوج^(٣) إلا على أصناف صوته ، وكان شديد الاجتهاد ، دائب العبادة ، كثير البكاء ، وكان كما وصفه الله عزّ وجلّ لنبيه محمد عليه السلام فقال : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ۖ

(١) الخبر وبقيته في التفسير ٥ : ٣٥٩ - ٣٦٣ .

(٢) كذا في أ ، ن ، وفي ط : « الوحش » .

(٣) المزامير : جمع مزمار ؛ وهو ما يزمّر به . والبرابيط : جمع بربط ؛ وهو العود .

والصنوج : جمع صنع ؛ وهو آلة بأوتار يضرب بها .

ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿٢﴾ ،
يعنى بذلك ذا القوة .

وقد حدثنا بشر بن معاذ ، قال ، حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ، قال : أعطى قوة في العبادة ، وفقها في الإسلام . وقد ذُكِرَ (٢) لنا أن داود عليه السلام كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر (٣) . وكان يحرسه — فيما ذكر — في كل يوم وليلة أربعة آلاف .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾ (٤) ، قال : كان يحرسه كل يوم وليلة أربعة آلاف .

وذكر أنه تمت يومًا من الأيام على ربه منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، وسأله أن يمتحنه بنحو الذي كان امتحنهم ، ويعطيه من الفضل نحو الذي كان أعطاهم .

فحدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، قال : قال السدي : كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام : يومًا يقضي فيه بين الناس ، ويومًا يخلو فيه لعبادة ربه ، ويومًا يخلو فيه لنسائه ، وكان له تسع وتسعون امرأة ، وكان فيما يقرأ من الكتب أنه كان يجد فيه فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فلما وجد ذلك فيما يقرأ (٥) من الكتب ، قال : يا رب أرى الخير كله قد ذهب به آباء الذين كانوا قبلي ، فأعطني مثل ما أعطيتهم ، وافعل بي مثل ما فعلت بهم . قال : فأوحى الله إليه أن آباءك ابتلوا ببلايا لم تبتل بها ، ابتلى إبراهيم بذبح ابنه ، وابتلى إسحاق بذهاب بصره ، وابتلى يعقوب بحزنه على ابنه يوسف ، وإنك لم تبتل من ذلك بشيء . قال : يا رب ابتلني بمثل ما ابتليتهم به ، وأعطني مثل ما أعطيتهم . قال :

(١) سورة ص ١٧ ، ١٨ (٢) كذا في التفسير ، وفي ط : « فذكر » .

(٣) إل هنا الخبر في التفسير ٢٣ : ٨٦ (بولاقي) . (٤) سورة ص ٢٠ .

(٥) ١ : « قرأ » .

فأوحى إليه إنك مبتلى فاحترس^(١). قال: فكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث إذ جاءه الشيطان قد تمثل في صورة حمامة من ذهب، حتى وقع عند^(٢) رجلتيه وهو قائم يصلي، قال: فدّ يده ليأخذه فتنحّي فتبعه، فتباعد حتى وقع في كوة، فذهب ليأخذه، فطار من الكوة، فنظر: أين يقع فيبعث^(٣) في أثره، قال: فأبصر امرأة تغتسل على سطح لها، فرأى امرأة من أجمل النساء^(٤) خلقاً، فحانت منها التفاتة فأبصرته، فألقّت شعرها فاستترت به، قال: فزاده ذلك فيها رغبة، قال: فسأل عنها فأخبر أن لها زوجاً، وأن زوجها غائب بمسلة كذا وكذا، قال: فبعث إلى صاحب المسلة يأمره أن يبعث أهرى إلى عدوّ كذا وكذا. قال: فبعثه ففتح له، قال: وكتب إليه بذلك، فكتب إليه أيضاً: أن ابعثه إلى عدوّ كذا وكذا، أشدّ منهم بأساً. قال: فبعثه ففتح له أيضاً، قال: فكتب إلى داود^(٥) بذلك، قال: فكتب إليه أن ابعثه إلى عدوّ كذا وكذا. قال: فبعثه، قال: فقتل المرّة الثالثة، قال: وتزوَّج داود امرأته، فلما دخلت عليه لم تلبث عنده إلا يسيراً حتى بعث الله مَلَكَين في صورة إنسيّين فطلبا أن يدخلوا عليه، فوجداه في يوم عبادته، فمنعهما الحرس أن يدخلوا عليه، فتسوّرا عليه المحرّاب، قال: فما شعروا وهو يصلي إذا هوبهما بين يديه جالسين، قال: ففزع منهما، فقالا: لا تخف، إنما نحن خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط، يقول: لا تحيف، وأهدنا إلى سوء الصراط إلى عدل القضاء. قال: قصّاً على قصّتكما، قال: فقال أحدهما: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَمَجَةً وَلِيَ نَمَجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾^(٦). فهو يريد أن يأخذ نعجتي، فيكمّل بها نعاجه مائة، قال: فقال للآخر:

(١) ن: «فاصبر».

(٢) ١: «بين رجلتيه».

(٣) ١: «وقع فتبعه»، وفي ن: «فيتبع أثره».

(٤) ن والتفسير: «الناس».

(٥) ن والتفسير: «إليه».

(٦) سورة ص ٢٢، ٢٣.

ما تقول؟ فقال: إن لي تسعاً وتسعين نعجة، ولأخي هذا نعجة واحدة، فأنا أريد أن آخذها منه، فأكمل بها نعاجي مائة، قال: وهو كاره! قال: وهو كاره، قال: إذاً لا نَدْعُكَ وذاك، قال: ما أنت على ذلك بقادر! قال: فإن ذهبت تَرُومُ ذلك أو تريد ذلك، ضرينا منك هذا وهذا - وفسّر أسباط طَرَفِ الأنف والجبهة - فقال: يا داود، أنت أحقُّ أن يُضْرَبَ منك هذا وهذا، حيث لك تسع وتسعون امرأة، ولم يكن لأهريّا (١) إلا امرأة واحدة. فلم تزل به تعرّضه للقتل حتى قُتِلَ، وتزوَّجت امرأته. قال: فنظر فلم يرَ شيئاً، قال: فعرّف ما قد وقع فيه، وما ابتلي به، قال: فخرّ ساجداً يبكي، قال: فكث يبكي ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا لحاجة لا بدّ منها، ثم يقَع ساجداً يبكي، ثم يدعو حتى نبت العُشب من دموع عينيه، قال: فأوحى الله عزّ وجلّ إليه بعد أربعين يوماً: يا داود، ارفع رأسك فقد غفرتُ لك، فقال: يا ربّ، كيف أعلم أنّك قد غفرتَ لي وأنت حَكَمٌ عدل لا تحيفُ في القضاء؛ إذا جاء أهريّا يومَ القيامة آخذاً رأسه بيمينه أو بشماله تشخّب أوداجه (٢) دماً في قَبْلِ عرشك: يقول: يا ربّ، سل هذا فيمَ قتلني! قال: فأوحى الله إليه: إذا كان ذلك دعوتُ أهريّا فأستوهبك منه، فيهبك لي فأثيبه بذلك الجنة. قال: ربّ الآن علمت أنّك قد غفرتَ لي، قال: فما استطاع أن يملأ عينيه من السماء حياءً من ربه حتى قبض (٣).

حدثني علي بن سهل، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر، قال: حدثني عطاء الخراساني، قال: نقش داود خطيبته في كفّه لكيلا ينساها؛ فكان إذا رآها خَفَقَتْ يدُه واضطربت.

* * *

وقد قيل: إن سببَ الحنة بما امتحن به، أن نفسه حدثته أنه يُطَبَّق قطع يوم من الأيام بغير مُقارفة سوء، فكان اليوم الذي عَرَضَ له فيه ما عرض، اليوم الذي ظنّ أنه يقطعه بغير اقتراف سوء.

(١) ن: «لأوريا». (٢) تشخّب أوداجه: تسيل دماً.

(٣) الخبر في التفسير ٢٣: ٩٢، ٩٤ (بولاق).

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن مطر ، عن الحسن ، أن داود جزأ الدهر أربعة أجزاء : يوماً لِنِساته ، ويوماً لعبادته ، ويوماً لقضاء بني إسرائيل ، ويوماً لبني إسرائيل ، يذاكرهم ويذاكرونه ، ويُبكيهم ويُسكونه . فلما كان يوم بني إسرائيل ، ذكروا فقالوا : هل يأتي على الإنسان يومٌ لا يصيب فيه ذنباً ! فأضمر داود في نفسه أنه سيُطبق ذلك ، فلما كان يوم عبادته غلق^(١) أبوابه ، وأمر ألاَّ يُدخل عليه أحد ، وأكب على التوراة ، فبينما هو يقرأها إذا حمامة من ذهب ، فيها من كل لون حسن ، قد وقعت بين يديه ، فأهوى إليها ليأخذها ، قال : قطارت فوقعت غير بعيد ، من غير أن تؤثِّسَه من نفسها ، قال : فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل ، فأعجبه خلقُها وحسنها ، فلما رأت ظله في الأرض جللت نفسها بشعرها ، فزاده ذلك أيضاً إعجاباً بها ، وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه ، فكتب إليه أن يسير إلى مكان كذا وكذا (مكان إذا سار إليه لم يرجع) قال : ففعل فأصيب ، فخطبها ففترَّجها — قال : وقال قتادة بلغنا أنها أم سليمان — قال : فبينما هو في المحراب إذ تسوَّر الملكان عليه ، وكان الحصان إذا أتوه يأتونه من باب المحراب ، ففزع منهم حين تسوَّروا المحراب ، فقالوا : ﴿ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَلَا تَشْطِطْ ﴾ أي ولا تمل ﴿ وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ أي أعدله وخيره ، ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ — وكان لداود تسع وتسعون امرأة — ﴿ وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ قال : وإنما كان للرجل امرأة واحدة ﴿ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ ، أي ظلمني وقهرني . ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ ﴾ — إلى ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ ﴾ ، فعلم أنما أضمر له ، أي عتني بذلك ، ﴿ فَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾^(٢) .

(١) والتفسير : « أغلق » .

(٢) سورة ص ٢٢ - ٢٤ ، والخبر في التفسير ٢٣ : ٩٤ ، ٩٥ (بولاق) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : سمعت
ليثاً يذكر عن مجاهد ، قال : لما أصاب داود الخطيئة ، خَرَّ لَهِ لَهِ ساجداً أربعين
يوماً ، حتى نبت من دموع عينيه من البقل ما غطى رأسه ، ثم نادى : يا رب
قَرِّحْ الجبين ، وَجَمَدْتَ العين ! وداود لم يُرْجَعْ إليه في خطيئته شيء . فنودي :
أجائع فتطعم ؟ أم مريض فتشفي ؟ أم مظلوم فينتصر لك ! قال : فحب
نَحْبَةٍ هاج كل شيء كان نبت ، فعند ذلك غُفِرَ له . وكانت خطيئته
مكتوبة بكفه يقرؤها ، وكان يؤتى بالإناء ليشرب فلا يشرب إلا ثلثه أو نصفه ،
وكان يذكر خطيئته فينتحب النَحْبَةَ تكاد مفاصله يزول بعضها عن (١) بعض ،
ثم ما يتم شربه حتى يملأ الإناء من دموعه . وكان يقال : إن دمعة داود تعدل دمعة
الخلاتق ، ودمعة آدم تعدل دمعة داود ودمعة الخلاتق . قال : وهو يحيى يوم
القيامة خطيئته مكتوبة بكفه فيقول : رب ذنبى ذنبى قَدَّمْتَنِي ! قال :
فيقْدَمُ فلا يأمن ، فيقول : رب أخرنى ، قال : فيؤخر فلا يأمن (٢) .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني
ابن لهيعة ، عن أبي صخر ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك يقول (٣) :
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن داود النبي عليه السلام حين
نظر إلى المرأة (٤) فأهيم ، قَطَعَ (٥) على بني إسرائيل بعثاً ، فأوصى صاحب
البعث ، فقال : إذا حضر العدو فقرب فلاناً بين يدي التابوت ، وكان التابوت
في ذلك الزمان يستنصر به مَنْ قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل
أو ينهزم عنه الجيش ، فقُتِلَ زوج المرأة ، ونزل الملكان على داود يقصان عليه
قصته ، ففطن داوداً فسجد ، فكث أربعين (٦) ليلة ساجداً ، حتى نبت
الزرع من دموعه على رأسه ، وأكلت الأرض من جبينه ، وهو يقول في سجوده -

(١) ح ، س : « من بعض » .

(٢) الخبر في التفسير ٢٣ : ٩٦ (بولاق)

(٣) ١ : « قال » ، وفي التفسير : « سمعه يقول » .

(٤) ط : « امرأة » ؛ وما أثبتته عن التفسير .

(٥) أى أفرد قوماً منهم ، وبمعنى في الغزو ؛ ومنه الحديث : « كان إذا أراد أن يقطع بعثاً ... »

وانظر النهاية لابن الأثير ٣ : ٢٦٤ . (٦) ن : « أربعين يوماً وليلة » .

فلم أحص (١) من الرقاشي إلا هؤلاء الكلمات : رَبُّ زَلَّ داود زلةً أبعد مما بين المشرق والمغرب ! رَبُّ إِنْ لم ترحم ضَعُفَ داود ، وتغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثاً في الخُلُوف من بعده . فجاء جبرئيلُ من بعد أربعين ليلةً فقال : يا داود ، إِنَّ الله قد غفر لك الهمَّ الذي هممتَ به ، فقال داود : قد علمتُ أَنَّ الله قادر على أن يغفر لي الهمَّ الذي هممتُ به ، وقد عرفتُ أَنَّ الله عدلٌ لا يميل ، فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة ؟ فقال : يا رَبِّ دُمى الذي عند داود ! فقال جبرئيل : ما سألتُ ربَّكَ عن ذلك ، ولئن شئتَ لأفعلنَّ ، قال : نعم ، قال : فخرج جبرئيل وسجد داود ، فكث ما شاء الله ثم نزل ، فقال : قد سألتُ الله يا داود عن الذي أرسلتني فيه فقال : قل له : يا داود ، إِنَّ الله يجمعكما يوم القيامة فيقول : هب لي دَمَك الذي عند داود ، فيقول : هو لك يا رَبِّ ، فيقول : فإن لك في الجنة ما شئت وما اشتيت عِوَضاً (٢) .

٥٧٠/١

* * *

ويزعم (٣) أهلُ الكتاب أن داود لم يزل قائماً بالملك بعد طالوت إلى أن كان من أمره وأمر امرأة أوريا ما كان ، فلما واقع ما واقع من الخطيئة اشتغل بالتوبة منها - فيما زعموا - واستخف به بنو إسرائيل ، ووثب عليه ابن له يقال له إيشي ، فدعا إلى نفسه فاجتمع إليه أهلُ الزَّيغ من بني إسرائيل ، قالوا : فلما تاب الله على داود ثابتٌ إليه ثابتة من الناس ، فحارب ابنه حتى هزمه ، ووجهه في طلبه قائداً من قواده ، وتقَدَّم إليه أن يتوق حَتَفَهُ ، ويتلطَّف لأسره ، فطلبه القائد وهو منهزم ، فاضطره إلى شجرة فركض فيها - وكان ذا جُمَّة - فتعلق بعض أغصان الشجرة بشعره فحبسه ، ولحقه القائد فقتله مخالفاً لأمر داود ، فحزن داود عليه حزناً شديداً ، وتنكر للقائد ، وأصاب بني إسرائيل في زمانه طاعون جارف ، فخرج بهم إلى موضع بيت المقدس يدعون الله ويسألونه كشف ذلك البلاء عنهم ، فاستجيب لهم ، فاتخذوا ذلك الموضع مسجداً ، وكان ذلك - فيما قيل - لإحدى عشرة سنة مضت من ملكه . وتوفى قبل أن يستم بناءه ، فأوصى

٥٧١/١

(١) ن ؛ « أحفظ » .

(٢) الخبر في التفسير ٢٣ : ٩٦ (بولاق) .

(٣) أ : « وزعم » .

إلى سليمان باستقامته ، وقتل القائد الذي قتل أخاه ، فلما دفنه سليمان نُفذ لأمره في القائد وقتله ، واستتم بناء المسجد .

وقيل في بناء داود ذلك المسجد ما حدثنا محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثني إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن منبه يقول : إن داود أراد أن يعلم عدد بني إسرائيل كم هم ؟ فبعث لذلك عُرّقاء ونقباء ، وأمرهم أن يرفعوا إليه ما بلغ عددُهم ، فعتب الله عليه ذلك ، وقال : قد علمت أني وعدت إبراهيم أن أبارك فيه وفي ذريته حتى أجعلهم كعدد نجوم السماء ، وأجعلهم لا يحصى عددُهم ، فأردت أن تعلم عدد ما قلت : إنه لا يحصى عددُهم ، فاخترتوا بين أن أبتليكم بالجوع ثلاث سنين ، أو أسلط عليكم العدو ثلاثة أشهر ، أو الموت ثلاثة أيام ! فاستشار داود في ذلك بني إسرائيل فقالوا : ما لنا بالجوع ثلاث سنين صبر ، ولا بالعدو ثلاثة أشهر ، فليس لهم بقيّة ، فإن كان لا بدّ فالموت بيده لا بيد غيره . فذكر وهب بن منبه أنه مات منهم في ساعة من نهار ألف ٥٧٢/١ كبيرة ، لا يدري ما عددهم ، فلما رأى ذلك داود، شقّ عليه ما بلغه من كثرة الموت ، ففتنّ إلى الله ودعاه فقال : يا ربّ ، أنا آكلُ الحماض^(١) وبنو إسرائيل يضرّسون ! أنا طلبتُ ذلك فأمرتُ به بني إسرائيل ، فما كان من شيء في^(٢) واعفُ عن بني إسرائيل . فاستجاب الله له ورفع عنهم الموت ، فرأى داود الملائكة سالّين سيوفهم يغمسونها ، يرتقون في سلّم من ذهب من الصخرة إلى السماء ، فقال داود : هذا مكان ينبغي أن يُبنى فيه مسجد ، فأراد داود أن يأخذ في بنائه ، فأوحى الله إليه أن هذا بيت مقدّس ، وأنت قد صبغت يديك في الدماء ، فلست ببانيه ، ولكن ابن لك أملكه بعدك أسميه^(٣) سليمان ، أسلمه من الدماء .

فلما ملك سليمان بناءه وشرّفه ، وكان عمر داود — فيما وردت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم — مائة سنة .

وأما بعض أهل الكتب ، فإنه زعم أن عمره كان سبعاً وسبعين سنة ، وأن مُدّة ملكه كانت أربعين سنة .

(١) الحماض : ما في جوف الأترجة . (٢) ن : « فني » . (٣) ا : « اسمه » .

ذكر

خبر سليمان بن داود عليهما السلام

ثم ملك سليمان بن داود بعد أبيه داود أمر بني إسرائيل ، وسخر الله له الجن والإنس والطير والريح ، وآتاه مع ذلك النبوة ، وسأل ربه أن يؤتیه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ، فاستجاب [الله] ^(١) له فأعطاه ذلك .

كان فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه : إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكفت عليه الطير ، وقام له الإنس والجن ، حتى يجلس على سريره ^(٢) ، وكان - فيما يزعمون - أبيض جسيماً وضيقاً ، كثير الشعر يلبس من الثياب البياض ، وكان أبوه في أيام ملكه بعد أن بلغ سليمان مبلغ الرجال يشاوره - فيما ذكر - في أموره . وكان من شأنه وشأن أبيه داود الحكم في الغنم التي نفشت في حرث القوم ، الذين قصّر الله في كتابه خبرهم وخبرهما فقال : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ فقهرمناها سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ^(٣) .

فحدثنا أبو كريب وهارون بن إدريس الأصم ، قالا : حدثنا المحاربي ، عن أشعث ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ، عن ابن مسعود في قوله : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ﴾ ، قال : كرم قد أنبت عناقيده فأفسدته ، قال : فقصي داود بالغنم لصاحب الكرم ، فقال سليمان : غير هذا يا نبي الله ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : تدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان ، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها ، حتى إذا كان الكرم كما كان ، دفعت الكرم إلى

(١) تكله من ا . (٢) ن : « جلس مجلسه » . (٣) سورة الأنبياء ٧٨ ، ٧٩

صاحبه ، ودفعت الغنم إلى صاحبها . فذلك قوله : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ . ٥٧٤/١
 وكان رجلاً غزّاء لا يكاد يقعد عن الغزو ، وكان لا يسمع بملك في ناحية
 من الأرض إلا أنه حتى يذّله . وكان فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ،
 عن ابن إسحاق - فيما يزعمون - إذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب له بخشب ،
 ثم نصب له على الخشب ، ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها ، حتى
 إذا حمل معه ما يريد ، أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب ،
 فاحتملته حتى إذا استقلت به أمر الرّخاء فرّ به شهراً في رَوْحته ، وشهراً في
 غدوته إلى حيث أراد . يقول الله عز وجل : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِ رُحَاءٍ حَيْثُ أَصَابَ ﴾ ^(٢) ، أى حيث أراد ، وقال الله : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ
 غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوْاحُهَا شَهْرٌ ﴾ ^(٣) .

قال : وذكر لى أن منزلاً بناحية دجلة مكتوب فيه : كتاب كتبه بعض
 أصحاب ^(٤) سليمان ، إما من الجن ، وإما من الإنس : « نحن نزلناه وما بنيناه ،
 ومبيناً وجدناه ، غدونا من إصطخر فقلنسأه ^(٥) » ، ونحن راثعون منه إن شاء الله ،
 فباتون ^(٦) بالشام ^(٧) .

قال : وكان - فيما بلغني - لتمر بعسكره الريح ، والرّخاء ^(٨) تهوى به إلى ما أراد ،
 وإنها لتتمر بالمرزعة فما تحرّكها .

وقد حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثني الحسين ، قال : حدثني
 حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : بلغنا أن سليمان
 كان عسكره مائة فرسخ ، خمسة وعشرون منها للإنس ، وخمسة وعشرون للجن ،
 وخمسة وعشرون للوحش ، وخمسة وعشرون للطير ، وكان له ألف بيت من
 قوارير على الخشب ، فيها ثلثمائة صريجة ، وسبعمائة سرية ، فأمر الريح العاصف

(١) الخبر في التفسير ١٧ : ٣٨ (بولاق) (٢) سورة ص ٣٦

(٣) سورة سبأ ١٢ (٤) أ والتفسير : « صحابة » .

(٥) ١ : « فقلنسأه » . (٦) ١ ، ن : « فأتون » .

(٧) الخبر في التفسير ٢٢ : ٤٨ (بولاق) . (٨) الرّخاء : الريح اللينة .

فرفعته^(١) وأمر الرخاء فسيّرتَه ، فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض :
 أنى قد زدتُ في ملكك ، أنه لا يتكلم أحدٌ من الخلائق إلا جاءت به الريح
 وأخبرتكَ .

حدثني أبو السائب ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن
 المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : كان سليمان
 ابن داود يوضع له ستمائة كرسيّ ، ثم يجيء أشرافُ الإنس فيجلسون مما يليه ، ثم
 يجيء أشرافُ الجنّ فيجلسون مما يلي الإنس ، قال : ثم يدعُو الطير فتظلمهم ،
 ثم يدعُو الريح فتحملهم ، قال : فتسير في الغداة الواحدة مسيرة شهر . ٥٧٦/١

(١) كذا في ١ ، ورق ط : « فرفعه » .

ذكر

ما انتهى إلينا من مغازي سليمان عليه السلام

فمن ذلك غزوته التي راسل فيها بلقيس - وهي فيما يقول أهل الأنساب - يلمقة^(١) ابنة الإشرع - ويقول بعضهم : ابنة أبي شرح ، ويقول بعضهم : ابنة ذي شرح - بن ذي جدن بن أبي شرح بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان . ثم صارت إليه سليماً بغير حرب ولا قتال . وكان سبب مراسلته إياها - فيما ذكر - أنه فقد الهدهد يوماً في مسير كان يسيره ، واحتاج إلى الماء فلم يعلم من حضره بعده ، وقيل له علم ذلك عند الهدهد ، فسأل عن الهدهد فلم يجده . وقال بعضهم : بل إنما سأل سليمان عن الهدهد لإخلاقه بالنبوة . فكان من حديثه وحديث مسيره ذلك وحديث بلقيس ، ما حدثني العباس ابن الوليد الأملي ، قال : حدثنا علي بن عاصم ، قال : حدثنا عطاء بن السائب ، قال : حدثني مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : كان سليمان بن داود إذا سافر أو أراد سفرًا قعد على سريره ، ووضعت الكراسي يمينًا وشمالاً ، فيأذن للإنس ، ثم يأذن للجن عليه بعد الإنس ، فيكونون خلف الإنس ، ثم يأذن للشياطين بعد الجن فيكونون خلف الجن ، ثم يرسل إلى الطير فتظلمهم من فوقهم ، ثم يرسل إلى الريح فتحملهم وهو على سريره ، والناس على الكراسي فتسير بهم ، غدوها شهر ورواحها شهر ، رخاء حيث أصاب ، ليس بالعاصف ولا اللين ، وسطا بين ذلك . فبينما سليمان يسير - وكان سليمان اختار من كل طير طيراً ، فجعله رأس تلك الطير ، فإذا أراد أن يسأل شيئاً من تلك الطير عن شيء سأل رأسها - فبينما سليمان يسير إذ نزل مفازة فسأل عن بعد الماء ها هنا ، فقال الإنس : لا ندري ، فسأل الجن فقالوا : لا ندري ، فسأل الشياطين ، فقالوا : لا ندري ، فغضب سليمان فقال : لا أبرح حتى أعلم كم بعد مسافة الماء ها هنا ! قال : فقالت له الشياطين : يا رسول الله لا تغضب ، فإن يك شيئاً يعلم فالهدهد يعلمه ، فقال^(٢) سليمان : على بالهدهد ، فلم يوجد ، فغضب

(١) ح : « بلعمه » ، ا ، س : « بلقمة » . (٢) ط : « قال »

سليمان فقال : ﴿ مَا لِي لَا أَرَى الْهَدْدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ۚ لَا عَذَابَ لَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ ^(١) ، يقول : بعذر مبيّن [لِمَ] غاب عن مسيرى هذا ؟ وكان عقابه للطير أن ينتف ريشه ويشمسه فلا يستطيع أن يطير ، ويكون من هوام الأرض إن أراد ذلك ، أو يذبحه ، فكان ذلك عذابه .

قال : ومرة الهدد على قصر بلقيس ، فرأى بستاناً لها خلف قصرها ، قال إلى الخضره فوق عليها ، فإذا هو بهدهد لها في البستان ، فقال هدهد سليمان : أين أنت عن سليمان ؟ وما تصنع ها هنا ؟ قال له هدهد بلقيس : ومن سليمان ؟ فقال : بعث الله رجلاً يقال له سليمان رسولاً ، وسخر له الريح والجن والإنس والطير . قال : فقال له هدهد بلقيس : أى شيء تقول ! قال : أقول لك ما تسمع ، قال : إن هذا لعجب ، وأعجب من ذاك أن كثرة هؤلاء القوم تملكهم امرأة ، ﴿ أَوْتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ ، جعلوا الشكر لله أن يسجدوا للشمس من دون الله . قال : وذكر الهدد سليمان فنهض عنه ، فلما انتهى إلى العسكر تلقته الطير وقالوا : توعدك رسول الله ، فأخبروه بما قال . قال : وكان عذاب سليمان للطير أن ينتف ريشه ويشمسه فلا يطير أبداً ، فيصير من هوام الأرض ، أو يذبحه فلا يكون له نسل أبداً . قال : فقال الهدد : أو ما استثنى رسول الله ؟ قالوا : بل قال : أو ليأتينى بعذر مبيّن ، قال : فلما أتى سليمان ، قال : ما غيبك عن مسيرى ؟ قال : ﴿ أَحْطَطُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ بَنِيَّ يَقِينٌ ﴾ حتى بلغ ﴿ فَأَنْظِرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ ^(٢) . قال : فاعتل له بشيء ، وأخبره عن بلقيس وقومها ما أخبره الهدد ، فقال له سليمان : قد اعتلت ، ﴿ سَتَنْظُرُ أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۚ إِذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَاَلِقْهُ لَيْنِهِمْ ﴾ ^(٣) ، قال : فوافقها وهى فى قصرها ، فألقى إليها

٥٧٨/١

٥٧٩/١

(١) سورة النمل ٢٠ ، ٢١

(٢) سورة النمل ٢٣ - ٢٨

الكتاب فسقط في حجرها أنه كتاب كريم، وأشفقت منه، فأخذته وألقت عليه ثيابها، وأمرت بسريرها فأخرج، فخرجت فقعدت عليه، ونادت في قومها؛ فقالت لهم: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾^(١) ولم أكن لأقطع أمراً حتى تشهدون، ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ - إلى - ﴿وَأِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾^(٢)، فإن قبلها فهذا ملك من ملوك الدنيا وأنا أعز منه وأقوى، وإن لم يقبلها فهذا شيء من الله.

فلما جاء سليمان الهدية قال لهم سليمان: ﴿أَتُمَدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ﴾ - إلى قوله: ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(٣)، يقول: وهم غير محمودين. قال: بعثت إليه بخزنة غير مثقوبة، فقالت: اثقب هذه، قال: فسأل سليمان الإنس فلم يكن عندهم علم ذاك، ثم سأل الجن فلم يكن عندهم علم ذاك، قال: فسأل الشياطين، فقالوا: ترسل إلى الأرضة، فجاءت الأرضة فأخذت شعرة في فيها فدخلت فيها فنقبت بها بعد حين، فلما رجع إليها رسولها^(٤) خرجت فزعة في أول النهار من قومها وتبعها قومها. قال ابن عباس: وكان معها ألف قبيل.

قال ابن عباس: أهل اليمن يسمون القائد قبلاً، مع كل قبيل عشرة آلاف. قال العباس: قال علي: عشرة آلاف ألف.

قال العباس: قال علي: فأخبرنا حصين بن عبد الرحمن، قال: حدثني عبد الله بن شداد بن الحاد، قال: فأقبلت بلكيس إلى سليمان ومعها ثلثمائة قبيل واثنان عشر قبلاً، مع كل قبيل عشرة آلاف.

قال عطاء، عن مجاهد، عن ابن عباس: وكان سليمان رجلاً مهيباً لا يُبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يُسأل عنه، فخرج يومئذ فجلس على سريرته،

(١) سورة النمل ٢٩ - ٣١ (٢) سورة النمل ٣٣ - ٣٥ (٣) سورة النمل ٣٦، ٣٧ (٤) ط: «رسلها»، وما أثبت عن أ.

فرأى رهجاً قريباً منه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : بلقيس يارسول الله ، قال : وقد نزلت منّا بهذا المكان ! قال مجاهد : فوصف لنا ذلك ابن عباس فحزرتّه ما بين الكوفة والحيرة قد رفرسح ، قال : فأقبل على جنوده فقال : ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرَشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ﴿ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ إِلَى الْحَيْنِ الَّذِي تَقُومَ إِلَى غَدَائِكَ . قال : قال سليمان : مَنْ يَأْتِينِي بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ ؟ ﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴿ ، فنظر إليه سليمان ، فلما قطع كلامه ردّ سليمان بصره على العرش ، فرأى سريره قد خرج ونبع من تحت كرسیه ، ﴿ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ ﴾ إذ أتاني به قبل أن يرتدّ إلى طرفي ﴿ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ إذ جعل مَنْ تَحْتَ يَدِي أَقْدَرَ عَلَى الْحِجَى بِهِ مِنْنِي . قال : فوضعوا لها عرشها ، قال : فلما جاءت قعدت إلى سليمان ، قيل لها : ﴿ أَهَكَذَا عَرْشُكَ ﴾ ؟ فنظرت إليه فقالت : ﴿ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ ^(١) ! ثم قالت : لقد تركته في حصوني ، وتركت الجنود محيطة به ، فكيف جئ به هذا يا سليمان ! إني أريد أن أسألك عن شيء فأخبرني ، قال : سألني ، قالت : أخبرني عن ماء رواء ، لا من سماء ولا من أرض - قال : وكان إذا جاء سليمان شيء لا يعلمه بدأ فسأل الإنس عنه ، فإن كان عند الإنس فيه علم وإلاّ سأل الجن ، فإن لم يكن عند الجن علم به سأل الشياطين - قال : فقالت له الشياطين : ما أهون هذا يارسول الله ! مرّ الخيل فلتجبر ثم تملأ الآنية من عرقها ، فقال لها سليمان : عرّق الخيل ، قالت : صدقت . قالت : أخبرني عن لون الرب . قال : قال ابن عباس : فوثب سليمان عن سريره فخرّ ساجداً . قال العباس : قال عليّ : فأخبرني عمرو بن عبّيد ، عن الحسن ، قال : صعب فغشي عليه ، فخرّ عن سريره .

٥٨١/١

٥٨٢/١

ثم رجع ، إلى حديثه قال : فقامت عنه ، وتفرقت عنه جنوده ، وجاءه

الرسول فقال : يا سليمان ، يقول لك ربك : ما شأنك ؟ قال : سألتني عن أمر يكابرني—أو يكابدني—أن أعيدَه ، قال : فإنَّ الله يأمرُك أن تعودَ إلى سربك فتقعد عليه ، وترسل إليها وإلى مَنْ حضرها من جنودها ، وترسل إلى جميع جنودك الذين حضروا فيدخلوا عليك فتسألها وتسألهم عما سألتك عنه . قال : ففعل ، فلما دخلوا عليه جميعاً ، قال لها : عمَّ سألتني ؟ قالت : سألتك عن ماء رَوَاء ، لا من سماء ولا من أرض ، قال : قلت لك : عرق الخيل ، قالت : صدقت ، قال : وعن أى شيء سألتني ؟ قالت : ما سألتك عن شيء غير هذا . قال : قال لها سليمان ، فلأى شيء خرتُ عن سريري ؟ قالت : قد كان ذاك لشيء لا أدري ما هو—قال العباس : قال علي : نسيته—قال : فسأل جنودها فقالوا مثل ما قالت ، قال : فسأل جنودَه من الإنس والجن والطيور وكل شيء كان حضره من جنوده ، فقالوا : ما سألتك يا رسول الله إلا عن ماء رَوَاء ، قال — وقد كان قال له الرسول : يقول الله لك : عُدْ إلى مكانك فإنني قد كفيْتُكمهم — قال : وقال سليمان : للشياطين : ابنُوا لي صَرْحاً تدخل عليّ فيه بلقيس ، قال : فرجع الشياطين بعضهم إلى بعض ، فقالوا : سليمان رسول الله قد سخرَ الله له ما سخرَ ، وبلقيس مائة سبأ ينكحها ٥٨٣/١ فتلد له (١) غلاماً ، فلا تنفك من العبودية أبداً .

قال : وكانت امرأة شعراء (٢) الساقين ، فقالت الشياطين : ابنوا له بنياناً ليري ذلك منها ، فلا يتروجها ، فبنوا له صرحاً من قوارير أخضر ، وجعلوا له طوابيق من قوارير كأنه الماء ، وجعلوا في باطن الطوابيق كل شيء يكون من الدواب في البحر من السمك وغيره ، ثم أطبقوه ، ثم قالوا لسليمان : ادخل الصرح ، قال : فأتيت لسليمان كرسي في أقصى الصرح ، فلما دخله ورأى ما رأى أتى الكرسي ، فقعده عليه ، ثم قال : أدخلوا عليّ بلقيس ، فقبل لها : ادخلي الصرح ، فلما ذهبت تدخله رأت صورة السمك وما يكون في الماء من الدواب ، فحسبته لُجّة (حسبه ماء) وكشفت عن ساقبها لتدخل ، وكان شعرُ ساقبها ملتويّاً على ساقبها ، فلما رآها سليمان ، ناداها—وصرف بصره عنها : إنه صرح مُرد من

(١) ح ، س : « فتلد منه » . (٢) ح : « كثيرة شعر الساقين » .

قوارير ، فألقت ثوبها فقالت : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) قال : فدعا سليمان الإنس فقال : ما أقبح هذا ! ما يُذهِبُ هذا ؟ قالوا : يا رسول الله موسى . قال : المواسي تقطع ساقبي المرأة . قال : ثم دعا الجن فسألهم فقالوا : لا نَدْرِي ، ثم دعا الشياطين فقال : ما يُذهِبُ هذا ؟ قالوا مثل ذلك : الموسي ، فقال : المواسي تقطع ساقبي المرأة . قال : فتلكثوا عليه ، ثم جعلوا له النُورَة — قال ابن عباس : فإنه لأول يوم رُئيت فيه النُورَة — فاستنكحها سليمان .

٥٨٤/١

حدثنا ابن حميد : قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب ابن منبه ، قال : لما رجعت الرسل إلى بلقيس بما قال سليمان ، قالت : قد والله عرفت ما هذا بملك ، وما لنا به من طاقة ، وما نصنع بمكائثرته شيئاً ، وبعثت إليه أنتى قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك ، وما تدعوا إليه من دينك . ثم أمرت بسرير مملوكها الذي كانت تجلس عليه — وكان من ذهب مفضّص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ — فجعل في سبعة أبيات بعضها في بعض ، ثم أقفلت ^(٢) على الأبواب ، وكانت ^(٣) إنما تتخذُ منها النساء ، معها سائمة امرأة تتخذُ منها . ثم قالت لمن خلّفت على سلطانها : احتفظ بما قبلك ، وسرير ملكي فلا يخلص إليه أحد ولا يرينه حتى آتيك . ثم شخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قبيل معها من ملوك اليمن ، تحت يد كل قبيل منهم ألوف كثيرة ، فجعل سليمان يبعث الجن فيأتونه بمسيرها ومنتهاها كل يوم وليلة ، حتى إذا دنت جمّمع من عنده من الجن والإنس ممن تحت يديه ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْعَمَلُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرَشِي قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ ^(٤) . قال : وأسلمت فحسُن إسلامها . قال : فزعم أن سليمان قال لها حين أسلمت وفرغ من أمرها : اختاري رجلاً من قومك أزوجه ، قالت : ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال ، وقد كان لي في قومي من الملك والسلطان ما كان لي ! قال : نعم ، إنّه

٥٨٥/١

(١) سورة النمل ٤٤ .

(٢) ن : « أغلقت » .

(٣) ط : « فكانت » ، وما أثبتته عن أ .

(٤) سورة النمل ٣٨ .

لا يكون في الإسلام إلا ذلك ، ولا ينبغي لك أن تُحرّمى ما أحلّ الله لك ،
 فقالت : زوجنى إن كان لا بد ذا تُبّع^(١) . مَلِك هَمْدَان ، فزوجها إياها ، ثم
 رَدَّهَا إلى اليمن ، وسلَطَ زوجها ذَاتُبَعَّ على اليمن ، ودعا زوبعة أمير جنّ
 اليمن فقال : اعمل لذى تبّع ما استعملك لقومه . قال : فصنع لذى تبّع
 الصنائع باليمن ، ثم لم يزل بها ملكاً يُعمل له فيها ما أراد ، حتى مات سليمان
 ابن داود عليه السلام .

فلما حال الحول وتبينت الجنّ موتَ سليمان أقبل رجل منهم ، فسلك
 تهامة حتى اذا كان في جوف اليمن صرخ بأعلى صوته : يا معشرَ الجنّ ،
 إن الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم . قال : فعمدت الشياطين إلى حجرين
 عظيمين ، فكتبوا فيهما كتاباً بالمسند : نحن بنينا سَلْحَيْن^(٢) ، سبعة
 وسبعين خريفاً دائيين ، وبنينا صِرَواح ومراح وبَيْسُنُون برحاضة أيديين^(٣) ، وهندة
 وهنيدة ، وسبعة أمجلة بقاعة ، وتلثوم بريدة ، ولولا صارخ بتهامة ، لتركنا
 بالبون إمارة

قال : وسَلْحَيْن [صِرَواح] ومراح وبَيْسُنُون وهندة وهنيدة وتلثوم حصون
 كانت باليمن ، عملتها الشياطين لذى تبّع ، ثم رفعوا أيديهم ، ثم انطلقوا ،
 وانقضى ملك ذى تبّع وملك بلقيس مع ملك سليمان بن داود عليهما السلام .

(١) ط : « بتع » ، وما أثبتته عن ا ومعجم البلدان .

(٢) قال ياقوت : سلحين : حصن عظيم بأرض اليمن كان للثبابة ملوك اليمن . . . قال :

« وزعموا أن الشياطين بنت لذى تبّع ملك همدان حين زوج سليمان بلقيس قصوراً وأبنية وكتبت في
 حجر ، وجعلت في بعض القصور التي بنتها » .

(٣) اللسان ٦ : ٢١٥ : « بفالة أيديهم » .

ذكر غزوته أبا زوجته جرادة وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض العلماء ، قال : قال وهب بن منبه : سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر ، يقال لها صيدون ، بها ملك عظيم السلطان لم يكن للناس إليه سبيل ، مكانه في البحر ، وكان الله قد آتى سليمان في ملكه سلطاناً لا يمتنع منه شيء في بر ولا بحر ، إنما يركب إليه إذا ركب على الريح ، فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء ، حتى نزل بها بجنوده من الجن والإنس ، فقتل ملكها واستفاء^(١) ما فيها ، وأصاب فيما أصاب ابنة لذلك الملك لم ير مثلها حسناً وجمالاً ، فاصطفاه لنفسه ، ودعاها إلى الإسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة ثقة ، وأحبها حباً لم يحبه شيئاً من نساءه ، ووقع نفسه عليها ، فكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ، ولا يرقأ دمعها ، فقال لها ، لما رأى ما بها وهويشقى عليه [من ذلك]^(٢) ما يرى : ويحك ، ما هذا الحزن الذي لا يذهب ، والدمع الذي لا يرقأ ! قالت : إن أبي أذكره وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه ، فيحزني ذلك ، قال : فقد أبداك الله [به]^(٣) ملكاً هو أعظم من ملكه ، وسلطاناً هو أعظم من سلطانه ، وهذا لك للإسلام وهو خير من ذلك كله ، قالت : إن ذلك لكذلك^(٤) ؛ ولكني إذا ذكرته أصابني ما [قد]^(٥) ترى من الحزن ، فلو أنك أمرت الشياطين ، فصوّروا صورة أبي في داري التي أنا فيها ، أراها بكرة وعشيّاً لرجوت أن يذهب ذلك حزني ، وأن يسلى عني بعض ما أجهد في نفسي ، فأمر سليمان الشياطين ، فقال : مثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى ما تنكر^(٦) منه شيئاً ، فمثلوه لها حتى نظرت إلى أبيها في نفسه^(٧) ،

٥٨٧/١

٥٨٨/١

(١) كذا في ط ، وفي ا ، س : « استفي » .

(٢) من ا .

(٣) ط : « كذلك » ، وما أثبتته من ا .

(٤) ط : « لا تنكر » وما أثبتته من ا .

(٥) ن : « في هيئته » .

إلا أنه لاروح فيه، فعميدت إليه حين صنعوه لها فأزرتة وقمصنه وعمته وردته
بمثل ثيابه التي كان يلبس، مثل ما كان يكون فيه من هيئة، ثم كانت إذا
خرج سليمان من دارها تغدو عليه في ولائها حتى تسجد له ويسجدون
له، كما كانت تصنع به في ملكه، وتروح كل عشية بمثل ذلك، لا يعلم
سليمان بشيء من ذلك أربعين صباحًا، وبلغ ذلك آصف بن برخيا - وكان
صديقًا، وكان لا يرد عن أبواب سليمان أي ساعة أراد دخول شيء من بيوته
دخل، حاضرًا كان سليمان أو غائبًا - فأتاه فقال: يا نبي الله، كبرت سني،
ودق عظمي، ونفد عمري، وقد حان مني ذهاب^(١)! وقد أحبيت أن أقوم
مقامًا قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله، وأتني عليهم بعلمي
فيهم، وأعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير من أمورهم، فقال:
افعل، فجمع له سليمان الناس، فقام فيهم خطيبًا، فذكر من مضى من
أنبياء الله، فأثنى على كل نبي بما فيه، وذكر ما فضله الله به، حتى انتهى
إلى سليمان وذكره، فقال: ما كان أحلمك في صغرك، وأورعك في صغرك،
وأفضلك في صغرك، وأحكم أمرك في صغرك، وأبعدك من كل ما يكفره في
صغرك! ثم انصرف فوجد سليمان في نفسه حتى ملأه غضبًا، فلما دخل سليمان
داره أرسل إليه، فقال: يا آصف، ذكرت من مضى من أنبياء الله فأثنت
عليهم خيرًا في كل زمانهم، وعلى كل حال من أمرهم، فلما ذكرتني جعلت
تثني علي بخير في صغري، وسكت عما سوي ذلك من أمري في كبري،
فما الذي^(٢) أحدث في آخر أمري؟ قال: إن غير الله ليُعبَد في دارك منذ
أربعين صباحًا في هوى امرأة، فقال: في داري! فقال: في دارك، قال:
إنا لله وإنا إليه راجعون! لقد عرفت أنك ما قلت إلا عن شيء بلغك. ثم
رجع سليمان إلى داره فكسر ذلك الصنم، وعاقب تلك المرأة وولائها، ثم
أمر بثياب الطهرة فأثني بها، وهي ثياب لا يغزلها إلا الأبرار، ولا ينسجها إلا

(١) كذا في أ، س، ن، وفي ط: «الذهاب».

(٢) ح: «فاذا ترى أحدثت»، أ: «فاذا الذي أحدثت».

الأبكار ، ولا يغسلها إلا الأبكار ، ولا تمسّها امرأة قد رأت الدم ، فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده ، فأمر برماد ففرش له ، ثم أقبل تائباً إلى الله حتى جلس على ذلك الرماد ، فتمعّك فيه بشيابه تذلاًّ لله جلّ وعزّ وتضرّعاً إليه ، يبكي ويدعو ويستغفر ما كان في داره ، ويقول فيما يقول - فيما ذكر لي والله أعلم : رَبِّ ما ذا ببلاتك عند آل داود أن يعبدوا غيرك ، وأن يُقِرّوا في دورهم وأهاليهم عبادة غيرك ! فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى ، يبكي إلى الله ويتضرّع إليه ويستغفره ، ثم رجع إلى داره - وكانت أمّ ولد له يقال لها : الأمانة ، كان إذا دخل مذهبّه ، أو أراد لصابة امرأة من نسائه وضع خاتمته عندها حتى يتطهر^(١) ، وكان لا يمَسّ خاتمته إلا وهو طاهر ، وكان ملكه في خاتمته ، فوضعه يوماً من تلك الأيام عندها كما كان يضعه . ثم دخل مذهبّه ، وأتاها الشيطانُ صاحب البحر - وكان اسمه صخرأ - في صورة سليمان لا تنكر منه شيئاً ، فقال : خاتمي يا أمانة ! فناولته إياه ، فجعله في يده ، ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان ، وعكفت عليه الطير والجن والإنس ، وخرج سليمان فأقَى الأمانة ، وقد غيّرت حالته وهيبته عند كل من رآه ، فقال : يا أمانة ، خاتمي ! فقالت : ومن أنت ؟ قال : أنا سليمان بن داود ، فقالت : كذبت ، لست بسليمان بن داود ، وقد جاء سليمان فأخذ خاتمته ، وهو ذاك جالس على سريريه في ملكه . فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته ، فخرج فجعل يقف على الدار من دور بني إسرائيل ، فيقول : أنا سليمان بن داود ، فيحثّون عليه التراب ويسبّونه ، ويقولون : انظروا إلى هذا المجنون ، أيّ شيء يقول ! يزعم أنه سليمان بن داود . فلما رأى سليمان ذلك عمِد إلى البحر ، فكان ينقل الحيتان لأصحاب البحر إلى السوق^(٢) ، فيعطونه كل يوم سمكتين ، فإذا أمسى باع إحدى سمكتيه بأرغفة وشوى الأخرى ، فأكلها ، فمكث بذلك أربعين صباحاً ، عِدّة ما عبِد ذلك الوثن في داره ،

(١) س : « يطهر » .

(٢) ١ : « في السوق » .

فأنكر آصف [بن برخيا] ^(١) وعظماء بني إسرائيل حكم عدو الله الشيطان في تلك الأربعين صباحاً ، فقال آصف : يا معشر بني إسرائيل ، هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيتم ! قالوا : نعم ، قال : أمهلوني حتى أدخل على نسائه فأسألهن : هل أنكرن منه في خاصة أمره ما أنكرنا في عامة أمر الناس وعلائيته ؟ فدخل على نسائه فقال : ويحك ! هل أنكرتن من أمر ابن داود ما أنكرنا ؟ فقلن : أشده ما يدع امرأة منا في دمها ، ولا يغتسل من جنابة ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! إن هذا لهو البلاء المبين ، ثم خرج إلى بني إسرائيل ، فقال ما في الخاصة أعظم مما في العامة ، فلما مضى أربعون صباحاً طار الشيطان عن مجلسه ، ثم مرّ بالبحر ، فقذف الخاتم فيه ، فبلعته ^(٢) سمكة ، وبصر بعض الصيادين فأخذها وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك ، حتى إذا كان العشي أعطاه سمكته ، فأعطى السمكة التي أخذت الخاتم ، ثم خرج سليمان بسمكته فيبيع التي ليس في بطنها الخاتم بالأرغفة ، ثم عمد إلى السمكة الأخرى فبقرها ليشويها فاستقبله خاتمه ^(٣) في جوفها ، فأخذه فجعله في يده ووقع ساجداً لله ، وعكف عليه الطير والجن ^(٤) ، وأقبل عليه الناس وعرف أن الذي دخل عليه لما كان أحدث في داره ، فرجع إلى ملكه ، وأظهر التوبة من ذنبه ، وأمر الشياطين فقال : اثقوني به ، فطلبته له الشياطين حتى أخذه ، فأتى به ، فجاب ^(٥) له صخرة ، فأدخله فيها ، ثم سدّ عليه بأخرى ، ثم أوثقها بالحديد والرصاص ، ثم أمر به فقذف في البحر .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في قوله : ﴿ وَلَقَدْ قَتَلْنَا سُلَيْمَانَ وَالْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ﴾ ^(٦) ، قال : الشيطان حين جلس على كرسيه أربعين يوماً ^(٧) ، قال :

(٢) : ١ « فتلقتها » .

(٤) : ١ « إليه » .

(١) تكملة من ا ح .

(٣) : ١ « الخاتم » .

(٥) جاب صخرة ، أي خرقتها .

(٦) سورة ص ٣٤ .

(٧) ن : « صباحاً » .

كان لسليمان مائة امرأة ، وكانت امرأة منهنّ يقال لها جرادة ، وهي آثر نساؤه عنده ، وآمنهنّ عنده ، وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ، ولا يأتمن عليه أحداً من الناس غيرَها ، فجاءته يوماً من الأيام فقالت [له] (١) : إن أخى بينه وبين فلان خصومة ، وأنا أحبّ أن تقضى له إذا جاءك ، فقال : نعم ، ولم يفعل ، فابتلى فأعطاها خاتمه ، ودخل المخرج فخرج الشيطان في صورته ، فقال : هاتى الخاتم ، فأعطته ، فجاء حتى جلس على مجلس سليمان ، وخرج سليمان بعد فسألها أن تعطيه خاتمه ، فقالت : ألم تأخذه قبل ؟ قال : لا ، وخرج من مكانه تائهاً ، قال : ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوماً . قال : فأنكر الناس أحكامه ، فاجتمع قراء بنى إسرائيل وعلمائهم ، وجاءوا حتى دخلوا على نساؤه فقالوا : إنا قد أنكرنا هذا ، فإن كان سليمان ، فقد ذهب عقله ، وأنكرنا أحكامه ! قال : فبكى النساء عند ذلك ، قال : فأقبلوا يمشون حتى أتوه ، فأحذقوا به ثم نشروا فقرءوا التوراة ، قال : فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه ، ثم طار حتى ذهب إلى البحر ، فوقع الخاتم منه في البحر ، فابتلعه حوت من حيتان البحر ، قال : وأقبل سليمان في حاله التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادى البحر وهو جائع ، وقد اشتدّ جوعه ، فاستطعمه من صيدهم ، وقال : إني أنا سليمان ، فقام إليه بعضهم فضربه بعضاً فشجّه ، قال : فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر ، فلام الصيادون صاحبهم الذى ضربه وقالوا : بشس ما صنعت حيث ضربته ! قال : إنه زعم أنه سليمان ، قال : فأعطوه سمكتين مما قد ضرب عندهم ، فلم يشغله ما كان به من الضرب ، حتى قام على شطّ البحر ، فشقّ بطونهما (٢) ، وجعل (٣) يغسلهما ، فوجد خاتمته في بطن إحداهما ، فأخذه فلبسه ، فردّ الله عليه بهاءه ومُلْكَه ، وجاءت الطير حتى حامت عليه ، فعرف القوم أنه سليمان ، فقام القوم يعتذرون مما صنعوا ، فقال : ما أحمدكم على

(١) من ا .

(٢) ح ، س : « بطونهما » . ابن الأثير : « بطنيهما » .

(٣) ط : « فجعل » ، وما أثبتته من ا .

عُذْرِكُمْ ، ولا ألومكم على ما كان منكم ، كان هذا الأمر لا بدّ منه .

قال : فجاء حتى أتى ملكه ، فأرسل إلى الشيطان فجاء به ، وسُخِّرَتْ له الريح والشياطين يومئذ ، ولم تكن سُخِّرَتْ له قبل ذلك ، وهو قوله : ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ^(١) .

وبعث إلى الشيطان فأتى به ، فأمر به فجعل في صندوق من حديد ، ٥٩٤/١ ثم أطبق عليه ، وأقفل عليه بقفْل ، وختم عليه بخاتمته ، ثم أمر به فألقى في البحر ، فهو فيه حتى تقوم الساعة ، وكان اسمه حقيق .

* * *

قال أبو جعفر : ثم لبث سليمان بن داود في ملكه بعد أن رده الله إليه ، تعمل له الجنّ ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، وغير ذلك من أعماله ، ويعذب من الشياطين من شاء ، ويطلق من أحبّ منهم لإطلاقه ، حتى إذا دنا أجله ، وأراد الله قبضه إليه ، كان من أمره — فيما بلغني — ما حدثني به أحمد بن منصور ، قال حدثنا موسى بن مسعود أبو حذيفة ، قال : حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كان سليمان نبيّ الله إذا صليّ رأى شجرة نابتة بين يديه ، فيقول لها : ما اسمك ؟ فتقول : كذا وكذا ، فيقول : لأى شيء أنت ؟ فإن كانت لغرس غُرِسَتْ ، إن كانت لدواء كتبت ، فيما هو بصلىّ ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه ، فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : الخروب ، قال : لأى شيء أنت ؟ قالت : لخراب هذا البيت ، فقال سليمان : اللهم عمّ على الجنّ موقى حتى يعلم الإنس أن الجنّ لا يعلمون الغيب ، فنحتها عصاً ، فتوكلأ عليها حولاً ميتاً ، والجنّ تعمل ، فأكلتها الأرضة فسقط ، فتبينت الإنس أن الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين . قال : وكان ابن عباس يقرؤها « حولاً في العذاب المهين » قال : فشكرت ٥٩٥/١ الجنّ الأرضة ، فكانت تأتئها بالماء ^(٢) .

(١) سورة ص ٣٥

(٢) الخبر في التفسير ٢٢ : ٥١ (بولاقي)

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السديّ في حديث ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الممّدانيّ ، عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : كان سليمان يتجرّد في بيت المقدس السنة والستين ، والشهر والشهرين ، وأقلّ من ذلك وأكثر ، يدخل طعامه وشرابه ، فأدخله في المرة التي مات فيها ، فكان بدء ذلك أنه لم يكن يومٌ يصبح فيه إلا نبت في بيت المقدس شجرة ، فيأتيها ، فيسألها : ما اسمك ؟ فتقول الشجرة : اسمي كذا وكذا ، فيقول لها : لأيّ شيء نبت ؟ فتقول : نبت لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع ، فإن كانت نبتت لغرس غرسها ، وإن كانت نبتت دواء قالت : نبت دواء لكذا وكذا ، فيجعلها لذلك ، حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة فسألها : ما اسمك ؟ قالت : أنا الخروبة ، قال : ولأيّ شيء نبت ؟ قالت : نبت لحراب هذا المسجد . قال سليمان : ما كان الله ليخرجه وأنا حيّ ، أنت التي على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس ، فزرعها وغرسها في حائط له ، ثم دخل المحراب فقام يصلي متكئاً على عصاه فمات ، ولا تعلم به الشياطين ، وهم في ذلك يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم ، وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب ، وكان المحراب له كُؤى بين يديه وخلفه ، فكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول : أأست جليداً إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب ؟ فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر ، فدخل شيطان من أولئك ، فمرّ — ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان في المحراب إلا احترق — ولم يسمع صوت سليمان ، ثم رجع فلم يسمع ، [ثم رجع فلم يسمع]^(١) ثم رجع فوقف في البيت فلم يحترق ، ونظر إلى سليمان قد سقط ميتاً ، فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات ، ففتحوا عنه فأخرجوه ، ووجدوا منسأته — وهي العصا بلسان الحبشة — قد أكلتها الأرضة ، ولم يعلموا منذ كم مات ، فوضعوا الأرضة على العصا ، فأكلت منها يوماً وليلة ، ثم حسبوا على ذلك النحر فوجدوه قد مات منذ^(٢) سنة ، وهي في قراءة ابن مسعود : « فكثوا يدينون له من بعد موته حولاً كاملاً » ، فأيقن الناس عند ذلك أن الجحش كانوا يكذبونهم ، ولو أنهم علموا الغيب لعلموا موت

(١) تكلّة من ا

(٢) الخبر في التفسير ٢٣ : ٥١ ، ٥٢ (بولاق) .

سليمان ، ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له ، وذلك قول الله عز وجل :
﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ ﴾ - إلى قوله - ﴿ فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ ٥٩٧/١
يقول : بين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم . ثم إن الشياطين قالوا للأرض :
لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام ، ولو كنت تشربين الشراب
سقيناك أطيب الشراب ، ولكننا سننقل [إليك] ^(١) الماء والطين . قال : فهم
ينقلون إليها ذلك حيث كانت . قال : ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف
الحشب فهو ما يأتيها به الشياطين شكراً لها !
وكان جميع عمر سليمان بن داود فيما ذكر نيفاً وخمسين سنة ، وفي سنة
أربع من ملكه ابتدأ ببناء بيت المقدس فيما ذكر .

ذكر من ملك إقليم بابل والمشرق من ملوك الفرس بعد كيقباد

قال أبو جعفر : ونرجع الآن إلى الخبر عمن ملك إقليم بابل والمشرق من ملوك الفرس بعد كيقباد .

* * *

وملك بعد كيقباد بن زاغ بن يوجياه^(١) كيقاوس بن كيبه بن كيقباد الملك . فذكر أنه قال يوم ملك : إن الله تعالى إنما خولنا الأرض وما فيها لنسعى فيها بطاعته ، وأنه قتل جماعة من عظماء البلاد التي حوله ، وحمى بلاده ورعيته ممن حوالهم من الأعداء أن يتناولوا منها شيئاً ، وأنه كان يسكن ببلخ ، وأنه ولد له ابن لم ير مثله في عصره في جماله وكماله وتمام خلقه ، فسماه سياوخش ، وضمه إلى رستم الشديد بن دستان بن بريمان^(٢) بن جودنك^(٣) ابن كرشاسب بن أثرت^(٤) بن سهم بن نريمان .

٥٩٨/١

وكان إصبهذ^(٥) سجستان وما يليه من قبله يربيه ويكفله ، وأوصاه به فأخذه منه رستم ، فضى به معه إلى موضع عمله سجستان ، فرباه رستم ولم يزل في حجره يجمع له وهو طفل الخواصن والمريضات ، ويتخيرهن له ،

(١) كذا في ١ .

(٢) كذا في ١ وفي ح س : « يرامان » ، وفي ن : « مرامان » .

(٣) كذا في ١ ، وفي ح : « حوزنك » ، ن : « حوزترك » .

(٤) ١ : « أثوط » .

(٥) ذكرها في الجواليقي بلفظ الصبيد ؛ وقال : فارسي معرب ؛ وهو في الديلم كالأخير في

العرب ، وأورد قول جرير :

إذا افتخرُوا عَدُوَّ الصَّبِيهِدِ فِيهِمْ وكسرى وآل الهرمزانِ وقيصراً

وفي اللسان ٥ : ٨ : « إصبهذ » ، وضبط الألف بالقلم بالكسر . وقال إدي شير : « إن إصبهذ » بالفارسية معناه قائد العسكر ؛ وهو أيضاً اسم لعلم الملك طبرستان . وانظر المعرب وحواشيه ٢١٨ .

حتى إذا ترعرع جمع له المعلمين ، فتخير له منهم من اختاره لتعليمه^(١) ،
حتى إذا قدر على الركوب علمه الفروسيّة حتى إذا تكاملت^(٢) فيه فنون
الآداب ، وفاق في الفروسيّة قدم به على والده رجلاً كاملاً ، فامتحنه والده
كيقاس ، فوجده نافذاً في كلّ ما أراد بارعاً ، فسرّ به ، وكان كيقاس
تزوج - فيما ذكر - ابنة فراسياب ملك الترك ، وقيل : بل إنها بنت ملك
اليمن ، وكان يقال لها سودابة ، وكانت ساحرةً ، فهويت سياوخش ، ودعته
إلى نفسها ، وأنه امتنع عليها ، وذكرت لها ولسياوخش قصة يطول بذكرها
الكتاب ، غير أن آخر أمرهما صار في ذلك - فيما ذكر لي - أن سودابة لم تزل
لما رأت من امتناع سياوخش عليها فيما أرادت منه من الفاحشة بأبيه كيقاس
٥٩٩/١ حتى أفسدته عليه ، وتغيّر لابنه سياوخش ، فسأل سياوخش رستم أن يسأل
أباه كيقاس توجيهه لحرب فراسياب لسبب منعه بعض ما كان ضمن
له عند إنكاحه ابنته إياه ، وصلح جرى بينه وبينه ، مريداً بذلك سياوخش
البعد عن والده كيقاس ، والتنحيّ عما تكيد به عنده زوجته سودابة ، ففعل
ذلك رستم ، واستأذن له أباه فيما سأله ، وضمّ إليه جنداً كثيفاً ، فشحّص
إلى بلاد الترك للقاء^(٣) فراسياب ، فلما صار إليه سياوخش ، جرى بينهما
صلح ، وكتب بذلك سياوخش إلى أبيه يعلمه ما جرى بينه وبين فراسياب
من الصلح ، فكتب إليه والده يأمره بمناهضة فراسياب ومناجزته الحرب ،
إن هو لم يذعن له بالوفاء بما كان فارقه عليه ، فرأى سياوخش أن في فعله
ما كتب به إليه أبوه من محاربة فراسياب بعد الذي جرى بينه وبينه من الصلح
والهدنة من غير نقض فراسياب شيئاً من أسباب ذلك عليه عاراً ومنقصةً
ومأثماً ، فامتنع من إنفاذ أمر أبيه في ذلك ، ورأى في نفسه أنه يؤتّى في كلّ
ذلك من زوجة أبيه التي دعته^(٤) إلى نفسها فامتنع عليها ، ومال إلى الحرب

(١) ط : « ليعلمه » ، وما أثبتته عن أ .

(٢) ط : « تكامل » ، وما أثبتته عن أ .

(٣) ن : « ليلقى » .

(٤) ن : « تدعو » .

من أبيه ، فراسل فراسياب في أخذ الأمان لنفسه منه ، واللاحاق به ، وترك^(١) والده ، فأجابه فراسياب إلى ذلك - وكان السفير بينهما^(٢) في ذلك - فيما قيل - رجلاً من الترك من عظمائهم يقال له : فيران بن ويسغان^(٣) - فلما فعل ذلك سیاوخش انصرف عنه مَنْ كان معه من جند أبيه كيقاوس .

فلما صار سیاوخش إلى فراسياب بوّاه وأكرمه وزوجه ابنة له يقال لها : وسفافرید ، وهى أم كيخسرونة^(٤) ، ثم لم يزل له مكرماً حتى ظهر له أدب سیاوخش وعقله وكماله وفروسيته ونجدته ما أشفق على ملكه منه ، فأفسده ذلك عنده ، وزاده فساداً عليه سعى ابنين له وأخ يقال له : كندر بن فشنگان عليه بإفساد أمر سیاوخش عنده ، حسداً منهم له ، وحذراً على ملكهم منه ، حتى مكنتهم من قتله ، فذكر في سبب وصولهم إلى قتله أمر يطول بشرحه الخطب ، إلا أنهم قتلوه ومثلوا به وامراته ابنة فراسياب حامل منه بابنه كيخسرونة ، فطلبوا الحيلة لإسقاطها ما في بطنها فلم يسقط ، وأن فيران الذى سعى في عقد الصلح بين فراسياب وسياوخش لما صحّ عنده ما فعل فراسياب من قتله سیاوخش ، أنكر ذلك من فعله ، وخوّفه عاقبة الغدر ، وحذّره الطلب بالثأر من والده كيقاوس ومن رُسْتَم ، وسأله دفع ابنته وسفافرید إليه لتكون عنده إلى أن تَضَع ما في بطنها ثم يقتله .

ففعل ذلك فراسياب ، فلما وضعت رقّ فيران لها وللمولود ، فترك قتله وسرّ أمره ، حتى بلغ المولود ، فوجّه - فيما ذكر - كيقاوس إلى بلاد الترك بنى بن جوذرز ، وأمره بالبحث عن المولود الذى ولدته زوجة ابنه سیاوخش ، والتأتى لإخراجه إليه ، إذا وقف على خبره مع أمه ، وأن بيئاً شخصاً لذلك ؛ فلم يزل يفحص عن أمر ذلك المولود ، متكرراً حيناً من الزمان فلا يُعرَف له خبر ، ولا يدلّه عليه أحد .

ثم وقف بعد ذلك على خبره ، فاحتال فيه وفي أمه حتى أخرجهما من أرض الترك إلى كيقاوس ، وقد كان كيقاوس - فيما ذكر - حين اتصل به

(١) س : « وفراق » . (٢) س : « فيما بينهما » .

(٣) ا ، ن : « ويسغان » . (٤) ا : « كيخسرويه » .

قتلُ ابنه أشخص جماعةً من رؤساء قواده ؛ منهم رستم بن دستان الشديد ،
وطوس بن نوذران^(١) ، وكانا ذوى بأس ونجدة ، فأثخنا الترك قَتلاً وأسراً ،
وحارباً فراسياب حرباً شديدة^(٢) ، وأن رستم قتل بيده شهر وشهرة ابنى فراسياب
وأن طوساً قتل بيده كندر أخا فراسياب .

وذكر أن الشياطين كانت مسخرةً لكيقائوس ، فزعم بعضُ أهل العلم
بأخبار المتقدمين أن الشياطين الذين كانوا سُخَّرُوا له إنما كانوا يُطيعونه عن
أمر سليمان بن داود إيتاهم بطاعته ، وأن كيقائوس أمر الشياطين فبنوا له مدينةً
سماها كندر^(٣) ، ويقال : قيقذون ؛ وكان طولها - فيما زعموا - ثمانمائة فرسخ ،
وأمرهم فضربوا عليها سوراً من صُفْر ، وسوراً من شَبَه ، وسوراً من نحاس ،
وسوراً من فخر ، وسوراً من فضة ، وسوراً من ذهب . وكانت الشياطين تنقلها
ما بين السماء والأرض وما فيها من الدواب والخزائن والأموال والناس . وذكروا
أن كيقائوس كان لا يُحدث وهو يأكل ويشرب .

ثم إن الله تعالى بعث إلى المدينة التى بناها كذلك مَنْ يُخربها ، فأمر
كيقائوس شياطينه بمنع مَنْ قصد لتخريبها ، فلم يقدروا على ذلك ، فلما رأى
كيقائوس الشياطين لا تطيق الدفع عنها ، عطف عليها ، فقتل رؤساءها . وكان
كيقائوس - فيما ذكر - مظفرّاً لا يناوئه أحدٌ من الملوك إلا ظفر عليه وقهره ،
ولم يزل ذلك أمره حتى حدثته نفسه - لما كان آتياً من العز والملك ، وأنه لا يتناول
شيئاً إلا وصل إليه - بالصعود إلى السماء .

فحدثت عن هشام بن محمد أنه شَخَص من خراسان حتى نزل بابل ،
وقال : ما بقيَ شيءٌ من الأرض إلا وقد ملكته ، ولا بدَّ من أن أعرف أمرَ
السماء والكواكب وما فوقها ، وأن الله أعطاه قوةً ارتفع بها ومنَّ معه فى الهواء
حتى انتهوا إلى السحاب ، ثم إن الله سلبهم تلك القوة فسقطوا فهلكوا ، وأفلت
بنفسه وأحدث يومئذ ، وفدَّ عليه ملكه ، وتمزقت الأرض ، وكثرت الملوك
فى النواحي ، فصار يغزوهم ويغزونه ، فيظفر مرةً ويُشكَبُ أخرى .

(١) ح : « قورزان » ، س : « قوزران » ن : « بوذران » .

(٢) كذا فى ١ ، وفى ط : « شديداً » . (٣) كذا فى ١

قال : فغزا بلاد اليمن - والمليك بها يومئذ ذو الأذعار بن أبرهة ذى المنار ابن الرائش - فلما ورد بلاد اليمن خرج عليه ذو الأذعار بن أبرهة وكان قد أصابه الفالج ؛ فلم يكن يغزو قبل ذلك بنفسه . قال : فلما أظله كيقاوس ووطئ بلادَه في جُموعه خرج بنفسه في جموع - حمير وولد قحطان ، فظفر بكيقاوس ، فأَسْرَه ، واستباح عسكره ، وحبسه في بئر ، وأطبق عليه^(١) طبقاً . قال : وخرج من سِجِسْتَان رجل يقال له رستم ، كان^(٢) جباراً قوياً فيمن أطاعه من الناس . قال : فزعمت الفرس أنه دخل^(٣) بلاد اليمن ، واستخرج قبوس^(٤) من محبسه وهو كيقاوس . قال : وزعم أهلُ اليمن أنه لما بلغ ذا الأذعار إقبالُ رستم خرج إليه في جنوده وعدده ، وخندق كل واحد منهما على عسكره ، وأنهما أشفقا على جنديهما من البوار ، وتخوفاً إن تراحفاً ألا تكون لهما بقية ، فاصطلحا على دفع كيقاوس إلى رستم ، ووضع الحرب ، فانصرف رستم بكيقوس إلى بابل ، وكتب كيقاوس لرستم عتقاً من عبودية الملك ، وأقطعهُ سِجِسْتَان وَزَابِلِسْتَان ، وأعطاه قلنسوة منسوجة بالذهب وتوجّه ، وأمره أن يجلس على سرير من فضة ، قوائمه من ذهب ، فلم تزل تلك البلاد بيد رستم حتى هلك كيقاوس وبعده دهرأ طويلاً .

٦٠٤/١

قال : وكان ملكه مائة وخمسين سنة .

وزعم علماءُ الفرس أن أولَ من سوّد لباسه على وجه الحداد شادوس بن جودرز على سياوخش ، وأنه فعل ذلك يوم وَرَدَ على كيقاوس نَعْيُ ابنه سياوخش وقتل فراسياب إِيَّاه ، وغدّره به ، وأنه دخل على كيقاوس ، وقد لبس السواد ، فأعلمه أنه فعل ذلك لأنَّ يومه يوم إظلام وسواد . وقد حقق ما ذكر ابن الكلبي من أسْر صاحب اليمن قابوس الحسن بن هاني في شعره فقال^(٥) :

(١) : « عليها » .

(٢) ح : « وكان » .

(٣) ط : « وغل » ، وما أثبتته من ا (٤) س ، ن : « كيقاوس »

(٥) في قصيدته التي هجا فيها قبائل نزار بأسرها وافتخر بقحطان وقبائلها ؛ وهي التي أطال

الرشيد حبسه بسببها وأولها :

وَقَاطَ قَابُوسُ فِي سَلَاسِلِنَا سِنِينَ سَبْعًا وَفَتْ لِحَاسِهَا

* * *

ثم ملك من بعد كيقاوس ابنُ ابنه كيخسرو بن سیاوخش بن كيقاوس ابن كيبیه بن كيقباز .

وكان كيقاوس حين صار به وبأمه وسفافرید ابنة فراسياب - وربما قيل وسففره - بی بن جوذرز إليه من بلاد الترك، ملكه، فلما قام بالملك بعد جدّه ٦٠٥/١ كيقاوس، وعقد التاج على رأسه خطب رعيته خطبة بليغة، أعلمهم فيها أنه على الطلب بدم أبيه سیاوخش قبل فراسياب التركي، ثم كتب إلى جوذرز الأصهبذ - كان - بأصبهان ونواحي خراسان (١) - يأمره بالمصير إليه، فلما صار إليه أعلمه ما عزم عليه من الطلب بثأره من قتل والده، وأمره بعرض جُنْدِه، وانتخاب ثلاثين ألف جل منهم، وضمّهم إلى طُوس بن نوذران (٢)، ليتوجّه بهم إلى بلاد الترك، ففعل ذلك جوذرز، وضمّهم إلى طُوس، وكان فيمن أشخص معه برزافره بن كيقاوس، عم كيخسرو وبي بن جوذرز،

لَيْسَتْ بِدَارٍ عَقَتْ وَغَيَّرَهَا ضَرْبَانِ مِنْ قَطَرِهَا وَحَاصِبِهَا
وَلَا لَأَى الطُّلُولِ أُنْدَبُهَا لِلرَّيْحِ وَالرَّقْشِ مِنْ قَرَابِنِهَا

وفيها يفتخر باليمن ويذكر الضحّاك :

فَنَحْنُ أَرْبَابُ نَاعِطٍ وَلَكِنَّا صَنَعَاءُ وَالْمِسْكُ فِي مَحَارِبِهَا
وَكَانَ مِنَّا الضَّحَّاكُ يَعْْبُدُهُ ۖ سَخَابِلُ وَالطَّيْرُ فِي مَسَارِبِهَا

وفيها يهجو نزاراً :

وَاهْجُ نِزَاراً وَافْرِ جِلْدَتَهَا وَاكْشِفِ السُّتْرَ عَنْ مَثَالِبِهَا

وقد رد على قصيدته هذه جماعة من النزارية؛ منهم رجل من بني ربيعة من نزار فقال في قصيدة أولها :

دَعْ مَدْحَ دَارِ خَبَا وَأَنْتَهَى عَهْدُ مَعْيِدٍ بِزَعْمِ عَاتِبِهَا

فقال :

فَامْدَحْ مَعْدًا وَافْخَرْ بِمَنْصِبِهَا ۖ هَالِي عَلَى النَّاسِ فِي مَنَاصِبِهَا
وَهَتَّكَ السُّتْرَ عَنْ ذَوِي يَمَنِ أَوْلَادُ قَحْطٍ أَنْ غَيْرَ هَائِبِهَا

وانظر الديوان ١٥٥ والتنبيه والإشراف ٧٦ - ٧٧ .

(١) كذا في ط، وفي : « الأصهبذ بأصبهان ونواحي خراسان ». (٢) ١ : « بوذران ».

وجماعة كثيرة من إخوته ، وتقدم كيخسرو إلى طوس ؛ أن يكون قصده
لفراسياب وطراخته (١) ، وألاً يمرّ بناحية من بلاد الترك ، وكان فيها أخ له
يقال له فروذ بن سياوخش ، من امرأة يقال لها برزا فريد ، كان سياوخش
تزوجها في بعض مدائن الترك أيام سار إلى فراسياب ، ثم شخص عنها وهي
حُبلى ، فولدت فروذ فأقام بموضعه ، إلى أن شبَّ فغلط طوس في أمر فروذ
— فيما قيل — وذلك أنه لما صار بجذاء المدينة التي كان فيها فروذ هاج بينه
وبينه حربٌ ببعض الأسباب ، فهلك فروذ فيها ، فلما اتصل خبره بكيخسرو
كتب إلى برزافره عمه كتاباً غليظاً ، يعلمه فيه ما ورد عليه من خبر طوس
ابن نوزدان ومحاربتة فروذ أخاه ، وأمره بتوجيه طوس إليه مقيداً مغلولاً ، وتقدّم
إليه في القيام بأمر العسكر والنفوذ به لوجهه ، فلما وصل الكتاب إلى برزافره ،
جمع رؤساء الأجناد والمقاتلة ، فقرأه عليهم ، وأمر بغلّ طوس وتقييده ،
وجّهه مع ثقات من رسله إلى كيخسرو ، وتولى أمر العسكر ، وعبرَ النهر
المعروف بكاسبرود ، وانتهى الخبر إلى فراسياب ، فوجه إلى برزافره جماعة
من إخوته وطراخته لمحاربتة ، فالتقوا بموضع من بلاد الترك يقال له واشن ،
وفيههم فيران بن ويسغان وإخوته طراسيف بن جوذرز صهر فراسياب ، وهما سف
ابن فشنجان ، وقتلوا قتالاً شديداً ، وظهر من برزافره في ذلك اليوم فشل
لما رأى من شدة الأمر وكثرة القتلى ، حتى انحاز بالعلم إلى رعوس الجبال
واضطرب على ولد جوذرز أمرهم ، فقتل منهم في تلك الملحمة في وقعة واحدة
سبعون رجلاً ، وقتل من الفريقين بشراً كثير ، وانصرف برزافره ومن كان
معه إلى كيخسرو ، وبهم من الغم والمصيبة ما تمنوا معه الموت ، فكان خوفهم
من سطوة كيخسرو أشد ، فلما دخلوا على كيخسرو أقبل على برزافره بلائمة
شديدة ، وقال : أتيت في وجهكم لترككم وصيتي ومخالفة وصية الملوك ، تورد
السوء ، وتورث الندامة ، وبلغ ما أصيبوا به من كيخسرو حتى رثيت الكتابة
في وجهه ، ولم يلتذّ طعاماً ولا نوماً . فلما مضت لموافاتهم أيام أرسل إلى جوذرز
فلما دخل عليه أظهر التوجع له ، فشكا إليه جوذرز برزافره ، وأعلمه أنه كان

٦٠٦/١

٦٠٧/١

(١) قال في القاموس : « وطرخان ، بالفتح ولا تضم ولا تكسر وإن فعله المحدثون : اسم
الرئيس الشريف ، حراسانية ، بالجمع طراخنة » .

السبب للهزيمة بالعلم وخذلانه ولده ، فقال له كيخسرو : إن حقلك بخدمتك
لآبائنا لازم لنا ، وهذه جنودنا وخزائننا مبدولة لك في مطالبة ترتك ، وأمره
بالتهيؤ والاستعداد والتوجه إلى فراسياب ، والعمل في قتله وتخريب بلاده ،
فلما سمع جوذرز مقالة كيخسرو نهض مبادراً فقبل يده ، وقال : أيها الملك
المظفر ، نحن رعينتك وعبيدك ، فإن كانت آفة أو نازلة ، فلتكن^١
بالعبيد دون ملوكها ، وأولادى المقتولون فداؤك ، ونحن من^(١) وراء الانتقام من
فراسياب والاشتفاء من مملكة الترك ، فلا يغمن^٢ الملك ما كان ، ولا يدعن^٣
لهوه ، فإن الحرب دؤل ، وأعلمه أنه على النفوذ لأمره . وخرج من عنده
مسروراً .

فلما كان^(١) من الغد أمر كيخسرو أن يدخل عليه رؤساء أجناده
والوجه من أهل مملكته ، فلما دخلوا عليه أعلمهم ما عزم عليه من محاربة
الأتراك ، وكتب إلى عماله في الآفاق يُعلمهم ذلك ، ويأمر بموافاتهم في صحراء
تُعرف بشاه أسطون ، من كورة بلخ ، في وقت وقته لهم . فتوافت رؤساء الأجناد
في ذلك الموضع ، وشخص إليه كيخسرو بإصهبذته وأصحابهم ، وفيهم
برزافره عمه وأهل بيته ، وجوذرز وبقيه ولده . فلما تكاملت الملحمة ، واجتمعت
المرازية^(٣) ، تولّى كيخسرو بنفسه عرض الجند حتى عرف مبلغهم ، وفهم
أحوالهم ، ثم دعا بجوذرز بن جشوادغان ، وميلاذ بن جرجين وأغص بن
بهذان - وأغص ابن وصيفة كانت لسياوخش ، يقال لها : شوماهان - فأعلمهم^١
أنه قد أراد إدخال العساكر على الترك من أربعة أوجه ، حتى يحيطوا بهم براً
وبحراً ، وأنه قد قوّد على تلك العساكر ، وجعل أعظمها إلى جوذرز ، وصير
مدخله من ناحية خراسان ، وجعل فيمن ضمّ إليه برزافره عمه وبني جوذرز
وجماعة من الأصهبذيين كثيرة ، ودفع إليه يومئذ العلم الأكبر الذي كانوا
يسمونه درفش كايان ، وزعموا أن ذلك العلم لم يكن دفعه أحد من الملوك إلى
أحد من القواد قبل ذلك ، وإنما كانوا يسيرونه مع أولاد الملوك إذا وجهوهم في

(١) ح : « ونحن نردم » .

(٢) إلى هنا ينتهي الموجود من المجلد الأول من نسخة أحمد الثالث .

(٣) المرزبان : الرئيس من الفرس ، بضم الزاي ، والجمع المرزاية .

الأمر العظام . وأمر ميلاد بالدخول مما يلي الصين ، وضمَّ إليه جماعة كثيرة دون مَنْ ضمَّ إلى جوذرز ، وأمر أغص بالدخول من ناحية الخزر في مثل مَنْ ضمَّ إلى ميلاد ، وضمَّ إلى شومهان إخوتها وبنى عمَّها وتماث ثلاثين ألف رجل من الجند ، وأمرها بالدخول من طريق بين طريق جوذرز وميلاد .

ويقال : إن كيخسرو إنما غزا شومهان لخاصَّتها بسياروخش ، وكانت نَدَرَت أن تطالب بدمه . فضى جميع هؤلاء لوجههم ، ودخل جوذرز بلاد الترك من ناحية خراسان ، وبدأ بفيران بن ويسغان ، فالتحمت بينهما حربٌ شديدة مذكورة ، وهى الحرب التى قتل فيها بيزن بن بى خُمان بن ويسغان ٦١٠/١ مبارزة ، وقتل جوذرز فيران أيضاً ، ثم قصد جوذرز فراسياب ، وألحَّت عليه العساكر الثلاثة ، كلٌّ عسكر من الوجه الذى دخل منه ، واتبع القوم بعد ذلك كيخسرو بنفسه ، وجعل قَصْدَه للوجه الذى كان فيه جوذرز ، وصيَّر مدخله منه ، فوافى عسكر جوذرز ، وقد أثخن في الترك ، وقتل فيران رئيس إصبهذى فراسياب ، والمرشَّح للملك من بعده ، وجماعة كثيرة من إخوته ؛ مثل خُمان ، وأوستهن ، وجلباد ، وسيامق ، وبهرام ، وفرشخاد ، وفرخلاد . ومن ولده ، مثل روين بن فيران ، وكان مقدِّماً عند فراسياب ، وجماعة من إخوة فراسياب ، مثل : رتدراى^(١) ، وأندرمان ، وأسفرخم ، وأخست . وأسربروا بن فشنجان قاتل سياروخش ، ووجد جوذرز قد أحصى القتلى والأسرى ، وما غنم من الكُراع والأموال ، فوجد مبلغ ما فى يده من الأسرى ثلاثين ألفاً ، ومن القتلى خمسمائة ألف وثيِّفاً وستين ألف رجل ، ومن الكُراع والورق والأموال ما لا يحصى كثرة ، وأمر كلَّ واحد من الوجوه الذين كانوا معه أن يجعل أسيره أو قتيله من الأتراك عند علمه لينظر كيخسرو إلى ذلك عند موافاته .

فلما وافى كيخسرو العسكر وموضع الملحمة اصطفت له الرجال ، وتلقاه جوذرز وسائر الإصبهذيين ، فلما دخل العسكر جعل يمرَّ بعلم علم ، فكان أول قتيل رآه جثة فيران عند علم جوذرز ، فلما نظر إليها^(٢) وقف ثم قال :

(١) كذا فى ن ، وفى س : « زيد راى » .

(٢) ح ، س : « إليه » .

أيها الجبل الصعب الذرّاً المنيع الأركان ! ألم أنهك عن هذه المحاربة ، وعن
نَصَبِ نفسك لنا دونَ فراسياب في هذه المطالبة ! ألم أيدّلُ لك نفسى ،
وأعرض عليك ملكي فلم تحسّن الاختيار ! أَلست الصدوقَ اللسان ، الحافظَ
للإخوان ، الكاتم للأسرار ! ألم أعلمك مَكْرَ فراسياب وقلّة وفائه فلم تفعل
ما أمرتك بل مضيت في نومك حتى احتوشتك^(١) اللبوث من مقاتلتنا وأبناء
مملكتنا ! ما أغنى عنك فراسياب ، وقد فارقت الدنيا وأفانيت آل ويسغان !
فويلٌ لحلمك^(٢) وفهمك ! وويل لسخائك وصدقك ! إنّنا بك اليوم لَمُوجَعُونَ!

ولم يزل كيخسرو يرثى فيران حتى صار إلى علم بي بن جودرز ، فلما وقف
عليه وجد بروا بن فشنجان حياً أسيراً في يدي بي ، فسأل عنه فأخبر أنه بروا
قاتل سياوخش المائل به عند قتله إياه . فقرّب منه كيخسرو ، ثم طأطأ رأسه
بالسجود شكراً لربه ، ثم قال : الحمد لله الذى أمكننى منك يا بروا ! أنت
الذى قتلت سياوخش ، ومثلت به ! وأنت الذى سلبته زينته^(٣) وتكلّفت
من بين الأتراك إبارته ، فغرست لنا بفعلك هذه الشجرة من العداوة ، وهيسّجت
بيننا هذه المحاربة ، وأشعلت في كلا الفريقين نارا موقدة ! أنت الذى جبرى
على يدك تبديل صورته ، وتوهين قوته ! أما تهيبت أيها التركى بجماله !
ألا أبقيت عليه للنور الساطع على وجهه ! أين نجدتك وقوتك اليوم ! وأين
أخوك الساحر عن نصرتك ! لست أقتلك لقتلك إياه ، بل لكلفتك وتولييك
ما كان صلاحاً لك ألا تتولاه ، وسأقتل من قتله ببغيه وجرمه .

ثم أمر أن تقطع أعضاؤه حياً ثم يذبح ففعل ذلك به بي ، ولم يزل كيخسرو
يمر بعلم علم ، وأصبهه أصبّه ؛ فإذا صار إلى الواحد منهم قال له نحو
ما ذكرنا ، ثم صار إلى مضاربه ، فلما استقرّ فيها دعا ببرزافره عمّه ، فلما
دخل عليه أجلسه عن يمينه ، وأظهر له السرور بقتله جلياذ بن ويسغان مبارزة ،
ثم أجزل بجائزته وملكه على كيرمان ومكران ونواحيتها ، ثم دعا بجودرز ، فلما

(١) احتوشوه : أحاطوا به .

(٢) ن : « لعلمك » .

(٣) ح : « رتبته » .

دخل عليه قال له : أيها الأصبهني الرشيد ، والكهل الشفيق ؛ إنه مهما كان من هذا الفتح العظيم فمن ربنا عز وجل ، وعن غير حيلة منا ولا قوة ، ثم برعايتك حقنا ، وبذلك نفسك وأولادك لنا ، وذلك مذخور لك عندنا ، وقد جربناك بالمرتبة التي يقال لها «بُزُرُ جُفر مذار» ؛ وهي الوزارة ، وجعلنا لك أصبهان وجرّجان وجبالهما ، فأحسن رعاية أهلها .

٦١٤/١

فشكر جوذر ذلك ، وخرّج من عنده بهيجاً مسروراً ، ثم أمر بالوجوه من أصبهنيته الذين كانوا مع جوذر من حسن بلاؤه ، وتولى قتل طراخنة الأتراك ، ولد فشنجان وويسغان ؛ مثل جرجين بن ميلادان ، وبيّ ، وشادوس ونحام ، وجمير بن جوذر ، وبيزن بن بيّ ، وبرازة بن يفيغان ، وفروذه بن فامدان وزنده بن شابرغان ، وبسطام بن كردهمان ، وفرة بن تفارغان . فدخلوا عليه ٦١٥/١ رجلاً رجلاً ؛ فمنهم من ملكه على البلدان الشريفة ، ومنهم من خصّه بأعمال من أعمال حضرته ، ثم لم يلبث أن وردت عليه الكتب من ميلاد وأغص وشومهان بإثخانهم في بلاد الترك ، وأنهم قد هزموا فراسياب عسكرياً بعد عسكر ، فكتب إليهم أن يجدوا في محاربة القوم ، وأن يوافقوه بموضع سماء لهم من بلاد الترك . فزعوا أن العساكر الأربعة لما أحاطت بفراسياب ، وأتاه من قتل من قتل ، وأسر من أسر ، وخراب ما خرب ما أتاه ، ضاقت عليه المداهب ، ولم يبق معه من ولده إلا شيدته — وكان ساحراً — فوجهه نحو كيخسرو بالعدة والعتاد ، فلما وافى كيخسرو أعلم أن أباه إنما وجهه للاحتيال عليه ، فجمع أصبهنيته وتقدّم إليهم في الاحتراس من غيلته .

وقيل : إن كيخسرو أشفق يومئذ من شيدته وهابته ، وظنّ ألاّ طاقة له به ، وأنّ القتال اتصل بينهما أربعة أيام ، وإن رجلاً من خاصة كيخسرو يقال له جرد بن جرهمان عبى يومئذ أصحاب كيخسرو ، فأحسن تعبيتهم ، فكثرت القتل بينهم واسمات رجال خنيارث وجدت ، وأيقن شيدته ألاّ طاقة له بهم فانهمزم ، واتبعه كيخسرو بمن معه ، ولحقه جرد فضربه على هامته بالعمود ضربة خراً منها ميتاً ، ووقف كيخسرو على جيفته ، فعان منها سباحة شنة ، وغنم كيخسرو ما كان من عسكرهم ، وبلغ الخبر فراسياب ، فأقبل بجميع

٦١٦/١

طراخته، فلما التقى وكيخسرو، ونشبت بينهما حرب شديدة لا يقال إن مثلها كان على وجه الأرض قبلها، فاختلط رجال خنيارث برجال الترك، وامتد الأمر بينهم حتى لم تقع العين يومئذ إلا على الدماء، والأسر من جوذرز ولده وجرجين وجرد وبسطام، ونظر فراسياب وهم يحمّون كيخسرو كأنهم أسود ضاربة، فانهزم مولياً على وجهه هارباً، فأحصيت القتلى جميعاً ذكر يومئذ، فبلغت عدتهم مائة ألف، وجد كيخسرو وأصحابه في طلب فراسياب، وقد تجرد للهرب. فلم يزل يهرب من بلد إلى بلد حتى أتى أذربيجان، فاستتر في غدير هناك يعرف ببئر خاسف، ثم ظفّره، فلما أتى كيخسرو استوثق منه بالحديد، ثم أقام للاستراحة بموضعه ثلاثة أيام، ثم دعاه، فسأله عن عذره في أمر سياوخش، فلم يكن له عذر ولا حجة، فأمر بقتله، فقام إليه بني بن جوذرز، فذبّحه كما ذبح سياوخش، ثم أتى كيخسرو بدمه، فغمس فيه يده، وقال هذا بيرة سياوخش، وظلمكم إياه واعتدائكم عليه. ثم انصرف ٦١٧/١ من أذربيجان ظافراً غانماً بهجاً.

وذكر أن عدة من أولاد كيبييه جد كيخسرو الأكبر وأولادهم كانوا مع كيخسرو في حرب الترك، وأن من كان معه كى أرش بن كيبييه، وكان مملّكاً على خوزستان وما يليها من بابل وكى به أرش، وكان مملّكاً على كرمان ونواحيها، وكى أوجى بن كيمنوش بن كيفاشين بن كيبييه، وكان مملّكاً على فارس، وكى أوجى هذا هو أبوكى لهراسف الملك، ويقال إن أخاً لفراسياب كان يقال له: كى شراسف، صار إلى بلاد الترك بعد قتل كيخسرو أخاه، فاستولى على ملكها، وكان له ابن يقال له خرزاسف، فلك البلاد بعد أبيه، وكان جباراً عاتياً، وهو ابن أخى فراسياب ملك الترك الذى كان حارب منوشهر، وجوذرز هو ابن جشواغان بن يسحره^(١) بن قرحين^(٢) بن حبر بن رسود بن أورب بن تاج^(١) بن رشيك^(٢) بن أرس بن وندح^(٢) بن رعر بن نودراحاه بن مسواغ بن نوذر بن منوشهر. ٦١٨/١

فلما فرغ كيخسرو من المطالبة بوتره، واستقر في مملكته زهد في الملك، وتنسك، وأعلم الوجوه من أهله وأهل مملكته أنه على التخلّي من الأمر، فاشتد

لذلك جزعهم ، وعظمت له وحشتهم ، واستغاثوا إليه ، وطلبوا وتضرعوا ، وراودوه على المقام بتدبير ملكهم ، فلم يجدوا عنده في ذلك شيئاً ، فلما يئسوا قالوا بأجمعهم : فإذا قمت على ما أنت عليه فسم للملك رجلاً نقلده إياه ، وكان لهراسف حاضراً ، فأشار بيده إليه ، وأعلمهم أنه خاصته ووصيه ، فأقبل الناس إلى لهراسف ، وذلك بعد قبوله الوصية . وفقد كيخسرو ، فبعض يقول : إنه غاب للنسك فلا يدرى أين مات ، ولا كيف كانت ميته ، وبعض يقول غير ذلك .

وتقلد لهراسف الملك بعده على الرسم الذي رسم له ، وولد كيخسرو : ٦١٩/١

جاماس ، وأسبهر^(١) ، ورمى ، ورمين .

وكان ملك كيخسرو ستين سنة .

أمر إسرائيل بعد سليمان بن داود عليهما السلام

رجع الحديث إلى الخبر عن أمر بني إسرائيل بعد سليمان بن داود عليهما السلام .

ثم ملك بعد سليمان بن داود على جميع بني إسرائيل ابنه رُحْبَعُم^(١) بن سليمان ، وكان ملكه فيمَا قِيلَ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً . ثم افترقت ممالكُ بني إسرائيل فيمَا ذَكَرَ بَعْدَ رُحْبَعُم^(٢) ، فَكَانَ أَبِيئَا^(٣) بن رُحْبَعُم^(٢) ملكَ سَبْطِ يَهُوذَا وَبَنِيَامِينَ ، دُونَ سَائِرِ الْأَسْبَاطِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ سَائِرَ الْأَسْبَاطِ مَلَكَوْا عَلَيْهِمْ يَوْرَبَعَم^(٤) بن نَابِطَ ، عَبْدَ سُلَيْمَانَ ، لِسَبِّ الْقَرْبَانَ الَّذِي كَانَتْ زَوْجَةُ سُلَيْمَانَ قَرْبَتَهُ فِي دَارِهِ ، وَكَانَتْ قَرَبَتْ فِيهَا جَرَادَةُ لَصْنَمَ ، فَتَوَعَّدَهُ اللَّهُ بِإِزَالَةِ بَعْضِ الْمُلْكِ عَنْ وَلَدِهِ ، فَكَانَ مَلِكُ رُحْبَعُم^(٢) إِلَى أَنْ تَوَفَّى - فِيمَا ذَكَرَ - ثَلَاثَ سِنِينَ .

ثم ملكَ أَسَا^(٥) بنَ أَبِيئَا^(٣) أَمْرَ السَّبْطَيْنِ اللَّذَيْنِ كَانَ أَبُوهُ يَمْلِكُ أَمْرَهُمَا - وَهُمَا سَبْطُ يَهُوذَا وَسَبْطُ بَنِيَامِينَ - إِلَى أَنْ تَوَفَّى ، إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ سَنَةً .

* * *

ذَكَرَ خَبْرَ أَسَا بنِ أَبِيئَا وَزَرْحَ الْهِنْدِيِّ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ سَهْلٍ بنِ عَسْكَرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ ؛ قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ بنُ مَعْقِلٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ وَهْبَ بنَ مَنْبَهٍ يَقُولُ : إِنَّ مَلِكًا مِنْ مَلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يُقَالُ لَهُ أَسَا بنُ أَبِيئَا ، كَانَ رَجُلًا صَالِحًا ، وَكَانَ أَعْرَجَ ، ٦٢٠/١ وَكَانَ مَلِكًا مِنْ مَلُوكِ الْهِنْدِ يُقَالُ لَهُ زَرْحٌ ، وَكَانَ مَلِكًا جَبَارًا فَاسِقًا يَدْعُو النَّاسَ

(١) ضبطه ابن خلدون في (١: ١٤٨) : «إراء مهملة وحاء مهملة مضمومتين ، وباء موحدة ساكنة وعين مهملة مضمومة وميم» .

(٢) في ابن خلدون : «أفيا» ، وضبطه بهجمة مفتوحة وفاء متوسطة بين الفاء والذال من لغتهم ، وباء مشناة من تحت مشددة بألف» .

(٣) في ابن خلدون : يربعم ، مضبوطاً بالقلم ؛ يفتح وضم الراء وسكون الباء .

(٤) ضبطه ابن خلدون «بضم الهمة وفتح السين المهملة وألف بعدها» .

إلى عبادته ، وكان أبيّاً عابداً أصنام ؛ له صنمان يعبدهما من دون الله ، ويدعو الناس إلى عبادتهما ؛ حتى أضلّ عامة بني إسرائيل ، وكان يعبد الأصنام حتى توفّي . ثم ملك ابنه أسّا من بعده ، فلما ملكهم ^(١) بعث فيهم منادياً ينادى : ألا إنّ الكفر قد مات وأهلّه ، وعاش الإيمان وأهلّه ، وانتكست الأصنام وعبادتها ، وظهرت طاعة الله وأعمالها ، فليس كافر من بني إسرائيل يُطْلَع رأسه بعد اليوم بكُفْر في ولايتي ودهري ، إلا أنْتِ ^(٢) قاتله . فإن الطوفان لم يُغْرِق الدنيا وأهلها ، ولم يخسف بالقرى ، ولم تمطر الحجارة والنار من السماء إلا بترك طاعة الله ، وإظهار معصيته ؛ فمن أجل ذلك ينبغي لنا ألاّ نقرّ لله معصيةً يُعمَل بها ، ولا نترك طاعة الله إلا أظهرناها جهداً ، حتى نطهر الأرض من نجسها ، ونُنْقِئها من دنسها ، ونجاهد مَنْ خالفنا في ذلك بالحرب والنفي من بلادنا .

فلما سمع ذلك قومه ضجّوا وكرهوا ، فأثوا أمّ أسّا الملك فشكوا إليها فعل ابنها بهم وبأهلّتهم ، ودعاهم لإياهم إلى مفارقة دينهم ، والدخول في عبادة ربّهم ، فتحملت لهم أمّه أن تكلمته وتصرفه إلى عبادة أصنام والده ؛ فبينما الملك قاعد وعنده أشراف قومه ورؤسهم ^(٣) وذوو طاعتهم ؛ إذ أقبلت أمّ الملك فقام لها الملك من مجلسه ، وأمرها أن تجلس فيه ، معرفةً بحقها ، وتوقيراً لها . فأبت عليه وقالت : لست ابني إن لم تجبني إلى ما أدعوك إليه ، وتضع طاعتك في يدي حتى تفعل ما أمرك به ، وتجيبتني إلى أمر ؛ إن أعطتني فيه رشدت وأخذت بحظّك ، وإن عصيتني فعظّك بخست ، ونفسك ظلمت . إنه بلغني يا بني أنك بدأت قومك بالعظيم ؛ دعوتهم ^(٤) إلى مخالفة دينهم ، والكفر بأهلّتهم ، والتحوّل تحمّاً كان عليه آباؤهم ، وأحدثت فيهم سنة ، وأظهرت فيهم بدعة ؛ أردت بذلك — فيما زعمت — تعظيماً لوقارك ، ومعرفةً بمكانك ، وتشديداً لسلطانك ؛ وفي التقصير يا بني دخلت ، وبالشين أخذت . ودعوت جميع الناس إلى حربك ، وانتدبت لقتالهم وحدك ؛ أردت بذلك أن تُعيد الأحرار لك عبيداً ، والضعيف

٦٢١/١

(١) ن : « فلما ملكهم من بعده » . (٢) ح : « أنا » .

(٣) ن : « ورؤسائهم » . (٤) س : « ودعوتهم » .

لك شديدًا ؛ سفّهت بذلك رأى العلماء ، وخالفت الحكماء ، واتّبع رأى السفهاء . ولعمري ما حملك على ذلك يا بنيّ إلا كثرة طيشك ، وحدائث سنّك ، وقلة علمك ؛ فإن أنت رددت على كلامي ، ولم تعرف حقّي ، فلست من نسل والدك ، ولا ينبغي الملك لملك . يا بنيّ بأيّ شيء تُدليّ على قومك ؟ لعلك أوتيت من الحروف مثل ما أتى^(١) موسى إلى فرعون ؛ أن غرقه وأنجى قومه من الظلّمة . أو لعلك أوتيت من القوة ما أوتي داود ؛ أن قتل الأسد لقومه ، وخلق الذئب فشقّ شدة قه ، وقتل جالوت الجبار وحده . أو لعلك أوتيت من الملك والحكمة أفضل ممّا أوتي سليمان بن داود رأس الحكماء ؛ إذ صارت حكمته مثلاً للباقيين بعده ! يا بنيّ إنه ما يأتك من حسنة فأنا أحظي الناس بها ، وإن تكن الأخرى فأنا أشقاهم بشقوتك .

فلما سمعها الملك اشتدّ غضبه ، وضاق صدره ، فقال لها : يا أمّه ! إنه لا ينبغي أن آكل على مائدة واحدة مع حبيبي وعدوي ، كذلك لا ينبغي أن أعبد غير ربّي . هلمّي إلى أمر إن أطعنتني فيه رشدت ، وإن تركته غويت ؛ أن تعبدى الله وتكفري بكلّ آلهة دونه ، فإنه ليس أحد يردّ هذا على إلا هو الله عدوّ ، وأنا ناصره لأنّي عبده .

قالت له : ما كنت لأفارق أصنامي ، ولا دين آباي وقومي . ولا أترك^(٢) ذلك لقولك ، ولا أعبد الربّ الذي تدعوني إليه .

فقال لها الملك : حينئذ^(٣) يا أمّه ، إن قولك هذا قد قطع فيما^(٤) بيني وبينك رحيمي .

وأمر بها الملك عند ذلك فأخرجوها وغربوها^(٥) ، ثم أوصى إلى صاحب شرطته وبابه أن يقتلها إن هي ألّمت بمكانه^(٦) .

فلما سمع ذلك منه الأسباط الذين كانوا حوله وقعت في قلوبهم المهابة ،

(١) كذا في ن ، وفي ط : « أوتي » . (٢) ح : « وأترك » .

(٣) س : « عند ذلك » . (٤) ن : « فرق بيني » .

(٥) ر ، ن : « وذهبوا » . غربوها ، أي أهدموا

(٦) ح : « بمكانها » .

٦٢٣/١ فأذعنوا له بالطاعة ، وانقطعت فيما بينهم وبينه كل حيلة ، وقالوا : قد فعل هذا بأمة ، فأين تقع نحن منه إذا خالفنا في أمره ، ولم نجبه إلى دينه ! فاحتالوا له كل حيلة ، فحفظه الله وأباد مكرهم . فلما لم يكن لهم عن (١) ذلك صبر ، ولا على فراق دينهم قوام ؛ ائتمروا بأن يهربوا من بلاده ، ويسكنوا بلاداً غيرها ؛ فخرجوا متوجهين إلى زَرْح ملك الهند يطلبون أن يستحملوه على أسا ومن اتبعه ؛ فلما دخلوا على زَرْح سجدوا له ، فقال لهم : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قالوا : نحن عبيدك ، قال : وأَيَّ عبيدى (٢) أَنْتُمْ ؟ قالوا : نحن من أرضك أرض الشام ، وإنّا كنا نعتزّ بملكك ، حتى ظهر فينا ملك صبيّ حديث السنّ سفيه ، فغيّر ديننا ، وسفّه رأينا ، وكفّر آباءنا ، وهان عليه سخطنا ، فأتيّناك لنُعلمك ذلك ، فتكون أنت أولى بملكنا ؛ ونحن رءوسهم ، وهى أرض كثير مالها ، ضعيف أهلها ، طيّبة معيشتها ، كثيرة أنصارها (٣) ، وفيهم الكنوز وملك ثلاثين ملكاً ، وهم الذين كان يوشع بن نون خليفة موسى سار بهم في البحر هو وقومه ؛ فنحن وأرضنا لك ، وبلادنا بلادك ، وليس أحدٌ فيها يناصبك ، هم دافعون أيديهم إليك بغير قتال ، بأموالهم (٤) وأنفسهم مسالمة .

٦٢٤/١ قال : لهم زرح : لَعَمْرِي ، ما كنت لأجيبكم إلى ما دعوتونى إليه ، ولا أستجيب إلى مقاتلة قوم لعلّهم أطوعُ لى منكم ، حتى أبعث إليهم من قوى أمناء ، فإن وقع الأمرُ على ما تكلمتم به قد أُمّي نفعكم ذلك عندي ، وجعلتكم عليها ملوكاً ، وإن كان كلامكم كذباً فلانى منزل بكم العقوبة التى تنبغى لمن كذبنى .

قال القوم : تكلمت بالعدل ، وحكمت بالقسط ، ونحن به راضون . فأمر عند ذلك بالأرزاق فأجريت عليهم ، واختار من قومه أمناء لبيعهم جواسيس ، فأوصاهم بوصيته (٥) ، وخوفهم وحذرهم بطشه إن هم كذّبوه ،

(١) ن : « عل » . (٢) ن : « عبيد » .

(٣) كذا في ط ، وفي ح « أنصارها » ، وفي س « ثمارها » .

(٤) زاد ح : « ومواشيهم » . (٥) ن : « بوصية » .

ووعدهم المعروف إن هم صدّقوه . وقال زرح : إننى مرسلكم لأمانتكم ، وشحتكم على دينكم ، وحسن رأيكم فى قومكم ، لتطالعوا لى أرضاً من أرضى ، وتبعثوا لى عن شأنها ، وتعلمونى عايم أهلها ومليكها وجنودها وعددها وعدد مياهها ، وفجاجها وطرقها ، ومدخلها ومخارجها ، وسهولتها وصعوبتها ؛ حتى كأنى شاهد ذلك وعالمه ، وحاضر ذلك وخابره . وخذوا معكم من الخزائن من الياقوت والمرجان والكسوة ما يفرغون إليه إذا رأوه ، ويشترى منكم إذا نظروا إليه .

فأمكنهم من خزائنه حتى أخذوا منها ، فجهّزهم لبّرهم وبحرهم ، ووصف لهم القوم الذين أتوهم ^(١) الطرق ، ودلّوهم على مقاصدها ، فساروا كالتجار ؛ حتى نزلوا ساحل البحر ، ثم ركبوا منه حتى أرسوا على ساحل إيليباء ، ثم ساروا حتى دخلوها ، فخلّفوا ^(٢) أنفاهم فيها ، وأظهروا أمتعتهم وبضاعتهم ، ودعوا الناس إلى أن يشتروا منهم ؛ فلم يفرغوا لبضاعتهم ، وكسدت تجارتهم ، فجعلوا يعطون بالشئ القليل الشئ الكثير ؛ لكيلا يخرجوهم من قريتهم ، حتى يعلموا أخبارهم ، ويحقّقوا شأنهم ويستخرجوا ما أمرهم به مملّكهم من أخبارهم . ٦٢٥/١

وكان أسا الملك قد تقدّم إلى نساء بنى إسرائيل ألاّ يقدر على امرأة لا زوج لها بهيئة امرأة لها زوج إلاّ قتلها أو نفاها من بلاده إلى جزائر البحار ؛ فإنّ إبليس لم يدخل على أهل الدّين فى دينهم بمكيدة هى أشدّ من النساء ؛ فكانت المرأة التى لا زوج لها لا تخرج إلاّ منتقبة فى رثة الثياب لثلاث تعرف ؛ فلما بذل هؤلاء الأماناء بضاعتهم ما ثمنه مائة درهم بدرهم ، جعل نساء بنى إسرائيل يشتريّن خفّية بالليل سرا ، لا يعلم بهنّ أحد من أهل دينهنّ ^(٣) ؛ حتى أنفقوا بضاعتهم واشتروا بها حاجتهم ، واستوعبوا خبر مدينتهم وحصونهم ، وعدد مياههم ، وكانوا قد كتموا رءوس بضاعتهم ومحاسنها من اللؤلؤ والمرجان والياقوت هدية للملك ، وجعل الأماناء يسألون من رأوا من أهل القرية عن خبر الملك

(١) ن : « أتوا » .

(٢) كذا فى ح ، وفى ط : « فخلوا » .

(٣) ح : « مدينتهم » .

وشأنه إذ لم يشتر منهم شيئاً ، وقالوا : ما شأن الملك لا يشتري منا شيئاً ! إن كان غنياً فإنّ عندنا^(١) من طرائف^(٢) البضاعات فنعطيه ما شاء مما لم يدخل مثله في خزائنه ، وإن كان محتاجاً فما يمنعه أن يشهدنا فنعطيه ما شاء بغير ثمن ! قال لهم مَنْ حضرهم من أهل القرية : إنّ له من الغنى^(٣) والخزائن وفنون المتاع ما لم يُقدّر على مثله ؛ إنه استفرغ الخزائن التي كان موسى سار بها من مصر ، والحليّ الذي كان بنو إسرائيل أخذوا ، وما جمع يوشع بن نون خليفة موسى ، وما جمع سليمانُ رأس الحكماء والملوك ، من الغنى الكثير والآنية التي لا يقدر على مثلها .

٦٢٦/١

قال الأمراء : فما قتاله ؟ وبأى شيء عظمته ؟ وما جنوده ؟ رأيتم لو أن^(٤) ملكاً انحرف^(٥) عليه ففتق ملكه ما كان إذا قتاله إياه ؟ وما عدته وعدد جنوده ؟ أم بأى الخيل والفرسان غلبته ؟ أم^(٦) من أجل كثرة جمعه وخزائنه وقعت في قلوب الرجال هيبتة !

فأجابهم القوم وقالوا : إن أسا الملك قليلة عدته ، ضعيفة قوته ، غير أنّ له صديقاً لو دعاه واستعان به على أن يزيل الجبال أزاها ؛ فإذا كان معه صديقه فليس شيء من الخلق يطيقه .

قال لهم الأمراء : ومنّ صديق أسا ؟ وكم عدد جنوده ؟ وكيف مواجهته وقتاله ؟ وكم عدد عساكره ومراكبه ؟ وأين قراره ومسكنه ؟

فأجابهم القوم : أمّا مسكنه ففوق السموات العلا ، مستوٍ على عرشه ، لا يحصى عدد جنوده ، وكلّ شيء من الخلق له عبد ، لو أمر البحر لطم على البرّ ، ولو أمر الأنهار لغارت في عنصرها ، لا يرى ولا يعرف قراره ، وهو صديق أسا وناصره^(٧) .

(١) ن : « فعندنا » .

(٢) ط : « طرائف » .

(٣) كذا في ن ، ر ، وفي ط : « الغناء » .

(٤) ح : « كان » .

(٥) ن : « انحرف » .

(٦) كذا في س ، وفي ط : « أومن » . (٧) ح : « وحافظه » .

فجعل الأماناء يكتبون كل شيء أخبروا به من أمر أسا وقضية أمره ،
فدخل بعض هؤلاء الأماناء عليه فقالوا : يا أيها الملك ، إن معنا هدية نريد أن
نهديا لك من طرائف بلادنا ، أو تشتري منا فنُرخصه عليك (١) .

قال لهم : ائتوني بذلك حتى أنظر إليه ، فلما أتوه به قال لهم : هل يبقى هذا
لأهله ويبقون (٢) له ؟ قالوا : بل يفنى هذا ويفنى (٣) أهله . قال لهم أسا (٤) :
لا حاجة لي فيه (٥) ، إنما طَلَبْتُ ما تبقى بهجته لأهله ، لا تزول ولا يزولون عنه .

فخرجوا من عنده ، ورد عليهم هديتهم ، فساروا من بيت المقدس
متوجهين إلى زرح الهندي ملكهم . فلما أتوه نشروا له كتاب خبرهم وأنبئوه (٦)
بما انتهى إليهم من أمر ملكهم ، وأخبروه بصديق أسا . فلما سمع زرح كلامهم
استحلفهم بعزته ، وبالشمس والقمر اللذين يعبدونهما ولهما يصلون ألا يكتبوه
من خبر ما رأوا في بني إسرائيل شيئا . فصدّ قوه .

فلما فرغوا من خبرهم وخبر أسا ملكهم وصديقه ، قال لهم زرح : إن بني
إسرائيل لما علموا أنكم بجواسيس ، وأنكم قد اطلعتم على عوراتهم ذكروا لكم
صديق أسا وهم كاذبون ؛ أرادوا بذلك ترهيبكم . إن صديق أسا لا يطبق أن
يأتي بأكثر من مجندي ، ولا بأكل من عدتي ، ولا بأقسي قلوبا ولا أجرا
على القتال من قومي ؛ إن لقيتني بألف لقيته بأكثر من ذلك .

ثم عمد زرح عند ذلك فكتب إلى كل من في طاعته أن يجهزوا (٧) من
كل مخلاف (٨) جنداً بعدتهم حتى استمد يأجوج ومأجوج والترك وفارس مع

(١) ن ، س : « فرخص » .

(٢) ح : « أو يبقون »

(٣) ط « ويفنون » .

(٤) ن : « قال أسا » .

(٥) س ، ن : « به » .

(٦) ن ، س : « وأتوه » . (٧) ح ، س : « أن جهزوا » .

(٨) المخلاف ، قال ياقوت في مقدمة كتابه عند ذكره الألفاظ التي يتكرر ذكرها في هذا
الكتاب : « فالمخلاف أكثر ما يقع في كلام أهل اليمن ؛ وقد يقع في كلام غيرهم حل جهة التبغ لهم
والانتقال لهم ؛ وهو واحد مخاليف اليمن ؛ وهي كورها . . . وقال خالد بن جندب : « في كل بلد
مخلاف » .

مَنْ سَواهم من الأمم ممن جرت عليه لزرح طاعة ؛ كتب :

من زرح الجبار الهندى ملك الأرضين ، إلى مَنْ بلغته كُتبى : أما بعد فإن لى أرضاً قد دنا حصادُها وأينع ثمرُها ؛ وأردت أن تبعثوا إلىّ بعمال أغنمهم ما حصدوا منها ، وهم قوم قصّوا عنى ، وغلبوا على أطراف من أرضى وقهروا مَنْ تحت أيديهم من رقبى ، وقد منحتهم مَنْ نهض إليهم معى ، فإن قصّرت بكم قوّة فعندى قوتكم ، فإنه لا تتعطل خزائنى .

فاجتمعوا إليه من كل ناحية ، وأمدّوه بالخيّل والفرسان والرّجال^(١) والعدّة ؛ فلما اجتمعوا عنده أمكنهم من السلاح والجهاز من خزائنه ، ثم أمر بإحصاء عددهم وتعبيتهم ، فبلغ عددُهم ألف ألف ومائة ألف سوى أهل بلادهم . وأمر بمائة مركب ، فقير^(٢) له البغال ، كل أربعة أبغّل جميعاً عليها سرير وقبّة ، وفى كل قبّة منها جارية ، ومع كل مركب عشرة من الخدم ، وخمسة أفيال من فيلته ، فبلغ فى كل عسكر من عساكره مائة ألف ، وجعل خاصّته الذين يركبون معه مائة^(٣) من رعوسهم ، وجعل فى كل عسكر عرّفاء^(٤) ، وخطبهم وحرّضهم على القتال ، فلما نظر إليهم وسار فيهم تغرّز وتعظّم شأنه فى قلوب مَنْ حضره ، ثم قال زرح : أين صديق أسّا ؟ هل يستطيع أن يعصمه منى ؟ أو مَنْ يطيق غلبتى ؟ فلو أن أسّا وصديقه ينظران إلى وإلى جندى ما اجترأ على قتالى ؛ لأن عندى بكل واحد من جنده ألفاً من جنودى ، ليدخلن أسّا أرضى أسيراً ، ولأقدمن بقومه سبيّاً فى جنودى .

فجعل زرح ينتقص^(٥) أسّا ويقول فيه مالا ينبغى ، فبلغ أسّا صنيع زرح وجمعه عليه ، فدعا ربّه فقال : اللهم أنت الذى بقوّتك خلقت^(٦) السموات والأرض ومَنْ فيهنّ حتى صار جميع ذلك فى قبضتك ، أنت ذو الأناة

(١) كذا فى ن ، وفى ط : « الرجال » .

(٢) ح : « ففرق » .

(٣) ن : « مائة ألف » .

(٤) العريف : رئيس القوم ؛ سمى لأنه عرف بذلك ؛ وهو دون الرئيس .

(٥) ن : « يتنقص » .

(٦) ن : « جعلت » .

الرفيقة^(١) والغضب الشديد ، أسألك ألا تذكرنا بخطايانا^(٢) فيما بيننا وبينك ، ولا تعمدنا ولا تجزينا على معصيتك ؛ ولكن تذكرنا برحمتك التي جعلتها للخلائق ، فانظر إلى ضَعْفنا وقوة عدونا ، وانظر إلى قَلَّتنا وكثرة عدونا ، وانظر إلى ما نحن فيه من الضيق والغم ، وانظر إلى ما فيه عدونا من الفرح والراحة ، ففرق زرحاً وجنوده في اليم بالقدرة التي غرقت بها فرعون وجنوده ، وأنجيت موسى وقومه . وأسألك أن تُحِلَّ على زرح وقومه عذابك بغتة !

فأرى أساً في المنام - والله أعلم - أني قد سمعت كلامك ، ووصل إلى جُؤارُك ، وأنى على عرشي ، وأنى إن غرقت زرحا الهندي وقومه ، لم يعلم بنو إسرائيل ولا مَنْ كان بحضرتهم كيف صنعت بهم ، ولكن سأظهر في زرح وقومه لك ولمن اتبعك قدرة من قدرتي ، حتى أكفيك مؤنتهم ، وأهب لك غنيمتهم ، وأضع في أيديكم عساكرهم ؛ حتى يعلم أعداؤك أن صديق أسا لا يطاق وليه ، ولا يهزم جنده^(٣) ، ولا يخيب مُطيعه ، فأنا أتمهل له حتى يفرغ من حاجته ، ثم أسوقه إليك عبداً ، وعساكره لك ولقومك خولاً .

فسار زرح ومن معه حتى حلوا على ساحل ترشيش ، فلم يكن إلا ليلة يوم حتى دفنوا أنهارها ، ومحووا مروجها ؛ حتى كان الطير ينقصف عليهم ، والوحش لا تستطيع الحرب منهم ، فساروا حتى كانوا على مرحلتين من إيلياء ، ففرق زرح عساكره منها إلى إيلياء ، وامتلات منهم تلك الأرض : جبالها وسهولها ، وامتلات قلوب أهل الشام منهم رعباً ، وعانوا هلكتهم .

فسمع بهم أسا الملك ؛ فبعث إليهم طليعة من قومه ، وأمرهم أن يخبروه بعددهم وهيتهم . فسار القوم الذين بعثهم أسا حتى نظروا إليهم من رأس تل ، ثم رجعوا إلى أسا فأخبروه أنه لم تر عيون بني آدم ، ولا سمعت آذانهم مثلهم ومثل أفيالهم وخيولهم وفرسانهم ؛ وما ظنننا أن في الناس مثلهم كثرة وغدة ، فلت من إحصائهم عقولنا ، وفت من قتالهم حيلتنا ، وانقطع فيما بيننا وبينهم رجاؤنا .

(١) ن : « الرفيقة » . (٢) ح : « تذكر خطايانا » .

(٣) ح : « وولي لا يهزم جنده » .

فسمع بذلك أهل القرية فشَقُّوا ثيابهم ، وذَرُّوا التراب على رؤوسهم ،
وعَجَّوْا بالعويل في أزقتهم وأسواقهم ، وجعل بعضهم يودِّع بعضًا . ثم ساروا
حتى أتوا الملكَ فقالوا : نحن خارجون بأجمعنا إلى هؤلاء القوم فدافعون إليهم
أيدينا ، لعلهم أن يرحمونا فيقرِّونا في بلادنا . قال لهم أسا الملك : معاذ الله
أن نُلْقَى بأيدينا^(١) في أيدي الكفرة ، وأن نُخْلَى بيت الله وكتابه للفجرة !
قالوا : فاحتلُّ لنا حيلة ، واطلب إلى صديقك وربك الذي كنت تعدُّنا^(٢)
بنصره^(٣) ، وتدعونا إلى الإيمان به ، فإن هو كشف عنا هذا البلاء ؛ وإلا
وضعنا أيدينا في أيدي عدونا لعلنا نتخلص بذلك من القتل .

قال لهم أسا : إن ربي لا يطاق إلا بالتضرُّع والتبتل والاستكانة . قالوا : فابرز له لعله
أن يجيبك فيرحم ضعفنا ، فإن الصديق لا يسلم صديقه على مثل هذا . فدخل أسا المصلَّى ،
ووضع تاجه من رأسه ، وخلَّى ثيابه ، ولبس المسوح وافترش الرماد ، ثم مدَّ يده
يدعو ربه بقلب حزين ، وتضرَّع كثير ، ودموع سِجَال ، وهو يقول : اللهم
ربَّ السموات السبع وربَّ العرش العظيم ، إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق
ويعقوب والأسباط ؛ أنت المستخفى من خلقك حيث شئت ، لا يدرك قرارك ،
ولا يطاق كنهُ عظمتك ، أنت اليقظان الذي لا تنام ، والحديد الذي لا تبليكَ
الليالي والأيام ؛ أسألك بالمسألة التي سألك بها إبراهيم خليلك فأطفأت بها عنه
النار ، وألحقته بها بالأبرار ، وبالدهاء الذي دعاك به نجيئكَ موسى فأنجيت
بنى إسرائيل من الظلمة ، وأعتقتهم به من العبودية ، وسيَّرتهم في البرِّ^(٤) والبحر ،
وغرَّقت فرعون ومن اتبعه . وبالتضرُّع الذي تضرَّع لك^(٥) عبدك داود
فرفعتَه ، ووهبت له من بعد الضعف القوة ، ونصرتَه على جالوت الجبار ،
وهزمتَه . وبالمسألة التي سألك بها سليمان نبيك ففتحته الحكمة ، ووهبت له
الرفعة ، وملَّكتَه على كلِّ دابَّة . أنت محي الموتي ، ومُغْنِي الدنيا ، وتَبْقَى

(١) س : « أيدينا » .

(٢) ح : « وعدتنا » .

(٣) س : « نصره » .

(٤) كذا في ح ، وفي ط : « في البحر إلى البر » .

(٥) ح : « إليك » .

وحدك خالداً لا تنفى ، وجديداً لا تبلى . أسألك يا إلهى أن ترحمنى بإجابة دعوتى ؛ فلانى أعرجٌ مسكين من أضعف عبادك ، وأقلّهم حيلة ، وقد حلّ بنا كرب عظيم ؛ وحزبٌ^(١) شديد ، لا يطيق كشفه غيرك ، ولا حول ولا قوة لنا إلاّ بك ، فارحم ضعفنا بما شئت ؛ فإنك ترحم من تشاء بما تشاء .

وجعل علماء بنى إسرائيل يدعون الله خارجاً وهم يقولون : اللهمّ أجب اليوم عبدك ؛ فإنه قد اعتصم بك وحدك ، ولا تخلّ بينه وبين عدوك ، واذكر حبه إياك ، وفراقه أمّه وجميع الخلائق إلا من أطاعك .

فأتى الله على أسا النوم وهو فى مصلاّه ساجداً ، ثم أتاه من الله آت — والله أعلم — فقال : يا أسا ، إن الحبيب لا يُسلم حبيبه ، وإن الله عزّ وجلّ يقول : إني قد ألقيت عليك محبتي ، ووجّب لك نصرى ، فأنا الذى أكيفيك عدوك ، فإنه لا يهون منّ توكلّ علىّ ، ولا يضعف منّ تقوى بي . كنت تذكرنى فى الرخاء ، وأسلمك عند الشدائد ، وكنت تدعونى آمناً ، وأنا أسلمك خائفاً ؛ إن الله القوىّ يقول : أنا أقسم أن لو كابدتلك^(٢) السموات والأرض بمنّ فيهنّ لجعلت لك منّ جميع ذلك مغرباً ، فأنا الذى أبعث طرفاً^(٣) من زبانيّتى يقتلون أعدائى ، فلانى معك ، ولن يخلص إليك ولا إلى من معك أحد .

فخرج أسا من مصلاّه وهو بحمد الله ، مسفراً وجهه ، فأخبرهم بما قيل له ، فأما المؤمنون فصدّقه ، وأما المنافقون فكذبوه ، وقال بعضهم لبعض : إنّ أسا دخل أعرج وخرج أعرج ، ولو كان صادقاً أن الله قد أجابه إذّا لأصلح^(٤) رجله ، ولكن يغرّنا ويميّتنا ، حتى تقع الحرب فينا فيهلكنا !

* * *

فبينما الملك يخبرهم عن صنع الله^(٥) بهم^(٦) إذ قدم رسل من زرح فدخلوا إيلياء ومعهم كتب من زرح إلى أسا ، فيها شتمٌ له ولقومه ، وتكذيب بالله ،

(١) الحزب، بالفتح : اشتداد الأمر . وفى ح : « وحزن » .

(٢) كذا فى ن ، وفى ط ن : « كابدتك » . (٣) ح : « طوقاً » .

(٤) ن : « أصلح » .

(٥) س : « عن صنع » .

(٦) ن : « لهم » .

وكتب فيها : أن ادعُ صديقك الذي أضللت به قومك فليبارزني بجنوده ،
وليظهر لي مع ما أنتى أعلم أنه لن يطيقني ^(١) هو ولا غيره ؛ لأنى أنا زرح
الهندي الملك .

فلما قرأ أسا الكتب التي قدم بها عليه همت عيناه بالبكاء ، ثم دخل مصلاه ،
ونشر تلك الكتب بين يدي ^(٢) الله ، ثم قال : اللهم ليس لي شيء من الأشياء
أحب إلي من لقاءك ؛ غير أنى أتخوف أن يطفأ هذا النور الذي أظهرته
في أيامي هذه ، وقد حضرت هذه الصحائف وعلمت ما فيها ، ولو كنت المراد
بها كان ذلك يسيراً ؛ غير أن عبدك زرحاً يكايدك ويتناولك ؛ فخر ^(٣) بغير
فخر ، وتكلم بغير صدق ، وأنت حاضر ذلك وشاهده . ٦٣٤/١

فأوحى الله إلى أسا - والله أعلم - أنه لا تبديل لكلماتي ، ولا خلف
لوعدي ، ولا تحويل لأمرى ، فاخرج من مصلاك ، ثم مر خيلك أن تجتمع ،
ثم اخرج بهم وبمن اتبعك حتى تقفوا على نشر من الأرض .

فخرج أسا فأخبرهم بما قيل له ، فخرج اثنا عشر رجلاً من رؤسائهم ، مع
كل رجل منهم رهط من قومه ؛ فلما أن خرجوا ، ودعوا أهاليهم بالآل يرجعوا ^(٤)
إلى الدنيا . فوقفوا لزرح على رابية من الأرض ، فأبصروا منها زرحا وقومه ،
فلما أبصرهم زرح نفص رأسه ليسخر منهم ، وقال : إنما نهضت من
بلادى ، وأنفقت أموالى لمثل هؤلاء ! ودعا عند ذلك بالنفر الذين كانوا نعتوا
عنده أسا وقومه ، فقال : كذبتهموني وزعمتم أن قومكم كثير عددهم ! فأمر
بهم وبالأمناء ^(٥) الذين كان بعثهم ^(٦) ليخبروه خبرهم ، فقفلوا جميعاً ،
وأسا في ذلك كثير تضرعه ^(٧) ، معتصم بربه ، فقال زرح : ما أدرى ما أفعل

(١) س : « لم يطيقني » .

(٢) كذا في ح ، وفي ط : « قدام الله » .

(٣) كذا في الأصول ؛ وفي ط : « وفخر » ؛ من تصرف مصححه .

(٤) كذا في ن ؛ وفي ط : « ألا يرجعون » .

(٥) كذا في ن ، وفي ط : « والأمناء » .

(٦) كذا في س ، وفي ط : « بعث » .

(٧) كذا في ح ، وفي ط : « التضرع » .

بهؤلاء القوم ؟ وما (١) أدري ما قدر قِلتهم في كثرتنا ؟ إني لأستقيلتهم عن المحاربة ، وأرى ألا أقاتلهم (٢) .

فأرسل زرح إلى أسا فقال له : أين صديقك الذي كنت تعدنا به ، وتزعم أنه يخاضك مما يحلّ بكم من سَطَوَاتِي ! أفتضعون أيديكم في يدي فأمضي فيكم حكيمي ، أو تاتمسون قتالي !

فأجابه أسا فقال : يا شقيّ ، إنك لست تعلم ما تقول ، ولست تدري ! ٦٣٥/١
أتريد أن تغلب ربك بضغفك ، أم تريد أن تكاثره بقلتك ؟ هو أعزّ شيء وأعظمه ، وأغلب شيء وأقهره ، وعبادُه أذلُّ وأضعف عنده من أن ينظروا إليه معاينة . هو (٣) معي في موقعي هذا ، ولن يغلب أحدٌ كان الله معه . فاجتهد يا شقيّ بجهدك حتى تعلم ماذا يحلُّ بك .

فلما اصطف قوم زرح وأخذوا مراتبهم ، أمر زرح الرماة من قومه أن يرموهم بنشأهم . فبعث الله ملائكة من كلّ سماء — والله أعلم — عوناً (٤) لأسا وقوميه ، ومادة له ، فوقفهم أسا في مواقعهم ، فلما رموا نشأهم ، حال المشركون بين ضوء الشمس وبين الأرض ؛ كأنها سحابة طلعت ففتحها الملائكة عن أسا وقومه ، ثم رمت بها الملائكة قومَ زرح ، فأصاب كلّ رجل منهم نشأته التي رمى بها ، فقتل رماةهم بها كلها وأسا وقومه في كلّ ذلك يحمّدون الله كثيراً ، ويعجبون إليه بالتسبيح ، وتراءت الملائكة لهم — والله أعلم — فلما رآهم الشقيّ زرح وقع الرعب في قلبه ، وسقط في يده ، وقال : إن أسا لعظيم كيده ، ماضٍ سحره ، وكذلك بنو إسرائيل ، حيث كانوا لا يغلب سحرهم ساحر ، ولا يطبق مكرهم عالم ؛ وإنما تعلّموه من مصر ، وبه ساروا في البحر ، ثم نادى الهنديّ في قومه : أن سلّوا سيوفكم ، ثم احمّلوا عليهم حملة واحدة . فدفّقوهم .

فسلّوا سيوفهم ثم حملوا على الملائكة فقتلتهم الملائكة ، فلم يبق منهم غير زرح ونسائه ورفيقه .

(١) س : « ولا » . (٢) س : « أني لا أقاتلهم » ، ح : « ولا أرى أن أقاتلهم » .
(٣) كذا في ح ، س ، وفي ط : « وهو » . (٤) ن : « أعواناً » .

٦٣٦/١ فلما رأى ذلك زرح ولّى مدبراً فارّاً هو ومن معه ، وهو يقول : إن أسا ظهر علانية ، وأهلكنى صديقهُ سرّاً ، وإنى كنتُ أنظر إلى أسا ومنّ معه واقفين لا يقاتلون والحرب واقعة فى قومى .

فلما رأى أسا أن زرحاً قد ولّى مدبراً قال : اللهمّ إن زرحاً قد ولّى مدبراً ، وإنك إن لم تحلّ بينى وبينه استنفر علينا قومه ثانية . فأوحى الله إلى أسا : إنك لم تقتل منّ قتل منهم ولكنى قتلتهُم ، فقِفْ مكانك ، فإنى لو خلّيت بينك وبينهم أهاكوكم جميعاً ؛ إنما يتقلب زرح فى قبضتى ، ولن ينصره أحد منى ، وأنا لزرح بالمكان الذى لا يستطيع صدوداً عنه ولا تحويلاً ؛ وإنى قد وهبت لك ولقومك عساكره وما فيها من فضة ومتاع ودابة ، فهذا أجرك إذ اعتصمت بى ، ولا ألتمس منك أجراً على نصرتك !

فسار زرح حتى أتى البحر يريد بذلك الهرب ، ومعه مائة ألف ، فهيتوا سفنهم ثم ركبوا فيها ، فلما ساروا فى البحر بعث الله الرياح من أطراف الأرضين والبحار إلى ذلك البحر واضطربت من كل ناحية أمواجه ، وضربت السفن بعضها بعضاً حتى تكسّرت ؛ ففرق زرح ومن كان معه ، واضطربت بهم الأمواج حتى فزع لذلك أهل القرى حولهم ، ورجفت الأرض ، فبعث أسا من يعلمه علم ذلك ، فأوحى الله إليه - والله أعلم - أن اهبط أنت وقومك أهل قراكم ، فخذوا ما غنمكم الله بقوة ، وكونوا فيه من الشاكرين ؛ فإنى قد سوغت كل من أخذ من هذه العساكر شيئاً ما أخذه . فهبطوا يحمّدون الله ويقدّسونه ، فنقلوا تلك العساكر إلى قراهم ثلاثة أشهر . والله أعلم . ٦٣٧/١

* * *

ثم ملك بعده يهوشافاظ^(١) بن أسا إلى أن هلك خمساً وعشرين سنة .

(١) يهوشافاظ : « بياض مفتوحة مشاة تحتانية وهاء مضمومة وواو ساكنة وشين معجمة بعدها ألف . ثم طاء بين الذال والظاء المعجمتين » ، كذا ضبطه ابن خلدون فى ١ : ١٤٩ . وفى ابن الأثير ١ : ١٤٣ : « سافاظ » .

ثم ملكت عتليا وتسمى غزليا (١) ابنة عمرم أم أخزيا (٢) ، وكانت قتلت أولاد ملوك بني إسرائيل ، فلم يبق منهم إلا يواش (٣) بن أخزيا ، فإنه سُتِر عنها ، ثم قتلها يواش وأصحابه ، وكان ملكها سبع سنين .

ثم ملك يواش بن أخزيا إلى أن قتله أصحابه ، وهو الذي قتل جدته ، فكان ملكه أربعين سنة .

ثم ملك أموصيا (٤) بن يواش إلى أن قتله أصحابه تسعاً وعشرين سنة ،

ثم ملك عوزيا (٥) بن أموصيا — وقد يقال لعوزيا : غوزيا — إلى أن توفي ، اثنتين وخمسين سنة .

ثم ملك يوتام (٦) بن عوزيا إلى أن توفي ، ست عشرة سنة .

ثم ملك أحاز بن يوتام إلى أن توفي ، ست عشرة سنة .

ثم ملك حزقيا بن أحاز (٧) إلى أن توفي . وقيل إنه صاحب شعيا الذي أعلمه شعيا انقضاء عمره ، فتضرع إلى ربه فزاده وأملاه ، وأمر شعيا بإعلامه ذلك .

وأما محمد بن إسحاق فإنه قال : صاحب شعيا الذي هذه القصة قصته

اسمه صديقة .

(١) ح : « غزلتا » . ن : « غزليا » ، وفي ابن الأثير : « غزليا » .

(٢) وفي ابن خلدون : « أخزيا هو » ، بهززة مفتوحة وحاء مهملة مضمومة وزاى معجمة ساكنة ، ثم ياء مشناة تحتية ، بفتحة تجلب ألفاً ، ثم هاء مضمومة تجلب واواً .

(٣) ابن خلدون : « يواش » .

(٤) في ابن خلدون : « أمصيا » ، بفتح الهمزة والميم وسكون الصاد المشمة بالزاي ، بعدها ياء مشناة تحتانية بفتحة تجلب ألفاً ، ثم هاء مضمومة تجلب واواً .

(٥) في ابن خلدون : عز يا هو ، « بعين مهملة مضمومة وزاى معجمة مكسورة مشددة وياه مشناة تحتانية تجلب ألفاً وهاء تجلب واواً » .

(٦) في ابن خلدون : « يواث » .

(٧) أحاز ، « بهززة مفتوحة مائة وحاء مهملة تجلب ألفاً وزاى معجمة » كذا ضبطه ابن خلدون .

ذكر صاحب

قصة شعيا من ملوك بني إسرائيل ، وسنحاريب

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة بن الفضل، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : كان فيما أنزل الله على موسى في خبره عن بني إسرائيل واحداهم وما هم^(١) فاعلون بعده ، قال : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا ﴾ - إلى - ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾^(٢) ، فكانت بنو إسرائيل وفيهم الأحداث والذنوب ، وكان الله في ذلك متجاوزاً عنهم ، متعطفاً عليهم ، محسناً إليهم ، وكان مما أنزل الله بهم في ذنوبهم ما كان قدّم إليهم في الخبر عنهم على لسان موسى . فكان أول ما أنزل بهم من تلك الوقائع ؛ أن ملكاً منهم كان يدعى صديقة^(٣) ، وكان الله إذا ملك الملك عليهم ، بعث نبياً يسدّده ويرشده ، فيكون فيما بينه وبين الله ، يحدث إليه في أمرهم . لا يُنزل عليهم الكتب ، إنما يؤمرون باتّباع التوراة والأحكام التي فيها ، وينهونهم عن المعصية ، ويدعونهم إلى ما تركوا من الطاعة .

فلما ملك ذلك الملك بعث الله معه شعيا بن أمصيا ، وذلك قبل مبعث عيسى وزكرياء ويحيى وشعيا الذي بشر بعيسى ومحمد ، فلك ذلك الملك بني إسرائيل وبيت المقدس زماناً ، فلما انقضى ملكه ، وعظمت فيهم الأحداث ، وشعيا معه ، بعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل معه ستمائة ألف راية ، فأقبل سائراً حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض ، في ساقه قرحة ، فجاءه النبي شعيا ، فقال له : يا ملك بني إسرائيل ، إن سنحاريب ملك بابل ، قد نزل بك هو وجنوده في ستمائة ألف راية ، وقد هاجم الناس وفرقوا منهم . فكبر ذلك على الملك ، فقال : يا نبي الله ، هل أتاك وحى من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وسنحاريب وجنوده ؟ فقال له النبي عليه السلام :

(١) التفسير : « ما هم » . (٢) سورة الإسراء ٤ - ٨

(٣) ابن الأثير : « صديقا » .

لم يأتني وحى حَدَّثَ إِلَىَّ فِي شَأْنِكَ .

فبينما هم على ذلك أوحى الله إلى شعيا النبي : أن ائت ملك بني إسرائيل فأمره أن يوصي بوصيته ، ويستخلف على ماكنه مَنْ يشاء من أهل بيته . فأتى النبي شعيا ملك بني إسرائيل صديقة ، فقال له : إن ربك قد أوحى إلىَّ أن أمرك توصي وصيتك ، وتستخلف مَنْ شئت على ^(١) الملك من أهل بيتك ؛ فإنك ميت . فلما قال ذلك شعيا لصديقة : أقبل ^(٢) على القبلة ، فصلتي وسبتح ، ودعا وبكى ، وقال وهو يبكي ويتضرع إلى الله بقلب مخلص ، وتوكل وصبر ، وظن صادق : اللهم رب الأرباب ، وإله الآلهة ، القدوس ^(٣) المتقدس ، يا رحمن يا رحيم ، المترحم ، الرؤوف الذي لا تأخذه سنة ولا نوم . اذكرني بعملى وفعلى وحسن قضائى على بنى إسرائيل ، وذلك كله كان منك ، فأنت أعلم به من نفسى وسرى وعلائسى لك . وإن الرحمن استجاب له وكان عبداً صالحاً . فأوحى الله إلى شعيا ، فأمره ^(٤) أن يخبر صديقة الملك أن ربه قد استجاب له وقبل منه ورحمه ، وقد رأى بكاءه ، وقد أخر أجله خمس عشرة سنة ، وأنجاه من عدوه سنحاريب ملك بابل وجنوده . فلما قال له ذلك ، ذهب عنه الوجع ، وانقطع عنه الشر والحزن ، وخر ساجداً ، وقال : يا إلهى وإله آبائى ؛ لك سجدة وسبحت ، وكرمت وعظمت . أنت الذى تعطى الملك مَنْ تشاء ، وتنزعه ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، عالم الغيب والشهادة ؛ أنت الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين ، أنت الذى أجبت دعوتى ، ورحمت تضرعى . فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعيا : أن قل للملك صديقة ، فإمر عبداً من عبيده ، فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى ويصبح وقد برئ . ففعل ذلك فشئى . وقال الملك لشعيا النبي : سل ربك أن يجعل لنا علماً بما هو صانع بعدونا هذا . فقال الله لشعيا النبي : قل له إني قد كفيتك عدوك ، وأنجيتك منهم ، وإنهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنحاريب وخمسة من كتابه .

(٢) ن : « استقبال القبلة » .

(١) التفسير : « على ملكك » .

(٤) ساقطة من التفسير .

(٣) التفسير : « قدوس المتقين » .

فلما أصبحوا جاءه صارخ فصرخ على باب المدينة : يا ملك بني إسرائيل ، إن الله قد كفاك عدوك فاخرج ، فإن سنحاريب ومن معه قد هلكوا . فلما خرج الملك التمس سنحاريب فلم يوجد في الموتى ، فبعث الملك في طلبه ، فأدركه الطلب في مغارة وخمسة من كتّابه أحدهم بختنصر ، فجعلوهم في الجوامع ، ثم أتوا بهم ملك بني إسرائيل ، فلما رآهم خرّ ساجداً من حين طلعت الشمس حتى كانت العصر ، ثم قال لسنحاريب : كيف ترى فعل ربنا بكم ؟ ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون ! فقال سنحاريب له : قد أتاني خبر ربكم ^(١) ونصره إياكم ، ورحمته التي رحمكم بها قبل أن أخرج من بلادى ، فلم أطع مرشداً ولم يلقني في الشقوة إلا قلة عقلي ؛ ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم ، ولكن الشقوة غلبت على وعلى من معي . فقال ملك بني إسرائيل : الحمد لله رب العزة الذي كفاناكم بما شاء ، إن ربنا لم يبقك ومن معك لكرامة لك عليه ؛ ولكنه إنما أبقاك ومن معك إلى ما هو شر ^(٢) لك ولمن معك . لتزدادوا ^(٣) شقوة في الدنيا ، وعذاباً في الآخرة ، ولتُخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا ، ولتنبذوا من بعدكم ، ولولا ذلك ما أبقاكم . ولدممك ودم من معك أهون على الله من دم قراد لو قتلته ^(٤) ! .

* * *

ثم إن ملك بني إسرائيل أمر أمير حرسه فقذف في رقابهم الجوامع ، وطاف بهم سبعين يوماً حول بيت المقدس ، وكان يرزقهم كل يوم خبزتين من شعير ، لكل رجل منهم ، فقال سنحاريب للملك بني إسرائيل : القتل خير مما تفعل بنا ، فافعل ما أمرت . فأمر بهم الملك إلى سجن القتل ، فأوحى الله إلى شعيا النبي : أن قل للملك بني إسرائيل يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم ، وليكرّمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم . فبلغ النبي شعيا الملك ذلك ، ففعل ، فخرج سنحاريب ومن معه حتى قدّموا بابل ؛ فلما قدموا جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده . فقال له كهّانه وسحرته : يا ملك

(١) ح : « خبره » . (٢) ح : « والتفسير » لما هو شر .

(٣) ت : « ولتزدادوا » . (٤) ح : « قتله » .

بابل ، قد كنا نقصُ عليك خبر ربّهم وخبر نبيّهم ووحى الله إلى نبيّهم ، فلم تطعنا ؛ وهى أمة لا يستطيعها أحد من ^(١) ربهم ، فكان أمر سنحاريب مما خوفوا به ، ثم كفاهم الله إياه تذكرة وعبرة ، ثم لبث سنحاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات ^(٢) .

* * *

وقد زعم بعضُ أهل الكتاب أن هذا الملك من بنى إسرائيل الذى سار إليه سنحاريب كان أعرج ، وكان عرجه من عرق النساء ، وأن سنحاريب إنما طمع فى مملكته لزمانته وضعفه ، وأنه قد كان سار إليه قبل سنحاريب ملك من ملوك بابل ؛ يقال له ليفر ^(٣) ، وكان بختنصر ابن عمته كاتبه ، وأن الله أرسل عليه ريحا أهلكت جيشه ، وأفلت هو وكاتبه ، وأن هذا البابى قتله ابن له ، وأن بختنصر غضب لصاحبه ، فقتل ابنه الذى قتل أباه ، وأن سنحاريب سار بعد ذلك إليه ، وكان مسكنه بينىوى مع ملك أذربيجان يومئذ ؛ وكان يُدعى سلمان الأعسر ، وأن سنحاريب وسلمان اختلفا ، فتحاربا حتى تفانى جنداهما ، وصار ما كان معهما غنيمة لبنى إسرائيل .

وقال بعضهم : بل الذى غزا حزقيا صاحب شعيا سنحاريب ملك الموصل ؛ ^{٦٤٣/١} وزعم أنه لما أحاط ببيت المقدس بجنوده بعث الله ملكا ، فقتل من أصحابه فى ليلة واحدة مائة ألف وخمسة وثمانين ألف رجل . وكان ملكه إلى أن توفى تسعا وعشرين سنة .

* * *

ثم ملك بعده — فيما قيل — أمرهم مینشأ ^(٤) بن حزقيا إلى أن توفى ، خمسا وخمسين سنة .

ثم ملك بعده أمون ^(٥) بن مینشأ إلى أن قتله أصحابه ، اثنتى عشرة سنة .

(١) التفسير : مع ربهم .

(٢) الخبر فى التفسير ١٥ : ١٨ ، ١٩ (بلاق) .

(٣) ن : « ليفر » .

(٤) ضبطه ابن خلدون : « بميم مكسورة وذن مفتوحة وشين معجمة مشددة وألف » .

(٥) ضبطه ابن خلدون : « بهمزة قريبة من العين والميم مضمومة تجلب واو ثم ذن » .

ثم ملك بعده يوشيا بن أمون إلى أن قتله فرعون الأجدع المقعد ملك مصر ،
إحدى وثلاثين سنة .

ثم ياهواحاز بن يوشيا^(١) ، وكان فرعون الأجدع قد غزاه وأمره وأشخصه
إلى مصر ، وملك فرعون الأجدع يواقيم^(٢) بن ياهواحاز على ما كان عليه
أبوه ، ووظف عليه خراجاً يؤديه إليه ، فكان يواقيم يجبي ذلك فيما زعموا —
من بني إسرائيل ، ويحمله — فيما زعموا — اثنتي عشرة سنة .

ثم ملك أمرهم من بعده يواحين^(٣) بن يواقيم ، فغزاه بختنصر ، فأمره
وأشخصه إلى بابل بعد ثلاثة أشهر من ملكه . وملك مكانه مَتَنِيَا^(٤) عمه
وسماه صديقياً^(٥) فخالفه ، فغزاه فظفر به ، فأوثقه وحمله إلى بابل بعد أن ذبح
ولده بين يديه ، وسَمَلَ عينيه وخرب المدينة والهيكل ، وسبى بني إسرائيل ،
وحملهم إلى بابل ، فكثوا بها إلى أن ردّهم إلى بيت المقدس كيرش بن بجماسب
ابن أسب ، من أجل القرابة التي كانت بينه وبينهم ؛ وذلك أن أمّه أشتراينة
جاويل — وقيل : جاويل — الإسرائيلية ، فكان جميع ما ملك صديقياً مع الثلاثة
الأشهر التي ملك فيها يواحين — فيما قيل — إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر .

ثم صار ملك بيت المقدس والشام لأشتاسب بن هراسب ، وعامله على ذلك
كله بختنصر .

* * *

وذكر محمد بن إسحاق ، فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة
عنه : أن صديقة ملك بني إسرائيل الذي قد ذكرنا خبره ، لما قبضه الله مَرِج

(١) ضبطه ابن خلدون : « ييا » مشاة تحتية مضمومة تجلب وأوا بعدها شين مكسورة
ثم ياء مشاة تحتية بفتحة تجلب ألفاً .

(٢) ت : « يواقيم » ، وفي س : « يواقيم » . وفي ابن خلدون : ألياقيم ، وضبطه « همزة
مفتوحة ولام ساكنة وياء مشاة تحتانية يجلب فتحها ألفاً وقاف مكسورة تجلب ياء ثم ميم » .

(٣) ت : س ، ن : « يواحين » .

(٤) ضبطه ابن خلدون : « بيم مفتوحة وياء مشاة فوقانية مفتوحة مشددة ، ونون ساكنة ،
وياء مشاة تحتانية تجلب ألفاً » .

(٥) ابن خلدون : « صديقياً » .

أمرُ بني إسرائيل ، وتنافسوا الملك ، حتى قتل بعضهم بعضاً عليه ، ونبئهم شعياً معهم ، لا يرجعون إليه ولا يقبلون منه . فلما فعلوا ذلك قال الله فيما بلغنا : لشعياً : قم في قومك أوح على لسانك ، فلما قام أنطق الله لسانه بالوحي ، فوعظهم وذكرهم وخوفهم الغير ، بعد أن عدّ عليهم نعم الله عليهم ، وتعرضهم للغير .

قال : فلما فرغ شعياً إليهم من مقالته عدّوا عليه فيما بلغني — ليقتلوه ، فهرب منهم ، فلقيته شجرة ، فانفلقت له ، فدخل فيها وأدركه الشيطان ، فأخذ بهدبة من ثوبه فأراهم إياها ، فوضعوا المنشار في وسطها ، فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها .

* * *

وقد حدثني بقصة شعياً وقومه من بني إسرائيل وقتلهم إياه ، محمد بن سهل البخاري ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، عن وهب بن منبه .

ذكر خبر هراسب وابنه بشتاسب وغزو بختنصر بنى إسرائيل وتخريبه بيت المقدس

ثم ملك بعد كيخسرو من الفرس هراسب بن كيوجى بن كيمنوش بن
كيفاشين ، باختيار كيخسرو إياه ، فلما عقد التاج على رأسه قال : نحن
مؤثرون البير على غيره . واتخذ سريراً من ذهب مكدلاً بأنواع الجواهر للجلوس
عليه ، وأمر فبنيت له بأرض خراسان مدينة بلخ^(١) ، وبها الحساء ، ودون
الدواوين ، وقوى ملكه بانتخابه لنفسه الجنود ، وعمر الأرض واجتبي الخراج
لأرزاق الجنود ، ووجه بختنصر ، وكان اسمه بالفارسية - فيما قيل - بخرشه .

فحدثت عن هشام بن محمد قال : ملك هراسب - وهو ابن أخى قبوس -
فبنى مدينة بلخ ، فاشتدت شوكة الترك فى زمانه ، وكان منزله ببلخ
يقاتل الترك . قال : وكان بختنصر فى زمانه ، وكان أصبهبذ ما بين الأهواز
إلى أرض الروم من غربى دجلة ، فشخص حتى أتى دمشق ، فصالحه أهلها
ووجه قائداً له ، فأتى بيت المقدس فصالح^(٢) ملك بنى إسرائيل ، وهو رجل
من ولد داود ، وأخذ منه رهائن وانصرف . فلما بلغ طبرية وثبت بنو إسرائيل
على ملكهم فقتلوه ، وقالوا : راهنت أهل بابل ونخذلتنا ! واستعدوا للقتال ، فكتب قائد
بختنصر إليه بما كان ، فكتب إليه يأمره أن يقيم بموضعه حتى يوافيه ، وأن يضرب
أعناق الرهائن الذين معه ، فسار بختنصر حتى أتى بيت المقدس ، فأخذ
المدينة عنوة ، فقتل مقاتليها ، وسبي الذرية .

٦٤٦/١

قال : وبلغنا أنه وجد فى سجن بنى إسرائيل لإرميا النبي ، وكان الله تعالى
بعثه نبياً - فيما بلغنا - إلى بنى إسرائيل . يخذلهم ما حل بهم من بختنصر ،

(١) بلخ ، قال ياقوت : « من أجل مدن خراسان وأذكرها وأكثرها خيراً وأوسعها غلة ؛
فيل أول من بناها هراسف الملك لما خرب صاحبه بختنصر بيت المقدس ، وقيل بل الإسكندر بناها » .
(٢) س : « فصالحه » .

وَيُعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ مَسْلُطٌ عَلَيْهِمْ مَنْ يَقْتُلْ مَقَاتِلَتَهُمْ، وَيَسْبِي ذُرَارِيَهُمْ، إِنْ لَمْ يَتُوبُوا وَيَتَزَعُوا عَنْ سَبْيِ أَعْمَالِهِمْ. فَقَالَ لَهُ بَخْتَنْصَرُ: مَا خَطْبُكَ ؟ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَهُ إِلَى قَوْمِهِ لِيَحْذَرَهُمُ الَّذِي حَلَّ بِهِمْ، فَكَذَّبُوهُ وَجَسَّوهُ. فَقَالَ بَخْتَنْصَرُ: بِشِ الْقَوْمِ قَوْمٌ عَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ! وَخَلَّتْ سَبِيلُهُ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ. فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مَنْ بَقِيَ مِنْ ضَعْفَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالُوا: إِنَّا قَدْ أَصَانَا وَظَلَمْنَا، وَنَحْنُ نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِمَّا صَنَعْنَا، فَادْعِ اللَّهَ أَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتَنَا. فَدَعَا رَبَّهُ فَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنَّهُمْ غَيْرُ فَاعِلِينَ، فَإِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فَلْيَقِيمُوا مَعَكَ بِهَذِهِ الْبَلَدَةِ، فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ، فَقَالُوا: كَيْفَ نَقِيمُ بِبَلَدَةٍ قَدْ خَرَّبَتْ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِهَا! فَأَبَوْا أَنْ يَقِيمُوا، فَكَتَبَ بَخْتَنْصَرُ إِلَى مَلِكِ مِصْرَ: إِنَّ عِبِيدًا لِي هَرَبُوا مِنِّي إِلَيْكَ، فَسَرِّحْهُمْ^(١) إِلَيَّ، وَإِلَّا غَزَوْتُكَ وَأَوَّطَأْتُ بِلَادَكَ الْخَلِيلَ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَلِكُ مِصْرَ: مَا هُمْ بِعَبِيدِكَ؛ وَلَكِنَّهُمْ الْأَحْرَارَ أَبْنَاءَ الْأَحْرَارِ؛ فَغَزَاهُ بَخْتَنْصَرُ فَقَتَلَهُ، وَسَبَى أَهْلَ مِصْرَ، ثُمَّ سَارَ^(٢) فِي أَرْضِ الْمَغْرِبِ، حَتَّى بَلَغَ أَقْصَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِسَبْيِ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ فِلَسْطِينَ وَالْأُرْدُنِّ، فِيهِمْ دَانِيَالُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ.

قال: وفي ذلك الزمان تفرقت بنو إسرائيل، ونزل بعضهم أرض الحجاز بيبْثَرِبَ ووادي القرى، وغيرها.

* * *

قال: ثم أوحى الله إلى إرميا-فيما بلغنا: إِنِّي عامر بيت المقدس فأخرج إليها، فأنزلها. فأخرج إليها حتى قدمها وهي خراب، فقال في نفسه: سبحان الله! أمرني الله أن أنزل هذه البلدة، وأخبرني أنه عامرُها، فمَن يَعْمُرُ^(٣) هذه، ومتى يحييها الله بعد موتها! ثم وضع رأسه فنام ومعه حمامه وسلّة فيها طعام، فمكث في نومه سبعين سنة، حتى هلك بَخْتَنْصَرُ وَالْمَلِكُ الَّذِي فَوْقَهُ،

(١) ح: «فوجههم».

(٢) ط: «سار»، وما أثبتته من ن.

(٣) ح: «يعمرها»، ت: «يعمر هذا».

وهو لهراسب الملك الأعظم وكان ملك لهراسب مائة وعشرين سنة . وملك بعده بشتاسب ابنه ، فبلغه عن بلاد الشام أنها خراب ، وأن السباع قد كثرت في أرض فلسطين ، فلم يبق بها من الإنس أحد ، فنأدى في أرض بابل في بني إسرائيل : إن من شاء أن يرجع إلى الشام فليرجع . وملك عليهم رجلاً من آل داود ، وأمره أن يعمر بيت المقدس ويبنى مسجدها ، فرجعوا فعمروها ، ٦٤٨/١ وفتح الله لإرميا عينيه ، فنظر إلى المدينة كيف تعمر وتبنى ، ومكث في نومه ذلك ، حتى تمت له مائة سنة ، ثم بعثه الله وهو لا يظن أنه نام أكثر من ساعة ، وقد عهد المدينة خراباً يباباً ، فلما نظر إليها قال : أعلم أن الله على كل شيء قدير .

قال : وأقام بنو إسرائيل بيت المقدس ورد إليهم أمرهم ، وكثروا بها حتى غلبت عليهم الروم في زمان ملوك الطوائف ، فلم يكن لهم بعد ذلك جماعة .

* * *

قال هشام : وفي زمان بشتاسب ظهر زرادشت ، الذي تزعم المجوس أنه نبيهم ، وكان زرادشت فيما زعم قوم من علماء أهل الكتاب - من أهل فلسطين ، خادماً لبعض تلامذة إرميا النبي خاصاً به ^(١) ، أثيراً عنده ، فخانته فكذب عليه ، فدعا الله عليه ، فبرص فلحق ببلاد أذربيجان ، فشرع بها دين المجوسية ، ثم خرج منها متوجهاً نحو بشتاسب ، وهو ببلخ ، فلما قدم عليه وشرح له دينه أعجبه فقرر الناس على الدخول فيه ، وقتل في ذلك من رعيته مقتلة عظيمة ، ودانوا به ، فكان ملك بشتاسب مائة سنة واثنتي عشرة سنة ^(٢) .

وأما غيره من أهل الأخبار والعلم بأمور الأوائل فإنه ذكر أن كى لهراسب

(١) ابن خلدون فيما نقل عن الطبري ١ : ٢٣٩ : « خالصة عنده » .

(٢) قال ابن خلدون : « وعند علماء الفرس أن زرادشت من نسل منوشهر الملك ، وأن نبياً من بني إسرائيل بعث إلى كشتاف ؛ وهو ببلخ ، فكان زرادشت وجاماسب العالم - وهو من نسل منوشهر أيضاً - يكتبان بالفارسية ما يقول ذلك النبي بالعبرانية ؛ وكان جاماسب يعرف اللسان العربي ويترجمه لزرادشت . وإن ذلك كان ثلاثين سنة من دولة كيهراسف . وقال علماء الفرس إن زرادشت جاء بكتاب ادعاه وحياً ، كتب في اثني عشر ألف مجلد نقشاً بالذهب ؛ وأن كشتاف وضع ذلك في هيكل بإصطخر ؛ ووكله الهراينة ؛ ومنع من تعليمه العامة » . ونقل عن المسعودي أن ذلك الكتاب يسمى نسياء » .

كان محموداً في أهل مملكته ، شديد القمع للملوك المحيطة بإيران شهراً^(١) ، شديد التفقد لأصحابه ، بعيد المهمة كثير الفكر في تشييد البنيان ، وشق الأنهار ، وعمارة البلاد ، فكانت ملوك الروم والمغرب والهند وغيرهم يحملون إليه في كل سنة وظيفة معروفة وإتاوة معلومة ، ويكاتبونه بالتعظيم ويقرون له أنه ملك الملوك هيبة له وحذراً .

قال : ويقال : إن بختنصر حمل إليه من أوريشليم^(٢) خزائن وأموالاً ، فلما أحس بالضعف من قوته ملك ابنه بشتاسب ، واعتزل الملك وفوضه إليه ، وكان ملك لهراسب — فيما ذكر — مائة سنة وعشرين سنة .

وزعم أن بختنصر هذا الذي غزا بني إسرائيل اسمه «بخرشه» ، وأنه رجل من العجم ، من ولد جوذرز ، وأنه عاش دهرًا طويلاً تجاوزت مدته ثلثمائة سنة ، وأنه كان في خدمة لهراسب الملك ، أبى بشتاسب ، وأن لهراسب وجهه إلى الشام وبيت المقدس ليحجلى عنها اليهود . فسار إليها ثم انصرف ، وأنه لم يزل من بعد لهراسب في خدمة ابنه بشتاسب ، ثم في خدمة بهمن من بعده ، وأن بهمن كان مقيمًا بمدينة بلسخ — وهي التي كانت تسمى الحساء — وأنه أمر بخرشه بالتوجه إلى بيت المقدس ليحجلى عنها ، وأن السبب في ذلك وثوب صاحب بيت المقدس على رسل كان بهمن وجههم إليه ، وقتله بعضهم . فلما ورد الخبر على بهمن دعا بخرشه فلنكه على بابل ، وأمره بالمسير إليها ، والنفوذ منها إلى الشام وبيت المقدس ، والقصد إلى اليهود حتى يقتل مقاتلتهم ، ويسبي ذراريهم ، وبسط يده فيمن يختار من الأشراف والقواد ، فاختر من أهل بيت المملكة^(٣) داريوش^(٤) بن مهري ، من ولد ماذى بن يافث بن نوح ، وكان ابن أخت بخرشه . واختار كيرش كيكوان من ولد غيلم بن سام ،

(١) إيران شهر ، بالكسر وراء وألف وفون ساكتين وفتح الشين المعجمة وهاء ساكنة وألف : هي بلاد العراق وفارس والجبال وخراسان ، يحملها كلها هذا الاسم . (معجم البلدان) .

(٢) أوريشليم ، بالضم ثم السكون وكسر الراء وياء ساكنة وشين معجمة مفتوحة ولام مكسورة — ويرى بالفتح — وسيم : هذا هو اسم البيت المقدس بالعبرانية ؛ إلا أنهم يسكنون اللام . (معجم البلدان)

(٣) س : « الملك » .

(٤) ت ، س : « داريوش » .

٦٥٠/١ وكان خازنًا على بيت مال بهمن، وأخشوئرش^(١) بن كيرش بن جاماسب الملقب بالعالم، وبهرام بن كيرش بن بشتاسب. فضم بهمن إليه من أهله وخاصته هؤلاء الأربعة، وضم إليه من وجوه الأساورة ورؤسائهم ثلثمائة رجل، ومن الجند خمسين ألف رجل، وأذن له في أن يفرض^(٢) ما احتاج إليه، وفي إثباتهم. ثم أقبل بهم حتى صار إلى بابل، فأقام بها للتجهز^(٣) والاستعداد سنة، والتفتت إليه جماعة عظيمة، وكان فيمن سار إليه رجل من ولد سنحاريب، الملك الذي كان غزا حزقيا بن أحاز الملك، الذي كان بالشام وبيت المقدس من ولد سليمان بن داود صاحب شعيا، يقال له بختنصر بن نبوزرادان بن سنحاريب، صاحب الموصل وفاحيتها، بن داريوش بن عبيري^(٤) بن تيري^(٥) بن روبا^(٦) ابن رابيا^(٧) بن سلامون بن داود بن طامى بن هامل بن هرمان بن فودي^(٨) بن همول^(٩) بن درمي بن قماثل^(١٠) بن صاما بن رغما^(١١) بن عمروذ بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام.

وكان مسيره إليه بسبب ما كان آتى حزقيا^(١٢) وبنو إسرائيل إلى جده سنحاريب عند غزوه إياهم، وتوسل إليه بذلك، فقدّمه في جماعة كثيرة، ثم اتبعه، فلما توافت العساكر ببيت المقدس، نُصِرَ بخترشه على بني إسرائيل لما أراد الله بهم من العقوبة، فسباهم، وهدّم البيت وانصرف إلى بابل، ومعه يوياحن^(١٣) بن يوياقيم ملك بني إسرائيل في ذلك الوقت، من ولد سليمان بعد أن ملك متنيا عم يوحنا، وسماه صدقيا.

(١) ت : « أخشونش » : س : « أحنوش » ، ن : « أخشوفوش » .

(٢) ن : « يمرض » .

(٣) ح : « للتجهيز » ، ن : « للتهجم » .

(٤) كذا في س : ، ت « عنبري » ، وفي ط مهمل .

(٥) كذا في ح ، وفي ت : « ثيري » ، وفي ط مهمل .

(٦) كذا في س ، وفي ت : « روبا » وفي ح : « وركا » . (٧) كذا في ت .

(٨) كذا في س ، وفي ت « فودي » . (٩) ح : « هفول » .

(١٠) ح : « تماثل » . (١١) س : « زعما » .

(١٢) ح : « حزقيا » ، ت « حزقييل » ، ن : « حريفا » .

(١٣) ت : « يوحنا » ، ن : « يوحنا » .

فلما صار بختنصر ببابل خالفه صدقيا ، فغزاه بختنصر ثانية فظفر به ، وأخرب^(١) المدينة والهيكل ، وأوثق صدقيا ، وحمله إلى بابل بعد أن ذبح ولده ، وسَمَل عينيه . فكث بنو إسرائيل ببابل إلى أن رجعوا إلى بيت المقدس ، فكان غلبة بختنصر - المسمى بخرشه - على بيت المقدس إلى أن مات - في قول هذا الذي حكينا قوله - أربعين سنة .

* * *

ثم قام من بعده ابن يقال له أولرودخ ، فملك الناحية ثلاثاً وعشرين سنة ، ثم هلك وملك مكانه ابن يقال له بلتشصر بن أولرودخ سنة ، فلما ملك ٦٥٢/١ بلتشصر خلط في أمره ، فعزله بهمن وملك مكانه على بابل وما يتصل بها من الشام وغيرها داريوش الماذوي ، المنسوب إلى ماذى بن يافث بن نوح عليه السلام حين صار إلى المشرق ، فقتل بلتشصر ، وملك بابل وناحية الشام ثلاث سنين . ثم عزله بهمن وولّى مكانه كيرش الغيلمي ، من ولد غيلم بن سام ابن نوح ، الذي كان نزع إلى جامر مع ماذى عند ما مضى جامر إلى المشرق ؛ فلما صار الأمر إلى كيرش كتب بهمن أن يرفق^(٢) ببني إسرائيل ، ويطلق لهم التزول حيث أحبوا ، والرجوع إلى أرضهم ، وأن يولّى عليهم مَنْ يختارونه ، فاختروا دانيال النبي عليه السلام ، فولى أمرهم ، وكان مُلك كيرش على بابل وما يتصل بها^(٣) ثلاث سنين ، فصارت هذه السنون - من وقت غلبة بختنصر إلى انقضاء أمره وأمر ولده وملك كيرش الغيلمي - معدودة من خراب بيت المقدس ، منسوبة إلى بختنصر ، ومبلغها سبعون سنة .

ثم ملك بابل وناحياتها من قبيل بهمن رجل من قرابته ، يقال له أخشوارش ابن كيرش بن جاماسب ، الملقب بالعالم ، من الأربعة الوجوه الذين اختارهم بخرشه عند توجهه إلى الشام من قبيل بهمن ؛ وذلك أن أخشوارش انصرف إلى بهمن من عند بختنصر محموداً ، فولاه ذلك الوقت بابل وناحياتها ؛ وكان السبب في ولايته - فيما زعم - أن رجلاً كان يتولى لبهمن ناحية السند والهند ٦٥٢/١

(١) أخرب المدينة : تركها خراباً .

(٢) ح : « أن ترفق » .

(٣) ح : « وما يليها » .

يقال له كرادشير^(١) بن دشكال خالفه، ومعه من الأتباع ستمائة ألف، فولّى بهمن أخشويرش^(٢) الناحية، وأمره بالمسير إلى كرادشير، ففعل ذلك وحاربه، فقتله وقتل أكثر أصحابه، فتابع له بهمن الزيادة في العمل، وجمع له بطوائف من البلاد، فلزم السوس^(٣)، وجمع الأشراف، وأطعم الناس اللحم، وسقاهم الخمر، وملك بابل إلى ناحية الهند والحبشة وما يلي البحر، وعقد لمائة وعشرين قائداً في يوم واحد الألوية، وصيّر تحت يد كل قائد ألف رجل من أبطال الجند الذين يعدل الواحد منهم في الحرب بمائة رجل، وأوطن^(٤) بابل، وأكثر المقام بالسوس، وتزوج من سبئي بنى إسرائيل امرأة يقال لها أشتر ابنة أني جاويل، كان ربّاه ابن عمّ لها يقال له مردخي، وكان أخاها من الرضاعة؛ لأن أم مردخي أرضعت أشتر، وكان السبب في تروّجه إياها قتله امرأة كانت له بجليلة جميلة خطيرة، يقال لها وشتا^(٥)، فأمرها بالبروز ليراها الناس، ليعرفوا جلالتها وجمالها، فامتنعت من ذلك فقتلها، فلما قتلها جزع لقتلها جزعاً شديداً، فأشير عليه باعتراض نساء العالم، ففعل ذلك، وحبّبت إليه أشتر صنعاً لبنى إسرائيل؛ فترعم النصارى أنها ولدت له عند مسيره إلى بابل ابناً فسماه كيرش، وأن ملّك أخشويرش كان أربع عشرة سنة، وقد علّمه مردخي التوراة، ودخل في دين بنى إسرائيل، وفهم عن^(٦) دانيال النبي عليه السلام ومن كان معه حينئذ، مثل حننيا وميشايل وعازريا؛ فسألوه بأن يأذن لهم في الخروج إلى بيت المقدس فأبى وقال: لو كان معي منكم ألف نبيّ ما فارقني منكم واحد ما دمت حياً. وولّى دانيال القضاء، وجعل إليه جميع أمره، وأمره أن يُخْرِج كلَّ شيء في الخزائن مما كان يختنصر أخذه من بيت المقدس ويردّه، وتقدم في بناء بيت المقدس، فبُني وعمر في أيام

٦٥٤/١

(١) س: «كرادشير».

(٢) س: «إخوارش».

(٣) ضبطه ياقوت: «بضم أوله وسكون ثاويه، وسين مهملة أخرى، بلفظ السوس الذي يقع في الصوف». وقال: «بلدة بخورستان، فيها قبر دانيال النبي عليه السلام».

(٤) أوطن بابل: اتخذها محلاً وسكناً.

(٥) ت، س: «وستا».

(٦) ح: «أمر»، ت: «من».

كيرش بن أخشويرش . وكان ملك كيرش ، مما دخل في ملك بهمن وخماني
اثنين وعشرين سنة .

ومات بهمن لثلاث عشرة سنة مضت من ملك كيرش ، وكان موت كيرش
لأربع سنين مضيئ من ملك خماني ، فكان جميع ملك كيرش بن أخشويرش
اثنين وعشرين سنة .

فهذا ما ذكر أهل السير والأخبار في أمر بختنصر وما كان من أمره وأمر
بنى إسرائيل .

وأما السلف من أهل العلم فإنهم قالوا في أمرهم أقوالاً مختلفة ؛ فمن ذلك
ما حدثني القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج
عن ابن جريج ، قال : حدثني يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبّير ، أنه سمعه يقول :
كان رجل من بنى إسرائيل يقرأ ، حتى إذا بلغ : ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا
لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ ^(١) بكى ، وفاضت عيناه ، ثم أطبق المصحف ، فقال :
ذلك ما شاء الله من الزمان ! ثم قال : أي رب ، أرني هذا الرجل الذي جعلت
هلاك بنى إسرائيل على يديه . فأرني في المنام مسكيناً ببابل يقال له بختنصر ،
فانطلق بمال وأعبده له — وكان رجلاً موسراً — فقيل له : أين تريد ؟ فقال :
أريد التجارة ؛ حتى نزل داراً ببابل فاستكراها ، ليس فيها أحد غيره ، فجعل
يدعو المساكين ^(٢) ويلطف بهم حتى لا يأتيه أحد إلا أعطاه ، فقال :
هل بقي مسكين غيركم ^(٣) ؟ فقالوا : نعم مسكين بفجّ آل فلان مريض ، يقال
له بختنصر ، فقال لغلمته : انطلقوا بنا ، فانطلق ^(٣) حتى أتاه فقال : ما اسمك ؟
قال : بختنصر ، فقال لغلمته : احتملوه . فنقله إليه فرضه حتى برئ ، وكساه
وأعطاه نفقة ، ثم أذن الإسرائيلي بالرحيل ، فبكى بختنصر ، فقال الإسرائيلي :
ما يبكيك ؟ قال : أبكى أنك فعلت بي ما فعلت ، ولا أجد شيئاً أجزيك !

(١) سورة الإسراء ٥ .

(٢ - ٢) التفسير : « ويلطف بهم حتى لم يبق أحد ؛ فقال هل بقي . . . »

(٣) ح : « فانطلقوا » .

قال : بلى شيئاً يسيراً ، إن ملكتَ أطعَتني (١) . فجعل الآخر يتبعه ويقول : تستهزئ بي ! ولا يمنعه أن يعطيه ما سأله إلا أنه يرى أنه يستهزئ به . فبكى الإسرائيلي وقال : لقد علمتُ ما يمنحك أن تعطيني ما سألتُك ؛ إلا أن الله عز وجل يريد أن يُنفذ ما قضى وكتب في كتابه .

٦٥٦/١

وضرب الدهر من ضربه (٢) ، فقال صيحون (٣) ، وهو ملك فارس ببابل : لو أننا بعثنا طليعة إلى الشام ! قالوا : وما ضرك لو فعلت ! قال : فن تروُن ؟ قالوا : فلان ، فبعث رجلاً ، وأعطاه مائة ألف ، وخرج بختنصر في مطبخه لا يخرج إلا ليأكل في مطبخه ، فلما قدم الشام رأى صاحب الطليعة أكثر أرض الله فرساً ورجلاً بجلداً ، فكسره (٤) ، ذلك في ذرعه ، فلم يسأل ، فجعل بختنصر يجلس مجالس أهل الشام فيقول : ما يمنحكم أن تغزوا بابل ؟ فلو غزوتموها ، فما دون بيت مالها شيء . قالوا : لا نحسن القتال ولا نقاتل حتى تنفذ مجالس أهل الشام ، ثم رجعوا . فأخبر متقدم الطليعة ملكهم بما رأى ، وجعل بختنصر يقول لفوارس الملك : لودعاني الملك لأخبرته غير ما أخبره فلان . فرفع ذلك إليه ، فدعاه فأخبره الخبر ، وقال : إن فلاناً لمّا رأى أكثر أرض الله كُراعاً ورجلاً بجلداً ، كسر ذلك في ذرعه (٥) ، ولم يسألم عن شيء ، وإنى لم أدع مجلساً بالشام إلا جالست أهله ، فقلت لهم كذا وكذا ، فقالوا لي كذا وكذا — للذي ذكر سعيد بن جبير أنه قال لهم — فقال (٦) متقدم الطليعة لبختنصر : فضحتني ! لك مائة ألف وتترع عما قلت . قال : لو أعطيتني بيت مال بابل ما نزعْتُ . وضرب الدهر من ضربه ، فقال الملك : لو بعثنا جريدة خيل إلى الشام ، فإن وجلوا مساعاً ساغوا ، وإلا امتشوا (٧) ما قدرُوا عليه . قالوا : ما ضرك

٦٥٧/١

(١) م : التفسير : « أعطيتني »

(٢) ح : « ما ضرب » .

(٣) ح ، والتفسير : « صحور » .

(٤) التفسير : « كبر ذلك في روعه » .

(٥) التفسير : « كبر ذلك في روعه » .

(٦) التفسير : « قال لهم » .

(٧) امتشوا : انتزعوا .

لو فعلت ! قال : فن° ترون ؟ قالوا : فلان ، قال : بل الرجل الذى أخبرنى بما أخبرنى ، فدعا بختنصر ، فأرسله وانتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم ، فانطلقوا فجاسوا خلال الديار ، فسبوا ما شاء الله ولم يخرّبوا ولم يقتلوا ، ورُمى فى جنازة صيحون ، قالوا : استخلفوا رجلاً ، قالوا : على رُسلكم حتى يأتى أصحابكم ، فإنهم فرسانكم ، أن يَنخَصُوا عليكم شيئاً ! فأمهلوا حتى جاء بختنصر بالسبى وما معه ، فقسمه فى الناس فقالوا : ما رأينا أحداً أحق بالملك من هذا ! فلكوه (١) .

* * *

وقال آخرون منهم : إنما كان خروج بختنصر إلى بنى إسرائيل لحربهم حين قتلت بنو إسرائيل يحيى بن زكرياء .
* ذكر بعض من قال ذلك منهم :

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى ، فى الحديث الذى ذكرنا إسناده قبل : أن بختنصر بعثه صيحاتين لحرب بنى إسرائيل حين قتل ملكهم يحيى بن زكرياء عليه السلام ، وبلغ صيحاتين قتله .

حدثنا ابن حُمَيد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال - فيما بلغنى : استخلف الله عز وجل على بنى إسرائيل بعد شعيا رجلاً منهم يقال له ياشية بن أموص ، فبعث الله لهم الخضر نبياً ، واسم الخضر - فيما كان وهب بن منبه يزعم عن بنى إسرائيل - إرميا بن حلقيا ، وكان من سبط هارون .

* * *

وأما وهب بن منبه فإنه قال فيه ما حدثنى محمد بن سهل بن عسكر البخارى ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثنى عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول :

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق عن لا يتهم
عن وهب بن منبه اليماني أنه كان يقول : قال الله عز وجل لإرميا حين بعثه
نبيا إلى بني إسرائيل : « يا إرميا ، من قبل أن أخلقك اخترتك ، ومن قبل أن
أصورك في بطن أمك قد سئلتك ، ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك ،
ومن قبل أن تبلغ السعى نبئتك ^(١) ، ومن قبل أن تبلغ الأشد اخترتك ^(٢) ،
ولأمر عظيم اجتبيتك ^(٣) . فبعث الله عز وجل إرميا إلى ذلك الملك من بني إسرائيل
يسدده ويرشده ، ويأتيه بالخبر من قبل الله فيما بينه وبين الله عز وجل .

قال : ثم عظمتم الأحداث في بني إسرائيل ، وركبوا المعاصي ، واستحلوا
الحرام ، ونسوا ما كان الله صنع بهم ، وما نجاهم من عدوهم سنحاريب وجنوده ،
فأوحى الله عز وجل إلى إرميا : أن ائت قومك من بني إسرائيل ، فاقصص عليهم
ما أمرك به ، وذكّرهم نعمي عليهم ، وعرفهم إحداثهم . فقال إرميا : إني
ضعيف إن لم تقوّي ، عاجز إن لم تبلّغي ، مخطئ إن لم تسدّ ذنبي ، مخذول
إن لم تنصرنى ، ذليل إن لم تعزّني . قال الله عز وجل : « ألم تعلم أن الأمور كلّها
تصدر عن مشيئتي ، وأن القلوب كلّها والألسن بيدي ، أقلبها كيف شئت
فتطيعني ! وأني أنا الله الذي لا شيء مثلي ، قامت السموات والأرض وما فيهن
بكلمتي ، وأنا كلّمت البحار ففهمت قولي ، وأمرتها ففعلت ^(٤) ، أمرى ،
وحدّدت عليها بالبطحاء فلا تعدّني حدّتي ، تأتني بأموج كالجبال ، حتى
إذا بلغت حدّي ألبستها مذلة طاعتي خوفاً واعترافاً لأمرى ، إني معك ولن
يصل إليك شيء معي ، وإني بعثتك إلى خلق عظيم من خلقي لتبلغهم
رسالاتي ، وتستحق ^(٥) بذلك مثل أجر من اتبعك منهم ، لا ينقص ذلك من
أجورهم شيئاً ، وإن تقصّر به عنها تستحق بذلك مثل وزر من تركت في
عماء ، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً . انطلق إلى قومك فقل : إن الله ذكر

(١) التفسير : « نبأتك » .

(٢) التفسير : « اخترتك » .

(٣) التفسير : « اجتبيتك » .

(٤) كذا في ن والتفسير : « وفي ط : « ففعلت » .

(٥) التفسير : « ولتستحق » .

بكم صلاح آبائكم ، فحملته ذلك على أن يستتيبكم ^(١) يا معشر الأبناء .
 وسلّمهم كيف وجد آباءهم مغبة طاعتي ، وكيف وجدوا هم مغبة معصيتي !
 وهل علموا أن أحداً قبلهم أطاعني فشيقي بطاعتي ، أو عصاني فسعد بمعصيتي !
 وأن الدوابّ مما تذكر أوطانها الصالحة تنتابها ، وأن هؤلاء القوم رتّعوا في مروج
 الهلكة . أما أحبارهم ورهبانهم فاتخذوا عبادي خولاً ^(٢) يتعبّدونهم دوني ، ويحكمون
 فيهم بغير كتابي ^(٣) ، حتى أجهلهم أمرى ، وأنسّوهم ذكرى ، وغرّوهم مني .
 وأما أمراؤهم وقادّتهم فبطروا نعمتي ، وأمينوا مكري ، ونسّوا كتابي ، ونسّوا عهدي ،
 ٦٦٠/١ وغيروا سنّتي ، وادّان ^(٤) لهم عبادي بالطاعة التي لا تنبغي إلا لي ، فهم
 يطيعونهم في معصيتي ، ويتابعونهم على البِدْع التي يتدعون في ديني ، جرأة
 على وغيره ، وفيرة على وعلى رُسُلي ، فسبحان جلالى وعلوّ مكانى وعظمة شأنى !
 وهل ينبغي لبشر أن يطاع في معصيتي ! وهل ينبغي أن أخلق عباداً أجعلهم
 أرباباً من دوني ! وأما قراؤهم وفقهاؤهم فيتعبّدون في المساجد ، ويتزيّنون ^(٥)
 بعمارها لغيري لطلب الدنيا بالدين ، ويتفقهون فيها لغير العلم ، ويتعلّمون فيها
 لغير العمل . وأما أولاد الأنبياء فكثيرون مقهورون مغرّون ، يخوضون مع
 الخائضين ، فيتمنّون على مثل نصرة آبائهم ، والكرامة التي أكرمتهم بها ،
 ويزعمون أن لا أحدَ أوّلَ بذلك منهم مني بغير صدق ولا تفكروا تدبّر ^(٦)
 ولا يذكرون كيف نصر آبائهم لي ، وكيف كان جدّهم في أمرى ، حين
 غيّر المغيرون ، وكيف بذلوا أنفسهم ودماءهم ، فصبروا وصدقوا حتى عزّ
 أمرى ، وظهر ديني ، فتأنّيت هؤلاء القوم لعلّهم يستجيبون ، فأطولتُ لهم ،
 وصفحت عنهم لعلّهم يرجعون ، وأكثرت ومددت لهم في العمر لعلّهم يتفكرون ^(٧) ،
 فأعذرت . وفي كلّ ذلك أمطر عليهم السماء ، وأنبت لهم الأرض ، وألبسهم

(١) ت : « يستيبكم » . ح : « يتليكم » .

(٢-٣) التفسير : « ليعبدوهم دوني ، وتحكوا فيهم بغير كتابي » .

(٣) التفسير : « فادان » .

(٤) كذا في ت ، ن ، والتفسير ، وفي ط : « يتدينون » .

(٥) كذا في التفسير ، وفي ط : « تعبر » .

(٦) التفسير : « يتذكرون » .

العافية ، وأظهرهم على العدو ؛ فلا يزدادون إلا طغياناً وبعداً مني . فحى متى هذا ! أبى يتمرسون ! أم إياى يخادعون ! فإنى أحلف بعزتى لأقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ، ويضلل فيها رأى ذى الرأى وحكمة الحكيم . ثم لأسلطن عليهم بجاراً قاسياً عاتياً ، ألبسه الهيبة ، وأنزع من صدره الرأفة والرحمة والليان ، يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ، له عساكر مثل قِطْع السحاب ، ومراكب أمثال العجاج ؛ كأن خفيق راياته طيّرانُ النور ، وكأن حملة فرسانه كزير^(١) العقبان .

٦٦١/١

ثم أوحى الله عز وجل لى إرميا أنتى مهلك بنى إسرائيل بياث - ويافث أهل بابل ، فهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام - فلما سمع إرميا وحى ربه صاح وبكى وشق ثيابه ، ونبذ الرماد على رأسه ، فقال : ملعون يوم ولدت فيه ، ويوم لقنت^(٢) فيه التوراة ، ومن شر أبائى يوم ولدت فيه ، فما أبقيت آخر الأنبياء إلا لما هو شر على ، لو أراد بى خيراً ما جعلنى آخر الأنبياء من بنى إسرائيل ؛ فمن أجلى تصيبهم الشقوة والهلاك !

فلما سمع الله عز وجل تضرع الخضر وبكائه ، وكيف يقول ، ناداه : يا إرميا ، أشق عليك ما أوحيت لك ! قال : نعم يا رب ؛ أهلكنى قبل أن أرى فى بنى إسرائيل ما لا أسر به ، فقال الله تعالى : وعزتى^(٣) وجلالى لأهلك بيت المقدس وبنى إسرائيل حتى يكون الأمر من قبلك فى ذلك . ففرح عند ذلك إرميا لما قال له ربه ، وطابت نفسه وقال : لا ، والذي بعث موسى وأنبياءه بالحق ، لا آمر ربى بهلاك بنى إسرائيل أبداً .

٦٦٢/١

ثم أتى ملك بنى إسرائيل فأخبره بما أوحى الله إليه فاستبشر وفرح ؛ وقال : إن يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة قد منّاها لأنفسنا ، وإن عفا عنا فبقدرته .

ثم لأنهم لبثوا بعد هذا الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا إلا معصية وتمادياً فى الشر ، وذلك حين اقرب هلاكهم ، فقل الوحي حين لم يكونوا يتذكرون الآخرة ، وأمسك عنهم حين^(٤) ألهتهم الدنيا وشأنها ، فقال لهم ملكهم :

(١) الكزير : صوت فى الصدر كصوت الخنثى . (٢) ن والتفسير : « لقيت » .

(٣) التفسير : « وعزتى العزيزة » . (٤) ن : « حيث » .

يا بني إسرائيل ، انتهوا عما أنتم عليه قبل أن يمسّكم بأسُ الله ، وقبل أن يبعث الله عليكم قوماً لا رحمةَ لهم بكم ، فإنّ ربّكم قريب التوبة مبسوط اليدين بالخير ، رحيم بمن تاب إليه . فأبوا عليه أن ينزعوا عن شيء مما هم عليه . وإنّ الله ألقى في قلب بختنصر بن نبوزراذان بن سنحاريب بن دارياس بن نمروذ بن فالغ ابن عابر - ونمروذ صاحب إبراهيم عليه السلام ، الذي حاجه في ربه - أن يسير إلى بيت المقدس ، ثم يفعل فيه ما كان جدّه سنحاريب أراد أن يفعل . فخرج في ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس ، فلما فصل سائراً أتى ملك بني إسرائيل الخبر أن بختنصر قد أقبل هو وجنوده يريدكم ، فأرسل الملك إلى إرميا ، فجاءه فقال : يا إرميا ، أين ما زعمتَ لنا أنّ ربك أوحى إليك ألاّ يهلك أهل بيت المقدس حتى يكون منك الأمر في ذلك ! فقال إرميا للملك : إن ربّي لا يخلف الميعاد ، وأنا به واثق .

فلما اقترب الأجل ودنا انقطاع ملكهم ، وعزم الله تعالى على هلاكهم ، بعث الله عزّ وجلّ ملكاً من عنده ، فقال له : اذهب إلى إرميا واستفتّه .
٦٦٣/١ وأمره بالذي يستفتيه فيه . فأقبل الملك إلى إرميا ، وقد (١) تمثّل له رجلاً من بني إسرائيل ، فقال له إرميا : مَنْ أنت ؟ قال : أنا رجل من بني إسرائيل أستفتيك في بعض أمري ، فأذن له ، فقال له الملك : يا نبيّ الله ، أتيتك أستفتيك في أهل رحمي ؛ وصلتُ أرحامهم بما أمرني الله به ، لم آت إليهم إلاّ حسناً ، ولم آلهم كرامة ، فلا تزيدهم كرامتي إياهم إلاّ إسقاطاً لي ، فأفتني فيهم يا نبيّ الله ! فقال له : أحسن فيما بينك وبين الله ، وصلّ ما أمرك الله أن تصلّ ، وأبشر بخير . قال : فانصرف عنه الملك ، فكث أياماً ثم أقبل إليه في صورة ذلك الرجل الذي كان جاءه ، فقعده بين يديه ، فقال له إرميا : مَنْ أنت ؟ قال : أنا الرجل الذي أتيتك أستفتيك في شأن أهلي ، فقال له نبيّ الله : أو ما طهرت (٢) لك أخلاقهم بعد ، ولم ترمهمم الذي تحبّ ! قال : يا نبيّ الله ، والذي بعثك بالحقّ ما أعلم كرامةً يأتيها أحد من الناس إلى أهل رحمة

(١) كذا في ح ، وفي ط : « قد » بدون الواو ، وفي التفسير : « وكان قد تمثّل » .

(٢) طهارة الأخلاق : بعدها عن الدنس والإثم .

إلا وقد أتيتها إليهم وأفضل من ذلك . فقال النبي : ارجع إلى أهلك فأحسن إليهم ، واسأل الله الذي يُصلح عباده الصالحين أن يصلح ذات بينكم ، وأن يجمعكم على مرضاته ، ويحببكم سخطه^(١) . فقام الملك من عنده فلبث أياماً وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس بأكثر^(٢) من الجراد ، ففرع منهم بنو إسرائيل فرعاً شديداً ، وشق ذلك على ملك بني إسرائيل فدعا إرميا فقال :

يا نبي الله ، أين ما وعدك الله ؟ فقال : إني بربّي واثق . ثم إن الملك أقبل إلى إرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربّه الذي وعده ، فقعده بين يديه ، فقال له إرميا : مَنْ أنت ؟ قال : أنا الذي كنت أتيتك في شأن أهلي مرتين ، فقال له النبي : أو لم يَأْنِ لهم أن يُفِيقوا من الذي هم فيه ! فقال الملك : يا نبي الله ، كُلُّ شَيْءٍ كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه ، وأعلم أن ما لهم^(٣) في ذلك سُخْطِي ، فلما أتيتهم اليوم رأيتهم في عمل لا يرضاه الله ولا يحبّه ، قال له النبي : على أيّ عمل رأيتهم ؟ قال : يا نبي الله ، رأيتهم على عملٍ عظيم من سخط الله ، فلو كانوا على مثل ما كانوا عليه قبل اليوم ، لم يشتد غضبي عليهم ، وصبرت لهم ورجوتهم ، ولكنني غضبت اليوم لله ولك ، فأتيتك لأخبرك خبرهم ، وإني أسألك بالله الذي هو بعثك بالحق إلا ما دعوت عليهم أن يهلكهم الله . قال إرميا : يا ملك السموات والأرض ؛ إن كانوا على حقٍّ وصواب فأبقهم ، وإن كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فأهلكهم .

فلما خرجت الكلمة من إرميا أرسل^(٤) الله عزّ وجلّ صاعقةً من السماء في بيت المقدس فالتهب مكان القربان ، وخُسِفَ بسبعة أبواب من أبوابها . فلما رأى ذلك إرميا صاح وشقّ ثيابه ، ونبذ التراب على رأسه ، وقال : يا ملك السماء ويا أرحم الراحمين ، أين ميعادك الذي وعدتني ! فنودى : يا إرميا ؛ إنه لم يصبهم الذي أصابهم إلا بفُتْيَاكَ التي أفتيت بها رسولنا . فاستيقن النبي أنها

(١) ح : « وينجيكم من سخطه » .

(٢) ح : « في أكثر » . التفسير : « كأمثال الجراد » .

(٣) ت : « ما بهم » ، ن : « ما لهم » ، التفسير : « ما بهم » .

(٤) التفسير : « فأخرجت الكلمة من في إرميا حتى أرسل » .

فُتِيَاهُ الَّتِي أَفْتَى بِهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَأَنَّهُ رَسُولُ رَبِّهِ .

وطار (١) إرميا حتى خالطَ الوحوش ، ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ، فوطئ الشَّامَ ، وقتل بنى إسرائيل حتى أفناهم ، وخرَّب بيت المقدس ؛ ثُمَّ أَمَرَ جنوده أَن يَمْلَأُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ تَرْسَهُ تَرَابًا ثُمَّ يَقْذِفُهُ فِي بَيْتِ الْمَقْدَسِ ، فَقَذَفُوا فِيهِ التُّرَابَ حَتَّى مَلَأُوهُ . ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى أَرْضِ بَابِلَ ، وَاحْتَمَلَ مَعَهُ سَبَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَأَمَرَهُمْ أَن يَجْمَعُوا مَنْ كَانَ فِي بَيْتِ الْمَقْدَسِ كُلِّهِمْ ، فَاجْتَمَعَ عِنْدَهُ كُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَاخْتَارَ مِنْهُمْ مِائَةَ أَلْفٍ صَبِيٍّ ، فَلَمَّا خَرَجْتَ غَنَائِمَ جَنْدِهِ ، وَأَرَادَ أَنْ يَقْسِمَهَا (٢) فِيهِمْ ، قَالَتْ لَهُ الْمُلُوكُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، لَكَ غَنَائِمُنَا كُلُّهَا وَاقْسِمِ بَيْنَنَا هَؤُلَاءِ الصَّبِيَّانِ الَّذِينَ اخْتَرْتَهُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ . ففعل فأصاب كلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَرْبَعَةَ غَلْمَةٍ — وَكَانَ مِنْ أَوْلَئِكَ الْغُلَّامَانِ : دَانِيَالُ ، وَحَنَانِيَا ، وَعِزَّارِيَا ، وَمِيشَائِيلُ — وَسَبْعَةُ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ دَاوُدَ ، وَأَحَدُ عَشَرَ أَلْفًا مِنْ سِبْطِ يَوْسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ وَأَخِيهِ بَنِيَامِينَ ، وَثَمَانِيَةَ آلَافٍ مِنْ سِبْطِ أَشْرَ بْنِ يَعْقُوبَ ، وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفًا مِنْ سِبْطِ زَبَالُونَ ابْنِ يَعْقُوبَ ، وَنَفْثَالِي بْنِ يَعْقُوبَ ، وَأَرْبَعَةَ آلَافٍ مِنْ سِبْطِ رُوبِيْلَ وَلَاوِي ابْنِ يَعْقُوبَ ، وَأَرْبَعَةَ آلَافٍ مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا بْنِ يَعْقُوبَ وَمِنْ بَقِيَّةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ . ٦٦٦/١ . وَجَعَلَهُمْ بَخْتَنْصَرَ ثَلَاثَ فُرُقٍ ؛ فَلَتَلْنَا أَقْرَبَ بِالشَّامِ ، وَثَلَاثًا سَبِيٍّ ، وَثَلَاثًا قَتَلَ . وَذَهَبَ بِأَنِيَّةَ بَيْتَ الْمَقْدَسِ حَتَّى أَقْدَمَهَا بِبَابِلَ ، وَذَهَبَ بِالصَّبِيَّانِ السَّبْعِينَ الْأَلْفَ حَتَّى أَقْدَمَهُمْ بِبَابِلَ ؛ وَكَانَتْ هَذِهِ الْوَقْعَةُ الْأُولَى الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَحْدَاثِهِمْ وَظَلَمَهُمْ .

فلما ولي بختنصر عنهم راجعاً إلى بابل بمن معه من سبائ بني إسرائيل أقبل إرميا على حمار له معه عصير من عنب في ركوة (٣) وسلّة تين ، حتى غشي إيلياء فلما وقف عليها ورأى ما بها من الخراب دخله شك ، فقال : أتني يحيى هذه الله بعد موتها ! فأماته الله مائة عام ، وحماره وعصيره وسلّة تينه عنده حيث أماته

(١) التفسير : « ثُمَّ إِنْ إِرْمِيَا » . . .

(٢) كَذَا فِي التفسير وَفِي ط : « يَقْسِمُهُمْ » .

(٣) ت وَالتفسير : « زَكْرَةٌ » ، وَهِيَ زَقٌّ صَغِيرٌ مِنْ أَدَمٍ يَجْعَلُ فِيهِ الشَّرَابَ .

الله وأمات حمارة معه ، وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد . ثم بعثه الله فقال له :
﴿ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ
فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَايِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ - يقول لم يتغير - ﴿ وَاَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ
وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ (١)
فنظر إلى حمارة يتصل ببعض إلى بعض - وقد كان مات معه - بالعروق والعصب ،
ثم كيف كسى ذلك منه اللحم حتى استوى ، ثم جرى فيه الروح ، فقام ينهق . ثم
نظر إلى عصيره وتينه ، فإذا هو على هيئته حين وضعه لم يتغير . فلما عاين من
قدرة الله ما عاين ، قال : ﴿ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) . ثم عمر الله
إرميا بعد ذلك ، فهو الذى يرى بقلوات الأرض والبلدان (٢) .

ثم إن يختصر أقام في سلطانه ما شاء الله أن يقيم ، ثم رأى رؤيا ، فبينما
هو قد أعجبه ما رأى إذ رأى شيئا أصابه فأنساه الذى كان رأى ، فدعا
دانيال ، وحنانيا وعزاريا ، وميشايل من ذراري الأنبياء ، فقال : أخبروني عن رؤيا
رأيتها ، ثم أصابني شيء فأنسانيها ، وقد كانت أعجبتني (٣) ما هي ؟ قالوا
له : أخبرنا بها نخبرك بتأويلها ، قال : ما أذكرها ، وإن لم تخبروني بتأويلها
لأنزعن أكتافكم . فخرجوا من عنده ، فدعوا الله واستغاثوا وتضرعوا إليه ،
وسألوه أن يعلمهم إياها ، فأعلمهم الذى سألهم عنه ، فجاءوه فقالوا له : رأيت
تمثالا ؟ قال : صدقتم ، قالوا : قدماء وساقاه من فخار ، وركبتاه وفخذه
من نحاس ، وبطنه من فضة ، وصدرة من ذهب ، ورأسه وعنقه من حديد .
قال : صدقتم . قالوا : فبينما أنت تنظر إليه قد أعجبك ، فأرسل الله عليه صخرة
من السماء فدقته ، فهي التي أنستكها . قال : صدقتم ، فما تأويلها ؟ قالوا :
تأويلها أنك أريت ملك الملوك ، فكان بعضهم أئین ملكا من بعض ،
وبعضهم كان أحسن ملكا من بعض ، وبعضهم كان أشد ملكا من بعض ،

(١) سورة البقرة ٢٥٩ .

(٢) الخبر في التفسير ١٥ : ٢٩ - ٣١ (بولاق) ، وانظره أيضا في ٥ :

(٣) ٤٤٧ - ٤٥٤ (المعارف) .

(٣) ح : « كان أعجبتني » .

فكان أول الملك الفخار وهو أضعفه وألينه . ثم كان فوقه النحاس وهو أفضل منه وأشدّ ، ثم كان فوق النحاس الفضة وهي أفضل من ذلك وأحسن ، ثم ٦٦٨/١ كان فوق الفضة الذهب ، فهو أحسن من الفضة وأفضل ، ثم كان الحديد مُلْكَك ؛ فهو كان أشدّ الملوك وأعزّ مما كان قبله ، وكانت الصخرة التي رأيت أرسل الله عليه من السماء فدقته ، نبياً يبعثه الله من السماء فيدقّ ذلك أجمع ، ويصير الأمر إليه .

ثم إن أهل بابل قالوا لبختنصر : أرايت هؤلاء الغلمان من بني إسرائيل الذين كنا سألناك أن تعطيناهم ففعلت ! فإننا والله لقد أنكرنا نساءنا منذ كانوا معنا ، لقد رأينا نساءنا عليهنّ بهم ، وصرفنّ وجوههنّ إليهم ، فأخرجهم من بين أظهرنا أو اقتلهم ، قال : شأذكُم بهم ، فمن أحبّ منكم أن يقتل من كان في يده فليفعل ، فأخرجوهم . فلما قربوهم للقتل تضرّعوا إلى الله فقالوا : يا ربنا ، أصابنا البلاء بذنوب غيرنا ، فتحسن الله عليهم برحمته ، فوعدهم أن يحييهم بعد قتلهم ، فقتلوا إلا من استبقى بختنصر منهم ، وكان ممن استبقى منهم : دانيال ، وحنانيا ، وعزارياء ، وميشايل .

* * *

ثم إن الله تبارك وتعالى حين أراد هلاك بختنصر ، انبعث فقال لمن كان في يديه من بني إسرائيل : أرايت هذا البيت الذي أخرجت ، وهؤلاء الناس الذين قتلت ، من هم ؟ وما هذا البيت ؟ قالوا : هذا بيت الله ومسجد من مساجده ، وهؤلاء أهلُه كانوا من ذراري الأنبياء ، فظلموا وتعدّوا وعصوا فسلبت عليهم بذنوبهم ، وكان ربهم ربّ السموات والأرض ، وربّ الخلق كلّهم يكرمهم ٦٦٩/١ ويمنّهم^(١) ، فلما فعلوا ما فعلوا أهلكهم الله وسلط عليهم غيرهم .

قال : فأخبروني ما الذي يطلع بي إلى السماء العليا ، لعلّي أطلع إليها فأقتل من فيها وأتخذها مُلْكَاً ، فإنّي قد فرغت من الأرض ومن فيها ، قالوا له : ما تقدر على ذلك وما يقدر على ذلك أحد من الخلائق ، قال : لتفعلنّ أو لاقتلنّكم عن آخركم ، فبكوا إلى الله وتضرّعوا إليه ، فبعث الله بقدرته - ليريه

ضعفه وهوانه عليه—بعوضة^١ فدخلت في منخره ثم ساخت في دماغه حتى عضت بأَمّ دماغه ؛ فما كان يَقَرّ ولا يسكن حتى يوجأ له رأسه على أَمّ دماغه ؛ فلما عرف الموت قال لخاصته من أهله : إذامت فشقوا رأسي ، فانظروا ما هذا الذي قتلتني ؟ فلما مات شقوا رأسه ، فوجدوا البعوضة عاضة بأَمّ دماغه ليُرى الله العباد قدرته وسلطانه ؛ ونجى الله مَنْ كان بقي في يديه من بني إسرائيل وترحم عليهم وردهم إلى الشام وإلى إيلياء المسجد المقدس ، فبنوا فيه وربّلوا^(١) وكثروا ؛ حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه .

فيزعمون — والله أعلم — أن الله أحيا أولئك الموتى الذين قتلوا فلهقوا بهم .

* * *

ثم إنهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم عهد من الله ؛ كانت التوراة قد استُئِيت منهم فحرقت وهلكت ، وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل فرجع إلى الشام يبكي عليها ليله ونهاره ، قد خرج من الناس فتوحّد^(٢) منهم ؛ وإنما هو ببطون الأودية وبالفلوات يبكي ؛ فبينما هو كذلك في حزنه على التوراة وبكائه عليها ، إذ أقبل إليه رجل وهو جالس ، فقال : يا عزير ما يبكيك ؟ قال : أبكي على كتاب الله وعهده ، كان بين أظهرنا فبلغت بنا خطايانا ، وغضب ربنا علينا أن سلّط علينا عدونا ، فقتل^(٣) رجالنا ، وأخرب بلادنا ، وأحرق كتاب الله الذي بين أظهرنا ، الذي لا يصلح دنيانا وآخرتنا غيره — أو كما قال — فعلام أبكي إذا لم أبك على هذا ! قال : أفتحب أن يردّ ذلك عليك ؟ قال : وهل إلى ذلك من سبيل ؟ قال : نعم ارجع فصمّ وتطهّر وطهّر ثيابك ، ثم موعدك هذا المكان غدًا . فرجع عزير فصام وتطهّر وطهّر ثيابه ، ثم عمّد إلى المكان الذي وعده ، فجلس فيه ، فأناه ذلك الرجل بإناء فيه ماء — وكان ملكًا بعثه الله إليه — فسقاه من ذلك الإناء ، فثلث التوراة في صدره ، فرجع إلى بني إسرائيل ، فوضع لهم التوراة يعرفونها بحلالها وحرامها وسننها وفرائضها

(١) ربّلوا : كثر عددهم .

(٢) ح : « وافقطع » .

(٣) ت : « حتى قتل » . ن : « قتل » .

وحدودها ، فأحبّوه حبّاً لم يحبّوه شيئاً قطّ ، وقامت التوراة^(١) بين أظهرهم ،
 وصلّح بها أمرهم ، وأقام بين أظهرهم عزّير مؤديّاً لحقّ الله ، ثم قبضه الله على
 ذلك ، ثم حدثت فيهم الأحداث حتّى قالوا لعزير : هو ابن الله ، وعاد الله
 عليهم فبعث فيهم نبياً كما كان يصنع بهم ، يسدّد أمرهم ، ويعلمهم ويأمرهم
 بإقامة التوراة وما فيها .

* * *

وقال جماعة أخر عن وهب بن منبه في أمر بختنصر وبنى إسرائيل وغزوه
 لإياهم أقوالاً غير ذلك ، تركنا ذكرها كراهة إطالة الكتاب بذكرها .

(١) ح : « وقام أمر التوراة » .

ذكر خبر غزو بختنصر للعرب

حدثت عن هشام بن محمد، قال : كان بدء نزول العرب أرض العراق وثبتهم فيها ، واتخاذهم الحيرة والأنبار منزلاً - فيما ذكر لنا والله أعلم - أن الله عز وجل أوحى إلى برخيا بن أحنيا^(١) بن زربابل بن شلتيل من ولد يهوذا - قال هشام : قال الشرقي : وشلتيل أول من اتخذ الطفشيل - أن اثنت بختنصر وأمره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب ، ويطأ بلادهم بالجنود ، فيقتل مقاتلتهم ويستبيح أموالهم ، وأعلمه كفرهم بي ، واتخاذهم الآلهة دوني ، وتكذيبهم أنبيائي ورسلي .

قال : فأقبل برخيا من نَجْران حتى قدم على بختنصر ببابل - وهو « نبوخذ نصر » فعربته العرب - وأخبره بما أوحى الله إليه وقص عليه ما أمره به ، وذلك في زمان معد بن عدنان . قال : فوثب بختنصر على من كان في بلاده من تجار العرب ، وكانوا يقدمون عليهم بالتجارات والبياعات ، ويمتارون من عندهم الحب والتمر والثياب وغيرها .

فجمع من ظفر به منهم ، فبني لهم حَيِّراً^(٢) على النَجَف وحصنه ، ثم ضمهم فيه ووكل بهم حرساً وحفظة ، ثم نادى في الناس بالغزو ، فتأهبوا لذلك وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب ، فخرجت إليه طوائف منهم مسلمين مستأمنين ، فاستشار بختنصر فيهم برخيا ، فقال : إن خروجهم إليك من بلادهم قبل نهوضك إليهم رجوع منهم عما كانوا عليه ، فأقبل منهم ، فأحسن إليهم .

قال : فأنزلهم بختنصر السواد^(٣) على شاطئ الفرات ، فابتنوا موضع عسكرهم بعد ، فسموه الأنبار^(٤) . قال : وخلص عن أهل الحَيْر^(٥) ، فاتخذوها منزلاً حياة

(١) كذا في ت ، وفي س : « أحنيا » ، وفي ابن الأثير ١ : ١٥٣ : « أحنيا » .

(٢) الحير : شبه الحظيرة . (٣) السواد هنا : رستاق العراق .

(٤) مدينة على الفرات ؛ ذكرها ياقوت وقال : « وقيل إنما سمي الأنبار لأن بختنصر لما

حارب العرب الذين لا خلاق لهم حبس الأسراء فيه » .

(٥) في الأصول : « الحيرة » ، وصوابه من معجم البلدان ٣ : ٣٧٨ .

وقد اجتمع أكثر العرب من أقطار من عربية إلى حضُور ، فخذق
 الفريقان ، وضرب بختنصر كمينًا - وذلك أول كمين كان فيما زعم - ثم نادى
 مناد من جَو السماء : يا لثارات الأنبياء ! فأخذتهم السيوفُ من خلفهم ومن
 بين أيديهم ، فندبوا على ذنوبهم ، فنادوا بالويل ، ونهَى عدنان عن بختنصر
 ونهَى بختنصر عن عدنان ، وافترق من لم يشهد حضُور ، ومن أفلت قبل
 الهزيمة فرقتين : فرقة أخذت إلى ريسوب وعليهم عكّ ، وفرقة قصدت لوبار
 وفرقة حضّر العرب ، قال : وإياهم عنى الله بقوله : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ
 كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾ ، كافرة الأهل ؛ فإن العذاب لما نزل بالقرى وأحاط بهم
 في آخروقة ذهبوا ليهربوا فلم يطيقوا الهرب ، ﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا ﴾ انتقامنا
 منهم ﴿ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾ يهربون ، قد أخذتهم السيوف من بين أيديهم
 ومن خلفهم . ﴿ لَا تَرْكُضُوا ﴾ لا تهربوا ﴿ وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ﴾
 إلى العيشة على النعم المكفورة ﴿ وَمَسَاكِينُكُمْ ﴾ مصيركم ﴿ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴾ .
 فلما عرفوا أنه واقع بهم أقروا بالذنوب ، فقالوا : ﴿ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ . فما
 زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿ ١ ﴾ ، موقى وقتلى بالسيف

فرجع بختنصر إلى بابل بما جمع من سبايا عربية (٢) فألقاهم بالأنبار ،
 فقيل أنبار العرب ، وبذلك سميت الأنبار ، وخالطهم بعد ذلك النبط

فلما رجع بختنصر مات عدنان وبقيت بلاد العرب خرابًا حياة بختنصر ،
 فلما مات بختنصر خرج معد بن عدنان معه الأنبياء ، أنبياء بني إسرائيل صلوات
 الله عليهم حتى أتى مكة فأقام أعلامها ، فحجّ وحجّ الأنبياء معه ، ثم خرج معد حتى
 أتى ريسوب فاستخرج أهلها ، وسأل عَمَن بَقِيَ من ولد الحارث بن مُضاض
 الجرهمي ، وهو الذى قاتل دوس العتق ، فأفنى أكثرهم جرهم على يديه ، فقيل
 له : بَقِيَ جَوْشَمُ بْنُ جُلْهَمَةَ ، فتزوج معد ابنته معانة ، فولدت له نزار بن معد .

(١) سورة الأنبياء ١١ - ١٥ .

(٢) عربية ؛ بالتحريك ؛ هى فى الأصل اسم لبلاد العرب ؛ انظر معجم البلدان .

رجع الخبر إلى قصة بشتاسب وذكر ما كرهه والحوادث التي كانت
في أيام ملكه التي جرت على يديه ويد غيره من عماله
في البلاد خلا ما جرى من ذلك على يد بختنصر

ذكر العلماء بأخبار الأمم السالفة من العجم والعرب ، أن بشتاسب بن
كبي لهراسب لما عقد له التاج ، قال يوم ملكك : نحن صارفون فكرنا وعملنا
وعلمنا إلى كل ما ينال به البر . وقيل : إنه ابتنى بفارس مدينة فساً ، وببلاد
الهند وغيرها بيوتاً للنيران ، ووكل بها الهرايذة^(١) ، وإنه رتب سبعة نفر من عظماء
أهل مملكته مراتب ، وملك كل واحد منهم ناحية جعلها له ، وإن زرادشت
ابن أسفيمان ظهر بعد ثلاثين سنة من ملكه فادعى النبوة ، وأراد على قبول
دينه ، فامتنع من ذلك ثم صدقه ، وقيل ما دعاه إليه وأتاه به من كتاب
ادعاه وحياً ، فكُتِبَ في جلد اثني عشرة ألف بقرة حفرأ في الجلود ، ونقشا
بالذهب ، وصيّر بشتاسب ذلك في موضع من إصطخر ، يقال له دزنيشت ،
ووكّل به الهرايذة ، ومنع تعليمه العامة . وكان بشتاسب في أيامه تلك
مهادناً لخرزاسف بن كبي سواسف ، أخى فراسياب ملك الترك على ضرب
من الصلح ، وكان من شرط ذلك الصلح أن يكون لبشتاسب بباب خرزاسف
دابة موقوفة بمنزلة الدواب التي تنوب^(٢) على أبواب الملوك ، فأشار زرادشت على
بشتاسب بمقاسدة ملك الترك ، فقبل ذلك منه ، وبعث إلى الدابة والموكل بها ،
فصرهما إليه ، وأظهر الخبر لخرزاسف ، فغضب من ذلك — وكان ساحراً عاتياً —
فأجمع على محاربة بشتاسب ، وكتب إليه كتاباً غليظاً عنيفاً ، أعلمه فيه أنه
أحدث حدثاً عظيماً ، وأنكر قبوله ما قبل من زرادشت ، وأمره بتوجيهه
إليه ، وأقسم إن امتنع أن يغزوه حتى يسفك دمه ، ودماء أهل بيته .

(١) الهرايذة : هم خدم النار ؛ أو حكام الجحيم الذين يصلون بهم ؛ واحده الهريد
(المعرب ٣٥١) . (٢) ت ، س : « تكون » .

فلما ورد الرسول بالكتاب على بشتاسب، جَمَعَ إليه أهل بيته وعظماء أهل مملكته، وفيهم جاماسف عالمهم وحاسبهم، وزرين بن لهراسب. فكتب بشتاسب إلى ملك الترك كتاباً غليظاً جواب كتابه، آذنه فيه بالحرب، وأعلمه أنه غير مُمَسِّك عنه إن أمسك. فسار بعضهما إلى بعض، مع كل واحد منهما من المقاتلة ما لا يُحصى كثرة، ومع بشتاسب يوثد زرين أخوه ونسطور ابن زرين وإسفنديار وبشوتن ابنا بشتاسب، وآل لهراسب جميعاً، ومع خرزاسف وجوهرمز وأندرمان أخواه وأهل بيته، وببدرفش الساحر، فقتل في تلك الحروب زرين، واشتد ذلك على بشتاسب، فأحسن الغناء عنه ابنه إسفنديار، وقتل ببدرفش مبارزة، فصارت الدبرة على الترك، فقتلوا قتلاً ذريعاً، ومضى خرزاسف هارباً، ورجع بشتاسب إلى بلخ، فلما مضت لتلك الحروب سنون سعى على إسفنديار رجل يقال له قرزم^(١)، فأفسد قلب بشتاسب عليه، فندبه لحرب بعد حرب، ثم أمر بتقييده وصيَّره في الحصن الذي فيه حبس النساء، وشخص بشتاسب إلى ناحية كرممان وسجستان، وصار منها إلى جبل يقال له طميدر^(٢) لدراسة دينه والنسك هناك، وخلف لهراسب أباه مدينة بلخ شيخاً قد أبطله الكبير، وترك خزائنه وأمواله ونسائه مع خطوط امرأته، فحملت الجواسيس الخبر إلى خرزاسف، فلما عرف جمع جنوداً لا يحصون كثرة، وشخص من بلاده نحو بلخ، وقد أمل أن يجد فرصة من بشتاسب ومملكته. فلما انتهى إلى تخوم^(٣) ملك فارس قدَّم أمامه جوهرمز أخاه — وكان مرشحاً للملك بعده في جماعة من المقاتلة كثيرة — وأمره أن يغد السير حتى يتوسط المملكة ويوقع بأهلها، ويغير على القرى والمدن، ففعل ذلك جوهرمز، وسفك الدماء واستباح من الحرم ما لا يحصى، واتبعه خرزاسف فأحرق الدواوين، وقتل لهراسف والهرابذة، وهدم بيوت النيران، واستولى على الأموال والكنوز، وسبي ابنتين لبشتاسب، يقال لإحداهما: خماني، وللأخرى باذافره، وأخذ — فيما أخذ — العلم الأكبر الذي كانوا يسمونه

(١) ت: «فرزم»، ح: «قلوم»، س: «فرارم».

(٢) كذا في ت، س.

(٣) التخوم: جمع تخم؛ يفتح التاء وضمة: الفصل بين الأرضين من المعالم والحدود.

درفش كايان ، وشخص متبّعاً لبشتاسب ، وهرب منه بشتاسب حتى تحصّن في تلك الناحية مما يلي فارس في الجبل الذي يعرف بطميدر ، ونزل ببشتاسب ما ضاق به ذرعاً ؛ فيقال إنه لما اشتدّ به الأمر وجّه إلى إسفنديار بجاماسب حتى استخرجه من محبسه ، ثم صار به إليه ، فلما أدخل عليه اعتذر إليه ، ووعدّه عقْد التاج على رأسه ، وأن يفعل به مثل الذي فعل لهراسب به ، وقلّده القيام بأمر عسكره ، ومحاربة خرزاسف .

فلما سمع إسفنديار كلامه كَفَّرَ^(١) له خاشعاً ، ثم نهض من عنده ، ٦٧٩ / ١ فتولى عرض الجند وتمييزهم ، وتقدم فيما احتاج إلى التقدم فيه ، وبات ليلته مشغولاً بتعبثته ، فلما أصبح أمر بنفخ القرون ، وجمع الجنود ، ثم سار بهم نحو عسكر الترك ، فلما رأت الترك عسكره خرجوا في وجوههم يتسابقون ، وفي القوم جوهرمز وأندرمان ، فالتحمت الحرب بينهم ، وانقضّ إسفنديار وفي يده الرمح كالبرق الخاطف ، حتى خالط القوم ، وأكبّ عليهم بالطعن ، فلم يكن إلا هنيئة حتى ثلم في العسكر ثلثة عظيمة ، وفشا في الترك أن إسفنديار قد أطلق من الحبس ، فانهزموا لا يلبثون على شيء ، وانصرف إسفنديار ، وقد ارتجع العلم الأعظم ، وحمله معه منشوراً ، فلما دخل على بشتاسب استبشر بظفروه ، وأمره باتباع القوم ، وكان مما أوصاه به أن يقتل خرزاسف إن قدر عليه بلهراسف ، ويقتل جوهرمز وأندرمان بمن قتل من ولده ، ويهدم حصون الترك ويحرق مدنها ، ويقتل أهلها بمن قتلوا من حملة الدين ، ويستنقذ السبايا . ووجه معه ما احتاج إليه من القواد والعظماء .

فذكروا أن إسفنديار دخل بلاد الترك من طريق لم يَرّمه أحد قبله ، وأنه قام — من حراسة جنده ، وقتل ما قتل من السباع ، ورمى العنقاء المذكورة — ٦٨٠ / ١ بما لم يقم به أحد قبله ، ودخل مدينة الترك التي يسمونها دُرُوثين — وتفسيرها بالعربية الصفّرية — عنوة حتى قتل الملك وإخوته ومقاتلته ، واستباح أمواله وسبي نساءه ، واستنقذ أختيه ، وكتب بالفتح إلى أبيه ، وكان أعظم الغناء

(١) كفر له : خضع ؛ وهو من فعل العلوج للهاقين ؛ يضع العلج يده على صدره ويطأطأ رأسه ويتطامن تعظيماً .

في تلك المحاربة بعد إسفنديار لفشوتن أخيه وأدرونش ومهرين ابن ابنته .
ويقال إنهم لم يصلوا إلى المدينة حتى قطعوا أنهاراً عظيمة مثل كاسروذ ،
ومهرروذ ، ونهرا آخر لهم عظيماً ، وإن إسفنديار دخل أيضاً مدينة كانت
لفراسياب ، يقال لها وهشكند^(١) ، ودوخ البلاد وصار إلى آخر حدودها ،
ولمَّا التُبَّتْ وباب صول ، ثم قطع البلاد وصيّر كل ناحية منها إلى رجل من
وجوه الترك بعد أن آمنهم ، ووظف على كل واحد منهم خراجاً يحمله إلى
بشتاسب في كل سنة ، ثم انصرف إلى بلخ .

ثم إن بشتاسب حسد ابنه إسفنديار لما ظهر منه ، فوجهه إلى رستم
بسيجستان ، فحدثت عن هشام بن محمد الكلبي أنه قال : قد كان بشتاسب
جعل الملك من بعده لابنه إسفنديار ، وأغراه الترك ، فظفر بهم ، وانصرف
إلى أبيه ، فقال له : هذا رستم متوسطاً بلادنا ، وليس يعطينا الطاعة لادعائه
ما جعل له قابوس من العتق من رق الملك ، فسر إليه فأتى به ، فسار إسفنديار
إلى رستم فقاتله ، فقتله رستم . ومات بشتاسب ، وكان ملكه مائة سنة واثنى
عشرة سنة .

* * *

وذكر بعضهم أن رجلاً من بني إسرائيل ؛ يقال له سمي كان نبياً ، وأنه
بُعِثَ إلى بشتاسب فصار إليه إلى بلخ ، ودخل مدينتها ، فاجتمع هو وزرادشت
صاحب المجوس ، وجاماسب العالم بن فخد^(٢) ، وكان سمي يتكلم بالعبرانية
ويعرف زرادشت ذلك بتلقين ، ويكتب بالفارسية ما يقول سمي بالعبرانية ، ويدخل
جاماسب معهما في ذلك ، وبهذا السبب سمي جاماسب العالم .

وزعم بعض العجم أن جاماسب هو ابن فخد بن هو بن حكاو بن نذكاو بن
فرس بن رج بن خوراسرو بن منوشهر الملك ، وأن زرادشت بن يوسيسف^(٣)
ابن فردواسف بن اربحد بن منجدسف^(٤) بن جخشنش بن فيافيل بن الحدي
ابن هردان بن سفمان بن ويدس بن أدرا بن رج بن خوراسرو بن منوشهر .
وقيل إن بشتاسب وأباه لهراسب كانا على دين الصابئين ، حتى أتاه سمي

(١) كذا في س ، وفي ت : « وحسكتك » .

(٢) كذا في ح . (٣) كذا في ت . (٤) كذا في ت .

وزرادشت بما أتياه به ، وأتياه بذلك ثلاثين سنة مضت من ملكه .

وقال هذا القائل : كان ملك بشتاسب مائة وخمسين سنة ، فكان ممن رتب بشتاسب من النفر السبعة المراتب الشريفة ، وسماهم عظماء بهكا بهند^(١) ومسكنه دِهستان^(٢) من أرض جرجان ، وقارن الفلهوى ومسكنه مادنهوند^(٣) ، وسورين الفلهوى ومسكنه سجستان ، وإسفنديار الفلهوى ومسكنه الرى .

* * *

وقال آخرون : كان ملك بشتاسب مائة وعشرين سنة .

(١) كذا فى ت ، وفى ط من غير نقط .

(٢) دهستان ، بكسر أوله وثانيه ؛ ذكرها ياقوت ، وقال : « إنها بلد مشهور فى طرف

مازندان ، قرب خوارزم وجرجان » .

(٣) قال ياقوت : « الماء بالهاء خالصة : قصبة البلد ؛ ومنه قيل : ماء البصرة وماء الكوفة

وماء فارس ؛ ويقال لنهاوند وهمدان وم : ماء البصرة » . وانظر نهاوند فى معجم البلدان - ماء البصرة .

ذكر الخبر عن ملوك اليمن

في أيام قابوس وبعده إلى عهد بهمن بن إسفنديار

قال أبو جعفر : قد مضى ذكرنا الخبر عن زعم أن قابوس كان في عهد سليمان بن داود عليهما السلام ، ومضى ذكرنا من كان في عهد سليمان من ملوك اليمن والخبر عن بلقيس بنت إيليشرح .

فحدثت عن هشام بن محمد الكلبي أن الملك باليمن صار بعد بلقيس إلى ياسر بن عمرو بن يعفر الذي كان يقال له ياسر أنعم . قال : وإنما سمّوه ^(١) ياسر أنعم لإنعامه عليهم بما ^(٢) قوى من ملكهم ، وجمّع من أمرهم .

قال : فزعم أهل اليمن أنه سار غازياً نحو المغرب حتى بلغ وادياً يقال له وادي الرمل ، ولم يبلغه أحد قبله ، فلما انتهى إليه لم يجد وراءه مجازاً لكثرة الرمل ، فبينما هو مقيم عليه إذ انكشف الرمل ، فأمر رجلاً من أهل بيته— يقال له عمرو— أن يعبر هو وأصحابه ؛ فعبروا فلم يرجعوا . فلما رأى ذلك أمر بصنم نحاس فصنع ، ثم نصب على صخرة على شفير الوادي ، وكتب في صدره بالسند : « هذا الصنم لياسر أنعم الحميري ، وليس وراءه مذهب ، فلا يتكلفن ذلك أحدٌ فيعطب » .

قال : ثم ملك من بعده تَبَع ، وهو تَبَان أسعد ، وهو أبو كرب بن ملكي كرب تَبَع بن زيد بن عمرو بن تَبَع ؛ وهو ذو الأذعار بن أبرهة تبع ذي المنار ابن الرائش بن قيس بن صيفي بن سبأ . قال : وكان يقال له الرائد .

قال : فكان تَبَع هذا في أيام بشتاسب وأردشير بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب ، وأنه شخص متوجّهاً من اليمن في الطريق الذي سلكه الرائش ، حتى خرج على جبلي طي ، ثم سار يريد الأنبار ، فلما انتهى إلى الحيرة — وذلك ليلاً تحير ، فأقام مكانه وسُمّي ذلك الموضع الحيرة ، ثم سار وخلف به قوماً من الأزْد ونحلم وجندام وعاملة وقضاة ، فبنوا وأقاموا به ، ثم انتقل إليهم بعد

(١) ح : « سمى » .

(٢) ت ، ن : « لما » .

ذلك ناس من طي^١ و كلب والسككون وبلحارث بن كعب وإياد . ثم توجه إلى الأنبار ثم إلى الموصل ، ثم إلى أذربيجان ، فلقى الترك بها فهزمهم ، فقتل المقاتلة ، وسبي الذرية ، ثم انكفأ راجعاً إلى اليمن . فأقام بها دهرأ ، وهابته الملوك وعظمته وأهدت إليه . فقدِم عليه رسول ملك الهند بالهدايا والتحف ، من الحرير والمسك والعود وسائر طُرف بلاد الهند ، فرأى ما لم يَر مثله ، فقال : ويحك ! أكلَّ ما أرى في بلادكم ! فقال : أبيت اللعن ! أقلَّ ما ترى في بلادنا ، وأكثره في بلاد الصين ، ووصف له بلاد الصين وسعتها وخصبها وكثرة طُرفها ، فألى بيمين ليغزوتها . فسار بحمير مساحلاً^(١) ، حتى أتى الركائك وأصحاب القلائس السود ، ووجه رجلا من أصحابه ، يقال له ثابت نحو الصين ؛ في جمع عظيم فأصيب ، فسار تَبَع حتى دخل الصين ، فقتل مقاتلتها ، واكتسح ما وجد فيها . قال : ويزعمون أن مسيره كان إليها ومقامه بها^(٢) ورجعته منها في سبع سنين ، وأنه خلَّف بالتَّبَت^(٣) اثني عشر ألف فارس من حمير ، فهم أهل التَّبَت ، وهم اليوم يزعمون أنهم عرب ، وخلقهم وألوانهم خلق العرب وألوانها .

حدثني عبد الله بن أحمد المروزي ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان ، قال : قرأت على عبد الله ، عن إسحاق بن يحيى ، عن موسى بن طلحة : أن تَبَعاً خرج في العرب يسير ، حتى تحيروا بظاهر الكوفة ، وكان منزلاً من منازلهم ، فبقى فيها من ضعفة الناس ، فسميت الحيرة لتحيرهم ، وخرج تَبَع سائراً ، فرجع إليهم وقد بنوا وأقاموا ، وأقبل تَبَع إلى اليمن وأقاموا هم ، ففهمهم من قبائل العرب كلتها من بني لحيان ، وهذيل وتميم ، وجعفي وطبي ، و كلب .

(١) مساحلاً ، أى سائراً تجاه الساحل . وفي الأصول : « مساحلاً » .

(٢) ن : « فيها » .

(٣) التبت ، بالضم : قال ياقوت : « بلد بأرض الترك في الإقليم الرابع المتاخم لبلاد الهند » .

ذكر خبر أردشير بهمن وابنته خماني

ثم ملك بعد بشتاسب ابن ابنه أردشير بهمن ؛ فذكر أنه قال يوم ملك وعقد التاج على رأسه : نحن محافظون على التوفاء ، ودائنون رعيّتنا بالخير ؛ فكان يدعى أردشير الطويل الباع ؛ وإنما لقّب بذلك—فيما قيل—لتناوله كلّ ما مدّ إليه يده من الممالك التي حوله ، حتى ملك الأقاليم كلّها . وقيل إنه ابنتي بالسواد مدينة ، وسماها آباد أردشير هي القرية المعروفة بهميننا من الزاب الأعلى ، وابنتي بكوردجلة مدينة وسماها بهمن أردشير^(١) ، وهي الأبلّة ، وسار إلى سجستان طالباً بثأر أبيه ، فقتل رسم وأباه دستان وأخاه إزواره^(٢) وابنه فرمرز^(٣) ، واجتبي الناس لأرزاق الجند ونفقات المراكبة وبيوت النيران وغير ذلك أموالاً عظيمة ؛ وهو أبو دارا الأكبر ، وأبو ساسان أبي ملوك الفرس الآخر أردشير بن بابك وولده ، وأمّ دارا خماني بنت بهمن . ٦٨٧/١

فحدثت عن هشام بن محمد قال : ملك بعد بشتاسب أردشير بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب ؛ وكان—فيما ذكروا—متواضعاً مرضياً فيهم ، وكانت كتبه تخرج من أردشير : « عبد الله وخادم الله ، السائس^(٤) لأمركم » . قال : ويقال إنه غزا الروميّة الداخلة في ألف ألف مقاتل .

وقال غير هشام : هلك بهمن ودارا في بطن أمّه ، فلتكوا خماني شكراً لأبيها بهمن ، ولم تزل ملوك الأرض تحمل إلى بهمن الإتاوة والصلح ، وكان من أعظم ملوك الفرس — فيما قالوا — شائناً ، وأفضلهم تدبيراً ، وله كتب ورسائل تفوق كتب أردشير وعهده ، وكانت أم بهمن أستوريا^(٥) ، وهي ٦٨٨/١

(١) ذكرها ياقوت ؛ وقال : « كورة واسعة بين واسط والبصرة » ، ونقل عن الأصمعي : « بهمنشير » تعريب « بهمن أردشير » . وكانت مدينة مبنية على عبر دجلة الموراء في شرقها تجاه الأبلّة .

(٢) ح : « إروان » . (٣) ت : « فرمرد » ، ح : « قرمداد » ، س : « قرمزد » .

(٤) ح : « والسائس » . (٥) س : « أستوريا » .

أستار بنت يائير^(١) بن شمعي بن قيس بن ميثا^(٢) بن طالوت الملك بن قيس ابن أبل بن صارور^(٣) بن بحرث بن أفيح بن إيشي بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام . وكانت أمّ ولده راحب بنت فتحس من ولد رُحُبُعُم بن سليمان بن داود عليه السلام . وكان بهمن ملكاً أخاها زربابل بن شلتايل^(٤) على بني إسرائيل، وصير له رياسة الجالوت، وردّه إلى الشام بمسألة راحب أخته إياه ذلك، فتوفّي بهمن يوم توفّي وله من الولد : ابنه دارا الأكبر وساسان ، وبناته : خماني التي ملكت بعده، وفرنك^(٥) وبهمن دخت^(٦)، وتفسير « بهمن » بالعربية « الحسن النية »، وكان ملكه مائة واثنى عشرة سنة .

فأما ابن الكلبي هشام فإنه قال : كان ملكه ثمانين سنة .

* * *

ثم ملكت خماني بنت بهمن ، وكانوا ملكوها حباً لأبيها بهمن ، وشكراً لإحسانه ولكمال عقلها وبهاؤها وفروسيته وانجدها - فيما ذكره بعض أهل الأخبار - فكانت تلقب بشهرزاد^(٧) . وقال بعضهم : إنما ملكت خماني بعد أبيها بهمن أنها حين حملت منه دارا الأكبر سأله أن يعقد التاج له في بطنها ويؤثّره بالملك ، ففعل ذلك بهمن بدارا ، وعقد عليه التاج حَمَلًا في بطنها ، وساسان ابن بهمن في ذلك الوقت رجل يتصنّع للملك لا يشكّ فيه . فلما رأى ساسان ما فعل أبوه من ذلك لحق بإصطخر ، فترهّد وخرج من الحلية الأولى وتعبّد فلحق برعوس الجبال يتعبّد فيها، واتخذ غنّيمة، فكان يتولّى ماشيته بنفسه ، واستشنت^(٨) العامة ذلك من فعله ، وفطعت به ، وقالوا : صار ساسان راعياً ، فكان ذلك سبب نسبة الناس إياه إلى الرعي ، وأم ساسان ابنة شالتيال ابن يوحنا بن أوشيا بن أمون بن منشي بن حازقيا بن أحاذ بن يوثام بن عوزيا ابن يورام بن يوشافط بن أبيا بن رُحُبُعُم بن سليمان بن داود .

وقيل : إن بهمن هلك وابنه دارا في بطن خماني ، وأنها ولدته بعد أشهر من

(١) ح ، ت : « ياس » . (٢) كذا في ت . (٣) ت ، س : « صاروده » .

(٤) ت : « سلبايل » . (٥) كذا في س ، وفي ت : « قريك » .

(٦) ح : « بهمن رحمت » ، س : « بهمن زعت » .

(٧) س : « شهرزاد » . (٨) ح : « استصبت » .

ملكها وأنفت من إظهار ذلك، فجعلته في تابوت، وصيرت معه جوهراً نفيساً، وأجرتة في نهر الكُتر من إصطخر. وقال بعضهم: بل نهر بلخ، وإن التابوت صار إلى رجل طحان من أهل إصطخر، كان له ولد صغير فهلك، فلما وجدته الرجل أتى به امرأته، فسرت به بحمالة ونفاسة ما وجد معه، فحضنوه، ثم أظهر أمره حين شب، وأقرت خماني بإساءتها إليه وتعريضها إياه للتلف؛ فلما تكامل امتحن فوجد على غاية ما يكون عليه أبناء الملوك، فحوّلت التاج عن رأسها إليه، وتقلد أمر المملكة، وتنقلت^(١) خماني وصارت إلى فارس^(٢) وبنّت مدينة إصطخر، وأغزت الروم جيشاً بعد جيش، وكانت قد أوتيت ظفراً، فقمعت الأعداء، وشغلته عن تطرف شيء من بلادها، ونال رعيته في ملكها رفاة وخفضاً. وكانت خماني حين أغزت أرض الروم سبى لها منها بشر كثير، وحملوا إلى بلادها، فأمرت من فيهم من بنائي الروم، فبنوا لها في كل موضع من حيز مدينة إصطخر بنياناً على بناء الروم منيفاً معجباً، أحد ذلك البنيان في مدينة إصطخر، والثاني على المدرجة التي تسلك فيها إلى دار الجرد، على فرسخ من هذه المدينة، والثالث على أربعة فراسخ منها في المدرجة التي تسلك فيها إلى خراسان. وإنما أجهدت نفسها في طلب مرضاة الله عز وجل؛ فأوتيت الظفر والنصر، وخففت عن رعيته في الحراج. وكان ملكها ثلاثين سنة.

* * *

ثم نرجع الآن إلى :

(١) ح : « وانتقلت » .

(٢) ت ، س : « أرض فارس » .

ذكر خبر بني إسرائيل

ومقابلة تأريخ مدة أيامهم إلى حين تصرفها بتأريخ
مدة من كان في أيامهم من ملوك الفرس

قد ذكرنا فيما مضى قبل سبب انصراف من انصرف إلى بيت المقدس
من سبايا بني إسرائيل الذين كان بختنصر سباهم وحملهم معه إلى أرض بابل ،
وأن ذلك كان في أيام كيرش بن أخشويرش وملكه ببابل من قبل بهمن بن
إسفنديار في حياته وأربع سنين بعد وفاته في ملك ابنته خماني ، وأن خماني
عاشت بعد^(١) هلاك كيرش بن أخشويرش ستاً وعشرين سنة في ملكها ، تمام
ثلاثين سنة . وكانت مدة خراب بيت المقدس من لدن خربه بختنصر
إلى أن عمّر — فيما ذكره أهل الكتب القديمة والعلماء بالإخبار — سبعين سنة ،
كل ذلك في أيام بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب بن لهراسب بعضه ، وبعضه
في أيام خماني ، على ما قد بين في هذا الكتاب .

وقد زعم بعضهم أن كيرش هو بشتاسب ، وأنكر ذلك من قبله بعضهم ،
وقال : كى أرش إنما هو عمّ لحد بشتاسب ، وقال : هو كى إرش أخو كيقاوس
ابن كيبييه بن كيقباذ الأكبر ، وبشتاسب الملك هو ابن كيلهراسب بن كيوجي
ابن كيمنوش بن كيقاوس بن كيبييه بن كيقباذ الأكبر . قال : ولم يملك
كى أرش قط ، وإنما كان مملوكاً على خوزستان وما يتصل بها من أرض بابل
من قبل كيقاوس ، ومن قبل كيخسرو بن سياوخش بن كيقاوس ، ومن قبل
لهراسف من بعده . وكان طويل العمر ، عظيم الشأن ، ولما عمّر بيت
المقدس ورجع إليه أهله من بني إسرائيل كان فيهم عزير — وقد وصفت
ما كان من أمره وأمر بني إسرائيل — وكان الملك عليهم بعد ذلك من قبل الفرس ؛
إما رجل منهم وإما رجل من بني إسرائيل ، إلى أن صار الملك بناحتهم لليونانية
والروم بسبب غلبة الإسكندر على تلك الناحية حين قتل دارا بن دارا . وكانت
جملة مدة ذلك — فيما قيل — ثمانياً وثمانين سنة .

* * *

ونذكر الآن :

(١) ح : « ثم إن خماني ملكت » .

خبر دارا الأكبر وابنه دارا الأصغر

ابن دارا الأكبر وكيف كان هلاكه مع خبر ذى القرنين

وملك دارا بن بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب ، وكان ينبت بجهرآزاد
 — يعنى به كريم الطبع — فذكروا أنه نزل بابل ، وكان ضابطاً لمملكه ،
 قاهراً لمن حوله من الملوك ، يؤدُّون إليه الخراج ، وأنه ابنتى بفرس مدينة سماها
 دارا بجرد ، وحذَفَ^(١) دوابَّ البرد ورتبها ، وكان معجباً بابنه دارا ، وأنه من حبه
 إياه سمَّاه باسم نفسه ، وصيَّر له الملك من بعده ، وأنه كان له وزير يسمى رستين^(٢)
 محموداً فى عقله ، وأنه شَجَرَ بينه وبين غلام تربى مع دارا الأصغر ، يقال
 له برى^(٣) شرٌّ وعداوة ، فسعى رستين عليه عند الملك ، ف قيل : إن الملك سقى
 برى شربة مات منها ، واضطغن دارا على رستين الوزير وجماعة من القواد ،
 كانوا عاونوه على برى ما كان منهم ، وكان مملك دارا اثنتى عشرة سنة .

٦٩٣/١

ثم ملك من بعده ابنه دارا بن دارا بن بهمن ؛ وكانت أمه ماهيا هند
 بنت هزارمرد بن بهرامه ، فلما عقد التاج على رأسه قال : لن ندفع أحداً فى
 مَهْوى الهلكة ، ومن تَرَدَّدَ فيها لم نكففه عنها . وقيل إنه بنى بأرض الجزيرة
 مدينة دارا ، واستكتب أخا برى واستوزره لأنسه^(٤) كان به وبأخيه ، فأفسد
 قلبه على أصحابه ، وحمله على قَتْل بعضهم ، فاستوحشت لذلك منه الخاصة
 والعامة ، ونفروا عنه ، وكان شاباً غراً حميماً حقوداً جبَّاراً .

وحُدِّثت عن هشام بن محمد قال : ملك من بعد دارا بن أردشير دارا
 ابن دارا أربع عشرة سنة ، فأساء السيرة فى رعيته ، وقتل رؤساءهم ، وغزاه الإسكندر
 على تَفِيفَةٍ^(٥) ذلك ، وقد ملَّه أهل مملكته وسموه ، وأحبَّوا الراحة منه ، فلحق كثير
 من وجوههم وأعلامهم بالإسكندر ، فأطلعوه على عورة دارا ، وقوَّوه عليه ،

٦٩٤/١

(١) الخلاف هنا : قطع ذنب الدابة . (٢) كذا فى ن .

(٣) كذا فى ن (٤) ح ، ن : « لأنسة كانت به » .

(٥) على تَفِيفَةٍ ذلك ، أى على حين ذلك .

فالتقيا ببلاد الجزيرة ، فاقتتلا سنة . ثم إن رجالا من أصحاب دارا وثبوا به فقتلوه ، وتقرّبوا برأسه إلى الإسكندر ، فأمرَ بقتلهم ، وقال : هذا جزء من اجترأ على ملكي . وتزوج ابنته روشنك بنت دارا ، وغزا الهند ومشارك الأرض ، ثم انصرف وهو يريد الإسكندرية ، فهلك بناحية السّود ، فحمل إلى الإسكندرية في تابوت من ذهب ، وكان ملكه أربع عشرة سنة ، واجتمع ملك الروم ، وكان قبل الإسكندر متفرقا ، وتفرّق ملك فارس وكان قبل الإسكندر مجتمعاً .

قال : وذكر غير هشام أن دارا بن دارا لما ملك أمر فبنيت له بأرض الجزيرة مدينة واسعة سماها دارنوا ، وهي التي تسمى اليوم دارا ، وأنه عمرها وشحنها من كل ما يحتاج إليه فيها ، وأن فيلغوس أبا الإسكندر اليوناني من أهل بلدة من بلاد اليونانيين تدعى مقدونية ، كان ملكاً عليها وعلى بلاد أخرى احتازها إليها ، كان صالح دارا على خراج يحمله إليه في كل سنة ، وأن فيلغوس هلك ، فملك بعده ابنه الإسكندر ، فلم يحمل إلى دارا ما كان يحمله إليه أبوه من الخراج ، فأسخط ذلك عليه دارا ، وكتب إليه يؤنبه بسوء^(١) صنيعه في تركه حمل ما كان أبوه يحمل إليه من الخراج^(٢) وغيره ، وأنه إنما دعاه إلى حبس ٦٩٥/١ ما كان أبوه يحمل إليه من الخراج الصبا والجهل ، وبعث إليه بصولجان وكرة وقفيز من سمسم ، وأعلمه فيما كتب إليه أنه صبي ، وأنه إنما ينبغي^(٣) له أن يلعب بالصولجان والكرة اللذين بعث بهما إليه ، ولا يتقلد الملك ، ولا يتلبس به ، وأنه إن لم يقتصر على ما أمره به من ذلك ، وتعاطى الملك واستعصى عليه ، بعث إليه من يأتيه به في وثاق ، وأن عدة جنوده كعدة حبّ السمسم الذي بعث به إليه .

فكتب إليه الإسكندر في جواب كتابه ذلك ، أن قد فهم^(٤) ما كتب ، وأن قد نظر إلى ما ذكر في كتابه إليه من إرساله الصولجان والكرة ، وتيمّن به لإلقاء

(١) ن ، س : « لسوء » .

(٢) ح : « وأن دارا كتب إليه يخوفه ويتوعده ويعرفه في جملة ما كتب إليه أنه إنما دعاه إلى تأخير ما كان أبوه يحمل إليه من الخراج الصبا . . . »

(٣) س : « وينبغي له أن . . . » . (٤) س : « فهمت ما كتبت » .

الملقى الكرة إلى الصولحان ، واحترازه^(١) إياها ؛ وشبه الأرض بالكرة ، وأنه محتاز ملك دارا إلى ملكه ، وبلادَه إلى حيزه من الأرض ، وأن نظره إلى السمس الذى بعث به إليه كنظره إلى الصولحان والكرة لدَسَمه وبعده من المرارة والحرافة . وبعث إلى دارا مع كتابه بِصُرةٍ من خردل ، وأعلمه فى ذلك الجواب أن ما بعث به إليه قليل ؛ غير أن ذلك مثل الذى بعث به فى الحرافة والمرارة والقوة ، وأن جنوده فى كل^(٢) ما وصف به منه .

فلما وصل إلى دارا جواب كتاب الإسكندر ، جمع إليه جنده ، وتأهب لمحاربة الإسكندر ، وتأهب الإسكندر وسار نحو بلاد دارا . وبلغ ذلك دارا ، فزحف إليه فالتقى الفئتان ، واقتتلا أشد القتال ، وصارت الدبرة^(٣) على جند دارا ، فلما رأى ذلك رجلان من حرس دارا ، يقال لهما كانا من أهل همدان ، طعنا دارا من خلفه فأردياه من مركبه ، وأرادا بطعنهما إياه الحظوة عند الإسكندر ، والوسيلة إليه ، ونادى الإسكندر أن يؤسر دارا أسراً ولا يقتل ، فأخبر بشأن دارا ، فسار الإسكندر حتى وقف عنده ، فراه يوجد بنفسه ، فنزل الإسكندر عن دابته حتى جلس عند رأسه ، وأخبره أنه لم يهم قط بقتله ، وأن الذى أصابه لم يكن عن رأيه ، وقال له : سلتنى ما بدا لك فأسعفك فيه ، فقال له دارا : لى إليك حاجتان : إحداهما أن تنتقم لى من الرجلين اللذين فتكا بى - وسماهما وبلادهما - والأخرى أن تتزوج ابنتى روشنك . فأجابه إلى الحاجتين ، وأمر بصلب الرجلين اللذين انتهكا من دارا ما انتهكا ، وتزوج روشنك وتوسط بلاد دارا ، وكان ملكه له .

* * *

وزعم بعض أهل العلم بأخبار الأولين أن الإسكندر هذا الذى حارب دارا الأصغر ؛ هو أخو دارا الأصغر الذى حاربه ، وأن أباه دارا الأكبر كان تزوج أم الإسكندر ، وأنها ابنة ملك الروم^(٤) واسمها هلاى^(٥) ، وأنها حملت

(١) ط : « واجتراره » وما أثبتته من ن ، وابن الأثير . (٢) ن : « فيما » .

(٣) الدبرة : الهزيمة .

(٤) ت ، ح ، « الزنج » .

(٥) ح : « هلايا » .

إلى زوجها دارا الأكبر، فلما وَجَدَ نَتَنَ رِيحَها وَعَرَقَها وَسَهَكَها^(١)، أمر أن يحتال لذلك منها، فاجتمع رأى أهل المعرفة في مداواتها على شجرة يقال لها بالفارسية «سندر»، فطبخت لها فغسلت بها وبمائها، فأذهب ذلك كثيراً من ذلك النتن، ولم يذهب كله، وانتهت نفسه عنها لبقية ما بها، وعافها وردّها إلى أهلها، وقد علقت منه فولدت غلاماً في أهلها، فسمّته باسمها واسم الشجرة التي غُسلت بها، حتى أذهبت عنها نتنها: «هلاى سندروس»، فهذا أصل الإسكندروس.

* * *

قال: وهلك دارا الأكبر، وصار الملك إلى ابنه دارا الأصغر، وكانت ملوك الروم تؤدّي الخراج إلى دارا الأكبر في كل سنة، فهلك أبو هلاى ملك الروم جد الإسكندر لأمه، فلما صار الملك لابن ابنته بعث دارا الأصغر إليه للعادة: إنك أبطأت علينا بالخراج الذى كنت تؤدّيه ويؤدّيه من كان قبلك، فابعث إلينا بخراج بلادك وإلا نابذناك المحاربة. فرجع إليه جوابه: أنى قد ذبحت الدجاجة، وأكلت لحمها، ولم يبق لها بقية، وقد بقيت الأطراف، فإن أحببت وادعناك، وإن أحببت ناجزناك. فعند ذلك نافر دارا وناجزه القتال، وجعل الإسكندر لحاجي دارا حكمها على الفتك به، فاحتكما شيئاً، ولم يشترطاً أنفسهما، فلما التقوا للحرب، طعن حاجبا دارا في الوقعة، فلحقه الإسكندر صريعاً، فنزل إليه وهو بأخير رمق، ف مسح التراب عن وجهه ووضع رأسه في حجره، ثم قال له: إنما قتلتك حاجباك، ولقد كنت أرغب بك يا شريف الأشراف وحرّ^(٢) الأحرار وملك الملوك، عن هذا المصرع؛ فأوصني بما أحببت. فأوصاه دارا أن يتزوج ابنته روشنك، ويتخذها لنفسه ويستبقى أحرار فارس، ولا يولّى عليهم غيرهم. فقبل وصيته وعمل بأمره، وجاء اللذان قتل دارا إلى الإسكندر فدفع إليهما حكمهما، ووفى لهما ثم قال لهما: قد وفيت لكما كما اشتراطتما ولم تكونا اشتراطتما أنفسكما، فأنا قاتلكما، فإنه ليس ينبغى لقتلة الملوك أن يُستبقوا إلا بدمّة لا تخفر. فقتلتهما.

(١) السهك: رائحة العرق.

(٢) ح: «ياحر».

وذكر بعضهم أن ملك الروم في أيام دارا الأكبر كان يؤدّي إلى دارا الإتاوة فهلك ، وملك الروم الإسكندر ، وكان رجلاً ذا حزم وقوة ومكر ؛ فيقال إنه غزا بعض ملوك المغرب فظفر به ، وأنس لذلك من نفسه القوة^(١) فنشز على دارا الأصغر ، وامتنع من حمل ما كان أبوه يحمله من الخراج ، فحمي دارا لذلك ، وكتب إليه كُتُباً عنيفة^(٢) ، ففسد ما بينهما وسار كل واحد منهما إلى صاحبه وقد احتشداً والتقيا في الحد . واختلفت بينهما الكتب والرسائل ، ووجّل الإسكندر من محاربة دارا ؛ ودعاه إلى المودعة ، فاستشار دارا أصحابه في أمره ، فزيّنوا له الحرب لفساد قلوبهم عليه . وقد اختلفوا في الحد وموضع التقائهما ؛ فذكر بعضهم أن التقاءهما كان بناحية خراسان مما يلي الخزر ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى خلّص إليهما السلاح ، وكان تحت الإسكندر يومئذ فرس له عجيب يقال له بوكفراسب^(٣) ، ويقال إن رجلاً من أهل فارس حمل ذلك اليوم حتى تخرق الصفوف ، وضرب الإسكندر ضربة بالسيف خيف عليه منها ، وإنه تعجّب من فعله وقال : هذا من فرسان فارس الذين كانت توصف شدّتهم ، وتحركت على دارا ضغائن أصحابه ، وكان في حرسه رجلان من أهل همدان ، فراسلا الإسكندر والتمسا الحيلة لدارا حتى طعناه ، فكانت منيته من طعنهما^(٤) إياه ، ثم هربا .

ف قيل إنه لما وقعت الصيحة ، وانتهى الخبر إلى الإسكندر ركب في أصحابه ، فلما انتهى إلى دارا وجده يجود بنفسه ، فكلّمه ووضع رأسه في حجره ، وبكى عليه ، وقال له : أتيت من مأمّنك ، وغدّ ربك ثقاتك ، وصرت بين أعدائك وحيداً ، فسلّني حوائجك فأني على المحافظة على القرابة بيننا — يعني القرابة بين سلم وهيرج ابني أفريزون — فيما زعم هذا القائل — وأظهر الجزع لما أصابه ، وحمد ربه حين لم يبتله بأمره ، فسأله دارا أن يتزوّج ابنته روشنا ، ويرعى لها حقّها ، ويعظم قدرها ، وأن يطلب بثأره ، فأجابه الإسكندر إلى ذلك .

(١) ح : « بالقوة » . (٢) ح : « كتابا عنيفاً » .

(٣) س : « أبو كقراس » .

(٤) ح : « طعنتهما » .

ثم أتاه الرجلان اللذان وثبا على دارا يطلبان الجزاء، فأمر بضرب رقابهما وصلبهما ،
 وأن ينادى عليهما : هذا جزاءُ من اجترأ على ملكه، وغشَّ أهل بلده .
 ويقال : إن الإسكندر حمل كتباً وعلومًا كانت لأهل فارس من علوم
 ونجوم وحِكْمَة ، بعد أن نقل ذلك إلى السريانية ثم إلى الرومية .
 وزعم بعضهم أن دارا قُتِل وله من الولد الذكور : أشك بن دارا وبنودارا^(١)
 وأردشير . وله من البنات روشنك ، وكان مُلك دارا أربع عشرة سنة .
 وذكر بعضهم أن الإتاوة التي كان أبو الإسكندر يؤدّيها إلى ملوك الفرس
 كانت بَيْضاً من ذهب ، فلما ملك الإسكندر بعث إليه دارا يطلب ذلك
 الخراج ، فبعث إليه : إنني قد ذبحت تلك الدجاجة التي كانت تبيض ذلك
 البيض ، وأكلت لحمها فأذن بالحرب . ثم ملك الإسكندر بعد دارا بن دارا .
 وقد ذكرت قول من يقول : هو أخو دارا بن دارا من أبيه دارا الأكبر .

* * *

وأما الروم وكثير من أهل الأنساب فإنهم يقولون : هو الإسكندر بن
 فيلفوس ، وبعضهم يقول : هو ابن بيلبوس بن مطريوس ، ويقال : ابن مصرم
 ابن هرمس بن هردس بن ميظون^(٢) بن روى بن ليطي^(٢) بن يونان بن يافث بن
 ثوبة بن سرحون بن رومية بن زنف^(٣) بن توفيل^(٣) بن رومي^(٣) بن الأصفر بن اليغز
 ابن العيص بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام . فجمع بعد مهلك
 دارا مُلك دارا إلى ملكه ، فلك العراق والروم والشأم ومصر ، وعرض جندَه
 بعد هلاك دارا فوجدهم فيما قيل - ألف ألف وأربعمائة رجل ؛ منهم من جنده
 ثمانمائة ألف ، ومن جند دارا ستمائة ألف .

وذكر أنه قال يوم جلس على سريه : قد أدالنا الله من دارا ، ورزقنا
 خلاف ما كان يتوعدنا به ، وأنه هدم ما كان في بلاد الفرس من المدن والحصون
 وبيوت النيران ، وقتل الهراينة ، وأحرق كتبهم ودواوين دارا ، واستعمل
 على مملكة دارا رجالا من أصحابه ، وسار قُدماً إلى أرض الهند ، فقتل ملكها
 وفتح مدينتها ، ثم سار منها إلى الصين ، فصنع بها كصنيعه بأرض الهند ، ودانت

(١) كذا في ج .

(٢) كذا في ت وابن الأثير : ١ : ١٦٠ . (٣) كذا في ابن الأثير .

له عامة الأرضين ، وملك التبت والصين ، ودخل الظلمات مما يلي القطب الشمالى والشمس جنوبية في أربع مائة رجل يطلب عين الخلد ، فسار فيها ثمانية عشر يوماً ، ثم خرج ورجع إلى العراق ، وملك ملوك الطوائف ، ومات في طريقه بشهر زور .

وكان عمره ستاً وثلاثين سنة في قول بعضهم ، وحمل إلى أمه بالإسكندرية .

وأما الفرس فلإنها تزعم أن مملك الإسكندر كان أربع عشرة سنة ، والنصارى تزعم أن ذلك كان ثلاث عشرة سنة وأشهر ، ويزعمون أن قتل دارا كان في أول السنة الثالثة من ملكه . ٧٠٢/١

وقيل إنه أمر ببناء مدن فبنيت اثنتا عشرة مدينة ، وسماها كلها إسكندرية ، منها مدينة بأصبهان يقال جى ، بنيت على مثال الحية ، وثلاث مدائن بخراسان ، منهن مدينة هرة ومدينة مرو ومدينة سمرقند ، وبأرض بابل مدينة اروشك بنت دارا ، وبأرض اليونانية في بلاد هيلاقوس مدينة للفرس ، ومدناً أخر غيرهما .

ولما مات الإسكندر عرض الملك من بعده على ابنه الإسكندروس ، فأبى واختار النسك والعبادة ، فلكت اليونانية عليهم - فيما قيل - بطليموس بن لوغوس ، وكان ملكه ثمانية وثلاثين سنة ، فكانت المملكة أيام اليونانية بعد الإسكندر وحياة الإسكندر إلى أن تحول الملك إلى الروم المصااص لليونانية ، ولبنى إسرائيل بيت المقدس ونواحيها الديانة والرياسة على غير وجه الملك إلى أن خربت بلادهم الفرس والروم ، وطردوهم عنها بعد قتل يحيى بن زكرياء عليه السلام .

ثم كان الملك ببلاد الشام ومصر ونواحي المغرب بعد بطليموس بن لوغوس لبطلميوس ديناوس (١) أربعين سنة . ٧٠٣/١

ثم من بعده لبطلميوس أورغاطس أربعاً وعشرين سنة .

ثم من بعده لبطلميوس فيلاطر إحدى وعشرين سنة .

ثم من بعده لبطلميوس أفيانس اثنتين وعشرين سنة .

ثم من بعده لبطلميوس أورغاطس تسعاً وعشرين سنة .

ثم من بعده لبطلميوس ساطر (٢) سبع عشرة سنة .

ثم من بعده لبطلميوس الأحسندر^(١) إحدى عشرة سنة .
 ثم من بعده لبطلميوس الذي اختفى عن ملكه ثمانى سنين .
 ثم من بعده لبطلميوس دونسيوس ست عشرة سنة .
 ثم من بعده لبطلميوس قالوبطرى^(٢) سبع عشرة سنة .
 فكل هؤلاء كانوا يونانيين ؛ فكل ملك منهم بعد الإسكندر كان يدعى
 بطلميوس ، كما كانت ملوك الفرس يدعون أكاسرة ، وهم الذين يقال لهم
 المفقانيون^(٣) .

ثم ملك الشام بعد قالوبطرى - فيما ذكر الروم - المصاص ، فكان أول من
 ملك منهم جايوس يوليوس خمس سنين

ثم ملك الشام بعده أغوستوس ستاً وخمسين سنة . فلما مضى من ملكه
 اثنتان وأربعون سنة ولد عيسى بن مريم عليه السلام ، وبين مولده وقيام
 الإسكندر ثلثمائة سنة وثلاث سنين .

(١) ح : « الأحسندر » ، س : « الأحشدر » ، ابن الأثير : « الأخسدر » .

(٢) ابن الأثير : « كيلوبطره » .

(٣) كذا فى ت ، س ، وفى ن : « القفانيون » .

ذكر أخبار ملوك الفرس بعد الإسكندر وهم ملوك الطوائف

ونرجع الآن إلى ذكر خبر الفرس بعد مهلك الإسكندر لسياق التاريخ على ملكهم .

فاختلف أهل العلم بأخبار الماضين في الملك الذي كان بسواد العراق بعد الإسكندر ، وفي عدد ملوك الطوائف الذين كانوا ملوكاً إقليم بابل بعده إلى أن قام بالملك أردشير بابكان .

فأما هشام بن محمد فإنه قال — فيما حدثت عنه : ملك بعد الإسكندر يلاقس^(١) سلقيس ، ثم أنطيوخس . قال : وهو الذي بنى مدينة أنطاكية . قال : وكان في أيدي هؤلاء الملوك سواد الكوفة ، قال : وكانوا يتطرقون الجبال وفاحية الأهواز وفارس ؛ حتى خرج رجل يقال له أشك ، وهو ابن دارا الأكبر ، وكان مولده ومنشؤه بالرّي ، فجمع جمعاً كثيراً وسار يريد أنطيوخس ، فزحف إليه أنطيوخس ، فالتقيا ببلاد الموصل فقتل أنطيوخس ، وغلب أشك على السواد ، فصار في يده من الموصل إلى الرّي وأصبهان ، وعظمه مائراً ملوك الطوائف لنسبه ، وشرقه فيهم ما كان من فعله ، وعرفوا له فضله ، وبدعوا به في كتبهم ، وكتب إليهم فبدأ بنفسه ، وسموه ملكا ، وأهدوا إليه من غير أن يعزل أحداً منهم أو يستعمله .

٧٠٥/١

ثم ملك بعده جوزر بن أشكان . قال : وهو الذي غزا بني إسرائيل المرة الثانية ، وكان سبب تسليط الله إياه عليهم — فيما ذكر أهل العلم — قتلهم يحيى بن زكرياء ، فأكثر القتل فيهم ، فلم تعد لهم جماعة كجماعتهم الأولى ، ورفع الله عنهم النبوة وأنزل بهم الدّل . قال : وقد كانت الروم غزت بلاد فارس ، يقودها ملكها الأعظم يلتمس أن يدرك بثأرها في فارس لقتل أشك ملك بابل أنطيوخس ، وملك بابل يومئذ بلاش أبو^(٢) أردوان ، الذي قتله أردشير

(١) كذا في س ، وفي ت وابن الأثير : « يلاقس » . (٢) ح ، ن : « ابن » .

ابن بابل ، فكتب بلاش إلى ملوك الطوائف يُعلمهم ما اجتمعت عليه الروم من غزو بلادهم ، وأنه قد بلغه من حشدهم وجمعهم ما لا كفاء له عنده ، وأنه إن ضعف عنهم ظفروا بهم جميعاً . فوجه كل ملك من ملوك الطوائف إلى بلاش من الرجال والسلاح والمال بقدر قوته ، حتى اجتمع عنده أربعمائة ألف رجل ، فولى عليهم صاحب الحضرة - وكان ملكاً من ملوك الطوائف يلي ما بين انقطاع السواد إلى الجزيرة - فسار بهم حتى لقي ملك الروم فقتله واستباح عسكره ، وذلك هيّج الروم على بناء القسطنطينية ونقل الملك من رومية إليها . فكان الذي ولي إنشاءها الملك قسطنطين ، وهو أول ملوك الروم تنصّر ، وهو أجلى من بقي من بني إسرائيل عن فلسطين والأردن قتلهم - بزعمه - عيسى بن مريم ، فأخذ الخشبة التي وجددهم يزعمون أنهم صلبوا المسيح عليها ، فعظّمها الروم ، فأدخلوها خزائنهم ، فهي عندهم إلى اليوم .

قال : ولم يزل ملك فارس متفرقاً حتى ملك أردشير . فذكر هشام ما ذكرت عنه ، ولم يبين مدة ملك القوم .

* * *

وقال غيره من أهل العلم بأخبار فارس : ملك بعد الإسكندر ملك دارا أناس من غير ملوك الفرس ، غير أنهم كانوا يخضعون^(١) لكل من يملك بلاد الجبل ويمنحونه الطاعة .

قال : وهم الملوك الأشغانون^(٢) الذين يدعون ملوك الطوائف . قال : فكان ملكهم مائتي سنة وستاً وستين سنة .

فلك من هذه السنين أشك بن أشجان عشرين سنين .

ثم ملك بعده سابور بن أشغان ستين سنة ؛ وفي سنة إحدى وأربعين من ملكه ظهر عيسى بن مريم بأرض فلسطين . وإن ططوس بن أسفسيانوس ملك رومية غزا بيت المقدس بعد ارتفاع عيسى بن مريم بنحو من أربعين سنة ، فقتل من في مدينة بيت المقدس ، وسبي ذراريهم ، وأمرهم فنُسفت مدينة بيت المقدس ، حتى لم يترك بها حجراً على حجر .

(١) ح : « يجمعون » . (٢) ن : « الأشغانون » ، ت : « الأسمانون » .

ثم ملك جودرز بن أشغانان الأكبر ، عشر سنين .
 ثم ملك بيزن الأشغاني ، إحدى وعشرين سنة .
 ثم ملك جودرز الأشغاني ، تسع عشرة سنة .
 ثم ملك نرسي الأشغاني ، أربعين سنة .
 ثم ملك هرمز الأشغاني ، سبع عشرة سنة .
 ثم ملك أردوان الأشغاني ، اثنتي عشرة سنة .
 ثم ملك كسرى الأشغاني ، أربعين سنة .
 ثم ملك بلاش الأشغاني ، أربعاً وعشرين سنة .
 ثم ملك أردوان الأصغر الأشغاني ، ثلاث عشرة سنة .
 ثم ملك أردشير بن بابك .

* * *

وقال بعضهم : ملك بلاد الفرس بعد الإسكندر ملوك الطوائف الذين
 فرق الإسكندر المملكة بينهم ، وتفرّد بكل ناحية من مملك عليها من حين
 ملكه ، ما خلا السواد ، فإنها كانت أربعاً وخمسين سنة بعد هلاك الإسكندر
 في يد الروم . وكان في ملوك الطوائف رجل من نسل الملوك مملّكا على الجبال
 وأصبهان ، ثم غلب ولده بعد ذلك على السواد ، فكانوا ملوكاً عليها وعلى الماهات^(١)
 والجبال وأصبهان ، كالرئيس على سائر ملوك الطوائف ، لأن السنة جرت
 بتقدمه وتقديم ولده ؛ ولذلك قُصِدَ لذكورهم في كتب سير الملوك ، فاقْتَصِرَ
 على تسميتهم دون غيرهم .

قال : ويقال إن عيسى بن مريم عليه السلام وُلد بأوريشليم بعد
 إحدى وخمسين سنة من ملوك الطوائف ؛ فكانت سنو ماكهم من لدن
 الإسكندر إلى وثوب أردشير بن بابك وقتله أردوان واستواء الأمر له ،
 مائتين وستاً وستين سنة .

* * *

قال : فمن الملوك الذين ملكوا الجبال ثم تهبّت لأولادهم بعد ذلك الغلبة

(١) ت : « الماهات » . س : « المهان » .

على السواد أشك بن حره بن رسيان^(١) بن أرتشاخ بن هرمز بن ساهم بن رزان^(٢) بن ٧٠٩/١
 إسفنديار بن بشتاسب . قال : والفرس تزعم أنه أشك بن دارا . وقال بعضهم :
 أشك بن أشكان الكبير ، وكان من ولد كيبه بن كيقباز ، وكان مائة عشر سنين .
 ثم ملك من بعده أشك بن أشك بن أشكان ، إحدى وعشرين سنة .
 ثم ملك سابور بن أشك بن أشكان ، إحدى وعشرين سنة .
 ثم ملك سابور بن أشك بن أشكان ، ثلاثين سنة .
 ثم ملك جوذرز الأكبر بن سابور بن أشكان ، عشرين سنين .
 ثم ملك بيرن بن جوذرز ، إحدى وعشرين سنة .
 ثم جوذرز الأصغر بن بيزن ، تسع عشرة سنة .
 ثم نرسه بن جوذرز الأصغر ، أربعين سنة .
 ثم هرمز بن بلاش بن أشكان ، سبع عشرة سنة .
 ثم أردوان الأكبر وهو أردوان بن أشكان ، اثنتي عشرة سنة .
 ثم كسرى بن أشكان ، أربعين سنة .
 ثم بهافريد الأشكاني ، تسع سنين .
 ثم بلاش الأشكاني ، أربعاً وعشرين سنة .
 ثم أردوان الأصغر وهو أردوان بن بلاش بن فيروز بن هرمز بن بلاش بن
 سابور بن أشك بن أشكان الأكبر ، وكان جده كيبه بن كيقباز . ويقال :
 إنه كان أعظم الأشكانية ملكاً ، وأظهرهم عزاً ، وأسنهم ذكراً ، وأشدّهم قهراً
 للملوك الطوائف ، وأنه كان قد غلب على كورة إصطخر لاتصالها بأصبهان ،
 ثم تخطى إلى جور وغيرها من فارس ، حتى غلب عليها ، ودانت له ٧١٠/١
 ملوكها ليلية ملوك الطوائف كانت له ، وكان ملكه ثلاث عشرة سنة .
 ثم ملك أردشير .

* * *

وقال بعضهم : ملك العراق وما بين الشام ومصر بعد الإسكندر تسعون
 ملكاً على تسعين طائفة كلهم يعظم من يملك المدائن ، وهم الأشكانيون . قال :

(١) كذا في س . (٢) كذا في ن ، وف ت : « رزان » وفي س : « زرام » .

فلک من الأشکانین أفقور شاه بن بلاش بن سابور بن أشکان بن أرش
البحار بن سیاوش بن کیهانوس الملك ، اثنتین وستین سنة .

ثم سابور بن أفقور - وعلى عهده كان المسيح ويحيى عليهما السلام -
ثلاثاً وخمسين سنة .

ثم جودرز بن سابور بن أفقور الذى غزا بنى إسرائيل طالباً بثأر يحيى
ابن زكرياء ، ملك تسعاً وخمسين سنة .

ثم ابن أخيه أبزان بن بلاش بن سابور ، سبعاً وأربعين سنة .

ثم جودرز بن أبزان بن بلاش ، إحدى وثلاثين سنة .

ثم أخوه نرسی بن أبزان : أربعاً وثلاثين سنة .

ثم عمته الهرمزان بن بلاش ، ثمانياً وأربعين سنة .

ثم ابنه الفيروزان بن الهرمزان بن بلاش ، تسعاً وثلاثين سنة .

ثم ابنه كسرى بن الفيروزان ، سبعاً وأربعين سنة .

ثم ابنه أردوان بن بلاش ، وهو آخرهم ، قتله أردشير بن بابك ، خمساً
وخمسين سنة . ٥٨٤/١

قال : وكان ملك الإسكندر وملك سائر ملوك الطوائف فى النواحى خمسمائة

وثلاثاً وعشرين سنة .

ذكر الأحداث التي كانت في أيام ملوك الطوائف

فكان من^(١) ذلك — فيما زعمته الفرس — لمضى خمس وستين سنة من غلبة الإسكندر على أرض بابل ، وإحدى وخمسين سنة من ملك الأشكانيين — ولادة^١ مريم بنت عمران عيسى بن مريم عليه السلام .

فأما النصارى فإنها تزعم أن ولادتها إياه كانت لمضى ثلثمائة سنة وثلاث سنين من وقت غلبة الإسكندر على أرض بابل . وزعموا أن مولد يحيى بن زكرياء كان قبل مولد عيسى عليه السلام بستة أشهر . وذكروا أن مريم حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة ، وأن عيسى عاش إلى أن رُفِع اثنتي عشرة سنة وأياما ، وأن مريم بقيت بعد رفعه ست سنين ، وكان جميع عمرها نيفًا وخمسين سنة . قال : وزعموا أن يحيى اجتمع^(٢) هو وعيسى بنهر الأردن وله ثلاثون سنة ،

وأن يحيى قُتِل قبل أن يرفع عيسى . وكان زكرياء بن برخيا^(٣) أبو يحيى بن زكرياء وعمران بن ماثان أبو مريم متزوجين بأختين ؛ إحداهما عند زكرياء وهي أم يحيى ، والأخرى منهما عند عمران بن ماثان ، وهي أم مريم ، فأت عمران بن ماثان وأم مريم حامل بمريم ، فلما ولدت مريم كفّلها زكرياء بعد موت أمها ، لأن خالتها أخت أمها كانت عنده . واسم أم مريم حنة بنت فاقد ابن قبيل ، واسم أختها أم يحيى الأشباع^(٤) ابنة فاقد . وكفلها زكرياء ، وكانت مشاة بيوسف بن يعقوب بن ماثان بن اليعازر بن اليوذ بن أحين بن صادوق بن عازور بن الياقيم بن أبيوذ بن زربابل بن شلتيل بن يوحنا بن يوشيا بن أمون بن منشا بن حزقيا بن أهاز بن يوثام بن عوزيا بن يورام بن يهوشافاظ بن أسا بن أبيا بن رحبعم بن سليمان بن داود ، ابن عم مريم .

وأما ابن حميد ، فإنه حدثنا عن سلّمة ، عن ابن إسحاق ، أنه قال :

(١) ح : « في » . (٢) ن : « صيف » .

(٣) ن : « برخنا » . (٤) ن : « الأشباع » .

مریم - فیما بلغنی عن نسبها - ابنة عمران بن یاشهم بن أمون بن منشا بن حزقیا ابن أحزق بن یوثام بن عزریا بن أمصیا بن یاوش بن أحزیهو بن یارم بن یهشافظ بن أسا بن أبیا بن رُحُبَعُم بن سایمان . فولد لזكرياء یحیی ابن خالة عیسی بن مریم ، فنبیٌ صغیراً ، فساح ، ثم دخل الشام یدعو الناس ، ثم اجتمع یحیی وعیسی ، ثم افترقا بعد أن عمّد یحیی عیسی . ٧١٣/١

وقیل : إن عیسی بعث یحیی بن زكرياء فی اثنی عشر من الحواریین یعلّمون الناس : قال : وكان فیما نهوهم عنه نکاحُ بنات الأخ ، فحدثنی أبو السائب ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعید بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : بعث عیسی بن مریم یحیی بن زكرياء ، فی اثنی عشر من الحواریین یعلّمون الناس ، قال : فكان فیما نهوهم عنه نکاحُ ابنة الأخ . قال : وكان للملکهم ابنة أخٍ تُعجبه ، یرید أن یتزوجها ، وكانت لها کلّ یوم حاجة یقضیها ، فلما بلغ ذلك أمّها قالت لها : إذا دخلت علی الملک ، فسألك حاجتک فقولی : حاجتی أن تذبح لی یحیی بن زكرياء . فلما دخلت علیه سألتها حاجتها ، قالت : حاجتی أن تذبح لی یحیی بن زكرياء ، فقال : سلیني غیر هذا ، قالت : ما أسألك إلاّ هذا ، قال : فلما أبت علیه دعا یحیی ، ودعا بطست فذبحه ، فندرت قطرة من دمه علی الأرض ، فلم تنزل تغلی حتی بعث الله بختنصر علیهم ، فجاءته عجوز من بنی إسرائيل ، فدلته علی ذلك الدم ، قال : فألقى الله فی قلبه أن یقتل علی ذلك الدم منهم حتی یسکن ، فقتل سبعین ألفاً منهم من سنّ واحدة ، فسکن . ٧١٤/١

حدثنا موسی بن هارون الهمدانی ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدی ، فی خبر ذکره عن أبی مالک وعن أبی صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمدانی ، عن ابن مسعود - وعن ناسٍ من أصحاب النبی صلی الله علیه وسلم ، أن رجلاً من بنی إسرائيل ، رأى فی النوم أن خرابَ بیت المقدس وهلاكُ بنی إسرائيل علی یدی غلام یتیم ، ابن أرملة من أهل بابل ، یدعی بختنصر ، وكانوا یصدقون فتصدّق رؤیاهم ، فأقبل یسأل عنه ، حتی نزل علی أمّه وهو یحطب ، فلما جاء وعلى رأسه حزمة

حطب ألقاها ، ثم قعد في جانب البيت ، فكلّمه ، ثم أعطاه ثلاثة دراهم ، فقال : اشتر بهذه طعاماً وشراباً ، فاشتري بدهم لحمًا ، وبدهم خبزاً ، وبدهم خمرًا ، فأكلوا وشرّبوا ؛ حتى إذا كان اليوم الثاني فعل به ذلك ، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل ذلك ، ثم قال : إني أحبّ أن تكتب لي أمانًا إن أنت مُلِكْتَ يومًا من الدهر ؛ قال : تسخر بي ! قال : إني لا أسخرُ بك ، ولكن ما عليك أن تتخذ بها عندى يدًا ! فكلّمته أمه ، فقالت : وما عليك إن كان ؛ وإلا لم ينقصك شيئًا ! فكتب له أمانًا ، فقال : أرايت إن جئت والناسُ حولك ، قد حالوا بيني وبينك ! فاجعل لي آيةً تعرفني بها ، قال : ترفع صحيفتك على قَصَبَةٍ فأعْرِفُكَ بها . فكساه وأعطاه .

ثم إن ملك بني إسرائيل كان يكرم يحيى بن زكرياء ، ويُدْنِي مجلسه ، ويستشيرَه في أمره ، ولا يقطع أمرًا دونَه ، وإنه هوى أن يتزوَّج ابنة امرأة له ، فسأل يحيى عن ذلك ، فنهاه عن نكاحها ، وقال : لست أرضاها لك ، فبلغ ذلك أمّها فحققت على يحيى حين نهاه أن يتزوَّج ابنتها ، فعمدت إلى الجارية حين جلس الملك على شرايه ، فألبستها ثيابًا رقاقًا حمرًا ، وطيّبستها ، وألبستها من الخلي ، وألبستها فوق ذلك كساء أسود ، فأرسلتها إلى الملك ، وأمرتها أن تسقيه ، وأن تعرض له ، فإن أرادها على نفسها أبت عليه ، حتى يعطيها ما سألته ، فإذا أعطاها ذلك سألته أن تؤتي برأس يحيى بن زكرياء في طسّنت ، ففعلت فجعلت تسقيه وتعرض له ، فلما أخذ فيه الشراب أرادها على نفسها ، فقالت : لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك ، قال : ما تسأليني ؟ قالت : أسألك أن تبعث إلي يحيى بن زكرياء ، فأوتى برأسه في هذا الطسّنت ، فقال : ويحك ! سأليني غير هذا ! قالت : ما أريد أن أسألك إلا هذا . قال : فلما أبت عليه ، بعث إليه فأتي برأسه ، والرأسُ يتكلّم ، حتى وضع بين يديه ، وهو يقول : لا تحلّ لك ، فلما أصبح إذا دمه يغلي ، فأمر بتراب فألقى عليه ، فرقى الدم فوق التراب يغلي ، فألقى عليه التراب أيضًا ، فارتفع الدم فوقه ، فلم يزل يُلقَى عليه التراب حتى بلغ سور المدينة ،

وهو في ذلك يغلي ، وبلغ صيحاته^(١) فنادى في الناس ، وأراد أن يبعث إليهم جيشاً ، ويؤمّر عليهم رجلاً ، فأناه بختنصر ، فكلمه ، وقال : إن الذي كنت أرسلت تلك المرة ضعيف ، فإني قد دخلت المدينة ، وسمعت كلام أهلها ، فابعثني ، فبعثه فسار بختنصر ؛ حتى إذا بلغوا ذلك المكان تحصنوا منه في مدائنهم ، فلم يطبقهم ، فلما اشتد عليه المقام ، وجاع أصحابه أراد الرجوع ، فخرجت إليه^(٢) عجوز من عجائز بني إسرائيل ، فقالت : أين أمير الجند ؟ فأقني به إليها ، فقالت : إنه بلغني أنك تريد أن ترجع بجندك قبل أن تفتح هذه المدينة . قال : نعم ، قد طال مقامي ، وجاع أصحابي ، فلست أستطيع المقام فوق الذي كان مني ، فقالت : أرايتك إن فتحت لك المدينة ، أعطيني ما أسألك ؛ فقتل من أمرتك يقتله ، وتكف إذا أمرتك أن تكف ؟ قال لها : نعم ، قالت : إذا أصبحت فأقسم جندك أربعة أرباع ، ثم أقيم على كل زاوية ربعاً ، ثم ارفعوا بأيديكم إلى السماء ، فنادوا : إنا نستفتحك يا الله بدم يحيى بن زكرياء ؛ فإنها سوف تتساقط . ففعلوا ، فتساقطت المدينة ، ودخلوا من جوانبها ، فقالت له : كف يدك ، اقتل على هذا الدم حتى يسكن ، فانطلقت به إلى دم يحيى وهو على تراب كثير ، فقتل عليه حتى سكن ، فقتل سبعين ألف رجل وامرأة ، فلما سكن الدم ، قالت له : كف يدك ، فإن الله عز وجل إذا قتل نبي لم يرض حتى يقتل من قتله ومن رضى قتله . فأناه صاحب الصحيفة بصحيفته ، فكف عنه وعن أهل بيته ، وخرّب بيت المقدس ، وأمر به أن تطرح فيه الجيف ، وقال : من طرح فيه جيفة فله جزئته تلك السنة ، وأعانه على^(٣) خرابه الروم من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى بن زكرياء ، فلما خربه بختنصر ذهب معه بوجوه بني إسرائيل وسراهم ، وذهب بدانيال وعزريا^(٤) وميشائيل ؛ هؤلاء كلهم من أولاد الأنبياء ، وذهب معه برأس الجالوت ، فلما قدّم أرض بابل

(١) ت : « صيحين » ، ن : « صيحاتي » .

(٢) ح : « إليهم » .

(٣) ح : « عليه » .

(٤) ت : « وعزوبا » ، ن : « وعزوزيا » .

وجد صبيحائين قد مات ، فلك مكانه ، وكان أكرم الناس عليه دانيال وأصحابه ، فحسدوهم المحوس ، فوشوا بهم إليه ، فقالوا : إن دانيال وأصحابه لا يعبدون إلهك ، ولا يأكلون من ذبيحتك ، فدعاهم فسألهم فقالوا : أجل إن لنا رباً نعبد ، ولسنا نأكل من ذبيحتكم ، وأمر بخد فخد ، فألقوا فيه وهم ستة ، وألقى معهم سبع ضار ليأكلهم ، فقالوا : انطلقوا فلنأكل ولنشرب ، فذهبوا ، فأكلوا وشربوا ، ثم راحوا فوجدوهم جلوساً ، والسبع مفترش ذراعيه بينهم لم يחדش منهم أحداً ، ولم ينكأ شيئاً ، فوجدوا معهم رجلاً ، فعدهم فوجدوهم سبعة ، فقال : ما بال هذا السابع ؟ إنما كانوا ستة ! فخرج إليه السابع — وكان ملكاً من الملائكة — فلفطه لطفة فصار في الوحش ، فكان فيهم سبع سنين ^(١) .

قال أبو جعفر : وهذا القول الذي روي عن ذكر في هذه الأخبار التي رويت وعمن لم يذكر في هذا الكتاب ، من أن بختنصر ، هو الذي غزا بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكرياء — عند أهل السير والأخبار والعلم بأمور الماضين في الجاهلية ، وعند غيرهم من أهل الملل غلط ؛ وذلك أنهم بأجمعهم مجمعون على أن بختنصر إنما غزا بني إسرائيل عند قتلهم نبيهم شعيا في عهد إرميا بن حلقيا ، وبين عهد إرميا وتخريب بختنصر بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكرياء أربع مائة سنة وإحدى وستون سنة في قول اليهود والنصارى . ويذكرون أن ذلك عندهم في كتبهم وأسفارهم مبين ، وذلك أنهم يعدون من لدن تخريب بختنصر بيت المقدس إلى حين عمرائها في عهد كيرش بن أخشويرش أصهبذ بابل من قبيل أردشير بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب ، ثم من قبيل ابنته خماني سبعين سنة ، ثم من بعد عمرائها إلى ظهور الإسكندر عليها وحيازة مملكتها إلى مملكته ثمانيا وثمانين سنة ، ثم من بعد مملكة الإسكندر لها إلى مولد يحيى بن زكرياء ثلثمائة سنة وثلاث سنين ، فذلك على قولهم أربع مائة سنة وإحدى وستون سنة .

(١) الخبر إلى هنا في التفسير ١٥ : ٢٥ ، ٢٦ (بلاق) .

وأما المجوس فإنها توافق النصارى واليهود في مدة خراب بيت المقدس ، وأمر بختنصر ، وما كان من أمره وأمر بنى إسرائيل إلى غلبة الإسكندر على بيت المقدس والشام وهلاك^(١) دارا ، وتخالقهم في مدة ما بين ملك الإسكندر ومولد يحيى ، فتزعم أن مدة ذلك إحدى وخمسون سنة . فبين المجوس والنصارى من الاختلاف في مدة ما بين ملك الإسكندر ومولد يحيى وعيسى ما ذكرت . والنصارى تزعم أن يحيى ولد قبل عيسى بستة أشهر ، وأن الذى قتله ملك لبنى إسرائيل يقال له هيردوس ، بسبب امرأة يقال لها هيروديا ، كانت امرأة أخ له ، يقال له فيلفوس ، عَشِقَهَا فوافقته^(٢) على الفُجور ، وكان لها ابنة يقال لها دمنى^(٣) فأراد هيردوس أن يوطأ امرأة أخيه المسماة هيروديا ، فنهاه يحيى وأعلمه أنه لا تحل له ، فكان هيردوس معجباً بالابنة ، فألهمته يوماً ، ثم سأله حاجة فأجابها إليها ، وأمر صاحباً له بالنفوذ لما تأمره به ، فأمرته أن يأتيتها برأس يحيى ، ففعل ، فلما عرف هيردوس الخبر أسقط في يده ، وجزع جزعاً شديداً .

* * *

وأما ما قال في ذلك أهل العلم بالأخبار وأمور أهل الجاهلية فقد حكيتُ منه ما قاله هشام بن محمد الكلبي .

وأما ما قال ابن إسحاق فيه ، فهو ما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : عمرت بنو إسرائيل بعد ذلك - يعنى بعد مرجعهم من أرض بابل إلى بيت المقدس - يُحدثون الأحداث ، ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ، ففريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون ؛ حتى كان آخر مَنْ بعث فيهم من أنبيائهم زكرياء ويحيى بن زكرياء وعيسى بن مريم ، وكانوا من بيت آل داود عليه السلام . وهو يحيى بن زكرياء بن أذى ابن مسلم بن صدوق بن نحشان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن برخية بن شفاطية بن فاحور بن شلوم بن يهفاشاط بن أسا بن أبيا بن رجبعم

(١) ح : « وإهلاك » . (٢) ح : « فراقته » .

(٣) ت : « دمنى » ، س : « دمنه » ، ن : « دمنى » .

ابن سليمان بن داود .

قال : فلما رفع الله عيسى عليه السلام من بين أظهرهم ، وقتلوا يحيى بن زكرياء عليه السلام — وبعض الناس يقول : وقتلوا زكرياء — ابتعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له خردوس ، فسار إليهم بأهل بابل ؛ حتى دخل عليهم الشام ، فلما ظهر عليهم أمر رأساً من رعوس جنوده يدعى نبوزراذان ، صاحب القتل ، فقال له : إني كنت حلفت بإلهي : لأن أنا ظهرت على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري ؛ إلى ألا أجد أحداً أقتله ، فأمره أن يقتلهم ، حتى يبلغ ذلك منهم . وإن نبوزراذان دخل بيت المقدس ، فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم ، فوجد فيها دمًا يغلي ، وسألهم ، فقال : يا بني إسرائيل ؛ ما شأن هذا الدم يغلي ؟ أخبروني خبره ولا تكتُموني شيئاً من أمره ، فقالوا : هذا دم قربان كان لنا كنا قربناه فلم يقبل منا ، فلذلك هو يغلي كما تراه ، ولقد قربنا منذ ثمانمائة سنة القربان ، فيقبل منا إلا هذا القربان . قال : ما صدقتموني الخير ، قالوا له : لو كان كأول زماننا لقبيل منا ؛ ولكنه قد انقطع منا الملك والنبوة والوحي ؛ فلذلك لم يقبل منا . فذبح منهم نبوزراذان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين روحاً من رعوسهم فلم يهدأ ، فأمر فأتى بسبعمائة غلام من غلمانهم ، فذبحوا على الدم فلم يهدأ ، فأمر بسبعة آلاف من بنيهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يبرد ، فلما رأى نبوزراذان الدم لا يهدأ قال لهم : يا بني إسرائيل ، ويلكم ! أصدقوني واصبروا على أمر ربكم ؛ فقد طالما ملككم في الأرض تفعلون فيها ما شئتم ، قبل ألا أترك منكم نافع نار ؛ أنثى ولا ذكراً إلا قتلته ! فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخير فقالوا : إن هذا دم نبيّ منا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله ، فلو أطعناه فيها لكان أرشد لنا ، وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدقّه فقتلناه ، فهذا دمه . فقال لهم نبوزراذان : ما كان اسمه ؟ قالوا : يحيى بن زكرياء ، قال : الآن صدقتموني ، لمثل هذا ينتقم ربكم منكم . فلما رأى نبوزراذان أنهم قد صدقوه خيراً ساجداً ، وقال لمن حوله : أغلقوا أبواب المدينة ، وأخرجوا من كان ها هنا من جيش خردوس

وخلا في بني إسرائيل . ثم قال : يا يحيى بن زكرياء ، قد علم ربّي وربّك ما قد أصاب قومك من أجلك ، وما قتل منهم من أجلك ، فاهدأ بإذن الله قبل ألاّ أبقيّ من قومك أحداً ، فهدأ دم يحيى بإذن الله ، ورفع نبوزراذان عنهم القتل ، وقال : آمنتُ بما آمنت به بنو إسرائيل ، وصدّقتُ به وأيقنتُ أنه لا ربّ غيره ، ولو كان معه آخر لم يصلح ، لو كان معه شريك لم تستمسك^(١) السموات والأرض ، ولو كان له ولد لم يصلح ، فتبارك وتقدّس وتبسّح وتكبر والذى بسلط الأرض وألقى فيها رواسي لا تزول ؛ فكذلك ينبغي لربّي أن يكون ويكون ملكه . فأوحى إلى رأس من رعوس بقية الأنبياء أن نبوزراذان حبور صدوق - والحبور بالعبرانية حديث الإيمان - وأن نبوزراذان قال لبني إسرائيل : إنّ عدو الله خردوس أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره . وإني فاعل ، لست أستطيع أن أعصيه . قالوا له : افعل ما أمّرت به ، فأمرهم فحفروا خندقاً ، وأمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والإبل فذبحها ، حتى سال الدم في العسكر ، وأمر بالقتلى الذين كانوا قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم ؛ حتى كانوا فوقهم ؛ فلم يظنّ خردوس إلا أن ما كان في الخندق من بني إسرائيل .

٧٢٣/١

فلما بلغ الدم عسكره أرسل إلى نبوزراذان : ارفع عنهم ، فقد بلغني دماؤهم ، وقد انتقمتم منهم بما فعلوا . ثم انصرف عنهم إلى أرض بابل ، وقد أفنى بني إسرائيل أو كاد ؛ وهي الواقعة الأخيرة التي أنزل الله بني إسرائيل يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾^(٢) . و « عسى »^(٤) من الله حق ، فكانت الواقعة الأولى بختنصر وجنوده ، ثم ردّ

(١) ط : « يستمسك » ، وما أثبتته من ت

(٢) ن : « وحكمة » .

(٣) سورة الإسراء ٤ - ٨ .

(٤) من قوله تعالى في آية ٨ : « عسى ربكم أن يرحمكم » .

الله لهم الكرّة عليهم ، ثم كانت الوقعة الأخيرة خردوس وجنوده ، وهى كانت أعظم الوقعتين ، فيها كان خراب بلادهم وقتل رجالهم وسبى ذراريتهم ونساءهم ؛ يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَيُقَبَّرُوا مَا عَلَوْا تَتَبِيرًا ﴾^(١) .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عيسى بن مريم وأمه عليهما السلام . قال : وكانت مريم ويوسف بن يعقوب ابن عمّها يلبّان خدمة الكنيسة ، فكانت مريم إذا نفذ ماؤها - فيما ذكر - وماء يوسف أخذ كل واحد منهما قلّته ، فانطلق إلى المغارة التى فيها الماء الذى يستعذبانه ، فيملاّ قلّته ، ثم ٧٢٤/١ يرجعان إلى الكنيسة . فلما كان اليوم الذى لقيها فيه جبرئيل - وكان أطول يوم فى السنة وأشدّه حرّاً - نفذ ماؤها ، فقالت : يا يوسف ، ألا تذهب بنا نستقى ! قال : إنّ عندي لفضلاً من ماء أكتفى به يومى هذا إلى غد ، قالت : لكنى والله ما عندي ماء ، فأخذت قلّتها ، ثم انطلقت وحدها ، حتى دخلت المغارة ، فتجد عندها جبرئيل ، قد مثله الله لها بشراً سوياً : فقال لها : يا مريم ، إن الله قد بعثنى إليك لأهب لك غلاماً زكياً ، قالت : ﴿ إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾^(٢) ، وهى تحسبه رجلاً من بنى آدم فقال : إنما أنا رسول ربك ، قالت : ﴿ أَنِّى يَكُونُ لِي غَلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ . قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا^(٣) ، أى أن الله قد قضى أنّ ذلك كائن . فلما قال ذلك استسلمت لقضاء الله ، فنفخ فى جيبها ، ثم انصرف عنها ، وملاّت قلّتها .

قال : فحدثنى محمد بن سهل بن عسكر البخارى ، قال حدثنا إسماعيل ابن عبد الكريم ، قال : حدثنى عبد الصمد بن معقل ، ابن أخى وهب ،

(١) سورة الإسراء ٧ .

(٢) سورة مريم ١٨ .

(٣) سورة مريم ٢٠ ، ٢١ .

قال : سمعت وهباً قال : لما أرسل الله عز وجل جبرئيل إلى مريم ، تمثل لها بشراً سوياً . فقالت : ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً ﴾ ، ثم نفخ في جيب درعها حتى وصلت النفخة إلى الرحم ، واشتملت على عيسى .

قال : وكان معها ذو قرابة لها يقال له يوسف النجار ، وكانا منطلقين إلى المسجد الذي عند جبل صهيون ؛ وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم ، وكانت مريم ويوسف يخدمان في ذلك المسجد في ذلك الزمان ، وكان لخدمته فضل عظيم ، فرغباً في ذلك ، فكانا يلبيان معالجته بأنفسهما وتجميرة وكناسته وطهوره ، وكل عمل يعمل فيه ، فكان لا يعلم من أهل زمانهما أحدٌ أشدَّ اجتهاداً وعبادة منهما ، وكان أول من أنكر حمل مريم صاحبها يوسف ، فلما رأى الذي بها استعظمه ، وعظم عليه ، وفطع به ، ولم يدر على ماذا يضع^(١) أمرها ! فإذا أراد يوسف أن يتهمها ذكر صلاحها وبراعتها ، وأنها لم تغيب عنه ساعة قط ، وإذا أراد أن يبرئها رأى الذي ظهر بها . فلما اشتدَّ عليه ذلك كلَّهما ، فكان أول كلامه إياها أن قال لها : إنه قد وقع في نفسي من أمرك أمر قد حرصت على أن أميته ، وأكتمته في نفسي ، فغلبني ذلك ، فرأيت أن الكلام فيه أشنى لصدرى ، قالت : فقل قولاً جميلاً ، قال : ما كنت لأقول إلا ذلك ، فحدثيني : هل ينبت زرع بغير بذر ؟ قالت : نعم ، قال : فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها ؟ قالت : نعم ، قال : فهل يكون ولد من غير ذكر ؟ قالت : نعم ، ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر ، والبذر إنما كان من الزرع الذى أنبته الله من غير بذر ! أو لم تعلم أن الله أنبت الشجر من غير غيث ، وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلق كل واحد منهما وحده ! أو تقول لم يقدر الله على أن ينبت الشجر ، حتى استعان عليه بالماء ، ولولا ذلك لم يقدر على إنباته ! قال لها يوسف : لا أقول ذلك ، ولكنى أعلم أن الله بقدرته على ما يشاء يقول لذلك : كن فيكون . قالت له مريم : أو لم تعلم أن الله عز وجل

٧٢٦/١

خلَقَ آدَمَ وامراته من غير ذكرٍ ولا أنثى ؟ قال : بلى ، فلما قالت له ذلك وقع في نفسه أن الذي بها شيء من الله عز وجل ، وأنه لا يسهه أن يسألفا عنه ؛ وذلك لما رأى من كتمانها لذلك . ثم تولى يوسف خدمة المسجد ، وكفأها كل عمل كانت تعمل فيه ؛ وذلك لما رأى من رقة^(١) جسمها وإصفرار لونها ، وكلّف وجهها ، وتواء بطنها ، وضعف قوتها ، ودأب نظرها ؛ ولم تكن مريم قبل ذلك كذلك ؛ فلما دنا نفاسها أوحى الله إليها أن اخرجي من أرض قومك ؛ فإنهم إن ظفروا بك عيروك وقتلوا^(٢) ولدك . فأفضت عند ذلك إلى أختها - وأختها حينئذ حبلى ، وقد بشرت بيحيى - فلما التقيا وجدت أم يحيى ما في بطنها خيراً لوجهه ساجداً معترفاً بعيسى ؛ فاحتملها يوسف إلى أرض مصر على حمار له ، ليس بينها حين ركبت الحمار وبين الإكاف^(٣) شيء ، فانطلق يوسف بها ؛ حتى إذا كان متاخماً لأرض مصر في مُنْقَطَعِ بلاد قومها أدرك مريم النفاس ، وألجأها إلى آرى حمار - يعنى مزود الحمار - في أصل نخلة ؛ وذلك في زمان الشتاء ، فاشتدّ على مريم المخاض ؛ فلما وجدت منه شدة التجأت إلى النخلة ، فاحتضنتها واحتوشتها الملائكة ، قاموا صفوفاً محدّقين بها^(٤) .

فلما وضعت وهى محزونة ، قيل لها : ﴿ أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ إلى ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾^(٥) ، فكان الرطب يتساقط عليها ، وذلك في الشتاء .

فأصبحت الأصنام التي كانت تُعبد من دون الله حين ولدت بكلّ أرض مقلوبة منكوسة على رءوسها ، ففزع الشياطين وراعها ، فلم يدروا ما سبب ذلك ، فساروا عند ذلك مسرعين ، حتى جاءوا إبليس ، وهو على عرش له ، في لُجّة خضراء ، يتمثل بالعرش يوم كان على الماء ويحتجب ، يتمثل بحجب النور التي من دون الرحمن ، فأثوه وقد خلا ست ساعات من النهار ، فلما

(١) ت : « دقة » . (٢) ن : « وقتلوك وولدك » .

(٣) الإكاف ، ككتاب وغراب : برذعة الحمار .

(٤) الخبر في التفسير ١٥ : ٤٩ ، ٥٠ (بولاق) .

(٥) سورة مريم ٢٤ - ٢٦ .

رأى إبليسُ جماعتَهُمْ ، فزِعَ من ذلك ، ولم يرهَمَ جميعاً منذ فرقتهم قبل تلك الساعة ؛ إنما كان يراهم أشتاتاً ، فسألهم فأخبروه أنه قد حدث في الأرض حدث أصبَحَتْ الأصنام منكوسة على رؤوسها ، ولم يكن شيء أعونٌ على هلاك بني آدم منها ؛ كنا ندخلُ في أجوافها فنكلّسهم ، وندبّر أمرهم فيظنون أنها التي تكلّسهم ، فلما أصابها هذا الحدث صغرتْها في أعين بني آدم ، وأذلّها وأدناها . ذلك وقد خشينا ألاّ يعبدوها بعد هذا أبداً . واعلم أننا لم نأتِكَ حتى أحصينا الأرض ، وقلبتنا البحار وكلّ شيء قوينا عليه ؛ فلم نزد بما أردنا إلا جهلاً . قال لهم إبليس : إن هذا لأمر عظيم ، لقد علمت بأنّي كُتِمْتُه ، وكونوا على مكانكم هذا . فطار إبليس عند ذلك ، فلبث عنهم ثلاث ساعات ، فرّ فيهنّ بالمكان الذي وُلِدَ فيه عيسى ؛ فلما رأى الملائكة محدّقين بذلك المكان ، علِمَ أن ذلك الحدث فيه ، فأراد إبليس أن يأتيه من فوقه ؛ فإذا فوقه رؤوس الملائكة ومناكبهم عند السماء . ثم أراد أن يأتيه من تحت الأرض ؛ فإذا أقدام الملائكة راسية أسفل مما أراد إبليس . ثم أراد أن يدخل من بينهم فنحوه عن ذلك .

٧٢٨/١

ثم رجع إبليس إلى أصحابه فقال لهم : ما جئتمكم حتى أحصيت الأرض كلّها مشرقها ومغربها ، وبرّها وبحرها ، والخافقين ، والجوّ الأعلى ؛ وكلّ هذا بلغت في ثلاث ساعات ؛ وأخبرهم بمولد المسيح ، وقال لهم : لقد كُتِمْتُ شأنه ، وما اشتملت قبله رحم أنثى على ولد إلا بعلمي ، ولا وضعته قطّ ، إلاّ وأنا حاضرها ؛ وإني لأرجو أن أضلّ به أكثر مما يهتدي به ، وما كان نبيّ قبله أشدّ علىّ وعليكم منه .

وخرج في تلك الليلة قوم يؤمّونه من أجل نجم طلع أنكروه ، وكان قبل ذلك يتحدثون أنّ مطلع ذلك النجم من علامات مولود في كتاب دانيال . فخرجوا يريدونه ، ومعهم الذهب والمرّ واللّبّان ، فرّوا بملك من ملوك الشّام ، فسألهم : أين يريدون ؟ فأخبروه بذلك ، قال : فما بالّ الذهب والمرّ واللّبّان أهديتموه له من بين الأشياء كلّها ؟ قالوا : تلك أمثاله : لأنّ الذهب هو سيّد المتاع كلّّه ، وكذلك هذا النّبيّ هو سيّد أهل زمانه ، ولأنّ المرّ يُجبرُ به

٧٢٩/١

الجرح والكسر ، وكذلك هذا النبي يشفي به الله كلَّ سقيم ومريض ؛ ولأن اللبان ينال دخانه السماء ولا ينالها دخان غيره ، كذلك هذا النبي يرفعه الله إلى السماء لا يرفع في زمانه أحد غيره .

فلما قالوا ذلك لذلك الملك حدث نفسه بقتله ، فقال : اذهبوا ، فإذا علمتم مكانه فأعلموني ذلك ، فإني أرغب في مثل ما رغبتم فيه من أمره . فانطلقوا حتى دفعوا ما كان معهم من تلك الهدية إلى مريم ، وأرادوا أن يرجعوا إلى هذا الملك ليعلموه مكان عيسى ، فلقيتهم ملك فقال لهم : لا ترجعوا إليه ، ولا تعلموه بمكانه ، فإنه إنما أراد بذلك ليقته ؛ فانصرفوا في طريق آخر ، واحتملته مريم على ذلك الحمار ومعها يوسف ، حتى وردا أرض مصر ، فهي الربوة التي قال الله : ﴿ وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ^(١) 》 .

فكثرت مريم اثنتي عشرة سنة تكتمه من الناس ، لا يطلع عليه أحد ؛ وكانت مريم لا تأمن عليه ولا على معيشته أحداً ، كانت تلتقط السبل من حيث ما سمعت بالحصاد ، والمهد في منكبها والوعاء الذي تجعل فيه السبل في منكبها الآخر ، حتى تمَّ لعيسى عليه السلام اثنتا عشرة سنة ؛ فكان أول آية رآها الناس منه أن أمه كانت نازلةً في دار دهقان من أهل مصر ، فكان ذلك الدهقان قد سرقت له خزانة ، وكان لا يسكن في داره إلا المساكين ، فلم يتهمهم ، فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدهقان ، فلما أن رأى عيسى حزنَ أمه بمصيبة صاحب ضيافتها ، قال لها : يا أمه ، أتحبين أن أدله على ماله ؟ قالت : نعم يا بُنَيَّ ، قال : قولي له يجمع لي مساكين داره ، فقالت مريم للدهقان ذلك ، فجمع له مساكين داره ، فلما اجتمعوا عيَّد إلى رجلين منهم : أحدهما أعمى والآخر مُقْعَد ، فحمل المقعد على عاتق الأعمى ، ثم قال له : قم به ، قال الأعمى : أنا أضعف من ذلك ، قال عيسى عليه السلام : فكيف قويت على ذلك البارحة ؟ فلما سمعوه يقول ذلك ، بعثوا الأعمى ، حتى قام به ، فلما استقل قائماً حاملاً هَوِيَ المقعد إلى كوة الخزانة . قال عيسى : هكذا احتالا لمالك البارحة ، لأنه استعان الأعمى بقوته ، والمقعد بعينه ، فقال

المقعد والأعمى : صدق ، فردّا على الدهقان ماله ذلك ، فوضعه الدهقان في خزانته ، وقال : يا مريم خذي نصفه ، قالت : إني لم أخلق ذلك ، قال الدهقان : فأعطيه ابنك ، قالت : هو أعظم مني شأنًا ، ثم لم يلبث الدهقان أن أعرس ابنه له فصنع له عيداً فجمع عليه أهل مصر كلّهم ، فلما انقضى ذلك زاره قوم من أهل الشام لم يحذروهم الدهقان ، حتى نزلوا به ، وليس عنده يومئذ شراب ، فلما رأى عيسى اهتمامه بذلك دخل بيتاً من بيوت الدهقان ، فيه صفّان من جرار ، فأمر عيسى يده على أفواهها ، وهو يمشي ، فكلّما أمر يده على جرة امتلأت شراباً ، حتى أتى عيسى على آخرها ، وهو يومئذ ابن اثنتي عشرة سنة ، فلما فعل ذلك عيسى فزع الناس لشأنه وما أعطاه الله من ذلك ؛ فأوحى الله عزّ وجلّ إلى أمّه مريم ، أن اطلعي به إلى الشام ، ففعلت الذي أمرت به ، فلم تزل بالشام حتى كان ابن ثلاثين سنة ، فجاءه الوحي على ثلاثين سنة ، وكانت نبوته ثلاث سنين . ثم رفعه الله إليه ، فلما رآه إبليس يوم لقيه على العقبة لم يطيق منه شيئاً ، فتشبّه له برجل ذي سنّ وهيئة ، وخرج معه شيطانان ماردان متمثلين كما تمثّل إبليس ، حتى خالطوا جماعة الناس .

* * *

وزعم وهب أنه ربما اجتمع على عيسى من المرضى في الجماعة الواحدة خمسون ألفاً ، فمن أطاق منهم أن يبلغه بلغه ، ومن لم يطيق ذلك منهم أتاه عيسى عليه السلام يمشي إليه ؛ وإنما كان يُداويهم بالدعاء إلى الله عزّ وجلّ ، فجاءه إبليس في هيئة يبسهرُ الناس حسنُها وجمالها ، فلما رآه الناس فرغوا له ، وما لوا نحوه ، فجعل يخبرهم بالأعاجيب ؛ فكان في قوله : إن شأن هذا الرجل لعجيب^(١) ؛ تكلم في المهد ، وأحيا الموتى ، وأنبأ عن الغيب ، وشفي المريض ؛ فهذا الله . قال أحد صاحبيه : جهلت أيها الشيخ ، وبش ما قلت ! لا ينبغي لله أن يتجلّى للعباد ، ولا يسكن الأرحام ، ولا تسعه أجواف النساء ؛ ولكنه ابن الله . وقال الثالث : بش ما قلت ، كلا كما قد أخطأ وجهل ؛ ليس ينبغي لله أن يتخذ ولداً ؛ ولكنه إله معه ؛ ثم غابوا حين فرغوا

من قولهم ، فكان ذلك آخر العهد منهم .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : خرجت مريم إلى جانب المحراب لحيض أصابها فاتخذت من دونهم حجاباً من الجدران ، وهو قوله : ﴿ فَانْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا ﴿ في شرق المحراب ، فلما طهرت إذا هي برجل معها ، وهو قوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ فهو جبرئيل ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ . فلما رأتها فرغت منه وقالت : ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا ﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿ - تقول زانية - ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْمُهُ آيَةٌ لِلنَّاسِ وَرَحْمَةٌ مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ ^(١) . فخرجت ، عليها جلبابها ، فأخذ بكميتها ، فنفع في جيب درعها - وكان مشقوقاً من قدامها - فدخلت النفخة في صدرها ، فحملت ، فأنتها أختها امرأة زكرياء ليلة تزورها ، فلما فتحت لها الباب التزمتها ، فقالت امرأة زكرياء : يا مريمُ أشعرت أُنَى حبلِي . قالت مريم : أشعرت أُنَى أيضاً حبلِي . قالت امرأة زكرياء : فلأني وجدتُ ما في بطني يسجد لما في بطنك ، فذلك قوله : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ ^(٢) . فولدت امرأة زكرياء يحيى ، ولما بلغ أن تضع مريم ، خرجت إلى جانب المحراب الشرقي منه ، فأنت أقصاه : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ يقول : أبلأها المخاض إلى جذع النخلة ، ﴿ قَالَتْ ﴾ : وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس : ﴿ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا ، وَكُنْتُ نَسِيًّا ﴾ .

(١) سورة مريم ١٦ - ٢١ .

(٢) سورة آل عمران ٣٩ .

تقول : نَسِيًّا : نَسِيَ ذَكَرِي ، وَمَنْسِيًّا ، تقول : نَسِيَ أَثَرِي ، فلا يرى لى
أثر ولا عين . ﴿ فَنَادَاهَا ﴾ ، جبرئيل : ﴿ مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ
تَحْتِكَ سَرِيًّا ﴾ ، والسرى هو النهر . ﴿ وَهَزَى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ ،
وكان جذعاً منها مقطوعاً فهزته ، فإذا هو نخلة ، وأجرى لها في المحراب نهراً
ففساقت النخلة رطباً جنيّاً ، فقال لها : كُلِّي واشربي وقرى عيناً ، ﴿ فَأَمَّا
تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ
الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ ، فكان من صام في ذلك الزمان لم يتكلم حتى يمسي ، فقبل لها :
٧٣٤/١ لا تريد على هذا ، فلما ولدته ذهب الشيطان فأخبر بني إسرائيل أن
مريم قد ولدت ، فأقبلوا يشهدون ، فدعوها ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا
يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ - يقول عظيماء - ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ
أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴾ ، فما بالك أنت يا أخت هارون!
وكانت من بني هارون أخى موسى ؛ وهو كما تقول : يا أجا بني فلان ؛
إنما تعنى قرابته . فقالت لهم ما أمرها الله ، فلما أرادوها بعد ذلك على الكلام ،
أشارت إليه - إلى عيسى - فغضبوا وقالوا : لَسَخَرْتِهَا مِنَّا حِينَ تَأْمُرُنَا
أَنْ نَكَلِّمَ هَذَا الصَّبِيَّ أَشَدُّ عَلَيْنَا مِنْ زَانَاهَا! ﴿ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ
فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ فتكلم عيسى فقال : ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ
وَجَعَلَنِي نَبِيًّا . وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ ﴾ ^(١) فقالت بنو إسرائيل : ما أحبلها
أحد غير زكرياء ، هو كان يدخل إليها ، فطلبوه ففرّ منهم فتشبّه له
الشيطان في صورة راع ، فقال : يا زكرياء ، قد أدركوك ، فادعُ الله
حتى تفتتح لك هذه الشجرة فتدخل فيها ، فدعا الله فانفتحت له الشجرة ،
فدخل فيها وبقي من رذائه هُدْبٌ ، ففرت بنو إسرائيل بالشيطان ، فقالوا :
ياراعى ، هل رأيت رجلاً من ها هنا قال : نعم سحر هذه الشجرة ،

فانفتحت له ، فدخل فيها ، وهذا هُذب رداؤه ، فعمدوا فقطعوا الشجرة ، وهو فيها بالمناشير ، وليس تجد يهودياً إلا تلك الهدبة في رداؤه ؛ فلما ولد عيسى لم يبق في الأرض صنم يعبد من دون الله إلا أصبح ساقطاً لوجهه .
٧٣٥/١

حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا إسماعيل ابن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهباً يقول : إن عيسى بن مريم عليه السلام لما أعلمه الله أنه خارج من الدنيا جزع من الموت ، وشقّ عليه ، فدعا الحواريين ، فصنع لهم طعاماً ، فقال : احضروني الليلة ، فإن لي إليكم حاجة ، فلما اجتمعوا إليه من الليل ، عشّاهم وقام يخدمهم ، فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوضئهم بيده^(١) ، ويمسح أيديهم بثيابه ، فتعاضموا ذلك وتكأهوه ، فقال : ألا من ردّ على شيئاً الليلة مما أصنع فليس منّي ولا أنا منه ! فأقرّوه حتى إذا فرغ من ذلك قال : أما ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام ، وغسلت أيديكم بيدي ، فليكن لكم في أسوة ؛ فإنكم ترون أني خيركم ، ولا يتعظم بعضكم على بعض ، وليبدّل بعضكم نفسه لبعض ؛ كما بذلت نفسي لكم . وأما حاجتي التي أستمعنيكم عليها ، فتدعون الله لي ، وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أجلي ، فلما نصبوا أنفسهم للدعاء ، وأرادوا أن يجتهدوا ، أخذهم النوم ؛ حتى لم يستطيعوا دعاء ، فجعل يوقظهم ، ويقول : سبحان الله ! ما تصبرون لي ليلة واحدة تعينوني فيها ! قالوا : والله ما ندرى ما لنا ! لقد كنا نسمر فنكث السمر ، وما نطيق الليلة سمرًا ، وما نريد دعاء إلا حيل بيننا وبينه ! فقال : يذْهَب بالراعي وتنفق الغنم . وجعل يأتي بكلام نحو هذا ، ينعى به نفسه ، ثم قال :
٧٣٦/١ الحق لي كفرن بي أحدكم ، قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات ؛ وليبعثني أحدكم بدراهم يسيرة ، وليأكلن ثمنى . فخرجوا ففترقوا ؛ وكانت اليهود تطلبه ، فأخذوا شمعون ، أحد الحواريين ، فقالوا : هذا من أصحابه ، فجحد وقال : ما أنا بصاحبه ، فركوه ، ثم أخذه آخر فجحد كذلك ، ثم سمع صوت ديك ،

فبكى ، فلما أصبح أتى أحدُ الحواريين إلى اليهود ، فقال : ما تجعلون لى إن
 دلتكم على المسيح ؟ فجعلوا له ثلاثين درهماً ، فأخذها ودلّهم عليه - وكان
 شُبّه عليهم قبل ذلك - فأخذوه ، فاستوثقوا منه ، وربطوه بالحبل ، فجعلوا
 يقودونه ، ويقولون : أنت كنت تحيى الموتى ، وتنتهر الشيطان ، وتبرئ المجنون ،
 أفلا تفتح نفسك من هذا الحبل ! ويصقون عليه ، ويلقون عليه الشوك ،
 حتى أتوا به الخشبة التى أرادوا أن يصلبوه عليها ، فرفعه الله إليه ، وصلبوا
 ماشبّه لهم ، فكث سبعا . ثم إن أمه والمرأة - التى كان عيسى يداوئها فأبرأها
 الله من الجنون - جاءتا تبكيان عند المصلوب ، فجاءهما عيسى عليه السلام ،
 فقال : على مَنْ تبكيان ؟ فقالتا : عليك ، فقال : إني قد رفعنى الله
 إليه ، ولم يُصننى إلاّ خير ، وإنّ هذا شيء شُبّه لهم ، فأمرُ الحواريين أن
 يلقونى إلى مكان كذا وكذا ، فلقوه إلى ذلك المكان أحدَ عشر ، وفقد الذى
 كان باعه ، ودلّ عليه اليهود ، فسأل عنه أصحابه ، فقالوا : إنه ندم على
 ما صنع ، فاختنق وقتل نفسه ، فقال : لو تاب تاب الله عليه ! ثم سألم عن غلام
 يتبعهم يقال له يحيى ، فقال : هو معكم ، فانطلقوا فإنه سيصبح كل إنسان
 منكم يحدث بلغة قوم^(١) فلينذرهم وليدعه .

٧٣٧/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لا يتهم ،
 عن وهب بن منبه اليمانيّ ، قال : توفى الله عيسى بن مريم ثلاث ساعات
 من النهار ، حتى رفعه الله إليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : والنصارى
 يزعمون أنه توفاه الله سبع ساعات من النهار ، ثم أحياه الله ، فقال له : اهبط ،
 فأنزل على مريم المجدلانية فى جبلها ، فإنه لم يبك عليك أحد بكاءها ، ولم يحزن
 عليك أحد حزنها ، ثم لتجمع^(٢) لك الحواريين ، فبشّتهم فى الأرض دُعاةً
 إلى الله ، فإنك لم تكن فعلت ذلك . فأهبطه الله عليها ، فاشتعل الجبل حين

(١) ح : « قومه » .

(٢) ن : « ثم ليجمع لك الحواريون » .

هبط نوراً ، فجمعت له الخواريين ، فبثهم وأمرهم ، أن يلبغوا الناس عنه ما أمره الله به ، ثم رفعه الله إليه ، فكساه الريش ، وألبسه النور ، وقطع عنه لذة الطعام والمشرب ، فطار في الملائكة وهو معهم حول العرش ، فكان إنسياً ملكياً سمائياً أرضياً ، وتفرق الخواريون حيث أمرهم ؛ فتلك الليلة التي أهبط فيها الليلة التي تدخن فيها النصارى .

وكان ممن وجه من الخواريين والأتباع الذين كانوا في الأرض بعدهم ، فطرس الخوارى ومعه بولس — وكان من الأتباع ، ولم يكن من الخواريين — إلى رومية ، وأنندراييس ومشى ^(١) إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس — وهي فيما نرى للأساود — وتوماس إلى أرض بابل من أرض المشرق ، وفيلبس إلى القيروان وقرطاجنة ؛ وهي إفريقية ، ويوحنا إلى دفسوس ^(٢) ؛ قرية الفتيمة أصحاب الكهف ، ويعقوبس إلى أوريشليم ، وهي إيليا بيت المقدس ، وابن تالما إلى العرابية ، وهي أرض الحجاز ، وسيمون إلى أرض البربر دون أفريقية ، ويهوذا — ولم يكن من الخواريين — إلى أريوبس ^(٣) ، جعل مكان يوذس زكريا يوطا ، حين أحدث ما أحدث .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمر ابن عبد الله بن عروة بن الزبير ، عن ابن سليم الأنصارى ، ثم الزرقى ، قال : كان على امرأة منّا نذرٌ ؛ لتظهرن على رأس الجماء — جبل بالعقيق من ناحية المدينة — قال : فظهرت معها ، حتى إذا استويينا على رأس الجبل ، إذا قبرٌ عظيم ، عليه حجران عظيمان ؛ حجر عند رأسه ، وحجر عند رجله ؛ فيهما كتاب بالمسند ، لا أدري ما هو ! فاحتملت الحجرين معي ؛ حتى إذا كنت ببعض الجبل منهبطاً ثقلاً على ، فألقيت أحدهما وهبطت

(١) ت : « وبتى » ، ن : « ومشى » .

(٢) كذا في ط ؛ وفي ياقوت : « أفسوس » ، بضم الهمزة وسكون الفاء والسينان مهملتان والواو ساكنة ؛ بلد بفسور طرسوس ؛ يقال إنه بلد أصحاب الكهف .

(٣) ت : « أرميقس » ، ن : « أريوبس » .

بالآخر ، فعرضته على أهل السريانية : هل يعرفون كتابه^(١) ؟ فلم يعرفوه ، وعرضته على مَنْ يكتب بالزبور من أهل اليمن ، ومن يكتب بالمسند فلم يعرفوه . قال : فلما لم أجد أحداً مَن يعرفه ألقيته تحت تابوت لنا ، فكث سنين ، ثم دخل علينا ناس من أهل ماه من الفرس يبتغون^(٢) الخرز ، فقلت لهم : هل لكم من كتاب ؟ فقالوا : نعم ، فأخرجتُ إليهم الحجر ، فإذا هم يقرءونه ، فإذا هو^(٣) بكتابهم : هذا قبر رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام إلى أهل هذه البلاد ؛ فإذا هم كانوا أهلها في ذلك الزمان ، مات عندهم فدفنوه على رأس الجبل .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم عدوا على بقية الحواريين يشتمسونهم ويعذبونهم ، وطافوا بهم ، فسمع بذلك ملك الروم — وكانوا تحت يديه ، وكان صاحب وثن — فقيل له : إن رجلا كان في هؤلاء الناس الذين تحت يدك من بني إسرائيل عدواً عليه فقتلوه ، وكان يخبرهم أنه رسول الله ، قد أراهم العجائب ، وأحياهم الموتى ، وأبرأ لهم الأسقام ، وخلق لهم من الطين كهيئة الطير ، ونفخ فيه فكان طائراً^(٤) ، بإذن الله ، وأخبرهم بالغيوب . قال : ويحكم ! فما منعكم أن تذكروا هذا لي من أمره وأمرهم ! فوالله لو علمت ما خلّيت بينهم وبينه . ثم بعث إلى الحواريين ، فانتزعهم من أيديهم ، وسأهم عن دين عيسى وأمره ، فأخبروه خبره ، فتابعهم على دينهم ، واستنزل سرجس^(٥) فغيّبه ، وأخذ خشبته التي صلب عليها ، فأكرمها وصانها لما مسّها منه ، وعدا على بني إسرائيل ، فقتل منهم قتلى كثيرة ؛ فمن هنالك كان أصل النصرانية في الروم .

* * *

وذكر بعض أهل الأخبار أن مولد عيسى عليه السلام كان لمضي اثنتين وأربعين سنة من ملك أغسطوس ، وأن أغسطوس عاش بعد ذلك بقية ملكه ،

(١) ن : « كتابته » . (٢) ت : « يبيعون » .

(٣) ح : « فيه » . (٤) ح : « طيرا » .

(٥) ح : « سرجين » .

وكان جميع ملكه ستا وخمسين سنة — قال بعضهم : وأياما .

قال : ووثبت اليهود بالمسيح ، والرياسة ببيت المقدس في ذلك الوقت لقيصر ، والملك على بيت المقدس من قبيل قيصر هيردوس الكبير الذي دخلت عليه رُسُل ملك فارس الذين وجههم الملك إلى المسيح ، فصار إلى هيردوس غاطا ، وأخبروه أن ملك فارس بعث بهم ليقرّبوا إلى المسيح أطفافاً معهم من ذهب ، ومرّ وليبان ، وأنهم نظروا إلى نجمه قد طلع ، فعرفوا ذلك بالحساب ، وقرّبوا الألفاف إليه ببيت لحم من فلسطين . فلما عرف هيردوس خبرهم كاد المسيح ، فطابه ليقتله ، فأمر الله الملك أن يقول ليوسف الذي كان مع مريم في الكنيسة ما أراد هيردوس من قتله ، وأمره أن يهرب بالغلام وأمه إلى مصر ، فلما مات هيردوس قال الملك ليوسف وهو بمصر : إن هيردوس قد مات ، وملك مكانه أركلاوس ابنه ، وذهب من كان يطلب نفس الغلام ، فانصرف به إلى ناصرة من فلسطين ليتمّ قول شعيا النبي : من مصر دعوتك . ومات أركلاوس ، وملك مكانه هيردوس الصغير ، الذي صُلب شبه المسيح في ولايته ، وكانت الرياسة في ذلك الوقت للملك اليونانية والروم ، وكان هيردوس وولده من قبيلهم ؛ إلا أنهم كانوا يلقّبون باسم الملك ، وكان الملوك الكبار يلقّبون بقيصر ، وكان ملك بيت المقدس في وقت الصلب لهيردوس الصغير من قبل طيباريوس بن أغوستوس دون القضاء ، وكان القضاء لرجل رومي يقال له : فيلاطوس من قبيل قيصر ، وكانت رياسة الجالوت ليون بن بهوثن .

قال : وذكروا أن الذي شبّه بعيسى وصُلب مكانه رجل إسرائيل ، يقال له : أيشوع بن فنديرا . وكان ملك طيباريوس ثلاثا وعشرين سنة وأياما منها إلى وقت ارتفاع المسيح ثمانى عشرة سنة وأيام ، ومنها بعد ذلك خمس سنين .

ذكر من ملك من الروم أرض الشام بعد رفع

المسيح عليه السلام

إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم في قول النصباري

قال أبو جعفر : زعموا أن مُلْك الشام من فلسطين وغيرها صار بعد
طيباريوس إلى جايوس بن طيباريوس ، وأن ملكه كان أربع سنين .
ثم ملك بعده ابن له آخر ، يقال له : قلوديوس أربع عشرة سنة .
ثم ملك بعده نيرون ، الذي قتل فطرس وبولس ، وصلبته منكسا ، أربع
عشرة سنة .

ثم ملك بعده بوطلايوس ، أربعة أشهر .
ثم ملك بعده أسفسيانوس أبو ططوس الذي وجهه إلى بيت المقدس عشر
سنين . ولمضي ثلاث سنين من ملكه وتام أربعين سنة من وقت رفع عيسى
عليه السلام وجه أسفسيانوس ابنه ططوس إلى بيت المقدس ، حتى هدمه وقتل
من قتل من بني إسرائيل غضبا للمسيح

ثم ملك بعده ططوس بن أسفسيانوس ، سنتين .
ثم من بعده دو مطيانوس ، ست عشرة سنة .
ثم من بعده نارواس^(١) ، ست سنين .
ثم من بعده طرايانوس^(٢) ، تسع عشرة سنة .
ثم من بعده هديرانوس ، إحدى وعشرين سنة .
ثم ملك من بعده ططورس^(٣) بن بطيانوس ، اثنتين وعشرين سنة .
ثم من بعده مرقوس وأولاده ، تسع عشرة سنة .
ثم من بعده قودوموس^(٤) ، ثلاث عشرة سنة .

(١) ت : « باذاوس » ، س : « ثادواس » . (٢) ن : « طرطانوس » .

(٣) س : « طرطوس » . (٤) ح : « قودموس » ، س : « قوروموس » .

ثم من بعده فرطناجوس ، ستة أشهر .
 ثم من بعده سبروس ^(١) ، أربع عشرة سنة .
 ثم من بعده أنطيناوس ^(٢) ، سبع سنين .
 ثم بعده مرقيانوس ، ست سنين .
 ثم بعده أنطيناوس ، أربع سنين .
 ثم الحسندروس ، ثلاث عشرة سنة .
 ثم غسميانوس ^(٣) ، ثلاث سنين .
 ثم جورديانوس ، ست سنين .
 ثم بعده فليفسوس ، سبع سنين .
 ثم داقوس ، ست سنين .
 ثم قالوس ، ست سنين .
 ثم بعده والريانوس وقالينوس ^(٤) ، خمس عشرة سنة .
 ثم قلوديوس ، سنة .
 ثم من بعده قريطاليوس ، شهرين .
 ثم أورليانوس ، خمس سنين .
 ثم طيقطوس ، ستة أشهر .
 ثم فولوريوس ، خمسة وعشرين يوماً .
 ثم فرايوس ، ست سنين .
 ثم قوروس وابناه ، سنتين .
 ثم دوقلطيانوس ، ست سنين .
 ثم محسميانوس ، عشرين سنة .
 ثم قسطنطينوس ، ثلاثين سنة .
 ثم قسطنطين ، ثلاثين سنة .
 ثم قسطنطين عشرين سنة .

٧٤٣/١

(١) ت : « شيريس » ، ن : « سريوس » . (٢) ت ، ن : « أنطيناوس » .
 (٣) ح : « عسانوش » ، س : « عسانوس » ، ن : « عسانوس » .
 (٤) ت : « قالوس » .

ثم اليانوس المناق ، سنتين .
 ثم يويانوس ، سنة .
 ثم والمطيانوس وغرطيانوس ، عشر سنين .
 ثم خرطانوس ووالنطيانوس الصغير ، سنة .
 ثم تباداسيس الأكبر ، سبع عشرة سنة .
 ثم أرقديوس وأنوريوس ، عشرين سنة .
 ثم تباداسيس الأصغر ووالنطيانوس ست عشرة سنة .
 ثم مرقيانوس ، سبع سنين .
 ثم لاون ، ست عشرة سنة .
 ثم زانون ، ثمانى عشرة سنة . ثم أنسطاس ، سبعا وعشرين سنة .
 ثم يوسفطيانوس ، سبع سنين .
 ثم يوسفطيانوس الشيخ ، عشرين سنة .
 ثم يوسفطينس^(١) اثنتى عشرة سنة .
 ثم طيباريوس ، ست سنين .
 ثم مريقيس وتاداسيس ابنه ، عشرين سنة .
 ثم فوقا الذى قُتل ، سبع سنين وستة أشهر .
 ثم هيرقل الذى كتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثلاثين سنة .
 فمن لدن عُمرِ بيت المقدس بعد تخريبه^(٢) بختنصر إلى الهجرة—على قولهم—
 ألف سنة ونيف ، ومن مُلك الإسكندر إليها تسعمائة سنة ونيف وعشرون سنة ،
 من ذلك من وقت ظهوره إلى مولد عيسى ثلثمائة سنة وثلاث سنين . ومن مولده
 إلى ارتفاعه اثنتان وثلاثون سنة ، ومن وقت ارتفاعه إلى الهجرة خمسمائة وخمس
 وثمانون سنة وأشهر .

* * *

وزعم بعض أصحاب الأخبار أن قتل بنى إسرائيل يحيى بن زكرياء كان
 فى عهد أردشير بن بابك لثمانى سنين خلت من ملكه ، وأن بختنصر إنما صار
 إلى الشام لقتال اليهود من قبيل سابور الجنود ابن أردشير بن بابك

(١) ت ، ح ، ن : « يوسفطين » ، س : « يوسفطيس » .

(٢) ابن الأثير : « بعد أن أخربه بختنصر » .

نزل قبائل العرب الحيرة والأنبار أيام ملوك الطوائف

وكان من الأحداث أيام ملوك الطوائف إلى قيام أردشير بن بابك بالملك
— فيما ذكر هشام بن محمد — دَنُوَ مَنْ دَنَا مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ مِنْ رِيْفِ
العراق ونَزَلَ مَنْ نَزَلَ مِنْهُمْ الْحِيرَةَ وَالْأَنْبَارَ وَمَا حَوْلَى ذَلِكَ .

فحدّثت عن هشام بن محمد، قال : لما مات بختنصر انضمّ الذين كان
أسكنهم الحيرة من العرب حين أمر بقتالهم إلى أهل الأنبار وبقية الحيرة
خرابا ، فغبروا بذلك زماناً طويلاً ، لا تطلع عليهم طالعة من بلاد العرب ،
ولا يقدم عليهم قادم ، وبالأنبار أهلها ومن انضمّ إليهم من أهل الحيرة من
قبائل العرب من بني إسماعيل وبني معدّ بن عدنان ، فلما كثر أولاد معدّ
ابن عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب ، وملثوا بلادهم من تهامة وما يليهم ،
فرقتهم حروب وقعت بينهم ، وأحداث حدثت فيهم ، فخرجوا يطلبون المتسع
والريف فيما يليهم من بلاد اليمن وشارف الشام ، وأقبلت منهم قبائل حتى
نزلوا البحرين ، وبها جماعة من الأزد كانوا نزلوها في دهر عمران بن عمرو ،
من بقايا بني عامر ، وهو ماء السماء بن حارثة (٢) ، وهو الغطريف بن ثعلبة بن
امرئ القيس بن مازن بن الأزد (٣) .

وكان الذين أقبلوا من تهامة من العرب مالك وعمرو ابنا قهم بن تيم الله
ابن أسد بن وبرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ،
ومالك بن زهير بن عمرو بن قهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة ، في جماعة من

(١) ح ، وابن الأثير : « وبقية الحيرة » . . . (٢) ت « حارثة » .

(٣) في معجم البلدان ٣ : ٢٧٨ : « ومازَن هو جماع غسان ، وغسان ماء شرب منه بنو مازن
فسموا غسان ، ولم تشرب منه خزاعة ولا أسلم ولا بارق ولا أزد عمان ؛ فلا يقال لواحد من هذه القبائل
غسان ، وإن كان من أولاد مازن » .

قومهم ، والخيفار^(١) بن الحيق^(٢) بن عُمَيْر بن قَنَص بن معد بن عدنان ،
في قَنَص كلها . ولحق بهم غطفان بن عمرو بن الطَّسَمَان بن عوذ مائة بن يَتَقْدُم
ابن أَفْصَى بن دُعْمَيَّ بن إِيَاد بن نَزَار بن معد بن عدنان ، وزُهَيْر^(٣) بن
الحارث بن الشَّلَل^(٤) بن زهر بن إِيَاد وَصُبْح ، بن صَبِيح^(٥) بن الحارث بن
أَفْصَى بن دُعْمَيَّ بن إِيَاد .

٧٤٦/١

فاجتمع بالبحرين جماعة من قبائل العرب ، فتحالفوا على التَّنُوخ - وهو
المقام - وتعاقدوا على التوازر والتناصر ، فصاروا يداً على الناس ، وضمتهم
اسم تَنُوخ ، فكانوا بذلك الاسم ، كأنهم عُمارة من العماثر .

قال : وتَنَخَّ عليهم بطون من نُمارة بن لَحْم . قال : ودعا مالك بن زهير
جَدَّ يَمَّة الأبرش بن مالك بن فهم بن غانم بن دَوْس الأزدِي إلى التَّنُوخ معه ،
وزوجَه أخته لميس ابنة زهير ، فتنَخَّ جَدَّ يَمَّة بن مالك وجماعة ممن كان بها
من قومهم من الأزد ، فصار مالك وعمرو ابنا فهم والأزد حُلَفَاء دون سائر
تَنُوخ ، وكلمة تَنُوخ كلها واحدة .

٧٤٧/١

وكان اجتماع من اجتمع من قبائل العرب بالبحرين وتحالفهم وتعاقدهم أزمان
ملوك الطوائف الذين ملكهم الإسكندر ، وفترق البلدان بينهم عند قتله دارا بن
دارا ملك فارس ، إلى أن ظهر أردشير بن بابك ملك فارس على ملوك الطوائف ،
وقهرهم ودان له الناس ، وضبط له الملك .

قال : وإنما سُمِّوا ملوك الطوائف ؛ لأنَّ كلَّ ملك منهم كان ماكه قليلا من
الأرض ، إنما هي قصور وأبيات ، وحولها خندق وعدوّه قريب منه ، له من
الأرض مثل ذلك ونحوه ، يُغَيِّر أحدهما على صاحبه ثم يرجع كالخطفة .

قال : فتطلَّعتْ أنفُسُ مَنْ كان بالبحرين من العرب إلى ريف العراق ،

(١) ابن الأثير ١ : ١٩٦ ومعجم البلدان : « الحيقاد » ، وابن خلدون ٢ : ٤ : « الخفتار » .

(٢) معجم البلدان : « الحيوّة » .

(٣) ابن خلدون : « زهير » .

(٤) ح : « السِّلَل » وفي ابن خلدون : « اليل » .

(٥) في ط من غير فقط ؛ وما أثبتته عن ابن خلدون .

وطمعوا في غلبة الأعاجم على ما يلي بلاد العرب منه أو مشاركتهم فيه ، واهتبلوا ما وقع بين ملوك الطوائف من الاختلاف ، فأجمع رؤسائهم بالمسير^(١) إلى العراق ، ووطن جماعة ممن كان معهم على ذلك ، فكان أول من طلع منهم الحيقار بن الحيق في جماعة قومه وأخلائه من الناس ، فوجدوا الأرمنانيين — وهم الذين بأرض بابل وما يليها إلى ناحية الموصل — يقاتلون الأردوانيين ، وهم ملوك الطوائف ؛ وهم فيما بين نِفَر^(٢) — وهي قرية من سواد العراق إلى الأبلّة وأطراف البادية — فلم تَدِنْ لهم ، فدفعوهم عن بلادهم .

قال : وكان يقال لعاد إرم ، فلما هلكت قيل لشمود إرم ، ثم سَمُوا الأرمنانيين ؛ وهم بقايا إرم ، وهم نَبَطُ السواد . ويقال لدمشق : إرم .

قال : فارتفعوا عن سواد العراق وصاروا أشلاء بعدُ في عرب الأنبار وعرب الحيرة ، فهم أشلاء قَنَصَ بن معدّ ، وإليهم ينسب عمرو بن عدى بن نصر ابن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سعود بن مالك بن عَمَمَ بن نُمارة بن لحَم . وهذا قول مضر^(٣) وحماد الرواية ؛ وهو باطل ، ولم يأت في قَنَصَ ابن معدّ شيء أثبت من قول جُبَيْر بن مُطْعِم : إنَّ النعمان كان من ولده . قال : وإنما سُميت الأنبار أنبار لأنها كانت تكون فيها أنابيب الطعام ، وكانت تسمّى الأهراء^(٤) ، لأن كسرى يرزق أصحابه رزقهم منها .

قال : ثم طلع مالك وعمرو ، ابنا فَهْمَ بن تيم الله ، ومالك بن زهير بن فَهْمَ بن تيم الله ، وغطّاقان بن عمرو بن الطمّثان ، وزهر بن الحارث وصُبح ابن صُبيح ؛ فيمن تَنَخَّ عليهم من عشائريهم وحلفائهم على الأنبار ، على ملك الأرمنانيين ، فطلع نُمارة بن قيس بن نُمارة ، والنجدة — وهم قبيلة من العماليق يدعون إلى كندة — ولمكان بن كندة ، ومالك وعمرو ابنا فَهْمَ ومن حالفهم ، وتَنَخَّ معهم على نِفَر على ملك الأردوانيين ، فأنزلهم الحير الذي كان بناه

(١) ابن الأثير ١ : ١٩٦ : « على المسير » .

(٢) كذا ضبطها ياقوت : « بكسر أوله وتشديد ثانيه وراء » .

(٣) ابن خلدون : « عند نصابة مضر » .

(٤) قال ياقوت : « فلما دخلتها العرب عربتها فقالت الأنبار » .

٧٤٩/١ يختنصر لتجّار العرب الذين وجّدها^(١) بحضرته حين أمر بغزو العرب في بلادهم ، وإدخال الجيوش عليهم ، فلم تزل طالعة الأنبار وطالعة نيفر على ذلك ، لا يدينون للأعاجم ، ولا تدّين لهم الأعاجم ؛ حتى قدمها تبع - وهو أسعد أبو كرب بن ملكيكرب - في جيوشه ، فخلّف بها من لم تكن به قوة من الناس ، ومن لم يبقو على المضى معه ، ولا الرجوع إلى بلاده ، وانضمّوا إلى هذا الحير ، واختلطوا بهم ؛ وفي ذلك يقول كعب بن جعيل بن عَجْرَة بن قُمير بن ثعلبة بن عوف بن مالك بن بكر بن حُسيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل :

وَعَزَا تُبِعٌ فِي حِمِيرٍ حَتَّى نَزَلَ الْحِيرَةَ مِنْ أَهْلِ عَدَنَ

وخرج تبع سائراً ثم رجع إليهم ، وأقاموا فأقرّمهم على حالهم ، وانصرف راجعاً إلى اليمن ، وفيهم من كل القبائل من بنى لحيان ؛ وهم بقايا جرهم ؛ وفيهم جعفي ، وطى ، وكتب ، وتميم ، وليسوا إلا بالحيرة - يعنى بقايا جرهم . قال ابن الكلبي : لحيان بقايا جرهم .

٧٥٠/١ ونزل كثير من تنوخ الأنبار والحيرة وما بين الحيرة إلى طف الفرات وغربيته ، إلى ناحية الأنبار وما والاها في المظال والأخبية ، لا يسكنون بيوت المدّر ، ولا يحامون أهلها فيها ، واتّصلت جماعتهم فيما بين الأنبار والحيرة ، وكانوا يسمّون عرب الضاحية ؛ فكان أول من ملك منهم في زمان ملوك الطوائف مالك بن فهّم ، وكان منزله مما^(٢) يلي الأنبار . ثم مات مالك ، فملك من بعده أخوه عمرو بن فهّم . ثم هلك عمرو بن فهّم ، فملك من بعده جدّيمة الأبرش بن مالك بن فهّم بن غنم^(٣) بن دؤس الأزدي .

قال ابن الكلبي : دؤس بن عدّثان بن عبد الله بن نصر بن زهران ابن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزدي .

(١) كما في ح ، وفي ط : « وجد »

(٢) ت ، ح : « فيها » .

(٣) في ط « غانم » ، وللصواب ما أثبتته من جمهرة الأنساب ٣٥٨ .

الغوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .

* * *

قال ابن الكلبي : ويقال إن جدّيمة الأبرش من العاربة الأولى ، من بني وبّار بن أميم بن لوذ بن سام بن نوح . قال : وكان جدّيمة من أفضل ملوك العرب رأياً ، وأبعدهم مغاراً ، وأشدّهم نكاية ، وأظهرهم حزمًا ، وأوّل من استجمع له الملك بأرض العراق ؛ وضمّ إليه العرب ، وغزا بالجيوش ، وكان به برّص ، فكنت العرب عنه ، وهابت العرب أن تسميته به وتنسبه إليه إعظاماً له ، فقيل : جدّيمة الوضّاح ، وجدّيمة الأبرش ؛ وكانت منازلها فيما بين الحيرة والأنبار وبقّة وهيت وناحتها ، وعين التّمّر ، وأطراف البرّ إلى الغويّتر^(١) والقُطُطْطانة وخفّية وما والاها ، وتُجسّى إليه الأموال ، وتفيد إليه الوفود ، وكان غزا طسما وجديسا في منازلهم من جنّ وما حولهم ؛ وكانت طسم وجديس يتكلمون بالعربية ، فأصاب حسان بن تبع أسعد أبي كرب ، قد أغار على طسم وجديس باليمامة ، فانكفاً جدّيمة راجعاً بمن معه ، وتأتى خيول تبع على سريّة لجدّيمة فاجتاحتها ، وبلغ جدّيمة خبرهم ، فقال جدّيمة^(٢) :

رُبَّمَا أَوْفَيْتُ فِي عِلْمٍ تَرَفَعَنْ بُرْدِي شِمَالَاتٍ^(٣)
فِي فُتُوِّ أَنَا كَالْتُّهُمُ فِي بَلَايَا غَزْوَةٍ بَاتُوا^(٤)
نُمُّ أَبْنَا غَانِمِي نَعَمِ وَأَنَا سُبُعَدْنَا مَاتُوا
نَحْنُ كُنَّا فِي مَمَرِهِمْ إِذْ مَرَّ الْقَوْمُ خَوَاتُ
لَيْتَ شِعْرِي مَا أَمَاتَهُمُ نَحْنُ أَدْجَفْنَا وَهُمْ بَاتُوا^(٥)

(١) ط : « الغمير » وانظر معجم البلدان .

(٢) وردت أبيات من هذه القصيدة في سيبويه ٢ : ١٥٤ ، وابن سلام ٣٢ ، ٣٣ ، والأغاني ١٤ ، ٧٣ ، والمؤتلف للأمدى ٣٤ . والخزانة ٤ : ٥٦٧ ؛ مع اختلاف في الرواية .

(٣) أوفيت : أشرفت ، والعلم : المرتفع من الأرض ، والشمالات : جمع الشمال ؛ من الرياح والنون في « يرفعن » ، تأكيد للفعل ضرورة .

(٤) فتو : جمع فتى ، وكالتهم : حافظهم . (٥) الإدلاج : سير الليل كله .

وَلَمَّا كَانُوا وَنَحْنُ إِذَا
وَلَمَّا أَلْبَيْدُ أَلْبَعَادُ الَّتِي
مُبْمَةُ الْأَخْيَارِ شَاهِدَةٌ
قَدْ شَرِبْتُ الْخَمْرَ وَسَطَهُمْ
فَقَلَى مَا كَانَ مِنْ كَرَمٍ
أَنَا رَبُّ النَّاسِ كُلِّهِمْ
قَالَ مِنَّا قَاتِلٌ صَاتُوا
أَهْلُهَا السُّودَانُ أَشْتَاتُ
ذَا كُمْ قَوْمِي وَأَهْلَاتِي (١)
نَاعِمًا فِي غَيْرِ أَصْوَاتٍ
فَسَتَّبِكُنِي بُنْيَاتِي
غَيْرَ رَبِّي الْكَافَةِ الْفَاتِ

يعنى بالكاف الذى يكفت أرواحهم ، والقات الذى يفيتهم (٢) أنفسهم ؛
يعنى الله عز وجل .

قال ابن الكلبي : ثلاثة أبيات منها حق ، والبقية باطل .
قال : وفي مغازيه وغاراته على الأمم الحالية من العاربة الأولى يقول الشاعر
في الجاهلية :

أَضْحَى جَدِيمَةٌ فِي يَبْرِينَ مَنَزِلِهِ قَدْ حَازَ مَا جَمَعَتْ فِي دَهْرِهَا عَادُ ٧٥٢/١

فكان جديمة قد تنبأ وتكهنت ، واتخذ صنمين ؛ يقال لهما : الضيزنان —
قال : ومكان الضيزنين بالحيرة معروف — وكان يستسقى بهما ويستنصر بهما
على العدو ، وكانت إياد بعين أباغ ، وأباغ رجل من العماليق ، نزل بتلك
العين ، فكان يغازيهم ؛ فذكر لجديمة غلام من اللحم في أخواله من إياد
يقال له عدى بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سعود بن مالك بن
عم بن نسمارة بن لحم ، له جمال وظرف ، فغزاهم جديمة ، فبعث إياد قوماً
فسقوا سدة الصنمين الحمر ، وسرقوا الصنمين ، فأصبحا في إياد ، فبعث
إلى جديمة : إن صنميك أصبحا فينا ، زهداً فيك ورغبة فينا ؛ فإن أوثقت لنا
ألا تغزونا رددناهما إليك .

قال : وعدى بن نصر تدفعونه إلى . فدفعوه إليه مع الصنمين ، فانصرف

(١) ط : « ثبوة » . وفي البيت وما بعده إقراء ، وانظر حواشي ط .

(٢) ط : « يفيتهم » .

عنهم ، وضمّ عديّاً إلى نفسه ، وولاه شرابه ، فأبصرته رقاش ابنة مالك
أخت جديمة ، فعشقتّه وراسلته ، وقالت : يا عدى ، اخطبني إلى الملك ،
فإنّ لك حسباً وموضعاً ، فقال : لا أجبرئ على كلامه في ذلك ، ولا أطمع
أن يزوّجنيك ، قالت : إذا جلس على شرابه ، وحضره ندامؤه ، فاسقيه
صِرْفاً ، واسقِ القوم مِزاجاً ، فإذا أخذتِ الحمرة فيه ، فاخطبني إليه ، فإنه
لن يردّك ، ولن يمتنع منك ؛ فإذا زوّجك فأشهد القوم ؛ ففعل الفتى ما أمرته
به ، فلما أخذت الحمرة مأخذها خطبها إليه ، فأملكه إياها ، فانصرف
إليها ، فأعرس بها من ليلته ، وأصبح مضرباً بالخلق ، فقال له جديمة
— وأنكر ما رأى به : ما هذه الآثار يا عدى ؟ قال : آثار العرس ، قال
أى عرس ! قال : عرس رقاش ! قال : من زوّجكها ويحك ! قال :
زوّجنيها الملك ، فضرب جديمة بيده على جبهته ، وأكبّ على الأرض ندامة
وتلهتفاً ، وخرج عدى على وجهه هارباً ، فلم يرَ له أثر ، ولم يُسمع له
بذكر ، وأرسل إليها جديمة ، فقال :

حَدَّثْنِي وَأَنْتِ لَا تَكْذِيبْنِي أُبْجِرُ زَنْتِ أُمَّ بَهَجِينَ !
أُمَّ بَعِيدٍ فَأَنْتِ أَهْلُ لَعِيدٍ أُمَّ بَدُونٍ فَأَنْتِ أَهْلُ لِدُونٍ
فَقَالَتْ : لَا بَلْ أَنْتِ زَوَّجْتَنِي امْرَأَ عَرَبِيًّا ، مَعْرُوقًا حَسِيْبًا ، وَلَمْ تَسْتَأْمِرْنِي
فِي نَفْسِي ، وَلَمْ أَكُنْ مَالِكَةً لِأَمْرِي ؛ فَكَفَتْ عَنْهَا ، وَعَرَفَ عَذْرَاهَا .

ورجع عدى بن نصر إلى إباد ، فكان فيهم ، فخرج ذات يوم مع فتية
متصيديّن ، فرى به فتى منهم من لُهب فيما بين جبليّن ، فتتّكسّ فات ،
واشتملت رقاش على حبيل^(١) ، فولدت^(٢) غلاماً ، فسَمّته عمراً ورشّحته^(٣) ؛
حتى إذا ترعرع عطّرتّه وألبسته وحلته ، وأزارته خالته جديمة ، فلما رآه أعجِبَ
به ، وألقبت عليه منه مِقة ومحبة ، فكان يختلف مع ولده ، ويكون معهم .
فخرج جديمة متديّاً بأهله وولده في سنة خصبة مُكَلِّنة ، فضربت له أبنية
في روضة ذات زهرة وغُدُر^(٤) ، وخرج ولده وعمرو معهم يجتنون الكمّأة ،

(١) ح : « حمل » . (٢) كذا في ابن الأثير ، وفي ط : « فتلد » .

(٣) رشّحته ، أي ربّته . (٤) غدر : جمع غدير .

٧٥٤/١ فكانوا إذا أصابوا كماءً جديدهً أكلوها ، وإذا أصابها عمرو خبأها في حُجْرَتِهِ (١)
فانصرفوا إلى جذيمة يتعاهدون ، وعمرو يقول :

هَذَا جَنَائِي وَخِيَارُهُ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ

فضمته إليه جذيمة والتزمت ، وسُرَّ بقوله وفعله ، وأمر فجعل له حلياً من فضة وطوق ، فكان أولَ عربيّ ألبس طوقاً ، فكان يسمى عمرًا ذا الطوق ، فبينما هو على أحسن حاله ، إذ استطارته الجن فاستهوته ، فضرب له جذيمة في البلدان والآفاق زماناً لا يقدر عليه . قال : وأقبل رجلان أخوان من بَلَقِيْنِ - يقال لهما : مالك وعقيل ، ابنا فارح بن مالك بن كعب بن القيس بن جسر ابن شيع الله بن أسد بن وَبَرَةَ بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الخاف بن قُضاعة - من الشام يريدان جذيمة ، قد أهديا له طُرْفًا ومتاعاً ، فلما كانا ببعض الطريق نزلا منزلاً ، ومعهما قيسنة لهما يقال لها : أم عمرو ، فقدّمت إليهما طعاماً ، فبينما هما يأكلان إذ أقبل فتى عُرِيَان شاحب ، قد تلبّد شعره ، وطالت أظفاره ، وساءت حاله ، فجاء حتى جلس حَجْرَةً (٢) منهما ، فدّ يده يريد الطعام ، فناولته القيسنة كُرَاعاً (٣) ، فأكلها ثم مدّ يده إليها ، فقالت : « تعطي العبد كُرَاعاً فيطعم في الذراع » ، فذهبت مثلاً ، ثم ناولت الرجلين من شراب كان معها ، وأوكت زَقَمَهَا (٤) ، فقال عمرو بن عدى :

صَدَدَتْ الْكَأْسَ عَنَّا أُمُّ عَمْرٍو وَكَانَ الْكَأْسُ مَجْرَاهَا الْيَمِينَا (٥)

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمُّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَصْبَحِينَا (٦) !

فقال مالك وعقيل : من أنت يا فتى ؟ فقال : إن تنكراني أو تنكرا نسبي ، فإني أنا عمرو بن عدى ، ابن تنوخية ، اللخمي ، وغداً ما ترياني في نماره غير معصى .

(١) الحجزة : معقد الإزار ، وفي : « حجرتة » . (٢) الحجرة : الناحية .

(٣) الكراع : مستدق الساق من البقر ، الغنم .

(٤) الزق : السقاء ، وأوكى الزق : ربطه وشد عليه .

(٥) البيتان ينسبان إلى عمرو بن كلثوم ، وهما في معلقته ص ٢١١ - بشرح الطبريزي .

(٦) في المملقات : « لا تصبحينا » .

فنهضوا إليه فضمّاه وغسلا رأسه ، وقلّما أظفاره ، وأخذوا من شعره وألبسناه
 بما كان معهما من الثياب وقالوا : ما كنا لنُهدِيَ بلحديمة هدية أنفس
 عنده ، ولا أحبّ إليه من ابن أخيه ، قد ردّه الله عليه بنا . فخرّجا به ، حتى
 دفعا إلى باب جنديمة بالحيرة ، فبشّراه ، فسّر بذلك سروراً شديداً ؛ وأنكره
 لحال (١) . ما كان فيه ، فقالا : أبيت اللعن ! إن من كان في مثل حاله يتغيّر .
 فأرسل به إلى أمّه ، فكث عندها أياماً ثم أعادته إليه ، فقال : لقد رأيته يوم
 ذهب وعليه طوق ، فما ذهب عن عيني ولا قلبي إلى الساعة ، فأعادوا عليه
 الطوق ، فلما نظر إليه قال : « شبّ عمرو عن الطوق » ، فأرسلها مثلاً ، وقال
 للمالك وعقيل : حُكِّمَكُما ، قالا : حُكِّمنا منادمتك ما بقينا وبقيت !
 فهما ندّمانا جنديمة اللذان ضُربا مثلاً في أشعار العرب ، وفي ذلك يقول
 أبو خراش الهذلي :

لَعَمْرُكَ مَا مَلَّتْ كَيْبِشَةُ طَلْعِي وَإِنْ ثَوَانِي عِنْدَهَا لَقَلِيلُ (٢)
 أَلَمْ تَعْلَمِي أَنْ قَدْ تَفَرَّقَ قَبْلَنَا نَدِيمَا صَفَاءَ مَالِكٍ وَعَقِيلُ
 وقال مُتَمِّمٌ بن نويرة :

وَكَأَنَّكَ دَمَانِي جَذِيمةٌ حِقْبَةٌ مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا (٣)
 فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا

* * *

وكان ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارف بلاد الشام عمرو بن ظرب
 ابن حسان بن أذينة بن السَّمِيدَع بن هوبر العمليّ - ويقال العمليّ - من

(١) ن : « بحال » .

(٢) ديوان المهذلين ٢ : ١١٦ . والثواء : المقام ، وبعد البيت الأول وقبل الثاني :

تَقُولُ أَرَاهُ بَعْدَ عُرْوَةٍ لَا هِيَا وَذَلِكَ رُزْءُ أَوْ عَلِمْتَ جَلِيلُ
 وَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَنَاسَيْتُ عَهْدُ وَلَكِنْ صَبْرِي يَا أُمِّمَ جَمِيلُ

(٣) من قصيدة مفضلية ص ٢٦٧ .

عاملة العماليق ، فجمع جديمة جموعاً من العرب ، فسار إليه يريد غزاته ، وأقبل عمرو بن ظرب بجموعه من الشام ، فالتقوا ، فاقتلوا قتلاً شديداً ، فقتل عمرو بن ظرب ، وانقضت جموعه ، وانصرف جديمة بمن معه سالمين غانمين ، فقال في ذلك الأعور بن عمرو بن هناة بن مالك بن فهم الأزدي :

كَانَ عَمْرُو بْنُ ثَرْبِي لَمْ يَعِشْ مَلِكًا وَلَمْ تَكُنْ حَوْلَهُ الرِّايَاتُ مُخْتَفِقًا ^(١)
لَاقَى جَدِيمَةً فِي جَاوَاءِ مُشْعِلَةٍ فِيهَا حَرَّاشِفُ بِاللَّيْرَانِ تَرْتَشِقُ ^(٢)

* * *

فلكت من بعد عمرو ابنته الزباء واسمها نائلة ، وقال في ذلك القعقاع بن الدرماء الكلبي :

أَتَعْرِفُ مَنْزِلًا بَيْنَ الْمُنَقَى وَبَيْنَ حَجْرٍ نَائِلَةِ الْقَدِيمِ

وكان جنود الزباء بقايا من العماليق والعاربة الأولى ، وتزيد وسليح ابني حلدوان ابن عمران بن الحاف بن قضاعة ، ومن كان معهم من قبائل قضاعة ، وكانت للزباء أخت يقال لها زبيبة ، فبنت لها قصرأ حصيناً على شاطئ الفرات الغربي ، وكانت تشتتو عند أختها ، وتربع ببطن النجار ، وتصير إلى تدمر . فلما أن استجمع لها أمرها ، واستحكم لها ملكها ، أجمعت لغزو جديمة الأبرش تطلب بثأر أبيها ، فقالت لها أختها زبيبة - وكانت ذات رأى ودهاء وإرب : يا زباء ؛ إنك إن غزوت جديمة فلنما هو يوم له ما يعده ؛ إن ظفرت أصبت ثأرك ، وإن قتلت ذهب ملكك ، والحرب سجال ، وعثراتها لا تستقال ^(٣) ، وإن كعبك لم يزل سامياً على من ناؤك وساماك ، ولم ترى بُؤساً ولا غيراً ، ولا تدرين لمن تكون العاقبة ، وعلى من تكون الدائرة ! فقالت لها الزباء : قد أديت النصيحة ، وأحسن الروية ، وإن الرأي ما رأيت ، والقول ما قلت . فانصرفت عما كانت أجمعت عليه من غزو جديمة ، ورفضت ذلك ، وأتت

(١) البيهقي في شرح المقامات للشريشي ٢ : ٥

(٢) الجاوء : الكتيبة . والحرف : الرجال ؛ شهباء بجماعة الجراد .

(٣) ح : « تقال » .

أمرها من **بجوه الختل** ^(١) والخذع والمكر. فكتبت إلى جديمة تدعوه إلى نفسها وملكها ، وأن يصل بلادها ببلادها . وكان فيما كتبت به : أنها لم تجد ملك النساء إلا إلى قبيح في السماع ، وضعف في السلطان ، وقلة ضبط المملكة ، وإنما لم تجد لملكها موضعاً ، ولا لنفسها كفئاً غيرك ، فأقبل إلى ، فاجمع ملكي إلى ملكك ، وصل بلادى ببلادك ، وتقلد أمري مع أمرك .

فلما انتهى كتاب الزباء إلى جديمة ، وقدم عليه رسلها استخفها ما دعته إليه ، ورغب فيما أطمعته فيه ، وجمع إليه أهل الحجى والنهى ، من ثقات أصحابه ، وهو بالبقعة من شاطئ الفرات ، فعرض عليهم ما دعته إليه الزباء ، وعرضته عليه ، واستشارهم في أمره ، فأجمع رأيهم على أن يسير إليها ، ويستولى على ملكها . وكان فيهم رجل يقال له قصير بن سعد بن عمر ^(٢) بن جديمة بن قيس بن ربي ^(٣) بن نمارة بن لخم . وكان سعدتزوج أمة لجديمة ، فولدت له قصيراً ، وكان أريباً حازماً ، أثيراً عند جديمة ، ناصحاً ، فخالفهم فيما أشاروا به عليه ، وقال : « رأى فاتر ، وغدر حاضر » ، فذهبت مثلاً . فرادوه الكلام ونازعوه الرأي ، فقال : « إني لأرى أمراً ليس بالخصا ولا الزكا » ^(٤) ، فذهبت مثلاً . وقال لجديمة : اكتب إليها ، فإن كانت صادقة فلتقبل إليك ، وإلا لم تمكثها من نفسك ، ولم تقع في حبالها ، وقد وترتها ، وقتلت أباه . فلم يوافق جديمة ما أشار به عليه قصير ، فقال قصير :

إِنِّي أَمْرُو لَا يُمِيلُ الْعَجْزُ تَرْوِيَّتِي إِذَا أَتَتْ دُونَ شَيْءٍ مَرَّةً الْوَدَمَ

فقال جديمة : لا واكنك امرؤ رأيك في الكين لا في الضح ، فذهبت مثلاً . فدعا جديمة ابن أخته عمرو بن عدى فاستشاره ، فشجعه على المسير ،

(١) ح : « الخيل » .

(٢) في الأغاني وابن خلدون والشرقي : « عمرو » .

(٣) كذا في س وفي ابن خلدون : « إربي » .

(٤) من قول العرب للزوج زكا والفرد خصا ؛ ومنه : « ما أدري كم حدثني أبي عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخسا أم زكا » . وانظر اللسان - خصا .

وقال : إن (١) نُمارة قومي مع الزبَاء ، ولو قَدَرُوا لصَارُوا مَعَكَ ، فَأَطَاعَهُ وَعَصَى
قَصِيرًا ، فَقَالَ قَصِيرٌ : « لَا يَطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ » ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ نَهْشَلُ بْنُ حَرْثٍ
ابن ضَمْزَمَةَ بْنِ مَجَابِرِ التَّمِيمِيِّ :

وَمَوْلَى عَصَانِي وَاسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ كَمَا لَمْ يُطْعَمْ بِالْبَقَّتَيْنِ قَصِيرٌ (٢)
فَلَمَّا رَأَى مَا غِيبَ أَمْرِي وَأَمْرِهِ وَوَلَّتْ بِأَعْجَازِ الْأُمُورِ صُدُورٌ (٣)
تَمَنَّى نَيْشًا أَنْ يَكُونَ أَطَاعَنِي وَقَدْ حَدَّثَتْ بَعْدَ الْأُمُورِ أُمُورٌ

وقالت العرب : « ببقّة أبريم الأمر » ، فذهبت مثلا ، واستخلف
جذيمة عمرو بن عدى على ملئكه وسلطانها ، وجعل عمرو بن عبد الحين الجرمي
معه على خيوله ، وسار في وجوه أصحابه ، فأخذ على الفرات من الجانب الغربي . ٧٦٠/١
فلما نزل القرضة دعا قَصِيرًا ، فقال : ما الرأي ؟ قال : « ببقّة تركت الرأي » ،
فذهبت مثلا ، واستقبلته رُسُلُ الزبَاء بالهدايا والألطاف ، فقال : يا قَصِيرُ ،
كيف ترى ؟ قال : « خَطَرٌ يَسِيرٌ فِي خَطْبِ كَبِيرٍ » (٤) ، فذهبت مثلا ،
وستلثاك الخيول ، فإن سارت أمامك فإن المرأة صادقة ؛ وإن أخذت
جنبينك وأحاطت بك من خلفك ؛ فإن القوم غادرون ، فاركب العصا -
وكانت فرسًا لجذيمة لا تجاري - فإنني راكبها ومسايرك عليها . فلقينته الخيول
والكتائب ، فحالت بينه وبين العصا ، فركبها قَصِيرُ ، ونظر إليه جذيمة موليًا
على مَتْنِهَا ، فقال : « ويل أمّه حَزَمًا على ظَهرِ العصا ! » ، فذهبت مثلا ،
فقال : يا ضُلٌّ ما تجرى به العصا ! وجرت به إلى غروب الشمس ثم نَفَقَتْ ،
وقد قطعت أرضًا بعيدة ، فبنى عليها بُرْجًا يقال له برج العصا . وقالت العرب :
« خيرٌ ما جاءت به العصا » ، مثل تضرّبه .

وسار جذيمة ، وقد أحاطت به الخيول ، حتى دخل على الزبَاء ، فلما

(١) ح : « إنما » ، وكذا في ابن الأثير .

(٢) الأبيات في اللسان ٨ : ٢٤١ ، وياقوت ٢ : ٢٥٣ .

(٣) في ط : « فلما تبين » ، وأثبت ما في ياقوت واللسان .

(٤) في مجمع الأمثال ن ١ : ٢٣٣ : « خطب يسير » .

رأته تكشفت فإذا هي مضفورة الإسب^(١)، فقالت: يا جذيمة « أدأب عروس ترى ! »^(٢)، فذهبت مثلاً، فقال: بلغ المدى، وجف الثرى، وأمرَ غدرَ أرى، فقالت: « أما وإلهي ما بنا من عدم مَوَّاس ، ولا قلة أَوَّاس ؛ ولكنه شيمة ما أناس »^(٣). فذهبت مثلاً، وقالت: إني أنبت أن دماء الملوك شفاءٌ من الكلب، ثم أجلسه على نطح، وأمرت بَطَسْتُ من ذهب، فأعدته له وسقته من الخمر حتى أخذت مأخذها منه، وأمرت براهشيه فقطعا، وقدّمت ٧٦١/١ إليه الطَّسْتُ، وقد قيل لها: إن قَطَرَ من دمه شيءٌ في غير الطَّسْتُ طُلب بدمه — وكانت الملوك لا تَقْتَل بضرب الأعناق إلا في قتال، تَكْرِمة للملك — فلما ضعفت يدها سقطتا، فقطر من دمه في غير الطست، فقالت: لانتصبعوا دم الملك، فقال جذيمة: « دعوا دما ضيَّعه أهله »، فذهبت مثلاً، فهلك جذيمة واستبقت^(٤) الزباء دمه، فجعلته في بَرس^(٥) قطن في رُبْعَة لها، وخرج قصير من الحنّ الذي هلك العصا بين أظهرهم؛ حتى قدم على عمرو ابن عدى وهو بالحيرة، فقال له قصير: أدائرُ أم ثائرُ^(٦)، قال: لا، بل ثائرٌ سائرٌ، فذهبت مثلاً، ووافق قصير الناس وقد اختلفوا، فصارت طائفة منهم مع عمرو بن عبد الجنّ الجرمي، وجماعة منهم مع عمرو بن عدى؛ فاختلف بينهما قصير حتى اصطلحا؛ وانقاد عمرو بن عبد الجنّ لعمرو بن عدى، ومال إليه الناس، فقال عمرو بن عدى في ذلك:

(١) ت، س: « الاست »، ح: « السوة »، والاسب: شعر الاست.

(٢) كذا في الطبري وابن الأثير وتجارب الأمم ٩، وفي المغتالين من الأشراف ١١٤:

« أدأب عروس »، وفي المسعودي ٢: ٩٤: « أي متاع عروس »؛ وبعدها في الأغاني ١٤: ٧٤: « بل أرى متاع أمة لكما غير ذات خفر ».

(٣) في الأغاني: « شيمة من أناس ».

(٤) كذا في ح، وفي ط: « واستشفت »، وفي المسعودي: « استصفت ».

(٥) كذا في ط، وفي المسعودي: « وجعلته في برنية ».

(٦) في الميداني: « أثائر أنت ».

دَعَوْتُ ابْنَ عَبْدِ الْجَنِّ لِلْسَّلَامِ بَعْدَمَا تَتَابَعَ فِي غَرْبِ السَّفَاهِ وَكَلَسَمَا^(١)
فَلَمَّا ارْعَوَى عَنْ صَدْنَا بِاعْتِرَامِهِ مَرَيْتُ هَوَاهُ مَرَى آمٍ رَوَائِمَا

فقال عمرو بن عبد الجن مجيباً له :

أَمَّا وَدِمَاءُ مَائِرَاتٍ تَخَالَهَا عَلَى قَلَّةِ الْعُزَى أَوْ النَّسْرِ عِنْدَمَا
وَمَا قَدَسَ الرَّهْبَانُ فِي كُلِّ هَيْكَلٍ أَبِيلَ الْأَبِيلِينَ الْمَسِيحِ بْنِ مَرْيَمَا ٧٦٢/٩

— قال : هكذا وجد الشعر ليس بنام ؛ وكان ينبغي أن يكون البيت الثالث :
« لقد كان كذا وكذا » —

— فقال قصير لعمرو بن عدى : تهبأ واستعد ، ولا تُطِيلْ دمَ خالك .
قال : وكيف لي بها وهي أُمْنَعُ من عُقَابِ الجَو ؟ فذهبت مثلاً ، وكانت
الزَّبَاءُ سألت كاهنةً لها عن أمرها وملكها ، فقالت : أرى هلاكك بسبب
غلام مهين ؛ غير أمين ، وهو عمرو بن عدى ؛ ولن تموت بیده ، ولكن حتفك
بيدك ، ومن قبله ما يكون ذلك . فحدّرت عمراً ، واتخذت نفقاً من مجلسها
الذى كانت تجلس فيه إلى حصن لها داخل مدينتها ، وقالت : إن فسجاني
أمر دخلت النفق إلى حصني . ودعت رجلاً مصوراً أجود أهل بلادها تصويراً ،
وأحسنهم عملاً لذلك ، فجهّزته وأحسنته إليه ، وقالت له : سر حتى تقدم
على عمرو بن عدى متبركراً ، فتخلو بحشمه ، وتنضم إليهم ، وتخالطهم وتعلمهم
ما عندك من العلم بالصور . والثقافة له ؛ ثم أثبت عمرو بن عدى معرفة ،
وصوره جالساً وقائماً ، وراكباً ومتفضلاً ، ومتسلحاً بهيئته ولبسته وثيابه ولونه ؛
فإذا أحكمت ذلك ، فأقبل إلى .

فانطلق المصور حتى قدم على عمرو ، وصنع الذي أمرته به الزَّبَاءُ ،
وبلغ ما أوصته به ، ثم رجع إليها بعلم ما وجهته له من الصور على ما وصفت
له ، وأرادت أن تعرف عمرو بن عدى ، فلا تراه على حال إلا عرفته وحدّرت ، ٧٦٢/٨

(١) التتابع : الإسراع في الشر ، واللجاجة ، وفي ح : « تتابع » . وكلسم : ذهب في سرعة .

وعلمت علمه . فقال قصير لعمر بن عدى : اجْدَعْ أَنْفِي وَاضْرِبْ ظَهْرِي ،
وَدَعْنِي وَإِيَّاهَا . فقال عمرو : ما أنا بفاعل وما أنت لذلك بمستحق مني !
فقال قصير : « خَلَّ عَنِّي إِذَا وَخَلَكَ ذِمٌّ » ، فذهبت مثلاً .

قال ابن الكلبي : كان أبو الزبَاء اتَّخَذَ النِّفْقَ لَهَا وَلِأَخْتِهَا ، وَكَانَ الْحَصْنُ
لِأَخْتِهَا فِي دَاخِلِ مَدِينَتِهَا ، قَالَ : فَقَالَ لَهُ عَمْرُو ، فَأَنْتَ أَبْصَرُ ، فَجَدَعَ
قَصِيرُ أَنْفَهُ ، وَأَثَرَ بَظْهَرِهِ ، فَقَالَتِ الْعَرَبُ : « لَمَكَرَ مَا جَدَعَ أَنْفَهُ قَصِيرٌ » ،
وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْمُتَلَمِّسُ :

وَمِنْ حَذَرِ الْأَوْتَارِ مَا حَزَّ أَنْفَهُ قَصِيرٌ وَخَاصَ الْمَوْتَ بِالسَّيْفِ يَهْسُ^(١)

ويروى : « ورام الموت » . وقال عدى بن زيد :

كَقَصِيرٍ إِذْ لَمْ يَجِدْ غَيْرَ أَنْ جَدَعَ أَشْرَافَهُ لِشُكْرِ قَصِيرٍ

فلما أن جدع قصير أنفه وأثر تلك الآثار بظهره ، خرج كأنه هارب ،
وأظهر أن عمرًا فعل به ذلك ، وأنه يزعم أنه مكرّ بخاله جذيمة ، وغرة من
الزبَاء ، فسار قصير حتى قدم على الزبَاء ، فقبل لها : إن قصيرًا بالباب ،
فأمرت به فأدخل عليها ، فإذا أنفه قد جدع ، وظهره قد ضرب ، فقالت :
ما الذي أرى بك يا قصير ؟ فقال : زعم عمرو بن عدى أنني غررت خاله ،
وزينت له السير إليك ، وغششته وما لأنتك عليه ؛ ففعل بي ما ترى ! فأقبلتُ
إليك ، وعرفت أنني لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منك . فألطفته وأكرمته ،
وأصابته عنده بعض ما أرادت من الخزم والرأى والتجربة والمعرفة بأموار الملوك ؛

(١) من أبيات في الحماسة ٢ : ٦٥٨ - بشرح المزدوقي . وبهس : رجل من فزارة كان
يحمق ؛ فقتل له سبعة إخوة ، فجعل يلبس القميص مكان السراويل ، والسراويل مكان القميص ،
فإذا سئل عن ذلك قال :

الْبَسْتُ لِكُلِّ عَيْشَةٍ لِبُوسَهَا إِمَّا نَعِيمَهَا وَإِمَّا بُؤْسَهَا

فتوصل بما صوره من حاله عند الناس إلى أن طلب بدماه إخوته .

فلما عرفت أنها قد استرسلت إليه ، وثقت به ، قال لها : إن لي بالعراق أموالاً كثيرة ، وبها طرائف وثياب وعطر ؛ فابعثني إلى العراق لأحمل مالى وأحمل إليك من بُزُوزها وطرائف ثيابها ، وصنوف ما يكون بها من الأمتعة والطيب والتجارات ، فتصيين في ذلك أرباحاً عظماً ، وبعض ما لا غنى بالملوك عنه ؛ فإنه لا طرائف كطرائف العراق ! فلم يزل يزين لها ذلك حتى سرحت ، ودفعت معه عيراً ، فقالت : انطلق إلى العراق ، فبع بها ما جهزناك به ، وابتع لنا من طرائف ما يكون بها من الثياب وغيرها . فسار قصير بما دفعت إليه حتى قدم العراق ؛ وأتى الحيرة متنكراً ، فدخل على عمرو بن عدى ، فأخبره بالخبر ، وقال : جهزنى بالبز والطرف (٢) والأمتعة ؛ لعل الله يمكن من الزباء فتصيب (١) ثأرك ، تقتل عدوك . فأعطاه حاجته ، وجهزه بصنوف الثياب وغيرها ، فرجع بذلك كله إلى الزباء ؛ فعرضه عليها ، فأعجبها ما رأت ، وسرها ما أتاها به ، وازدادت به ثقة ، وإليه طمأنينة ؛ ثم جهزته بعد ذلك بأكثر مما جهزته في المرة الأولى ، فسار حتى قدم العراق ، ولقى عمرو بن عدى ، وحمل من عنده ما ظن أنه موافق للزباء ؛ ولم يترك جهداً ، ولم يدع طرفة ولا متاعاً قدر عليه إلا حمّله إليها . ثم عاد الثالثة إلى العراق فأخبر عمرًا الخبر ، وقال : اجمع لي ثقات أصحابك وجندك ، وهبني لهم الغرائر والمسوح — قال ابن الكلبي : وقصير أول من عمل الغرائر — واحمل كل رجلين على بعير في غرارين ، واجعل معقد رهوس الغرائر من باطنها ، فإذا دخلوا مدينة الزباء أقمتك على باب نفقها ، وخرجت الرجال من الغرائر ، فصاحوا بأهل المدينة (٣) فمن قاتلهم قتلوه ، وإن أقبلت الزباء تريد النفق جلتها بالسيف .

٧٦٥/١

ف فعل عمرو بن عدى ، وحمل الرجال في الغرائر على ما وصف له قصير ، ثم وجه الإبل إلى الزباء عليها الرجال وأسلحتهم ، فلما كانوا قريباً من مدينتها ، تقدم قصير إليها ، فبشرها وأعلمها كثرة ما حمل إليها من الثياب والطرائف ، وسألها أن تخرج فتنظر إلى قطرات تلك الإبل ، وما عليها من الأحمال ؛ فإني

(١) ح : « فتدرك » . (٢) ح : « والطرائف » .

(٣) ح : « يا أهل المدينة » .

جئت بما صاء وصمت فذهبت مثلاً . وقال ابن الكلبي : وكان قصير يكمنُ النهار^(١) ويسير الليل وهو أول من كمن النهار وسار الليل . فخرجت الزباء فأبصرت الإبل تكاد قوائمها تسوخ في الأرض من ثقل أحمالها ، فقالت : يا قصير :

مَا لِلْجَمَالِ مَشِيْهَا وَثِيْدًا ! أَجْنَدَلًا يَحْمِلُنَ أُمَّ حَدِيْدًا !
أُمَّ صَرَفَانًا بَارِدًا شَدِيْدًا !

فدخلت الإبل المدينة ، حتى كان آخرها بعيراً مرّ على بواب المدينة وهو تَبَطَّى بيده منخسة ، فنخس بها الغرائر التي تليه ، فتصيب خاصرة الرجل الذي فيها ، فضرط . فقال البواب بالنبطية « بشتابسقا »^(٢) يعني بقوله : « بشتابسقا » : في الجوائق شرّ وأرعب^(٣) قلباً ؛ فذهبت مثلاً ، فلما توسطت الإبل المدينة أنيخت ، ودلّ قصير عمرا على باب النفق قبل ذلك ، وأراه إياه ، وخرجت الرجال من الغرائر ، وصاحوا : بأهل المدينة ! ووضعوا فيهم السلاح ، وقام عمرو بن عدى على باب النفق ، وأقبلت الزباء مولية مبادرة تريد النفق لتدخله ، وأبصرت عمرا قائماً ، فعرفته بالصورة التي كان صورها لها المصور فصت خاتمها ، وكان فيها سم — وقالت : « بيدى لا بيدك يا عمرو » ، فذهبت مثلاً ، وتلقّاها عمرو بن عدى ، فجلّتها بالسيف فقتلها ، وأصاب ما أصاب من أهل المدينة ، وانكفاً راجعاً إلى العراق ، فقال عدى بن زيد في أمر جزيمة وقصير والزباء وقتل عمرو بن عدى إياها قصيدته :

أُبَدِّلَتِ الْمَنَازِلُ أُمَّ عُفَيْنَا تَقَادَمَ عَهْدُهَا أُمَّ قَدْ بَلَيْنَا
إِلَى آخِرِهَا .

وقال الخبّل ، وهو ربيعة بن عوف السعدي :

يَا عَمْرُو إِنِّي قَدْ هَوَيْتُ جِمَاعَكُمْ وَلِكُلِّ مَنْ يَهْوَى الْجِمَاعَ فِرَاقُ

(١) ح : « بالنهار » .

(٢) ت ، ح : « بستا » .

(٣) ت ، س : « ورابع » .

بَلْ كَمْ رَأَيْتُ الدَّهْرَ زَايِلَ بَيْنَهُ
طَابَتْ بِهِ الزَّبَاءُ وَقَدْ جَمَعَتْ لَهَا
حَمَلَتْ لَهَا عَمْرًا وَلَا يَخْشُونَ
حَتَّى تَفْرَعَهَا بِأَبْيَضِ صَارِمٍ
وَأَبُو حَذِيفَةَ يَوْمَ ضَاقَ بِجَمْعِهِ
وَلَهُ مَعْدٌ وَالْعَبَادُ وَطَيُّ
يَهَبُ النَّجَائِبَ وَالزَّرَائِعَ حَوْلَهُ
فَأَتَتْ عَلَيْهِ سَاعَةٌ مَا إِنَّ لَهُ
فَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ حُمِّ قَضَاؤُهُ
مَنْ لَا يُزَايِلُ بَيْنَهُ الْأَخْلَاقُ
دُورًا وَمَشْرِبَةً لَهَا أَنْفَاقُ^(١)
مِنْ آلِ دُومَةَ رَسَلَةَ مِعْنَاقٍ
عَضْبٍ يَلُوحُ كَأَنَّهُ مَخْرَاقُ^(٢)
شِعْبُ النَّمِيطِ فَحُومَةُ فَأَفَاقُ
وَمِنْ الْجُنُودِ كِتَابٌ وَرِفَاقُ
جُرْدًا كَانَ مُتُونَهَا الْأَطْلَاقُ^(٣)
يَمَّا أَفَاءَ وَلَا أَفَادَ عَتَاقُ
رَفْدٌ أَمِيلٌ إِنْ أَوَّاهُ مُهْرَاقُ

وقال بعض شعراء العرب :

نَحْنُ قَتَلْنَا فَحَحَلَّا وَابْنَ رَاعِي
فَلَمَّا أَتَتْهَا الْعِيرُ قَالَتْ أُبَارِدُ
وَنَحْنُ خَتْنَا نَبْتَ زَبَا مِمَّنْجَلِ^(٤)
مِنْ التَّمْرِ هَذَا أُمُّ حَدِيدٍ وَجَنْدَلِ

وقال، عبد باجر^(٥) — واسمه بهرا من العرب العاربة؛ وهم عشرة أحياء : عاد ،
ومثود ، والعماليق ، وطسم ، وجديس ، وأميم^(٦) ، والمود^(٧) ، وجرم ، ويقطن ،
والسلف قال : والسلف دخل في حمير —

(١) ح : « طلبت » .

(٢) س : « تفرعها » .

(٣) الزرائع : جمع زريعة ؛ وهى الناقة تنزع إلى وطنها ، والأطلاق : جمع طلق ، وهو
الحبل ؛ وفى ط : « البرائع » ، وما أثبتته من س .

(٤) ط : « غنينا » ، وما أثبتته من ت .

(٥) ت : « ناجر » .

(٦) قال السهيل : « يقال : بفتح الهمة وكسر الميم وبضم الهمة وفتح الميم ؛ وهو أكثر ؛
ووجدت بخط بعض المشاهير : « أميم » بتشديد الميم » .

(٧) س : « والنود » .

لَا رَكِبْتَ رَجُلًا مِنْ بَيْنِ الدُّلَى لَقَدْ رَكِبْتَ مَرْكَبًا غَيْرَ الْوَطِيِّ
عَلَى الْعِرَاقِيِّ بِصَفَا مِنَ الطَّوِيِّ (١) إِنْ كُنْتَ غَضِبِي فَأَغْضِبِي عَلَى الرَّكِيِّ
* وَعَاتِبِي الْقِيَمَ عَمْرُو بْنُ عَدِي *

فصار الملك بعد جديمة لابن أخته عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن مالك بن عمرو بن ثمارة بن نلح، وهو أول من اتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب، وأول من مجده أهل الحيرة في كتبهم من ملوك العرب بالعراق، وإليه ينسبون؛ وهم ملوك آل نصر، فلم يزل عمرو بن عدى ملكاً حتى مات وهو ابن مائة وعشرين سنة، منفرداً بملكه، مستبداً بأمره، يغزو المغازي ويصيب الغنائم، وتقد عليه الوفود دهره الأطول؛ لا يدين للملوك الطوائف بالعراق، ولا يدينون له؛ حتى قدم أردشير بن بابك في أهل فارس.

* * *

وإنما ذكرنا في هذا الموضع ما ذكرنا من أمر جدية وابن أخته عمرو بن عدى لما كنا قدمنا من ذكر ملوك اليمن؛ أنه لم يكن للكههم نظام، وأن الرئيس منهم إنما كان ملكاً على مخالفه ومحجره، لا يجاوز ذلك؛ فإن نزع منهم نازع، أو نبغ منهم نابغ (٢) فتجاوز ذلك — وإن بعدت مسافة سيره من مخالفه — فإنما ذلك منه عن غير ملك له موطن، ولا آباءه، ولا لأبنائه، ولكن كالذي يكون من بعض من يشرد من المتلصصة، فيغير على الناحية باستغفاله أهلها، فإذا قصده الطلب لم يكن له ثبات؛ فكذلك كان أمر ملوك اليمن؛ كان الواحد منهم بعد الواحد يخرج عن مخالفه ومحجره أحياناً فيصيب مما يمر به ثم يتشمر (٣) عند خوف الطلب، راجعاً إلى موضعه ومخلافه، من غير أن يدين له أحد من غير أهل مخالفه بالطاعة، أو يؤدى إليه خراجاً؛ حتى كان عمرو

(١) ت: «الوطي».

(٢) ح: «تابع».

(٣) ح: «يشمر».

ابن عدى الذى ذكرنا أمره، وهو ابن أخت جدّ يمة الذى اقتصصنا خبره ، فإنه اتّصل له ولعقبه ولأسبابه الملك على ما كان بنواحى العراق وبادية الحجاز من العرب باستعمال ملوك فارس إياهم على ذلك ، واستكفائهم أمرَ مَنْ وليّهم من العرب ؛ إلى أن قَتَلَ أبرويز بن هرمز النعمان بن المنذر ، ونقل ما كانت ملوك فارس يجعلونه إليهم إلى غيرهم ، فذكرنا ما ذكرنا من أمر جدّ يمة وعمرو ابن عدى من أجل ذلك ؛ إذ كنّا نريد أن نسوق تمام التاريخ على مُلك ملوك فارس ، ونستشهد على صحة ما رُوِيَ من أمرهم بما وجدنا إلى الاستشهاد به عليها سيلاً . وكان أمرُ آل نصر بن ربيعة ومَنْ كان من ولاة ملوك الفرس وعمّالهم على ثغر العرب الذين هم ببادية العراق عند أهل الحيرة متعلّماً مثبّتاً عندهم فى كنائسهم وأسفارهم .

٧٧٠/١

وقد حدّثت عن هشام بن محمد الكلبيّ أنه قال : إني كنت أستخرج أخبارَ العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ، ومبالغ أعمار مَنْ عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنيهم من بيّعت الحيرة ، وفيها ملكهم وأمورهم كلّها .

فأما ابن حميد ، فإنه حدّثنا فى أمر ولد نصر بن ربيعة ومصيرهم إلى أرض العراق غير الذى ذكره هشام ؛ والذى حدّثنا به من ذلك عن سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم : أن ربيعة بن نصر اللخميّ رأى رؤيا نذكرها بعدُ — عند ذكر أمر الحبشة ، وغلبتهم على اليمن وتعبير سَطِيح وشقّ وجوابهما عن رؤياه — ثم ذكر فى خبره ذلك أن ربيعة بن نصر لما فرغ من مسألة سَطِيح وشقّ وجوابهما إياه ، وقع فى نفسه أن الذى قالوا له كائن من أمر الحبشة ؛ فجهاز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يُصلحهم ، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ ، فأسكنهم الحيرة . قال : فن بقيّة ربيعة ابن نصر كان النعمان ملك حيرة ، وهو النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر ابن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر . ذلك الملك فى نسب أهل اليمن وعلمهم .

٧٧١/١

[ذكر طسم وجديس]

قال أبو جعفر : ونذكر الآن أمر طسم وجديس إذ كان أمرهم أيضًا كان في أيام ملوك الطوائف ، وأن فناء جديس كان على يد جسان بن تَبَع ، إذ كنّا قدّمنا فيما مضى ذكر تبابعة حمير ، الذين كانوا على عهد ملوك فارس .

وحدّثت عن هشام بن محمد . وحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق وغيرهما من علماء العرب ، أن طَسَمًا وجديسًا كانوا من ساكني اليمامة ؛ وهي إذ ذاك مِن أخصب البلاد وأعمرها وأكثرها خيرًا ، لهم فيها صنوف الثمار ومعجيات الحدائق والقصور الشائخة ، وكان عليهم مَلِك من طَسَمَ ظلوم غشوم ، لا ينهائهم شيء عن هواه ، يقال له عملوق ، مُضَرًّا بجديس ، مستذلًّا لهم .

وكان مما لقوا من ظلمه واستدلاله ؛ أنه أمرَ بالآتِهْدِي بِكُرمِ جديس إلى زوجها حتى تدخلَ عليه فيفترعها ، فقال رجل من جديس ، يقال له الأسود بن غِفَار لرؤساء قومه : قد ترونَ ما نحن فيه من العار والذلّ الذي ينبغي للكلاب أن تعافه وتمنعض منه ؛ فأطيعوني فإني أدعوكم إلى عزّ الدهر ، ونفي الذلّ . قالوا : وما ذاك ؟ قال : إني صانع للملك ولقومه طعامًا ، فإذا جاءوا نهضنا اليهم بأسيا فنادوا به فقتلته ، وأجهز كلّ رجل منكم على جليسه ، فأجابوه^(١) إلى ذلك ، وأجمع رأيهم عليه فأعدّ طعامًا ، وأمر قومه فانتضوا سيوفهم ودفنوها في الرمل ، وقال : إذا أتاكم القوم يرفقون في حلّهم ، فخذوا سيوفهم ، ثم شدّوا عليهم قبل أن يأخذوا مجالسهم ، ثم اقتلوا الرؤساء ؛ فإنكم إذا قتلتموهم لم تكن السفلة شيئًا ؛ وحضر الملك فقتل وقتل الرؤساء ، فشدّوا على العامة منهم ، فأفنوهم ، فهرب رجل من طَسَمَ يقال له رباح^(٢) بن مرة ، حتى أتى حسان بن تَبَع ، فاستغاث به ، فخرج حسان في حِمِير ،

(١) ح : « فأجابوا » .

(٢) ابن خلدون وياقوت : « رباح » .

فلما كان من اليمامة على ثلاث ، قال له رياح : أبيت اللعن ! إن لي أختاً
متزوجة في جديس ، يقال لها : اليمامة ، ليس على وجه الأرض أبصر منها ،
إنها لتبصر الراكب من مسيرة ثلاث ، وإنى أخاف أن تنذر القوم بك ، فرأى
أصحابك ، فليقطع كل رجل منهم شجرة فليجعلها أمامه ويسير وهي في
يده ، فأمرهم حسان بذلك ، ففعلوا ، ثم سار فنظرت اليمامة ، فأبصرتهم ، فقالت
لجديس : لقد سارت حمير . فقالوا : وما الذي ترين ؟ قالت : أرى رجلاً
في شجرة ، معه كتيف يتعرقها^(١) ، أو نعل يخصفها . فكذبوها ، وكان
ذلك كما قالت ، وصبتهم حسان فأبادهم وأخرب بلادهم وهدم قصورهم
وحصونهم . ٧٧٣/١

وكانت اليمامة تسمى إذ ذاك جَوًّا والقرية ؛ وأتى حسان باليمامة ابنة مرة ،
فأمر بها ففقت عيناها ؛ فإذا فيها عروق سود ، فقال لها : ما هذا السواد في
عروق عينيك ؟ قالت : حجير أسود يقال له الإثم ، كنت أكتحل به .
وكانت فيما ذكروا أول من اكتحل بالإثم ، فأمر حسان بأن تسمى جو
اليمامة^(٢) .

وقد قالت الشعراء من العرب في حسان ومسيره هذا ، فمن ذلك قول
الأعشى^(٣) :

كُونِي كَمَثَلِ الَّذِي إِذْ غَابَ وَافِدُهَا أَهْدَتْ لَهُ مِنْ بَعِيدِ نَظْرَةً جَزَعًا
مَا نَظَرَتْ ذَاتُ أَشْفَارٍ كَنَظَرِهَا حَقًّا كَمَا صَدَقَ الذُّنْبِيُّ إِذْ سَجَعًا^(٤)
إِذْ قَلَبَتْ مُقَلَّةً لَيْسَتْ بِمُقَرَفَةٍ إِذْ يَرْفَعُ أَلَالَ رَأْسِ الْكَلْبِ فَارْتَقَعًا^(٥)

(١) يتعرقها : يأخذ ما عليها من اللحم بأسنانه نهشاً .

(٢) انظر القصة في شرح ديوان الأعشى ٧٤ .

(٣) ديوانه ٧٢ - ٧٤ ؛ من قصيدة مظمها :

بَانتُ سَعَادُ وَأُمْسَى حَبْلُهَا انْقَطَعَا وَاحْتَلَّتِ الْغَمَزُ فَأُلْجِدَيْنِ فَالْفَرَعَا

(٤) الذنبي : أحد الكهنة .

(٥) الديوان :

* إِذْ نَظَرَتْ نَظْرَةً لَيْسَتْ بِكَادِبَةٍ *

ورأس الكلب : جبل باليمامة .

قَالَتْ أَرَى رَجُلًا فِي كَفِّهِ كَتِفٌ أَوْ يَخْصِفُ النُّعْلَ، لَهْفَى آيَةً صَنَعًا !
فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ فَاسْتَنْزَلُوا أَهْلَ جَوْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ
وَهَدَمُوا شَاخِصَ الْبُنْيَانِ فَأَتَضَعَا ٧٧٤/١
ومن ذلك قول النمر بن تولب العُكْلِيّ :

هَلَّا سَأَلْتَ بِعَادِيَاءَ وَبَيْتِهِ
وَفَتَاتِهِمْ عَنْ عَشِيَّةِ آنَسْتِ
قَالَتْ أَرَى رَجُلًا يُقَلِّبُ كَفَّهُ
وَرَأَتْ مُقَدِّمَةَ الْخَمِيسِ وَقَبْلَهُ
فَكَأَنَّ صَالِحَ أَهْلِ جَوْ غَدَوَةٌ
كَانُوا كَأَنَّمِ مَنْ رَأَيْتَ فَأَصْبَحُوا
قَالَتْ يَمَامَةً اخْلُوفِي قَائِمًا (١)

وَالْخَلَّ وَالْخَمْرِ الَّتِي لَمْ تُنَمَّعْ (١)
مِنْ بَعْدِ مَرَأَى فِي الْفَضَاءِ وَمَسْمَعِ
أَصْلًا وَجَوْ آمِنٌ لَمْ يَفْزَعْ (٢)
رَفَصَ الرَّكَابِ (٣) إِلَى الصَّيَاحِ يُتْبِعُ
صُحُوحًا يَذِيفَانِ السَّمَامِ السُّنْفَعِ
يَلْتَوُونَ زَادَ الرَّايِبِ الْمُتَمَتِّعِ
إِنْ تَبَعْتُوهُ بَارِكَا بِي أَصْرَعِ

٧٧٥/١ وحسان بن ثُبَع ، الذى أوقع بجديس ، هو ذو معاهر ، وهو ثُبَع بن ثُبَع
ثُبَان أسعد أبى كرب بن ملكيكرب بن ثُبَع بن أقرن ، وهو أبو ثُبَع بن حسان
الذى يزعم أهل اليمن أنه قدم مكة ، وكسا الكعبة ، وأن الشعب من المطابخ
إنما سمي هذا (٥) الاسم لنصبه المطابخ في ذلك الموضع وإطعامه الناس ؛ وأن
أجياداً إنما سمي أجياداً ، لأن خيله كانت هنالك ؛ وأنه قدم يثرب فتمزل منزلاً
يقال له منزل الملك اليوم ، وقتل من اليهود مقتلة عظيمة بسبب شكايه من
شكاهم إليه من الأوس والخزرج بسوء الجوار ، وأنه وجه ابنه حسان إلى السند

(١) ذكر ابن بدرون في شرح الرائية ٦٨ من هذه الأبيات البيتان : الثاني والثالث .

(٢) ابن بدرون :

أَرَى رَجُلًا يُقَلِّبُ نَعْلَهُ
تَقْلِبَ ذِي وَصْلٍ لَهُ وَمُشَمَّعُ

(٣) ابن بدرون : « ركض الجياد » .

(٤) ح : « إمام » .

(٥) ت : « بهذا » .

وسميرا ذا الجناح إلى خراسان، وأمرهما أن يستبقا إلى الصين، ففرَّ سمير بسمرقند فأقام عليها حتى افتتحها، وقتل مقاتلتها، وسبي وحوى ما فيها ونفذ إلى الصين، فوافى حسّان بها، فن أهل اليمن من يزعم أنهما ماتا هنالك، ومنهم من يزعم أنهما انصرفا إلى تبع بالأموال والغنائم.

* * *

وما كان في أيام ملوك الطوائف ما ذكره الله عز وجل في كتابه من أمر الفتية الذين أووا إلى الكهف فضرب على آذانهم.

تم الجزء الأول من تاريخ الطبرى، ويليه الجزء الثانى
وأوله: ذكر الخبر عن أصحاب الكهف

فهرس الموضوعات

صفحة

٩	القول فى الزمان ما هو
١٠ — ١٩	القول فى كم قدر جميع الزمان من ابتدائه إلى انتهائه وأوله إلى آخره
٢٠ — ٢١	القول فى الدلالة على حدوث الأوقات والأزمان والليل والنهار.
٢٢ — ٢٦	القول فى هل كان الله عز وجل خلق قبل خلقه الزمان والليل والنهار شيئاً غير ذلك الخلق
٢٧	القول فى الإبانة عن فناء الزمان والليل والنهار وألا شىء يبقى غير الله تعالى ذكره
٢٨ — ٣١	القول فى الدلالة على أن الله عز وجل القديم الأول قبل كل شىء وأنه هو المحدث كل شىء بقدرته تعالى ذكره
٣٢ — ٣٦	القول فى ابتداء الخلق ما كان أوله
٣٧ — ٤٦	القول فى الذى ثنى خلق القلم
٤٧ — ٦٠	القول فيما خلق الله فى كل يوم من الأيام السنة التى ذكر الله فى كتابه أنه خلق فىهن السموات والأرض وما بينهما
٦١ — ٨٠	القول فى الليل والنهار أيتهما خلق قبل صاحبه وفى بدء خلق الشمس والقمر وصفتهما، إذ كانت الأزمنة بهما تعرف
٨١ — ٨٢	ذكر الأخبار الواردة بأن إبليس كان له ملك السماء الدنيا والأرض ما بين ذلك
٨٣	ذكر الخبر عن غمط عدو الله نعمة ربه واستكباره عليه وادعائه الربوبية

صفحة

٨٤	والسبب الذى به هلك وادعى الربوبية	القول فى الأحداث التى كانت فى أيام ملك إبليس وسلطانته
٨٥ - ٨٨	ذكر السبب الذى به هلك عدو الله وسوّلت له نفسه من أجله الاستكبار على ربه عز وجل	ذكر السبب الذى به هلك عدو الله وسوّلت له نفسه من أجله الاستكبار على ربه عز وجل
٨٩ - ١٠٥	القول فى خلق آدم عليه السلام	القول فى خلق آدم عليه السلام
١٠٦ - ١١٢	القول فى ذكر امتحان الله تعالى أبانا آدم عليه السلام	القول فى ذكر امتحان الله تعالى أبانا آدم عليه السلام
١١٣ - ١١٦	القول فى قدرة مدة مكث آدم فى الجنة ووقت خلق الله عز وجل إياه ووقت إهباطه إياه من السماء إلى الأرض	القول فى قدرة مدة مكث آدم فى الجنة ووقت خلق الله عز وجل إياه ووقت إهباطه إياه من السماء إلى الأرض
١١٧ - ١٢٠	ذكر الوقت الذى خلق فيه آدم عليه السلام من يوم الجمعة والوقت الذى أهبط فيه إلى الأرض	ذكر الوقت الذى خلق فيه آدم عليه السلام من يوم الجمعة والوقت الذى أهبط فيه إلى الأرض
١٢١ - ١٣٦	القول فى الموضع الذى أهبط آدم وحواء إليه من الأرض حين أهبطا إليها	القول فى الموضع الذى أهبط آدم وحواء إليه من الأرض حين أهبطا إليها
١٣٧ - ١٥١	ذكر الأحداث التى كانت فى عهد آدم عليه السلام بعد أن أهبط إلى الأرض	ذكر الأحداث التى كانت فى عهد آدم عليه السلام بعد أن أهبط إلى الأرض
١٥٢ - ١٥٤	ذكر ولادة حواء شيئاً	ذكر ولادة حواء شيئاً
١٥٥ - ١٦٤	ذكر وفاة آدم عليه السلام	ذكر وفاة آدم عليه السلام
١٦٥ - ١٧٨	ذكر الأحداث التى كانت فى أيام بنى آدم من لدن ملك شيث بن آدم إلى أيام يرد	ذكر الأحداث التى كانت فى أيام بنى آدم من لدن ملك شيث بن آدم إلى أيام يرد
١٧٩ - ١٩٣	ذكر الأحداث التى كانت فى عهد نوح عليه السلام	ذكر الأحداث التى كانت فى عهد نوح عليه السلام
١٩٤ - ٢١٥	ذكر بيوراسب، وهو الازدهاق	ذكر بيوراسب، وهو الازدهاق
٢١٦ - ٢٣٢	ذكر الأحداث التى كانت بين نوح وإبراهيم عليهما السلام	ذكر الأحداث التى كانت بين نوح وإبراهيم عليهما السلام

٢٣٣ - ٢٥٠	عصره من ملوك العجم
٢٥١ - ٢٧١	ذكر أمر بناء البيت
٢٧٢ - ٢٧٨	ذكر الخبر عن صفة فعل إبراهيم وابنه الذي أمر بذبحه فيما كان أمر به من ذلك ، والسبب الذي من أجله أمر إبراهيم بذبحه
٢٧٨ - ٢٨٧	ذكر ابتلاء الله إبراهيم بكلمات
٢٨٧ - ٢٩٢	أمر نمرود بن كوش بن كنعان
٢٩٢ - ٣٠٧	ذكر لوط بن هاران وقومه
٣٠٨ - ٣١١	ذكر وفاة سارة بنت هاران وهاجر أم إسماعيل وذكر ، أزواج إبراهيم عليه السلام وولده
٣١٢ - ٣١٣	ذكر وفاة إبراهيم عليه السلام
٣١٤ - ٣١٥	ذكر خبر ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام
٣١٦ - ٣٢١	ذكر إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام وذكر نسائه وأولاده
٣٢٢ - ٣٢٩	ذكر أيوب عليه السلام
٣٣٠ - ٣٦٤	ذكر يعقوب وأولاده
٣٦٥ - ٣٧٦	قصة الخضر وخبره وخبر موسى وفتاه يوشع عليهم السلام
٣٧٧ - ٣٨٤	منوشر وأسبابه والحوادث الكائنة في زمانه
٣٨٥ - ٤٣١	ذكر نسب موسى بن عمران وأخباره وما كان في عهده وعهد منوشر بن منشخورنر الملك من الأحداث

صفحة

- ٤٣٢ - ٤٣٤ . ذكر وفاة موسى وهارون ابني عمران عليهما السلام .
- ٤٤٢ - ٤٣٥ ذكر يوشع بن نون عليه السلام .
- ٤٤٣ - ٤٥٢ ذكر أمر قارون بن يصهر بن قاهث .
- ٤٥٣ - ٤٥٦ ذكر القائم بالملك ببايل من القهرس بعد منشهر .
- ٤٥٧ - ٤٦٠ . ذكر أمر بني إسرائيل والقوام الذين كانوا بأمرهم بعد يوشع بن نون والأحداث التي كانت في عهد زو وكيقباد .
- ٤٦١ - ٤٦٦ إلياس واليسع عليهما السلام .
- ٤٦٧ - ٤٧٥ . ذكر خبر شمويل بن بالي بن علقمة بن يرخام بن اليهو ابن تهو بن صوف ، وطالوت وجالوت .
- ٤٧٦ - ٤٨٥ . ذكر خبر داود بن إيشي بن عويد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمي نادب بن رام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .
- ٤٨٦ - ٤٨٨ ذكر خبر سليمان بن داود عليهما السلام .
- ٤٨٩ - ٤٩٥ ذكر ما انتهى إلينا من مغارى سليمان عليه السلام .
- ٤٩٦ - ٥٠٣ . ذكر خبر غزوته أبا زوجته جرادة وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه .
- ٥٠٤ - ٥١٦ . ذكر من ملك لإقليم بابل والمشرق من ملوك الفرس بعد كيقباد .
- ٥١٦ - ٥٣١ أمر بني إسرائيل بعد سليمان بن داود عليهما السلام .
- ٥٣٢ - ٥٣٦ . ذكر صاحب قصة شعيا من ملوك بني إسرائيل ، وسنحاريب .
- ٥٣٧ - ٥٥٧ . ذكر خبر لهراسب وابنه بشتاسب وغزو بختنصر بني إسرائيل وتخريبه بيت المقدس .
- ٥٥٨ - ٥٦٠ ذكر خبر غزو بختنصر للعرب .

- رجع الخبر إلى قصة بشتاسب وذكر ملكه والحوادث التي
كانت في أيام ملكه التي جرت على يديه ويد غيره من
عماله في البلاد خلا ما جرى من ذلك على يد مختصر
٥٦١ - ٥٦٥ ذكر الخبر عن ملوك اليمن في أيام قابوس وبعده إلى عهد
بهمن بن إسفنديار ٥٦٦ - ٥٦٧
ذكر خبر أردشير بهمن وابنته خماني ٥٦٨ - ٥٧٠
ذكر خبر بني إسرائيل ومقابلة تأريخ مدة أيامهم إلى حين
تصريحها بتأريخ مدة من كان في أيامهم من ملوك الفرس . ٥٧١
خبر دارا الأكبر وابنه دارا الأصغر بن دارا الأكبر ،
وكيف كان هلاكه ، مع خبر ذي القرنين ٥٧٢ - ٥٧٩
ذكر أخبار ملوك الفرس بعد الإسكندر وهم ملوك الطوائف .
٥٨٠ - ٥٨٤ ذكر الأحداث التي كانت في أيام ملوك الطوائف (وفيها
قصة عيسى ومريم عليهما السلام) ٥٨٥ - ٦٠٥
ذكر من ملك من الروم أرض الشام بعد رفع المسيح عليه
السلام إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم في قول النصاري . ٦٠٦ - ٦٠٨
نزول قبائل العرب الحيرة والأنبار أيام ملوك الطوائف . ٦٠٩ - ٦٢٨
ذكر طسم وجديس ٦٢٩ - ٦٣٢